الموازنة

بين شعر أبي تمام والبحتري

لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي

(ت: ٣٧٠ هـ)

دراسة وتحقيق

الدكتور عبد الله حمد محارب رحمه الله

أتم تحقيقه

الدكتور عبد الرحمن عبد الحميد الشرقاوي

المجلد الثالث



مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين الثقافية

الموازنـــــة
بين شعر أبي تمام والبحتري

لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي
(ت ٣٧٠ هـ)

دراسة وتحقيق

الدكتور عبدالله حمد محارب رحمه الله

أتم تحقيقه

الدكتور عبدالرحمن عبدالحميد الشرقاوي

عضو هيئة التدريس في كلية التربية الأساسية - الكويت

المجلد الثالث

ردمك: 7 - 78 - 72 - 99906 - ISBN 978
رقم الإيداع: 2023 - 2250

مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين الثقافية
هاتف: 22415172 965 +
فاكس: 22455039 965 +
بريد إلكتروني: info@albabtaincf. org

تصميم الغلاف: محمد ناجي

الكويت 2023

بسم الله الرحمن الرحيم

بابٌ

في ذكرِ الزَّمانِ، وذكر ظلمِه واعوجاجِه، وتعذُّر الرِّزقِ على ذوي الحزمِ والفهمِ، وتيسُّره لذوي الجهلِ والعجزِ، وفي التَّعزِّي والصَّبرِ والقناعةِ، وما قالاهُ في ضدِّ ذلك من بُعدِ الهمَّةِ، والنُّهوضِ في طلبِ الرِّزقِ، والسَّيرِ على الإبلِ، وقطعِ الفيافي، وفي مواعظَ وآدابٍ



وأَفتتحُ هذا البابَ بأبياتِ الابتداآتِ في نحوِ هذهِ المعاني.

ولا أَعرفُ لأَبي تمامٍ في شيءٍ من هذا شعرًا:

ووجدتُ للبحتري في ذمِّ هذه الأَبياتِ(١):

لَا الـدَّهْرُ مُسْـتَنْفَدٌ ولَا عَجَبُـهْ ✤ تَسُـومُنَا الخَسْـفَ كُلَّـهُ نُوَبُـهْ

[وقالَ](٢):

مَـنْ قَائِـلٌ لِلزَّمَـانِ مَـا أَرَبُـهْ ✤ فـي خُلُـقٍ مِنْـهُ قَـدْ خَـلا عَجَبُـهْ

وقالَ(٣):

مَـعَ الـدَّهْرِ ظُلْـمٌ لَـيْسَ يُقْطَـعُ دَائِبُـهْ ✤ وحُكْـمٌ أَبَـتْ إِلَّا اعْوجَاجًـا جَوَانِبُـهْ

وقالَ(٤):

---

(١) ديوانه: ١/٢٠٧، والبيت من المنسرح.

(٢) زيادة لازمة. ديوانه: ١/٢٧٧، والبيت من المنسرح.

(٣) ديوانه: ١/٢١٩، والبيت من الطويل.

(٤) ساقطة من «ص»، والبيت في ديوانه: ١/٢٨٥، وهو من الطويل.

إِسَــاءَةُ دَهْــرٍ بَرَّحَــتْ بِــي نَوَائِبُــهْ ❊ وخَطْــبُ زَمَــانٍ بــالكَلَامِ أُخَاطِبُــهْ

وقالَ(١):

تَخَــلَّ مِــنَ الأَطْمَــاعِ إِمَّــا تَخَلَّــتِ ❊ وَوَلِّ صُــرُوفَ الــدَّهْرِ مَــا قَــدْ تَوَلَّــتِ

[١٦٤/٢/١أ] وقال(٢):

اعْجَــبْ لِظُلْــمِ زَمَانِنَــا المُتَــوَاتِرِ ❊ ولأَوَّلٍ مِمَّـــا يُريـــكَ وآخِـــرِ

وقالَ(٣):

نَـــوَازِلُ دَهْـــرٍ أَيَّهُـــنَّ أُنَـــازِلُ ❊ بِعَزْمِـــي أم مِـــنْ أَيِّهِـــنَّ أُوَائِـــلُ

وقالَ(٤):

لَـــيْسَ الزَّمَـــانُ بمُعْتِـــبٍ فَـــذَرِينِي ❊ أَلْقَـــىٰ تجَهُّـــمَ خَطْبِـــهِ بجَبِينِـــي

وقالَ(٥):

نَسْـعَىٰ وأَيْسَـر هَـذَا السَّـعْي يَكْفِينَـا ❊ لَــوْلَا تَكَلُّفنَــا مَــا لَــيْسَ يَعْنِينَــا

وقالَ(٦):

صُــنْتُ نَفْسـي عَمَّـا يُـدَنِّسُ نَفْسِـي ❊ وتَرَفَّعْــتُ عَــنْ جَــدا كُــلِّ جِــبْسِ

وقالَ في النُّهوضِ لطلبِ الرِّزقِ(٧):

أُشَـــرِّقُ أَمْ أُغَـــرِّبُ يَـــا سَـــعِيدُ ❊ وأَنْقــصُ مِــنْ زَمَــاعِيَ أَمْ أَزِيــدُ

---

(١) ديوانه: ٣٦٧/١، والبيت من الطويل.

(٢) ديوانه: ٩٤٥/٢، والبيت من الكامل.

(٣) ديوانه: ١٨٦٨/٣، والبيت من الطويل.

(٤) ديوانه: ٢٢٣٣/٤، والبيت من الكامل، وفيه: (أرمي تجهم..).

(٥) ديوانه: ٢١٨٧/٤، والبيت من البسيط.

(٦) ديوانه: ١١٥٢/٢، والبيت من الخفيف.

(٧) ديوانه: ٥٨٠/١، والبيت من الوافر.

ما قالاهُ من هذه المعاني في وسط الكلام
في ذَمِّ الزمانِ ومجاهدتِهِ والصَّبرِ على نُوَبِهِ

قالَ أبو تمامٍ[1]: [١٦٤/٢/ب]

أُسِيءُ عَلَى دَهْرِي الثَّنَاءَ فَقَدْ قَضَى ❊ عَلَيَّ بَجَوْرٍ صَرْفُهُ المُتَتَابعُ

أَيَرْضَخُنَا رضْخَ النَّوَىٰ وهو مُصْمَتٌ ❊ وَيَأْكُلَنَا أَكْلَ الدَّبَا وهو جائِعُ

وإِنِّي إِذَا أَلْقَىٰ برَبْعِيَ رَحْلَهُ ❊ لأَذْعَرُهُ فِي سِرْبِهِ وهو رَاتِعُ

أَخو مَنْزِل الهَمِّ الذي لَوْ بغَىٰ القِرَىٰ ❊ لَدَىٰ حَاتِمٍ لَمْ يَقْرِهِ وهو طَائعُ[2]

إِذَا شَرَعَتْ فِيه اللَّيَالِي بنَكْبَةٍ ❊ تَمَزَّقْنَ عَنْهُ وهو في الصَّبْر دَارعُ

[لَهُ هِمَمٌ ما إِنْ تَزالُ سُيُوفُها ❊ قَوَاطعَ لَوْ كَانَتْ لَهُن مَقَاطِعُ][3]

قد روىٰ: «ويأْكلنا أَكل الدَّبَا وهو جائعُ» وهو عندي أَشبهُ وأَصحُّ إِن شاءَ الله، و«يأْكلنا أَكل الرِّبَا» لأَنَّ الرِّبَا يأْكلُ النِّعَمَ، ويَمْحَقُ المالَ.

وقولُه: «لو كَانَتْ لَهُنَّ مَقَاطِعُ»: أَي شيءٌ يقطعُه.

وقالَ[4]:

لَقَدْ سَاسَنَا هَذَا الزَّمَانُ سِيَاسَةً ❊ سُدَىٰ لَمْ يَسُسْهَا قَطُّ عَبْدٌ مُجَدَّعُ

---

(١) شرح الصولي: ٦٢٦/٣، والأبيات من الطويل.

(٢) ديوانه: (أبو منزل الهم).

(٣) ساقط من «ص»، «ر»، والشرح عليه.

(٤) شرح الصولي: ١٠/٢، شرح التبريزي: ٣٢٤/٢، والأبيات من الطويل.

تَـرُوحُ عَلَيْنَـا كـلَّ يَـوْمٍ وتَغْتَـدِي ❊ خُطُـوبٌ كـأَنَّ الـدَّهرَ مِـنْهُنَّ يُصْـرَعُ
حَلَتْ نُطَفٌ مِنْهَا لِنِكْسٍ وذُو الحِجَا ❊ يُـداف لـه سَـمٌّ مِـنَ العَـيْشِ مَنْقَـعُ(1)

قد عابَ النَّاسُ عليهِ قولَه: «كأَنَّ الدهرَ منهن يُصْرَعُ» وهو ـ لعمري ـ قبيحٌ(2).

وقالَ(3):

كَـمْ فَتًـى لِلزَّمَـان وَقَـدْ ❊ أَلْقَـى مَقَالِيـدَهُ إِليـه القَبِـيضُ
لَـوْذَعِيٌّ يُهَلِّـلُ المَشْـرَفِيُّ الـ ❊ ـعَضْـبُ عَنْـهُ والزَّاعِبِـيُّ النَّحِـيضُ(4)
أَتْـأَرَتْنِي الأَيَّـامُ بِـالنَّظَرِ الشَّـزْ ❊ رِ وكَانَـتْ وطَرْفُهَـا لـي غَضِـيضُ(5)
كَيْـفَ يُمْسِـي بِـرَأْسِ عَلْيَـاءَ مُمْـسٍ ❊ وجَنَـاحُ السُّـمُوِّ منْـهُ مَهِـيضُ(6)
[١٦٥/٢/أ] هِمَّـةٌ تَـنْطَحُ النُّجُـومَ وَجَـدٌّ ❊ آلِـفٌ للحَضِـيضِ فَهْـو حَضِـيضُ

قوله: «أَتْأَرَتْنِي الأَيَّامُ» أَي أَدامتْ نَظَرَهَا إِليَّ ؛ يقالُ: أَتْأَرْتُ إِليهِ(7) النظرَ:

---

(1) الصولي والتبريزي: (وذو النهى).
(2) كما نقل ذلك صاحب الموشح قال:
(أخبرني محمد بن يحيى قال: حدثنا أحمد بن سعيد قال: حدثنا محمد بن عمر قال: ابن الخثعمي الشاعر: جن أبو تمام في قوله: (وذكر البيت..). أيصرع الدهر؟؟). الموشح للمرزباني ص٣٢٢.
(3) شرح الصولي: ٥٩٧/١ ، شرح التبريزي: ٢٨٨/٢ ، والأبيات من الخفيف، مع اختلاف في ترتيب الأبيات فيهما عن الموازنة.
(4) يهلل: يرجع.
(5) عند الصولي: (أنكرتني الأيام..)، (وجفنها لي غضيض).
(6) عند الصولي والتبريزي: (كيف يضحي مُضْحٍ).
(7) (إليه) مستدركة في هامش: «ص».

إذا أَحددتهُ.

والقبيضُ: اسم لِجِلَّةِ[1] الخَلْقِ، واللَّوْذَعِيُّ الحَدِيدُ الفؤَادِ.

والمَشْرَفِيُّ: السيفُ منسوبٌ إلىٰ المشارفِ، قرىٰ تُعملُ فيها السيوفُ.

والنَّحِيضُ: الذي قد ذهبَ نَحْضُه أي لحمُه، وإنما يعني سنانَ الرمحِ أَنَّه قد دُقِّقَ وحُدِّدَ.

والزَّاعِبيُّ: الرمحُ، قيلَ: هو منسوبٌ إلىٰ رجلٍ كان يُقَوِّمُ الرِّماحَ يُقالُ له زَاعِبٌ، وقال قومٌ زاعبٌ: موضعٌ لا تُعرفُ حقيقتُه، ويقالُ: التَّزعُّبُ: السرعةُ والنشاطُ فيجوزُ أَنْ يكونَ قيلَ زاعبيٌّ لحركتِهِ وتثنِّيهِ.

وقالَ البحتريُّ[2]:

وَمَا جَزَعُ الجَزُوعِ مِنَ اللَّيَالِي ❖ بمُحْرِزِهِ ولا جَلَدُ الجَلِيدِ
جَحَدْنَا سُهْمَةَ الحَدَثَانِ فِينَا ❖ لَوَ انَّ الحَقَّ يَبْطُلُ بالجُحُودِ
فَيَا وَيْحَ الحَوادثِ كَيْفَ تُعْطِي ❖ شَقِّيَ القَوْمِ مِنْ حَظِّ السَّعِيدِ
وكيفَ تَجُوزُ إِنْ حَكَمَتْ بحُكْمٍ ❖ فَتَحْمِلُ لِلْغَوِيِّ عَلَىٰ الرَّشِيدِ[3]
وَمَا بَرِحَتْ صُروفُ الدَّهْرِ حتَّىٰ ❖ أَرَتْنَا الأُسْدَ قَتْلَىٰ لِلْقُرُودِ

وهذا ممَّا لا مزيدَ علىٰ حسنِهِ وجودتِهِ لفظًا ومعنىٰ.

وقالَ[4]:

---

(١) «ص»: (لجهلة) تحريف.

(٢) ديوانه: ٥١٨/١، والأبيات من الوافر.

(٣) ديوانه: (وكيف تجوز إن همت بحكم).

(٤) ديوانه: ٢٣٣١/٤، والأبيات من المنسرح.

يَغْتَــر بالــدَّهْر ذُو الإِضَــاعَةِ وَال ✤ دَّهْــرُ عَــدُوٌّ مَطْلُوبَــةٌ إِحَنُــهْ
[٢/١٦٥/ب] فـي زَمَـنٍ رَنَّقَـتْ حَوَادِثُـهُ ✤ أَشْــبَهُ شــيءٍ بحَــادِثٍ زَمَنُــهْ
رَضِـيتُ مِـنْ سَـيِّءِ الزَّمَـانِ بـأَنْ ✤ يَعْشُــرهُ غيــرَ زائــدٍ حَسَــنُهْ

رنّقتْ حوادثُهْ: دَنَتْ ورَفْرَفَتْ كما يُرنِّقُ النَّسرُ.

وهذا أَيضًا حسنٌ.

وقالَ(١):

أُرَانَـا عُنَـاةً فـي يَـدِ الـدَّهْرِ نَشْـتَكِي ✤ تَأَكُّــدَ عَقْــدٍ مِــنْ عُــرَاهُ وَثِيــقِ
ولَـيْسَ طَلِيـقُ اليـومِ إِنْ رَجَعَـتْ لَـهُ ✤ صـروفُ اللَّيـالي فـي غَـدٍ بطَلِيـقِ(٢)
تَفَاوَتَــتِ الأَيَّــامُ فِينَــا فَأَفْرَطَــتْ ✤ بِظَمْــآنَ بَــادٍ لَوْحُــهُ وغَريــقِ(٣)
وكُنْـتُ إِذا مَـا الحَادِثَـاتُ أَصَـبْنَنِي ✤ بهَايِضَــةٍ صُــمِّ العِظَــامِ دَقُــوقِ
شَـمَخْتُ فَلَـمْ أَبْـدِ اخْتِتـاءً لِشَـامِتٍ ✤ ولَـمْ أَبْتَعِـثْ شَـكْوَىٰ لِغَيْـر شَـقِيقِ(٤)
أَرَىٰ كُـلَّ مُـؤْذٍ عَـاجِزًا عَـن أَذِيَّتِـي ✤ إِذَا هُـوَ لَـمْ يُنْصَـرْ عَلَـيَّ بِمُـوقِ(٥)

فقد ترىٰ هذه الفصاحةَ والبلاغةَ، والألفاظَ الحلوةَ المتمكنةَ، والمعانيَ القريبةَ العجيبةَ.

وأجودُ من قولِهِ: «وكَنْتُ إِذا ما الحَادِثَاتُ أَصَبْنَي...» والبيتَ بعدَه

---

(١) ديوانه: ١٥٣٠/٣، والأبيات من الطويل.

(٢) ديوانه: (من رحبت له).

(٣) ديوانه: (تفاوتت الأقسام).

(٤) ديوانه: (اختناء)، والاختناء الانكسار من حزن أو مرض.

(٥) الموق: الحمق في غباوة.

قَوْلُ العكَوَّك[1]:

أَلَا رُبَّ هَـمٍّ يُمْنَـعُ النَّـوْمُ دُونـهُ ❁ أَقَامَ كقَبْضِ الرَّاحَتَيْنِ عَلَىٰ الجَمْرِ

بَسَطْتُ لـه وَجْهي لأَكْبِتَ حَاسدًا ❁ وأَبْدَيْتُ عَنْ نَابِ ضَحُوكٍ وعَنْ ثغْرِ[2]

وشَوْقٍ كأَطْرَافِ الأَسِنَّة في الحَشَا ❁ مَلَكْتُ عليه طاعةَ الدَّمْعِ أَن يَجْري

[١٦٦/٢/أ] وقالَ البحتريُّ[3]:

أَطِل جَفْوَةَ الدنيا وتَهْوِينَ شَأْنِهَا ❁ فَمَا العَاقِلُ المَغْرُورُ فيها بعَاقِلِ[4]

يُرَجِّي الخُلودَ مَعْشَرٌ ضَلَّ رَأْيُهُمْ ❁ ودُونَ الذي يَرْجُونَ غَولُ الغَوَائِلِ

ولَيْسَ الأَمَانِي في البَقَاءِ وإِنْ مَضَتْ ❁ بها عَادَةٌ إلا أَحَاديثُ بَاطِلِ

إذا مَا حَرِيزُ القومِ بَاتَ وَمَالَهُ ❁ مِنَ الله وَاقٍ فَهوَ بَادِي المَقاتِلِ

وَمَا المُفْلِتُونَ أَجْمَلَ الدَّهْرُ فِيهِم ❁ بأَكْثَرَ مِنْ أَعْدَادِ مَنْ في الحَبائِلِ

يُسَارُ بنَا قَصْدَ المَنُونِ وإِنَّنَا ❁ لَنَشْعَفُ أَحْيانًا بطَيِّ المَرَاحِلِ

عِجَالًا عَنِ الدُّنْيَا بأَسْرَع سَعْيِنَا ❁ إِلَىٰ آجِلٍ منها شَبِيهٍ بعَاجِلِ

أَوَاخِرُ مِنْ عَيْشٍ إِذَا ما امْتَحَنْتَها ❁ تَأَمَّلْتَ أَمْثَالًا لَهَا في الأَوَائِلِ

وَمَا عَامُكَ المَاضِي وإِنْ أَفْرطتْ به ❁ عَجَائِبُهُ إِلَّا أَخُو عَامٍ قَابِلِ

غَفلْنَا عَنِ الأَيامِ أَطْولَ غَفْلَةٍ ❁ وما خَوْفُها المَخْشِيُّ عَنَّا بِغَافِلِ[5]

---

(١) «ص»: (عكوّك). والأبيات في ديوانه: ص ٥٥. وهي من الطويل.

(٢) (ثغر) مستدركة في هامش «ص».

(٣) ديوانه: ١٨٦٣/٣، والأبيات من الطويل.

(٤) ديوانه: (منها بعاقل).

(٥) ديوانه: (وما خونها)، وهي أقرب إلىٰ الصحة في رأيي.

تَغَلْغَـــلَ رُوَّادُ الفَنَــاءِ ونَقّبَـــتْ ❖ دَوَاعِـي المَنُـونِ عَـنْ جَـوَادٍ وبَاخِـلِ

وقالَ(١): [١٦٦/٢/ب]

إِذَا عَاجِــلُ الــدُّنْيَا أَلَــمّ بِمُفْــرِحٍ ❖ فَمِــنْ خَلْفِــهِ فَجْــعٌ سَــيَتْلُوهُ آجِــلُ
وكانَتْ حَياةُ الحيِّ سَوْقًا إِلى الرَّدَى ❖ وأَيَّامُــهُ دُونَ المَمَــاتِ مَرَاحِــلُ
ومَا لُبْثُ مَنْ يَغْدُو وفي كُلِّ لَحْظَةٍ ❖ لَـهُ أَجَـلٌ فـي مُـدَّةِ العُمْـرِ قَاتِـلُ
وللمــرءِ يَــوْمٌ لا مَحَالَــةَ مَــا لَــهُ ❖ غَـدٌ وَسْـطَ عَـامٍ مَالَـهُ الـدَّهْرَ قَابِـلُ
كَفَانَــا اعْتِرَافًــا بالفَنَــاءِ ورِقْبَــةً ❖ لِمكْرُوهِــهِ أَنْ لَـيْسَ لِلْخُلْـدِ آمِـلُ

وقالَ(٢):

أَنَــاةٍ أَيُّهــا الفَلَــكُ المُــدَارُ ❖ أَنَهْــبٌ مَــا تُطَــوِّفُ أَمْ خِيَــارُ
سَــتَفْنَى مِثْــل مَــا تُفْنِــي وتَبْلَــى ❖ كمــا تُبْلِــي فَيُــدْرَكُ مِنْــكَ ثَــارُ
تُنَــابُ النَّائِبَــاتُ إِذَا تَنَاهَــتْ ❖ ويَــدْمُرُ فــي تَصَــرُّفِهِ الــدَّمَارُ
ومَــا أَهْــلُ المَنَــازِلِ غيــرُ رَكْــبٍ ❖ مَنَايَــــاهُمْ رَوَاحٌ وابْتِكَــــارُ
لَنَــا فــي الــدَّهْرِ آمَــالٌ طِــوَالٌ ❖ تُرَجِّيهــا وأَعْمَــارٌ قِصَــارُ

وقالَ(٣):

أُخَيَّ: مَتَى خَاصَمْتَ نَفْسَكَ فَاحْتَشِدْ ❖ لَهَـا ومتـى حَـدَّثْتَ نَفْسَـكَ فَاصْـدُقِ

---

(١) ديوانه: ١٧٣١/٣ ، والأبيات من الطويل.
(٢) ديوانه: ٩٢٩/٢ ، وفيه: (تطرَّف) ، والأبيات من الوافر.
(٣) ديوانه: ١٥٥٢/٢ ، والأبيات من الطويل.

أَرَىٰ عِلَلَ الأَشياءِ شَتَّىٰ ولا أَرَىٰ التـ ❊ ـتجمُّـــــعَ إِلَّا عِلَّـــــةً للتَّفَـــرُّقِ
أَرَىٰ العَيْشَ ظِلًّا تُوشِكُ الشَّمْسُ نَقْلَهُ ❊ فكِسْ في ابتِغَاءِ العَيْشِ كَيْسَكَ أَوْمِقِ[1]
أَرَىٰ الــدَّهْرَ غُــولًا للنُّفُــوسِ وإِنَّمــا ❊ يَقِي اللهُ في بَعْضِ المَوَاطِنِ مَنْ يَقِي
ولَــمْ أَرَ كالــدُّنيَا حَلِيلَــةَ وَامِــقٍ ❊ مُحِــبٍّ مَتَــىٰ تَحْسُــنْ بِعَيْنَيْــهِ تَطْلُــقِ
[١٦٧/٢/أ] تَراهَا عِيَانًا وَهْيَ صَنْعَةُ وَاحِدٍ ❊ فَتَحْسَبُها صُنْعَيْ لَطِيفٍ وأَخْـرَقِ[2]

فانظرْ أَشعارَ أَهلِ الزهد وتأَملْها، هل ترىٰ فيها من هذا النحوِ شيئًا؟ هيهاتَ؛ هذا مذهبٌ يتقدَّمُ كلَّ مذهبٍ.

وقالَ[3]:

أَرَىٰ غَفْلَــةَ الأَيَّــامِ إِعْطَــاءَ مَــانِعٍ ❊ نَصِــيبَكَ أَحْيَانًــا وحِلْــمَ سَــفيهِ
إِذَا مَــا نَسَــبْتَ الحَادِثَــاتِ وَجَــدْتَهَا ❊ بَنَــاتِ الزَّمــانِ أُرْضِــعَتْ لِبَنِيــهِ[4]
مَتَــىٰ أَرَت الــدُّنْيَا نَبَاهَــةَ خَامِــلٍ ❊ فَــلَا تَنْتَظِــرْ إِلَّا خُمُــولَ نَبِيــهِ[5]

وقالَ[6]:

(١) (أومق) مستدركة في هامش «ص»، وكِسْ: كن كيسًا فطنًا، ومق: تحامق، من الفعل: ماق يموق.
(٢) قال الشريف المرتضىٰ في أماليه ٢/٢٢٩:
(وقد قيلَ أنَّ السببَ في خروج البحتريِّ عن بغدادٍ في آخرِ أيامِهِ كانَ هذه الأبيات؛ لأنَّ بعض أعدائه شنع عليه بأنه ثنوي من حيث قال:
فتحسبها صنعيْ لطيفٍ وأحزقِ
وكانت العامة حينئذ غالبة علىٰ البلد، فخاف علىٰ نفسه، فقال لابنه أبي الغوث: قم يا بني حتىٰ نطفئ عنا هذه الثائرةبخرجة نلم فيها ببلدنا، فخرج ولم يعد).
(٣) ديوانه: ٤/٢٣٩٨، وفيه: (يصيبك أحيانًا)، والأبيات من الطويل.
(٤) ديوانه: (أرصدت لبنيه).
(٥) ديوانه: (فلا ترقب).
(٦) ديوانه: ١/٩٤، والبيتان من البسيط.

أَغْشَىٰ الخُطُوبَ فَإِمَّا جِئْنَ مَأْرَبَتِي ❁ فيما أُسَيِّرُ أَوْ أَحْكَمْنَ تَأْدِيبِي

إِن تَلْتَمِسْ تَمْرِ أَخْلَافَ الخُطُوبِ وإِنْ ❁ تَلْبَثْ مَعَ الدَّهرِ تَسْمَعْ بالأَعاجيبِ(١)

وما أَحسنَ ما قالَ ابن عيينةَ(٢):

ما رَاحَ يَوْمٌ عَلَىٰ حَيٍّ ولَا ابْتَكَرَا ❁ إِلَّا رَأَىٰ عِبْرَةً فيهِ إِن اعْتَبَرا

وَلَا أَتَتْ سَاعَةٌ في الدَّهْرِ فانْصَرَمَتْ ❁ حَتَّىٰ تُؤَثِّر في قَوْمٍ لَهَا أَثَرَا

إِنَّ اللَّيَالِيَ والأَيَّامَ أَنْفُسَهَا ❁ عَنْ عَيْبِ أَنْفُسِها لَمْ تَكْتُمِ الخَبَرا

أَنشدَ المبردُ هذه الأَبيات، وذكرَ أَنَّ الطائيَّ أَخذَ هذا المعنىٰ وجمعَهُ في أَلفاظ يسيرةٍ فقالَ(٣): [١٦٧/٢/ب]

عَمْرِي لَقَدْ نَصَحَ الزَّمَانُ وإِنَّهُ ❁ لَمِنَ العَجَائِبِ نَاصِحٌ لَا يُشْفِقُ

أَرادَ أَنَّ قولَه: «عَمْرِي لَقَدْ نَصَحَ الزَّمَانُ» من قولِهِ: «إِلَّا رَأَىٰ عِبْرَةً فيه إِن اعْتَبَرَا»، كأَنه أَرادَ أَنَّ ما يأْتي فيه من العبرِ كأَنَّه نُصْحٌ(٤) مِنه وتنبيهٌ.

وكذلك قوله: «ولا أَتَت سَاعَةٌ» وقولُه: «إِنَّ اللَّيَالِيَ والأَيَّامَ»، فجعلَ هذا كلَّه كنصحٍ(٥) من الزمانِ لما يُرِينَاهُ من العبرِ.

قالَ أَبو العباسِ: وزاد عليهِ بقولِه: «ناصحٌ لَا يُشْفِقُ»(٦).

---

(١) ديوانه: (أخلاف الأحوز).

(٢) الكامل للمبرد: ٥٢٤/٢، وبهجة المجالس وأنس المجالس: ٢٩٩/٢، وقال لابن عيينة أبو محمد بن يسير. ولم أجدهما في ديوانه. والأبيات من البسيط.

(٣) شرح الصولي: ١٦٤/٣، وفيه: (لمن الكبائر)، وشرح التبريزي: ٣٩٣/٤، والبيت من البسيط.

(٤) «ص»: (فيه).

(٥) «ص»: (لتصح).

(٦) بقية كلام المبرد الذي أهمله الآمدي هو قوله: =

وما قالَه الناسُ في هذا المعنىٰ أَكثرُ من أَنْ يَحتاج الطَّائيُّ إِلىٰ أَن يأْخذَهُ من هذه الأبياتِ.



= (وزاد بقوله: (ناصح لا يشفق) علىٰ قول ابن عيينة شيئًا طريفًا، وهكذا يفعل الحاذق بالكلام).

في المواعظ والآداب

وقالَ البحتريُّ(١):

مَتَىٰ تَسْتَزِدْ فَضْلًا مِنَ الْعُمرِ تَغْتَرِفْ ❁ بِسَجْلَيْكَ مِنْ شَهْدِ الخُطُوبِ وصَابِهَا
تُشَذِّبُنَا الدُّنْيَا بِأَخْفَضِ سَعْيِهَا ❁ وغُولُ الأَفَاعِي بَلَّةٌ مِنْ لُعَابِهَا
يُسَرُّ بِعُمْرَانِ الدِّيارِ مُضَلَّلٌ ❁ وعُمْرَانُهَا مُسْتَأْنَفٌ مِنْ خَرَابِهَا
ولَمْ أَرْتَضِ الدُّنْيَا أَوانَ مَجيئِهَا ❁ فَكَيْفَ ارْتِضَائِيها أَوَانَ ذَهَابِهَا(٢)
أَقُولُ لِمكْذُوبٍ عَنِ الدَّهْرِ رَاغَ عَنْ ❁ تَخَيُّرِ آرَاءِ الحِجَا وانْتِخَابِهَا(٣)
سيُرْدِيكَ أَوْ يُتْوِيكَ أَنَّكَ مُحْبَسٌ ❁ إِلىٰ شُقَّةٍ يُبْلِيكَ بُعْدُ ما بها(٤)

فهذا واللهِ الوعظُ الذي لو سَمِعَهُ أبو العتاهية لضلَّتْ مقاليدُهُ.

وقولُه: «مُحْبَسٌ» أي موقُوفٌ إِلىٰ أَن تصيرَ إِلىٰ هذه الشُّقَّة، من قولك: احْتَبَسْتُ فرسًا [١٦٨/٢/أ] في سبيلِ اللهِ، واحْتَبَسْتُ دارًا، أَي وقَفْتُ دارًا، فأَمَّا حَبَسْتُ، فإِن ذاك من حبستُ الرجلَ في الحبسِ، وحبستُهُ عن طريقِهِ، ونحوِ هذا.



(١) ديوانه: ١/٢٣١، والأبيات من الطويل.
(٢) في «ص»: (أوان) الأولىٰ سقطت ألفها الأولىٰ.
(٣) ديوانه: (زاغ عن).
(٤) «ص»: (ما ابها) تحريف، وديوانه: (أنك مخلس).

فِي الصَّبْرِ والقناعةِ



قالَ أَبو تمامٍ[1]:

عِنْـدي مِـنَ الأَيَّـامِ مَـا لَـوْ أَنَّـهُ ❁ أَضْـحَىٰ بِشَـارِبِ مُرْقِـدٍ مَـا غَمَّضَـا

لَا تَطْلُـبَنَّ الـرِّزْقَ بَعْـدَ شِمَاسِـهِ ❁ فتَرُومَــهُ سَـبُعًا إِذَا مــا غَيَّضَــا

مـا عُـوِّضَ الصَّـبْرَ امْـرؤٌ إِلَّا رَأَىٰ ❁ مَـا فَاتَـهُ دُونَ الـذي قَـدْ عُوِّضَـا

«شارب مُرْقد» مَثَلٌ غيرُ جيِّدٍ ولا حسنٍ، ولا زالَ الناسُ يعيبونَهُ.

وقالَ[2]:

لا تَأْخُـذِينِي بالزَّمَـانِ فَلَـيْسَ لِـي ❁ تَبَعًـا وَلَسْـتُ عَلَـىٰ الزَّمَـانِ كَفِـيلَا

مَـنْ زَاحَـفَ الأَيَّـامَ ثُـمَّ عَبَـا لَهَـا ❁ غَيْـرَ القَنَاعَـةِ لَـمْ يَـزَلْ مَفْلُـولَا

مَـنْ كَـانَ مَرْعَـىٰ عَزْمِـهِ وهُمُومِـهِ ❁ رَوْضُ الْأَمَـانِي لَـمْ يَـزَلْ مَهْـزُولَا

لَـوْ جَـازَ سُـلْطَانُ القُنُـوعِ وحُكْمُـهُ ❁ فـي الخَلْـقِ مَـا كَـانَ القَلِيـلُ قَلِـيلَا

الـرِّزْقُ لَا تَكْمَـدْ عَلَيْـهِ فَإِنَّـهُ ❁ يَـأْتِي وَلَـمْ تَبْعَـثْ إِليـهِ رَسُـولَا

يريدُ مَنْ لمْ يقنعْ وكانَ أَبدًا يتمنىٰ، لَمْ يَزَلْ مَهْزُولاً.

وقولُه: «لو جَازَ سُلْطَانُ القُنُوعِ»، وهو يريد القناعةَ؛ لأَنَّ المتأَخرينَ في هذا

---

(١) شرح الصولي: ١/٦٠٦، شرح التبريزي: ٢/٣٠٣، والأبيات من الكامل، وقال التبريزي: (أي عندي من جهة الأيام من المحن ما لو تصُوِّر بشارب دواء منيم لم يغمض غمًا وتفكراً).

(٢) شرح الصولي: ٢/٢٩١، وفيه: (لا تأخذني)، شرح التبريزي: ٣/٦٧، والأبيات من الكامل.

الموضعِ يستعملونَ القنوعَ.

«ما كانَ القَلِيلُ قَلِيلا» أَي لو كانَ حكمُ القناعةِ جائزًا نَافِذًا في الخلقِ، أَي لو قَنَعَ [٢/١٦٨/ب] الخلقُ ما كانَ القليلُ قليلاً، أَي ما كانَ أَحدٌ يَسْتَقِلُّ القليلَ، بل كان عندَهُ بالقناعةِ كثيرًا. أَفصحَ بمدحِ القناعةِ فقالَ:

الـــرِّزْقَ لَا تَكْمَـــدْ عَلَيْـــه فَإِنَّـــهُ ❁ يـــأْتي ولَـــمْ تَبْعَـــثْ إِليـــه رَسُـــولَا

وإِنَّما أَخذَ هذا من قولِ [عُرْوَةَ] بنِ أُذَيْنَة[1]:

أَسْـــعَىٰ إِلَيْـــهِ فَيُعْيِينِـــي تَطَلُّبُـــهُ ❁ وَلَـــوْ قَعَـــدْتُ أَتَـــانِي لا يُعَنِّينِـــي

ثمَّ نقضَ أَبو تمامٍ هذا كلَّه بأَنْ قالَ في إِثْرِ هذا البيتِ بغيرِ فاصِلَةٍ تَفْصِلُ بينهما يَصِفُ النَّاقةَ وقَطَعَه الفلاةَ إِلىٰ الممدوحِ، فقال:

للهِ دَرُّكِ أَيُّ مَعْبَــــــرِ قَفْــــــرَةٍ ❁ لَا تُـوحِشُ ابْـنَ البَيْضَـةِ الإِجْفِـيلَا

بِنْتُ الفَضَاءِ مَتَىٰ تَخِدْ بِكَ لا تَـدَعْ ❁ فِي الصَّدْرِ مِنْكَ عَلَىٰ الفَلَاةِ غَلِيلَا

أَوَ مَـــا تَرَاهَـــا لَا تَرَاهَـــا هِـــزَّةً ❁ تَشْـأَىٰ العُيُـونَ ذَوالِقًـا وذَمِـيلَا[2]

لَـــوْ كَـــانَ كَلَّفَهَـــا عُبَيْـــدٌ حَاجَـــةً ❁ يَوْمًـــا لَزَنَّـــىٰ شَـــدْقَمًا وَجَـــدِيلَا

«ابن البَيْضَةِ»: الظليمُ، والإِجْفِيلُ: السَّريع الانْجِفَال يعني الذهاب يقول: لا توحشُهُ هذه الناقةُ لكثرةِ قطعِهَا الفَيَافِي وإِلفِ الظُّلْمانِ[3] لها.

ودلَّ علىٰ أَنَّه الظليمُ بقولِهِ: «ابن البيضة» ولو كانَ جرىٰ له ذكرٌ لَمَا كانَ

(١) تخريج البيت في ١٢٩٢/٣. وفي «ص»: (من قول أذينة).
(٢) عند الصولي والتبريزي: (أو ما تراها ما تراها..)، (تعجرفًا وذميلا).
(٣) «ص» (الظمان).

لذكرِ البيضةِ معنىً ، إذ كلُّ ظليمٍ فهو ابنُ البيضةِ .

وقولُه: «أَوَ مَا تَرَاهَا لَا تَرَاهَا هِزَّةً» أي من [١٦٣/٢/أ] سرعة مرِّها واهتزازِها في سيرِها لا تكادُ تُرىٰ صُورتَها .

تَشْأَىٰ العُيُونَ: تسبقُها ، ذَوَالِقًا: جمعُ ذليقةٍ ، والذَّلَاقَةُ: السرعةُ والمَضَاءُ .

ويروىٰ: «دَوَالِقًا» بالدال غيرُ معجمةٍ ، وجمعُ دَالِقَةٍ ، والدالقُ: الخارجُ ، يقالُ: سيفٌ دَالِقٌ إذا كان خارجًا مِنْ غِمْدِه .

وكانَ ينبغي أَن يقولَ: تشأَىٰ العيونُ اندلاقًا وذميلًا ، أَو ذلاقةً معجمةِ الذالِ وذميلًا ؛ لأَنَّ قولَه: «وَذَميلَا» لا يكونُ مَنْسُوقًا علىٰ ذَوَالِقَ ، وأظنُّه جعلَ الذَّمِيلَ مَنْسُوقًا علىٰ هِزَّةٍ .

والذَّمِيلُ ها هنا رَدِيءٌ ؛ لأَنَّه ضَرْبٌ من سيرِ الإبلِ لَيِّنٍ ، وهو يَصفُ السرعةَ .

وعُبَيدٌ: يعني البَيْطَارَ الذي ذكره الأَعْشَىٰ في شعرِهِ ، فقالَ يصفُ ناقةً[١]:

لَـمْ تَعَطَّـفْ عَلَـىٰ حُـوَارٍ ولَـمْ يَقْـ ❊ ـطَـعْ عُبَيْـدٌ عُرُوقَهَـا مِـنْ خُمَـالِ

وكانَ يعالجُ الإبلَ ، أَي لو كلَّفها عُبيدٌ حاجةً ، أَي سيرًا عليها لحاجةٍ «لَزَنَّىٰ شَدْقَمًا وجَدِيلَا» وهما فحلانِ من فحولِ العربِ النَّجِيبَةِ المذكورةِ ، لما يرىٰ من سرعتِهَا ونجابتِهَا .

وهذا غايةُ ما يكونُ من سخفِ المعنىٰ وركاكتِهِ ؛ لأَنَّ زَنَّىٰ من أَلفاظ الجُهَّالِ والصبيانِ ، وإِنَّما أَرادَ لو سارَ عليها عبيدٌ ، هذا العالمُ بأَمرِ الإِبلِ ، في بعضِ حاجاتِهِ[٢] ، لَصَغُرَ عندَهُ ، أَوْ لَهَانَ عليهِ أَمْرُ شَدْقَمٍ وجَدِيلٍ ، فلم يهتدِ بلفظٍ من هذا

---

(١) ديوانه: ص٥ . والخمال: داء يصيب القوائم فتتشنج عروقها ، والبيت من الخفيف .

(٢) في «ص»: (حاجه) ، والتصحيح من النظام: جـ ٢ لوحة ٢٦٠ .

النحوِ فقالَ: «لَزَنَّىٰ شَدْقَمًا وجَدِيلًا» أتراهُ كانَ يقولُ لهما: يا زانيينِ، أَو يا بني الزانيين، إنَّ هذا من حماقاتِ الطائيِّ المُحْكَمَةِ، وسخفِهِ العجيبِ مع ما في أَبياتهِ [٢/١٦٩/ب] هذه من نقضِ المعنىٰ الذي ذكرَهُ في الأبياتِ قبلها من الحثِّ علىٰ القناعةِ، والقعودِ عن الحركةِ والاضطرابِ(١).

وقالَ البحتريُّ(٢):

لَعَمْرُكَ كَيْفَ نَرْضَىٰ مَا عَدَانَا ❊ مِنَ الدُّنْيَا ونَسْخَطُ مَا يَجِينَا
عَنَانَا مَا عَسَاهُ يَزولُ عَنَّا ❊ وأَنْصَبَنَا تَكَلُّفُ مَا كُفِينَا(٣)
يُقَيِّضُ لِلْحَرِيصِ الغَيْظُ بَحْتًا ❊ [وتَتَّجِهُ الحُظُوظُ] لِمَنْ قُضِينَا(٤)
ومَا هُوَ كَائِنٌ وإِن اسْتَطَلْنَا ❊ إِلَيْهِ النَّهْجَ يُوشِكُ أَنْ يَكُونَا
فلا تُغْرَرْ مِنَ الأَيَّامِ وانْظُرْ ❊ إِلىٰ أَقْسَامِهَا عَمَّنْ زُوِينَا

وقالَ(٥):

نَسْعَىٰ وأَيْسَرُ هَذَا السَّعْيِ يَكْفِينَا ❊ لَوْلَا تَكَلُّفُنَا مَا لَيْسَ يَعْنِينَا
نَرُوضُ أَنْفُسَنَا أَقْصَىٰ رِيَاضَتِهَا ❊ عَلَىٰ مُوَاتَاةِ دَهْرٍ لا يُوَاتِينَا

---

(١) قال ابن المستوفي في النظام:
(وفي حاشية علىٰ نسخة من نسخه بإزاء هذا الموضع: بل أراد الراعي، واسمه عبيد بن حصن ابن معاوية، أراد لو أن الراعي ركبها لحقَّر أمر هذين الفحلين).
وقال الصولي:
(يعني عبيدًا الراعي النمري، لأنه أوصف الناس للإبل ولذلك سُمِّي الراعي).

(٢) ديوانه: ٤/٢٢٠٨، وفيه: (بعمرك كيف نرضىٰ ما أبانا)، والأبيات من الوافر.

(٣) ديوانه: (عنانا ما عساه يزال..).

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من «ص»، والتصحيح من ديوانه.

(٥) ديوانه: ٤/٢١٨٧، والأبيات من البسيط.

فَلَيْـــتَ مُسْــلِفَنَا الأَعْمَـــارَ أَنْظَرَنَـــا ❁ مُجَـــامِلًا فَتَـــأَنَّى فـــي تَقَاضِـــينَا

وهذا كلُّه لا مزيدَ على حسنِهِ وصحتِهِ وحلاوتِهِ.

وقالَ(١):

ضــيّق العُــذْرَ فــي الضَّــراعَةِ أَنَّــا ❁ لَــوْ قَنَعْنَــا بقسْــمِنا لكَفَانَــا

مَــا لَنَــا نَعْبُــدُ العِبَــادَ إِذَا كَــا ❁ نَ إِلــى اللهِ فَقْرُنَــا وغِنَانَــا

وقال(٢):

[١٧٠/٢/أ] لَوْ أَنَّنِي أُوفِي التَّجَارِبَ حَقَّها ❁ فِيمَــا أَرَتْ لَرَجَــوْتُ مَــا أَخْشَــاهُ

والشَّــيْءُ تُمْنَعــه تكُــونُ بِفَوْتِــهِ ❁ أَجْـدَى مِـنَ الشَّـيْءِ الـذي تُعْطَـاهُ

خَفِّــضْ أَسَــى عَمَّــا شَــآكَ طِلَابُــهُ ❁ مَــا كُــلُّ شَــائِمِ بَــارِقٍ يُسْــقَاهُ

وقالَ(٣):

وكَيْفَ تُعَاطِي الرَّاحِ والرَّأْسُ مُخْلَسٌ ❁ مَشِيبًا وشُرْبُ الرَّاحِ مِنْ بَعْدِ جَعْفَرِ

قَنِعْــتُ وجَانَبْــتُ المَطَــامِعَ لَابِسًــا ❁ لِبَــاسِ مُحِــبٍّ للنَّزَاهَــةِ مُــؤْثِرِ(٤)

وَأَيْأَسَــنِي عِلْمِــي بــأَلَّا تَقَــدُّمِي ❁ مُفِيـدي وَلَا مُـزْرٍ بِحَظِّـي تَـأَخُّرِي(٥)

ولَــوْ فَــاتَنِي المَقْــدُورُ مِمَّــا أَرُومُــهُ ❁ بِسَــعْيِ لَأَدْرَكْــتُ الــذي لَــمْ يُقَــدَّرِ

---

(١) ديوانه: ٢٢٦٥/٤، والبيتان من الخفيف.

(٢) ديوانه: ٢٤٠٣/٤، والأبيات من الكامل.

(٣) ديوانه: ١٠٦٢/٢، وفيه: (تعاطي اللهو)، ومخلس: الذي بعضه. والأبيات من الطويل.

(٤) ديوانه: (للبراءة مؤثر).

(٥) ديوانه: (وآنسني علمي).

وقالَ[1]:

أَجِـدَّكَ مَـا تَنْفَـكُّ تَشْـكُو قَضِـيَّةً ❁ تُـرَدُّ إِلـى حُكْـمٍ مِـنَ الـدَّهْرِ جَـائِرِ
يَنَـالُ الفَتَـى مَـا لَـمْ يُؤَمِّـلْ ورُبَّمَـا ❁ أَتَاحَـتْ لَـهُ الأَقْـدَارُ مَـا لَـمْ يُحَـاذِرِ

وهذا في غايةِ الحسنِ والصحةِ والبراعةِ، وإِنَّمَا أَخذَهُ ـ واللهُ أعلمُ ـ من قولِ أَبي العَتَاهِيَةِ[2]:

قَـدْ يَسْـلَمُ المَـرءُ مما قَـد يحـاذرهُ ❁ وقَـدْ يَصِـيرُ إِلـى المَكْـرُوهِ بالحـذَرِ

وأَخذَه أَبو العتاهيةِ من قولِ الآخرِ[3]: [٢/١٧٠/ب]

وَحَـذِرْتُ مِـنْ أَمْـرٍ فَمَـرَّ بِجَـانِبِي ❁ مُتَنَكِّبًـا ولَقِيـتُ مَـا لَـمْ أَحْـذَرِ

وقالَ البحتريُّ[4]:

إِنْ تُجَـرِّبْ بَنِـي الزَّمَـانِ تَجِـدْهُمْ ❁ إِخْـوَةً فيـهِ للشِّـفَارِ الكَلِيلَـهْ
وَالفَتَـى كَـادِحٌ لِفَعْلَـةِ دَهْـرٍ ❁ يَرْتَضِـيها أَوْ عِيشَـةٍ مَمْلُولَـهْ
خَـائِفٌ آمِـلٌ لِصَـرْفِ اللَّيَـالِي ❁ وَاللَّيَـالِي مَخُوفَـةٌ مَأْمُولَـهْ
رَاحَ أَهْـلُ الآدابِ فِيهـا قَلِـيلًا ❁ وَحُظُـوظُ الأَقْسَـامِ فيهـا قَلِيلَـهْ[5]

---

(١) ديوانه: ٩٦٢/٢، والبيتان من الطويل.

(٢) ديوان أبي العتاهية ص١٩٤، دار بيروت للطباعة والنشر سنة ١٩٨٦، والبيت من البسيط.

(٣) البيت رواه الآمدي في المؤتلف والمختلف لسهم بن حنظلة بن حلوان بن خويلد، وقال عنه (فارس مشهور، شاعر محسن) المؤتلف والمختلف، لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي ص١٧٤، صححه وعلق عليه: ف. كرنكو، دار الجيل، بيروت سنة ١٩٩١. وفيه: (بجانبي لم يكنني)، والبيت من الكامل.

(٤) ديوانه: ١٦٣٩/٣، والأبيات من الخفيف.

(٥) «ص»: (فيها قليلا).

فَعَلَيْـــكَ الرِّضَـــا بِمَـــا رَضِـــيَتْهُ ❁ لَـكَ هَـذِي المَطالِـبُ المَجْفُولَـهْ[١]
لَــنْ يُنَــالَ المُــزْوَرُّ عَنْــكَ بِتَدْبِيــ ❁ ــرٍ وَلَــنْ تَصْـعَدَ السَّـمَاءَ بِحيلَـهْ[٢]
وَإِذَا مَــا اعْتَبَــرْتَ ظَــاهِرِ حَــالِي ❁ كَـانَ أَمْـرًا مِـنَ الأُمُـورِ الجَلِيلَـهْ[٣]
كَـمْ تَكَرَّهْـتُ غِـبَّ أَمْـرٍ فَكَانَـتْ ❁ نِعْمَـةُ اللهِ فِيـهِ عِنْـدِي جَمِيلَـهْ[٤]
لَـيْسَ إِلّا فَضْـلُ العَزِيمَـةِ تُمْضِيـ ❁ ـهَـا وَإِلَّا المَطِيَّـةُ المَرحُولَـهْ

وهذا كلامٌ يجري من رقَّتِهِ وحسنِهِ.

قولُه: «فَعَلَيْكَ الرِّضَا» مدحٌ للقناعةِ، ولم يحثَّ علىٰ القعود عن المطالبِ، وإنَّما أرادَ عليكَ الرضا بما رَضِيَتْهُ لك مطالِبُكَ، هذه المطالبُ التي أنتَ بسبيلِهَا، ولن تقدرَ علىٰ نيلِ ما ازورَّ عنكَ ولذلكَ قال:

لَـيْسَ إِلّا فَضْـلُ العَزِيمَـةِ تُمْضِيـ ❁ ـهَـا وَإِلَّا المَطِيَّـةُ المَرحُولَـهْ

[١٧١/٢/أ] وعلىٰ أنَّه قال:

كَـمْ تَكَرَّهْـتُ غِـبَّ أَمْـرٍ فَكَانَـتْ ❁ نِعْمَـةُ اللهِ فِيـهِ عِنْـدِي جَمِيلَـهْ

يجوزُ أن يكونَ أرادَ غبَّ أمرٍ مِنْ تَجَشُّمِ الأسفارِ، وبُعْدِ المَطَالبِ، فأحمدتْ عاقبتُه فحسنَ أنْ يقولَ: «لَيْسَ إِلَّا فَضْلُ العَزِيمَةِ».

وأبو تمامٍ صريحٌ بذكرِ القعودِ عن الطلبِ بقولِهِ[٥]:

---

(١) ديوانه: (المرذوله).
(٢) ديوانه: (لن تلاقي المزويَّ).
(٣) ديوانه: (ظاهر أمري) (كان خطبًا من الخطوب).
(٤) ديوانه: (عمادة الدهر)، «ص»: (عندي جليلة) ولا تصح لما فيها من إيطاء، وقد جاءت علىٰ الصحة بعد ذلك.
(٥) سبق في ١٧/٣.

الـــرِّزْقَ لا تَكْمَـــدْ عَلَيْـــهِ فإِنَّـــهُ ❁ يَـــأْتِي ولَـــمْ تَبْعَـــثْ إِليـــه رَسُـــولَا

فكانَ ذكرُهُ للناقةِ والرحيلِ عليها مُنَاقَضَةً ظاهرةً قبيحةً في أَبياتٍ متصلٌ بعضُها ببعضٍ.

وقالَ البحتريُّ[1]:

تَطْلُـــبُ الأَكْثَـــرَ فـــي الـــدُّنْيَا وَقَـــدْ ❁ تَبْلُـــغُ الحَاجَـــةَ فيهـــا بالأَقَـــلْ

وقالَ[2]:

أَسـيفٌ إِذَا أَسْـفَفْتُ أَدْنُـوا لِمَطْمَـعٍ ❁ خَـفٍ وأُرَانِـي مُثْرِيًـا يَـوْمَ أَقْنَـعُ

إِذَا شِـئْتَ حَـازَ الحَـظَّ دُونَـكَ وَاهِـنٌ ❁ ونَازَعَـكَ الأَقْسَـامَ عَبْـدٌ مُجَـدَّعُ

أَجِـدَّكَ مَـا المَكْـرُوهُ إِلَّا ارتقَابُـهُ ❁ وأَبْـرَحُ مِمَّـا حَـلَّ مَـا يُتَوَقَّـعُ

وقَدْ تَتَنَاهَىٰ الأُسْدُ مِنْ دُونِ صَيْدِهَا ❁ شِبَاعًا وتَغْشَىٰ صَيْدَهَا وهْيَ جُوَّعُ[3]

قولُه: «أَسِيفٌ إِذا أَسْفَفْتُ» يقال: أَسَافَ الرَّجلُ يُسيفُ: إِذا ذَهَبَ مالُه.

يقولُ: إِنَّه[4] يفتقرُ إِذا دنَا لمَطْمَعٍ، ويستغني إذا قَنَعَ.

وقولُه: «وقد تَتَنَاهَىٰ الأُسْدُ مِنْ [٢/١٧١/ب] دُونِ صَيْدِها شِبَاعًا» يمدحُ القناعةَ، وأَنَّ من سبيلِ الإنسانِ إذا وجدَ البُلْغَةَ اكتفىٰ إلىٰ أنْ يحتاجَ.

---

(١) ديوانه: ٣/١٧١٧، والبيت من الرمل.

(٢) ديوانه: ٢/١٢٦٩، والأبيات من الطويل، وفي ديوانه: (أَسِفٌ)، و(حين أقنع).

(٣) «ص»، «ر»: (وأشفىٰ) تحريف.

(٤) «ص»، «ر»: (إنه لم يفتقر) تحريف.

وقالَ[1]:

حُلِّي سُعَادُ غُرُوضَ العِيسِ أَوْ سِيرِي ❊ وأَنْجِدِي في الْتِمَاسِ الحَظِّ أَو غُورِي
كُـلُّ الـذي نَتَرجَّـاهُ وَنَأْمُلُـهُ ❊ مُضَـمَّنٌ فـي ضَـرُورَاتِ المَقَـادِيرِ
فَمَـا يُقَـرِّبُ تَقْـدِيمِي شَوَاسِـعَها ❊ ولا يُبَاعِـدُ مَـا أَدْنَـيْنَ تَـأْخِيرِي[2]
تَغْـدُو الكِـلَابُ ولا فَضْـلٌ يُعَـدُّ لَهَـا ❊ سِوَىٰ الذي بَانَ مِنْ نَقْصِ الخَنَازِيرِ

وقالَ أَبو تمامٍ[3]:

مَـا يَحْسِـمُ الْعَقْـلُ والـدنيا تُسَاسُ بِـهِ ❊ مَا يَحْسِمُ الصَّبْرُ في الأَحْدَاثِ والنُّوبِ[4]
الصَّـبْرُ كَـاسٍ وبَطْـنُ الكَـفِّ عَارِيـةٌ ❊ والعَقْـلُ عَـارٍ إِذَا لَـمْ يُكْسَ بالنَّشَـبِ
كَمْ ذُقْتُ في الدَّهْرِينْ مِنْ عُسْرٍ وَمِنْ يُسُرٍ ❊ وفي بَنِي الدَّهْرِ مِنْ رَأْسٍ ومِنْ ذَنَبِ
بِـأَيِّ وخْـدِ قِـلاصٍ واجْتِنَـابِ فَـلاً ❊ إِدْرَاكُ رِزْقٍ إِذَا مَـالَجَّ فـي الهَـرَبِ[5]

ذكرَ أَنَّه لا يَحْسِم العقلُ ما يَحْسِم الصَّبْرُ، والصبْرُ على شدَّةِ الزمانِ وأَحداثِهِ لا يكادُ يقعُ إلا بالعقلِ، وكلُّ الأَخلاقِ الشريفةِ فبالعقلِ تكونُ.

وقولُه: «الصَّبْرُ كاسٍ وبَطْنُ الكَفِّ عَارِيةٌ» من حماقاتِهِ في الطباقِ يريدُ أَنَّ الصبرَ مجانِبٌ لخلوِّ اليدِ، وأَنا ضدُّ الفقرِ والعُدْمِ؛ لأَنَّ الفقر والعُدْم لا [١٧٢/٢/أ] يكونُ معهما صبرٌ، فجعلَ كاسيًا من أَجلِ ذكرِ بطنِ الكفِّ بالعريِّ، ثم جعلَ العقلَ

(١) ديوانه: ١٠٢٦/٢، والأبيات من البسيط.
(٢) ديوانه: (فما يقرب تقربي).
(٣) شرح الصولي: ٥٨٩/٣، والتبريزي: ٥٤٨/٤، والأبيات من البسيط.
(٤) «ص»، «ر»: (يساس لها).
(٥) الصولي والتبريزي: (إذا ما كان في الهرب).

أَيضًا عاريًا إذا لمْ يكنْ مَكسوًّا بالنَّشَبِ، وكسوةُ الصَّبْرِ والعقلِ استعارةٌ تتجاوزُ كُلَّ فحشٍ[1].

وأَعجبُ من هذا ذوقُهُ الرأْسَ والذَّنَبَ في بني الدهرِ، وما علمنا أَحدًا ذاقَ ذنَبَ غيرِهِ ولا رأْسِهِ[2].

وأَرادَ بالذَّوْقِ الاخْتِبَارَ، واستعملَهُ في أَقبحِ موضعٍ وأَشنعِهِ.

ولا خفاءَ بفضلِ البحتريِّ في هذا البابِ على أَبي تمامٍ.



(١) قال سيد صقر (لقد ضَلَّ الآمدي عن الصواب في تفسير البيت، ولم يرد أبو تمام أن الصبر مجانب لخلو اليد، وأنه ضد الفقر والعدم. بل أراد أن الصبر نافع في حالة الفقر وساتر لصحابه).

(٢) قال سيد صقر: (لم يذهب أبو تمام إلى هذا المعنى السخيف الذي ذهب إليه الآمدي، وإنما ذهب إلى ما تنطق به ألفاظ بيته: من أنه ذاق من حلو العيش ومره ما ذاق، واختبر بني الزمان طراً الرؤساء منهم وغير الرؤساء، وهم الذين عبر عنهم بالأذناب).
وفي «ص»: (ولا رأسا).

ذمُّ ذوي الغنى على البخلِ، وذكرُ مساعدةِ الدَّهرِ لذوي الجهلِ وتحامُلِهِ على أهلِ الفضلِ والعقلِ



قالَ أَبو تمامٍ(١):

مَضَى الأَمْلَاكُ وانْقَرَضُوا وأَمْسَى ❁ سُـرَاةُ مُلُوكِنَا وَهُـمُ تِجَـارُ

وقوفًا في ظِلَالِ الذَّمِّ تُحْمَى ❁ دَرَاهِمُهُم ولا يُحْمَى الذِّمَارُ(٢)

فَلَوْ ذهبتْ سِنَاتُ الدَّهْرِ عَنْهُ ❁ وأُلْقِيَ عن مناكبه الدِّثارُ

لَعَدَّلَ قِسْمَةَ الأَرْزَاقِ فِينَا ❁ ولكنْ دَهْرُنَا هَذَا حِمَارُ

قولُه: «وأُلْقي عَنْ مَنَاكِبِهِ الدِّثَارُ» لفظٌ رديءٌ، وليسَ من المعنى الذي قصدَهُ في شيءٍ، وصدرُ البيتِ لائقٌ بالمعنى فلوْ كانَ أتبعَهُ بما يكونُ في معناهُ بأَن يقولَ: فلو ذهبتْ سناتُ الدهرِ عنهُ، واستيقظَ من رقدتِهِ، أو انتبهَ من نومتِهِ، أَو انكشفَ الغطاءُ عن وجهِهِ، لكان المعنى يمضي مستقيمًا، وقد ذكرتُهُ فيما مضى من [٢/١٧٢/ب] أَغاليطِهِ مشروحًا(٣).

وقالَ: ـ وهو من إِحسانِهِ المشهورِ ـ(٤):

سَأُوطِئُ أَهْلَ العَسْكَرِ اليَوْمَ عَسْكَرًا ❁ مِن الذَّنب مَحّاءً لِتِلْكَ المَعَالِمِ

---

(١) شرح الصولي: ٥١٢/١، وشرح التبريزي: ١٥٤/٢، والأبيات من الوافر، وفيهما: (وأمست).

(٢) التبريزي: (دراهمها).

(٣) انظر ٤٤٣/١.

(٤) شرح الصولي: ٣٩٦/٢، شرح التبريزي: ٢١٩/٣، ومنهما (من الذل)، والأبيات من الطويل.

وَمَـالِيَ مِـنْ ذَنْـبٍ إِلَـىٰ الـدَّهْرِ خِلْتُـهُ ❖ سِـوَىٰ أَمَلِـي إِيَّـاكُمُ لِلْعَظَـائِمِ[1]
وإِنِّـي مَـا حُورِفْـتُ فـي طَلَـبِ الغِنَـىٰ ❖ ولَكِـنَّكُمْ حُـوْرِفْتُمُ فـي المَكَـارِمِ[2]

ومن جيِّد معانيه في هذا النحو قولُه[3]:

إِنْ شِـئْتَ أَنْ يَسْـوَدَّ ظَنُّـكَ كُلُّـهُ ❖ فَأَجِلْـهُ فـي هـذا السَّـوَادِ الأَعْظَـمِ

وقالَ[4]:

يَنَـالُ الفَتَـىٰ مِـنْ عَيْشِـهِ وهْـوَ جَاهِـلٌ ❖ ويُكْدِي الفَتَـىٰ في دَهْـرِهِ وهْـوَ عَـالِمُ
ولَوْ كَانَت الأَقْسَامُ تَجْرِي عَلَىٰ الحِجَا ❖ هَلَكْـنَ إذًا مِـنْ جَهْلِهِـنَّ البَهَـائِمُ[5]

وهذا معنىً ما علىٰ صحَّتِهِ وحسنِهِ من مَزِيدٍ.

وقالَ[6]:

ومـا القَفْـرُ بالبِيـدِ القَـوَاءِ بـل التـي ❖ نَبَـتْ بِـي وفِيهَـا سَـاكِنُوهَا هـي القَفْـرُ
ومَـنْ قَـامَرَ الأَيَّـامَ عَـنْ ثَمَرَاتِهَـا ❖ فَـأَحْج بِهـا أَنْ تَنْجَلِـي وَلَهَـا القَمْـرُ[7]

وهذا أَيضًا جيدٌ بالغٌ، ومن إِحسانِهِ المشهورِ، ثم وصَلَهُ بأَنْ قالَ:

---

(١) عند الصولي والتبريزي: (إلىٰ الرزق).
(٢) عند الصولي: (فإني وما حق فنا). وفيهما: (في طلب العلىٰ).
(٣) شرح الصولي: ٢/٤٢٥، وشرح التبريزي: ٣/٢٥٦، والبيت من الكامل.
(٤) شرح الصولي: ٢/٣٨٧، وشرح التبريزي: ٣/١٧٨، والبيتان من الطويل.
(٥) شرح التبريزي: (ولو كانت الأرزاق).
(٦) شرح الصولي: ٣/٦١٣، شرح التبريزي: ٤/٥٧٠، والبيتان من الطويل، وقال التبريزي: («القواء» من الأرض هو المكان المقوي لا شيء فيه).
(٧) أحج بها: قال التبريزي: مثل: أحْرِ بها. وسكن الياء من (تنجلي) ضرورة، وقد كثر مجيء ذلك في الشعر.

فَإِنْ كَانَ ذَنْبِي أَنَّ أَحْسَنَ مَطْلَبِي ✤ أَسَاءَ فَفِي سُوءِ القَضَاءِ لِيَ العُذْرُ
قَضَاءِ الذي مَا زَالَ في يَدِهِ الغِنَىٰ ✤ ثَنَىٰ غَرْبَ آمَالي وفي يَدِي الفَقْرُ
رَضِيتُ وهَلْ أَرْضَىٰ إِذَا كَانَ مُسْخِطِي ✤ من الأَمْرِ مَا فِيه رِضَا مَنْ لَهُ الأَمْرُ
وأَشْجَيْتُ آمَالِي بِصَبْرٍ حَلَوْنَ لِي ✤ عَوَاقِبُهُ والصَّبْرُ مِثْلُ اسْمِهِ صَبْرُ

[١٧٣/٢/أ] قوله: «فإِنْ كَانَ ذَنْبِي أَنَّ أَحْسَنَ مَطْلَبِي أَسَاءَ» يريدُ شخوصَه إلىٰ مصرَ ؛ لأَنَّها كانت عندَه أَحسنَ مطالبِهِ فأخفقَ فيها ، فذمَّها بأَنْ قال:

ومَا القَفْرُ بالبِيدِ القَوَاء بَلِ التي ✤ نَبَتْ بِي وفيها سَاكِنُوهَا هِي القَفْرُ

وقوله: «رَضِيتُ وَهَلْ أَرْضَىٰ» من أَغاليطِهِ وإِحالاتِهِ في المعاني ، وإِنَّما كانَ ينبغي أَنْ يقولَ: «رضيتُ وكيف لا أَرْضىٰ» وقومٌ يحتجُّونَ بأَنَّه[1] قالَ: رضيتُ وقد أَرضىٰ ، علىٰ ما فُسِّرَ به قولُ الله ﷻ: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾[2] بأَنْ قالوا معناهُ: قد أَتىٰ على الإِنسانِ.

وقد ذهبَ إِلىٰ هذا قومٌ في «قَد» إذا وَلِيتْ الفعلَ الماضي ، أَما إذا وَلِيَتْ المستقبل فإِنَّها تكونُ بمعنىٰ «ربما» وتخرجُ عن هذا التأْويلِ.

وأَكثرُ أَهلِ العربيةِ ، وجميعُ أَهلِ اللغةِ يقولونَ: المعنىٰ: أَلَمْ يأتِ علىٰ الإِنسانِ ، بمعنىٰ التقريرِ والتوبيخِ ، ويدفعونَ أَنْ تكونَ «هل» بمعنىٰ «قد» ؛ لأَنَّ ذلك لم يأتِ في كلامِ العربِ.

وقد بيَّنتُ هذا في الجزءِ الذي جمعتُ فيهِ أَغاليطَ أَبي تمامٍ من هذا الكتابِ[3].

(١) «ص»: (بأن قال).
(٢) [سورة الإنسان: آية: ١].
(٣) انظر: ٤١٩/١.

وقالَ[١]:

وحَادِثَـاتٌ أَعاجيـبٌ خَسًّـا وَزَكَـا ❊ ما الدَّهْرُ في فِعْلِهَا إِلَّا أَبُو العَجَبِ
يَمْلِكْـنَ قَـوْدَ الكُمَـاةِ المُعْلمـينَ لَهَـا ❊ ويَسْتَقِدْنَ لِفُرسَـانِ علىٰ القَصَـبِ[٢]

[٢/١٧٣/ب] الخَسَا: الفَرْد، والزَّكَا: الزَّوْجُ، وفُرْسَانُ القصبِ: يعني الصبيانُ.

وهذه أَلفاظٌ في غايةِ الخُلُوقَةِ والسَّخَافَةِ، ولو قالَ: ويستقدنَ لأَهلِ الجبنِ والرعبِ، أَو الرهبِ كانَ أَحسنَ وأحلىٰ وأجمل[٣]:

[حتىٰ يكونوا ضدَّ الفرسانِ المسلمينَ][٤].

وقالَ فيها:

فـي كـلِّ يَـوْمٍ صَـوَاقِيرِي مُفَلَّلَـةٌ ❊ تَسْتَنْبِطُ الصُّفْرَ لِي مِنْ مَعْدِنِ الذَّهَبِ[٥]
مـا كُنْـتُ كالسَّـائِلِ الأَيَّـامَ مُجْتَهِـدًا ❊ عَنْ لَيْلَةِ القَدْرِ في شَعْبَانَ أَوْ رَجَبِ[٦]

أَي ما التمستُ إِلَّا من حيثُ يجبُ الالتماسُ، ولكنِّي خِبْتُ.

بَـلْ سَـافِعٌ بِنَوَاصِـي الأَمْـرِ مُشْـتَمِلٌ ❊ عَلَىٰ قَوَاصِيهِ فِي بَدْئِي وفي عَقِبِي[٧]
بِغُرْبَـةٍ كـاغْتِراب الْجُـودِ إِنْ بَرَقَـتْ ❊ بِأَوْبَـةٍ وَدَقَـتْ بـالخُلفِ والكَـذِبِ

---

(١) شرح الصولي: ٥٨٧/٣، شرح التبريزي: ٥٤٥/٤، والبيتان من البسيط، وعند الصولي: (في فعله).
(٢) الصولي والتبريزي: (يغلبن قود...) (المعابين بها).
(٣) «ص»، «ر»: (أحسن ويعجل) والتصحيح من النظام جـ ١ لوحة ١٣٦.
(٤) الزيادة من النظام.
(٥) عند التبريزي: (أظافيري مغللة)، وعند الصولي: (تسنبط الفقر).
(٦) الصولي والتبريزي: (مختبطًا).
(٧) عند الصولي والتبريزي: (بل قابض)، وفي «ص»: (شافع) تصحيف.

إذا عَمَـدْتُ لِشَـأوٍ خِلْـتُ أَنّـي قَـدْ ❁ أَدْرَكَتـهُ أَدْرَكَتْنـي حِرفَـةُ العَـرَبِ[1]

قولُه: «سافعٌ بنواصي الأمرِ» من قولِه جلَّ اسمُه: ﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾[2] والسَّفْعُ بالشيءِ هو أنْ يُؤخَذَ ويجذبَ جذبًا فيه عنفٌ.

وكان ينبغي أَنْ يقولَ: بنواصي الحزمِ أَو العزمِ، فأَمَّا الأَمر فإِنَّه [غير مقيد][3]...

وقولُه:

بِغُرْبَـةٍ كـاغْتِرَابِ الجُـودِ إِنْ بَرَقَـتْ ❁ بأَوْبَـةٍ وَدَقَـتْ بـالخُلْفِ والكَـذِبِ

فشبَّهَ غيابَهُ بغيبةِ الجودِ الذي يقالُ يقدمُ ولا يقدمُ، يؤكِّدُ بهذا عُدْمَ الجودِ، وأَنَّه كلَّما طمِعَ فيه من أحدٍ كان بعيدًا [١٧٤/٢/أ] كالغائبِ الذي يقالُ:

يقدمُ ثمَّ لا يقدمُ.

وَدَقَتْ: من الوَدْقِ، وهو قَطْرُ المطرِ.

يقولُ هذا وهو قد قَدِمَ[4] من غيباتِه إِلَّا أَنَّه جعلَ نفسَهُ كمنْ لم يقدمُ؛ لأَنَّه قَدِمَ بالخيبةِ؛ فلذلك قالَ بعدَ هذا:

مـا آبَ مَـنْ آبَ لَـمْ يَظْفَـرْ بِحَاجَتِـهِ ❁ ولَـمْ يَغِـبْ طَالِـبٌ لِلنُّجْحِ لَـمْ يَخِـبِ

وهذا تعسُّفٌ، والخَرَسُ أَحسنُ منه.

وقولُه: «إِنْ بَرَقَتْ بأَوْبَةٍ» يعني الغيبةَ، واستعارةُ البرقِ لا تحسنُ إِلا

(١) الصولي والتبريزي: (إذا قصدت)، (حرفة الأدب).

(٢) [سورة العلق: آية ١٥].

(٣) الزيادة من النظام.

(٤) «ص»، «ر»: (قدم يقدم)، والتصحيح من النظام.

باستعارةِ[1] السَّحابِ معه، وكانَ الجيِّدُ أَنْ يقولَ: بَرَقَتْ سحابُها بأَوْبَةٍ، لو استقامَ له.

وقولُه: «أَدْرَكَتْني حِرْفَةُ العَرَبِ» معنىٰ ما قالَه غيرُهُ، ولا جعلَ أَحدٌ العَرَبَ مُحَارَفِينَ سواه، ودليلُ عدمِ حرفَتهم ما هو إِلَّا أَنَّهم قهروا الأُمَمَ حتىٰ صارَ المُلْكُ فيهم، وهم علىٰ تلك العِزَّةِ الجاهليةِ إِلىٰ هذا الوقتِ.

وما زالَ الناسُ ينكرون هذا المعنىٰ عليه، ويعيبونه ولو كانَ قالَ: «حرفة الأَدب» كانَ أَولىٰ بالصوابِ، وبما يستعملُه الناسُ، ولأَنَّه أَديبٌ غيرُ مدفوعٍ، وليسَ في القصيدةِ أَيضًا ذكرٌ للأَدبِ.

وقد رواه قومٌ «الأَدب» إِنكارًا لذكرِ العربِ ها هنا، وغَيْرُه في عِدَّةٍ من النسخِ [والذي نظمته النسخ][2] القديمةِ، والذي في نسخةِ أَبي سعيدِ السُّكريِّ، وأَبي العلاء محمدُ بنُ العلاءِ وغيرُهما: «العرب».

وإِنَّما ذاكَ لشدةِ عشقِهِ بالعربيةِ، وأَنْ يقالَ طائيٌّ.

وقد أَنكرَهُ عليهِ ابنُ عمَّارٍ وغيرُه، وهذا دليلٌ علىٰ أَنَّه [٢/١٧٤/ب] ما قالَ إِلا حرفةَ العربِ.

وقالَ البحتريُّ[3]:

أَوْجَلَتْنِـــي بَعْـــدَ أَمْـــنٍ غِرَّتِـــي ✤ واغْتِـرَارُ الأَمْـنِ يَسْـتَدْعِي الوَجَـلْ
لَـــمْ أُوَهَّـــمْ نعْمَتِـــي تَغْـــدِرُ بِـــي ✤ غَـــدْرَةَ الظِّـــلِّ سَـــجَا ثُـــمَّ انْتَقَـــلْ

---

(١) «ص»، «ر»: (بالاستعارة)، والتصحيح من النظام.
(٢) ما بين المعقوفين زيادة من النظام.
وفي النسخة الأندلسية من ديوان أبي تمام سردت القصيدة وذكر أمامها أنها نقلت من خط الشاعر، وفيها: (حرفة العرب)، ص ٤٢٧.
(٣) ديوانه: ١٧١٦/٣، والأبيات من الرمل.

زَمَــنٌ تَلْعَــبُ بِــي أَحْدَاثُــهُ ❖ لَعِـبَ النَّكْبَـاءِ بـالرُّمْحِ الخَطِـلْ[1]

وأرىٰ العُــدْمَ فَــلَا تَحْفَــلْ بِــهِ ❖ عُقْبَــةً تُقْضَــىٰ وكَلْمًــا يَنْــدَمِلْ

أَكْبَــرَتْ نَفْســي وقِــدْمًا أَكْبَــرَتْ ❖ أَنْ تُلَقَّـىٰ النَّيْـلَ مِـنْ كـفِّ الأَشَـلْ[2]

ومِــنَ المَعْــرُوفِ مُــرٌّ مَقِــرٌ ❖ يَلْفِـظُ الطَّـاعِمُ مِنْـهُ مَـا أَكَـلْ[3]

نَطْلُــبُ الأَكْثَـرَ فـي الــدُّنيا وَقَـدْ ❖ نَبْلُــغُ الحَاجـةَ فيهــا بالأَقَــلْ[4]

وهذا من إِحسانِ أَبي عبادة المتداولِ.

وقالَ[5]:

تَغَاضَـىٰ رِجَـالٌ عَـنِ المَكْرُمَـاتِ ❖ وقَــدْ مثَّلَــتْ نُصْـبَ أَعْيَانِهَــا

ولَــمْ تَلْتَفِـت لِوُجُـوبِ الحُقُـوقِ ❖ وَوَاجِبُهــا خَلْــفَ آذَانِهَــا

فَتَحْتُ يَـدِي ثَـانِيَ العِطْـفِ عَـنْ ❖ كَــذُوبِ المَــوَدَّةِ خَوّانِهَــا

وقَــدْ عَلِمَــتْ خَلَّتــي أَنَّنــي ❖ أُفَارِقُهــا عِنْــدَ هِجْرَانِهَــا

وقالَ[6]: [١٧٥/٢/أ]

وعَيَّرتْنِــي سِـجَالَ الْعُــدْمِ جاهِلَــةً ❖ والنَّبْـعُ عُرْيَـان مَـا فـي فَرْعِـهِ ثَمَـرُ

وَمَــا الفَقِيــرُ الــذي عَيَّـرْتِ آوِنَـةً ❖ بـلِ الزَّمـانُ إِلـىٰ الأَحْـرَارِ يَفْتَقِـرُ[7]

---

(١) النكباء: الريح المنحرفة، الرمح الخطل: الطويل المضطرب.

(٢) ديوانه: (وكدها أكبرت).

(٣) «ص»: (منه وأكل).

(٤) سبق ص ٢٤ من هذا الجزء.

(٥) ديوانه: ٢٣٠٤/٤، والأبيات من المتقارب.

(٦) ديوانه: ٩٥٤/٢، والأبيات من البسيط.

(٧) ديوانه: (مفتقر).

عـزَّىٰ عَـنِ الحَـظِّ أَنَّ العَجْـزَ يُدْرِكُـهُ ✤ وَهَـوَّنَ العُسْـرَ عِلْمِـي فـي مَـنِ اليُسُـرُ
لـم تَبْـقَ مِـنْ جُـلِّ هَـذَا النَـاسِ بَاقِيَـةٌ ✤ يَنَالُهَـا الـوَهْمُ إِلَّا هـذه الصُّـورُ
جهْلٌ وبخْلٌ وحَسْبُ المَجْدِ وَاحِدَةٌ ✤ مِـنْ تَـيْنِ حَتَّـىٰ يُعَفَّـىٰ خَلْفَـهُ الأَثَـرُ[١]
إذا مَحاسِـنِيَ اللاتِـي أُدِلُّ بِهَـا ✤ كَانَـتْ ذُنُـوبِي فَقُـلْ لِـي كَيْـفَ أَعْتَـذِرُ
علـيَّ نَحْـتَ القَـوافي مِـنْ مَعَادِنَهـا ✤ وَمَـا عَلَـيَّ إِذَا لَـمْ تَفْهَـم البَقَـرُ[٢]

ذَكَرَ «عليَّ بن يَحْيىٰ المُنجِّم» عن شيوخِهِ أَنَّ هذا البيتَ للمخَيَّم[٣] الرَّاسِبِي، أحد الشعراءِ في دولةِ الرشيدِ، وكانَ صَحِبَ محمدَ[٤] مَنْصُور بنِ زِيادٍ فكسَبَ معه مالًا عظيمًا، ثمَّ صحبَ محمدَ بن يحيىٰ بنِ خالدِ البَرْمكِي بعدَ موتِ ابنِ منصورٍ[٥] فلم يحمدْه فهجاهُ.

وأخذُ بيتٍ بأَسرهِ قبيحٌ لأَبي عبادةَ، ومثلُهُ لا يضطرُّ إلىٰ هذا.

وقد كانَ «عليُّ بنُ يحيىٰ» انحرفَ عن البحتريِّ لأَنَّ البحتريَّ هجاهُ بأمرِ المتوكلِ بأبياتٍ ليسَ مثلُها يضرُّ، ولكنَّه ذكرَ صورتَهُ فقالَ:

كُـلُّ أَخْـلَاقِ «علـيّ» ✤ تَرْتَضِـيها وتَذُمُّـهْ[٦]
هُـو قِـرْدٌ حِـين يبْـدُو ✤ غيـر أَنَّـا لَا نَكُمُّـهْ[٧]

---

(١) ديوانه: (وحسب المرء).
(٢) ديوانه: (من مقاطعها)، (وما علىٰ لهم أن تفهم البقر).
(٣) «ص»: (للمختم) تصحيف.
(٤) [هكذا في نشرة السيد صقر رحمه الله، وتبعه الشيخ عبد الله محارب في المطبوع الذي وصلني، فلعل السقط في المخطوط أو هو سهو من الشيخين، وهو محمد بن منصور بن زياد، كان يلي ديوان الجند أيام الرشيد، وهو الذي سمَّاه «فتىٰ العسكر»]. (الشرقاوي)
(٥) «ص»: (ابن منثور)!
(٦) ديوانه: ٤/٢١٠٦، والأبيات من مجزوء الرمل. وفي ديوانه: (نجتويها ونذمه).
(٧) (نكمه): شد فمه بالكمام.

مُقْلَتَـــــاهُ وحِجاجــــا ه وشِـــــدْقَاهُ وخَطْمُـــــهْ[١]

[٢/١٧٥/ب] فضحكَ المتوكلُ حتىٰ استلقىٰ وبلغَ عليَّ بنَ يحيىٰ فعابَ هذا علىٰ البحتريِّ لما حدثَ بينهما من التباعدِ[٢].

إلا أنِّي لم أرهم ينكرونَ استعارةَ البيتِ الذي يجري مجرىٰ المثلِ إذا جاءَ موضعُهُ، إلا أنْ يكونَ في شواردِ الأمثالِ التي لا يكادُ يعرفُ قائلوها.

وقالَ[٣]:

أَضِيعُ فـي مَعْشَـرٍ وكَـمْ بَلَـدٍ ❊ يُعَـدُّ عُـوْدُ الكِبَـاءِ مِـنْ حطَبِـهْ
لـم يَنْصُـرِ المَجْـدَ حـقَّ نُصْـرَتِهِ ❊ إلَّا المَكِـينُ المَكَـانِ مِـنْ رُتَبِـهْ[٤]
يُخْـدَعُ عَـنْ عرْضِـهِ البَخيـلُ وَلَا ❊ يُخْـدَعُ وهْـو الغَنِـيُّ عَـنْ نَشَـبِهْ
أَوْثَـقُ مَـنْ يُصْـطَفَىٰ عُـرَاهُ وإنْ ❊ حَـلَّ بَعِيـدًا مَـنْ حَـلَّ فـي حَسَـبِهْ[٥]
لا يَصْـرِمُ المُحْـدَثُ الكَهَـامُ ولَـوْ ❊ أَخْلَصَـهُ الهَـالِكِيُّ مِـنْ جَرَبِـهْ[٦]
نَنْسَـىٰ أَيَـادِي الزَّمَـانِ فِينَـا فَمَـا ❊ نَـذْكُرُ مِـنْ دهْرِنَـا سِـوَىٰ نُوَبِـهْ

وقال[٧]:

---

(١) (خطمه): أنفه.
(٢) كذا في «ص»، «ر»، وقد يكون سياق العبارة: (وكان هذا سببا لما حدث...).
(٣) ديوانه: ٢/٢٤٢، والأبيات من المنسرح، وعود الكباء: عود البخور.
(٤) ديوانه: (لن ينصر).
(٥) ديوانه: (حلَّ بعيدا شرواك في حسبه).
(٦) (المحدث): السيف المجلو، (الكهام): الكليل البطيء، (الهالكي): الحداد، (من جربه): من صدائه.
(٧) ديوانه: ٢/٧٤٧، والأبيات من الطويل.

أَيـذْهَبُ هَـذَا الـدَّهْرُ لَـمْ يَـرَ مَوْضِعِي ❊ ولَـمْ يَـدْرِ مَـا مِقْـدَارُ حَلْـي ولَا عَقْـدِي
ويَكْسُـدُ مِثْلِـي وهْـوَ تَـاجِرُ سُـؤْدَدِ ❊ يَبِيـعُ ثَمِينَـاتِ المَكَـارِمِ والحَمْـدِ
سَــوائِرِ شِـعْرُ جَـامِعٍ بَـدَدَ العُلَـىٰ ❊ تَعَلَّقْـن مَـنْ قَبْلِـي وأَتْعَبْنَ مَـنْ بعْـدِي
يُقَـدِّرُ فِيهَـا صَـانِعٌ مُتَعَمِّـلٌ ❊ لأَحْكامِهـا تَقْـدِير دَاودَ فـي السَّـرْدِ
[١٧٦/٢/أ] خَلِيلَيَّ لَوْ في المَرْخِ أَقْدَحُ إِذْ أَبَى ❊ رِجَـالٌ مُؤَاتَـاتِي إِذَنْ لخَبَـا زَنْـدِي(١)
وَمَـا عارَضَـتْنِي كُدْيَـةُ دُونَ مَـدْحِهِمْ ❊ فكَيْـف أَرَانِـي دُونَ مَعْـروفِهِمُ أُكْـدِي
أَأَضْـربُ أَكْبَـادَ المَطَايَـا إِلَـيهِمُ ❊ مُطَالَبَـةً مِنِّـي وحَـاجَتُهُمْ عِنْـدِي؟

وهذا صِدْقُ أَبي عبادةَ عن نفسِهِ، وما كان له بدٌّ منْ أَن يَنْفِثَ، وما قالَ قولًا هو أصدقُ من هذا.

وقالَ(٢):

ومَـا جَهِلْـتَ فَـلَا تَجْهَـلْ مُحَـاجَزَتِي ❊ لِصَـاحِبِ البابِ يَرْمِـي عَنْـهُ صَاحِبُهُ
الأَرْضُ أَوْسَـعُ مِـنْ دَارٍ أَلِـظُّ بِهَـا ❊ والنـاسُ أَكْثَـرُ مِـنْ خِـلٍّ أُحَارِبُـهُ(٣)
أُعَاتِـبُ المَـرْءَ فيمـا جـاءَ وَاحِـدةً ❊ ثُـمَّ السَّـلامُ عَلَيْـهِ لا أُعاتِبُـهُ
ولَـوْ أَخَفْـتُ لَئِـيمَ القَـوْمِ جنَّبَنِـي ❊ أَذَاتَـهُ وصَـدِيقُ الكَلْـبِ ضَـارِبُهُ
وَلَـنْ تُعـينَ امْـرأً يَوْمًـا وَسَـائِلُهُ ❊ مَـا لَـمْ تُعِنْـهُ عَلَـىٰ حُـرٍّ ضَـرَائِبُهُ(٤)

---

(١) ديوانه: (لكبا زندي).

(٢) ديوانه: ١٢٢٦/١، والأبيات من البسيط.

(٣) ديوانه: (ألط) بالمهملة، و(أجاذبه)، وألط وألظ: بمعنىً واحد وهو أقيم.

(٤) ديوانه: (إن لم بقية)، وكرر ناسخ «ص» التعليق علىٰ الأبيات التي سبقت هذه الأبيات.

[وقالَ[1]:]

لَنَـا فـي كُـلِّ يَـوْمٍ أَصْـدِقَاءُ ❖ تَعُـودُ عِـدًا وحَـالَاتٌ تَحُـولُ
وقَـدْ تَعْفُـو الظُّنُـونُ بِمَـنْ يُرجَّـىٰ ❖ فَتُخْلِـفُ مِثْـلَ مَـا تَعْفُـو الطُّلُـولُ
ومَـا فُقِـد الجَمِيـلُ لِقُـرْبِ عَهْـدٍ ❖ فَنَسْـأَلَ عَنْـهُ بَـلْ نُسِـيَ الجَمِيـلُ
[٢/١٧٦/ب] وَيَلْؤُمُ سَائِلُ البُخَلَاءِ حِرْصًا ❖ وإِسْـفافًا كَمَـا لَـؤم البَخيـلُ

وقالَ[2]:

لَـمْ أَلْـقَ مَقْـدُورًا عَلَـىٰ اسْـتِحْقَاقِهِ ❖ فـي الحَـظِّ إِمَّـا نَاقِصًـا أَوْ زَائِـدَا
وَعَجِبْـتُ لِلْمَحْـدُودِ يُحْـرَمُ نَاصِـبًا ❖ كَلِفًـا ولِلْمجْـدُودِ يَغْـنَمُ قَاعِـدَا
وتَفَـاوُتُ الأَرْزَاقِ فِيمَـا بَيْـنَهُمُ ❖ لَا يَـأْتَلِينَ نَـوَازِلًا وَصَـوَاعِدَا[3]
مـا خَطـبُ مَـنْ حُـرِمَ الإِرادةَ وَادِعًـا ❖ خَطْبُ الذي حُرِمَ الإِرَادَةَ جَاهِدًا[4]

وهذا كلُّه في غايةِ الجودةِ والحسنِ والصحةِ والبراعةِ والحلاوةِ.

فأَقولُ في الموازنةِ بينهما: إِنَّهما[5] أَحسنا جميعًا في هذا البابِ وأَجادا، وأَجعلُهما متكافئين مع ما فيهِ لأبي تمامٍ من الإِساءةِ.



(١) ديوانه: ١٨٢٤/٣، وفيه: (في كل دهر)، والأبيات من الوافر.
(٢) ديوانه: ٨٢١/٢، والأبيات من الكامل.
(٣) ديوانه: (وتفاوت الأقسام).
(٤) (هذا) من (جاهدا) مستدركة في الهامش من «ص».
(٥) (إنهما) مصححة في هامش «ص».

ما قالاهُ في طلبِ الرِّزقِ والنُّهوضِ إليهِ



قالَ أَبو تمامٍ[1]:

سَـــيَبْتعِثُ الرِّكَـــابَ ورَاكِبِيهــــا ❊ فَتًـــى كالسَّـــيْفِ هَجْعَتُـــهُ غِـــرَارُ
أَطَـلَّ عَلَـى كُلَـى الآفَـاقِ حَتَّـى ❊ كَــأَنَّ الأَرْضَ فـــي عَيْنَيْـــهِ دَارُ[2]

غِرارُ: قليلٌ، وهذا البيتُ حسنٌ جدًّا.

[والبيتُ الثاني][3] ولو كانَ في مدحِ خليفةٍ ضبطَ الدنيا، وأَحسنَ سياستَها، ومراعاةِ كلِّ ناحيةٍ منها، كان أحسنَ وأليقَ.

[١٧٧/٢/أ] وإِنَّما سرقَ المعنى من قولِ منصورٍ النَّمَريِّ يمدحُ الرشيدَ[4]:

وعَـــيْنٌ مُحِـــيطٌ بالبَرِيَّـــة طَرْفُهـــا ❊ سَـــوَاء عَلَيْـــهِ قربُهـــا وبعيـــدُها

وقالَ[5]:

سَلِي هلْ عَمَرْتُ القَفْرَ وهْوَ سَبَاسِبٌ ❊ وغَـادَرْتُ رَبْعِـي مِـنْ رِكَـابِي سَبَاسِـبَا

---

(١) شرح الصولي: ٥١٣/١، شرح التبريزي: ١٥٥/٢، ونقل أبي العلاء للبيت فقال: (هذا معنى لطيف وهو نوع من التورية، لأنه ذكر السيف، ثم ذكر الغرار، وهو يريد به النوم القليل، والسيف له غرار، فهذا المعنى الذي قصدهُ الطائي).
والبيات من الوافر.

(٢) سبق ٢٣٦/١.

(٣) لازمة للسياق.

(٤) سبق ٢٣٦/١.

(٥) شرح الصولي: ٢٣٩/١، شرح التبريزي: ١٤٠/١، والأبيات من الطويل، وفي «ص»: (وهي).

تَغَرَّبْتُ حَتَّىٰ لَمْ أَجِدْ ذِكْرَ مَشْرِقٍ ❖ وشَرَّقْتُ حَتَّىٰ قَدْ نَسِيتُ المَغَارِبَا[١]
خُطُوبٌ إِذَا لَاقَيْتُهُنَّ رَدَدْنَنِي ❖ جَرِيحًا كَأَنِّي قَدْ لَقِيتُ الكَتَائِبَا
وَمَنْ لَمْ يُسَلِّمْ لِلنَّوَائِبِ أَصْبَحَتْ ❖ خَلَائِقُهُ طُرًّا عَلَيْهِ نَوَائِبَا
وَقَدْ يَكْهَمُ السَّيْفُ المُسَمَّىٰ مَنِيَّةً ❖ وقَدْ يَرْجِعُ المَرْءُ المُظَفَّرُ خَائِبَا
فآفَةُ ذَا أَنْ لَا يُصادِفَ صَارِمًا ❖ وآفَةُ ذَا أَنْ لَا يُصَادِفَ ضَارِبَا

قولُه: «فآفةُ ذا أَنْ لا يُصَادِفَ صَارمًا» ليسَ بالجيِّدِ ؛ لأَنَّ الشجاعَ المظفرَ قد يقطعُ السيفَ الكَهَامُ في يدهِ ، أَلا ترىٰ إِلىٰ قولِ البحتريِّ[٢]:

وَمَا السَّيْفُ إِلا بَزُّ غَادٍ لِزِينَةٍ ❖ إِذَا لَمْ يَكُنْ أَمْضَىٰ مِنَ السَّيْفِ حَامِلُهُ

وكانَ الأَجودُ له أَن يقولَ: فآفةُ ذا أَنْ لا يصادفَ مَغْنَمًا ، أَو مَضْرَبًا. يعني المرءَ المظفَّرَ ، وآفةُ ذَا أَنْ لا يصادفَ ضَارِبًا ، يعني السَّيْفَ ، لأَنَّه قد جعلَ آفتَهُ في أَنْ صَارَ كَهَامًا أي أَنه لم يجدْ ضاربًا يضربُ بهِ ، ولم يذهبْ إِلىٰ نحوِ قولِ [٢/١٧٧/ب] الفرزدقِ[٣]:

كَذَاكَ سُيُوفُ الهِنْدِ تَنْبو ظُباتُها ❖ وتَقْطَعُ أَحْيَانًا مَنَاطَ القَلَائِدِ

لأَنَّ هذا معنىٰ آخر.

وقالَ أَبو تمامٍ[٤]:

(١) عند الصولي والتيريزي: (وغرّبْتُ)
(٢) ديوانه: ١٦١٢/٣ ، وفي «ص» ، «ر»: (ابن غاد). والبيت من الطويل.
(٣) ديوانه: إيليا الحاوي ، دار الكتاب اللبناني سنة ١٩٨٣ ، ٢٦٨/١ ، وفيه: (ويقطعن أحيانا نياط) ، والبيت من الطويل.
(٤) شرح الصولي: ١٦٠١/١ ، شرح التبريزي: ٢٩٦/٢ ، وفيهما (لم أمنع النوىٰ)، والبيت من الطويل.

وأُخْرَىٰ لَحَتْنِي حِينَ لَمْ أُتْبعِ الهَوَىٰ ❊ قِيَـادِي ولَـمْ يَـنْقُضْ زَمَـاعِيَ نَـاقِضُ
أَرَادتْ بِـأَنْ يَحْـوِي الرَّغِيبَـاتِ وَادِعٌ ❊ وهَلْ يَفْرِسُ اللَّيْثُ الطَّلَىٰ وهْوَ رَابِضُ

وهذا بيتُ البابِ كلِّه، فإنَّه لا يمرُّ فيه أَجودُ منه، ولا أَليقُ، ولا أَحسنُ.

وعلىٰ أَنَّه معنىٰ مأْخوذٌ من مَثَلٍ للأَسدِ: قيلَ له: لم أَنتَ غليظُ الرَّقبةِ؟ فقالَ: لا أَلزَمُ خِدْرِي وأَتَّكلُ في فريستي علىٰ غيري.

وقد سمعتُ فيهِ شعرًا أَيضًا منظومًا، ولكنَّ أَبا تمامٍ أَحسنَ العبارةَ عن المعنىٰ جدًّا.

وقالَ(١):

إِنَّ خَيْـرًا مِمَّـا رَأَيْـتُ مِـنَ الصَّفْـ ❊ ـحِ عَـنِ النَّائِبَـاتِ والإِغْمَـاضِ
غُرْبَـةٌ تَقْتَـدِي بغربـة قَـيْسِ بْـ ❊ ـنِ زُهَيرٍ والحارِثِ بنِ مُضَاضِ(٢)
غَرَضَـي نَكْبَتَـيِن مَـا فَـتَلَا رَأْ ❊ يَـا فَخَافـا عَلَيْـهِ نَكْـثَ انْتِقَاضِ(٣)
مَـنْ أَبَـنَّ الْبُيُـوتَ أَصْبَحَ فـي ثَـوْ ❊ بٍ مِنَ العَيْشِ لَيْسَ بالفَضْفَاضِ(٤)
والْفَتَـىٰ مَـنْ تَعَرَّفَتْـهُ اللَّيَـالِي ❊ والفَيَـافِي كالحَيَّـةِ النَّضْـنَاضِ(٥)

---

(١) شرح الصولي: ٦١٠/١، شرح التبريزي: ٣٠٩/٢، والأبيات من الخفيف. و(مما) ساقطة من «ص»، «ر».

(٢) قيس بن زهير العبسي، لما حارب ذبيان وانتقل في البلاد ثم ترهب في آخر عمره، ويقال إنه قتل. والحارث بن مضاض ممن ينسب في جرهم، وكان رئيسا في مكة أيام كان قومه بها. ويقول أبو تمام: خير من صبرك علىٰ النائبات غربةٌ كغربة هذين، وهي أشد غربة وأطولها.

(٣) أي: كل واحد منهما كان غرض نكبة، ومضيا علىٰ ما عز عليه.

(٤) أي: من لم يسافر في طلب الرزق لم يوسع عليه في رزقه.

(٥) تعرَّفته: أخذت لحمه، يثنون علىٰ الهزال إذا كان في طلب مجد وسمو.

صَـــلَتَانٌ أَعْـــدَاؤُهُ حَيْـــثُ حَلُّـــوا ❊ فـي حَـدِيثٍ مِـنْ ذِكْـرِهِ مُسْتَفَاضِ[1]

[١٧٨/٢/أ] كُـلَّ يَـوْمٍ لَـهُ بِصَـرْفِ اللَّيَـالِي ❊ فَتْكَـــةٌ مِثْـــلُ فَتْكَـــةِ البَـــرَّاضِ[2]

أَبَنَّ البُيُوتَ: أَقامَ بها ولَزِمَها، والفَضْفَاضُ: الواسعُ، والحيَّةُ النَّضْنَاضُ: هو الخفيفُ الكثيرُ الحركةِ.

وقد عيبَ عليهِ قولُه: «مُسْتَفَاض»، وقالوا: إنَّما هو مستفيضٌ، وقيلَ: إنَّه أَرادَ مستفاضٌ فيهِ، وليسَ ذلك بشيءٍ[3].

وقد قالَه البحتريُّ أيضًا في قصيدتِهِ التي على هذا الوزنِ[4]:

أَفْرَطَــتْ لَوْثَــةُ ابْــنِ أَيَّــوبَ والشَّــا ❊ ئِــعُ مِــنْ ذِكْــرِ أَفْنِــهِ المُسْــتَفَاضِ

وقد نطقَ بها غيرُ واحدٍ من المتأَخرينَ، وهي رديئةٌ.

وذَكَرَها الطِّرماحُ على غيرِ هذا الوجهِ، فقالَ يصفُ حمارَ وحشٍ[5]:

ويَظَـلُّ المَلِـيءُ يُـوفي عَلَـىٰ القَـرْ ❊ نِ عَـــذُوبًا كالحُرْضَـــةِ المُسْـــتَفَاضِ

---

(١) صلتان: ماض في أمره.

(٢) البرَّاض: هو البرَّاض بن قيس بن رافع الكناني، قتل عروة الرحَّال في غير حرب، فجر ذلك حرب الفجار التي كانت بين قيس وكنانة وشهدتها قريش ورئيسها حرب بن أمية ويقال إن النبي ﷺ حضرها وهو ابن عشرين.

(٣) قال أبو العلاء كما نقل التبريزي:
(وأهل اللغة يزعمون أنَّ الصواب أن يقال: حديث مستفيض، والقياس لا يمنع أن يقال مستفاض، وهو من فيض الماء، فإذا قيل: مستفيض فمعناه: منتشر، وإذا قيل مستفاض، فمعناه: منشور).

(٤) ديوانه: ١٢٠٩/٢، والبيت من الخفيف.

(٥) ديوانه ص١٧٤، تحقيق د. عزة حسن، دار الشرق العربي، بيروت سنة ١٩٩٤.

القرنُ: الجيلُ، عَذُوقًا: رافعًا رأسَهُ لا يذوقُ شيئًا[1].

شبَّهَهُ بالحُرْضَةِ، وهو رجلٌ يجيءُ به أَصحابُ الميسرِ، رَذْلٌ من الرجالِ ساقطٌ، ويشدُّون عينَه، ويدفعونَ إليه القِدَاحَ فيفيضُ بها لهم، فقيلَ لهُ: المُسْتَفَاضُ؛ لأَنَّه جعلَه مفيضًا، والإفاضةُ بالقداحِ هي أَنْ يدفعَهَا دفعةً واحدةً من الرَّبَابَةِ إلىٰ قُدَّامٍ، فيخرجُ من مَخْرَجِها الضَّيِّقِ قَدَحٌ واحدٌ، ويقومُ الرقيبُ فيأخذُهُ، وينظرُ: فإنْ كانَ لا حظَّ له ردَّه إلىٰ الرّبَابَةِ، و[قال][2] للحُرْضَة: أَعِدْ [١٧٨/٢/ب] الجلْجَلَةَ والإفاضةَ، وإنْ كانَ السَّهْمُ من ذواتِ الحظوظِ دَفَعَهُ إلىٰ صاحبِهِ وقال له: اعتزلْ، فإنْ كانَ الفَذُّ أَخذَ نصيبًا واحدًا وهو عُشْرُ الجزورِ، وإنْ كانَ غيرَه أَخذَ علىٰ قدرِ أَنصبائِهِ.

ولقيسِ بنِ زهيرٍ، والحارثِ بنِ مُضَاضٍ [في] اغترابِهِمَا حديثٌ وكذلك لِلْبَرَّاضِ في فتَكَتِه، وأَنا أَذكرُ جميعَ ذلك بعدَ الفراغِ من [هذا][3] البابِ بإذن اللهِ.

وقالَ أَبو تمامٍ[4]:

أَعَاذِلَتَـا مَـا أَخْشَـنَ اللَّيْـلَ مَرْكَبًـا ❊ وأَخْشَـنُ مِنْـهُ فـي المُلِمَّـاتِ رَاكِبُـهْ
دَعِينِـي وأَهْـوَالَ الزَّمَـانَ أُعَانِهـا ❊ فَأَهْوَالُـهُ العُظْمَـىٰ تَلِيهَـا رَغَائِبُـهْ[5]

---

(١) [هكذا في طبعة محارب والسيد صقر، ففي ديوان الطرماح «القرن»: الرابية، ولعل الآمدي ذكر القرن: «الجبل» وليس «الجيل»، وكذا «عذوبًا»: وهو الرافع رأسه لا يذوق شيئًا. أمَّا «عذوقًا» ربما خطأ مطبعي أو تحريف من الناسخ، والله أعلم]. الشرقاوي

(٢) لازمة للسياق.

(٣) «ص»: (بعد الفراغ باب من الباب).

(٤) شرح الصولي: ٢٩٠/١، شرح التبريزي: ٢١٨/١، والأبيات من الطويل، وعند التبريزي: (أعاذلتي).

(٥) الصولي والتبريزي: (فديني)، والصولي: (أهوال الزمان أقاسها)، التبريزي: (أفانها).

أَلَـم تَعْلَمِـي أَنَّ الزِّمَـاعَ عَلَـىٰ السُّـرَىٰ ❊ أَخُو النُّجْحِ عِنْدَ النَّائِبَاتِ وصَاحِبُهْ ؟![1]
دَعِينـي عَلَـىٰ أَخْلَاقِـيَ الصُّـمِّ لِلَّتِـي ❊ هِـيَ الـوَفْرُ أَوْ سِـربٌ تُـرِنُّ نَوَادِبُـهْ[2]
فَــإِنَّ الحُسَــامَ الهُنْــدَوانِيَّ إِنَّمَــا ❊ خُشُــونَتُهُ مــا لَــمْ تُفَلَّــلْ مَضَــارِبُهْ
وقَلْقَـلَ نَـأْيٌ مِـنْ خُرَاسَـان جَأْشَـهَا ❊ فَقُلْتُ اطْمَئِنِّي أَنْضرُ الرَّوْضُ عَازِبُهْ
ورَكْـبٍ كَـأَطْرافِ الأَسِـنَّةِ عَرّسُـوا ❊ عَلَـىٰ مِثْلِهـا واللَّيْـلُ تَسْـطُو غَيَاهِبُـهْ
لأِمْــرِ عَلَــيْهِمْ أَنْ تَــتِمَّ صُــدُورُهُ ❊ ولَــيْسَ عَلَــيْهِمْ أَنْ تَــتِمَّ عَوَاقِبُــهْ

وحَسْبُك بهذا كلِّه جودةً وحسنًا.

وهذا البيتُ الأَخيرُ إنَّما أخذَ معناهُ من قولِ الشَّاعرِ، وأنشدَه في الحماسةِ[3]: [١٧٩/٢/أ]

فكــانَ عَلَــىٰ الفَتَــىٰ الإِقــدامُ فيهــا ❊ ولَــيْسَ عَليــهِ مَــا جَنَــت المَنُــونُ

وقالَ [أبو تمامٍ] وسبيلُه أنْ يقدَّمَ في أولِّ البابِ؛ لأنَّه من إحسانِهِ المشهورِ[4]:

ولكِنَّنِـي لَـمْ أَحْـوِ وَفْـرًا مُجمَّعًـا ❊ فَفُــزْتُ بِــهِ إِلا بِشَــمْلٍ مُبَــدَّدِ
ولَـمْ تُعْطِنِـي الأَيَّـامُ نَوْمًـا مُسَـكَّنًا ❊ أَلَــذُّ بِــهِ إِلَّا بنَــوْمٍ مُشَــرَّدِ
وطُولُ مَقَامِ المرءِ في الحيِّ مُخْلِقٌ ❊ لِدِيبَاجَتَيْــهِ فَــاغْتَرِبْ تَتَجَــدَّدِ
فـإِنِّي رَأَيـتُ الشـمسَ زِيْـدَتْ مَلَاحَـةً ❊ إِلىٰ النَّاسِ أَنْ لَيْسَت عَلَيهِمْ بِسَرْمَدِ

---

(١) قال التبريزي: (الزماع، المضاء في الأمر، يقول: ألم تعلمي أن من باشر الأسفار وترك الخفض، وابتذل نفسه، أنجح ونال الطَّلِبةَ؟).

(٢) «ص»، «ر»: (أخلاقي الغمر).

(٣) سبق في ١٨٣/١. ولم أجده في الحماسة.

(٤) شرح الصولي: ٤٣٠/١، شرح التبريزي: ٢٣/٢، والأبيات من الطويل.

قولُه: «لَمْ أَحْوِ وَفْرًا مُجمَّعًا... إلا بشملٍ مبدَّدِ» يريدُ أَنَّه لم يَحْوِ ذلك إلا في الغُرْبَةِ مع مفارقةِ وطنِهِ وأَحبابِه، وأَنَّه لم ينمْ نومًا ساكنًا إلا بعدَ نومٍ مشرَّد في الأَسفارِ، وهذا مبنيٌّ علىٰ قولِ عُرْوَةَ بن الوَرْدِ[1]:

ولـم تـدر أَنَّـي لِلمقـامِ أُطـوِّفُ

وقولُه: «فإِنِّي رأَيتَ الشمسَ»... مَسْرُوقٌ من قولِ الكُمَيْتِ[2]:

ولَـوْ لَـمْ تَغِـبْ شَـمْسُ النَّهـارِ لَمُلَّـتِ

وقالَ أبو تمامٍ[3]:

هُـنَّ البَجَـارِيُّ [أَ]يـا بُجَيْـرُ ✤ أَهْـدَىٰ لَهَـا الأَبْـؤُسَ الغُـوَيْرُ
يَـوْمُ مَقَـامٍ عَلَـىٰ وفَـازٍ ✤ وسـائِرَ الـدَّهْرِ فيـه سَـيْرُ
فـي ثُبَـةٍ إِن سِـرْنَ جـنٌّ ✤ أَو يَمَّمُـوا شُـقَّةً فَطَيْـرُ[4]
[٢/١٧٩/ب] قَدْ ضُجَّ مِنْ فِعْلِهِم جَدِيل ✤ بِنَسْـلِهِ واشْـتَكَىٰ غُرَيْـرُ
هَـذَا عُبَيْـدٌ وَذَا زَيَـادٌ ✤ وذَا لبيـدٌ وَذَا زُهَيْـرُ[5]

---

(١) ديوان عروة بن الورد ص٨٦، دراسة أسماء أبو بكر، دار الكتب العلمية، بيروت سنة ١٩٨٨، وصدره:

تقـول سليمـىٰ: لو أقمـت لسرنـا

وهو من الطويل.

(٢) سبق ١/٢٥١.

(٣) سبق في ١/١٨٧، والأبيات من مخلع البسيط، وانظر تخريج أبيات القصيدة في: (قصائد وأبيات لأبي تمام لم ترد في نسخ ديوانه المطبوع) للمحقق ص٣٣، جامعة الكويت، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الحولية ٣٣، ديسمبر سنة ٢٠١٢.

(٤) في ديوانه المخطوط: (في ندبة إن سروا تجنَّ).

(٥) في ديوانه المخطوط: (وذا لبيد وذا زياد).

يَــا لَــك مِــنْ هِمَّــةٍ وعَــزْمٍ ❖ لـو أَنَّـه فـي عَصَـاكَ سَـيْرُ[١]

رُبَّ قَلَيــــلٍ جــــدًّا كَثِيـــرٌ ❖ كَــمْ مَطَــرٍ بَــدْؤُهُ مُطَيْــرُ[٢]

صَــبْرًا عَلَــىٰ النَّائِبَــاتِ صَـبرًا ❖ مَــا صَــنَعَ اللهُ فهــو خَيْــرُ

فهذه معانٍ مستقيمةٌ صحيحةٌ، ونسجٌ جيِّدٌ، ولفظٌ حسنٌ إلا قولَه: «هُنَّ البجاريُّ يا بجيرُ»، فإنَّه لفظٌ متعسفٌ مستكرهٌ، والبجاريُّ: جمعَ بُجْرِيَّة وهو ما يمرُّ بالإنسانِ من البُجَرِ[٣] والمصائبِ، من قولِه ﷺ: «أشكو إلىٰ اللهِ عُجَرِي وبُجَرِي[٤]» فالبُجَرُ: جمعُ بُجْرَةٍ.

ثمَّ قالَ: «أَهْدَىٰ لها الأَبْؤُس الغُوَيْرُ»، وهذا هو المثلُ: «عَسىٰ الغُوَيْر أَبْؤُسا»[٥].

يقولُ: جاءَها البُؤس من حيث لم تعلمْ أَنَّ هناك بؤسًا[٦]، والبَجَارِيُّ هي البؤس أَنفسها، فكانَ ينبغي أنْ يقولَ: أَهدىٰ لي الأَبؤُس الغوير، لا أَهدىٰ لها.

وإِنْ كانَ أَرادَ أهدىٰ لها يعني نفسه، ولم يجرِ لها ذكرٌ فهو رديءٌ[٧].

---

(١) في ديوانه المخطوط: (همه وحزم).

(٢) ديوانه المخطوط: (رب قليل جلا كثيرا).

(٣) «ص»، «ر»: (النحرن) تحريف.

(٤) هذا الأثر من قول علي بن أبي طالب ﷺ، ورد في غريب الحديث للخطابي ٢/١٥٥: (وقال أبو سليمان في حديث علي: أنه وقف علىٰ طلحة يوم الجمل وهو صريخ، فقال: أعزز عليَّ أبا محمد أن أراك مجدلًا تحت نجوم السماء، إلىٰ الله أشتكي عُجَرِي وبُجَرِي).

(٥) مجمع الأمثال للميداني ٢/١٧، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد.

(٦) «ص»، «ر»: (بؤس).

(٧) نقل ابن المستوفي تعليقًا للآمدي قال الآمدي:

(البجاري: «الشدائد والمحن التي يبتلي الإنسان بها، واحدتها: بُجَرِيَّةٌ وبجاري، مثل أثفية=

وقالَ البحتريُّ[1]:

وأَحَبُّ آفَاقِ البِلَادِ إلى الفَتَى ❁ أَرْضٌ ينالُ بها كَرِيمَ المَطْلَبِ

كَمْ مَشْرِقِيّ قَدْ نَقَلْتُ نَوالَهُ ❁ فجعلْتُهُ لِي عُدَّةً في المَغْرِبِ

وقالَ[2]:

أُمْسِي زَمِيلًا للظَّلَامِ وأَغْتَدِي ❁ رِدْفًا عَلَى كَفَلِ الصَّبَاحِ الأَشْهَبِ

فَأَكُونُ طَوْرًا مَشْرِقًا لِلْمَشْرِقِ الْـ ❁ أَقْصَى وطَوْرًا مَغْرِبًا لِلْمَغْرِبِ[3]

وإِذَا الزَّمَانُ كَسَاكَ حُلَّةَ مُعْدِمٍ ❁ فالْبَسْ لَهَا حُلَلَ النَّوَى وتَغَرَّبِ

ولَقَدْ أَبِيتُ مَعَ الكَوَاكِبِ رَاكِبًا ❁ أَعْجَازَهَا بِعَزِيمَةٍ كالكَوْكَبِ

= وأثافي، ويقال بُجْرَة وبُجَرْ ومثل عَجْرة وعُجَر، كما قال علي بن أبي طالب ﷺ: «اللهم إني أشكو إليك عُجَري وبُجَري» أي: محنتي ومصائبي.

وقوله: «أهدى لها الأبؤس الغوير» من قولهم في المثل: «عسى الغوير أبؤسًا»، أي عسى الغوير أن تلاقي فيه أيضًا ما نكرهه، فقول أبي تمام (هن البجاري) يعني: الشدائد، وقوله: «أهدى لها الأبؤس الغوير» كلام رديء ووضع منه للمثل في غير موضعه، لأنه جعل الغوير مُهديًا الأبؤس إلى البجاري، وهي في نفسها أبؤس، فإن حملت قوله: «أهدى لها» على أنه أراد نفسه، فتكون الكناية راجعة إلى النفس وإن لم تذكر جاز، وهو على جوازه رديء، أي جاء نفسي البؤس من حيث قدرت خلافه.

وقلت في اللسان: الفوز والفوزة والجمع أوفاز: العجلة، العرب تقول: فلان على أوفاز، أي: على عجلة، وفيه وفاز، وفي التاج: الوفاز بالكسر في جمع وفز، كجبل وجبال، وفي أساس البلاغة للزمخشري: وفز: أنا مستوفز، وأنا على وفاز، وعلى أوفاز، قال يخاطب الموت:

وهذا الخلق منك على وفاز ❁ وأرجلهم جميعًا في الركاب

(١) ديوانه: ١/٢٨٣، والبيتان من الكامل، وفي «ص»: (أرض بها كريم..) والتصحيح من «ر».

(٢) ديوانه: ١/٧٩، والأبيات من الكامل.

(٣) سبق في ٢/٢١.

والـلَّيْـلُ فـي لَـوْنِ الغُـرَاب كَأَنَّـهُ ❊ هُـوَ فـي حُلُوكَتِـهِ وإِنْ لَـمْ يَنْعَـبِ
حتَّـىٰ تَبَـدَّىٰ الصُّـبْحُ مِـنْ جَنَبَاتِـهِ ❊ كالماءِ يَلْمَعُ من خِلَالِ الطُّحْلُبِ[١]
والعَيْشُ تَنْصُلُ مِنْ دُجَاهُ كما انْجَلَىٰ ❊ صِبْغُ الشَّبَابِ عـن القَـذَالِ الأَشْـيَبِ

وهذا من إِحسانِ أَبي عبادةَ الذي يتقدَّم علىٰ [كلِّ][٢] إِحسانٍ في معناه.

وما قيلَ في وضوحِ الصُّبحِ أَجودَ ولا أَلطفَ معنىٰ، ولا أَبرعَ من قولِه: «كالماءِ يلمعُ من خِلالِ الطحلبِ».

وقوله: «فأَكُونُ طَوْرًا مَشْرِقًا للمشرقِ الأَقْصَىٰ» ـ أَجودُ من قولِ أَبي تمامٍ:

«تغرَّبتُ حتَّىٰ لم أَجدْ ذكرَ مشرقٍ»؛ لأَنَّه يجوزُ أَن لا يكونَ سمعَ[٣] أَهلَ بلدٍ يذكرونَ المشرقَ، وليسوا جُهَّالًا بهِ.

وقولُه: «حتىٰ نسيتُ المَغَارِبَا»، يجوزُ أَنْ ينساها فلا يذكرَها، وأَنْ ينسىٰ أَباهُ فلا يذكرَهُ، وليسَ ماله بردئٍ[٤]، لأَنَّ غرضَهُ فيهِ معروفٌ، ولكنَّ قولَ البحتريِّ أَجودُ.

وقالَ البحتريُّ[٥]:

أُشَـرِّقُ أَمْ أُغَـرِّبُ يَـا سَـعِيدُ ❊ وأَنْقُـصُ مِـنْ زَمَـاعِي أَمْ أَزِيـدُ
[١٨٠/٢/ب] عَدَتْنِي عَنْ نَصِيبِينَ العَوَادِي ❊ فَحَظِّـي أَبْلَـهٌ فيهـا بَلِيـدُ[٦]

---

(١) ديوانه: (حتىٰ تجلىٰ الصبح)، «ص»، «ر»: (حلال لطحلب).

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من «ص»، «ر».

(٣) «ص»، «ر»: (يسمع).

(٤) «ص»: (وليس ماله بروي) والتصحيح من «ر».

(٥) ديوانه: ٥٨١/١، والأبيات من الوافر.

(٦) ديوانه: (فنجحي).

أَرَىٰ الحرْمَانَ أَبْعَدُهُ قَرِيبٌ ❖ بها والنُّجْحَ أَقْرَبُهُ بَعِيدُ
تَقَاذَفُ بِي بِلَادٌ عَنْ بِلَاد ❖ كَأَنِّي بَيْنَهَا خَبرٌ شَرُودُ[1]

قولُه: «خبرٌ شَرُود»، معنىٰ غريبٌ طريفٌ.

وقالَ[2]:

وإنَّ اغْتِرَابَ المَرْءِ في غَيْرِ بُغْيَةٍ ❖ يُطَالِبُها مِنْ حَيْفِ دَهْرٍ يُطَالِبُهْ
فَلَيْسَ بِمَعْذُورٍ إِذَا رُدَّ سِرْبُهُ ❖ عَلَيْهِ بِأَنْ تَعْيَا عَلَيْهِ مَذَاهِبُهْ[3]
ويُعْطِيه مَرْجُوَّ العَوَاقِبِ مُسْرِعًا ❖ إِليهِ ركوبُ الأَمْرِ تُخْشَىٰ عَوَاقِبُهْ
أُرجِّي وَمَا نَفْعُ الرَّجَاءِ إذا الْتَقَتْ ❖ مَنَاحِسُ أَمْرٍ مُجْحِفٍ ومَعَاطِبُهْ
ومِمَّا يُعَنِّي النَّفْسَ كُلَّ عَنَائِهَا ❖ تَوَقُّعُهَا الصُّنْعَ البَعيدَ تَقَارُبُهْ[4]

وهذا البيتُ يصلحُ أنْ يكونَ في بابِ الصبرِ والقناعةِ، ومعناه من أَتقنِ المعاني وأَحسنِها.

وقالَ[5]:

عَسَت الإِضَافَةُ أَنْ تَنَالَ بِهَا ❖ سَعَةً ونَكَّلَ ضَارِبًا شِبَعُهْ
والفَشَلُ تَسْلُبُهُ عَزِيمَتَهُ ❖ أَدْنَىٰ وُجُودِ كِفَايَةٍ تَسَعُهْ
لَا يَلْبَثُ المَمْنُوعُ تَطْلُبُهُ ❖ حتَّىٰ يَثُوبَ إِلَيْكَ مُمْتَنِعُهْ

---

(١) ديوانه: (عن بلادي).
(٢) ديوانه: ٢١٩/١، والأبيات من الطويل.
(٣) ديوانه: (سربه إليه).
(٤) ديوانه: (الصنح البطيء).
(٥) ديوانه: ١٢٤٨/٢، والأبيات من السريع، وفيه: (ينال بهاجدة).

والنَّيْـــلُ دَيْـــنٌ تَسْـــتَرِقُّ بِـــهِ ❁ فارْتَـدْ لِرِقِّـكَ عِنْـدَ مَـنْ تَضَـعُهْ[1]

[١٨١/٢/أ] قولُه: «نَكَّل ضَارِبًا شِبَعُه»، أَي أَقْعَدَهُ حتى نَكلَ عن المطلب.

وقالَ[2]:

أَسِيرُ إِذْ كُنْتُ في طولِ المَقَامِ بِهَا ❁ أَكْدِي لَعَلِّي أُجْدِي عِنْدَ مُرْتَحِلِي

ورُبَّمَـا حُـرِمَ الغَـازُونَ غُـنْمَهُمُ ❁ في الْغَزْوِ ثُمَّ أَصَابُوا الغُنْمَ في قَفَلِ[3]

شَـرِّقْ وغَـرِّبْ فَعَهْـدُ العَاهِـدِينَ لِمَـا ❁ طالَبْـتَ في ذَمَـلَانِ الأَيْنُقِ الذُّمُلِ[4]

ولا تَقُـلْ أُمَـمٌ شَـتَّى ولَا نَسَـقٌ ❁ فالأَرْضُ مِنْ تُرْبَةٍ والنَّاس مِنْ رَجُلِ[5]

قولُه: «ولا تَقُلْ أُمَمٌ شَتَّى ولا نَسَقٌ» أَي لا يَصُدنَّك عن السفرِ أَن تقولَ: كيفَ أُلاقي أُممًا متفرقين مُتَباعِدِين، غيرَ مُقْتَرِنين، ولا مُتَّسِقِين، وأَترك أَهلي وبلدي، فإِنَّ تربةَ الأَرضِ واحدةٌ، والناسُ أَبناءُ رجلٍ واحدٍ.

وصدرُ هذا البيتِ رديءٌ، وعجزُهُ في غايةِ الحُسْنِ والبراعَةِ.

ولولا أَنَّ محاسنَ أَبي تمامٍ في هذا البابِ هي أَبياتُهُ الأَربعةُ والجميعُ من معانِيها مَسْروقةٌ لفضَّلْتُه على البحتريِّ إِلا في بيتِ الطحلبِ فإِنَّه معنى ما علمتُ أَحدًا سَبَقَ إِليهِ، ولا قيلَ في وضوحِ الصُّبحِ أَبرعُ منه، فأَجعلُهما متكافئين[6].

---

(١) ديوانه: (يُسْرقُ)، (فاطلب لرقك).

(٢) ديوانه: ١٨٧٤/٣، والأبيات من البسيط.

(٣) ديوانه: (بالعقل).

(٤) ديوانه: (بما طلبت).

(٥) ديوانه: (ولا شقق).

(٦) لم يكن الآمدي منصفًا في حكمه هذا، وأبيات أبي تمام في هذا المعنى أجود كثيرًا وأفضل وأحسن من أبيات البحتري.

وممّا ذكرا فيه سُرى الإبلِ[1]

قالَ أبو تمامٍ[2]:

لَا تُـذِيلَنْ صَـغِيرَ هَمِّـكَ وانظُـرْ ❊ كَمْ بـذي الأَثْلِ دَوْحَةً مِـنْ قَضِـيبِ
[٢/١٨١/ب] رُبَّ خَفْضٍ تَحْتَ السُّرَىٰ وغَنَاءٍ ❊ مِـنْ عَنَـاءٍ ونَضْـرَةٍ مِـنْ شُـحُوبِ
فاسْـأَلِ العِـيسَ مَـا لَـدَيْها وأَلِّـفْ ❊ بَـيْنَ أَشْـبَاحِهَا وبَـيْنَ السُّـهوبِ[3]

وقالَ[4]:

فَتَـىٰ النَّكَبَـاتَ مَـنْ يَـأوي إِذَا مَـا ❊ قَطَفْـنَ بِـهِ إِلَـىٰ خُلُـقٍ وَسَـاعِ
يُثِيـرُ عَجَاجَـةً فـي كـلِّ ثَغْـرٍ ❊ يَهِـيمُ بِهَـا عَـدِيُّ بـنُ الرِّقَـاعِ
أَبَـنَّ مَـعَ السِّـبَاعِ المـاءَ [حَتَّـىٰ] ❊ لَخَالَتْـهُ السِّـبَاعُ مِـنَ السِّـباعِ[5]
فَلَـبِّ الحـزْمَ إِنْ حَاوَلْـتَ يومًـا ❊ بـأَنْ تَسْـطِيعَ غَيْـرَ المُسْـتَطَاعِ[6]

---

(١) «ص»: (وما ذكرا)، والتصحيح من «ر».

(٢) شرح الصولي: ٢٢٦/١، شرح التبريزي: ١٢٠/١، وعند الصولي: (ضغْنَ همك)، والأبيات من الخفيف.

(٣) عند الصولي: (فَسَل العيش)، وعنده وعند التبريزي: (بين أشخاصها).

(٤) شرح الصولي: ٢٢/٢، شرح التبريزي: ٣٣٦/٢، والأبيات من الوافر.
وقطفن به، من قولهم: دابة قطوف، أي ضيقة الخطا، أراد إذا ضاقت عليه الأمور، اتسع صدره.
و(فتىٰ) مصححة في الهامش.

(٥) عند الصولي: (الفقر حتىٰ)، و(حتىٰ) ساقطة من «ص»، «ر».

(٦) «ص»: (فليت الحزم)، وعند الصولي: (فليس العزم).
وقد نقل ابن المستوفي تعليقًا للآمدي علىٰ هذا البيت لم يرد في الموازنة، وقد تكون من كتابه=

فَلَــمْ تَرْحَــلْ كَنَاجِيَــةِ المَهَــارِي ❖ ولَــمْ تُرْكِــبْ هُمُومَــكَ كالزَّمَــاعِ

قولُه: «قَطَفْنَ» أَي أَبطأَ في الانصرافِ والانكشافِ عنه، وتثاقلنَ في المضيِّ، مأْخوذٌ من قولِهم: دابَّةٌ قَطُوفٌ، وهو الذي يقصّر خطوَهُ فيبطئ ذهابه.

يقولُ: فإِنَّه مع هذه الحالِ يأْوي إِلىٰ خلقٍ واسعٍ، وصبرٍ علىٰ المحَنِ حتىٰ تنكشفَ.

وقولُه: «يُثِيرُ عَجَاجَةً في كلِّ ثَغْرٍ» أَي يطأُ كلَّ بلدةٍ مَخُوفَةٍ، وتثيرُ مطيتُه غبارَ كلِّ بقعةٍ، ونسبَ العجاجةَ إِلىٰ عَدِيِّ بنِ الرِّقَاعِ لأَنَّ عَدِيًّا وصفَ العَيْرَ والأَتَانَ ومَا يُثِيرانِه من الغُبَار في السَّهْلِ من الأَرضِ، فإِذا صارا إِلىٰ الحَزْنِ لم يوجدْ لها فيهِ نقعٌ، فشبَّهه بملاءةٍ ينشرانِهَا مرةً، ويطويانِهَا أخرىٰ فقالَ(1): [١٨٢/٢/أ]

يَتَعَــاوَرَانِ مِــنَ الغُبَــارِ مُــلَاءةً ❖ سَــوْدَاءَ دَاجِيــةً هُمَــا نَسَــجَاهَا

تُطْــوَىٰ إِذا عَلَــوَا مكانًــا نَاشِــرًا ❖ وإِذَا السَّــنَابِكَ أَسْــهَلَتْ نَشَــراهَا(2)

= المفقود: «تفسير معاني أبيات أبي تمام»، قال:

(قال الآمدي: قوله: فليس الحزم، أي: قل له: لبيك أي اعزم علىٰ الرجل في طلب الرزق، وأدر إليه، أي ارحل إذا حاولت أن تستطيع ما ليس بمستطاع في مقامك، أي: إذا حاولت ما ليس بمقدور عليه وأنت مقيم فارحل والتمس، ويروىٰ: فلبِّ الحزم، أي احزم أمرك في الرجل، وقوله قبل هذا:

بمهــدي بــن أصــرم عــاد عــودي ❖ إلــىٰ إيراقــه وامتـــدَّ بـــاعي

فدل علىٰ أنه إنما مدحه وقصده لعدمه وشدة حاجته).

النظام جـ٢ لوحة ١٤١.

(١) ديوان عدي بن الرقاع العمليّ ص١٠٥، تحقيق د. نوري القيسي، وحاتم الضامن، المجمع العلمي العراقي، سنة ١٩٨٧، وفيه:

(ملامة بيضاء محدثةٍ)

(٢) ديوانه: (مكانًا حاسيًا).

وهذا من تشبيهاتِ العربِ الموصوفةِ، فجعلَ أَبو تمامٍ عديًّا ممَّن هامَ بهذهِ العجاجةِ، أتىٰ بوصفِها إعجابًا بها، وأَنَّ ناقته أَيضًا تُثِير عجاجةً في كلِّ ناحيةٍ كهذه العجاجةِ.

وهذا تمحُّلٌ منهُ لمعنىٰ غيرِ لائقٍ بما هو بسبيلِهِ من ذِكْرِ سَيْرِه؛ لأَنَّه إِنْ كانَ أَرادَ أَنَّه أَيضًا يثير النَّقْعَ في السهلِ، ولا يثيرُهُ في الحَزْن فكلُّ سارٍ فيهما هذه حَالُه، فما وجهُ ذِكْرِهِ عجاجةَ عديٍّ، وإِنما حَسُنَ من عَديٍّ، وصحَّ التشبيهُ لأَنَّ الحِمَارَ إِذا طلبَ الأَتانَ فليس يَجْرِيَانِ علىٰ استقامةٍ بل تراهُما بَيْنَاهُمَا في الحَزْنِ صَارَا إِلىٰ السَّهْلِ، ثم يعودانِ إِلىٰ الحَزْنِ، فتراهُمَا مُسْهِلَيْنِ ومُحْزِنَيْنِ لجِوَلَانهِمَا، فترىٰ عجاجَتَهُمَا تَثُورُ حِينًا، وتَلْبَدُ حينًا، فصحَّ التشبيهُ وحَسُنَ، والمسافرُ إِنَّما يَمُرُّ علىٰ سننٍ واحدٍ فليسَ يكادُ يخرج من سهلٍ إِلىٰ حزنٍ؛ ومن حزنٍ إِلىٰ سهلٍ في وقتٍ واحدٍ تدركُهُ منهُ العيونُ فيكون الغبار مشبهًا لملاءةٍ تُنْشَرُ وتُطوىٰ، وإِنَّما يقعُ ذلك في أَوقاتٍ متراخيةٍ يسقطُ مَعَها هذا المعنىٰ.

وقالَ أَبو تمامٍ[1]: [١٨٢/٢/ب]

وَرَكْــبٍ يُســاقُونَ الرِّكــابَ زُجَاجَــةً ❊ مِنَ السَّيْرِ لَمْ تقْصِدْ لَهَا كَفُّ قَاطِبِ[2]

فَقَــدْ أَكَلَــتْ مِنْهَــا الغَــوَارِبُ بالسُّــرىٰ ❊ وصَارَتْ لَهَا أَشْبَاحُهُمْ كالغَوَارِبِ[3]

يَــرَىٰ بالكَعَــابِ الــرَّودِ طلْعَــةَ ثَــائِرٍ ❊ وبــالعِرْمِسِ الوَجْنَــاءِ غُــرَّةَ آيِــبِ[4]

---

(١) شرح الصولي: ٢٨٧/١، شرح التبريزي: ٢٠١/١، والأبيات من الطويل.

(٢) أي يتغوث الركائب بالستر، وجعلهم كأنهم يسقونها خمرًا صرفًا

(٣) قال التبريزي: أتعبوها حتىٰ ذابت أسنمتها، وصاروا لها كالأسنمة فوقها.

(٤) أي رأىٰ المرأة الحسناء كأنها عدو جاء ليثأر منه، والناقة الصلبة من حبه لها طلعة قادم له يحبه.

كـأَنَّ بِـهِ ضِـغْنًا عَلَـىٰ كُـلِّ جَانِـبٍ ❁ مِنَ الأَرْضِ أَوْ شَوْقًا إِلىٰ كُلِّ جَانِبِ

قولُه: «لم تقصد لها كفُّ قاطبٍ» أَي سَيْرًا لا يلينُ ولا يَفْتُر، كما تُقْطَبُ الرَّاحُ أَن تُمْزَج وتُكْسَر بالماءِ وتلين.

وقالَ[1]:

فَاطْلُـبْ هُـدُوءًا بِالتَّقَلْـلِ واسـتَثِرْ ❁ بـالعِيسِ مِـنْ تَحْـتِ السُّـهَادِ هُجُـودَا

مِـنْ كُـلِّ مُعْطِيَـةٍ عَلَـىٰ عَلَـلِ السُّـرَىٰ ❁ وَخْـدًا يَبِيـتُ النَّـومُ مِنْـهُ شَـرِيدَا[2]

يَخْـدِي بِمُنْصَـلِتٍ يَظَـلُّ إِذَا وَنَـىٰ ❁ ضُـرَبَاؤُهُ حِلْسًـا لَهَـا وقُتُـودَا[3]

جَعَـل الـدُّجَىٰ جَمَـلًا ووَدَّعَ رَاضِـيًا ❁ بـالهُونِ يَتَّخِـذُ القُعُـودَ قَعُـودَا[4]

وقالَ[5]:

رَأَيْـتَ ضَـيْفَ الهَـمِّ لا يَرْضَـىٰ قِرًىٰ ❁ إِلَّا مُدَاخَلَـةَ القِفَـارِ دِلَاثَـا[6]

شَـجْعَاءَ جِرَّتُهـا الـذَّمِيلُ تَلُوكُـهُ ❁ أُصُـلًا إِذَا رَاحَ المَطِـيُّ غِرَاثَـا[7]

أُجُـدًا إِذَا دَنَـت المَهَـارِي أَرْقَلَـتْ ❁ رَقَـلا كَتَحْرِيـقِ الغضـا حَثْحَاثَـا[8]

---

(١) شرح الصولي: ١/٤٠٤، شرح التبريزي: ١/٤١٠، والأبيات من الكامل، أي اطلب بالحركة في الأسفار سكونًا ودعة فيما بعد، وبالأرق نوما.

(٢) (علل السرىٰ) أي: إسراء بعد إسراء، أخذه من علل الشرب.

(٣) يقول: تسير برجل ماض في الأمر (منصلت)، ألف ظهور العيش فكأنه قتود لها، وضرباؤه: نظراؤه.

(٤) قال المرزوقي: أي امتطىٰ الليل، وخلف من يرضىٰ بالهوان، ويلزم بيته واتخذ من القتود (بضم القاف)، (قعودًا) بفتح القاف أي مركبًا.

(٥) شرح الصولي: ١/٣٥٠، شرح التبريزي: ١/٣١٤، والأبيات من الكامل.

(٦) هذا مثل عند العرب، يجعلون الهم ضيفًا، ويستعينون عليه بمواصلة السفر علىٰ ناقة قوية.

(٧) الشجعاء: الطويلة، والذميل: السير السريع.

(٨) أُجُد: قوية موثقة، إذا ضعفت المهارىٰ، أسرعت.

مُدَاخَلَةُ القَفَار: مُوَثَّقَةُ الخلْق.

والدِّلاثُ: السريعةُ، والمُنْدَلِثُ: المسرعُ، يقالُ: انْدَلَثَ انْدِلَاثًا.

و«شَجْعَاءُ جِرَّتُهَا الذَّميلُ»(١) مثل، أَي إِذا اجْتَرَّتْ [١٨٣/٢/أ] الإِبلُ العلفَ من بطونِهَا ولَاكَتْهُ فليسَ لهذه الناقةِ جِرَّةٌ [إلا الذَّميل](٢) وهو ضربٌ من السَّيْرِ كما قال في وصفِ الخيلِ(٣):

تَعْلِيقُهـــا الإِسْـــرَاجُ والإِلْجـــامُ

جعلَ ذلكَ مكانَ الشَّعيرِ في المَخَالِي إِذا عُلِّقَتْ عليها.

يقولُ: إِذا وَنَت الرِّكَابُ وغَرِثتْ، أَي احتاجتْ إِلىٰ العَلَف، فإِنَّ هذه الناقةَ لاقتدارِها علىٰ السَّير وصَبْرِها علىٰ(٤) الرَّمَلِ تَلُوكُ الذَّمِيلَ كأَنَّه طَعَامُها.

وهذه القطعُ كلُّها جيادٌ صحيحةُ المعاني والألفاظِ.

وقالَ(٥):

سَـأَخْرِقُ الخَـرْقَ يـابْنِ خَرْقَـاءَ كَالْـ ❊ ـهَيْـقِ إِذَا مـا اسْـتجمّ مِـنْ نَجَـدِهْ(٦)

---

(١) «ص»، «ر»: (الشجعاء جرتها...).

(٢) ساقطة من «ص»، «ر».

(٣) شرح الصولي: ٣٧٧/٢، شرح التبريزي: ١٥٥/٣، وصدر البيت:
بسواهم لُحُقِ الأَياطلِ شُزَّبِ
والبيت من الكامل.

(٤) «ص»، «ر»: (عن الرمل).

(٥) شرح الصولي: ٤١٢/١، شرح التبريزي: ٤٢٩/١، والأبيات من المنسرح.

(٦) قال التبريزي: الخرق: ما اتسع من الأرض، ابن خرقاء: يريد به جملا من ولد ناقة خرقاء تلعب بيديها عن سرعتها في السير. والهيق: ذكر النعام، استحم من نجده: النَّجَد: العرق: أي كأنه استحم من كثرة عرقه.

مُقَابَلٍ فـي الجَـديلِ صُـلْبِ القَـرَا ❊ لُوْحِـكَ مِـنْ عَجْبِـهِ إلـىٰ كَتَـدِه

تَامِكِـــــهِ نَهْـــــدِهِ مُدَاخَلِـــــهِ ❊ مَلْمُومِـــــهِ مُحْزَئِلِّـــــهِ أُجُـــــدِهْ

«ابنَ خَرْقَاء»: يريدُ بعيرًا.

والهَيْقُ: الظليمُ، شَبَّهه [به] لنشاطِهِ وسرعتِهِ.

والنَّجَدُ: العَرَقُ، أَي هو كالهَيْقِ في هذه الحال التي يُقَدّرُ فيها فُتُورُهُ.

مُقَابَل: كريمُ الآباءِ والأُمهاتِ، في الجديل: وهو فَحْلٌ كريمٌ.

لُوحِكَ: شُدَّ وَوُثِّقَ، والكَتَدُ: ما يتصِلُ بالحَارِكَ من العُنُقِ.

والتَّامِكُ: المرتفعُ، وكذلك النَّهْدُ(١).

والملْمُومُ: الذي قد استوىٰ لحمُهُ وشحمُهُ من سنمِهِ، ولم يبقَ له عظمٌ شاخِصٌ.

والمُحْزَئِلُّ: المرتفع، احْزَأَلَّ أَي ارتفعَ في السَّيْرِ.

وهذه معانٍ [٢/١٨٣/ب] صحيحةٌ، ولكنَّ النَّسْجَ لا حلاوةَ له، ولا طلاوةَ عليهِ.

وقالَ(٢):

وَإلىٰ جَنَابِ أَبـي الحُسَيْن تَشَنَّعَتْ ❊ بِزِمَامِهَـــا كالمُصْــعَبِ المخَطُــومِ

جَاءَتْكَ مِنْ مُعْجٍ خَوَانِفَ في البرىٰ ❊ وعَــــوَارِفٍ بـــــالَمْعلَمِ المـــــأْمُومِ

---

(١) «ص»، «ر»: (النهو) تحريف.

(٢) شرح الصولي: ٢/٤٤٠، شرح التبريزي: ٣/٢٦٢، والأبيات من الكامل، وتشنعت: إذا ترفَّعت الناقة في سيرها، والمصعب من الجمال: الذي لم يمسسه حبل ولم يركب، فأصبح غير منقاد.

مِـــنْ كُـــلِّ نَاجِيَـــةٍ كَـــأَنَّ أَدِيَمهـــا ❖ حِيصَـــتْ ظِهَارَتُـــهُ بِجِلْـــدِ أَطُـــومِ
تُثْنِـــي مِلَاطَيْهَـــا إِذَا مـــا اسْـــتُكْرِهَتْ ❖ سَـــــعْدَانَةً كَـــــإِدَارَةِ القُـــــرْزُومِ
طَلَبَتْـــكَ مِـــنْ نَسْـــلِ الجَـــدِيلِ وشَـــدْقَمٍ ❖ كُـــومٌ عَقَائِـــلُ مِـــنْ عَقَائِـــلَ كُـــومِ
يَنْسَـــيْنَ أَصْـــوَاتَ الحَـــداةِ ونَبْرَهَـــا ❖ طَرَبًـــا لأَصْـــوَاتِ الصَّـــدَىٰ والبُـــومِ
فَأَصَـــبْنَ بَحْـــرَ نَـــدَاكَ غَيْـــرَ مُصَـــرَّدٍ ❖ وِرْدًا وأُمَّ نَـــدَاكَ غَيْـــرَ عَقِـــيمِ
لَمَّـــا وَرَدْنَ حِيَـــاضَ سَـــيْبِكَ طُلَّحًـــا ❖ خَـــيَّمْنَ ثُـــمَّ شَـــرِبْنَ شُـــرْبَ الهِـــيمِ

قولُه: «تَشنَّعتْ»: أَي أَخذت أُهْبَتَها للسيرِ، وشَمَّرتْ، من قولِهِمْ: تَشَنَّعَ الفارسُ، إِذا لَبِسَ سلاحَه.

ومُعْجٌ: جمعُ مُعْجةٍ، والمَعْجُ: التَّغَلُّب في الجَرْي، يقالُ: مَرَّ الحمارُ يَمْعَجُ مَعْجًا، إِذا جرىٰ في كلِّ وجهٍ بسرعةٍ، وحِمَارٌ مَعَّاجٌ.

والخوانفِ: جمع خُنُوف، وهي الناقةُ التي تضربُ بيدها في السَّيرِ من نشاطِها وفيه بعضُ المَيْلِ.

والمَعْلَمُ: الطَّريقُ، والمأْمومُ: الذي يُؤْتَمُّ. عارِفَةٌ بالطريقِ الذي يجبُ أَنْ تَؤُمَّهُ لطولِ دَأْبِهَا، وكثرةِ سيرِها في الطُّرق [١٨٤/٢/أ] المختلفةِ.

وقولُه: «حِيصَتْ» خِيطَتْ بجلد أَطُوم، يقالُ: إِنَّ الأَطُومَ: السَّلَحْفَاءُ البحريُّ الذي يجعلُ من جلدِه الذَّبْلُ[١]، ويشبَّه جلدُ البعيرِ الأَملسِ بهِ، ويقالُ: الأَطُومُ: سمكةٌ في البحرِ غليظةٌ، وقيلَ بل هي بقرةٌ يُتَّخذُ من جلدِها الخِفَافَ للحَمَّالين، قالَ الشَّمَاخُ يصفُ الناقةَ[٢]:

---

(١) الذبل: هو الأساور والأمشاط تتخذها النساء، اللسان: (ذبل).

(٢) ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني ص٢٧٥، تحقيق د. صلاح الدين الهادي، دار المعارف=

وَجِلْـدُها مِـنْ أَطُـومٍ مـا يُؤَيِّسُـهُ ✤ طِلْـحٌ كضَـاحِيَةِ الصَّـيْداءِ مَهْـزُولُ

قيل في تفسيره: الأَطُومُ: سمكةٌ بحريةٌ تُخْصَفُ الخِفَافُ والنِّعَالُ بجلدها.

ويُؤَيِّسُهُ: يُذَلِّلُهُ، والتَّأْيِيسُ: التَّذْلِيلُ.

والطِّلْحُ: والقُرَادُ ها هنا، والطِّلْحُ: الضئيلُ المهزولُ.

والصَّيدَاءُ: حَصىً، والصَّيْدَانُ: حِجَارَةٌ.

وضاحيةٌ: ما ضَحَا لِلشَّمْسِ منها وظَهَرَ.

وقالَ الأَخفشُ في تفسيرِ هذا البيتِ: الأَطُومُ: طَيُّ البئرِ بالصخرِ الأَسودِ، ويقالُ: الأَطومُ: الصَّدَفُ.

وقولُه: «تَثْنِى مِلَاطيَهْا» أَي تُبَاعِدُ بينهما.

ومِلَاطَاهَا: وعَضُدَاها.

سَعْدانَة: والسَّعْدَانَةُ من البعير: هي البَلْدَةُ[1]، أَي تباعدُ بينَ عضديها كِرْكِرَة، أَو بَلْدَةٌ مستديرةٌ كإدارةِ الفُرْزُوم، وهي الخشبةُ المُدوَّرَةُ التي يَحْذُو عليها الحذَّاءُ، وذلك محمودٌ في الإبلِ أَنْ يتباعد عَضُدُ البَعيرِ من زَوْرِهِ في السَّيْرِ.

والكُومُ: العِظَامُ الأَسْنِمَةُ، واحدتها كَوْمَاءُ.

وقولُه:

يَنْسَـين أَصْـوَاتَ الحُـدَاةِ [ونَبْرَهَـا] ✤ طَرَبًـا لأَصْـوَاتِ الصـدَىٰ والبُـومِ[2]

= بمصر، والبيت من البسيط.

(١) السعدانة: كِرْكِرَةُ البعير، اللسان: (سعد).

(٢) «ص»، «ر»: (الصدق والبوم).

أي أَلفتْ صوتَ [٢/١٨٤/ب] الصَّدىٰ والبومِ لكثرةِ سيرِها في الفيافي ، حتىٰ صارتْ تطربُ لذلك وتَنْسىٰ أَصواتَ الحُدَاةِ.

وهذا من مبالغاتِهِ البعيدةِ الباطلةِ.

ولو قال: إِلفًا لأَصواتِ الصدىٰ كانَ أَشبهَ بالصوابِ قليلًا من الطَّرَبِ.

وهذه أَبياتٌ صالحةٌ علىٰ ما فيها من التكلُّفِ.

وقالَ[1]:

الهَـمُّ والعِـيسُ واللَّيْـلُ التَّمـامُ مَعًـا ❊ ثَلَاثـــة أَبَـــدًا يُقْـــرَنَّ فـــي قَـــرَنِ
حَوْبًـا حَـلًا قَاسِـميني الهَـمَّ يـا ابْنتَـهُ ❊ فَقَدْ خُلِقْتِ لِغَيْرِ الحَوْضِ والعَطَنِ[2]

قوله: «حَوْبًا حَلا» زَجْرٌ من زَجْرِ الإِبلِ ، كَأَنَّه زجر ناقتَهُ ، وقالَ لها: قاسميني الهمّ يا ابنته: يا بنتَ الهمِّ ، سيري وانطلقي فقد خُلِقْتِ لغيرِ الحوضِ والعطنِ ، أي خلقتِ لقطعِ الأسفارِ لا للإِقامةِ.

ولفظُ هذا الأَخيرِ رديءٌ ، ونَسْجُهُ قبيحٌ.

وأَخذَ البحتريُّ معنىٰ الأَوَّلِ فقالَ[3]:

يَـا خَلِيلَـيَّ بالسَّـوَاجِيرِ مِـنْ وُدِّ بـ ❊ ـنِ مَعْـنٍ وبُخْتُـرِ بْـنِ عَتُـودِ
اطْلُبَـا ثَالثًـا سِـوايَ فـإِنِّي ❊ رَابـعُ الْعِـيسِ والـدُّجَىٰ والبيـدِ

وقالَ البحتريُّ[4]:

---

(١) شرح الصولي: ٤٧/٣ ، وشرح التبريزي: ٣٣٨/٣ ، والبيتان من البسيط ، وفيهما (العيس والهم).
(٢) عند الصولي والتبريزي: (أقول للحرة الوجناء لا تهني) ، ولم أجد رواية الموازنة في مصدر آخر.
(٣) ديوانه: ٦٣٣/١ ، وفيه: (يا نديميَّ) ، والبيتان من الخفيف.
(٤) ديوانه: ١٨٢٤/٣ ، والبيتان من الوافر.

بَنَــاتُ العِيــدِ تَعْتَــادُ الفَيَــافي ❊ إِذَا شِــئْنَا اسْــتَمَرَّ بهــا الــذَّمِيلُ
وَمَــا طَرَفَــا زَمَــانِ المَــرْءِ إِلَّا ❊ مَقَــامٌ يَرْتَضِــيهِ أَوْ رَحيــلُ

[١٨٥/٢/أ] وقالَ[١]:

وإِذَا مَــا تَنَكَّــرَتْ لِــي بِــلَادٌ ❊ أَوْ خَلِيــلٌ فــإِنَّني بالخيــارِ
وَخَــدَانُ القِــلَاصِ حَــوْلًا إِذَا قَــا ❊ بَلْــنَ حَــوْلًا مِــنْ أَنْجُــمِ الأَسْــحَارِ
يَتَرَقْــرَقْنَ كَالسَّــرَابِ وقَــدْ خُضْــ ❊ ــنَ غِمَارًا مِنَ السَّرابِ الجَارِي[٢]
كَالقِسِــيِّ المُعَطَّفَــاتِ بَــلِ الأَسْــ ❊ ــهُــمِ مَبْرِيَّــةً بَــلِ الأَوْتَــارِ[٣]

وهذا من أَوصافِ الإِبل إِذا أَضمَرَها السَّيْرُ وهي في غايةِ الحسنِ والصحةِ والحلاوةِ في اللفظِ والنَّسْجِ.

ومثلُه في الجودةِ والحسنِ قولُه[٤]:

وَهِــيَ العِــيسُ دَهْرَهَــا فــي ارْتِحَــالٍ ❊ مِــنْ حُلُــولٍ أَوْ فُرْقَــةٍ مِــنْ جَمِيــعِ
رُبَّ مَــرْتٍ مَــرَّتْ تُجَــاذِبُ قُطْرَيْــ ❊ ــهِ سَــرابًا كالْمَنهَــلِ المَشْــرُوعِ[٥]
وَسُــرًى تَنْتَحِيــهِ بالوَخْــدِ حَتَّــى ❊ تَصْــدَعَ الليــلَ عَــنْ بَيَــاضِ الصَّــدِيعِ
كــالبُرَى فــي البَــرَى ويُحْسَــبْنَ أَحْيَــا ❊ نًــا نُسُــوعًا مَجْدُولَــةً مِــنْ نُسُــوعِ[٦]

(١) ديوانه: ٢/٩٨٧، والأبيات من الخفيف.
(٢) «ص»: (يترقرن) تحريف.
(٣) «ص»: (بل الأوتاد) تحريف.
(٤) ديوانه: ٢/١٢٧٩، والأبيات من الخفيف.
(٥) المرت: المفازة لا نبات فيها.
(٦) البُرى: جمع برة، وهي حلقة من فضة أو صفر تجعل في أنف الناقة، أو في أنف المرأة للزينة.
البَرَى: التراب. =

وقالَ(١):

سَوْفَ أُعْطِي السُّلُوَّ والصَّبْرَ ما أَمْـ ❁ ـنَـعُ مِـنْ طَـارِفِ الهَـوَىٰ أَوْ تِلَيـدِ

بالمَهَـارَىٰ يَلْبَسْـن لَوْنًـا جديـدًا ❁ مُسْـتَفَادًا فـي كُـلِّ وَقْـتٍ جَدِيـدِ

فَهْـيَ طُـولَ النَّهـارِ بِـيضٌ وَطـولَ الْـ ❁ ـلَّيْـلِ فـي أَقْمُـصٍ مِـنَ اللَّيْـلِ سُـودِ

[١٨٥/٢/ب] طَالِباتٍ في الغَوْثِ غَوثًا سَكُوبًا ❁ وحَمِيـدًا فـي آلِ عَبْـدِ الحَمِيـدِ(٢)

وهذا كُلُّ جيِّدٍ بالغٍ وعذبٍ حلوٍ، ومعانٍ لطيفةٍ لائقةٍ.

وقد أَجادَ كلُّ واحدٍ منهما وصْفَ إِبِلِهِ علىٰ الطريقةِ التي قصدَها واعتمدَها، وإِن كانتْ معاني البحتريِّ فيما ذهبَ إِليه من الضَّمرِ حلوةٌ جدًا.

فأَقولُ: إِنَّهما في البابَيْن متكافئين.

ولأَبي تمامٍ في وصفِ الإِبلِ أَشياءُ رديئةٌ لم أَكتُبْها، وفيها قصيدةٌ يصفُ فيها ناقةً حجَّ عليها رديئةٌ جدًّا أَوَّلَها(٣):

لَعَلَّـك ذَاكِـرُ الطَّلَـلِ القَـديمِ ❁ وَمُـوفٍ بـالعُهودِ علـىٰ الرُّسُـومِ

له فيها أَلفاظٌ مختلفةٌ، ومعانٍ من معاني السوقِ، وقد تقدَّمَ في البابِ قولُه(٤):

= النسوع: مفردها نسع، وهو المفصل بين الكتف والساعد، ويعني أيضًا سير أو حبل عريض طويل تشد به الرحال، وقد قصد الشاعر المعنين.

(١) ديوانه: ٧٦٩/١، والأبيات من الخفيف. وفي ديوانه: (والتصيد).

(٢) «ص»، «ر»: (غيثا سكونًا) تصحيف.

(٣) شرح الصولي: ٥٧٣/٣، وشرح التبريزي: ٥٣٣/٤، والبيت من الوافر.

(٤) سبق ٤٣/٣.

وَرَكْبٍ كَأَطْرَافِ الأَسِنَّةِ عَرَّسُوا ❊ علىٰ مِثْلِهَا والليلُ تَسْطُو غَيَاهِبُهْ
لأَمْرٍ عليهم أَنْ يَتمَّ صُدُورُهُ ❊ ولَيْس عَلَيْهم أَنْ يَتِمَّ عَواقِبُهْ

في أَبياتٍ [ما هي][1] من ذلك البابِ، ثم قال بعدها ما هو من هذا الباب في وصفِ الإبلِ. وسبيلُها أَنْ تُثْبَتَ في هذا البابِ في أَولِهِ[2]:

عَلَىٰ كُلِّ مَوَّارِ المِلَاطِ تَهَدَّمَتْ ❊ عَرِيكَتُهُ العَلْيَاءُ وانْضَمَّ حَالِبُهْ
رَعَتْهُ الفَيَافِي بَعْدَمَا كَانَ حِقْبَةً ❊ رَعَاهَا ومَاءُ الرَّوْضِ يَنْهَلُّ سَاكِبُهْ
فَأَضْحَىٰ الفَلَا قَدْ جَدَّ في بَرْيِ نَحْضِهِ ❊ وَكَانَ زَمَانًا قَبْلَ ذَاكَ يُلَاعِبُهْ
[١٨٦/٢/أ] فَكَمْ جِزْعِ وَادٍ جَبَّ ذِرْوَةَ غَارِبٍ ❊ ومِنْ قَبْلُ كانَتْ أَتْمَكَتْهُ مَذَانِبُهُ

قوله: «مَوَّارِ المِلَاط» فالمِلَاطُ: عَضُدُ البعير، ومَوَّار: يريدُ حركتهُ في السيرِ[3]. وعريكتُهُ العلياءُ: يعني سَنَامَهُ، تَهدَّمتْ من طولِ السَّفَرِ، وكذا انضمَّ حَالِبه.

وقولُه: «يلاعبُهْ»: لفظةٌ ضعيفة المعنىٰ، وإِنَّما جاءَ بها من أَجلِ قولِهِ: [جَدَّ][4] في بَرْيِ نَحْضِه؛ ليطابقَ بين الجدِّ واللعبِ.

أَي إِنَّ الفلا جَدَّ في أَخذِ لَحْمِهِ في سيرِنا هذا السير، فجعلَ مكانَ هذا القولِ: «وكان زَمَانًا قبل ذاك يُلَاعِبُهْ» علىٰ مذهبِهِ في عشقِ «الطِّبَاقِ» الذي لا بُدَّ له من أَن يأْتيَ بهِ وإِنْ حصل المعنىٰ ضعيفًا رَكِيكًا، ورُبَّما كان مُحَالًا.

وقوله: «أَتْمَكَتْهُ» أَي أَسْمَنَتْ تَامِكَهُ، وهو سنامُه.

(١) «ص»، «ر»: (في أبيات هو من..).
(٢) شرح الصولي: ٢٩٢/١، شرح التبريزي: ٢٢٢/١، وفيه: (علىٰ كل روّاد)، والأبيات من الطويل.
(٣) «ص»، «ر»: (جانبه) تحريف.
(٤) ساقطة من «ص»، «ر».

والمَذَانِبُ: مجاري الماءِ، وهي أَبَدًا مُعْشِبَةٌ.

ولئن كانا جميعًا أَحسنَا في هذا البابِ فما وصفَا مطيَّهُمَا بالسرعةِ وصفَ «مسلمِ بن الوليدِ» إِذْ يقولُ(١):

إِلـى الأَمـامِ تَهادَانـا بِأَرحلنَـا ❁ خَلْقٌ مِنَ الرِّيحِ في أَشْباحِ ظُلْمَانِ
كـأنَّ إفلاتَهـا والفجـرُ يأخـذها ❁ أَفْلاتُ صادرةٍ عن صوتِ مِرْنَانِ(٢)
تنسابُ في اللَّيلِ لا ترعى لهاجسةٍ ❁ كـأنَّني راكبٌ في رأسِ ثُعبانِ(٣)

وقد أفرطَ الذي يقولُ، وقد أحسنَ في إفراطِهِ(٤):

مَـرُوحٌ برجلَيْهـا إذا هـي هَجَّـرتْ ❁ ويَمْنَعُهـا مِـنْ أنْ تَطِيـرَ زَمامُهَـا

[١٨٦/٢/ب] وقالَ الشَّماخُ(٥):

تكـادُ تطيـرُ مـن رأيِ القطيـعِ

وقالَ الحطيئةُ(٦):

وإِنْ نَظَـرَتْ يَوْمًـا بِمُـؤخَر عَيْنِهـا ❁ إِلـى عَلَـمٍ بـالغَوْرِ قُلْـتَ لَـهُ ابْعِـدِ

---

(١) ديوانه: ص ١٢٦، والأبيات من البسيط. وأشياخ ظلمان: أي أبدان ذكور النعام، شبه النوق بسرعتها بالريح.

(٢) يقول: كان إفلات هذه الناقة، أي: انبعاثها في السير انبعاث ظبية رامها رام فأخطأها، وقد سمعت صوت وتر القوس، وشعرت بالهم ففرت، شبه ناقته بها في السرعة، وفي الديوان: (صادرة عن قوس حسبان).

(٣) ديوانه: (يناسب، در لا يرعى).

(٤) في الكامل للمبرد: ١٠١١/٢، بدون نسبة، وفي الأنوار ومحاسن الأشعار للشمشاطي ٢٦٩/١، د. السيد محمد يوسف، وزارة الإعلام، الكويت سنة ١٩٧٧، بدون نسبة، والبيت من الطويل.

(٥) ديوانه: ٢٢٦، وصدره:

مرُوحٌ تغتلي بالبيدِ حرفٍ

(٦) ديوان الحطيئة ص٧٩٨، تحقيق د. نعمان محمد طه، مكتبة الخانجي بالقاهرة سنة ١٩٨٧.

بابُ الشُّحوبِ والتَّغيُّرِ من الأَسْفارِ

قالَ أَبو تمامٍ[1]:

نَظَرَتْ إِلَيْهِ فَمَا اسْتَتَمَّتْ لَحْظَهَا ❁ حَتَّى تَمَنَّتْ أَنَّهَا لَمْ تَنْظُرِ
ورأَتْ شُحوبًا رَابَهَا فِي وَجْهِهِ ❁ مَاذَا يَرِيبُكِ مِنْ جَوَادٍ مُضْمَرِ[2]
غَرَض الحَوادِثِ لا تَزَالُ مُلِمَّةٌ ❁ تَرْمِيهِ عَنْ شَزْرٍ بِأُمِّ حَبَوْكَرِ[3]
سَدِكَتْ بِهِ الأَقْدَارُ حَتَّى إِنَّهَا ❁ لتَكَادُ تَفْجَؤُهُ بِمَا لَمْ يُقْدَرِ[4]

وهذا ما لا غايةَ وراءَهُ في الحسنِ والصحةِ والبراعةِ.

قوله: «سَدِكَتْ بِهِ الأَقدار»، أَي لَزِمَتْه، وغَرِيَتْ بهِ.

وقالَ البحتريُّ نحوَ هذا البيتِ الأَخيرِ ولكنْ على وجهٍ آخرَ وأَحسنَ وأَجادَ، قالَ[5]:

وَلَوْ فَاتَنِي المَقْدُورُ مِمَّا أَرُومُهُ ❁ بِسَعْيِ لأَدْرَكْتُ الذي لَمْ يُقَدَّرِ

وقالَ أَبو تمامٍ[6]:

---

(١) شرح الصولي: ٣/٤٩٦، شرح التبريزي: ٤/٤٥١، والأبيات من الكامل.
(٢) الصولي والتبريزي: (رابها في جسمه).
(٣) الصولي والتبريزي: (عن شزن) وهي الناحية، وأمِّ حبوكر: أعظم الدواهي.
(٤) عند الصولي: (عنفت به)، وفي «ص»، «ر»: (سدكت بها).
(٥) ديوانه: ٢/١٠٦٢، والبيت من الطويل.
(٦) شرح الصولي: ٢/٤٤٨، وفيه: (أزرئ)، شرح التبريزي: ٣/٢٧٢، وفيه (أذرئ)، والأبيات من الكامل.

نَكِـرَتْ فتًـى أَلْـوَىٰ بِنَضْـرَةِ وَجْهِـهِ ❖ وبِمَائِـهِ - نَكَـدُ الخُطُـوبِ وَلُومُهَـا

[١٨٧/٢/أ] لا تُنْكِرِي شِيَمِي فإِني زَائِدِي ❖ حَزْمًـا حِضَـارُ النَّائِبَـاتِ وشِـيمُهَا[١]

فَلَقَبْـلِ أَظْهَـرَ صَـقْل سَـيْفٍ أَثْـرُهُ ❖ فَبَـدَا وهَــذَّبَتِ القُلُـوبُ هُمُومُهَـا

والحادِثَــاتُ وإِنْ أَصَــابَكَ بُؤْسُــها ❖ فَهْـوَ الـذي أَنْبَـاكَ كَيْـفَ نَعِيمُهَـا

حِضَارُ النَّائِبَات: بِيضُها، وشِيمُها: سُودُها، يريدُ أَنَّه يزيدُ في حزمِهِ ومعرفتِهِ بالأُمورِ ما يقاسيهِ من الخيرِ والشَّرِّ.

وقالَ[٢]:

لَا يَطْـرُدُ الهَـمَّ إِلَّا الهَـمُّ مِـنْ رَجُـلٍ ❖ مُقَلْقِــلٍ لبَنَــاتِ القَفْــرَةِ النُّعُــبِ

لا تُنْكِـرِي مِنْــهُ تَخْدِيــدًا تَجَلَّلَــهُ ❖ كَالسَّيْفِ لَا يُزْدَرَىٰ إِنْ كَانَ ذَا شُطَبِ[٣]

وهذا كلُّهُ جيِّدٌ بالغٌ حسنٌ نادرٌ.

وقالَ البحتريُّ[٤]:

مَــا تُنْكِــرُ الحَسْــنَاءُ مِــنْ مُتَوَغِّــلٍ ❖ فــي اللَّيْــلِ يَخْلِــطُ أَيْنَــهُ بِسُــهُودِهِ

قَــدْ لَوَّحَــتْ مِنْــهُ السُّــهُوبُ وأَثَّـرَتْ ❖ فــي يَمْنَتَيْــهِ وعَنْسِــهِ وقُتُــودِهِ

---

(١) عند الصولي والتبريزي: (لا تنكري همي)، وفي «ص»، «ر»: (حزنًا).

(٢) شرح الصولي: ٥٢٣/١، شرح التبريزي: ١١١/١. والبيتان من البسيط.

(٣) عند الصولي: (والسيف)، وعند التبريزي: (فالسيف).

وقال أبو العلاء: الهم الأول: ما يجده الرجل في صدره مما يوجب رحيله. والهم الثاني: الهمة، ومقلقل: من القلقلة وهي الحركة العنيفة، وبنات القفرة، الإبل، والنعب: جمع نعوب، والنعبان: وهو تحريك الناقة رأسها في السير وذلك من النشاط.

(٤) ديوانه: ٦٩٤/٢، والأبيات من الكامل.

فَلِفِضَّـــةِ السَّـيْفِ المُحَلَّـــىٰ حُسْـــنُهُ ❊ مُتَقَلِّـــدًا ومَضَـــاؤُهُ لِحَدِيـــدِهِ

تمَّ البابُ.

وهذا ما قلتُ أَذكرهُ في آخرِ البابِ من حالِ قيسِ بن زُهَيْرٍ، والحارثِ بنِ مُضاضٍ، والبرَّاضِ[1].

فأَمَّا قيسُ بنُ زُهَيرٍ العَبْسيُّ فإِنَّ بني بَدْرٍ الفَزَارِيِّينَ قتلوا أَخاه مالكًا فنشبت الحربُ بينَ عَبْسٍ وذُبْيَانَ ابنَيْ[2] بغيضٍ.

وكانَ سببُ ذلك رِهَانُ دَاحِسَ والغَبْرَاءَ فَقتلَ قيسٌ حُذَيفَةَ بنَ بَدْرٍ [١٨٧/٢/ب] وحَمَلَ بنَ بَدْرٍ وغيرَهما، ودامتْ[3] الحربُ بينَهُمَا دهرًا طويلًا حتىٰ كادوا يَفْنُون.

وتشاءَمتْ العربُ بقيسٍ، وكانَ سيِّدًا حكيمًا أَريبًا حليمًا. فقالَ: لا أقيمُ ببلادٍ قُتِلَتْ بها ساداتُ قومي ولم أَحلِمْ، ولم أُقارِبْ، ولم أَصلحْ فقالَ[4]:

تَعَلَّـــمْ أَنَّ خَيْـــرَ النَّـــاسِ مَيْتًـــا ❊ عَلَـــىٰ جفْـــرِ الهَبَـــاءَةِ مَـــا يَـــرِيمُ

ولَـــوْلَا ظُلْمُـــهُ مَـــا زِلْـــتُ أَبْكِـــي ❊ عَلَيْـــهِ الـــدَّهْرَ مَـــا طَلَـــعَ النُّجُـــومُ

ولكـــنَّ الفَتَـــىٰ حَمَـــلَ بـــنَ بَـــدْرٍ ❊ بَغَـــىٰ، والبَغْـــيُ مَرْتَعُـــهُ وخـــيمُ

أَظُـــنُّ الحِلْـــمَ دَلَّ عَلَـــيَّ قَـــوْمي ❊ وقَـــدْ يُسْـــتَجْهَل الرَّجُـــلُ الحَلِـــيمُ[5]

---

(١) انظر ص ٤٢ من هذا الجزء.

(٢) «ص»، «ر»: (ابن)، والخبر في العقد الفريد: ٨/٦، وما بعدها.

(٣) «ص»، «ر»: (فأدامت). تحريف.

(٤) العقد الفريد، ١٩/٦.

(٥) العقد: (وقد يستضعف).

ثمَ خرج ضَارِبًا في البلادِ على وجهِهِ مُتَخَلِّيًا من كلِّ أَهلٍ ومالٍ، وصارَ إِلى بعضِ نواحي عُمَانَ فهلكَ هناك وله في هلاكِهِ خبرٌ، فهذهِ غربةُ قيسٍ.

وأَما غُرْبَةُ الحارثِ بنِ مُضَاضٍ الجُرْهُميَّ فإِنَّه كانَ سيِّدَ جُرهم في زمانهِ، وكانَ إِلى قومهِ حجابةُ بيتِ اللهِ الحرامِ بمكة فغَلَبَتْهُمْ عليهِ خزاعةُ، فخرجوا وتفرقوا في البلادِ.

وفي ذلك يقولُ الحارثُ(١):

كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الحَجُونِ إِلَى الصَّفَا ❁ أَنِيسٌ ولَمْ يَسْمُرْ بِمَكَّةَ سَامِرُ
بَلَى نَحْنُ كُنَّا أَهْلَهَا فأَزَالَنَا ❁ صُرُوفُ اللَّيَالي والجُدُودُ العَوَاثِرُ

ويقالُ: بل قائلُ هذهِ الأَبياتِ بَكْرُ بنُ غَالِبِ بنِ الحَارِثِ بنِ مُضَاضٍ.

فأَمَّا [١٨٨/٢/أ] فتَكَةُ البَرَّاضِ، فهو برَّاضُ بنُ قَيْس بنِ رَافِعِ الكِنَانِيُّ، أحدُ بني مالك بنِ كنانةَ بنِ خُزَيْمَةَ بنِ مُدْرِكَةَ بنِ إِلْيَاسَ، وفتكتُهُ كانتْ بِعُرْوَةَ الرَّحَّالِ ابن عتبةَ بنِ جعفرِ بنِ كِلَابٍ، وكانتْ من أَجلِهِ وقعةُ «الفِجَار العُظْمَى».

وسببُ ذلكَ أَنَّ البَرَّاضَ [و]كانَ رجلًا شريرًا فاتكًا ـ صارَ إِلى النُّعْمَانِ بنِ المُنْذِرِ، ولمَّا حضرَ الموسمَ جهَّزَ اللَّطِيمَةَ إِلى سوقِ عُكَاظٍ، وهي من كُلِّ المَتَاع، ولا يقالُ [لها] لطيمةٌ إِلا إِذا كانَ فيها مسكٌ وطيبٌ، فقالَ النُّعْمَانُ: مَنْ يُجِيزُهَا؟ قال البَرَّاضُ: أَنا أَجيزُها على قومي بني كِنَانَةَ [قال النعمانُ: ما أريدُ إلا رجلاً يجيزُها على أهلِ نجدٍ وتهامةَ، فقالَ: عروةُ الرحَّال، وهو يومئذٍ رجلُ هوازنَ ؟؟؟؟ كلامٌ غير واضحٍ بالأصلِ](٢) قالَ البَرَّاضُ: وعلى بني كنانةَ. قالَ: نعم،

(١) جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي ١/١٧٧، تحقيق د. محمد علي الهاشمي، جامعة الإمام محمد بن سعود، سنة ١٩٨١.

(٢) ما بين المعقوفين من العقد الفريد، ٦/٩٠.

[و]علىٰ العرب والعجم ، وعلىٰ الجنِّ والإِنسِ ، فسارَ فيها عروةُ ، وأَتبعَهُ البَرَّاضُ حتىٰ إِذا كان بذي طلالٍ قريبًا من خَيْبَرَ حَمَلَ عليه فقتلَهُ ، وكانت الحَرْبُ .



بابٌ

مضتْ أَنواعُ النسيبِ كلِّها، وهذا بابٌ أَرسمُ فيه الأَبوابَ التي خرجَا فيها من النسيبِ إِلىٰ المديحِ[1].

اعلمْ أَنَّهما جميعًا قد تَعَمَّلَا في بعض قصائدِهِمَا النسيبَ وصلا بهِ النسيبَ بالمديحِ، وأَعرضَا في كثيرٍ من أَشعارِهِما عن هذا المعنىٰ، وابتدآ بالمدحِ منقطعًا عمَّا قبلَهُ، وكلا الوجهينِ قد فَعَلَهُ شعراءُ الجاهليةِ والإِسلامِ، وكانوا كثيرًا ما يقولونَ إِذا فرغوا من النسيب [٢/١٨٨/ب] وأَرادوا المدحَ أَو غيرَهُ من الأَغراضِ: «فَدَعْ ذَا»، فتجنَّبَها المتأَخرونَ واستقبحوها، وكذلكَ قولُهم: «فَعدِّ عَنْ ذَا» وهي عندَهُمْ أَحسنُ.

فممَّا قطعَهُ أَبو تمامٍ مما قبلَهُ[2]:

هُـنَّ الحَمَـامُ فـإِنْ كَسَـرَتْ عِيَافَـةً ❊ مِـنْ حَـائِهِنَّ فَـإِنَّهُنَّ حِمَـامُ

ثم خرجَ إِلىٰ المدحِ فقالَ:

اللهُ أَكْبَـرُ جـاءَ أَكْبَـرُ مَـنْ جَـرَتْ ❊ فَتَعَثَّـرَتْ فـي كُنْهِـهِ الأَوْهَـامُ

وقالَ[3]:

حَلَّمتْنِـي زَعَمْـتُمُ وَأُرَانِـي ❊ قَبْـلَ هَـذَا التَّحْلِيمِ كُنْتُ حَلِيمَـا

(١) «ص»: (الشيب) تحريف.

(٢) شرح الصولي: ٢/٣٧٤، شرح التبريزي: ٣/١٥٢، والبيت من الكامل.

(٣) شرح الصولي: ٢/٤٠٠، شرح التبريزي: ٣/٢٢٤، والبيت من الخفيف.

ثمَّ قالَ:

مَـــنْ رَأَىٰ بَارِقًـــا سُـــرىٰ صَـــامِتيًّا ❖ جَـــادَ نَجْـــدًا سُـــهُولها والحزُونَـــا

وقالَ[1]:

أَوَمَـا رَأَتْ بُـرْدَيَّ مِـنْ نَسْـجِ الصِّـبَا ❖ وَرَأَتْ خِضَـابَ اللهِ وهْـوَ خِضَـابِي

ثمَّ قالَ:

لَا جُـودَ فـي الأَقْـوَامِ يُعْلَـمُ مَـا خَـلَا ❖ جُـودًا حَلِيفًـا فـي بَنِـي عَتَّـابِ

وقالَ[2]:

لَـوْ رَأَىٰ اللهُ أَنَّ فـي الشَّـيْبِ فَضْـلًا ❖ جَاوَرَتْـهُ الأَبْـرَارُ فـي الخُلْـدِ شِـيبَا

[١٨٩/٢/أ] ثمَّ قالَ[3]:

كُـلَّ يَـوْمٍ تُبْـدِي صُـرُوفُ اللَّيَـالِي ❖ خُلُقًـا مِـنْ أَبِـي سَـعِيدٍ غَرِيبَـا

وقال[4]:

كَـأَنَّ لَـهُ دَيْنًـا عَلَـىٰ كُـلِّ مَشْـرِقٍ ❖ مِنَ الأَرْضِ أَوْ ثأْرًا لَدَىٰ كُلِّ مَغْرِبِ

ثم قالَ:

رَأَيْـتُ لِعيَّـاشٍ خَلَائِـقَ لَـمْ تَكُـنْ ❖ لِتَكْمُـلَ إِلَّا فـي اللُّبَـابِ المُهَـذَّبِ

وقالَ[5]:

---

(١) شرح الصولي: ٢٠٩/١، شرح التبريزي: ٧٨/١، والبيت من الكامل.

(٢) شرح الصولي: ٢٥١/١، شرح التبريزي: ١٦١/١، والبيت من الكامل.

(٣) عند الصولي والتبريزي: (رغيبًا).

(٤) شرح الصولي: ٢٤٦/١، وشرح التبريزي: ١٥١/٣، والبيت من الطويل.

(٥) شرح الصولي: ١٠/٢، شرح التبريزي: ٣٢٥/٢، وفيهما: (وذو النهىٰ)، والبيت من الطويل.

حَلَتْ نُطَفٌ مِنْهَا لِنِكْسٍ وذُو الحجا ❊ يُـدَافُ لَـهُ سُـمٌّ مِـنَ العَـيْشِ مُنْقَـعُ

ثم قال:

لَقَدْ آسَفَ الأَعْدَاءَ مَجْدُ ابنِ يُوسُفٍ ❊ وذُو النَّقْصِ في الدُّنْيَا بِذِي الفَضْلِ مُولَعُ

وقالَ[1]:

فَلَـمْ تَرْحَـلْ كَنَاجِيَـةِ المَهَـارِي ❊ ولَـمْ تُرْكِـبْ هُمومَـكَ كالزَّمَـاعِ

ثمَّ قالَ:

بَمْهـدِيِّ بـنِ أَصْـرَمَ عَـادَ عُـودِي ❊ إلـى إيرَاقِـهِ وامَتَـدَّ بَـاعي

ومن ذلك قول البحتري[2]: [١٨٩/٢/ب]

تَوَهَّمْتُهـا أَلْـوَىٰ بِأَجْفَانِهَـا الكَـرَىٰ ❊ كَرَىٰ النَّوْمِ أَوْ مَالَتْ بِأَعْطَافِهَا الخمْرُ

ثم قالَ:

لَعَمْـرُكَ مـا الـدُّنْيَا بِنَاقِصَـةِ الجَـدَا ❊ إِذَا بَقِـيَ الفَـتْحُ بـنُ خَاقَـانَ والقَطْـرُ

وقال[3]:

ومَـنْ يطَّلِـعْ شَـرَفَ الأَ رْبِعِـينَ ❊ يُـلَاقِ مِـنَ الشَّـيْبِ زَوْرًا غَرِيبَـا

ثمَّ قالَ:

بَلَوْنَـا ضَـرَائبَ مَـنْ قَـد تَـرَىٰ ❊ فَمَـا إِنْ رَأَيْنَـا لِفَـتْحٍ ضَـرِيبَا

وقالَ:

---

(١) شرح الصولي: ٢٤/٢، شرح التبريزي: ٣٣٦/٢، والبيت من الوافر.

(٢) ديوانه: ٨٤٤/٢، والبيت من الطويل.

(٣) ديوانه: ١٩٥٦/٣، والبيت من الكامل.

تَـأْبَىٰ رُبـاهُ أَنْ تُجِيـبَ ولَـمْ يَكُـنْ ❊ مُسْـتَخْبِرٌ لِيُجِيـبَ حَتَّـىٰ يَفْهَمَـا

ثمَّ قالَ(١):

اللهُ جَـارُ بَنِـي المُـدَبرِ كُلَّمَـا ❊ ذُكِـرَ المَكَـارِمُ مَـا أَعَـفَّ وَأَكْرَمَـا

وقالَ(٢):

وَكَـمْ مِـنْ يَـدٍ لِلَّيْـلِ عِنْـدِي جَمِيلَـةٍ ❊ وللصُّبْحِ مـن خَطْـبٍ تُـذَمُّ غَوَائِلُـهْ

ثمَّ قالَ(٣):

وَقَدْ قُلْتُ لِلْمُعْلِي إِلَىٰ المَجْدِ طرْفَهُ ❊ دَعِ المَجْدِ فَالفَتْحُ بنُ خَاقَانَ شَاغِلُهْ

وقالَ في وصفِ الغيثِ(٤):

فَصَاغَ مَا صَاغَ مِنْ حَلْيٍ وَمِنْ حُلَلٍ ❊ مَـا يُمْتعُ الْعَيْنَ مَـنْ وَشْيٍ ودِيبَـاجِ

ثمَّ قالَ(٥):

إِلَـىٰ عَلِـيِّ بَنِـي الفَيَّـاضِ بَلَّغَنِـي ❊ سُرَايَ مِنْ حَيْثُ لا يُسْرَىٰ وإِدْلَاجِي

وقالَ(٦):

مَـا كَـانَ هَجْـرُكِ مَكْرُوهًـا أُحَـاذِرُهُ ❊ ولَا وِصَـالُكِ مَعْرُوفًـا أُرَجِّيـهِ

---

(١) ديوانه (ذكر الأكارم): ٣/١٦١٢.

(٢) وفيه: (عندي حميدة)، والبيت من الطويل.

(٣) ديوانه: (طَرْفَة).

(٤) ديوانه: ١/٤١١، وفيه:
(.... من تبر ومن ورقٍ وحاك ما حاك..)
والبيت من البسيط.

(٥) «ص»: (من حيث لا تسري)، و(إدلاجي) مصححة في الهامش.

(٦) ديوانه: ٤/٢٤٢٣، والبيت من البسيط.

ثمَّ قالَ:

بَنُـــو ثَوَابَـــةَ أَقمَـــارٌ إذَا طَلَعَـــتْ ❁ لَـمْ يَلْبَـثِ اللَّيْـلُ أنْ يَنْجَـابَ دَاجِيـهِ

وقالَ(١):

أَمِيـــلُ بِقَلْبِـــي عَنْـــكِ ثُـــمَّ أَردُّهُ ❁ وأَعْـــذُرُ نَفْسِـــي فِيـــكِ ثُـــمَّ أَلُومُهَـــا

ثمَّ قالَ:

إِذَا المُهْتَـــدِي بِـــاللهِ عُـــدَّتْ خِلَالُـــهُ ❁ حَسِـــبْتَ سَـــمَاءً كَاثَرتْـــكَ نُجُومُهَـــا

وقالَ(٢):

وهَـــلْ هِـــيَ إِلَّا لَوْعَـــةٌ مُسْتَسِـــرَّةٌ ❁ يُذِيبُ الحَشا والقَلْبَ وَجْدًا غَلِيلُهَا

ثمَّ قالَ:

وَلَـــوْلَا مَعَـــالِي أَحْمَـــدَ بـــن مُحَمَّـــدِ ❁ لَأَضْحَتْ دِيَارُ الحَمْدِ وَحْشًا طُلُولُها

[١٩٠/٢/ب] فهذا الجنسُ من الخروجِ إلى المدحِ هو الأَعمُّ في أَشعارِهِمَا.

وأمَّا الوجهُ الذي يجعلونَ له سَبَبًا يَصِلُ النسيبَ بالمدحِ فعلى معانيَ شتَّى: منها الخروجُ بذكرِ وَصْفِ الإبلِ والمَهَامِهِ إلى الممدوحِ، وهذا المعنى عامٌّ كثيرٌ في أَشعارِ الناسِ.

فمن ذلكَ قولُ أبي تمامٍ(٣):

يُصَـــبِّرُني إِنْ ضِـــقْتُ ذَرْعًـــا بحُبِّـــهِ ❁ وَيَجْـــزَعُ أَنْ ضَـــاقَتْ عَلَيْـــهِ خَلاخِلُـــهُ

---

(١) ديوانه: ٢٠٢٣/٤، والبيت من الطويل.

(٢) ديوانه: ١٧٧٩/٣، والبيت من الطويل.

(٣) شرح الصولي: ١٩٧/٢، شرح التبريزي: ٢٤/٣، وفيهما (يعنفني)، والبيت من الطويل.

ثمَّ خرجَ إلىٰ مدحِ المعتصمِ فقالَ[1]:

إِلَيْـكَ أَمِيـرَ الْمُـؤْمِنِينَ وقَـدْ أَتَـىٰ ❊ عَلَيْهَـا المَـلَا أَدْماثُـهُ وَجَرَاوِلُـهْ
نَصَرْنَ السُّرىٰ بالوخْدِ في كُلِّ صَحْصَحٍ ❊ وَبِالسُّهْدِ المَوْصُولِ والنَّومُ خَاذِلُهْ[2]
رَوَاحِلُنَـا قَـدْ بَزَّنَـا الهَـمُّ أَمْرَهَـا ❊ إِلَـىٰ أَنْ حَسِـبْنَا أَنَّهُـنَّ رَوَاحِلُـهْ
إِذَا خَلَـعَ الليـلُ النَّهـارَ رَأَيْتَهـا ❊ بِإِرْقَالِهَـا فـي كُـلِّ وَجْـهٍ تُقَابِلُـهْ
إِلىٰ قُطْبِ الدُّنْيَا الذي لَوْ بِمَدْحِهِ ❊ مَدَحْتُ بَنِي الدُّنيا كَفَتْهُمْ فَضَائِلُهْ

المَلَا ـ المقصورُ ـ: المُتَسَعُ من الأَرضِ[3].

والأَدْمَاثُ: جمعُ دَمْثٍ وهي الأَرضُ اللَّيِّنَةُ.

والجَرَاولُ: جمع جَرْوَلٍ، وهي [الأَرضُ][4] الخشنةُ ذاتُ الحجارةِ.

ومنهُ قولُ أَبي تمامٍ أَيضًا[5]: [١٩١/٢/أ]

اليومَ يُسْلِيكَ عَنْ طَيْفٍ أَلَمَّ وَعَنْ ❊ بِلَـىٰ الرُّسُومِ بَـلَاءُ الأَيْنُـقِ الرُّسُـمِ
مِنَ القِلَاصِ اللَّواتِي فِي حَقَائِبِهَا ❊ بِضَاعَةٌ غَيْرُ مُزْجَاةٍ مِنَ الكَلِمِ
إِذَا بَلَغْنَـا أَبَـا كُلْثُـومٍ اتَّصَـلَتْ ❊ تِلْكَ المُنَىٰ وأَخَذْنَ الحَاجَ مِنْ أَمَمِ

ومن ذلك قولُهُ[6]:

---

(١) عند الصولي والتبريزي: (أتتك)، وفي «ص»: (عليها المدىٰ) تحريف.

(٢) «ص»، «ر»: (نصرت). تحريف. و(خاذله) ملحقة في الهامش.

(٣) «ص»، «ر»: (الملا المتسع من الأرض المقصور)!!

(٤) ساقطة من «ص»، «ر».

(٥) شرح الصولي: ١/٥١٣، شرح التبريزي: ٢/١٥٥، والأبيات من الكامل.

(٦) عند الصولي والتبريزي: (كُلَىٰ).

سَــيَبْتَعِثُ الرِّكَــابَ وَرَاكِبِيهـــا ✿ فَتًـــى كالسَّـــيْفِ هَجْعَتُـــهُ غِـــرَارُ
أَطَــلَّ عَلَــى طُلَــى الآفَــاقِ حَتَّــى ✿ كَـــأَنَّ الأَرْضَ فِـــي عَيْنَيْـــه دَارُ
تَــؤُمُّ أَبَــا الحُسَـيْنِ وكَــانَ قِــدْمًا ✿ فَتًـــى أَعْمَـــارُ مَوْعِـــدِهِ قِصَـــارُ

وقولُه:

وَبِسَـــاطٍ كَأَنَّمَـــا الآلُ فِيـــهِ ✿ وعَلَيْـهِ سَـحْقُ المُـلَاءِ الـرَّحِيضِ(١)
يُصْـبحُ الـدَّاعِرِيُّ ذُو المِـرَّةِ المِـرْ ✿ جَـمُ فِيـهِ كأَنَّـهُ مَـأْبُوضُ(٢)
قَـدْ فَضَّضْـنَا مِـنْ بِيـدِهِ خَـاتَمَ الخَـوْ ✿ فِ وَمَـا كُـلُّ خَـاتَمٍ مَفْضُـوضُ
بِالمَهَـارَى يَجُلْـنَ فِيـهِ وقَـدْ جَـا ✿ لَـتْ عَلَـى مُسْـتَمَاتِهِنَّ الغُـرُوضُ(٣)
جَازِعَـاتٍ سُـودَ المَهَامِـهِ تَهْدِيـ ✿ ـهَـا وُجُـوهٌ لِمَكْرُمَاتِـكَ بِـيضُ(٤)

وقولُه(٥):

فَاطْلُـبْ هُـدُوًّا بِالتَّقَلْقُـلِ واسْـتَثِرْ ✿ بِـالعِيسِ مِـنْ تَحْـتِ السُّـهادِ هُجُـودَا

---

(١) شرح الصولي: ٥٩٧/١، شرح التبريزي: ٢٩٠/٢، والأبيات من الخفيف، وفيهما: (سَحْل الملاء). وقال التبريزي: (البساط: الأرض الواسعة، وسحل: ثوب أبيض، والملاء: جمع: «ملاءة»، والرخيص: المغسول)، وسحق: البالي.

(٢) قال التبريزي: (الداعري: منسوب إلى فحل من الإبل، والمرَّة: القوة، المرجم: الذي يرمي بنفسه الأشياء كأنه يرجمها، والمأبوض: الذي عليه إباض، وهو حبل يشد في مأبض البعير).
وعند الصولي والتبريزي: (ذو الميعة)، وهي النشاط.

(٣) المُسْنَمَّات: الإبل عظيمة الأسنمة. وقال التبريزي: (يقول: هذه الإبل قد ذهب لحمها فجالت غروضها لأجل ذلك).

(٤) عند الصولي والتبريزي: (سود المروراة)، وقال التبريزي: جازعات من قولك: جزع الوادي أي قطعه، وسود الهامة: أي الليالي السوداء في الصحاري.

(٥) شرح الصولي: ٤٠٤/١، شرح التبريزي: ٤١٠/١، والأبيات من الكامل: قال التبريزي: (أي: اطلب بالحركة في الأسفار سكونًا ودعة فيما بعد، وبالأرق نومًا).

مِـنْ كُـلِّ مُعْطِيَـةٍ عَلَـىٰ عَلَـلِ السُّـرىٰ ❁ وَخْـدًا يَبِيـتُ النَّـوْمُ مِنْـهُ شَـرِيدَا[1]
[١٩١/٢/ب] تَخْدِي بِمنْصَلتٍ يَظَلُّ إِذَا وَنَىٰ ❁ ضُـرَبَاؤُهُ حِلْسًـا لَهَـا وقُتُـودَا[2]
جَعَـلَ الـدُّجَىٰ سِـتْرًا ووَدَّعَ رَاضِـيًا ❁ بـالهُونِ يَتَّخِـذُ القُعُـودَ قَعُـودَا[3]
طَلَبَـتْ رَبيـعَ ربيعـةَ المُمْهَـىٰ لَهَـا ❁ وَوَرَدْنَ ظِـلَّ رِوَاقِـهِ المَمْـدودَا

قوله: «فاطْلُبْ هُدُوًّا في التَّقَلُّلِ» من قولِ عُرْوَةَ بنِ الوَرْدِ[4]:

ولـم تـدر أَنِّـي للمقـام أَطـوِّفُ

وقولُه: «المُمهَىٰ لَهَا» أَي الذي أُكْثِرَتْ مِيَاهُهُ، ويروىٰ «المُمْهِىٰ» لها أَي الذي يُكْثِرُ لها الماءَ، وليسَ يريدُ الماءَ بعينِهِ، وإِنَّما يريدُ الخِصبَ والسَّعةَ لأَنَّه بالماءِ يكونُ.

وهذا الخروجُ كُلُّه جيِّدٌ بالغٌ.

ولهُ علىٰ هذا الوجه خروجاتٌ رديئةٌ ومتوسطةٌ لم أَذْكُرْها، ومنها قولُه[5]:

دَعْ عَنْـكَ هَـذَا إِذَا انْتَقَلْـتَ إِلـىٰ الْـ ❁ ـمَـدْحِ وَشُـبْ سَـهْلَهُ بِمُقْتَضَـبِهْ

فالسَّهلُ: ما يأْتيه بِهِ خاطرُهُ عفوًا من غيرِ فكرٍ ولا طلبٍ.

والمُقْتَضَبُ ما يقتطِعُهُ خاطرُهُ اقتطاعًا بالفكرِ والتَّعبِ، ويقالُ: ناقةٌ قَضِيبٌ،

---

(١) علل السرىٰ: أي إسراء بعد إسراء.
(٢) المنصلت: الماضي في الأمر، يقول: هذا الرجل قد ألف ظهور العيس فصار كأنه قتودٌ لها.
(٣) سبق ٥٢/٣، وروايته هناك: (جعل الدجىٰ جملًا).
(٤) سبق ٢٤٧/١.
(٥) شرح الصولي: ٣١٩/١، شرح التبريزي: ٢٧٠/١، والبيت من المنسرح. وعند التبريزي: (دع عنك دع ذا).

وهي التي رِيضَتْ ولم تُذَلَّ كلَّ الذُّلِّ لِلحَمْلِ والرُّكوبِ.

فأَمَّا قولُ البحتريِّ لِإبراهيمَ بنِ المُدَبِّرِ[1] في عِتَابِ حُلْوٍ[2]:

دعْ ذَا وأَخْبِرْنِـي بِشَـأْنِ صَـدِيقِنَا ❊ بِشْـرٍ وهَـلْ يُرْضَـىٰ لِبِشْـرٍ شَـانُ

فإِنَّ «دَعْ» ها هنا حسنةٌ وليستْ مثلَها في الخروجِ من النسيبِ إلىٰ المدحِ.

[١٩٢/٢/أ] ثمَّ قالَ أَبو تمامٍ هو قولُه: «دَعْ عَنْكَ هذا»:

لَسْـتُ مِـنَ العِـيسِ أَوْ أُكَلِّفَهـا ❊ وَخْدًا يُداوِي المَرِيضَ مِنْ وَصَبِهْ[3]

إِلـىٰ المُصَـفَّىٰ مَجْـدًا أَبِـي الحَسَـنِ انْـ ❊ ـصَعْنَ انْصِيَاعَ الكُدْرِيِّ في قَرَبِهْ[4]

قولُه: «يُدَاوِي المَرِيضَ»، يعني المريضَ في حالهِ لا في جسمِهِ؛ لأَنه يُدْنِيهِ من الغنىٰ.

والانْصِيَاعُ: الانحرافُ في السيرِ من النَّشاطِ والسُّرعةِ، والكُدْرِيُّ القَطَا.

يعني إِذا جَنَحَتْ في الطيرانِ وانحرفَتْ نشيطةً مسرعةً.

ومن هذا البابِ قولُ البحتريِّ[5]:

فـالعِيسُ تَرْمِـي بِأَيْـدِيهَا عَلَـىٰ عَجَـلٍ ❊ في مَهْمَـهٍ مِثْـلَ ظَهْـرِ التُّـرسِ رَحْـرَاحِ

نهْـدِي إِلـىٰ الفَتْـحِ والنُّعْمَـىٰ بِـذَاكَ لَـهُ ❊ مَـدْحًا يُقَصِّـرُ عَنْـه كُـلُّ مَـدَّاحِ[6]

---

(١) «ص»، «ر»: (بن المدبر بن عتاب) تحريف.

(٢) ديوانه: ٤/٢٣١٦، والبيت من الكامل.

(٣) يقول التبريزي: (لست من العيس)، أي: ليست صاحباها حتىٰ أكلفها سيرًا يشفي صدر المهموم، ويذهب عدم الفقير.

(٤) (الكدريّ) جائت من القطا، انصياع الكدري، أي: إسراع الكدري، (في قربه): ليلة ورود الماء.

(٥) ديوانه: ١/٤٤٣، والبيتان من البسيط، والرحراح: الواسع المنبسط.

(٦) «ص»: (تهدي... بذلك له).

وقولُه[1]:

سَيَحْمِلِ هَمِّي عَنْ قَرِيبٍ وهِمَّتِي ✤ قَرَىٰ كُلِّ ذَيَّالٍ جُلالٍ جَلَنْفَعِ
يُنَاهِبْنَ أَجْوَازَ الفَيَافِي بِأَرْجُلٍ ✤ عِجَالٍ إِلَىٰ طَيِّ الفَيَافِي وأَذْرُعِ[2]
متىٰ تَبْلُغِ الفتحَ بنَ خاقانَ لا تُنَخْ ✤ بِضَنْكٍ ولا تَفْزَعْ إلىٰ غَيْرِ مَفْزَعِ

الجَلَنْفَعُ: المتناهي في سنِّهِ وقوّتِه[3].

«يُنَاهِبْنَ أَجْوَازَ الفَيَافِي...» بيتٌ في غايةِ الحسنِ، وجودةِ اللَّفْظِ.

وقولُ البحتريِّ أَيضًا[4]:

ولَقَدْ تَعَسَّفْتُ الأُمورَ وصَاحِبِي ✤ حَزْمٌ يَلُفُّ حُزُونَها بِسُهُولِهَا
[١٩٢/٢/ب] ونَشَرْتُ أَرْدِيَةَ الصِّبَا وطَوَيْتُهَا ✤ بالعِيسِ بَيْنَ وَجِيفِها وذَمِيلِها[5]
شَامَتْ بُرُوقَ سَحَابَةٍ قُرَشِيَّةٍ ✤ غَرِقَتْ صُرُوفُ الدَّهْرِ بَيْنَ سُيُولِهَا

وقولُه[6]:

وإِذَا اسْتَصْعَبَتْ مَقَادَةُ أَمرٍ ✤ سَهَّلَتْهَا أَيْدِي المَهَارَىٰ القُودِ

---

(١) ديوانه: ١٢٣٨/٢، والأبيات من الطويل.
و(القَرَا): الظهر، (الجلال): العظيم، (الجلنفع من الإبل: الغليظ التام الشديد).
(٢) «ص»: (أجواد الفيافي) تحريف.
(٣) قال السيد صقر ـ ﷺ ـ في هامشه:
(وكان خليقًا بالآمدي أن يزيد بعد ذلك: وهي كلمة في غاية السخف) وهو محق في ذلك، فلو كان قائلها أبو تمام لما سكت عنه.
(٤) ديوانه: ١٧٧١/٣، والأبيات من الكامل.
(٥) ديوانه: (أردية الدجىٰ... والعيس).
(٦) ديوانه: ٦٣٤/١، والأبيات من الخفيف. المهارىٰ: جمع مهرية: الناقة المنسوبة إلىٰ بني مهرة بن حيدان، القود: جمع قوداء: وهي الطويلة الأعناق.

حَــامِلَاتٌ وَفْــدَ الثنَــاءِ إِلَــىٰ أَبْـــ ❁ ـلَــجَ صَــبٌّ إِلَــىٰ ثَنَــاءِ الوُفُــودِ
عَلِقُــوا مِــنْ مُحَمَّــدٍ خَيْــرَ حَبْــلٍ ❁ لِـــــرُوَاقِ الخِلَافَـــــةِ المَمْـــــدُودِ

وقولُه[1]:

تَشَكَّىٰ الوَجَىٰ واللَّيْلُ مُلْتَبِسُ الدُّجَىٰ ❁ غُرَيْرِيَّــةُ الأَنْسَــابِ مَــرْتٌ بَقِيعُهَــا
وَلَسْــتُ بِـزَوَّارِ المُلُـوكِ عَلَـىٰ الـوَنَىٰ ❁ لَئِنْ لَمْ تَجُلْ أَغْرَاضُهَا ونُسُوعُهَا[2]
تَؤُمُّ القُصُورَ البِيضَ مِنْ أَرْضِ بَابِلٍ ❁ بِحَيْــثُ تَلَاقَــىٰ غَرْدُهــا وَبَــدِيعُهَا
إِذَا أَشْــرَفَ البُــرْجُ المُطِــلُّ رَمَيْنَــهُ ❁ بِأَبْصَارِ خُوصٍ قَدْ أَرَنَّتْ قُطُوعُهَا[3]
يُضِــيءُ لَهَــا قَصْــدَ السُّــرَىٰ لَمَعَانُــهُ ❁ إِذَا اسْــوَدَّ مِــنْ ظَلْمَــاءِ لَيْــلٍ هَزِيعُهَــا
نَـــزُورُ أَمِيـــرَ المُـــؤْمِنِين ودُونَـــهُ ❁ سُــهُوبُ الــبِلَادِ رَحْبُهَــا ووَسِــيعُهَا

وهذه أَلفاظٌ ومعانٍ في غايةِ الصِّحةِ والحسنِ، وكَثْرَةِ الماءِ.

وقولُه: «غُرَيْرِيَّةٌ» منسوبةٌ إِلىٰ فَحْلٍ مَن فحولِ الإِبلِ مذكورٍ يقالُ له: غُرَيرٌ، وغَرْدُها [١٩٣/٢/أ] وبديعُها: قصرانِ.

وقالَ في ابنِ المُدَبِّرِ[4]:

---

(١) ديوانه: ١٢٩٧/٢، والأبيات من الطويل.
ومرْت: المفازة بلا نبات، البقيع: الموضع فيه أصول الشجر من ضروب شتىٰ.

(٢) ديوانه: (علىٰ الوجىٰ)، ومعناه أن يشتكي البعير باطن خُفِّه، والأغراض: جمع غرض وهو للرجل كالحزام للسرج، والنسوع جمع نِسْعٍ: وهو سير ينسج عريضًا تشد به الرِّحال.

(٣) غردها وبديعها: قصران، والبرج: قصر للمتوكل، والخوص: الغائرة العين، وأرنت: بليت، قطوعها: جمع قِطْعٍ: وهو الطنفسه تحت الرحل علىٰ كتفي البعير.

(٤) ديوانه: ٢١٢٢/٤، والأبيات من الخفيف. وفي ديوان: (علىٰ طروق الهموم).

إِنَّنِـــي لَاجِــئٌ إِلَـــىٰ عَزَمَـــاتٍ ❁ مُعْـــدِيَاتٍ عَلَـــىٰ طَرِيـــقِ الهُمُـــومِ
يَتَلَاعَـــبْنَ بِالفَيَـــافِي ويُودِيـــــ ❁ ـــنَ بِنِقْـــيِ المُسَـــوَّمَاتِ الكُـــومِ[1]
التَّرَامِـــي بَعْـــدَ الوَجِيـــفِ إِذَا اسْـــتُؤْ ❁ نِـفَ خَـرْقٌ والوَخْـدُ بعـد الرسـيمِ[2]
كُـــلُّ مَهْـــزُوزَةِ المِقَـــذَّيْنِ تَلْقَـــىٰ ❁ رَوْحَـةَ الجَـأْبِ خَلْفَهـا والظَّلِـيمِ[3]
جُنْحًـــا كالسِّـــمَامِ يَحْمِلْـــنَ رَكْبًـــا ❁ طُلَّحًـــا مِـــنْ ضُـــئُولَةٍ وسُـــهُومِ[4]
مَـــا لَهُـــمْ عَرْجَـــةٌ وإِنْ نَـــأَت الشُّقْـــ ❁ ـقَـــةُ دُونَ الأَغَـــرِّ إِبْـــرَاهِيمِ[5]

قولُه: «مَهْزُوزَةِ المِقَذَّيْن»، فَالمِقَذَّانِ: أُصولُ الأُذُنَيْنِ، وإِنَّما يريدُ حركةَ رأسِهَا عندَ السَّيْرِ، وما أَكْثَرَ ما تصفُ العربُ ذلكَ.

وقولُه: «تَلْقَىٰ رَوْحَةَ الجَأْبِ» إذا سارتْ مع حمارِ الوحشِ، والظليمِ، وهو ذَكَرُ النعامِ، فوصلت غُدْوَةً وَصَلَا بعدها عَشِيًّا، يصفُها بالسُّرْعَةِ والقوةِ علىٰ السَّيْرِ.

والسِّمَامُ[6]: جنسٌ من الطيرِ.

وجَنَّحَ يُجَنِّح في طيرانه، أَي يميلُ من النَّشاطِ علىٰ أَحدِ جناحيهِ وكذلك تفعلُ كرائمُ[7] الإِبلِ تَتَصَرَّفُ في سيرِهَا.

---

(١) يودين: يهلكن، النقي: مخ العظام، والمسومات: المرسلة مطلقة والكوم: القطعة من الإبل والخيل.
(٢) الترامي، والوخد، والوصيف، والترسيم كلها من ضروب السير.
(٣) المقذين: مثنىٰ: مقذ، وهو أصل الأذن، الجأب: الغليظ من فحل الإبل، والظليم: ذكر النعام.
(٤) «ص»، «ر»: (كالسما) تحريف، وفي ديوانه: (كالسهام).
(٥) ديوانه: (غير الأغر).
(٦) «ص»: (والشمام).
(٧) «ص»، «ر»: (صرائم).

وقولُه[1]:

قَـدْ أَقْـذِفُ العِيسَ فـي لَيْـلٍ كـأَنَّ لَـهُ ❊ وَشْيًا مِنَ النَّوْرِ أَوْ أَرْضًا مِنَ العُشُبِ

حتَّىٰ إِذَا مَا انْجَلَتْ أُخْرَاهُ عَن أُفُقٍ ❊ مُضَـمَّخٍ بالصَّـبَاحِ الـوَرْدِ مُخْتَضَـبِ

[٢/١٩٣/ب]أَوْرَدْتُ صَادِيَةَ الآمَالِ فانصَرَفَتْ ❊ عَنِّي بِهَا وَأَخَذْتُ النُّجْحَ مِنْ كَثَبِ[2]

هَاتِيـكَ أَخْـلَاقُ إِسَـمَاعِيلَ فـي تَعَـبٍ ❊ مِـنَ العُـلَا والعُـلَا مِـنْهُنَّ فـي تَعَـبِ

أَرادَ أَوردتُ[3] صاديةَ الآمالِ بها أَي بالعيسِ فانصرفَ عنِّي[4] الآمالُ الصاديةُ، وهي العِطَاشُ، وأَخذتُ النُّجْحَ مِنْ كَثَبٍ، أَي من قُرْب.

وقولُه: «في لَيْلٍ كأَنَّ لَهُ وَشْيًا مِنَ النَّوْر» [أي] في ليلٍ شديدِ الظُّلْمَةِ، فإِذا اشتدَّت ظُلْمَتُهُ أَشرقتْ كواكبُهُ ما صَغُرَ منها وما كبر، وأَحسَنُ ما تكونُ السماءُ إِذا كانتْ هذه حالها.

وإِلىٰ هذا المعنىٰ ذهبَ ذُو الرُّمَّةِ في قولِهِ[5]:

وليْـلٍ كَجِلْبَـابِ العَـرُوسِ ادَّرَعْتُـهُ ❊ بِأَرْبَعَـةٍ والشَّـخْصُ فـي العَـيْنِ وَاحِـدُ

أَرادَ الحليَّ الذي [علىٰ] جِلْبَابِها، شبَّه الليلَ به في حسنِ نُجُومِه، وإِنَّما يريدُ أَنَّه ادَّرَعَ ليلًا شديدَ الظلمةِ، مُضِيءَ الكواكبِ[6].

---

(١) ديوانه: ١/١١٩، والأبيات من البسيط.

(٢) ديوانه: (فانصرفت بريِّها).

(٣) «ص»، «ر»: (أراد أوردت بمعنىٰ أوردت...) تحريف.

(٤) «ص»، «ر»: (حتىٰ الأمال). تحريف.

(٥) ديوانه: ٢/١١٠٨، وفيه: وليلٍ كأثناء الرويزي جبته
وقال: يريد طيلسانًا، وأثناؤه: أطرافه، جبته: قطعته. والبيت من الطويل.

(٦) نقل محقق ديوان ذي الرمة في هامشه رواية الموازنة وشركها فيه مجموعة عديدة من المصادر، وقال: هي رواية جيدة عالية، ونقل الخبر الذي ساقه نقلًا عن ابن عساكر عن أبي حاتم السجستاني=

وفي شدَّةِ ظلمةِ اللَّيلِ يقولُ البحتريُّ أَيضًا(١):

والليْـلُ فـي صِـبْغ الغُـراب كأَنَّمَـا ❁ هُـوَ فـي حُلُوكَتِـهِ وإِنْ لَـمْ يَنْعَـبِ
حَتَّـىٰ تَجَلَّـىٰ الصُّـبْحُ مِـن جَنَبَاتِـهِ ❁ كالماءِ يَلْمَعُ في خِلَالِ الطُّحْلُبِ(٢)

وهذا معنًىٰ ما سمعتُ في شعرٍ قديمٍ ولا محدثٍ أَحسنَ ولا أَروعَ منه.

ثمَّ قالَ:

والعِيسُ تَنْصُلُ مِنْ دُجَاهُ كَمَا انْجَلَىٰ ❁ صِبْغُ الشَّبَابِ عَنِ القَذَالِ الأَشْيَبِ
يَطْلُـبْنَ مُجْتَمَـعَ العُـلَا مِـنْ وَائـلٍ ❁ في ذلـكَ الأَصْـلِ الزَّكِيِّ الطَّيِّـبِ(٣)

[١٩٤/٢/أ] وقالَ البحتريُّ(٤):

سَوْفَ أُعْطي السُّلُوَّ والصَّبْرَ مَا أَمْـ ❁ ـنَـعُ مِـنْ طَـارِفِ الهَـوَىٰ وتَلِيـدِ
بالمَهَـارَىٰ يَلْبَسْـن ثَوْبًـا جَدِيـدًا ❁ مُسْـتَفَادًا فِـي كـلِّ وَقْـتٍ جَدِيـدِ
فَهْيَ طُـولَ النَّهَـارِ بـيضٌ وطُـولَ الْـ ❁ ـلَيـلِ فـي أَقْمُـصٍ مِـنَ الليـلِ سُـودِ
طَالبـاتٌ فـي الغَيْـثِ غيثًـا سـكُوبًا ❁ وحميـدًا فـي آل عبـدِ الحميـدِ

وقالَ محمَّدُ بنُ عليٍّ القُمِّيُّ(٥):

= قال: (سمعت الأصمعي يقول: قلت ليونس: ما أراد ذو الرمة بقوله: «وليل كجلباب العروس». فقال يونس: لا أحسب الجن تقع علىٰ ما وقع عليه ذو الرمة وفطن له، قوله: «ليل كجلباب العروس»، يقول: ليل طويل كقميص العروس في الطول، لأن العروس تجرُّ أذيالها).

(١) ديوانه: ٨٠/١، والبيتان من الكامل. وفي ديوانه: (لون الغراب كأنه).
(٢) ديوانه: (في جنابته... من وراء..).
(٣) ديوانه: (الأطيب).
(٤) ديوانه: ٧٦٩/٢، والأبيات من الخفيف. وفيه: (والتليد).
(٥) ديوانه: ١٤٩٣/٣، والأبيات من الطويل. =

لَقَـدْ عَلِمَـتْ عِيدِيَّـةُ العِيسِ أَنَّنِـي ✽ أَهُـــبُّ إِذَا نَـــامَ الهِــدَانُ وأُعْنِـــقُ

خرجنا بها في البِيضِ بِيضًا لَمْ نَرَ الدْ ✽ دَآدِئَ إِلَّا وَهْـــيَ مِـــنْهُنَّ أَمْحَـــقُ[1]

هَشَـمْنَ إِلَـىٰ ابْـنِ الهَاشِـمِيَّةِ أَوْجُهًـا ✽ عَـــوَابِسَ للظَّلْمَـــاءِ مَـــا تَتَطَلَّـــقُ[2]

قولُه: «خَرَجْنَا بها في البِيضِ»، يريدُ في الليالي البيضِ، وهي التي يكونُ القمرُ فيها طالعًا من أَوَّلِهَا إلىٰ آخرِهَا.

وقولُه: «بِيضًا»: يريدُ الآدَمَ من الإِبلِ، وهو الأَبيضُ، فإِنْ خالَطَتْهُ حُمرَةٌ فهوَ أَصْهَبُ، وأَظنُّه قالَ ها هنا بيضًا أَرادَ حُسْنَها وصفاءَ أَلوانِهَا وسِمَنِهَا.

والدآدي: هي الليالي في آخرِ الشَّهرِ، وهي مظلمةٌ.

أي لم نصلْ إليها حتىٰ هزلتْ مطايانا، وصارتْ أَمْحَقَ منها، وإِنَّما جعلَ الدآدئ ممحقةً لأَنَّها آخرُ الشهرِ.

والهِدَانُ: الرجلُ البليد الذي ترضيهِ بالكلمةِ [٢/١٩٤/ب] فيرضىٰ.

وقالَ[3]:

وأَرَىٰ المَطَايَـــا لَا قُصُـــورَ لهـــا ✽ عَـــنْ لَيْـــلِ سَـــامِرَّاءَ تَدَّرِعُـــهْ

يَطْلُـــبْنَ عِنْـــدَ فَتَـــىٰ رَبِيعَـــةَ مَـــا ✽ عِنْـــدَ الرَّبِيـــعِ تَخَايَلَـــتْ بُقَعُـــهْ

قولُه: «تَخَايَلَتْ»، أَي صارتْ مُخِيلَةً للنباتِ، ظاهرًا ذلك فيها، أَو أَن يريد

= والعيدية: النجائب نسبة إلىٰ فحل يقال له: العيد.
وأخب: من خبب الفرس، الهدان: الثقيل في الحرب، أو الأحمق.
أعنق: أن تسير الدابة سيرًا واسعًا فسيحًا.

(١) «ص»، «ر»: (خرجت).
(٢) ديوانه: (عوانس البيداء).
(٣) ديوانه: ١٢٤٩/٢، والبيتان من الكامل، وفي ديوانه: (لا قصور بها).

صارتْ كالخيلانِ من النباتِ.

وقالَ[1]:

كـالبُرَىٰ فـي البُـرَىٰ ويُحْسَـبْنَ أَحْيَـا ❖ نًـا نُسُـوعًا مَجْدُولَـةً فـي النُّسُـوعِ
أَبْلَغَتْنَـا مُحَمَّـدًا فَحمِـدْنَا ❖ حُسْـنَ ذَاكَ المَرْئـي والمَسْـمُوعِ

وقالَ[2]:

ومَـا ثَنَـىٰ مُسْـتَهَامًا عَـنْ صَـبَابَتِهِ ❖ مِثْلُ الزَّمَاعِ وَوَجْدِ العِـرْمِسِ الأُجُدِ
إِلـىٰ أَبـي نَهْشَـلٍ ظَلَّـتْ رَكَائِبُنَـا ❖ يَجِـدْنَ مِـنْ بَلَـدٍ نَـاءٍ إِلـىٰ بَلَـدِ[3]
إِلىٰ فَتًىٰ مُشْرِقِ الأَخْلَاقِ لَوْ سُبِكَتْ ❖ أَخْلَاقُهُ مِنْ شُعَاعِ الشَّمْسِ لَمْ تَـزِدِ

وقد جعلَ البحتريُّ مكانَ الناقةِ ها هنا فرسًا فقالَ في مدحِ الشَّاهِ بنِ ميكَالَ[4]:

فتَنَـاسَ مَـنْ لَـمْ تَـرْجُ رَجْعَـةَ وُدِّهِ ❖ وَوِصَـالِهِ فَتَعَـزَّ عَـنْ ذِكْـرَاهُ
بِمُجَنَّـبٍ رَحْـبِ الفُـرُوجِ مُشَـذَّبٍ ❖ نَـابِي القَـذَالِ حَدِيـدَةٌ أُذُنَـاهُ[5]
ضَـافِي السَّـبِيبِ مُقَلَّـصٍ لَـمْ تَنْخَـزِلْ ❖ مِنْـه القَطَـاةُ ولـم تَخُنْـهُ شَـظَاهُ[6]

---

(١) ديوانه: ٢/١٢٨٠، والبيتان من الخفيف.

(٢) ديوانه: ١/٥٧٤، والأبيات من الطويل.
الزماع: المضاء في الأمر، العرمس: الناقة الصلبة الشديدة، الأجد: الناقة القوية الموثقة الخلق.

(٣) ديوانه: (يخدين).

(٤) ديوانه: ٤/٢٤٣١، والأبيات من الخفيف.

(٥) المجنب: من التجنيب، وهو انحناء وتوتير في رجل الفرس، وهو مستحب، وتعني أيضًا: المقود، المشزب: الطويل القليل اللحم، القذال: من الفرس: معقد العذار خلف الناصية.

(٦) السبيب: من الفرس: شعر الذَّنب، المقلص: المشرف طويل القوائم مضمر البطن، تنخزل: تتراجع، القطاة: مقعد الرديف من الفرس، الشظى: عظم مستدق لازق بالركبة.

[١٩٥/٢/أ] صافي الأديم كأنَّ غرةَ وجهِهِ ❁ فَلَـقُ الصَّـبَاحِ انْجَـابَ عنـهُ دجـاهُ

يَجْرِي إِذَا جَرَتِ الجِيَادُ عَلَى الوَنَى ❁ فَيَبَـــذُّ أُولَـــى جَرْيِهـــا أُخْـــرَاهُ

يُـــدْنِيكَ مِـــنْ مَلِـــكٍ أَغَـــرَّ سَـــمَيْدَعٍ ❁ يُـدْنِيكَ مِـنْ أَقْصَـى مُنَـاهُ رِضَـاهُ[١]

وقد خَرَجَ أَبو تَمامٍ من المدحِ بوصف الخيلِ أَيضًا فقالَ[٢]:

حَـــذَوْنَاهَا الـــوَجَى والأَيْـــنَ حَتَّـــى ❁ تَجَـاوَزَتِ الرُّكُـوعَ إِلَـى السُّـجُودِ

إِذَا خَرَجَـتْ مِـنَ الغَمْـرَاتِ قُلْنَـا ❁ خَرَجْـتِ حَبَائِسًـا إِنْ لَـمْ تَعُـودِي

فَكَـمْ مِـنْ سُـؤْدُدٍ أَمْكَنْـتِ مِنْـهُ ❁ بِرُمَّتِـــهِ عَلَـــى أَنْ لَـــمْ تَسُـــودِي

أَهَانَـــكِ لِلطِّـــرَادِ - وَلَـــمْ تَهُـــونِي ❁ عَلَيْـــهِ ولِلْقِيَـــادِ - أَبُـــو سَـــعِيدِ

وقد جعلَ البحتريُّ أَيضًا السفينةَ بمكانِ النَّاقةِ فقالَ[٣]:

وَرَمَـتْ بِنَـا سَـمْتَ العِـرَاقِ أَيَـانِقٌ ❁ سَـحْمُ الخُـدُودِ لُغَـامُهُنَّ الطُّحْلُـبُ

مِـنْ كُـلِّ طَـائِرَةٍ بِخَمْـسِ خَوَافِـقٍ ❁ دُعْـجٍ كَمَـا ذُعِـرَ الظَّلِـيمُ المُهْـذِبُ

يَحْمِلْـــنَ كُـــلَّ مُفَـــرَّقٍ فـــي هِمَّـــةٍ ❁ فُضُلٍ يَضِيقُ لها الفَضَاءُ السَّبْسَبُ[٤]

رَكِبُـــوا الفُـــرَاتَ وأَمَّلُـــوا ❁ نَشْوَانَ يُبْدِعُ في السَّمَاحِ ويُغْرِبُ[٥]

قوله: أَيَانِقٌ جمعُ أَيْنُقٌ، وهو جمعُ نَاقةٍ.

---

(١) «ص»: في الأصل (مناه) وصححت حديثا إلى: (مناك).

(٢) شرح الصولي: ١/٤٣٦، شرح التبريزي: ٢/٣٥، والأبيات من الوافر.

(٣) ديوانه: ١/٧٣، والأبيات من الكامل.

أيانق: جمع الجمع للناقة، اللغام: زَبَد الجمل.

(٤) ديوانه: (يضيق بها).

(٥) ديوانه: (وأملوا جذلان).

وهذا من المقلوبِ الذي جاءَ في كلامِهِمْ؛ لأَنَّ النونَ من شأْنِهَا أَن تتقدَّمَ الياءَ فلو جاءَ علىٰ الاستقامةِ لكان [٢/١٩٥/ب] أَنِيق وأَنايِق، وهذا مثلُ مَلَكٍ ومَلائكَةٍ، والأَصل مَأْلَكٌ وَمَآلِكَةٌ.

وقولُه: «سُحْمِ الخَودِ»، يريدُ سَوادَ القَارِ.

ولُغَامُهُنَّ الطُّحْلُب: يريدُ الخضرةَ التي تَتَعَلَّقُ بالسُّفُنِ من طولِ المُكْثِ في الماءِ.

وقولُه: «خَمْس خَوَافِق» يريدُ أَربعةَ مجاديفٍ، وسكان، أَو قائم الشِّراعِ.

ودُعْجٌ: سَوادُ القَارِ أَيضًا.

وقوله: «كما ذُعِرَ الظَّلِيمُ» يريدُ سرعةَ السفنِ، وانْبِعَاثَها كما يَنْبِعثُ الظليمُ ويَجْفُل إِذا فَزِعَ.

والإِهْذَابُ: السُّرْعَةُ.

وقولُه يَحْمِلْنَ كلَّ مُفَرَّقٍ أَي مُتَقَسَّمٍ في هِمَّةٍ فُضُلٍ أَي همَّةٍ واحدةٍ يضيقُ لها الفضاءُ لِعِظَمِهَا وسَعَتِها.

والفُضُلُ: الثوبُ الواحدُ الذي يقتصرُ[1] عليه الرجلُ والمرأَةُ ويبتَذِلُهُ للأَعمالِ قال امرؤُ القيس:

لَـمْ تَنْتَطِـقْ عَـنْ تَفَضُّـلِ[2]

---

(١) «ص»، «ر»: (يعسر) تحريف.

(٢) ديوانه: ص١٧، وتمام البيت:

وَتُضْحي فَتِيتُ المِسكِ فوق فراشها ✤ نؤومُ الضُّحىٰ لم تَنْتَطِقْ عن تَفضُّلِ

وهو من الطويل.

وأَظنُّ البحتريَّ أَرادَ بقولِهِ: «فُضُل» أَي همّةٌ واحدةٌ وجُهُوهَا إِليكَ دُون مَنْ سِوَاكَ، وجعلَها عظيمةً علىٰ قدرِ الممدوحِ، أَي اتسعتْ الهمَّةُ فيكَ وعظمتْ؛ قد تقسمتهُ وصارَ لا فضلَ فيه لغيرِها.

وهذه أَبياتٌ حسانٌ.

وقد قالَ أَبو تمامٍ في السفينةِ والمسيرِ فيها إِلىٰ الممدوحِ في قصيدةٍ أَوَّلُها[1]:

دَنِـفٌ بَكَـىٰ آيَـاتِ رَبْـعٍ مُـدْنَفِ ❊ لَـوْلَا نَسِـيمُ تُرَابِـهِ لَـمْ يُعْـرَفِ

أَبْياتًا رديئةً جدًّا لم أَكتبها.

والجيدُ النادرُ في وصفِ السفينةِ قولُ [١٩٦/٢/أ] بَشَّارٍ يذكرُ مَسِيرَهُ إِلىٰ المَهْدِيِّ[2]:

وعَـذْرَاءَ لا تَجْـرَي بلَحْـمٍ ولا دَمٍ ❊ قليلـة شَـكْوَىٰ الأَيْـنِ مُلْجَمَـةِ الـدَّبْرِ

إِذا طَعَنَـتْ فِيْهـا القَبُـولُ تَشَمَّصَـتْ ❊ بِفُرْسَـانِهَا لا فـي وُعُـوثٍ ولا وَعْـرِ[3]

وإِنْ قَصَـدَتْ مَـرَّتْ عَلَـىٰ مُتَنَصِّـبٍ ❊ ذليلِ القَرَا لا شيءَ يفري كما يفري

تُلَاعِـبُ نِينَـانَ البُحُـورِ ورُبَّمَـا ❊ رَأَيْتُ نُفُوسَ القومِ من جَرْيها تَجْرِي

سَـمَوْنَا إِلـىٰ المْهـدِيّ قَصْـدًا وإِنَّمـا ❊ قَطَعْنَـا بِهـا أَمْـوَاجَ بَحْـرٍ إِلـىٰ بَحْـرِ[4]

---

(١) لم ترد هذه القصيدة في شرح الصولي، ووردت في شرح التبريزي: ٢/٣٩٤، وهي من الكامل. وقال محقق التبريزي في هامشه:
(لا توجد هذه القصيدة في س، م، لأبي العلاء فيما نقله عنه ابن المستوفي أقوال في شرحها، وقد ذكر المرزوقي بعض أبياتها).

(٢) ديوانه: ٣/٢٨٠، وفيه: (بعيدة شكوىٰ الأي)، والأين: التعب والإعياء. والأبيات من الطويل.

(٣) (تشمصت): نفرت وأسرعت.

(٤) لم يرد هذا البيت في ديوانه.

فبلغَ سيبويهِ قولَه: «نينَانَ البُحُورِ» فأَنكرَ ذلكَ، وزعمَ أَنَّ العربَ لا تجمعُ النونَ ـ وهو الحوتُ ـ وعلىٰ نِينَانٍ، فبلغَ ذلكَ بَشَّارًا، فقال: وَيْحَه: أَما يقولُ: حُوتٌ وحِيتَانٌ، وغُولٌ وغِيلانٌ، فكذلك نونٌ ونِينانٌ، وتوعَّدَ سيبويه ولَدَغَه فكفَّ سيبويهِ عن تتبُّعِ شعرِهِ، واحتجَّ بشيءٍ منه تقرُّبًا إِليه، واستكْفَافًا لشرِّهِ.

وللبحتريِّ في الخروجِ إِلىٰ المديحِ بذكرِ الإِبلِ غيرُ شيءٍ لو استقصيتُه، وأَتيتُ بجميعِ ما لأَبي تمامٍ فيه لطالَ البابُ، وما تركتُ لهما إِلا وسطًا ليسَ بجيِّدٍ ولا رديءٍ.

ولا خفاءَ بفضلِ البحتريِّ في سائر ما أَوردتُه علىٰ أَبي تمامٍ.



وهذا وجهٌ آخرُ من الخروجِ وخروجهما إلى المدحِ بمخاطبةِ النّساءِ

فمِنْ ذلكَ قولُ أَبي تمامٍ[1]:

لا تُنْكـرِي عَطَـلَ الكَـرِيمِ مِـنَ الغِنـىٰ ❊ فَالسَّـيْلُ حَـرْبٌ للمكـانِ العَـالِي
وتَنَظَّـرِي خَبَـبَ الرِّكَـابِ يَحُثُّهَـا ❊ مُحْيِـي القَـرِيضِ إِلـىٰ مُمِيـتِ المَـالِ

وهذا معنىٰ لطيفٌ حَسَنٌ.

ومنه قولُ البحتريِّ[2]:

وَلَـمْ أَنْسَـهَا عِنْـدَ الـوَدَاع ونَثْرِهَـا ❊ سَـوابِقَ دَمْـعٍ أُعْجِلَـتْ أَنْ تُنَظَّمَـا
وقالتْ هَلِ الفَتْحُ بنُ خَاقَانَ مُعْقِبٌ ❊ رِضًـا فَيَعُـودَ الشَّـمْلُ مِنَّـا مُلَأَّمَـا؟

وقولُه[3]:

قَامَتْ تُودِّعُنِي عَجْلىٰ وقد بَدَرَتْ ❊ سَـوَابِقٌ مِـنْ تُـؤَامِ الـدَّمعِ تُجْرِيهـا
واسْتَنْكَرَت ظَعَنِـي عَنْهَـا فَقَلْـتُ لَهَـا ❊ إِلىٰ الخَلْيفَةِ أَنْضَىٰ العيسَ مُنْضِيها[4]

وما أَكثرَ ما يستعملُ الشعراءُ في خروجِهِمْ[5] إِلىٰ المدحِ هذا الوجهَ.

ومن جيِّد ذلك قولُ جريرٍ[6]:

---

(١) شرح الصولي: ٢/٣٠٣، شرح التبريزي: ٣/٧٧، والبيتان من الكامل.
(٢) ديوانه: ٣/١٩٨٢، والبيتان من الطويل.
(٣) ديوانه: ٤/٢٤١٠، والبيتان من البسيط.
(٤) ديوانه: (أمضىٰ العيس ممضيها).
(٥) «ص»، «ر»: (خروجها).
(٦) ديوانه: ص٨٨، والأبيات من الوافر.

تَعَـــزَّتْ أُم حَـــزْرَةَ ثُـــمَّ قَالَـــتْ ❧ رَأَيْـــتُ المُـــورِدِينَ ذَوِي لُقَـــاحِ

تُعَلِّـــلُ وَهْـــيَ سَـــاغِيَةٌ بَنِيهـــا ❧ بِأَنْفَـــاسٍ مِـــنَ الشَّـــبِمِ القَـــرَاحِ

ســـأَمْتَاحُ البُحُـــورَ فَجَنِّبِينِـــي ❧ أَذَاةَ اللَّـــوْمِ وانْتَظِـــرِي امْتِيَـــاحِي

ثِقِـــي بـــاللهِ لَـــيْسَ لَـــهُ شـــريكٌ ❧ ومِـــنْ عِنْـــدِ الخليفـــةِ بالنَّجَـــاحِ



ورُبَّما خَرجَا إلى المدحِ بيمينٍ يحلفانِ بها

ومن ذلكَ قولُ أَبي تمامٍ[1]: [١٩٧/٢/أ]

حَلَفْتُ بِرَبِّ البِيضِ تَدْمَىٰ نُحُورُهَا ❊ ورَبِّ القَنَا المُنْآدِ والمُتَقَصِّدِ

لَقَدْ كَفَّ سَيْفُ الصَّامِتِيِّ مُحَمَّدٍ ❊ تَبَارِيحَ ثَأْرِ الصَّامِتِيِّ مُحَمَّدِ[2]

فالبيضُ: هي الأُدْمُ من الإبلِ، يقالُ: بعيرٌ آدَمٌ إذا كانَ أبيضَ.

وقولُه: «تباريح ثَأر» أَرادَ أَنَّ سيفَه كفَّ تَبارِيحَ ثأْرِهِ، أَي كفَّ ما برحَ بهِ من الثأْرِ حتىٰ أَدرَكَهُ.

ومن ذلكَ قولُه[3]:

لَا والَّذي هُوَ عَالِمٌ أَنَّ النَّوَىٰ ❊ صَبِرٌ وأَنَّ أَبَا الحُسَيْنِ كَرِيمُ

ما زِلْتُ عَنْ سَنَنِ الضَّمِيرِ ولا غَدَتْ ❊ نَفْسِي عَلَىٰ إِلْفٍ سِوَاكَ تَحُومُ[4]

ومن ذلك قولُ البحتريِّ[5]:

حَلَفْتُ بِمَا حَجَّتْ قُرَيْشٌ وحَجَّبَتْ ❊ وحَازَ المُصَلَّىٰ والحطيمُ وزَمْزَمُ

وأَهْلِ مِنًىٰ إِذْا جَاوَزُوا الخَيْفَ مِنْ مِنًىٰ ❊ وَهُمْ عُصَبٌ شَتَّىٰ مُحِلٌّ ومُحْرِمُ

---

(١) شرح الصولي: ١/٤٣١، شرح التبريزي: ٢/٢٤، والبيتان من الطويل، وعندهما: (تدمىٰ متونها).

(٢) قال الخارزنجي: (الأول: محمد بن يوسف هذا الممدوح، والآخر محمد بن حميد، الذي قتله بابك، وهما جميعًا من بني الصامت، أحد أجداد الممدوح). النظام جـ١ لوحة ٣٠٧.

(٣) شرح الصولي: ٢/٤١٩، شرح التبريزي: ٣/٢٩٠، والبيتان من الكامل.

(٤) الصولي والتبريزي: (سنن الوداد).

(٥) ديوانه: ٣/١٩٢٨، والأبيات من الطويل.

يُهِلُّونَ مِنْ حَيْثُ ابْتَدَا الصُّبْحُ يَرْتَقِي ❁ سَنَاهُ إِلىٰ حَيْثُ انبَدَا الليلُ يُظْلِمُ[1]
لَقَدْ جَشِمَ الفَتْحُ بنُ خَاقَانَ خُطَّةً ❁ من المَجْدِ لَا يَسْطِيعُها المُتَجَشِّمُ[2]

ومن ذلك قوله[3]:

وشَمَائِلِ الحَسَنِ بنِ وَهْبٍ إِنَّهَا ❁ في المَجْدِ ذَاتُ شَمَائِلٍ وجَنَائِبِ
لَيُقَصِّرَنَّ لَجَاجُ شَوْقٍ غَالِبٍ ❁ وَلِيَقْصِّرَنَّ لَجَاجُ دَمْعٍ سَاكِبِ

[١٩٧/٢/ب] وهما في هذا البابِ متكافئانِ.



(١) ديوانه: (انتهىٰ الليل).
(٢) ديوانه: (ما يسطيعها).
(٣) ديوانه: ١٥٩/١، والبيتان من الكامل.

وربّما خرجا إلى المدح بذكر الغيث ومباراته

فمن ذلكَ قولُ أَبي تمامٍ(١):

أَيُّهَـا الغَيْـثُ حَـيِّ أَهْـلًا بِمَغْـدَا ❊ كَ وعِنْـدَ السُّـرَىٰ وحِـينَ تَئُـوبُ
لأَبِـي جَعْفَـرٍ خَلَائِـقُ تَحْكِيـ ❊ ـهِنَّ قَـدْ يُشْبِهُ النَّجِيـبَ النَّجِيـبُ

وهذا ليسَ بالشهيِّ، ولا الحلوِ العذبِ.

والجيدُ النادرُ قولُ البحتريِّ(٢):

أَقُـولُ لِثَجَّـاجِ الغَمَـامِ وقَـدْ سَـرَىٰ ❊ بِمُحْتَفَـلِ الشُّـؤْبُوبِ صَـابَ فَعَمَّمَـا:
أَقِـلَّ وأَكْثِـرْ لَسْـتَ تَبْلُـغُ غَايَـةً ❊ تَبِـينُ بِهَـا حَتَّـىٰ تُضَـارِعَ هَيْثَمَـا(٣)

وأَجودُ من هذا وأَحلىٰ وأَبلغُ قولُه يمدحُ المتوكلَ(٤):

قَـدْ قُلْـتُ لِلغَيْـثِ الرُّكَـامِ وَلَـجَّ فِـي ❊ إِبْرَاقِـهِ وأَلَـحَّ فـي إِرْعَـادِهِ:
لَا تَعْرِضَـنَّ لِجَعْفَـرٍ مُتَشَـبِّهًا ❊ بِنَـدىٰ يَدَيْـهِ فَلَسْـتَ مِـنْ أَنْـدَادِهِ

ومن الجيِّد النادرِ في هذا البابِ أَيضًا قولُه(٥):

رِبَـاعٌ تَـرَدَّتْ فـي الرِّيَـاضِ مَجُـودَةٌ ❊ بِكُـلِّ جَدِيـدِ المـاءِ عَـذْبِ المَـوَارِدِ

(١) شرح الصولي: ٣٣٨/١، شرح التبريزي: ٢٩٢/١، والبيتان من الخفيف.
(٢) ديوانه: ٢٠٨٧/٤، والبيتان من الطويل.
(٣) هو أبو القاسم الهيثم بن عثمان الغنوي، قائد من أهل الجزيرة، اشترك في حرب بابك.
(٤) ديوانه: ٧٠٣/٢، والبيتان من الكامل.
(٥) ديوانه: ٦٤٢/١، والأبيات من الطويل.

إِذَا رَاوَحَتْهَـا مُزْنَـةٌ بَكَـرَتْ لَهَـا ❊ شَـآبِيبُ مُجْتَـازٍ عَلَيْهـا وقَاصِـدِ[1]
كَـأَنَّ يَـدَ الفَـتْحِ بـنِ خَاقَـانَ أَقْبَلَـتْ ❊ تَلِيهَـا بِتِلْـكَ البَارِقَـاتِ الرَّوَاعِـدِ

وقالَ[2]: [١٩٨/٢/أ]

سُـقِيَتْ رُبَـاكِ بِكُـلِّ نَـوْءٍ جاعـلٍ ❊ مـن وَبْلِـهِ حقًّـا لهـا معلومَـا
فَلَـوَ انَّنِـي أُعْطِيـتُ فِـيهِنَّ المُنَـىٰ ❊ لَسَـقَيْتُهُنَّ بِكَـفِّ إِبْرَاهِيمَـا[3]
بِسَـحَابَةٍ غَـرَّاءَ مُتْئِمَـةٍ إِذَا ❊ كَانَ الجَهَامُ مِنَ السَّحَابِ عَقِيمَا[4]

فقولُهُ: «سُقيتْ رُبَاكِ» ـ بيتٌ ليسَ بالبارعِ لفظًا ولا معنىً، وما بعدَهُ جيِّدٌ حلوٌ.

وإِنَّما خَصَّ الجَهَامَ لأَنَّه الذي قد كانَ فيه ماءٌ فأَراقَهُ، ومثلُه لا يكونُ عقيمًا. جَعَلَهُ كالمرأَةِ الوالدِ.

وقالَ [أَبو تمامٍ] في هذا المعنىٰ أَيضًا[5]:

شَـجًا فـي الحَشَـا تَـرْدَادُهُ لَـيْسَ يَفْتُـرْ ❊ بِـه صُـمْنَ آمَـالِي وإِنِّـي لَمُفْطِـرُ
حَلَفْـتُ بِمُسْـتَنِّ المُنَـىٰ تَسْتَرِشُّـهَا ❊ سَـحَابَةُ كَـفٍّ بالرَّغَائِـبِ تُمْطِـرُ[6]
إِذَا دَرَجَـتْ فِيـهِ الصَّـبا كَفْكَفَـتْ لَهَـا ❊ وقَـامَ يُبَارِيهـا أَبُـو الفَضْـلِ جَعْفَـرُ[7]

---

(١) «ص»، «ر»: (مجتابٍ).
(٢) ديوانه: ١٩٦٥/٢، والأبيات من الكامل.
(٣) هو إبراهيم بن الحسن بن سهل، كان أبوه وزيرًا للمأمون، وقد تزوج المأمون بوران ابنة الحسن، أما إبراهيم فيروىٰ أنه كان حاجبًا للمتوكل.
(٤) «ص»، «ر»: (من السحاب عظيمًا). والمتئم: المرأة التي تلد اثنين في بطن واحد.
(٥) شرح الصولي: ٥٥٣/١، شرح التبريزي: ٢١٤/٢، والأبيات من الطويل.
(٦) عند الصولي والتبريزي: (تسترشه).
(٧) عند الصولي والتبريزي: (درجت منه).

وهذه أَلفاظٌ ومعانٍ ونسجٌ في غايةِ الرداءَةِ والهَجَانَةِ، والبعدِ منَ البلاغةِ والبراعةِ، على ما فيها من التعقيدِ واتفاقِ المعاني.

فقولُه: «حَلَفْتُ» يعني نَفْسَه.

و«مُسْتَنُّ المُنَى»: المحلُّ الذي يستنُّ فيه المنى، أَي يَطَّردُ، يَذْهَبُ ويَجِيءُ ويكثرُ، يريدُ محلَّ الممدوحِ وساحتَهُ.

وقولُه: «يَستَرشُّهَا» إِنَّما أَرادَ يَسترشُّ سَحَابَةَ كَفٍّ فقالَ: «يَسْتَرشُّها» فقدَّمَ الكنايةَ، وجعلَ «سحابة كف» بدلًا من الهاءِ والألفِ.

يقولُ: حللت بمحلّ تَسْتَنُّ فيه المُنى، وتَطْلُبُ رَشَاشَ سَحَابَةِ كَفٍّ.

[٢/١٩٨/ب] وقوله: «إِذا دَرَجَتْ فيهِ الصِّبَا» يريدُ في مُسْتَنِّ المُنَى، كَفْكَفَتْ لَهَا أَي للسحابةِ.

وكَفْكَفْتْ: أَي دنتْ وقَرُبتْ.

و«قَامَ يُبَارِيها» أَي يباري الصَّبَا بِسَحَابَةِ كَفِّهِ أَبُو الفَضْلِ جعفرُ.

وهذان البيتانِ لا يتصلان بالبيتِ الأَوَّلِ، وإِنَّما كانَ وجهُ الكلامِ أَنْ يقولَ: شجًا في الحشا كانَ تَردادُهُ ليسَ يَفْتُرُ، وكانت آمالي به صائِمةً، فَحَلَلْتُ بِمُسْتَنِّ مُنًى مِنْ حَالِهِ وصِفَتِهِ، حتى يتصلَ الكلامُ بعضُه ببعضٍ.

والحذفُ والاختصارُ في كلامِ العربِ موجودٌ، ولكن ليسَ في مثلِ هذا.

ومن هذا البابِ، وفيه بعضُ الغموضِ، قولُه[١]:

---

(١) شرح الصولي: ١/٥٧٠، شرح التبريزي: ٢/٢٤٦، والبيتان من الكامل.

إِنَّ الـــذي خَلَــقَ الخَلَائِــقَ قَاتَهَــا ❊ أَقْوَاتَهـــا لِتَصَـــرُّفِ الأَحْـــرَاسِ

فَـالأَرْضُ مَعْـروفُ السَّـمَاءِ قِـرًى لَهَـا ❊ وبَنُــو الرَّجَــاءِ لَهُــمْ بَنُــو العَبَّــاسِ

يريدُ أَنَّ اللهَ تعالىٰ ، جعلَ أَقواتَ عبادِهِ من وجوهٍ مختلفةٍ علىٰ قدرِ أَزمانِهَا .

وَالأَحْرَاسُ : الدُّهورُ ، واحدُها حَرْسٌ .

يقولُ : فالأَرضُ إِنَّما تحيا بما تَقْرِيها السماءُ من الغَيْثِ ، وبنو الرَّجاءِ لهم بنو العباسِ ، أَي بنو الرجاءِ بنو العباسِ لهم ، أَي لهم عِصْمَةٌ ، كما يقالُ : اللهُ لك ، أَي مُعِينٌ ومُغِيثٌ .

ويجوزُ أَنْ يكونَ أَبو تمام ذهبَ في ذكرِ الأَرضِ والغيثِ ها هنا وجَعْلِ بني العباسِ رجاءَ الناسِ لذلك ؛ لأَنَّ الناسَ في أَيامِ عمرَ بنِ الخطابِ رحمة اللهِ عليهِ احتبسَ عنهُمُ المطرُ [١٩٩/٢/أ] فأَخذَ عمرُ بضَبُعِ العَبَّاسِ وقال : اللهم إِنَّ هذا عمُّ نبيِّكَ ، اللهم اسقِنَا غيثَكَ ، فما بَرِحَ الناسُ حتىٰ وافاهم المطرُ ، فلعلَّ أَبا تمامٍ ذهبَ إلىٰ هذا المعنىٰ ، واللهُ أعلمُ .

والبيتانِ رديئان نسجًا ولفظًا .

ولا محالةَ أَنَّ البحتريَّ أَيضًا في هذا البابِ ـ يتقدَّمُ أبا تمامٍ .



وهذا وجهٌ آخرُ في خروجِهما إلى المدحِ
وهو وصفُ الرياضِ[1]، وتشبيهُ أخلاقِ الممدوحِ بها

فمن ذلكَ قولُ أَبي تمامٍ[2]:

مِنْ فَاقِعٍ غَضٍّ النَّبَاتِ كَأَنَّهُ ❊ دُورٌ يُشَقَّقُ قبلُ ثمَّ يُزَعْفَرُ

صُنْعُ الذي لَوْلَا بَدَائعُ صُنْعِهِ ❊ مَا عَادَ أَصْفَرَ بَعْدَ إِذْ هُوَ أَخْضَرُ[3]

خُلُقٌ أَطَلَّ من الربيعِ كأَنَّهُ ❊ خُلُقُ الإِمَامِ وَهَدْيُهُ المُتَيَسِّرُ

فقولُه: «خُلُقٌ أَطلُّ كأَنَّه خُلُق الإِمامِ» معنى صحيحٌ.

«وهَدْيُهُ المُتَيَسِّرُ» فالهديُ: سَمْتُهُ ودَلُّهُ وشَكْلُه، و«المُتَيَسِّر» قافيةٌ رديئةٌ جدًّا.

ومثلُه قولُ البحتريِّ[4]:

وَيُرِيكَ الأَحْبَابُ يَوْمَ تَلَاقٍ ❊ باعْتِنَاقِ الحَوْذَانِ والأُقْحُوانِ

صَاغَ مِنْهَا الرَّبِيعُ شَكْلًا لِأَخْلا ❊ قِ حُسَيْنٍ [ذِي] الجُودِ والإِحْسَانِ[5]

[١٩٩/٢/ب] وهذا أَيضًا خُرُوجٌ ليستْ له قوةُ لفظٍ ولا حلاوةَ فيهِ ولا معنى.



(١) «ص»، «ر»: (وصف الرياح) تحريف.

(٢) شرح الصولي: ٥٣٨/١، شرح التبريزي: ١٩٥/٢، والأبيات من الكامل.

(٣) عند الصولي والتبريزي: (بدائع لطفه).

(٤) ديوانه: ٢١٩٨/٤، والبيتان من الخفيف.

(٥) يعني ممدوحه الحسين بن الحسن بن سهل. وما بين المعقوفين ساقطة من «ص»، «ر».

وهذا وجهٌ آخرُ من خروجهما إلى المدحِ

منهُ قولُ أَبي تمام[1]:

صُبَّ الفِرَاقُ عَلَيْنَا صُبَّ مِنْ كَثَبٍ ❊ عليه إِسْحاقُ يَوْمَ الرَّوعِ مُنْتَقِمَا[2]

وهذا خروجٌ حسنٌ[3].

وقالَ أَيضًا[4]:

فَلْيُبْلغِ الفِتْيَانُ عَنِّي مَأْلكًا ❊ أَنِّي مَتَى يَتَثَلَّمُوا أَتَهَدَّمِ

ولْتَعْلَمِ الأَيَّامُ أَنِّي فُتُّهَا ❊ بأَبِي الحُسَيْنِ مُحَمَّدِ بنِ الهَيثْمِ

قولُه: «مأْلكًا»: جمع مَأْلكةٍ، وهي الرِّسَالةُ، ونَصَبَهَا علىٰ الحالِ.

وقالَ أَبو تمامٍ أَيضًا[5]:

وَعَاذِلٍ هَاجَ لِي بِاللَّوْمِ مَأْرُبَةً ❊ بَاتَتْ عَلَيْهَا هُمُومُ الصدرِ تصطخبُ

لَمَّا أَطَالَ ارْتِجَالَ العَذْلِ قُلْتُ لَهُ ❊ الحَزْمُ يُثْنِي خُطُوبَ الدَّهْرِ لَا الخُطَبُ

لَمْ يَجْتَمِعْ قَطُّ في مِصْرٍ ولَا طَرَفٍ ❊ مُحَمَّدُ بنُ أَبِي مَرْوَانَ والنُّوَبُ[6]

---

(١) شرح الصولي: ١/٤٣٤، شرح التبريزي: ٣/١٦٨، والبيت من البسيط.

(٢) (إسحاق)، مستدركة في هامش: «ص».

(٣) قال السيد صقر رحمه الله: (بل هو خروج رديء) وإنه لكذلك.

(٤) شرح الصولي: ٢/٤٢١، شرح التبريزي: ١/٢٤٢، والبيتان من الكامل.

(٥) شرح الصولي: ١/٣٠١، شرح التبريزي: ١/٢٤٢، وفيهما: (هموم النفس)، والأبيات من البسيط.

(٦) «ص»: (لم يجتمع خط) تحريف.

قولُه: «الحَزْمُ يَثْني خُطوبَ الدهرِ» ليس بواجبٍ قاطعٍ على كلِّ حالٍ، ولو كانَ ذلكَ كذلكَ لما رأَيتَ حازمًا قطّ يصيبُه خطبٌ من الدهرِ يكرهُهُ، ولكنَّه لمَّا كانَ الحزمُ قد يفعلُ ذلك صَلُحَ أن يذكرَهُ.

وقالَ أَبو تمامٍ(١):

يَـا أَيُّهَـذَا السَّـائِلي أَنَـا شَـارِحٌ ❊ لـكَ غَـائِبِي حتَّـىٰ كأَنَّـك حَاضِـرُهْ

[٢٠٠/٢/أ] إِنِّي ونَصْرًا والرِّضَا بِجِوَارِهِ ❊ كـالبَحْرِ لَا يَبْغـي سِـوَاهُ مُجَـاوِرُهْ

مَـا إِنْ يَخَـافُ الخَـذْلَ مِـنْ أَيَّامِـهِ ❊ أَحَـدٌ تَـيَقَّنَ أَنَّ نَصْـرًا نَاصِـرُهْ

قولُه: «أَنا شارحٌ لك غائِبي» لستُ أَراهُ شرحَ شيئًا، وإِنَّما ذكرَ أَنَّ رضاه بجوارِ نصرٍ كالبحرِ لا يبغي سواهُ مجاورُه، وهذا خبرٌ مُخْتَصرٌ؛ والشرحُ لا يكونُ في نصفِ البيتِ.

فأَمَّا قولُه: «ما إِنْ يَخَافُ الخَذْلَ» فليسَ يتعلَّقُ بقولِهِ: «أَنا شارحٌ لك غائِبي حتىٰ كأَنك حاضره».

وقد أَخبرَ البحتريُّ بخبرٍ حسن هو أَولىٰ بالشرح من أَبي تمامٍ فقالَ(٢):

ومِنْ غَرَائِـبِ مَا تَـأْتِي الخُطُـوبُ بِـهِ ❊ فـي أَوَّلٍ مِـنْ صُـروفِ الـدَّهْرِ أَوْتَـالِ

أُحْدُوثَـةٌ عَجَـبٌ أُنْبِيـك عَـنْ خَبـرِي ❊ فيهـا وعَـنْ خَبَـرِ الشَّـاهِ بـنِ مِيكَـالِ(٣)

فَـرَرْتُ مِنْـهُ حَيَـاءً مِنْ قُصُـورِيَ عَـنْ ❊ جَزَاءِ مَا زَادَ في جَاهِي وفي مَالِي(٤)

(١) شرح الصولي: ٥٤٩/١، شرح التبريزي: ٢١٠/٢، والأبيات من الكامل.

(٢) ديوانه: ١٧٢١/٢، والأبيات من البسيط.

(٣) الشاه بن ميكال: من القواد الذين خدموا المستعين ومن تلاهما، حتىٰ المكتفي، توفي سنة ٣٠٢هـ.

(٤) «ص»: (حياء عن).

لَـوْ لَـمْ أُعَوِّضْـهُ شـكْرًا عَـنْ تَطَوُّلِـهِ ❊ إِذْ لَـمْ أُقَابِلْـهُ إِفْضَـالًا بِإِفْضَـالِ[1]

وقد ذكرَ هذا المعنىٰ في غيرِ موضعٍ، وإِنَّما أذكرُهُ في أَبوابِهِ إِذا جاءَتْ بإذنِ اللهِ.

وقالَ البحتريُّ[2]:

لَعِمْـرُ أَبِـي الأَيَّـامِ مَـا جَـارَ حُكْمُهَـا ❊ عَلَـيَّ ولَا أَعْطَيْتـهُ ثِنْـيَ مِقْـوَدِي

وكَيْـفَ أَخَـافُ الحَادِثَـاتِ وصَـرْفَها ❊ عَلـيَّ وَدُونـي أَحْمَـدُ بـنُ مُحَمَّـدِ[3]

[٢/٢٠٠/ب] وقال[4]:

فَإِنْ أَرَابَ صَدِيقِي فـي الـوِدَادَ فكَـمْ ❊ أَمْسَـيْت أَحْـذَرُ مَـا قَـدْ كنْـتُ آمُلُـهُ

يَكْفِيكَ مِـنْ عُـدَّةٍ فـي الـدَّهْرِ تَجْعَلُهـا ❊ ذُخْـرًا سَـمَاحُ أَبِـي بَكْـرٍ ونَائِلُـهُ[5]

وقالَ[6]:

لَا أَمْـدَحُ المَـرْءَ أَقْصَـىٰ مَـا يَجُـودُ بـهِ ❊ نَيْـلٌ يُكَسِّـرُ مِـنْ حَافَـاتِ جُلْمُـودِ

حَسْـبِي بِأَحْمَـدَ إِحْسَـانًا يُبلِّغُنِـي ❊ مَـدَىٰ الغِنَـىٰ وبِفِعْـلٍ مِنْـهُ مَحْمُـودِ

قوله: «وبِفِعلٍ مِنه مَحْمودِ»، يريدُ معونَتُهُ إِيَّاهُ علىٰ أُمورِهِ، وبَذْلِهِ جاهَهَ له:

---

(١) «ص»، «ر»: (لِمْ لِمْ)، (إذ لم أكايله).

(٢) ديوانه: ٧٧٢/٢، والبيتان من الطويل. وسبق البيت الأول في ١٥٨/٢.

(٣) هو أحمد بن محمد بن المدبر، ولاه المتوكل سبعة دواوين: الخراج والضياع، والنفقات الخاصة والعامة والصدقات والموالي والغلمان والجند، قبض عليه ابن طولون في مصر وهو والي الخراج، وحبسه ثم أطلقه المعتضد، وفي ٢٦٧هـ وثب عليه ابن طولون وحبسه وأخذ أمواله، ومات في حبس ابن طولون سنة ٢٧٠هـ.

(٤) ديوانه: ١٨٢٩/٣، والبيتان من البسيط.

(٥) ديوانه: (للدهر).

(٦) ديوانه: ٥٧/١، والبيتان من البسيط، وفي «ص»: (ما تجود به) تصحيف.

ومن طريفِ خروجِ البحتريِّ وعجيبِهِ قولُه(١):

إِذَا الرِّجَالُ اعْتَمْتَ أَجوادَهم ✽ فَاسْمُ إِلى الأَشْرَفِ فَالأَشْرَفِ
ادْفَعْ بِأَمْثَالِ أَبِي غَالِبٍ ✽ عَادِيَةَ العدم أَوِ اسْتَعْفِفِ

[ومن نادرِ قولِه(٢):

إِذَا بَاكَرَتْهُ غَادِيَاتُ هُمُومِهِ ✽ أَرَاحَ عَلَيْهَا الرَّاحَ حَمْرَاءَ كَالوَرْدِ
كَأَنَّ سَنَاها بِالعَشِيِّ لِشَرْبِهَا ✽ تَبَلُّجُ عِيسَىٰ حِينَ يَلْفُظُ بِالْوَعْدِ]

ومن جيِّدِ ذلك ونادرِهِ أَيضًا قولُه(٣): [٢٠١/٢/ب]

يَرْجُو البخيلُ اغْتَرارِي أَوْ مُخَادَعَتِي ✽ حتَّىٰ أَسوقَ إِليه المَدْحَ مَجَّانَا
لأَكْسُوَنَّ بَنِي الفَيَّاضِ مِنْ مِدَحِي ✽ مَا بَاتَ مِنْه لَئِيمُ النَّاسِ عُريانَا

وهذا في غايةِ الحسنِ.

وقالَ(٤):

---

(١) ديوانه: ١٣٦٠/٣، والبيتان من السريع.

(٢) ديوانه: ٧٥٩/٢، والبيتان من الطويل، وقد سقطا من نشرة السيد صقر ﷺ. والقصيدة في مدح أبي الفرج عيسىٰ بن إبراهيم. [ما بين المعقوفين أشار إليه الدكتور عبد الله محارب رحمه الله، ولكن لم يثبته في المتن، ولعلَّ الموت سبق، وقد رجعتُ إلىٰ ديوان البحتري ووجدت محققه أشار إلىٰ البيتين اللذين سقطا، فأثبتهما. وكان المتن الذي وصلني علىٰ هذا النحو: «ومن نادر ضد بالغه قوله:
ومن جيد ذلك ونادره أيضًا قوله:...» فاجتهدت في إثبات ما يفهم]. الشرقاوي

(٣) ديوانه: ٢١٥١/٤، والبيتان من البسيط، يمدح أبا الحسن علي بن محمد بن الحسين بن الفياض، من أهلِ دير العاقول، وكان كاتبًا لإسحاق بن كنداج.

(٤) ديوانه: ٢٠٩٦/٤، والبيتان من البسيط.

هَـلِ الشَّـبَابُ مُلِمٌّ بِـي فَرَاجِعَـةٌ ❊ أَيَّامُـهُ لِـي فـي أَعْقَـابِ أَيَّـامِي
لَـوْ أَنَّـهُ نَائِـلٌ غَمْـرٌ يُجَـادُ بِـهِ ❊ لَقَـدْ تَطَلَّبْتُـهُ عِنْـدَ ابـنِ بسْـطَامِ[1]

وهذا أَيضًا خروجٌ حسنٌ طريفٌ.

ومن جيدِ خروجِهِ أَيضًا قولُه[2]:

لِتَسْـرِيَنَّ قَـوَافِي الشِّـعْرِ مُعْجَلَـةً ❊ مَـا بَـيْنَ سُـيَّرِهِ المُثْلَـى وشُـرَّدِهِ
جَوَازِيًـا حَسَـنًا مِـنْ حُسْـنِ أَنْعُمِـهِ ❊ وعَنْ بَوَادِيه في الجَدْوَى وعُوَّدِهِ[3]

ومن طريفاتِ الخروجِ أَيضًا قولُ أبي تمامٍ[4]:

تَدَاوَ مِنْ شَوْقِكَ الأَقْصَى بِمَا فَعَلَتْ ❊ خَيْـلُ ابـنِ يُوسُـفَ والأَبْطَـالُ تَطَّـرِدُ
ذَاكَ السُّـرورُ الـذِي آلَـتْ بَشَاشَـتُهُ ❊ أَنْ لَا يُجَاوِرَهَـا فِـي مُهْجَـةٍ كَمَـدُ

وهذا ـ لعمري ـ معنىً في غاية الحسنِ والحلاوةِ.

وقالَ أَبو تمامٍ[5]:

تَـواتَرَتْ نَكَبَـاتُ العُسْـرِ تَرْشُـقُنِي ❊ بِكُـلِّ صـائِبَةٍ عَـنْ قَـوْسِ عَضْـبَانِ

---

(١) هو الممدوح أو العباس أحمد بن محمد بن بسطام.

(٢) ديوانه: ٤٩٩/١، والبيتان من البسيط.

(٣) يمدح الحسن بن مخلد وترجمته ١٦٩/٤.

(٤) شرح الصولي: ٤٢٤/١، شرح التبريزي: ١٢/٢، والبيتان من البسيط، من قصيدة في مدح محمد ابن يوسف الطائي وشرحه الصولي فقال: أي تسلَّ عن غمك بفراق أحبتك بسرورك بما فتحت خيل ابن يوسف.

(٥) شرح الصولي: ٢٨/٣، شرح التبريزي: ٣١٢/٣، والأبيات من البسيط. عند الصولي: (نكبات البين) وعند التبريزي (نكبات الدهر).

مَـدَّتْ عِنَـانَ رَجَـائِي فَاسْـتَقَدْتُ لَهَـا ❊ حَتَّىٰ رَمَتْنِيَ فِي بَحْرِ ابْنِ حَسَّانِ[1]
بَحْـرٌ مِـنَ الجُـودِ يَرْمِـي مَوْجُـهُ زَبَـدًا ❊ حَبَابُــهُ الــوِرْقُ مَقْــرُونٌ بِعِقْيَــانِ[2]

وهذا من لفظِ العوامِ وأشعارِ الصبيانِ.

ومن رديءِ خروجِهِ أيضًا قولُهُ[3]: [٢٠١/٢/ب]

وَدِّعْ فُــؤَادَكَ تَوْدِيــعَ الفِــرَاقِ فَمَــا ❊ أَرَاهُ مِــنْ سَــفَرِ التَّوْدِيــعِ مُنْصَــرِفَا
يُجَاهِـد الشَّـوْقَ طَـوْرًا ثُـمَّ يَجْذِبُـهُ ❊ جِهَـادُهُ القَـوافي فـي أَبِـي دُلَفَـا[4]

وقد أَصلَحَهُ الناسُ: «مُجَاهَدَاتُ القَوافي»، وبقي ما لا يمكنُ إِصلاحُهُ وهو قبحُ قولِهِ: «يَجْذِبُهُ»، فإِنَّها لفظةٌ بشعةٌ.

ومجاهدتُهُ للقوافي أَيضًا معنىً رديءٌ، وإِنما كانَ ينبغي أَنْ يقولَ[5]:

إِنَّ الشعرَ يُيسَّرُ فيهِ، وتطَّردُ قوافيهِ بمدحهِ لكثرةِ فضائلهِ، ويأتي فيه عَفْوًا، ولا يتَعَذَّر، كما قالَ[6]:

تَغَـايَرَ الشِّـعْرُ فيـهِ إِذْ سَـهِرْتُ لَـهُ ❊ حَتَّـىٰ ظَنَنْـتُ قَوَافِيــهِ سَــتَقْتَتِلُ

ومن رديءِ خُرُوجِهِ أَيضًا قولُه[7]:

---

(١) عند الصولي والتبريزي: (حتىٰ رمت).
(٢) عند الصولي والتبريزي: (فضة زينت بعقيان)، وفي «ص»، «ر»: (موجه أبدا) تحريف.
(٣) شرح الصولي: ٥١/٢، شرح التبريزي: ٣٦٢/٢، والبيتان من البسيط.
(٤) في «ص»، «ر»: (الشوق طرًا)، (مجاهدته القوافي) تحريف.
(٥) (كان ينبغي أن يقول) مكررة في «ص».
(٦) شرح الصولي: ١٧٨/٢، وشرح التبريزي: ١٠/٣، والبيت من البسيط.
(٧) شرح الصولي: ٥٠٦/٣، شرح التبريزي: ٤٥٧/٤، والبيتان من الكامل، في «ص»، «ر»: (أن سهرت) تحريف.

يَعْجَبْنَ مِنِّي أَنْ سَمَحْتُ بِمُهْجَتِي ❀ وكَذَاكَ أَعْجَبُ مِنْ سَمَاحَةِ جَعْفَرِ
مَلِكٌ إِذَا الحاجاتُ لُذْنَ بِحِقْوِهِ ❀ صَافَحْنَ كَفَّ نَوَالِهِ المُتَيسِّرِ

فلم عَجِبَ من سماحةِ جعفرٍ؟ وإنَّما العَجَبُ من سماحةِ البخلاءِ، فأَمَّا الكرماءُ الذين من عاداتهم البذلُ فما وجهُ التَّعَجُّبِ من سماحتِهِمْ؟

وليسَ في البيتِ الثاني ما يوجبُ التَّعجُّبَ، وإنما ذكرَ فيه أَنَّ نواله متيسّرٌ، وهو بيتٌ رديءٌ.

ومن رديءِ خروجهِ أيضًا لفظًا ومعنىٰ قولُه[1]: [٢٠٢/٢/أ]

يقولُ أُنَاسٌ في حَبِينَاءَ عَايَنُوا ❀ عِمارةَ رَحْلِي مِنْ طَرِيفٍ وتَالِدِ
أَأَظْهَرْتَ كَنْزًا أَمْ صَبَحْتَ بِغَارَةٍ ❀ ذَوِي غِرَّةٍ حَامِيهُمُ غَيْرُ شَاهِدِ[2]
فَقُلْتُ لَهُمْ: لَاذَا ولا ذَاكَ دَيْدَنِي ❀ ولَكِنَّنِي أَقْبَلْتُ مِنْ عِنْدِ خَالِدِ[3]

وهذا من معاني العوامِّ أَنْ يقولوا لمن رأَوا حالَه قد حَسُنَتْ: عَلىٰ مَنْ أَغَرْتَ أَو أَيّ كنز وجدت؟ وما ظننتُ مثلَ هذا يُنْظَمُ في شعرٍ.

وقولُه: «أَقْبَلْتُ مِنْ عِنْدِ خَالِدِ» كلامُ الفارغِ، وإِنَّما كانَ ينبغي لمن ابتلاهُ اللهُ بهذا المعنىٰ أَنْ يقول في جوابِهِم: نعم، كنزُ خالدٍ، وأَغارَ علىٰ ندىٰ خالدٍ، ولكنّه ـ لعمري ـ بَيَّنَ المعنىٰ في البيتِ الثاني، وعرَّفهم سببَ عِمَارَةِ رَحْلِه بأَنْ قالَ:

جَذَبْتُ نَدَاهُ غُدْوَةَ السَّبْتِ جَذْبَةً ❀ فَخَرَّ صَرِيعًا بَيْنَ أَيْدي القَصَائِدِ

(١) شرح الصولي: ٤٢٠/١، شرح التبريزي: ٥/٢، والأبيات من الطويل.
(٢) عند الصولي والتبريزي: (أصادفت).
(٣) هو خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني وترجمته في ٣٧٣/٣.

وهذا وأَبيهِ معنىً مُتَنَاهٍ في بَرْدِهِ وغَثَاثَتِه وركاكتِهِ، ولَشتِيمَةُ الممدوحِ عندي بالزِنىٰ أَحسنُ وأَجملُ مِنْ جَذْبِ نداه حتىٰ يَخرَّ صَرِيعًا!!!

ولو لم يُعْلِمْنَا أَنَّ ذلك كان غُدْوَةَ السبتِ كيف كانَ يتمُّ بَرْدُ المعنىٰ.

و«حَبِينَاءُ»: اسمُ موضعٍ، في غايةِ القبحِ والهجانةِ، فإِنَّهم وإِنْ كانوا قالوا ما قالوا له في هذا الموضعِ فإِنَّه لم يكنْ مضطرًا إِلىٰ ذكرهِ، كما أَنَّه لم يكُ مضطرًا إِلىٰ ذكرِ غُدْوةِ السَّبْتِ.

ومن سبيلِ الشاعر أَنْ لا يذكرَ إِلَّا ما حسُنَ من أَسماءِ المواضعِ، وأَن يعتمدَ أَسماءَ المواضع الغريبةِ المتكررةِ في أَشعارِ الفصحاءِ؛ أَلا ترىٰ أَنَّ الفَرَزْدَقَ أنكرَ [٢٠٢/٢/ب] علىٰ مالكِ بن أَسْمَاءَ بنِ خَارِجَةَ(١) وقد أَنشدَهُ:

حَبَّـــذَا لَيْلَتِـــي بِتِـــلِّ بَوَنَّـــا(٢)

فقال: وأَفسدت أَبياتك بذكر بَوَنَّا، فقالَ له: ففي: «بَوَنَّا» كان ذلك، قالَ: وإِن كانَ.

ومن خروجِهِ الرديءِ قولُه(٣):

يَـدُ الشَّـكْوىٰ أَتَتْـكَ عَلَـىٰ البَرِيـدِ ✤ تُمَـدُّ بهـا القَصَـائِدُ مِـنْ نَشِـيدِ

---

(١) هو مالك بن أسماء بن خارجة الفزاري، وآباؤه سادة غطفان. وكان شاعرًا غزلًا رفيعًا، تزوج الحجاج أخته هند، ثم غضب به وسجنه، ثم أخرجه وولاه أصبهان ثم عزله عنها وسجنه، وهرب من سجنه. وكان جميلًا، التقىٰ بعمر بن أبي ربيعة.

(٢) في الأغاني، أنه هو الذي عاب عليه هذا البيت، وعجزه:

حينَ نُسْعىٰ شراتنا ونُغَنَّىٰ

الأغاني ساس: ١٠٣٩، والشعر والشعراء ٧٨٢.

(٣) شرح الصولي: ٤٩٨/١، شرح التبريزي: ١٣٣/٢، والأبيات من الوافر.

تُقَلِّــبُ بَيْنَهَــا أَمَــلًا جَدِيــدًا ❁ تَــدَرَّعَ حُلَّتَــيْ طَمَــعٍ جَدِيــدِ
شَـكوتُ إِلىٰ الزمـانِ نُحُـولَ جِسْـمِي ❁ فَأَرْشَــدَنِي إِلــىٰ عَبْــدِ الحَمِيــدِ

فقولُه: «تُقَلِّب بينها» يعني القصائِدَ.

وقولُه: «أَمَلًا جديدًا حلتي طمع جديد»(١) لفظٌ رديءٌ جدًّا؛ لأَنَّ معنىٰ الطمعِ والأَملُ والرجاءُ معنىٰ واحدٌ في مقاصدِ الناسِ واستعمالِهِم، تقولُ: أَنا آملُ من اللهِ تعالىٰ الفرجَ، كما تقول: أَطمع وأَرجو، وإِنما يُنْسَقُ بعضها علىٰ بعض لاختلافِ اللفظِ.

وتقولُ: قد انقطعَ من فلانٍ الطمعُ، وانقطعَ الأملُ، وانقطعَ الرجاءُ.

وكذلك خابَ.

فإن كانَ بينَ هذه الأَلفاظ فرقٌ في أَصلِ وضعِ الكلامِ [فقد أُجريت](٢) مُجْرىٰ واحدًا فلا فائدةَ إذًا في قوله: «أَمَلًا جَدِيدًا تَدرَّعُ حُلَّتَيْ طَمَعٍ جَدِيدِ».

ولو كانَ قالَ: تَدَرَّعُ حُلَّتَيْ عزمٍ جديدٍ كانَ أَولىٰ بالصوابِ، إِن شاءَ اللهُ.

قولُه: [٢٠٣/٢/أ]

شَكَوْتُ إِلىٰ الزَّمَانِ نُحُولَ جِسْمِي ❁ فَأَرْشَــدَنِي إِلــىٰ عَبْــدِ الحَمِيــدِ

لو كانَ عبدُ الحميدِ طبيبًا كانَ يكونُ معنىٰ البيتِ مستقيمًا؛ لأَنَّ الرجلَ المُعْتَرَّ(٣) الطالبَ الجدوىٰ لا يشكو نحول جسمِهِ إِلىٰ ممدوحِهِ الذي يلتمسُ

---

(١) «ص»: (أمل جديد).

(٢) زيادة لازمة.

(٣) «ص»: (المقتر) تحريف.

الفضلَ منهُ، وإِنَّما يشكو إليه اختلالَ الحالِ، وقصورَ اليد، فأَمَّا أَنْ يشكوَ إليه نحولَ الجسمِ فإِنَّ ذلك غايةُ الخناعةِ[1] والنَّذالةِ والانحطاطِ في المسأَلةِ.

إِنَّه[2] يخبرُهُ بشدةِ جوعِه وأَن ذلك هو الذي أَذابَ لحمَهُ، وهذا لا يقولُهُ شاعرٌ علىٰ هذا الوجهِ، بل إِنما يذكرُ الخمصَ بوجهٍ[3] حسنٍ، ولفظٍ معتادٍ.

ونحولُ الجسمِ فإِنَّما يشتكي إِلىٰ الحبيبِ إِذا كانَ من غلَّةٍ أَو عشقٍ.

ولو كانَ قالَ: شكوتُ إِلىٰ الزمانِ قصورَ حالٍ، كانَ أَشبهَ من نحولِ الجسمِ الذي قد يكونُ من أَشياءَ كثيرةٍ.

أَو لو كانَ هَجْرَ حبيبٍ وما لَحِقَهُ من الضَّنَىٰ والسَّقَمِ لَصَلُح أَنْ يجعلَ شكواهُ إِلىٰ الممدوحِ كما قالَ أَبو نواسٍ[4]:

سَأَشْكُو إِلىٰ الفَضْل بن يحيىٰ بنِ خالدٍ ❊ هَـوَاكُم لَعَـلَّ الفَضْـلَ يَجْمَـعُ بَيْنَنَـا

فقالَ الفضلُ: جعلني قوّادهُ، وإِنَّمَا أَرادَ أَبو نواسٍ لعلَّ الفضلَ يُثيبنُي بما أَصِلُ به إِلىٰ الاجتماعِ معكم.

وهذا البابُ في الخروجِ من النسيبِ إِلىٰ المديحِ ممَّا لا خفاءَ بفضلِ البحتريِّ فيهِ علىٰ أَبي تمامٍ.



(١) «ص»، «ر»: (الصناعة) تحريف.

(٢) «ص»، «ر»: (أنما يخبره).

(٣) «ص»، «ر»: (وجه).

(٤) ديوان أبي نواس: ١/١٩٦، وفيه: (هواكِ).

[٢٠٣/٢/ب] ## وللمتأخرين خروجات ظريفة حلوة نادرة



فمن ذلك قولُ ابنِ وُهَيْبٍ[١]:

رُبَمَا أَبيتُ مُعَانِقِي قَمَرٌ ❊ للحُسْنِ فيه مَخَايِلٌ تَضِحُ
نَثَرَ الجُمَانُ عَلَىٰ مَحَاسِنِهِ ❊ بِدَعًا وأَذْهَب هَمَّهُ الفَرحُ[٢]
يختال في وَدَقِ الشبابِ به ❊ مَرِحٌ ودَاؤُك أَنَّه مَرِحُ[٣]
ما زال يُلْثِمُني مَرَاشِفَهُ ❊ ويُعِلُّني الإبريق والقَدَحُ
حتىٰ اسْتَردَّ الليلُ خِلْعَتَهُ ❊ ونَشَا خِلَال سَوَادِهِ وَضَحُ
وبَدَا الصَبَّاحُ كَأَنَّ غُرَّتَهُ ❊ وَجْهُ الخَليفَةِ حين يُمْتَدحُ[٤]

وحسبُكَ بهذا حسنًا يزيدُ علىٰ كلِّ ما تقدَّمَ للطائيَّيْن.

ومن المذاهبِ الطريفةِ في بابِ الخروجِ قولُ بكرِ بن النَّطَّاحِ الحنفيِّ[٥] في قصيدةٍ يمدحُ فيها مالكًا الخُزَاعِيَّ:

---

(١) ديوانه في «شعراء عباسيون» ص٦٨ ، (شعراء عباسيون د. يوسف السامرائي ، عالم الكتب ، مكتبة النهضة العربية ، بيروت سنة ١٩٩٠). والأبيات من الكامل.

(٢) ديوانه: (نشر الجمال).

(٣) ديوانه: (في خلل الشباب).

(٤) يمدح الخليفة المأمون.

(٥) بكر بن النطاح الحنفي أبو وائل ، قيل هو عجلي ، شاعر غَزِلٌ من فسان بني حنيفة ، من أهل يمامة ، انتقل إلىٰ بغداد في زمن الرشيد ، كان شاعرًا حَسَن الشعر كثير التصرف فيه ، وكان صعلوكًا يقطع الطريق ، ثم اقتصر علىٰ ذلك ، اتصل بأبي دلف العجلي فجعل له رزقًا عاش فيه إلىٰ أن توفي «طبقات الشعراء لابن المعتز ٢١٧ ، والأغاني ١٥٣/١٧ ، والحماسة ١٢٨٥/٣».

عَرَضْتُ عليها ما أَرَادَتْ مِنَ الْمُنَىٰ ❖ لِتَرْضَىٰ فقالتْ: قُمْ فَجِئْني بِكَوْكَبِ[1]
فَقُلْـتُ: لهـا هــذا التَّعَنـتُ كُلُّـهُ ❖ كَمَـنْ يَتَشَـهَّىٰ لَحْـمَ عَنَقَـاءَ مُغْـرِبِ
فَلَوْ أَنني أَصْبَحْتُ في جُـودِ خَالِـدٍ ❖ وعِزَّتِـهِ مـا نـال ذلـك مَطْلَبِـي[2]
فَتًـىٰ شَـقِيتْ آمَالُـهُ بِسَـمَاحِهِ ❖ كما شَـقِيَتْ قيسٌ بأَرْمَـاحِ تَغْلِـبِ

ونحوُهُ قولُ الخليعِ[3] في كلمةٍ يمدحُ فيها عاصمًا الغَسَّاني[4]: [٢٠٤/٢/أ]

أَقـول ونفسـي بَـيْن شَـوْقٍ وحَسْـرَةٍ ❖ وقد شخصَتْ عيني ودَمْعِي عَلَىٰ خَدِّي
أَرِيحـي بقتـلِ مَـنْ تركْـتِ فَـؤَادَه ❖ بِلَحْظَتِـهِ بَـيْنَ التَّأَسُّـفِ والجَهْـدِ[5]
فقالـت: عَـذَابٌ بـالهَوَىٰ قَبْـلَ مِيتَـةٍ ❖ وَمَوْتٌ إذا أَقْرَحْتَ قلْبَك مِنْ بَعْدِي[6]
لَقَـد فَطِنَـتْ بـالجُودِ فِطْنَـةَ عَاصِـمٍ ❖ لِصُنْعِ الأَيَادِي الغُرِّ في طلبِ الحَمْدِ

وهذا يسمِّيهِ قومٌ «الاستطرادُ»، وهو حسنٌ جدًّا.



---

(١) شعر بكر بن البطاح ص٧، صنعة حاتم صالح الضامن، مطبعة المعارف، بغداد سنة ١٩٧٥، والأبيات من الطويل.

(٢) ديوانه: (في جود مالك)، وهو الصحيح لأنه يمدح مالك الخزاعي.

(٣) هو الحسين بن الضحاك ينسب إلىٰ باهلة، بصري المولد والمنشأ من شعراء الدولة العباسية، وأحد ندماء الخلفاء من بني هاشم. شاعر أديب ظريف مطبوع حسن التصرف في الشعر حلو المذهب لشعره قبول ورونق صاف، وكان أبو نواس يغير علىٰ شعره، وينسبه إليه، وفي الخمر خاصة، عمر عمرًا طويلًا حتىٰ قارب المئة، ومات في خلافة المستعين، أو المنتصر. (الأغاني ساس ١٦/١٦٥).

(٤) الأغاني ساس ١٦/١٩٧، وفيه: (بين شوق وزفرة)، (علىٰ الخد). والأبيات من الطويل.

(٥) الأغاني: (أجيري علىٰ من قد تركت...).

(٦) الأغاني: (بالهوىٰ مع قربكم)، (إذا أقدحت قلبك بالبعد).

بابُ المدحِ

أَولُ ما أَبدأُ بهِ من مدائحهِمَا ذكرُ السؤْددِ والمجدِ وعلوِّ القدرِ، ثم ما يخصُّ الخلفاءَ من ذلك دونَ غيرهم: من ذكرِ الخلافةِ وما يتصرَّف عليه القولُ من معانيها.

وذكرُ المُلْكِ والدولةِ.

وذكر ما يخصُّ أَهلَ بيت النبوةِ من المدحِ دون مَنْ سواهم: من ذلك ذكرُ طاعتهم، والمحبة لهم، والمعرفةِ لحقِّهم.

وذكرُ الآلةِ التي كانتْ للنبيِّ ﷺ فصارتْ إليهم.

وذكرُ الآثارِ بالحرم، وذكرُ علوِّ القدرِ وعظمِ الفضلِ.

وذكرُ تأييدِ الدينِ وتقويةِ أَمرِهِ.

وذكرُ الرأفةِ والرحمةِ، وذكرُ إقامةِ العدلِ وإقامةِ الحقِّ.

وذكرُ سدادِ الرأيِ وحسنِ السياسةِ والتدبيرِ والاضطلاعِ بالأمورِ والحلمِ والعقلِ.

وذكرُ الجلالِ والجمالِ والبهاءِ والجهارةِ والهيبةِ.

وذكرُ كَرَمِ [٢/٢٠٤/ب] الأَخلاقِ ولينها.

وذكرُ ما ينبغي أن يمدحَ به الخلفاءُ من الجودِ والكرمِ.

وذكرُ ما ينبغي أَن يُمدحوا به من الشجاعةِ والبأْسِ.

أمرُ الخلافةِ وما يصرّفُ عليهِ القولُ من معانيها



قالَ أَبو تمامٍ في المعتصمِ:

إنَّ الخَليْفَـةَ حِـينَ يُظْلِـمُ حَـادِثٌ ❊ عَيْنُ الْهُدَىٰ ولَهُ الخِلَافَةُ مَحْجِرُ[1]

كَثُـرَتْ بِـهِ حَرَكَاتُهَـا ولقَـد تُـرَىٰ ❊ مِـنْ فَتْـرَةٍ وكَأَنَّهَـا تَتَفَكَّـرُ[2]

مَـا زِلْـتُ أَعْلَـمُ أَنَّ عَقْـدَ مَرَامِهـا ❊ فـي كفِّـه مُـذْ خُلِّيَـتْ تَتَخَيَّـرُ[3]

قوله: «كثرتْ به حركاتُها»، يريدُ بهِ ظهورَ الأَمرِ والنهيِ والتدبيرِ والسياسةِ.

ويريدُ بالفَتْرَةِ ما كانَ من إِهمالِ هذه الأَشياءِ، و«كأَنَّها تتفكَّر» لفظٌ ليسَ بالحلوِ ولا الشَّهيِّ ها هنا.

وقالَ فيهِ:

فَـلَاذَت بِحِقْوَيْـهِ الخِلَافَـةُ والْتَقَـتْ ❊ علـىٰ خِـدْرِهَا أَرْمَاحُـهُ ومَنَاصِـلُهْ[4]

أَتَتْـهُ مُعِـدًّا قَـدْ أَتَاهَـا كَأَنَّهَـا ❊ ولا شَـكَّ كَانَـتْ قَبْـلَ ذَاكَ تُرَاسِـلُهْ

فالبيتُ الأولُ جيِّدٌ بالغٌ.

والبيتَ الثاني في غايةِ السُّخْفِ والرداءَةِ؛ لأَنَّه جعلَ الخلافةَ قد أَتتهُ، وجعلَهُ قد أَتاها، وكانَ ينبغي أَن يقتصرَ إِتيانه [٢٠٥/٢/أ] إِيَّاها، أَو إِتيانُها إِيَّاهُ وهو أَجودُ.

---

(١) شرح الصولي: ٥٣٩/١، شرح التبريزي: ١٩٦/٢، والأبيات من الكامل.

(٢) «ص»، «ر»: (حركاته فلقد ترىٰ من فكره).

(٣) عند الصولي والتبريزي: (أن عقدة أمرها).

(٤) شرح الصولي: ١٩٩/٢، شرح التبريزي: ٢٦/٣، وفيهما (ولاذت)، والبيتان من الطويل.

فأَمَّا أَن يجمعَ بين الحالين فمَا وجهُهُ؟ وكانَ ينبغي أَن يُعْلِمَنَا لما توجّه كلُّ واحدٍ إلىٰ صاحبِهِ: أَين التقيا؟ أَفي منتصفِ الطريقِ؟ [أو غيره][1].

وقصدَ هذا الرجلُ الإغرابَ في الأَلفاظِ والمعاني؛ ومن ها هنا فسد أَكثرُ شعرِهِ.

وقولُه[2]: «ولا شكَّ» من سخيفِ الأَلفاظِ وسَفْسَافِهَا، وهي حَشْوٌ رديءٌ، وليسَ بالبيتِ إِليه حاجةٌ.

والجيِّدُ النادرُ في هذا قولُ البحتريِّ في المهديّ باللهِ[3]:

بَــارَكَ اللهُ للخليفــةِ فــي المُلْــ ❊ ــكِ الــذي حَــازَهُ لَــهُ المِقْــدَارُ
رُتْبَــةٌ مِــنْ خِلَافَــةِ اللهِ قَــدْ طَــا ❊ لَــتْ بهــا رِقْبَــةٌ لَــهُ وانْتِظَــارُ
طَلَبَتْــهُ فَقْــرًا إِلَيْــهِ ومَــا كَــا ❊ نَ بِــهِ سَــاعَةً إِليهــا افْتِقَــارُ[4]

ومثلُهُ في الجودةِ قولُه فيهِ[5]:

---

(١) الزيادة من النظام: جـ٢ لوحة ٢٤٨.

(٢) «ص»، «ر»: (وقولك) تحريف.

(٣) ديوانه: ٢/٨٥٣، والأبيات من الخفيف.

(٤) «ص»، «ر»: (فقرٌ إليه) تحريف. وقد ساقَ ابنُ المستوفي تعليق الآمدي علىٰ بيتي أبي تمام، وبعد أبيات البحتري التي ذكرها الآمدي قال ابن المستوفي: (أعمل القول في الكلام علىٰ قوله: «وما كان به ساعة إليها افتقار» كيف لا يكون به افتقار إليها، وهي تالية النبوة، دوارته الرسالة والمنصب الذي دونه كل ولاية، والمحل الذي يقصر عنه كل ولاية، وقد أحسن عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب:

وعــين الرضــا عــن كــل عيــب كليلــة ❊ ولكــن عــين السـخط تبـدي المسـاويا
ولســتُ بــراءٍ عيــب ذي الــود كلــه ❊ ولا بعــض مــا فيــه إذا كنــت راضــيا

(٥) ديوانه: ٢/٦٧٥، والبيتان من الطويل. وفيه: (سعت).

سَـــرَتْ تَتَبَغَّـــاهُ الخِلَافَـــةُ رَغْبَـــةً ❁ إِليـــهِ بِـــأَوْفَى قَصْـــدِهَا واعْتِمَادِهَـــا

فَمَـا عَلِقَتْـه خَـبْطَ عَاشِـيَةِ الـدُّجَى ❁ وَلَكِنَّهَـــا اخْتَارَتْـــهُ بَعْـــدَ ارْتِيَادِهَـــا

فهذه هي المعاني الصحيحةُ، واللفظُ المستقيمُ، والسَّبْكُ الرَّصِينُ.

وما أَحسنَ ما قال «سَلْمٌ الخَاسِر» في المَهْدِي(١):

هَبَطَـتْ إِليـكَ مـن السماءِ خِلَافَـةٌ ❁ دَفَعَـــتْ إِليـــكَ زِمَامَهَـــا وقيادَهـــا

[٢٠٥/٢/ب] ومثلُ قولِ البحتريِّ قول الحطيئة(٢):

أَنـت الإِمـام الـذي مِـنْ بَعْـدِ صَاحِبِهِ ❁ أَلْقَـى إِليـكَ مَقَالِيـدَ النُّهَـى البَشَـرُ

مَـا آثَـرُوكَ بِهَـا إِذْ قَـدَّمُوكَ لَهَـا ❁ لَكِنْ بِكَ اسْتَأْثَرُوا إِنْ كانَت الأَثَرُ(٣)

وقال ابن هَرْمَةَ في المنصورِ:

ومـا النَّـاسُ أَعْطَـوْكَ الخِلَافَـةَ عَنْـوَةً ❁ ولكنَّـه مَـنْ يُعْلِـهِ اللهُ يَسْـتَعْلِي(٤)

ومن ذلك في الجودةِ قولُ البحتريِّ(٥):

اليَـــوْمَ أُطْلِـــعَ للخلافَـــةِ سَـــعْدُهَا ❁ وأَضَـــاءَ فِيهَـــا بَـــدرُها المُتَهَلِّـــلُ

---

(١) لم أجده فيما بين يدي من المصادر، وترجمة سلم الخاسر في ٢٢٤/٣، والبيت من الكامل.

(٢) ديوان الحطيئة برواية وشرح ابن السكيت، ص١٩٢، تحقيق د. نعمان محمد أمين طه، مكتبة الخانجي بالقاهرة سنة ١٩٨٧، والبيتان من البسيط. وفي ديوانه: (أنت الأمين)، (ألقت إليك).

(٣) ديوانه: (لم يؤثروك)، (لكن لأنفسهم كانت بها الإِثَرُ) والإثر واحدها الإِثْرَةُ، والجمع: الإثر والأثر لغتان أي: الخيرة والإيثار.

(٤) لم أجد البيت فيما لدي من المصادر، وهو من الطويل.

(٥) ديوانه: ١٧٥٤/٣، والأبيات من الكامل.

لَبِسَتْ جَلَالَةَ جَعْفَرٍ فكَأَنَّهَا ❊ سَحَرٌ تَجَلَّلَهُ النَّهارُ المُقْبِلُ[1]
جَاءَتْهُ طَائِعَةً وَلَمْ يُهْزَزْ لَهَا ❊ رُمْحٌ، ولم يُشْهَرْ عَلَيْها مُنْصُلُ[2]
أَنَّى وإِنْ كَانَتْ تَعَلَّتْ نَحْوَهُ ❊ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَقَعَ الفَضَاءُ فَتُعْقَلُ[3]
حتَّى أَتَتْهُ يَقُودُهَا اسْتِحْقَاقُهُ ❊ ويَسُوقُهَا حَظٌّ إِلَيْهِ مُقْبِلُ

ويروى: «ويسوقها حظٌّ إليهِ مُكمِلُ».

و«تُصْنَعُ» كانت ها هنا أَحسنَ من «تُعْقَلُ» فجاءَ بتعقل من أَجلِ القافيةِ.

وقالَ أَبو تمامٍ في الواثقِ[4]:

إِنَّ الخِلَافَةَ أَصْبَحَتْ حُجُرَاتُها ❊ ضُرِبَتْ عَلَى ضَخْمِ الهمُومِ هُمَامِ

ضخمُ الهَمُومِ: يريدُ ضَخْمَ الهِمَّةِ لا الهَمَّ الذي يراد بهِ الحُزْنُ، وهذا لفظٌ [٢٠٦/٢/أ] هجينٌ في هذا الموضعِ.

لَا قَدْحَ في عُودِ الخِلَافَةِ بَعْدَمَا ❊ مَتَّتْ إِليكَ بِحُرْمَةٍ وذِمَامِ[5]
هَيْهَاتَ تِلْكَ قِلَادَةُ اللهِ الَّتي ❊ ما كانَ يَتْرُكُهَا بغيرِ نِظَامِ
إِرْثُ النَّبيِّ وجَمْرَةُ المُلْكِ الَّتي ❊ لَمْ تَخْلُ مِنْ لَهَبٍ بِكُمْ وضِرَامِ
مَذْخُورَةٌ أَحْرَزْتَها بِحُكُومَةٍ ❊ للهِ تَشْدَخُ أَرْؤُسَ الحُكَّامِ[6]

---

(١) ديوانه: (تجلله الصباح).
(٢) «ص»، «ر»: (ولم يشهد) تحريف.
(٣) ديوانه: (تلفت نحوه).
(٤) شرح الصولي: ٣٦٧/٢، شرح التبريزي: ٢٥٧/٣، والبيت من الكامل.
(٥) شرح الصولي وشرح التبريزي: (عود الإمامة)، و«ص»، «ر»: (ثبتت إليك).
(٦) عند الصولي والتبريزي: (لله تعلو).

وقالَ أَبو تمامٍ في الواثقِ أَيضًا[1]:

جَعَــلَ الخِلَافَــةَ فيــه ربٌّ قَوْلُــهُ ❊ - سـبحانه - للشـيءِ: كُـنْ فَيَكُـونُ
ولَقَــدْ رَأَيْنَاهَــا لَــهُ بِقُلُوبِنَــا ❊ وظُهُـورُ خَطْـبٍ دُونَـهُ وبُطُـونُ[2]
وَلِـذَاكَ قِيـلَ: مِـن الظنـونِ جَلِيَّـةٌ ❊ صِدْقٌ وفـي بَعْـضِ القُلُـوبِ عُيـونُ[3]
ولَقَــدْ عَلِمْنَــا مُــذْ تَرَعْــرَعَ أَنَّــهُ ❊ لأَمِــين ربِّ العَــالَمِينَ أَمِــينُ

قولُه: «جعلَ الخلافةَ فيه رَبٌّ» بيتٌ في غايةِ الرّكَاكةِ والرّداءةِ؛ لأَنَّ مثلَ هذا إِنَّما يقالُ في الأَمرِ العجبِ الذي لم يكن يُقَدَّرُ ولا يُتَوَقَّعُ.

ولا يُظَنُّ أَنَّ مثلَه يكونُ، فيقالُ إذا وقعَ ذلكَ: قُدْرَةُ قَادِرٍ، وفِعْلُ من لا يعجزُهُ أَمْرٌ، ومَنْ يقول للشيء: كُنْ فيكونُ، فأَمَّا الأُمورُ التي لا يُتَعَجَّبُ منها، ولا تُستغربُ، والعاداتُ جاريةٌ بها وبما يشبهُهَا فلا يقالُ فيها مثلُ هذا، وإنَّما يُسَبَّحُ اللهُ تعالىٰ، [٢/٢٠٦/ب] وتُذْكَرُ قدرتُهُ علىٰ تكوينِ الأَشياءِ لَوْ جَاءُوا بِأَبِي العِبَرِ أَوْ بِجُحا فجعلوهُ خَلِيفةً.

فأَمَّا الواثقُ فما وجهُ تسبيحِ أَبي تمامٍ في أَنْ أَفضتْ إِليهِ الخلافةُ وأَبوهُ خليفةٌ وهو المعتصمُ، وجدُّه خليفةٌ وهو الرشيدُ، وجدُّ أَبيه خليفةٌ وهو المنصورُ، وأَخو جدِّهِ خليفةٌ وهو الهادي، وأَخو جدِّ جدِّهِ خليفةٌ وهو السَّفَّاحُ، وعمَّاهُ خليفتانِ: الأَمينُ والمأْمونُ؟ ثمانيةُ خلفاءِ هو تاسعُهم وقد عدَّد أَبو تمامٍ منهم خمسةً في البيتِ فقالَ[4]:

---

(١) شرح الصولي: ٤١/٣، شرح التبريزي: ٣٢٦/٣، والأبيات من الكامل.

(٢) قال التبريزي: (أي كنا نقدِّر أنها تصير إليه بالمخايل الدالة، وبينه وبينها مدة بعيدة).

(٣) «ص»، «ر»: (ولذلك).

(٤) في «ص»: (والمهدي والمنصور)، وصححت العبارة فوقها.

يَسْمُو بِكَ السَّفَّاحُ والمَنصُورُ الْـ ﴿ ـمهدِيُّ والمَعْصُومُ والمَأْمُونُ

وذكَرَ الرشيدَ قبلَ هذا بأبياتٍ، وشبَّه الواثقَ به قالَ:

[وَجَدُوا جَنَابَ المُلْكِ أَخْضَرَ] واجْتَلَوْا ﴿ هَارُونَ فيهِ كَأَنَّهُ هَارُونُ

فما وجهُ التعجُّب من خلافةِ مَنْ كانت هذه صورتُهُ؟

وقولُه: «ولَقَدْ رَأَيْنَاها لَهُ بِقُلُوبِنَا» وقولُه: «ولِذَاكَ قِيلَ مِنْ الظُّنُونِ جَلِيَّةٌ صِدْقٌ» فهذه كهانةٌ عجيبةٌ من أَبي تمامٍ في الواثق لم يفطنْ لها غيرُه!!!

وعلى أَنَّ هذين البيتين جَيِّدان في نظمِهِمَا ولفظِهِمَا، ولكنَّهُ وَضَعَ المعاني في غيرِ مواضعها.

وقولُه: «لأَمينِ ربِّ العَالَمين أَمِينُ» يعني محمدًا ﷺ.

وقد أَصابَ أَبو الجَنُوب مَرْوَانُ بنُ أَبِي حَفْصَةَ في هذا المعنى إِذْ يقولُ للأَمينِ[1]: [٢٠٧/٢/أ]

إِنَّ الخِلَافَةَ قَدْ تَبَيَّنَ نُورُهَا ﴿ للنَّاظرينَ عَلَى جَبِينِ مُحَمَّدِ

إِنِّي لأَعْلَمُ أَنَّهُ لَخَلِيفَةٌ ﴿ إِنْ بَيْعَةٌ عُقِدَتْ وإِنْ لَمْ تُعْقَدِ

وما أَحسنَ ما قالَ الحسينُ بنُ الضَّحاكِ البَاهِلَيُّ في المأْمونِ أَيضًا[2]:

رأَى اللهُ عَبْدَ الله خَيْرَ لِدَاتِهِ ﴿ فَمَلَّكَهُ واللهُ أَعْلَمُ بالعَبْدِ

(١) شعر مروان بن أبي حفصة ص٤١، جمع وتحقيق د. حسين عطوان، دار المعارف بالقاهرة، البيت الأول فقط، ص٤١، والثاني في: (الأوائل) لأبي هلال العسكري، والأول والثاني في (الورقة) لابن الجراح: ص٤٧، ووفيات الأعيان لابن خلكان: ٣١٥/٢. والبيتان من الكامل.
(٢) الأغاني (ساس): ١٧٥/٦، وفيه خبر طريف عن المأمون فانظره. والبيت من الطويل.

وقالَ البحتريُّ في المتوكِّلِ وزادَ علىٰ الإحسانِ(١):

اللهُ آثَـــرَ بالخِلَافَـــةِ جَعْفَـــرًا ❁ ورَآهُ نَاصِـــرَهَا الـــذي لا يُخْـــذَلُ
هِـيَ أَفْضَـلُ الـدنيا التـي جُعِلَـتْ لَـهُ ❁ دُونَ البَرِيَّـةِ وهْـو مِنْهَـا أَفْضَـلُ(٢)

وقالَ فيهِ(٣):

إِنَّ الخِلَافَـةَ لَمَّـا اهْتَـزَّ مِنْبَرُهَـا ❁ بِجَعْفَـرٍ أُعْطِيَـتْ أَقْصَـىٰ أَمَانِيهَـا
أَبْـدَىٰ التَّوَاضُـعَ لَمَّـا نَالَهـا رِعَـةً ❁ عَنْهَـا ونَالَتْـه فَاخْتَالَـتْ بِـهِ تِيهَـا

وهذا هو المعنىٰ الحلوُ، والمدحُ الذي يليقُ بالخلفاءِ.

وقالَ في المهديِّ(٤):

زَادَ فـي بَهجَـةِ الخِلَافَـةِ نُـورًا ❁ فَهْـوَ شَـمْسٌ للنَّـاسِ وهْـي نَهَـارُ
وأَجَـارَ الـدُّنْيَا مِـنَ الحَيْـفِ والخَـوْ ❁ فِ فَهَـلْ يَشْـكُرُ المُجِيـرَ المُجَـارُ؟

وقالَ في المتوكلِ(٥):

عَـادَتْ بِحَقْوَيْـكَ الخِلَافَـةُ إِنَّهـا ❁ قِسْـمٌ لِأَفْضَـلِ هَاشِـمٍ فالأَفْضَـلِ
[٢٠٧/٢/ب] وتَمَنَّعَتْ في عزِّ ظلِّكَ واغْتَدَتْ ❁ فـي خَيـرِ مَنْزِلَـةٍ وأَحْصَـنِ مَعْقِـلِ(٦)

أَخذَ قولَه: «عادَت بِحَقْوَيْكَ الخلافة» من قولِ أَبي تمامٍ(٧):

(١) ديوانه: ١٦٠٠/٣، والبيتان من الكامل.
(٢) ديوانه: (أفضل الرتب).
(٣) ديوانه: ٢٤٢١/٤، والبيتان من البسيط.
(٤) ديوانه: ٨٥٤/٢، والبيتان من الخفيف، وفي «ص»، «ر»: (شمس الضياء).
(٥) ديوانه: ١٦٢٧/٣، والبيتان من الكامل.
(٦) ديوانه: (في ظل عزك).
(٧) سبق ١١٧/٣، ورواه هناك: (بحقويه).

عَـاذَتْ بِحِقْوَيْـكَ الخِلَافَـةُ والْتَقَـتْ ❁ عَلَـى خِـدْرِها أَرْمَاحُـهُ وَمَنَاصِـلُهُ

وقالَ في المعتزِّ[1]:

حَامِـلٌ مِـنْ خِلَافَـةِ اللهِ مـا يَعْـ ❁ ـجِـزُ عَنْـهُ ذُو الأَيْـدِ والإِضْـطَلاعِ
مُسْـتَقِلٌّ بالثِّقْـلِ مِنْهـا رَحِيـبُ الـ ❁ ـصـدْرِ نَهْضًـا بِهَـا رَحِيـبُ البَـاعِ

وقالَ في المتوكلِ[2]:

وقَـدْ سَـرَّني أَنَّ الخِلَافَـةَ فِـيكُمُ ❁ مُخَيِّمَـةٌ مـا إِنْ يُخَـافُ انْتقَالُهـا
لَكُـمْ إِرْثُهـا والحَـقُّ مِنْهَـا ولَـم يَكُـنْ ❁ لِغَيْـرِكُمُ إِلَّا اسْـمُها وانْتِحَالُهـا

وقالَ فيهِ[3]:

وأَرىٰ الخِلَافَـةَ وَهْـيَ أَعْظَـمُ رُتْبَـةٍ ❁ حَقًّـا لَكُـمْ وَوِرَاثَـةً مَـا تُنْـزَعُ
أَعْطَاكُمُوهَـا اللهُ عَـنْ عِلْـمٍ بِكُـمْ ❁ واللهُ يعْطـي مَـنْ يَشَـاءُ ويَمْنَـعُ

وقالَ في المعتزِّ[4]:

أَغَـرُّ مِـنَ الأَمْـلَاكِ إِمَّـا رَأَيْتَـهُ ❁ رَأَيْـتَ أَبَـا إِسْحَاقَ والقَـرْمَ جَعْفَـرَا
تَقَـدَّمَ فـي حَـقِّ الخِلَافَـةِ سَـهْمُهُ ❁ إِذَا رُدَّ عَنْهـا غَيْـرُهُ فَتَـأَخَّرَا
ويُصْبِحُ مَعْرُوفًـا لَـهُ الفَضْـلُ دُونَهُـمْ ❁ وَمَـا يَتَـدَعَّاهُ الأَبَاعِـدُ مُنْكَـرا[5]

---

(١) ديوانه: ١٢٤٤/٢، والبيتان من الخفيف.

(٢) ديوانه: ١٦٣١/٣، والبيتان من الطويل.

(٣) ديوانه: ١٣١١/٢، والبيتان من الكامل.

(٤) ديوانه: ٩٣٢/٢، والأبيات من الطويل.

(٥) ديوانه: (وما يتداعاه).

وقالَ في المتوكِّلِ[1]:

فَضْـلُ الخَلَائِـفِ بالخلَافَـةِ وَاقِـفٌ ❁ فـي الرُّتْبَـةِ العُلْيَـا، وفَضْـلُكَ أَفْضَـلُ
أَوْفَيْـتَ عَاشِـرَهُمْ فَـإِنْ نُسِـبُوا إِلـىٰ ❁ كَـرَمٍ وإِحْسَـانٍ فَأَنْـتَ الأَوَّلُ[2]

وهذا غايةٌ في مدحِ الخلفاءِ.

وقالَ في المتوكلِ أَيضًا يُفَضِّلُهُ علىٰ الخلفاءِ وأَحسنَ كلَّ الإِحسانِ[3]:

ومَـا الخُلَفَـاءُ لَـوْ جَـارَوْكَ يَوْمًـا ❁ بمُعتلقيـكَ رَأْيًـا واعْتِزَامَـا
أَلَسْـتَ أَعَمَّهُـمْ جُـودًا وَأَزْكَـا ❁ هُـمُ عُـودًا وأَمْضَـاهُمْ حُسَـامًا؟
ولَـوْ جُمِـعَ الأَئِمَّـةُ فـي مَقَـامٍ ❁ تكُـونُ بـهِ لَكُنْـتَ لَهُـمْ إِمَامَـا

ولستُ أَعرفُ لأَبي تمامٍ في الخلافةِ غيرَ ما قدَّمْتُهُ.



(١) ديوانه: ١٧٥٧/٣، والبيتان من الكامل.
(٢) ديوانه: (فإن ندبوا).
(٣) ديوانه: ٢٠١٠/٣، والأبيات من الوافر. وفي «ص»، «ر»: (بمعتاقيك).

ومن مدح الخلفاء ذِكرُ الملكِ والدولةِ

قالَ أبو تمامٍ في المعتصمِ(١):

بِالقَــــائِمِ الثَّــــامِنِ اطَّــــأَدَتْ ❁ قَوَاعِــدُ المُلْــكِ مُمْتَــدًّا لَــهُ الطِّــوَلُ
بِــــيُمْنِ مُعْتَصِــــمٍ بـــــالله لا أَوَدٌ ❁ بالملْـكِ مُـذْ ضَـمَّ قُطْرَيْـهِ ولا خَلَـلُ

قولُه: «مُمْتَدًّا له الطِّوَلُ» والطِّوَلُ: الحَبْلُ ولا وجهَ له ها هنا، وليسَ يريدُ [٢٠٨/٢/ب] الطِّولُ بمعنى الزمان من قولهم: طَالَ طِيلُك وطِولُك وطِوَالُك؛ لأَنَّ ذلك اطأَدت قواعدُ الملكِ ممتدًّا أَزمانهُ، ولا يصلحُ في الحالِ ها هنا، لأَنَّ الفعلَ وهو «اطَّأَدتُ» لا يكونُ عاملًا فيها، لا تقولُ: قد استقرَّ البناءُ طويلًا زمانُه؛ لأَنَّ استقرارَه ليسَ هو من طولِ مدَّتِهِ في شيءٍ، وإِنَّما تقولُ: قد استقرَّ البناءُ جَيِّدًا عملُه، ومُتْقَنًا أَساسُه، أَو وَثِيقًا صنعتُه، أَو أَنْ تقولَ: طويلًا شُرَفُهُ أَو علوُّه، وإِلىٰ هذا أَذهبُ. كأَنَّه أَرادَ واطَّأَدَتْ قواعدُ الملكِ مُمْتَدًّا له الطِّوَلُ أَي رسَا أَصلُه، وعلا فرعُه، كما قالَ البحتريُّ في المعتزِّ باللهِ(٢):

بِكَ اشْتَدَّ عَظْمُ المَلْكِ فيهمْ فَأَصْبَحَتْ ❁ تَقِــرُّ رَوَاسِــيهِ وتَعْلُــو مَرَاتِبُــهْ

فجعلَ موضعَ تعلو مراتبُه: «مُمْتَدًّا لَهُ الطِّوَلُ»، وهذا غيرُ حسنٍ ولا لائقٌ، بلىٰ، لو قالَ: «فَلْيُمدَدْ له الطِّوَل» علىٰ الدعاءِ كان سائغًا، إِلَّا(٣) أَنَّ الطِّولَ ها هنا عل كلِّ حالٍ غيرُ جيِّدٍ؛ لأَنَّها لفظةٌ مشتركةٌ.

(١) شرح الصولي: ١٧٥/٢، شرح التبريزي: ٨/٣، والبيتان من البسيط. وفيهما: (ممتدًا لها).
(٢) ديوانه: ٢١٨/١، والبيت من الطويل.
(٣) «ص»: (سايغا لا إن..).

وقالَ أَبو تمامٍ في نحوِهِ[١]:

بِيُمْنِ أَبِي إِسْحَقَ طَالَتْ يَدُ الهُدَىٰ ❊ وقَامَتْ قَنَاةُ المُلْكِ ، واشْتَدَّ كَاهِلُهْ

وهذا بيتٌ جيدٌ ، وقد قال قَبْلَهُ:

«وأَضْحَىٰ المُلْكُ قَدْ شُقَّ بَازِلُهْ»[٢]

وكانَ [٢٠٩/٢/أ] أَحدُهما يُغْني عن الآخرِ[٣].

وقالَ البحتريُّ في المعتزِّ[٤]:

أَقَامَ قَنَاةَ المُلْكِ بَعْدَ اعْوِجَاجِهَا ❊ وأَرْبَىٰ عَلَىٰ شَغْبِ العَدُوِّ المُشَاغِبِ

وقالَ البحتريُّ[٥]:

مَلِكٌ حصَّنَتْ عَزِيمَتُهُ المُلْـ ❊ ـكَ فَأَضْحَتْ لَهُ مُعَانًا وَرِدًّا

وقالَ في تعظيمِ المُلكِ في المتوكِّل[٦]:

---

(١) شرح الصولي: ٢٠٣/٢ ، شرح التبريزي: ٢٩/٣ ، وفيهما (يد العلىٰ) ، (قناة الدين) . والبيت من الطويل.

(٢) صدره:

وقام فقال العدل في كل بلدة ❊ خطيبًا.....

(٣) قال أبو العلاء: (والطول الحبل ، يريد أن تلك الدولة طويلة المكث ، ويجوز أن يعني بالطول ما تطاول من الدهر) .

وقال ابن المستوفي:

(وفي طرة النسخة العجمية: أي بهذا القائم ثبت الملك وثبتت أواخيه واستحكمت ، أي صار الملك بمنزلة الفرس يُطَوَّلُ له الحبل يرعىٰ حيث شاء) .

النظام ٢/لوحة ٢٤١ .

(٤) ديوانه: ١٠٩/١ ، والبيت من الطويل.

(٥) ديوانه: ٧١٢/١ ، والبيت من الخفيف.

(٦) ديوانه: ٤١١/٤ ، والبيت من الخفيف.

مُلْك كمُلْك سُلَيْمَانَ الذي خَضَعَتْ ❊ لَـــهُ البَرِيَّـــةُ قَاصِـــيها وَدَانِيَهـــا

وأَجودُ من هذا قولُ أَبي تمامٍ في المأْمونِ[1]:

فِـي دَوْلَـةٍ لَحَـظَ الزَّمَـانُ شُـعَاعَها ❊ فارْتَـــدَّ مُنْقَلِبًـــا بِعَيْنَـــيْ أَرْمَـــدِ

مَـــنْ كَـــانَ مَوْلِـــدُهُ تَقَـــدَّمَ قَبْلَهَـــا ❊ أَو بَعْـــدَهَا فَكَأَنَّـــهُ لَـــمْ يُولَـــدِ

وهذا من أَجود ما يقالُ في مدحِ دولةٍ وأَبلغِهِ.

فأَبو تمامٍ في هذا البابِ علىٰ إِساءَتِهِ في الأَبياتِ المتقدمةِ أَشعرُ من البحتريِّ.



(١) شرح الصولي: ٤٥١/١، شرح التبريزي: ٤٨/٢، والبيت من الكامل.

مِمَّا يخصُّ أهلَ بيتِ النُّبوةِ من المدحِ دونَ غيرِهم:
ذكرُ طاعتِهم، والمحبةِ لهم، والمعرفةِ لحقِّهم

فمن ذلك قولُ البحتريِّ في المتوكِّلِ(١):

مُخَــالِفُ أَمْــرِكُمْ للهِ عَــاصٍ ❁ ومُنْكِــرُ حَقِّكُــمْ لَاقٍ أَثَامَــا
وَلَــيْسَ بِمُسْــلِمٍ مَــنْ لَــمْ يُقَــدِّمْ ❁ ولَايَــتكُمْ ولَــوْ صَــلَّىٰ وَصَــامَا

[٢٠٩/٢/ب] وفيهِ قولُه(٢):

نُصَــلِّي وإِتْمَــامُ الصَّــلَاةِ اعْتِقَادُنَــا ❁ بِأَنَّــكَ عِنْــدَ اللهِ خَيْــرُ إِمَــامِ

وفيه قولُه(٣):

فَضَّــل اللهُ جعْفَــرًا بِخِصَــالٍ ❁ جَعَلَــتْ حُبَّــهُ عَلَــىٰ النَّــاسِ فَرْضَــا

وفي المعتزِّ باللهِ قولُه(٤):

مَــن أَبَــىٰ حُــبَّكُمْ فَلَــيْسَ مِــنَ اللَّــ ❁ ــهِ ولَــوْ صَــامَ أَلْــفَ عَــامٍ وصَــلَّىٰ

وقالَ فيهِ(٥):

قَضَــىٰ اللهُ للمعتــزِّ بــاللهِ أَنَّــهُ ❁ هُــوَ القَــائِمُ العَــدْلُ الرَّشِــيدُ المُوَفَّــقُ
مَحبَّتُــه فَــرْضٌ مــن اللهِ وَاجِــبٌ ❁ وعصــيانُهُ سُــخْطٌ مــن اللهِ مُوبِــقُ

---

(١) ديوانه: ٢٠١٠/٤، والبيتان من الوافر.

(٢) ديوانه: ٢٠٠٣/٤، والبيت من الطويل.

(٣) ديوانه: ١٢١٦/٢، والبيت من الخفيف.

(٤) ديوانه: ١٦٥٧/٣، والبيت من الخفيف.

(٥) ديوانه: ١٥٣٧/٣، والبيتان من الطويل. ليست موجودة في المتن.

وقوله في المهديِّ[1]:

أَقَـرَّتْ لَـهُ بِالفَضْـلِ أُمَّـةُ أَحْمَـدٍ ❊ فَـدَانَ لَـهُ مُعْوَجُّهَـا وقَوِيمُهـا
ولَـوْ جَحَدَتْـهُ ذلـك الحـقَّ لَـمْ تَكُـنْ ❊ لِتَبْـرَحَ إِلَّا والنُّجـومُ رُجُومُهـا

ولست أَعرف لأَبي تمام في هذه المعاني شيئًا.



(١) ديوانه: ٣/٢٠٢٤، والبيتان من الطويل. وفي «ص»، «ر»: (وقوله في المهتدي) تحريف.

ذِكْرُ الآلةِ الَّتي كانتْ للنبيِّ ﷺ فصارتْ إليهم



قالَ البحتريُّ في المتوكلِ(١):

عليـكَ ثِيَـابُ المُصْـطَفَىٰ ووقَـارُهُ ❖ وأَنْتَ بِهِ أَوْلَىٰ إِذا حَصْحَصَ الأَمْرُ

[٢١٠/٢/أ] عِمَامَتُـــهُ وسَـــيْفُهُ ورِدَاؤُهُ ❖ وسِـيمَاهُ والهَـدْيُ المُشَـاكِلُ والنَّجْـرُ

وقالَ فيهِ(٢):

يَتَـــوَّلَىٰ النَّبِـــيُّ مَـــا تَتَـــوَلَّا ❖ هُ ويَرْضَـىٰ مِـنْ سـيرةٍ مـا تسـيرُ

حُـــزْتَ مِيرَاثَـــهُ بِحَـــقٍّ مُبِـــينٍ ❖ كُـــلُّ حَـــقٍّ سِـــوَاهُ إِفْـــكٌ وزُورُ

فلـك السـيفُ والعمامـةُ والخَـا ❖ تَـمُ والبُـرْدُ والعَصَـا والسَّـرِيرُ

وقالَ في المَهْدِيِّ باللهِ(٣):

إِمَـامٌ إِذا أَمضَـىٰ الأُمـور تتابعـتْ ❖ علـىٰ سَنَنٍ مِـنْ قَصـدِهَا وسَـدَادِهَا

متـىٰ يَـتَعَمَّمْ بالسَّـحَابِ تُلَـثْ عَلَـىٰ ❖ كَفِـيءٍ لَهَـا مُحْتَـازِ إِرْثِ اسْـوِدَادِهَا(٤)

وإِنْ يَتَقَلَّـدْ ذَا الفِقَـارِ يُضَـفْ إِلَـىٰ ❖ شُجَاعِ قُرَيشٍ في الوغَىٰ وجَوادِهَا(٥)

---

(١) ديوانه: ٩٩٣/٢، والبيتان من الطويل.

(٢) ديوانه: ٩٠٢/٢، والأبيات من الخفيف.

(٣) ديوانه: ٦٧٥/٢، والأبيات من الطويل.

(٤) تُلث: من لاث العمامة، لفها وعصبها، والسحاب: هي عمامة النبي ﷺ كما يروي أصحاب الأخبار.

(٥) ذو الفقار: سيف العاص بن منبه، قتل يوم بدر كافرًا، فصار سيفه إلىٰ النبي ﷺ ثم إلىٰ علي، وظل يتناقله الخلفاء حتىٰ المقتدر.
=

وقالَ في المعتزِّ[1]:

وقـد تَـرَكَ العبـاسُ عِنْـدَكَ وابْنُـهُ ❁ عُلًا طُلْنَ مَرْمَىٰ النَّجْمِ حَتَّىٰ تَحَيَّرَا
هُمَـا وَرَّثَـاكَ ذَا الفِقَـارِ وصَـيَّرَا ❁ إليْـكَ القَضِيبَ والـرِّدَاءَ المُحَبَّـرَا
وأَيُّ سَـنَاءٍ لَسْـتَ أَهْـلًا لِفضْـلِهِ ❁ وأَوْلَـىٰ بـه مِـنْ كُـلِّ حَـيٍّ وأَجْـدَرَا
وأَنْتَ ابنُ مَنْ أَسْقَىٰ الحَجِيجَ عَلَىٰ الظَّمَا ❁ ونَاشَدَ في المَحْلِ السَّحَابَ فأَمْطَرَا

وقالَ أَبو تمامٍ في نحو هذا يمدحُ الواثقَ[2]: [٢١٠/٢/ب]

قـومٌ غَـدَا الميـراثُ مَضْـرُوبًا لَهُـمْ ❁ سُـوَرٌ عليـهِ مِـنَ القُـرَانِ حَصِـينُ
فِـيهِمْ سـكِينةُ رَبِّهِـمْ وَكِتَابُـهُ ❁ وإِمَامَتَـاهُ واسْـمُهُ المَخْـزُونُ

فالسّكينةُ وزنها فَعِيلة، من السكونِ وهو الوقارُ، وهذه لفظةٌ لا تلائمُ البيتَ كلَّ الملاءَمةِ؛ لأَنَّه لا وجهَ لأَنْ يقولَ فيهم: وَقارُ رَبِّهِمْ، لا سيَّمَا وقد قالَ: كِتَابُهُ وإِمَامَتَاه واسْمُهُ المَخْزُون، فالوَقَارُ ليسَ من هذه الأَشياءِ في شيءٍ[3].

والسَّكينةُ الَّتي في قولِهِ ﷻ: ﴿أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾[4]، وقد قيلَ في تفسيرِها: إِنَّها حيوانٌ له وجهٌ مثلَ وجهِ الإِنْسَانِ وقيلَ:

= وشجاع قريش: علي بن أبي طالب رضي الله عنه.
وقال الشيخ السيد صقر في هامشه:
(ومن العجيب أن الأول منها ورد في الديوان، ضمن قصيدة يمدح المتوكل بها).
أقول: إن هذا ليس بالعجيب، فقد كان يصرِّف قصائد كاملة ومن ممدوح إلىٰ آخر، وعندما سئل عن ذلك قال: (هن بنياتي أُنكحهنَّ من أشاء)!!

(١) ديوانه: ٩٣٤/٢، والأبيات من الطويل.
(٢) شرح الصولي: ٤٢/٣، شرح التبريزي: ٣٢٨/٣، والبيتان من الكامل.
(٣) «ص» (في الشيء).
(٤) [البقرة: آية: ٢٤٨].

لها رأسٌ مثلَ رأسِ الهرّةِ وله جناحانِ، وقيلَ: بل هي ريحٌ هَفَّافةٌ، وقيلَ: هي شيءٌ من أَمرِ اللهِ ﷻ [1] فإِنْ كانَ هذِه أَرادَ فما كان ينبغي أَن يَدَّعي للقومِ[2] ما لا يدعونَهُ لأَنفسهم.

وقوله: وإِمَامَتَاهُ يعني النبوةَ والخلافةَ.

«واسمه المخزون» يعني اسمَ اللهِ الأَعظمِ الذي إِذا دُعي به ـ جَلَّ وعَزَّ ـ أَجابَ.



(١) انظر أقوال المفسرين في تفسير الطبري: ٥/٣٢٦، دار المعارف بمصر، وتفسير ابن كثير: ١/٦٦٦.

(٢) «ص»، «ر»: (يدّعي القوم). حواشي ليست موجودة

ومن المجدِ والشرفِ في مدحِ الخلفاءِ ذكرُ الآثارِ بالحرم

نحوَ قولِ البحتريِّ في المعتزِّ(١):

لَكُـــمُ زَمْـــزَمُ وأَفْنِيَـــةُ الكَعْـــ ✤ ـبَـةِ والحِجْـرُ والصَّـفَا والمُصَـلَّى

وقولُه في المتوكِّلِ(٢): [٢١١/٢/أ]

نَعُـدُّ لَـكَ السِّـقَايَةَ والمُصَـلَّى ✤ وأَرْكَـانَ البَنِيَّـةِ والمَقَامَـا

مَكَـارِمُ قَـدْ وَزَنْـتَ بهـا ثَبِيـرَا ✤ فَلَـمْ يَـرْجَحْ وطُلْـتَ بِهَـا شِـمَامَا(٣)

وقولُه في المتوكِّلِ(٤):

لَكُـمْ كـلُّ بَطْحَـاءٍ بِمَكَّـةَ إِذْ غَـدَا ✤ لِغَيْـرِكُمْ ظُهْرَانُهَـا وجِبَالُهَـا

وأَنـتم بَنُـو عَـمِّ النَّبِـيِّ مُحَمَّـدٍ ✤ يَمِينُ قُـرَيْشٍ إِذْ سِـوَاكُم شِـمَالُهَا(٥)

وقالَ فيه(٦):

شَـرفًا بَنِـي العَبَّـاسِ إِنَّ أَبَـاكُمُ ✤ عَـمُّ النَّبِـيِّ وعِيصُـهُ المُتَفَـرِّعُ

إِنَّ الفَضِـيلَةَ للَّـذي اسْتَسْـقَى بـه ✤ عُمَـرٌ وشُـفِّعَ إِذ غَـدَا يَسْتَشْـفِعُ

مَـنْ ذَا يُسَـاجِلُكُمْ وحَـوْضُ مُحَمَّـدٍ ✤ بِسِـقَايَةِ العبـاسِ فِـيكُمْ يَشْـفَعُ

---

(١) ديوانه: ١٦٥٧/٣، والبيت من الخفيف.

(٢) ديوانه: ٢٠١٠/٣، والبيتان من الوافر.

(٣) ديوانه: (فلم تنقص). وفي «ص» (فلم ترجح): وثبير، وشمام: جبلان.

(٤) ديوانه: ١٦٣١/٣، والبيتان من الطويل.

(٥) ديوانه: (وأنتم بنو العباس عم محمد).

(٦) ديوانه: ١٣١١/٢، والأبيات من الكامل.

وقالَ في المعتزِّ[1]:

إِمَـــامُ هُــدًى تَــأْوِي بــهِ مَكْرُمَاتُــهُ ❁ إِلىٰ مَرْتَـعٍ مِـنْ بَطْـنِ مَكـةَ أَفْـيَحِ
لــه شَــرفُ البيــتِ الحَـرَامِ وفَخْـرُهُ ❁ وزَمْـزَمَ والـرُّكْنِ العَتيـقِ الْمُمَسَّـحِ

أَرادَ شَرَفَ زمزمٍ.



(١) ديوانه: ١/٤٥٣، والبيتان من الطويل.

ومن باب السُّؤددِ والشرفِ
ذكرُ علوِّ القَدْرِ وعظيمِ الفضلِ

قالَ أَبو تمامٍ(١):

اللهُ أَكبَرُ جَاءَ أَكْبرُ مَنْ جرَتْ ❁ فَتَعَثَّرَتْ في كُنْهِهِ الأَوْهَامُ

[٢١١/٢/ب] مَنْ لَا يُحِيطُ الوَاصِفُون بِقَدرِهِ ❁ حَتَّىٰ يَقُولُوا قَدْرُهُ إِلْهَامُ

قولُه: «اللهُ أكبر»، يقولُ فيما أَظنُّه عند قدومِ المأمونِ من خراسانَ، أَي اللهُ أَكبرُ من كلِّ أَحدٍ، قد جاءَ أَكْبرُ من جرتْ فتعثرتْ في كنهِهِ الأَوهامُ.

وكُنْهُ الشيءِ: غايةُ صِفَتِه.

وقولُه: «حتَّىٰ يقولوا قَدْرُه إِلهامُ» من جنونِهِ؛ لأَنَّ الإِلهامَ هو ما يُلقيهِ اللهُ ﷻ في قلبِ الإِنسان حتىٰ يعرِفَهُ بغيرِ تَعَرُّفٍ، ويعلمه من غيرِ تَعَلُّمٍ، فيقولُ: لا يحاطُ بقدرِهِ إِلَّا أَنْ يكونَ ذلك إِلهامًا من الله ـ جل وعز ـ فيعرف.

وقَدْرُ كلِّ شيءٍ: هو مَبْلَغُه، فيقولُ: سرنا قَدْرَ مِيلٍ، وقدرَ فَرْسخٍ، وأَخذتُ منه قدرَ عشرين درهمًا، أَي مبلغَ عشرين.

وإِنَّما سمعَ الناسُ يقولونَ هذا أَمر لا يُقْدَرُ قدرُهُ، وسمعَ قولَ اللهِ ﷻ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾(٢)، قيلَ في التفسيرِ: ما عرفوه حقَّ معرفتِهِ، فأَرادَ أَن يَنْحُوَ

---

(١) شرح الصولي: ٣٧٤/٢، شرح التبريزي: ١٥٢/٣. وعند الصولي: (وصفها إلهام)، والبيتان من الكامل.

(٢) [سورة الزمر: آية ٦٧].

بِقَدْرِ المأْمونِ هذا النَّحْوِ فأَخرجَهُ بهذِهِ العبارةِ المُسْتَكْرَهةِ.

يريدُ أَن قَدْرَه لا يُعرفُ إِلَّا بالإِلهامِ من اللهِ ﷻ.

وقد كانَ يكفي من هذا العويصِ الذي جاءَ بهِ أَنْ يقولَ كما قالَ البحتريُّ في المتوكِّل[1]:

وأَنْتَ أَمينَ الله بِالْمَوْضِعِ الَّذي ❁ أَبَىٰ اللهُ أَنْ يَسْمُو إِلَىٰ قَدْرِهِ قدرُ

فجعلَ قدرَهُ فوقَ [قدرِ] كلِّ ذي قَدْرٍ، ومثلُ هذا لا يقالُ إِلَّا لخليفةٍ أَو [٢١٢/٢/أ] لأَفضلِ الناسِ من أَهلِ بيتِ النبوةِ.

وقد أَفرطَ البحتريُّ في مدح إِبراهيمِ بن المدبِّرِ، وإِنْ كانَ لم يُصَرِّحْ في تفضيلِ قدرِهِ، وذلك قولُه[2]:

دَنَوْتَ تَوَاضُعًا وعَلَوْتَ قَدَرًا ❁ فَشَأْنَاكَ انْحِدَارٌ وارْتِفَاعُ
كَذَاكَ الشَّمْسُ يَبْعُدُ أَنْ تُسَامَىٰ ❁ ويَدْنو الضَّوْءُ مِنْها والشُّعَاعُ

وما قيلَ في التواضعِ أَلطفُ من هذا ولا أَحسنُ، ولو مَدَحَ خليفةً بالتواضعِ لما وجدَ شيئًا يليقُ به غيرَ هذا الوصفِ أَو معناهُ.

وقالَ أَبو تمامٍ في المعتصم ما فَضَّلَهُ به علىٰ فضلِ[3] كلِّ أَحدٍ من الناسِ[4].

إِلىٰ قُطْبِ الدُّنيا الَّذي لَوْ بِفَضْلِهِ ❁ مَدحتُ بنِي الدنيا كَفَتْهمْ فَضَائِلُهْ

وهذا تفضيلٌ في غايةِ الاستقصاءِ والجودةِ والحسنِ والصحةِ، ولا يقالُ مثلُه

(١) ديوانه: ٢/٩٩٢، والبيت من الطويل.

(٢) ديوانه: ٢/١٢٤٨، وفيه (وبعدت حذرًا).

(٣) في «ص»، «ر»: (مادة فضله علىٰ فضل)، تحريف.

(٤) شرح الصولي: ٢/١٩٨، شرح التبريزي: ٣/٢٥، والبيت من الطويل.

إلا لخليفةٍ من أفضلِ الخلفاءِ؛ لقولِهِ: مدحتُ بني الدنيا.

ومثلُه في الجودةِ بل يزيدُ عليهِ قولُ البحتريِّ في المتوكِّلِ(١):

يـابْنَ عَـمِّ النَّبِـيِّ حقًّـا، ويـا أَزْ ❊ كـى قـريشٍ نفسًـا ودِينًـا وعِرْضَـا
بِنْـتَ بالفَضْـلِ والعُلُـوِّ فَأَصْبَحْـ ❊ ـتَ سَمَاءً وأَصْبَحَ النَّاسُ أَرْضَا

ولو قالَ قائلٌ مثلَ هذا لغيرِ خليفةٍ لكان قد تجشَّمَ أَعظمَ الخطأِ إذ ليسَ أَحدٌ من الناسِ يطالبُهُ بأَنْ يمدحَهُ هذا المدحَ، ولا أَن يفضِّلَهُ [٢١٢/٢/ب] هذا التفضيلَ.

وقالَ البحتريُّ أَيضًا في المهديِّ(٢):

أَقَـرَّتْ لَـهُ بالفَضْـلِ أمـةُ أَحْمَـدٍ ❊ فَـدانَ لَـهُ مُعْوَجُّهَـا وَقَوِيمُهَـا

والتفضيلُ الحَسنُ الذي لا غُلوَّ فيه وكأَنَّ قائلَه قد غلا قولُ البحتري أَيضًا في أَبي ليلى الحارثِ بن عبدِ العزيزِ بن دُلَفٍ(٣):

يَبِـينُ بالفضـلِ أَقـوامٌ فيفضُـلُهم ❊ مُوَحَّـدٌ بِغَرِيـبِ الـذِّكْرِ مُنْفَـرِدُ
تَوَحَّـدَ القَمَـرُ السَّـارِي بِشُـهْرَتِهِ ❊ وأَنْجُـمُ اللَّيْـلِ نَثْـرٌ حَوْلَـهُ بَـدَدُ

ومثلُهُ في الحسنِ قولُه في الفَتْحِ(٤):

ولَمَّا جَرَىٰ في المَجْدِ والقَوْمُ خَلْفَهُ ❊ تَغَـوَّلَ أَقْصَـىٰ جُهْـدِهِمْ وَهْـوَ وَادِعُ
وهَـلْ يَتَكَافَـا النَّـاسُ شَـتَّىٰ خِلَالُهُـمْ ❊ وَمَـا تَتَكَافَـا فـي اليَـدَيْنِ الأَصَـابعُ

---

(١) ديوانه: ١٢١٦/٢، هو من الخفيف، وفي «ص»، «ر»: (ويا ركن قريش) تحريف.

(٢) سبق ١٢٣/٣.

(٣) ديوانه: ٦٤٦/٢، والبيتان من البسيط.

(٤) ديوانه: ١٣٠٣/٢، وفيه: (جرىٰ للمجد).

وهذا كلُّه عجيبٌ في معانيه ولكنَّهما في معانيهما[١] حَذْوٌ على قولِ مَعْنِ بنِ أَوْسٍ[٢]:

وَمَـا بَلَغَـتْ كَـفُّ امْـرِئٍ مُتَطَـاوِلٍ ❁ يَدَ المَجْدِ إِلَّا حَيْثُ مَا نِلْتَ أَطْوَلُ
ومَـا بلـغَ المُهْـدونَ فـي القَـوْلِ مِدْحَـةً ❁ ولوْ أَكْثَرُوا إِلَّا الذي فيكَ أَفْضَلُ[٣]

[ومن أَجْلِ قولِ أبي تمامٍ:

❁ إلـى قطـب الـدنيا ❁

أجعلُهُ والبحتريَّ في هذا البابِ متكافئين][٤]



(١) «ص»، «ر»: (معانيه).

(٢) هو معن بن أوس بن نصر بن زياد المزني ص٤٨، شاعر فحل مجيد ومن مخضرمي الجاهلية والإسلام، له مدائح في جماعة من الصحابة رضوان الله عليهم.
والبيت في ديوانه، صنعة، د. نوري حمودي القيسي، وحاتم صالح الضامن، مكتبة دار الجاحظ، بغداد سنة ١٩٧٧، وفيه: (امرئٍ متناول).

(٣) «ص»، «ر»: (وما بلغ المهدي)، ديوانه: (ولا بلغ)، (نحوك مدحة ولو صدقوا).

(٤) الزيادة من النظام جـ٢ لوحة ٢٤٨.
وقال ابن المستوفي عقبه:
(هذا لمَّا عملا أبو تمام والبحتري في هذا الباب، ووجد البحتري وقع دونه تكافآ عنده، فظهر عليه الميل على أبي تمام).

ومن بابِ المجدِ والسؤددِ

قولُ أَبي تمامٍ في المأْمونِ[١]:

هَـدَمَتْ مَسَـاعِيه المسـاعي وابْتَنَـتْ ✤ خِطَـطَ المَكَـارِمِ فـي عِـرَاضِ الفَرْقَـدِ

سَـبقَتْ خُطَـىٰ الأَيَـامِ عُمْرِيَّاتُهَـا ✤ ومَضَـتْ فَصَـارَتْ مُسْـنَدًا لِلْمُسْـنَدِ

[٢١٣/٢/أ] مَا زَالَ يَمْتَحِق العُلا ويَرُوضُهَا ✤ حَتَّـىٰ اتَّقَتْـهُ بِكِيمِيـاءِ السُّـؤْدُدِ[٢]

قولُه: «سَبَقَتْ خُطَىٰ الأَيامِ» أَي طاوَلَت الدهرَ في البقاءِ، فجعلَ مطاولتَها للدَّهر سيرًا مع الدهرِ، فلذلك قال: «سبقتْ خطىٰ الأَيام»، «عُمْرِيَّاتها»: واحدةُ عُمْرِيَّةٍ، منسوبةٌ إلىٰ العُمْرِ.

وقولُه: «مَضَت فَصَارَتْ مُسْنَدًا للمُسْنَدِ» فالمسندُ: الدهرُ، أَي صارتْ دَهْرًا للدَّهْرِ.

وهذا من كلامِ أَهلِ الوَسْوَاسِ والخَطَراتِ وأَصحابِ السوْدَاءِ[٣].

وقولُه: «بِكِيمِياءِ السُّؤْدُدِ» مما أَنكروهُ عليهِ[٤].

---

(١) شرح الصولي: ٤٢١/١، شرح التبريزي: ٥٠/٢، والأبيات من الكامل.

(٢) «ص»: (يمتحق) تحريف.

(٣) قال ابن المستوفي بعد أن نقل كلام الآمدي في البيت:
(وفي كتاب أبيات أبي تمام من تأليفه «يعني كتابه المفقود تفسير معاني أبيات أبي تمام» يقول: هذه المساعي باقية الذكر علىٰ الأيام، وعمرياتها منسوبة إلىٰ العمر، أي معمرة أبدًا، والمسند: الدهر، أي صارت دهرًا للدهر، وهي مبالغة شديدة مستقصاة، وليست بقبيحة).
قال ابن المستوفي:
(فانظر كيف أفسده في موضع، وأصلحه في موضع، وكان كثير الميل علىٰ أبي تمام).

(٤) يعني أبا العباس أحمد بن حبيب الله بن عمار في رسالته في ذكر أخطاء أبي تمام الذي قال:=

وقد أَتى به بَكْرُ بنُ النطاح في موضِعِهِ فقالَ[1]:

مَـدْحُ ابـنِ عِيسَـىٰ قَاسِـمٍ فَاشْـدُدْ بِـهِ ❊ كِلْتَـا يَـدَيْكَ الكِيمْيَـاءُ الأَعْظَـمُ
لَـوْ لَـمْ يَكُـنْ فـي الـدهْرِ إلا دِرْهَـمٌ ❊ ومَدَحْتَـهُ لأَتَـاكَ ذاكَ الـدِّرْهَمُ

وقال البحتريُّ في المُهْتَدِي[2]:

ولِلمُهْتَـدِي بـاللهِ مَجْـدٌ لـو ارْتَقَـتْ ❊ إِلَيـه النُّجُـومُ رِفْعَـةً مـا تَهَـدَّتِ

وهذا أَبلغُ من قولِ أَبي تمام: «وابْتَنَت خِطَطُ المَكَارِمِ في عِرَاضِ الفَرْقَدِ»[3].

ولهما في السؤددِ والمجدِ والشرفِ في مدح سائر الناس ما أَذكرُه مِنْ بَعْدُ في تأييدِ الدين وتقويةِ أمره.

= (تالله ما يدري كثير من العقلاء ما أراده، ولا يتكلم بهذا إلا من يجب أن يحظر عليه ماله، ويطال في المرستان حبسه وعلاجه).
النظام لابن المستوفي: جـ٢ لوحة ٣١٧.
ونقل ابن المستوفي كلاما للآمدي من موضع آخر لم يرد في الموازنة عن قول أبي تمام:
حتىٰ اتقته بكيمياء السؤدد
فقال: (قال الآمدي: قد أنكر عليه قوم «كيمياء السؤدد» واستهجنوه، وليس عندي بمنكر لأنه أراد بكيمياء السؤدد، أي مر السؤدد، الذي هو أخلصه وأجوده).
وقال ابن سنان الخفاجي في سر الفصاحة:
(ومنه قول أبي تمام:

ليـزدك وجـدا بالسـماحة مـا تـرىٰ ❊ مـن كيميـاء المجـد تغنـي وتغـنم

و«كيمياء» من ألفاظ العوام المبتذلة، وليست من ألفاظ الخاصة، ولا يحسن نظم مثلها) سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي ص٧٦، دار الكتب العلمية، بيروت سنة ١٩٨١.

(١) ديوانه ص٣٧، صنعة حاتم صالح الضامن، مطبعة المعارف، بغداد سنة ١٩٧٥، وابن عيسىٰ قاسم هو أبو دلف العجلي.
(٢) ديوانه: ١/٣٧٠، والبيت من الطويل.
(٣) «ص»، «ر»: (الفدفد).

فِي تأييدِ الدِّينِ وتقويةِ أمرِه[1]

وواجبٌ أَن يمدحَ الخليفةَ بهذا المعنى.

قالَ أَبو تمامٍ في مدحِ المعتصمِ[2]: [٢/٢١٣/ب]

بِمُعْتَصِمٍ قَدْ عُصِمَتْ بِهِ ❊ عُرَا الدِّينِ والْتَفَّتْ عَلَيه وسَائِلُهْ

وهذا كانَ يصلحُ أَنْ يقال لمن له نباهةٌ وديانةٌ وقولٌ بحقٍّ، ولكنْ خصَّصَهُ بالخليفةِ قولُه: «والْتَفَّتْ عليهِ وَسَائِلُهْ».

وقالَ في الواثقِ[3]:

بِهَارُونَ عَزَّ الدِّينُ واشْتَدَّ رُكْنُهُ ❊ ودَانَتْ دَوَانِيهِ وقُرِّبَ شَاسِعُهْ

وقالَ البحتريُّ في المتوكِّلِ[4]:

خَلَقَ اللهُ جَعْفَرًا قَيِّمَ الدُّنْـ ❊ ـيَا سَدَادًا وقَيِّمَ الدِّينِ رُشْدَا

---

(١) هذا باب جديد، غير أن نشرة الشيخ السيد صقر - ﷺ - أدخلته مع آخر العبارة في الباب الذي سبقه، وقد أشار إليه كذلك في ٣/١٠٩، من الموازنة.

(٢) شرح الصولي: ٢/٢٠٠، شرح التبريزي: ٣/٢٦. والبيت من الطويل.

(٣) هذا البيت من قصيدة لم ترد في أي مصدر اطلعت عليه، إلا في الموازنة، فلم يروها الصولي، ولا التبريزي، ولا ابن المستوفي، ويبدو أن مطلع القصيدة هو البيت الذي ذكره الآمدي في ٤/٨٥. وهو قوله:

بكى شجوه قلب بكته فواجعه ❊ وإنسان عين ليس ترقا مدامعه

انظر: (قصائد وأبيات لأبي تمام لم ترد في نسخ ديوانه المطبوعة) للمحقق ص٤٦، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، جماعة الكويت، ديسمبر سنة ٢٠١٢.

والبيت من الطويل.

(٤) ديوانه: ٢/٧١٢، والبيت من الخفيف.

فاختصَّ هذا القولَ بالخليفةِ ؛ لأنَّه جعلَهُ قيِّمًا على الدينِ والدُّنيا ، ولا يجوزُ أَنْ يقالَ هذا لغيرِ خليفةٍ إلا أَن يكون نائبًا عنهُ .

وقالَ مثلَ ذلك في المعتزِّ باللهِ(١):

لَقَــدْ حَمَــلَ الخِلَافَــةَ مُسْــتَقِلٌّ ✤ بِهَــا وبِحَقِّــه فِيْهــا المُبِــينِ
يَسُــوُسُ الــدِّين والــدُّنيَا بِــرَأْيٍ ✤ رِضَــا للهِ فــي دُنْيَــا وَدِيــنِ

وقالَ عبدُ اللهِ بنُ السّمْطِ بنِ مروانَ في المأْمونِ(٢):

أَضْحَىٰ إِمَامُ الهُدَىٰ المَأْمُونُ مُشْتَغِلًا ✤ بالـدِّينِ والنَّـاسُ فـي الـدنيا مَشَـاغِيلُ

فلم يهشَّ لهُ ، فشكىٰ ذلك عبدُ اللهِ ، فقيلَ لهُ : ما زدتَ علىٰ أَنْ جَعَلَتْهُ عجوزًا في محرابها ومعها سبحتُها .

فألَا قلتَ كما قالَ جريرٌ في عمرَ بن عبدِ العزيزِ(٣): [٢١٤/٢/أ]

فَـلَا هـو فـي الـدُّنيا مُضِـيعٌ نَصِـيبَهُ ✤ ولا عَرَضُ الدنيا عن الدينِ شَاغِلُهْ

وقالَ ابنُ هَرْمَةَ(٤):

فَرغْــتَ لِــدينِ اللهِ تَرْفَــعُ وَهْيَــهُ ✤ وما بِكَ عَنْ كَسْبِ المَحَامِدِ مِنْ شُغْلِ

فَحَذَا حَذْوَ قولِ جريرٍ .

---

(١) ديوانه: ٤/٢٢٦٧ ، والبيتان من الوافر .

(٢) البيت في الصناعتين منسوب لمروان بن أبي حفصة ص ١١٩ ، وفي سر الفصاحة ص ٢٦٢ ، والبيت من البسيط .

(٣) ديوانه: جرير: ٧٠٣ ، وفيه: (يمدح عبد العزيز بن الوليد) . والبيت من الطويل .

(٤) ديوان إبراهيم بن هرمه ص١٨٠ ، تحقيق: محمد نفاع ، حسين عطوان ، نشر مجمع اللغة العربية بدمشق ، والبيت من الطويل .

وقالَ البحتريُّ أَيضًا في المتوكِّل ممَّا لا يقالُ لِخليفةٍ إلا أنْ يفرِّطَ مفرّطٌ فيقولُه لغيرِه[1]:

حَلَفْتُ بِمَنْ أَدْعُوهُ رَبًّا ومَنْ لَهُ ✤ صَلَاتِي ونُسْكِي خَالِصًا وصِيَامِي[2]

لَقَدْ حُطْتَ دينَ اللهِ خَيْرَ حِيَاطةٍ ✤ وقُمْتَ بِأَمْرِ اللهِ خَيْرَ قِيَامِ

وقالَ البحتريُّ في المتوكِّلِ[3]:

عَلِمَ اللهُ كَيفَ أَنْتَ فَأَعْطَا ✤ كَ المَحَلَّ الرَّفِيعَ مِنْ سُلْطَانِهْ

جَعَلَ الدينَ في ضَمَانِكَ والدُّنْـ ✤ يا فَعِشْ سَالِمًا لَنَا في ضَمَانِهْ

وهذا لا يكونُ إلا لخليفةٍ.

وقالَ في المُعتزِّ باللهِ[4]:

مَا زَالَ يكْلأُ دِيننَا ويَحُوطُهُ ✤ بالمَشْرَفِيَّةِ والوَشِيجِ الذُّبَّلِ

وهذا يصلحُ أنْ يقالَ لبعضِ ولاةِ الثُّغورِ وغيرِهم من الولاةِ ولا يَخصُّ الخليفةَ.

وليسَ ذلك بعيبٍ في مدحِ الخلفاءِ، ولكنْ إذا كانَ ممَّا يخصُّ الخليفةَ دونَ غيرِهِ كانَ ذلك أمدَحَ له.

---

(١) ديوانه: ٣/٢٠٠٣، والبيتان من الطويل.

(٢) علق الشيخ السيد صقر ﷺ على البيت بقوله:
(وما أسخف قوله: «حلفت بمن أدعوه ربًّا»!!!) وهو محق في ذلك.

(٣) ديوانه: ٤/٢١٧٠، والبيتان من الخفيف، وفي ديوانه أنه في ديوانه: (المحل الجليل).

(٤) ديوانه: ٣/١٦٢٦، والبيت من الكامل وفي ديوانه أنه في مدح المتوكل، وجاء الشطر الأول فيه على هذه الصورة: (بكرت جيادك والفوارس فوقهما).

والعيبُ علىٰ الشاعرِ أنْ يمدحَ غيرَ [٢/٢/٢١٤ب] الخليفةِ بما لا يستحقُّهُ إلا الخليفة.

وقالَ في المهتدي بالله مما يختصُّ بالخليفةِ(١):

هَنَتْـكَ أَمِيـرَ المُـؤمِنِينَ مَوَاهِـبٌ ❁ مِـن اللهِ مَشْكُورٌ لَـدَيْكَ جَسِـيمُها
وَتَأْييـدُ دِيـنِ اللهِ إِذْ رُدَّ أَمْـرُهُ ❁ إِليـك فَـرَوَّىٰ فـي الأُمُـورِ عَلِيمُهـا

فخصَّصَهُ قولُه: «وتأْييدُ دينِ اللهِ(٢) إذ رُدَّ أَمْرُهُ إِليك».

وقالَ أَبو تمامٍ في تقويةِ الإِسلامِ(٣):

أَمْسَـىٰ بِـكَ الإِسـلامُ بَـدْرًا بَعْـدَما ❁ مُحِقَـتْ بَشَاشَـتُهُ مُحَـاقَ هِـلالِ
أَكْمَلْـتَ مِنْـهُ كُـلَّ نَقْـصٍ بَعْـدَما ❁ نَقصَـتْهُ أَيْـدِي الكُفْـرِ بَعْـدَ كمَـالِ(٤)
أَلَبَسْـتَهُ أَيَّامَـك الغُـرَّ التـي ❁ أَيَّـامُ غيـرِك عِنْـدهُنَّ لَيَـالِ

إِنَّما قالَ: «أَمسىٰ» ولم يقل أَضحىٰ من أَجلِ قولِهِ: «بدرًا»؛ لأَنَّ البدرَ لا ضوءَ له في الضحىٰ.

وهذا يصلح أَنْ يقالَ لوزيرٍ ولوالي الثغورِ، وإِنْ كانَ في غايةِ الجودةِ.

وقالَ البحتريُّ في المتوكِّلِ(٥):

يَـا كَـالِئَ الإِسْـلَامِ فـي غَفَلَاتـهِ ❁ ومُقِـيمَ نَهْجَـيْ حجِّـهِ وجهـادهِ

(١) ديوانه: ٣/٢٠٢٤، والبيتان من الطويل.
(٢) «ص»: (تأييد دون....).
(٣) شرح الصولي: ٢/١٢٨، شرح التبريزي: ٣/١٤٤، والأبيات من الكامل.
(٤) عند الصولي والتبريزي: (بعد نقص).
(٥) ديوانه: ٢/٧٠٤، والبيت من الكامل.

وقالَ أبو تمامٍ في مديحِ محمدِ بنِ عبدِ الملكِ(١):

إنَّ الخَلِيفَــةَ قَــدْ عَــزَّتْ بِدَوْلَتِــهِ ❊ دَعَــائِمُ الــدِّينِ فَلْيَعْــزِزْ بِــهِ الأَدبُ

ودعائم الدين قد توصفُ بأَنَّها ثبتتْ، وتمكَّنتْ، وأقامتْ، وتوطدتْ، [٢١٥/٢/أ] فهذا هو اللفظُ المستعملُ فيها، ألا ترىٰ أنَّها إذا وُصِفَتْ بضدِّ هذا الوصفِ قيلَ: وَهَتْ، وسقطتْ، وخربتْ(٢)، ولا يقالُ: ذلَّتْ، وإنَّما قالَ: «عزَّتْ» من أجلِ قولِهِ: «فليعزز به الأدبُ» وهذا وإنْ لم يكن خطأً فليسَ بالجيدِ؛ لأنَّه لفظٌ موضوعٌ في غيرِ موضعِهِ(٣).

وقالَ أَبو تمامٍ في إسحاقَ بن إبراهيمَ المصعبيِّ(٤):

تَرْضَىٰ السُّيوفُ بِهِ في الرَّوْعِ مُنْتَصِرًا ❊ ويَغْضَــبُ الــدينُ والــدُّنْيَا إِذَا غَضِــبَا

وهذا مدحٌ لا يليقُ إلا بأَفضلِ الخلفاءِ، وسبيلُ الشاعرِ أَن يتفقَّدَ مثلَ هذا؛ فقد جرتْ بهِ علىٰ قومٍ من الشعراءِ سَلَكُوا دُونَ هذا المسلكِ مَكَارِهُ، وكانَ الحرمانُ أَحسنَ أَحوالِهِمْ التي عادُوا بها.

ونحوُ هذا قولُه في محمدِ بنِ يوسفَ(٥):

---

(١) شرح الصولي: ٣١٠/١، شرح التبريزي: ٢٥٧/١، والبيت من البسيط.

(٢) في «ص»: (خرّت) تحريف، والتصحيح من النظام: جـ١ لوحة ١٢١.

(٣) رد ابن المستوفي في النظام علىٰ الآمدي فقال:

(كان الآمدي كثير التعصب على أبي تمام، وهذا الذي ذكره هو على ما ذكره، لكان في أوصاف الدعائم حقيقة، فحاما مجازًا حسنًا، هذا إذا كانت لفظة «عزت» ضد لفظة «ذلت»، فإن أراد بها الشدة والقوة من قولهم: «من عزيز»، ومن التفسير في قوله تعالى: «فعززنا بثالث»، مخففًا مشددًا، أي قوينا وشدَّدنا، فهو موضوع في موضعه على الحقيقة، خارج عن أن يلحقه ما استدركه الآمدي).

(٤) شرح الصولي: ٢٩٨/١، شرح التبريزي: ٢٣٥/١، والبيت من البسيط.

(٥) شرح الصولي: ١٦٩/٢، شرح التبريزي: ٤٦٧/٢، والبيت من الطويل.

حياتُـــكَ للـــدنيا حيـــاةٌ ظَلِيلَـــةٌ ❁ وفَقْـــدُك للـــدنيا فنـــاءٌ مُوَاشِـــكُ

وهذا عمومٌ؛ لذكرِهِ الدنيا ولا يصلحُ أَنْ يكونَ إلا لخليفةٍ، أَو مَنْ ينفذ في أكثرِ بلادِ اللهِ أمرُهُ.

وهذا متجاوزٌ لقدرِ محمدِ بنِ يوسفَ، وفي المَمَادِحِ التي تُرْضِي الممدوحين مُتَّسعٌ.

وهو في هذا البابِ أشعرُ من البحتريِّ.



ومما يجب في مدح الخلفاء، كانت تلك حالهم أو لم تكن، ذكر التقى والورع

قالَ أَبو تمامٍ في المأمونِ(١):

يَتَجنَّـــبُ الآثـــامَ ثُـــمَّ يَخَافُهـــا ❊ فكأنَّمَـــا حســـناتهُ آثـــامُ

[٢١٥/٢/ب] هذا وصفٌ لطاعةِ اللهِ حَسَنٌ مُسْتَقْصىً، ولكنَّه أَلَمَّ بمعنى قولِ أَبي العتاهية:

يعْتَـــدُّ بإِحْسَـــانِ كُـــلِّ مُحْسِـــنٍ ❊ إِليـــهِ بَعْـــدَ إِسَـــاءَةٍ كَـــانَ مِنْـــهُ

وعَكَسَ أَبو تمامٍ المعنى(٢):

لِـمْ تَنْتَقِصْـنِي إِذْ أَسَـأتَ وزِدْتَنـي ❊ حَتَّـى كَـأَنَّ إِسَـاءَتِي إِحْسَـانُ

وبيت أَبي تمامٍ هذا من بيتِ أَبي العتاهيةِ(٣).

وقالَ البحتريُّ في المهتدي باللهِ(٤):

مُزَايِـدُ نَفْسٍ فـي تُقَـى اللهِ لـم تَـدَعْ ❊ لَـهُ غَايَـةً فـي جِـدِّها واجْتِهَادِهـا

---

(١) شرح الصولي: /٣٧٥، شرح التبريزي: ١٥٣/٣، والبيت من الكامل.

(٢) في نشرة الشيخ السيد صقر جاء شرح معنى بيت أبي العتاهية التالي على هيئة بيت من الشعر، والبيت في ديوان أبي العتاهية وأخباره ص٦٤٧، تحقيق د. شكري فيصل، دار الفلاح للطباعة والنشر، سنة ١٩٦٥.

(٣) «ص»، «ر»: (وهذا بيت أبي تمام من بيت أبي العتاهية).

(٤) ديوانه: ٦٧٦/٢، والأبيات من الطويل، وفي «ص»، «ر»: (لم يدع).

ومـا نَقَلَـتْ مِنْـهُ الخِلَافَـةُ شِـيمَةً ❖ وقَـدْ مَكَّنَتْـهُ عَنْـوَةً مِـنْ قِيَادِهـا
ولا مَالَـتِ الـدُّنْيَا بِـهِ حِينَ أَشْرَقَتْ ❖ لـهُ فـي تَنَـاهي حُسْـنِها واحْتِشَـادِها

وقالَ في المعتمدِ[1]:

مِلِـكٌ تُحيِّيـهِ الملـوكُ ودُونَـهُ ❖ سِـيمَا التُّقَـىٰ وتخَشُّـعُ الزُّهَّـادِ
مُتَهجِّـدٌ يُخْفِـي الصَّلَاة وقَـدْ أَبَـىٰ ❖ إِخْفَاءَهَـا أَثَـرُ السُّـجُودِ البَـادِي[2]

وقالَ في المهديِّ[3]:

فَضَـلَ الأَنَـامَ أرُومَـةً مَحْمُـودَةً ❖ وتُقًـىٰ وأَنْعَـمَ فـي الأَنَـامِ وأَفْضَـلَا

وقالَ في المعتزِّ باللهِ:

يتَقَبَّـلُ المُعْتَـزُّ فَضْـل جُـدُودِهِ ❖ بِخِـلَالِ مَحْمُـودِ الخِـلالِ مُوَفَّـقِ
ويَظَـلُّ يُخْشَـىٰ فـي الإلـهِ ويُتَّقَـىٰ ❖ فيـهِ كمـا يَخْشَـىٰ الإِلـهَ ويَتَّقِـي[4]

[٢١٦/٢/أ] ومع وصفِ الخليفةِ بالتُّقى والورعِ يجبُ أَن يُوصف بالرأفةِ والرحمةِ.

قال أَبو تمامٍ في المعتصمِ[5]:

رَعَـىٰ اللهُ فيـهِ للرَّعيـةِ رَأفَـةً ❖ تُزَايِلُـهُ الـدُّنْيَا ولَيْسَـتْ تُزَايِلُـهْ
فَأَضْـحَىٰ وَقَـدْ فَاضَـتْ إِلَيْـهِ قُلُـوبُهُم ❖ ورَحْمَتُـهُ فـيهمْ تَفِـيضُ ونَائِلُـهْ[6]

---

(١) ديوانه: ٧٣٢/٢، والبيتان من الكامل. وفي «ص»، «ر»: (تحيته). تصحيف.
(٢) «ص»: (وقد أتى). تصحيف.
(٣) ديوانه: ١٦٥٣/٣، والبيت من الكامل. وفيه: (أرومة مذكورة).
(٤) «ص»، «ر»: (كما تخشى الإله وتتقي).
(٥) شرح الصولي: ٢٠٠/٢، شرح التبريزي: ٢٦/٣، والبيتان من الطويل.
(٦) عند الصولي والتبريزي: (فأضحوا).

فقولهُ: «فاضَت إِليه قُلُوبهم» ليسَ بالجيِّدِ؛ لأَنَّ هذه لفظةٌ غيرُ مستعملةٍ في مثلِ هذا، وإِنَّما قالَ ذلكَ من أَجلِ قولِه: «ورَحْمَتُه فيهم تفيض».

وقالَ في الواثقِ[1]:

فَغَــدَوْا وقَــدْ وَثِقُــوا بِرَأفَــةِ واثِــقٍ ❊ بــالله طــائِرُهُ لَهُــمْ مَيْمُــونُ

وقالَ البحتريُّ في المتوكِّلِ[2]:

يُحَبِّبُــهُ عِنْــدَ الرَّعِيَّــةِ أَنَّــهُ ❊ يُــذَبِّبُ عَــنْ أَعْرَاضِــهِمْ ويُحَــامِي

وأَنَّ لَــهُ عَطْفًــا عَلَــيْهم وَرَأفَــةً ❊ وفَضْــلَ أَيَــادٍ بالعَطَــاءِ جِسَــامِ[3]

وليس لأَحدهما فضلٌ في هذا البابِ على صاحبِهِ.



(١) شرح الصولي: ٣/٤٠، شرح التبريزي: ٣/٣٢٥، والبيت من الكامل.

(٢) ديوانه: ٣/٢٠٠٢، وفيه: (يدافع عن أطرافها).

(٣) ديوانه: (عطفًا عليها)، (أيادٍ بالنوال).



بسم الله الرحمن الرحيم

ما قالاه في الجمالِ والجلالِ والهيبةِ والبهاءِ والجهارةِ[1]

قال أبو تمام[2]:

إِنَّا غَدَوْنَا وَاثِقِينَ بِوَاثِقٍ ❊ بِاللهِ شَمسِ ضُحًى وبَدْرِ تَمَامِ

ثم قال بعد في القصيدة[3]:

مَا أَحْسبُ البَدْرَ المُنِيرَ إذا بَدَا ❊ بَدْرًا بِأَضْوَأَ مِنْكَ فِي الأَوْهَامِ

قوله: «في الأَوْهَام» قد عِيبَ به، وقيل لم يجعله مضيئًا في العين، وجعله مضيئًا في الأوهام، والذي ذهب إليه أبو تمام معنى صحيح؛ لأن وجه الإنسان لا يكون أَضْوأ من البدر، فجعله أضْوأ منه في الصدور وفي النفوس، يريد الجلال والهَيْبَة.

وأجود من هذا قول محمد بن وهيب[4]:

تُعَظِّمُهُ الأَوْهَامُ قَبْلَ عِيَانِهِ ❊ ويصْدُرُ عنْهُ الطَّرْفُ والطَّرْفُ حَاسِرُ

(١) آثرت أن يبدأ الجزء الثالث بداية طبيعية، فكان أوله هذا الباب، إذ إن المخطوطة التونسية التي بدأ بها هذا القسم تبدأ بأبيات هي بقية باب الجمال والجلال والهجاء والجهارة. [هذا تعليق الدكتور رحمه الله لتحقيقه القديم للجزء الثالث من الموازنة، فمن هنا تبدأ المخطوطة التونسية الشرقاوي]. (انظر المقدمة ١/١٣٠).

(٢) ديوانه: ٢/٣٦٤، وشرح التبريزي: ٣/٢٠٤ وفيهما «إنا رحلنا».

(٣) في الديوان والتبريزي: «ما أحسب القمر». وفي «ب»: وقال.

(٤) شعراء عباسيون: ٩٤.

وأحسن من قول ابن وهيب قول الأحْوَص[1]:

تـــرَاهُمْ خُضَّـــعَ الأَبْصَـــارِ هَيْبَتَـــهُ ❊ كمـا اسْـتَكانَ لِضَـوْءِ الشَّـارِقِ الرَّمِـدُ

وقال أبو تمام في خالد بن يزيد بن مَزْيَد[2]:

كالبَـــدْرِ حُسْـــنًا وقـــد يُعَـــاوِدُهُ ❊ عُبُـوسُ لَيْـثِ العَـرِينِ فـي عَبْـدِهْ

كالسَّـيْفِ يُعْطِيـكَ مـلْءَ عَيْنَيْـكَ مِـنْ ❊ فِرِنْـــدِهِ تـــارَةً ومِـــنْ رُبْـــدِهْ[3]

وهذا غاية في حسنه وصحته وبراعته.

وقال في جَعْفرٍ الخَيَّاط[4]:

فَتًى في يَدَيْهِ البَأْسُ يَضْحَكُ والنَّدَى ❊ وفـي سَـرْجِهِ بَـدْرٌ ولَيْـثٌ غَضَـنْفَرُ

وهذا مأْخوذٌ من قول مسلم بن الوَلِيد[5]:

تَمْضِـي المَنَايَـا كمـا تَمْضِـي أسِـنَّتُهُ ❊ كَـأَنَّ فـي سَـرْجِهِ بَـدْرًا وضِـرْغَامًا

وقد أَحسن محمد بن وُهَيْب كُلَّ الإِحسان في قوله[6]:

وكَـــأَنَّ ضَـــوْءَ جَبِينِـــهِ قَمَـــر ❊ وكَـــأَنَّ سَـــائِرَ خَلْقِـــهِ أَسَـــدُ

---

(١) «ص»، «ر»: «أبي وهيب» وهو خطأ. والبيت في ديوانه: ٩٧ وفيه: «رأيتهم خُشَّع»

(٢) ديوانه: ٤١٨/١، وشرح التبريزي: ٤٤٠/١ في عبده: أي أنفه.

(٣) الربد: جمع ربدة، وهي كالكلف فيه. «التبريزي».

(٤) ديوانه: ٥٥٣/١، وشرح التبريزي: ٢١٥/٢، وفيهما «من يديه».

(٥) ديوانه ص ٦٥: «أي أسنته والمنايا سواء، تفعل أسنته ما تفعل المنايا «كأن في سرجه بدرًا» في فخامة الخلق وحسن المنظر، وليثًا في الشجاعة. وصفه بالنجدة».

(٦) شعراء عباسيون، وفيه: «وكأنه في صولةٍ أَسَدُ»، و«كأن» ساقطة من «ص». وهي في «ر».

وقال أبو تمام في خالد بن يزيد بن مَزْيد[1]:

وقَــدْ كَـــانَ مِمَّــا يُضِــيءُ السَّرِيــ ❊ ــرَ والبَهْــوُ يَمْلَــؤُهُ بالبَهَــاءِ
مَضَــى خَالــدُ بــنُ يزيــدُ [بــنِ] مَــزْ ❊ يــدٍ قَمَــرُ الليــلِ شــمسُ الضَّــحَاءِ[2]

وهذا يَمُرُّ في «المراثي»[3].

وقال البحتري في المهتدي بالله[4]:

زَادَ فــي بَهْجَــةِ الخِلَافَــةِ نُــورًا ❊ فَهْــوَ شَــمْسُ النَّهــارِ وهْــي نَهَــارُ
طَلْعَــةٌ تَمْــلَأُ القُلُــوبَ ووَجْــهٌ ❊ خَشَــعَتْ دُونَ ضَــوْئِهِ الأَبْصَــارُ
ذَكَــرُوا الهُــدَى مِــنْ أَبِيــكَ وقَــالُوا ❊ هُــوَ ذَاكَ السِّــيما وذَاكَ النَّجَــارُ[5]
وعلــيهمْ ســكينةٌ لــكَ إلَّا ❊ مَــدَّ أيْــدٍ يُومَــا بهــا ويُشَــارُ
بُهِتُــوا حَيْــرَةً وصَــمْتًا فَلَــوْ قِيــ ❊ ــلَ: أَجِيــرُوا مَقَالَــةً مَــا أَحَــارُوا[6]
وقلِيــلٌ إنْ أَكْبَــرُوكَ لَــكَ الهَيْــ ❊ ــبَــةُ مِمَّــنْ رَآكَ والإكْبَــارُ

وقال في المتوكل لما خرج لصلاة العيد[7]:

وافْــتَنَّ فيــك النَّــاظِرُونَ: فَإصْــبَعٌ ❊ يُومَــا إليــك بهــا، وعَــيْنٌ تَنْظُــرُ

---

(1) ديوانه: ٢٢٢/٣، والتبريزي ١٤/٤، ٢٤، وفي الجزء الثاني «السريرُ» بالضم، وهو خطأ.

(2) «بن» ساقطة من «ص»، وق، وفي ديوانه والتبريزي منع «مزيد» من الصرف والواجب أن يصرف ضرورة ليصح الوزن.

(3) لم أجد البيتين في باب المراثي، وقد يكونان في الجزء الساقط منه.

(4) ديوانه: ٨٥٤/٢. وفيه: «فهو شمس الناس».

(5) في الديوان: «هي تلك السيما».

(6) «ص»: «أجيروا مقالة ما أجاروا».

(7) ديوانه: ١٠٧٢/٢.

يَجِـدُونَ رُؤْيَتَـكَ التـي فَـازُوا بِهَـا ❁ مِـنْ أَنْعُـمِ اللهِ التـي لَا تُكْفَـرُ

ذَكَـرُوا بِطَلْعَتِـكَ النبـيَّ فَهَلَّلُـوا ❁ لَمَّـا طَلَعْـتَ مِـنَ الصُّفُوفِ وكَبَّرُوا

حتَّـى انْتَهَيْـتَ إِلـى المُصَـلَّى لَابِسًـا ❁ نُـورَ الهُـدَى يَبْـدُو عليـكَ ويَظْهَـرُ

ومَشَـيْتَ مِشْـيَةَ خَاشِـعٍ مُتَواضِـعٍ ❁ للهِ لا يَزْهُـو، ولا يَتَكَبَّـرُ[1]

وَلَـوَ انَّ مُشْـتَاقًا تَكَلَّـفَ فَـوْقَ مَـا ❁ فِـي وُسْـعِهِ لَمَضَـى إِلِيـكَ المِنْبَـرُ[2]

وقال فيه لما دخل عليه وفد الروم[3]:

ورَأَيْـتَ وَفْـدَ الـرُّومِ بَعْـدَ عِنَـادِهِمْ ❁ عَرَفُـوا فَضَـائِلَكَ التـي لا تُجْهَـلُ

لَحَظُـوكَ أَوَّلَ لَحْظَـةٍ فَاسْتَصْـغَرُوا ❁ مَـنْ كَـانَ يُعْظَـمُ فـيهمُ ويُبَجَّـلُ

وَرَأَوْكَ وَضَّـاحَ الجَبِـينِ كمـا يُـرَى ❁ قَمَـرُ السماءِ السَّعْدِ سَـاعَةَ يَكْمُـلُ[4]

نَظَـروا إليـكَ فَقَدَّسُـوا، ولَـوَ انَّهُـمْ ❁ نَطَقُـوا الفَصِـيحَ لَكَبَّـرُوا ولَهَلَّلُـوا

حَضَرُوا السِّمَاطَ فَكُلَّمَا رَامُوا القِرَى ❁ مَالَـتْ بِأَيْـدِيهِمْ عُقُـولٌ ذُهَّـلُ

تَهْـوِي أَكُفُّهُـمُ إِلَـى أَفْـوَاهِهِم ❁ فَتَجُـورُ عَـنْ قَصْـدِ السَّبِيلِ وتَعْـدِلُ

مُتَحَيِّـرِينَ فَبَاهِـتٌ مُتَعَجِّـبٌ ❁ مِمَّـا يَـرَى، أَوْ نَـاظِرٌ مُتَأَمِّـلُ[5]

---

(١) في الديوان: «لا يُزهى».

(٢) وفيه: «فلو... غير ما في وسعه لَمَشى».

(٣) ديوانه: ١٥٩٦/٣.

(٤) في الديوان: «التَّمَّ ليلة يكمل».

(٥) في الديوان: «متحيرون».

ويَـــوَدُّ قَـــومُهمُ الأُلَـــى بَعَثُـــوهُمُ ❊ لَـوْ ضَـمَّهُمْ بـالأَمْس ذَاكَ المَحْفَـلُ[١]

قَدْ نَافَسَ الغَيَبُ الحُضُورَ عَلَى الذي ❊ شَهِدُوا، وَقَدْ حَسَدَ الرَّسُولَ المُرْسَلُ[٢]

قوله: «بَاهِتٌ»، من بَهِتَ يَبْهَتُ وقد قيلت، وهي رديئة، والجيد بُهِتَ يُبْهَت.

وقال في المعتز[٣]:

يُبْهَـــتُ الوَفْـــدُ فـــي أَسِـــرَّةِ وَجْـــهٍ ❊ سَـــاطِعِ الضَّـــوْءِ مُسْـــتَنِيرِ الشُّـــعَاعِ

وقال فيه[٤]:

إِذَا نَظَـــرَ الوُفُـــودُ إليـــه قَـــالُوا ❊ أَبَـــدْرُ الليـــلِ أَمْ شَـــمْسُ النَّهَـــارِ

وأجود من هذا قول ابن هرمة[٥]:

لا يَرْفَعُـــونَ إليـــه الطَّـــرْفَ خَشْـــيَتَهُ ❊ لا خَـوْفَ بَـأْسٍ وَلكـنْ خَـوْفَ إِجْـلَالِ

وأجود من هذا قول طُرَيح الثَّقَفِي[٦]:

يَعْـــرُوهُمُ أَفْكَـــلٌ لَـــدَيْكَ كَمَـــا ❊ قَفْقَـــفَ تَحْـــتَ الدَّجُنَّـــةِ الصَّـــرِدُ

لَا خَـــوفَ ظُلْـــمٍ، ولا قِلَـــى خُلُـــقٍ ❊ لَكِـــنْ جَـــلَالٌ كَسَـــاكَهُ الصَّـــمَدُ

(١) وفيه: «ويودُّ قومِهِم الأُلى... بعثوا بهم». وفي الجزء الثاني «الأولى».

(٢) في الجزء الثاني: «الغَيَبَ الحضورُ»، «حُسِدَ الرسول المُرْسَلُ»، وهو خطأ.

(٣) ديوانه: ١٢٤٤/٢.

(٤) ديوانه: ٩٣٨/٢.

(٥) ديوانه: ١٧٩ وفيه «لا خوف فحشٍ».

(٦) في اللسان: «الأفكل على أفعل: رعدة تعلو الإنسان ولا فعل له». وقفقف: أرعد من البرد، والدجنة: الظلمة. الصرد: الذي أرعده البرد. والبيتان في شعراء أمويون: ٣٠٠/٣، وفيه «إلَّا جلالاً».

وأصل الباب كلّه قولُ الحَزِين الكِنَانِي[1]:

يُغضِي حياءً، ويُغْضَى مِنْ مَهَابَتِهِ ❁ فَمَا يُكَلَّمُ إلَّا حِينَ يَبْتَسِمُ

وقال في المُتَوَكِّل[2]:

اليَوْمَ أُطْلِعَ لِلخِلَافَةِ سَعْدُها ❁ وأَضَاءَ فيها بَدْرُها المَتَهَلِّلُ

لَبِسَتْ جَلَالَةَ جَعْفَرٍ فكَأَنَّهَا ❁ سَحَرٌ تَجَلَّلَهُ النَّهَارُ المُقْبِلُ

وقال في المعتز ويذكر الزَّوَّ[3]:

ولَمْ أَرَ كالمُعْتَزِّ إذْ راحَ مُوفِيًا ❁ عليه بوجهٍ لاح في الرَّوْنَقِ النَّضْرِ[4]

---

(١) الوساطة: ٢٩٦، والأغاني: ٧٥/١٤ وغير منسوب في الكامل: ٥٧٤/٢. وكلمة «أصل» ساقطة من «ص»، وهي في «ر».

(٢) ديوانه: ١٧٥/٣.

(٣) في اللسان «زوئ» «الزو: القرينان من السفن» ثم قال: «الجوهري: وزو: اسم جبل بالعراق. قال ابن بري: ليس بالعراق جبل يسمىٰ زوًا، وإنما هو سمع في شعر البحتري يمتدح المعتز بالله حين ركب مركبين وشحنهما بالحطب وأوقد فيهما نارًا، ويسمىٰ ذلك بالعراق زوًا في عيد الفرس يسمىٰ الصدق فقال: «ولا جبلًا كالزو» وقال الفيروزآبادي في القاموس: ٣٣٩/٤ «والزو كالتو: سفينة عملها المتوكل لا جبل، ووهم الجوهري، وإنما غره قول البحتري:

ولا جبلًا كالزو يوقف تارة ❁ وينقاد إما قدته بزمام

والبيت في ديوانه: ١٩٩٨/٣.

(٤) ديوانه: ١٠٥٣/٢ عليه: أي علىٰ الزو الذي ذكره قبل ذلك:

تعجبت من فرعون إذ ظن أنه ❁ إله لأن النيل من تحته يجري

ولو بصرت عيناه بالزو لازدرى ❁ حقير الذي نالت يداه من الأمر

إذًا لرأى قصرًا على ظهر لجة ❁ يَرُوحُ ويغدو فوق أمواجها يجري

تُصاد الوحوشُ في جَفَافَي طريقه ❁ وتُسْتَنْزَلُ الطيرُ العوالي على قَسْر

مَلِيًّــا بِــأَنْ يَجْلُــو الظَّــلَامَ بِغُــرَّةٍ ✤ تَخَاضَــعُ إِكْبَــارًا لَهَــا غُــرَّةُ الفَجْــرِ
إِذَا اهتَــزَّ غِــبَّ الأَرْيَحِيَّــةِ والنَّــدَى ✤ وأَسْــفَرَ فــي ضَــوْءِ الطَّلَاقَــةِ والبِشْــرِ
وقَابَلَــهُ بَــدْرُ السَّــماءِ بِحُسْــنِهِ ✤ فَبَــدْرٌ عَلَى بَــدْرٍ، وبَحْــرٌ عَلى بَحْــرِ[1]
رأَيــتُ بَهَــاءَ المُلْــكِ مُجْتَمِعًــا لَــهُ ✤ ودِيبَاجَــةَ الــدُّنْيَا ومَكْرُمَــةَ الــدَّهرِ

وقال فيه:

مَلِــكٌ يَمْــلَأُ العُيــونَ بَهَــاءً ✤ حِــينَ يَبْــدُو فــي تَاجِــهِ المَعْقُــودِ[2]

والخلفاءُ وملوكُ الإسلام لا يلبسون التِّيجَان، وأَظنها كانت يتخذها الأحداثُ منهم فيلبسونها في خلواتهم، ومع نسائهم، ومن لا يَحْتَشِمُونَه مِنْ نُدَمائِهم، فأما القَلانِسُ المُعَمَّمَةُ التي تُرَصَّعُ بالجوهر فلا شك فيها. ومَنْ ذَكَرَ تيجانَ الخلفاءِ من الشعراءِ فلعله رأىٰ علىٰ رؤُوسهم هذا الجِنْسَ، فقد قال البحتري أيضًا في المهتدي ينفي عنه لبْسَ التَّاج[3]:

لَسَــجَّادَةُ السَّــجَّادِ أَحْسَــنُ مَنْظَــرًا ✤ مِــنَ التــاج فــي أحْجَــارِهِ واتِّقَادِهَــا

وقال في المعتز:

كَأَنَمَــا التَّــاجُ إِذَا مَــا عَــلَا ✤ غُرّتَــهُ بالــدُّرِرِ الزُّهْــرِ[4]
[كَوَاكِــبُ الفَكَّــةِ فــي أُفقهــا ✤ دَنَــتْ فَحَفَّــتْ غُــرَّةَ البَــدْرِ[5]]

---

(١) ديوانه: «بوجهه».
(٢) ديوانه: ٢/٧٢٩ وفيه: «تُمْلأُ العيونُ».
(٣) ديوانه: ٢/٦٧٧ وقوله: «في المهتدي» ساقطة من «ر».
(٤) ديوانه: ٢/١٠١١.
(٥) زيادة لازمة، وجاء في اللسان: «فكك» «والفكة: نجوم مستديرة بحيال بنات نعش خلف السماك الرامح».

وقد تقدم من إنكار عبد الملك بن مروان علىٰ ابن الرّقيّات قوله[1]:

يَعْتَــدِلُ التــاجُ فَــوْقَ مَفرِقِــهِ

فأما الجلال، والبهاءُ، والهيبة، وسائر ما مضىٰ من ذلك في هذا الباب، فإنه واجب في مدح الخلفاءِ والملوك والعظماءِ؛ لأنه من الأوصاف التي تخصُّهم، ويحسن موقع ذكرها عندهم، وكذلك جمال الوجه وحسنُه مما يجب المَدْحُ به؛ فإنَّ الوجه الجميل يزيد في الهيبة، ويَتَيَمَّنُ به العرب؛ لأنه يَدُل علىٰ الخصال المحمودة، كما أَنَّ قبح الوجه والدَّمَامَة يسقط الهيبة، ويدل علىٰ الخصال المذمومة، وذلك ما تكرهه العرب[2]، وتتشاءَم به؛ لأن أول ما تلقاه من الإنسان وتعاينه وجهه، ألا ترىٰ إلىٰ قول البحتري[3]:

أغَــرُّ كَبَــارِقِ الغيْــثِ المُرَجّــى ✤ يُحَبَّــبُ فــي الأَبَاعِــدِ والأَدَانِــي

تخَاضــعَتِ الوُجُــوهُ لِحُسْــنِ وَجْــهٍ ✤ يَــدُلُّ علــى خَلَائِقِــهِ الحِسَــانِ

وقال في مثل ذلك:

---

(١) لم أجده فيما تقدم وتمام البيت «علىٰ جبين كأنَّهُ الذَّهبُ». ديوانه: ٥. وكان ابن الرقيات منقطعًا إلىٰ مصعب بن الزبير يمدحه ويهجو عبد الله، فلما قتل مصعب لجأ إلىٰ عبد الله بن جعفر، الذي سأل عبد الله في أمره فأمنَّه، ومدح ابن الرقيات عبد الله بقصيدة منها هذا البيت، فلما سمعه عبد الملك قال: تمدحني بالتاج كأني من العجم وتقول في مصلعب:

إنمــا مصــعب شــهاب مــن اللــ ✤ ــه تجلــت عــن وجهــه الظلمــاءُ

أما الأمان فقد سبق لكِ، ولكن والله لا تأخذين مع المسلمين عطاءً أبدًا. «الموشح: ٢٩٤، الأغاني: ٤/١٥٧».

(٢) «ر»: «وذلك مما يكرهه العرب».

(٣) ديوانه: ٤/٢٢٧٧.

حَسَـــنُ الوَجْـــهِ والـــرّواءِ وكَـــمْ دَ ❊ لّ عَلَـــى سُـــؤْدَدِ الشَّـــرِيف رِوَاؤُهْ[1]
مـــاءُ وَجْـــهِ إذَا تَـــبَلَّجَ أَعْطـــا ❊ كَ أَمانًـــا مِـــنْ نَبْـــوَةِ الـــدَّهْر مَـــاؤُهْ
يَتَعَـــالى ضِـــيَاؤُهُ فَيُجَلِّـــى ❊ طِخْيَـــةَ الحَـــادِثِ المُضَـــبِّ ضِـــيَاؤُهْ[2]

وقد غَلِط بعض المتأخرين في هذا الباب ـ ممن ألف في «نقد الشعر» كتابًا ـ غلطًا فاحشًا[3]، فذكر أن المدح بالحسن والجمال، والذم بالقبح والدمامة ليس بمدح على الحقيقة، ولا ذم على الصحة، وخَطَّأَ كلّ من يمدح بهذا أو يَذُمُّ بذاك، فعدَلَ بهذا المعنى عن مذاهب الأمم كلها عربيّها وعجميّها، وأسقط أكثر مدح العرب وهجائها، وقد بينت قبح غلطه في هذا تبيينًا شافيًا مستقصى في كتاب منفرد[4].

وقال البحتري يمدح المعتز ويذكر ابنه عبد الله[5]:

عَلَيْـــهِ مِـــنَ المُعْتَـــزِّ بـــالله بَهْجَـــة ❊ أَضَاءَتْ فَلَوْ يَسْرِي بِهَا الرَّكْبُ لاهتدى
يَـــرُوقُ العُيُـــونَ النَّـــاظراتِ بِطَلْعَـــةٍ ❊ مِنَ الحُسْنِ لو وَافَى بها البَدْر ما عَدَا[6]
تأمَّـــلْ أمِـــينَ اللهِ فَـــرْطَ جَلَالَـــةٍ ❊ وأُبَّهَـــةٍ تَبْـــدُو عَلَيْـــه إذَا بَـــدَا[7]

---

(1) ديوانه: ١/٣٠ وفيه: «حَسَنُ الفِعْلِ».

(2) في الديوان: «يتجَلّى ضياؤه» و«ظلمة الحادث» وهي بمعناها.

(3) يقصد قدامة بن جعفر الكاتب، مؤلف كتاب نقد الشعر، انظر: «نقد الشعر ص ٢١٥ ـ ٢٢٢».

(4) اسمه «تبيين غلط قدامة بن جعفر في نقد الشعر»، وقد ألفه لأبي الفضل: محمد بن الحسين العميد، وقُرِئَ عليه، وكتب خطه، في سنة خمس وستين وثلاثمائة. كما في معجم الأدباء: ٨/٧٦.

(5) ديوانه: ٢/٦٧١، «ويذكر ابنه عبد الله» ساقط من «ر».

(6) في «ص»، و«ر»: «لو أوفى» وهي خطأ وفي الديوان: «باعدا».

(7) في «ص»، و«ر»: «تبدو عليك» والصحيح ما أثبت الشيخ صقر وهي كذلك في الديوان،=

وقد تصرف البحتري في المدح بالجمال والهيبة والجلال تصرفًا كثيرًا في غير مدح الخلفاء، فقال في الفضل بن إسماعيل الهاشمي[(١)]:

لا تطلُبَنَّ لَهُ الشَّبِيهَ فَإِنَّهُ ✤ قَمَرُ التَّأَمُّلِ مُزْنَةُ التَّأْمِيلِ

وقال في الفتح بن خاقان[(٢)]:

تكَشَّفَ الليلُ مِنْ لَألَاءِ غُرَّتِهِ ✤ عَنْ بَدْرِ دَاجِيَةٍ أَوْ شَمْسِ إصْبَاحِ

وقال يمدحه[(٣)]:

ويبْتَدِرُ الراءُونَ مِنْهُ إذَا بَدَا ✤ سَنَا قَمَرٍ مِنْ سُدَّةِ المُلْكِ مُطْلَعِ
يَقُومُونَ مِنْ بُعْدٍ إذَا بَصُروا بِهِ ✤ لِأَبْلَجٍ مِنْ نُورِ الجَلَالَةِ أَرْوَعِ[(٤)]
ويُدْعَونَ بالأَسْمَاءِ مَثْنَى ومَوْحَدًا ✤ إذَا حَضَرُوا بَابَ الرِّوَاقِ المُرَفَّعِ[(٥)]
إذا سَارَ كُفَّ اللَّحْظُ عَنْ كُلِّ مُبْصَرٍ ✤ سِوَاهُ، وغُضّ الصَوْتُ عَنْ كُلِّ مَسْمَعِ[(٦)]
فَلَسْتَ تَرى إلَّا إفَاضَةَ شَاخِصٍ ✤ إليهِ بِعَيْنٍ، أَوْ مُشِيرٍ بِإصْبَعِ

الإفاضة: الدَّفْعُ، يريد أنه يدفع[(٧)] ببصره إليه، ويَنْحُو به نَحْوَه. والإفاضة في الكلام أن يدفعوا أيضًا القول، ويبعثوا الكلام، وهذه هيبةٌ وجلال ما وراءَها

= وفي الجزء الثاني «رائعة تبدو عليه» وهو خطأ، والتصحيح من ديوانه و«ر».

(١) ديوانه: ٣/١٦٥٩.

(٢) ديوانه: ١/٤٤٣.

(٣) ديوانه: ٢/١٢٣٩.

(٤) في الديوان: «لأبلج موفور الجلالة».

(٥) «ص»: «إذا حضر في باب».

(٦) في الديوان: «عن كل منظر»

(٧) في «ص»، و«ر»: «يدفعه».

غاية. وكان المتوكل أولى بهذا الوصف من الفتح وإن كان الفتح أَوْقَرَ وأهيب.

وقال البحتري في دخوله إلى الفتح[1]:

ولمـا حَضَـرْنَا سُـدَّةَ الإِذْنِ أُخِّـرَتْ ✤ رِجـالٌ عـنِ البـابِ الـذي أنـا دَاخِلُـهْ

فَأَفْضَـيْتُ مِـنْ قُـرْب إلـى ذِي مَهَابَـةٍ ✤ أُقَابِــلُ بَــدْرَ الأُفْــق حِـينَ أُقَابِلُــهْ

فَسَــلَّمْتُ واعْتَاقَــت جَنَــانِيَ هَيْبَــةٌ ✤ تُنَــازِعُنِي القَــوْلَ الــذي أنَــا قَائِلُــهْ

فَلَمَّــا تَأَمَّلْــتُ الطَّلَاقَــةَ وانْثَنَــى ✤ إلــيَّ بِبِشْــرٍ آنَسَــتْنِي مَخَايلُــهْ

دَنَـوْتُ فَقَبَّلْـتُ النَّـدَى فـي يـدِ امـرِئٍ ✤ جميــلٍ مُحَيَّــاهُ، سِـبَاطٍ أَنَامِلُــهْ[2]

صَـفَتْ مِثْـلَ مَـا تَصْـفُو المُـدَامُ خِلَالُـهُ ✤ ورَقَّــتْ كمــا رَقَّ النَّسِـيمُ شَـمَائِلُهْ[3]

هكذا لعمري تمدح الملوك.

وقال فيه[4]:

مَهِيــبٌ يُعْظِــمُ العُلَمَــاءُ مِنْــهُ ✤ جَلَالَــــةَ أَرْوَعٍ وَارِي الزنَـــادِ

يُــؤَدُّونَ التَّحِيَّــةَ مِــنْ بَعيــدٍ ✤ إلــى قَمَــرٍ مِــنَ الإِيــوانِ بَــادِ

قِيــامٌ فــي المَرَاتِــبِ أو قُعُــودٌ ✤ سُــكونٌ مِــنْ أَنَــاةٍ واتِّئَــادِ

فَلَـيْسَ اللَّحْـظُ بـالمَكْرورِ شَـزْرًا ✤ إِليــه، ولا الحــديثُ بِمُسْــتَعَادِ

وقال فيه أيضًا لما دخلت إليه بنو تَغْلب بعدما أَصْلَحَ بينهم حتى سكنت

---

(١) ديوانه: ٣/١٦٠٩.

(٢) «ص»: «فقبلت الذي»

(٣) «ص»: «المدام جلالة».

(٤) ديوانه: ٢/٧٢٦ «يعظم العظماء منه».

حزبُهم، يقول ذلك في قصيدته المنصفة[1]:

تَـرَاءَوْكَ مِـنْ أَقْصَـى السِّـمَاطِ فَقَصَّـرُوا ❊ خُطَاهُمْ وقَدْ جَازُوا السُّتُورَ وهُمْ عُجْلُ
إِذَا قَلَّبُـوا أَبْصَـارَهُمْ مِـنْ مَهَابَـةٍ ❊ ومَـالُوا بِلَحْـظٍ خِلْـتَ أَنَّهُـمُ قُبْـلُ[2]

وهذا من فاخر المدح ومُصِيبِ الوَصْف. وفي اقتصاص مثل هذه الأحوال التي تشاهد يظهر[3] حِذْقُ الشاعر وبراعته[4].

....[5]

[٢س] وقال[6] «البحتري» في الفتح:

---

(١) ديوانه: ١٦١٥/٣ وفي «ص»: «تزاؤل» وهو تحريف.

(٢) في الديوان: «إذا نكسوا».

(٣) «ص»: «فيظهر» وهو تحريف.

(٤) جاء بعد هذا في المخطوطتين «ص»، و«ر»: والله الموفق.
تم كتاب الموازنة بين الطائيين للآمدي بحمد الله ومنه وصلواته وسلامه على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين «ر: وآله أجمعين» وسلم تسليمًا كثيرًا دائمًا أبدًا آمين والحمد لله رب العالمين (من قوله: دائمًا... ليست في ر).

(٥) هنا خرم بين نهاية المخطوطتين «ص»، «ر»، وبين بداية المخطوطة التونسية «س» لا نعرف مقداره قد يكون أبياتًا وقد يكون صفحات.

(٦) من هنا يبدأ القسم الجديد وهو الجزء الثالث من الكتاب مع بداية هذه النسخة التونسية المباركة، جاء في أولها: (بسم الله الرحمن الرحيم وما توفيقي إلا بالله)، وهي تكمل ما انقطع بعد الجزء الثاني المطبوع الذي انتهى إلى «وصف الجلال والهيبة»، وهذه الأبيات وما بعدها بقية هذا الباب كما سيمر، [هذا تعليق المحقق رحمه الله على التقسيم القديم] الشرقاوي، وفي الأصل: «وقال في الفتح». والأبيات في ديوان البحتري: ٦٢٤/١.
والفتح بن خاقان بن أحمد، كان من أولا الملوك، وفي نهاية الذكاء والفطنة وحسن الأدب اتخذه المتوكل أخًا له وكان يقدمه على سائر ولده وأهله، وكان له خزانة جمعها له علي بن يحيى المنجم، توفي في الليلة التي قتل فيها المتوكل سنة ٢٤٧ «الفهرست ص ١٣٠، ومعجم الأدباء: ١٧٤/١٦».

تَلفَّتَ فوقَ العالمينَ [فطالَهم] ❁ تَشوُّفُ بَسَّامٍ إلى الوَفْدِ قَاعِدِ[1]
جَهيرُ الخِطاب يخفِضُ القومُ عندَهُ ❁ معاريضَ قَولٍ كالرِّيَاحِ الرَّوَاكدِ
يَخُصون بالتَبْجيلِ أطْولَهم يدًا ❁ وأظْهرَهم أُكرُومةً في المَشاهدِ[2]
ولم أرَ أمثالَ الرِّجالِ تَفاوتَتْ ❁ إلى الفَضْلِ حتى قِيسَ أَلْفٌ بِوَاحِدِ[3]

وقال في عُبيد الله بن عبد الله بن طاهرٍ حين قَدِمَ بغدادَ[4]:

وتُعْطَفُ أثْناءُ السُّرادِقِ حَوْلَهُ ❁ [على قمرٍ تَنْجابُ عنه سدولُها]
[إذا القومُ قامُوا يرقبونَ بُدوّهُ] ❁ بدا حَسَنُ الأخلاقِ فيهم جَميلُها[5]
كأَنَّهُمُ عند استلامِ رِكَابِه ❁ غصائبُ عند البيتِ حانَ قفولُها
إذا ازدحموا قُدَّامَه ووراءَه ❁ مشوا مِشْيةً يأبى الأناةَ عَجولُها

وقال أبو عمرو والمفضل: كُثَيِّرٌ أشعرُ الناس في وصف الهيبةِ إذْ يقول[6]:

شَهِدْتُ ابنَ ليلى في مواطنَ قد خلت ❁ يزيدُ بها ذا الحلمِ حِلمًا حضورُها

---

(١) ديوانه: «فوق القائمين». وما بين الحاصرتين سقط من «س».
(٢) في «س»: «يخوضون بالتبجيل أطوالهم يد» تحريف والتصحيح من ديوانه.
(٣) ديوانه: «حتى عدّ».
(٤) ديوانه: ٣/١٧٧٣ والممدوح هو أبو أحمد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب الخزاعي بالولاء، كان أبوه وجدّه من المقدمين عند المأمون، ولي شرطة بغداد، وكان سيدًا، وإليه انتهت رئاسة أهله، وله بعض المصنفات ولد سنة ٢٢٣ وتوفي سنة ٣١٠ «ابن خلكان: ٣/١٢٠، وتاريخ بغداد ١٠/٣٤٠، والديارات: ٧١، والأغاني: «الدار ٩/٤٠».
(٥) ورد صدر البيت الأول مع عجز الثاني، وسقط ما بين الحاصرتين.
(٦) وهذا يقطع بأن هذا القسم هو بقية باب «وصف الجلال والهيبة» وهو آخر أبواب الجزء الثالث المطبوع. والأبيات في ديوانه: ٣١٧، وابن ليلى هو: عبد العزيز بن مروان.

فـلا هـاجرات القَـولِ يُـوَرِّثْنَ عنـدَهُ ❊ ولا كلمـاتُ النُّصـحِ ملقّـى مُشـيرُها(١)
تـرى القـومَ يخفُـونَ المـواعِظَ عنـده ❊ ويُنْـذِرُهم عـورَ الكـلامِ نَـذيرُها(٢)

وقد أحسن ذو الرمّةِ كلَّ الإحسانِ إذ يقولُ في مدحِ بلالِ بن أبي بردة(٣):

مِـنَ آلِ أبـي موسـى تـرى القـومَ حولَـهُ ❊ كـأنهُمُ الخِرْبـانُ أبْصَـرنَ بازِيَـا(٤)
مُـرِمّينَ مـن ليـثٍ عليـهِ مهابَـةٌ ❊ تفـادَى الأسـودُ الغُلْـبُ مِنْـهُ تفادِيَـا(٥)
فمـا يُغْرِبُـونَ الضِّـحكَ إلّا تَبسُّـمًا ❊ ولا يَنْسِـبُونَ القـولَ إلّا تَناجِيَـا
لـدَى مَلـكٍ يعلـو الرجـالَ بضـوئِهِ ❊ كمـا بهَـرَ البـدرُ النجـومَ السَّـواريَا
ولا الفُحْـشَ فيـهِ يرهبـونَ ولا الخنَـا ❊ علـيهِمْ ولكـنْ هيبـةٌ هـيَ مـا هِيَـا

«المُرِمُّ»: الساكتُ المطرقُ، وقولُه: «يُغْرِبُونَ» من أغربَ في الضَّحِكِ واسْتَغْرَبَ إذا أَكْثَرَ، و«ويَنْسِبُونَ»: يتكلَّمونَ كلامًا خفيًا(٦)، وهذا مِثْلُ قولِ كُثيِّرٍ:

تَـرىٰ القومَ يُخْفونَ المواعِظَ عِنْدَهُ

وليسَ هذا ولا قولُ كُثَيِّرٍ بأجودَ ولا أبلغَ من قَولِ البحتريِّ في الفتحِ

---

(١) ديوانه: «يؤثرن».

(٢) ديوان: «يخفون التبسّم».

(٣) بلال بن أبي بردة عامر بن أبي موسىٰ الأشعري، كان أمير البصرة وقاضيها ولاه إياها خالد القسري سنة ١٠٩ وتوفي في حبس يوسف بن عمر سنة نيف وعشرين ومائة «وفيات الأعيان: ١٠/٣ وخزانة الأدب: ٣٥/٣» والأبيات في ديوان ذي الرُّمة: ١٣١٣.

(٤) ديوانه: «ترىٰ الناس، كأنهم الكروان»، والخربان ذكور الحبارىٰ، الواحد خَرَب، وقيل هو الحبارىٰ كلها» انظر «الخصائص لابن جني: ٢٤٢/٢، والحيوان: ٣٧٤/٦».

(٥) ديوانه: «أسود الغاب».

(٦) انظر شرح المبرد للأبيات في الكامل: ٥٧٠/٢.

ابن خاقانَ(١).

وقال أبو العتاهيةَ في الهادي(٢):

يضـــطَرِبُ الخـــوفُ والرجـــاءُ إذا ✤ حَـــرَّكَ موســـى القضـــيبَ أو فكَّـــرْ

وإنَّما حذاهُ على قولِ ابنِ هَرْمةَ في المنصورِ(٣):

لَـــهُ لحظـــاتٌ عـــن حِفَـــافَيْ ســـريرِهِ ✤ إذا كرَّهـــا منهـــا عِقـــابٌ ونَائـــلُ



(١) انظر ما سبق من شعره فيه.

(٢) ديوانه: ٢١١.

(٣) ديوانه: ١٦٨، وحفافا كل شيء: جانباه.

إفاضةُ العدلِ وإقامةُ الحقِّ(١)

«......(٢)؟» بما قالوه في الخلفاءِ.

وقال(٣) أبو تمامٍ في المأمونِ(٤):

[٣س] يـا أيُّهـا الملـكُ الهُمـامُ وعَدْلُـهُ ❊ مَلِـكٌ عليـه فـي القضـاءِ هُمـامُ

مـا زالَ حُكـمُ اللهِ يُشـرِقُ وجهُـهُ ❊ في الأرضِ مُذْ نيطت بك الأحكامُ

قوله: «يشرقُ في الأرضِ» عمومٌ يليقُ بالخليفةِ، ولكن لا يقبح أن يوصَفَ به وزيرٌ أو من يقوم مقامه، لأنَّ الخليفةَ ينوطُ أمرَ الأحكامِ وغيرَ الأحكامِ بهِ.

وقولُهُ: «وعدلُهُ مَلِكٌ» ليس بمنكرٍ أن يجعلَ العدل ملكًا على الحقيقةِ إذا كان يُتَدَبَّرُ بإفاضتِه واستعمالِهِ، فلم يقنعْ بهذه الاستعارة حتّى جعل العدلَ مَلِكًا همامًا من أجل قوله: «يا أيها الملكُ الهُمامُ»، على مذهبِه في رديء الاستعارة. والهُمامُ: ذو الهِمَّةِ البعيدةِ، ويقال: الذي إذا همَّ بشيءٍ أمضاهُ ولم يتعذرْ عليه.

[و]الجيّدُ النّادرِ في إفاضةِ العدلِ قولُ منصورٍ(٥):

لقـد شَـمِلَ البَرِيَّـة منـهُ عَـدْلٌ ❊ سـيجعلُهُ أَئِمَّـتُهُمْ مِثـالَا

(١) في «س»: «وإقامة العدل» وانظر ص ١٠٩ من هذا الجزء.

(٢) كلمات مطموسة لم أتمكن من قراءتها.

(٣) كذا في «س»، وربما سبق هذا بعض الأبيات لأبي تمام سقطت من النسخة.

(٤) ديوانه: ٣٧٥/٢، والتبريزي: ١٥٣/٣.

(٥) منصور النمري: هو منصور بن سلمة بن الزبرقان من بني النمر بن قاسط، وكان مقدمًا عند الرشيد «الشعر والشعراء ٨٥٩، طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٢٤٢»، ولم أجد البيتين في ديوانه المجموع.

يُقَـدِّم عَفْـوَهَ وإذا اسْـتخفُّوا ❁ نكَـالَ عقوبـةٍ مطـلَ النَّكَـالا

وقال أبو تمّامٍ في المعتصمِ(١):

جَـلا ظُلمـاتِ الظُّلـمِ عـن وجْـهِ أُمَّـةٍ ❁ أضـاءَ لهـا مـن كَوْكـبِ الحـقِّ آفِلُـهْ

وقـامَ فقـامَ العـدلُ فـي كـلِّ بَلْـدَةٍ ❁ خطيبًا، وأضحى المُلْكُ قد شَقَّ بازِلُهْ

وجـرّدَ سـيفَ الحـق حتّـى كأنَّـهُ ❁ مـن السَّـلِّ مـوذٍ جَفْنُـهُ وحَمائِلُـهْ

البيتُ الأوّل والثّاني جيّدان في مدح الخلفاءِ، وقولُهُ في البيت الثالثِ: «من السَّلِّ» لفظٌ غير جيّدٍ ولا مُتَمكِّنٌ.

وقال أيضًا في المعتصمِ(٢):

سـكَن الزّمـانُ فـلا يَـدٌ مذمومـةٌ ❁ للحادثـاتِ ولا سـوامٌ يُـذْعَرُ

فـي الأرض مِـن عـدلِ الإمـام وجـودِهِ ❁ ومـن النَّبـاتِ الغَـضّ سُـرْجٌ تَزْهَـرُ

البيتُ الأول في غايةِ الجودة، والثّاني في غايةِ الركاكةِ لأنّه من ألفاظِ العَوامّ.

وقال البحتريُّ في المتوكِّل(٣):

تَحسّـنت الـدُّنيا بِعَـدْلك فَاغتَـدتْ ❁ وآفاقُهـا بِـيضٌ وأكْنَافُهـا خُضْـرُ

هنيئًـا لأهـلِ الشـامِ أنّـكَ سـائِرٌ ❁ إلـيهِمْ مسيرَ الشّمسِ يَتْبَعُها القَطْرُ(٤)

---

(١) ديوانه: ١٩٩/٢، والتبريزي: ٢٦/٣.
(٢) ديوانه: ٥٣٨/١، والتبريزي: ١٩٦/٢.
(٣) ديوانه: ٩٩٢/٢.
(٤) ديوانه: [مسير القطر يتبعه القطر].

وهَذا في غايَةِ الحُسْنِ والحَلاوةِ، وقالَ فيهِ[1]:

أظْهـرَ العـدلَ فاسْـتَنَارتْ بـهِ الأَرْ ❊ ضُ، وعـمَّ الـبلادَ غـوْرًا ونَجْـدا

وهذا عمومٌ لا يحسن أنْ يقالَ إلا لخليفةٍ، أو وليِّ عهْدٍ أو وزيرٍ.

وقالَ في المتوكّلِ[2]:

مـا ضَـيَّعَ اللهُ فـي بـدوٍ ولا حَضَـرٍ ❊ رَعِيَّـةً أنـت بالإِحسـانِ رَاعيهـا

وأُمَّـةً كـانَ قُـبْحُ الجَـوْرِ يُسْـخِطُهَا ❊ دهـرًا، فأصبحَ حُسْنُ العَـدْلِ يُرْضِـيها

وقال في المعتز[3]:

[٤س] إمـامُ هـدًى عـمَّ البريّـةَ عدلُـهُ ❊ فأضـحَى لديـهِ آمِنًـا كـلُّ رَاهِـبِ[4]

ورُدَّتْ - ومـا كانـت تُـرَدُّ - بعَدْلِـه ❊ ظُلامـاتُ قـومٍ مُظْلِمـاتُ المطَالِـبِ

وقالَ في المُهْتَدِي[5]:

مَلِـيٌّ بِنَصْـر الحـق والحـقُ واحـدٌ ❊ إذا عُصْـبةٌ يومًـا لِظُلْـمٍ تَصَـدَّتِ[6]

وتَأْييـدُهُ حُكْـمُ الهُـدَى بخُشُـونَةٍ ❊ من الجِدِّ لو مرّت على الصَّخْرِ خَدَّتِ[7]

وهذا في غايةِ الجودة إلا أنه خالٍ من العُمومِ، ويصلُحُ أن يُمْدَح بهِ قاضٍ وغيرُه من الولاةِ.

---

(١) ديوانه: ٢/٧١٢.

(٢) ديوانه: ٤/٢٤٢١.

(٣) ديوانه: ١/١٠٩.

(٤) في «س»: «ذاهب» تصحيف والتصحيح من الديوان.

(٥) ديوانه: ١/٣٧٠، وفي «س»: «المهتدي».

(٦) الديوان: «والحق أوحد»، «عصبة منا».

(٧) خدت: أي شقت.

وقال فيه[1]:

بالمهتدي بالله والهادي بِهِ ❁ أرست قواعدُ ديننا فتأثَّلا[2]
وَرِثَ النَّبيَّ سَجيّةً مَرْضِيَّةً ❁ وطريقةً قَصدًا وقولًا فَيْصلا
فإذا قَضى في المُشْكلاتِ ترادفتْ ❁ حِكَمٌ تُرِيكَ الوَحْيَ كيفَ يُنَزَّلا[3]

وقال فيه[4]:

أَسِفْتُ لأقوامٍ مَلَكْتَ بُعَيْدَهُمْ ❁ وكانتْ دَجتْ أيَّامُهمْ فاسْوَأَدَّتِ[5]
مَضَوْا لم يَرَوْا من حُسْنِ عَدْلِكَ منظرًا ❁ ولم يَلْبِسُوا نُعماكَ حين اسْتُجِدَّتِ
ولَمْ يعلموا أنَّ المكارِمَ أُبْدِيَتْ ❁ جِذاعًا ولا أنَّ المظالِمَ رُدَّتِ[6]

وقال فيه[7]:

أرى حَوْزَةَ الإِسلامِ حينَ وَلِيْتَها ❁ تُخُرِّمَ باغِيها وحِيطَ حَرِيمُها
تدارَكَ مظلومُ الرَّعيةِ حَقَّهُ ❁ وخَلَّى لهُ وَجْهُ الطَّريقِ ظَلومُها[8]

وقال في المعتمدِ[9]:

---

(١) ديوانه: ٣/١٦٤٩.
(٢) صدره في الديوان: «يا ابن الهداة الراشدين ومن بهم».
(٣) في الأصل: «تنزلا» والتصحيح من ديوانه.
(٤) ديوانه: ١/٣٧١.
(٥) ديوانه: «آسيت لأقوام ملكت أمورهم»، وفي: «اسودّت» ولا يستقيم الوزن لها والتصحيح من الديوان، وقال أبو العلاء في عبث الوليد ص ٦٩: «في الأصل اسوأدت وهو أشبه بمذهب الشاعر، والعرب يحكىٰ عنهم همز مثل هذه الأشياء التي يلتقي فيها ساكنان يقولون: احمأر في معنىٰ احمار واسوأدّ في معنىٰ اسوادّ».
(٦) ديوانه: «ولاعلموا» وفي «س»: «خداعا» تصحيف.
(٧) ديوانه: ٣/٢٠٢١.
(٨) في الأصل: «وخلىٰ الطريق ظلومها وغشومها» والتصحيح من الديوان.
(٩) ديوانه: ٢/٧٣٤.

بلـغَ احْتِياطُـكَ وفْـدَ كـلِّ قَبيلـةٍ ❁ وأغـاثَ عَـدْلُكَ أهـلَ كـلِّ بِـلادِ

وقال في المعتزِّ[1]:

أقـامَ منـارَ الحـقِّ حَتَّـى اهتـدتْ بـهِ ❁ وأبْصَرها مَنْ لَمْ يَكُنْ قَـطُّ مُبْصِرَا[2]

وعـادتْ علـى الـدُّنْيا عوائِـدُ فَضْـلهِ ❁ فأَقبـلَ مِنْهـا كـلُّ مـا كـانَ مُـدْبِرا[3]

وهذا كُلُّهُ في غايةِ الجودةِ والصّحةِ والاستقامةِ، وهو عمومٌ لا يكونُ إلّا من خليفةٍ، أو من يقومُ مقامَه[4].

وقال في المتوكل[5]:

عرَّفْتَنَـا سُـنَنَ النّبـيِّ وهَدْيَـهُ ❁ وقَضَـيْتَ فِينـا بالكِتـابِ المُنْـزَلِ

لولا قوله: «وهديه» كان يصلُحُ أن يكون مدحًا لقاضٍ أو فقيهٍ، إلّا أن يُسْرِفَ مُسْرِفٌ.

وقال فيه[6]:

إمـامٌ يـراهُ الله أوْلـى عِبـادِهِ ❁ بحـقٍّ، وأهْـداهُمْ لِقَصْـدِ سَـبِيلِهِ[7]

خَليفَتُـهُ فـي أرْضِـهِ وَوليُّـهُ [الـ ❁ ـرضـيُّ لَديـهِ، وابـنُ عـمِّ رَسولِهِ[8]

(١) ديوانه: ٢/٩٣٣.
(٢) في الديوان: «اهتدىٰ»، و«أبصره... أبصرا».
(٣) ديوانه: «أدبرا».
(٤) في «س»: «مقامها».
(٥) ديوانه: ٣/١٦٢٣.
(٦) ديوانه: ٣/١٦٣٠.
(٧) ديوانه: «رآه الله».
(٨) ما بين الحاصرتين ساقط من «س».

تَـرى الأرضَ تُسْـقى غَيْثَهـا بِمُـرورِه ❁ عليهـا، وتُكْسـى نَبْتَهـا بِنُزُولِـهِ(١)

[٥س] وقال فيه(٢):

أوَمـا تَـرى حُسْـنَ الزَّمـانِ ومـا بَـدا ❁ وأعـادَ فـي أيّامِـهِ المُتَوكِّـلُ

أشْـرَقْنَ حتَّـى كـادَ يُقْتَبَسُ الـدُّجى ❁ ورَطُـبْنَ حتَّـى كـادَ يَجْري الجَنْدلُ(٣)

فهذا ما يَليقُ بالخُلفاءِ من ذِكْر العَدْلِ وإقامةِ الحقّ وصلاح الأمور، والبحتريُّ فيما أورده من ذلك كلِّهِ أشعرُ من أبي تمّام.

ومِمّا قالاه من ذلكَ في سائرِ النّاس، قالَ أبو تمّامٍ في محمد بن عبد الملك(٤):

أرَى ابـنَ أبِـي مَـرْوانَ أمّـا لِقَـاؤه ❁ فَـدانٍ وأمّـا حُكْمُـهُ فَهْـوَ عَـادِلُ

وقال في إبراهيم بن الخصيب(٥):

مـا لِأهـلِ الشَـآمِ أن يَكْفُـرُوا بَعْـ ❁ ـدَكَ فِـيهِمْ نَعْمـاءَ أهْـلِ العِـراقِ

فلقـد صـار أفقهـم بأياديـ ❁ ـكَ حـديثًا لسـائرِ الآفـاقِ

نـزَلَ العـدْلُ حيث شاءوا وأضحى الـ ❁ ـجورُ والظُّلـمُ عـنهُمُ فـي وَثَـاقِ(٦)

كـلُّ يـوم تَزِيـدُهم منـك عـدلًا ❁ ونـوالًا كـذاك جَـريُ العِتَـاقِ

---

(١) في «س»: «عليه».

(٢) ديوانه: ٣/١٧٥١.

(٣) سبق في: ٢/٤٤.

(٤) ديوانه: ٢/٣٣٥ ـ والتبريزي: ٣/١٢٥ وفيهما «أما عطاؤه فطام»، وفي النظام لابن المستوفي جـ ٢ لوحة ٢٧١: «ورويٰ الآمدي: أما لقاؤه فدان».

(٥) لم أجد الأبيات في ديوانه أو شرح التبريزي غير أني وجدتها في نسخة من ديوانه مخطوطة استانبول «الفاتح» برقم ٣٧٧٢ لوحة ١٣١.

(٦) في النسخة المخطوطة: «حيث ساروا».

هذه الأبياتُ كلها رديئةٌ، وقوله: «كذاكَ جريُ العِتاقِ»؛ لأنَّ الخيلَ العتاقَ إذا استزدتَها في الجَري زادتْكَ، وليسَ بالمعنى الحلوِ هاهُنا.

وقال البحتريُّ في صاعدِ بن مخلدٍ[1]:

فكيفَ وجدتم عدْلَهُ وقدِ الْتقَتْ ❊ مساويةً شاءُ البلادِ وسِيدُها[2]
فإن تُخْرِجِ الأيامُ مذخورَ حُسْنِها ❊ فقد آنَ أنْ يُبْدِي النضارةَ عُودُها

وهذا غايةٌ في حسنهِ وحلاوتهِ.

وقالَ في أبي الصّقرِ[3]:

تَقرَّى جُنُوبَ الأرض جُودًا ونائِلًا ❊ وطَبْقَ عَدْلًا حَزْنَها وسهولَها[4]
ولوْ سِيقَت الدُّنيا إليهِ بأسْرِها ❊ ولم يَنْلُها حمدٌ لعافَ قَبُولَها[5]

وقال في أبي يعقوبَ إسحاقَ بن إسماعيل[6]:

إنَّ العواصمَ قد عُصِمْنَ بأبيضٍ ❊ ماضٍ كصدرِ الأبيضِ المسلولِ[7]
أعطى الضَّعيفَ من القويِّ وردَّ منْ ❊ نَفْسِ الوحيدِ ومُنَّةِ المَخْذُولِ
عزَّ الذليلُ وقد رآكَ تشدُّ من ❊ وَطْءٍ على عُنُقِ العزيزِ ثَقيلِ

---

(١) ديوانه: ١/٥٣٢.

(٢) في الديوان: «مسالمة» وفي عبث الوليد: ص ٨٣: «مسالمة» وقال: «كان في النسخة «مساوية» وله معنى، والأشبه أن يكون مشاربة «؛ لأن الأخبار التي تنقل في الزمان الذي يصلح فيه شؤون يقال فيها إن الموادعة تقع حتى يشرب الذئب مع الشاة من حوض واحد».

(٣) ديوانه: ٣/١٧٩٤.

(٤) في «س»: «وطُبِّق» بالبناء للمجهول وهذا يجعل قافية البيت مضمومة، والتصحيح من الديوان.

(٥) في «س»: «قبولها» بضم القاف واللام وهو خطأ ظاهر.

(٦) ديوانه: ٣/١٨٣٧.

(٧) ديوانه: «كحدّ الأبيض».

رَعَـتِ الرَّعِيَّـةُ مرتعًـا بـك مونقًـا ❊ وثَنـتْ بظـلٍ فـي ذَراكَ ظَليـلِ[1]
أعْطيتَهـا حُكْـم الصَّـبيِّ، وزِدتَهـا ❊ فـي الرِّفْـدِ إذْ زَادتْـكَ فـي التَّأميـلِ

وقالَ في إبراهيمَ بن المدبِّرِ[2]:

نـافِرُ الجـأشِ لا تقِـرُّ حشَـاهُ ❊ أو تُـؤدَّى ظُلامـةُ المَظْلـومِ

وهذا كلُّه جيّدٌ نادرٌ فوق ما قاله أبو تمّامٍ.



(١) ديوانه: «مرتعًا بك حابسًا: أي كلأً حابسًا يحبس المال لكثرته وجودته»، وفيه: «بظل من ذراك».
(٢) ديوانه: ٤/٢١٢١.

سدادُ الرأيِ والتدبيرِ والاضطلاعُ بالأمورِ وحُسْنُ الكفاءةِ(١) وإمضاءُ العزائمِ



قال أبو [٦س] تمّامٍ في المعتصمِ(٢):

فِكْــرٌ إذا رَاضَــه راضَ الأمــورَ بــهِ ✤ رأيٌ تَفــنَّنَ عنــه الرَّيْــثُ والعَجَــلُ

أرادَ أنّ الرّأيَ يروضُ الأمورَ بالفِكْرِ، وقوله: «تفنَّن عنه الريثُ والعَجَلُ» أي تشعَّبَ منه، وصار أفنانًا، يقول: يَرِيثُ في حالٍ إذا كان الرَّيْثُ أولى، ويَعجلُ في حالٍ إذا كَانتِ العجلةُ أحزمُ، فالرَّيْثُ والعَجَل يصدران جميعًا عنهُ، وهذا بيتٌ غيرُ جيّدٍ ولا شَهيٍّ(٣).

وقالَ في المأمونِ(٤):

وأريَ الأمــورَ المشــكلاتِ تمزَّقَــتْ ✤ ظُلماتُهــا عــن رأيــكَ المتوقِّــدِ

عَــن مثــلِ نَصْــلِ السَّــيْفِ إلّا أنّــهُ ✤ مُــذْ سُــلَّ أوّلَ سَــلَّةٍ لــمْ يُغْمَــدِ

فَبَســطْتَ أزْهَرَهَــا بوجــهٍ أزْهــر ✤ وقَبَضْــتَ أربَــدَها بوجــهٍ أرْبَــدِ

لَهُ في هذا البيت إساءةٌ قد ذكرتُها في أغاليطِهِ(٥).

وللهِ درُّ أبي عبادةَ إذ يقولُ في المهتدي باللهِ(٦):

---

(١) في ص ١٠٩ من هذا الجزء «حسن السياسة».

(٢) ديوانه: ١٨٩/٢، والتبريزي ١٩/٣ وفيهما «تفنن فيه».

(٣) تعليق الآمدي هذا نقله ابن المستوفي في النظام: جـ ٣ لوحة: ٢٣٥.

(٤) ديوانه: ٤٥٢/١، والتبريزي: ٥٢/٢.

(٥) انظر: ٢٣٦/١.

(٦) ديوانه: ٣٧٠/١.

وقــد عَلِــمَ الأقــوامُ أنَّ صــريمةً ❊ إذا اختلفتْ شورىٰ النَّجيِّ اسْتَبَدَّتِ
متَى وَقَـدَتْ فـي مُظْلِـم الأَمْـرِ ضَـوَّأَتْ ❊ وإنْ ضَرَبَتْ في جانبِ الخَطْبِ قَدَّتِ

وقوله فيه[(١)]:

لَـهُ عَزمـةٌ مـا اسْـتَبْطَأَ المُلْـكُ نُجْحَهـا ❊ ولا اسْتعتَبَ الإسلامُ وريَ زِنَادِها
إذا شُــوهِدَتْ بــالرَّأيِ بــانَ اخْتيارُهــا ❊ وإن غَاب ذُو الرَّأيِ اكْتفتْ بانْفِرادِها[(٢)]

وقالَ ابنُ هَرمةَ في المنصورِ[(٣)]:

ولا يَنْتجــي الأدنَــونَ فيمــا يُحَــاوِلُ[(٤)]

وتَبِعَه أبو العتاهيةِ فقالَ[(٥)]:

إذا هــمَّ لــمْ يَشْـرَكْهُ فــي الأمـرِ غَيـرُهُ ❊ وكــانَ بمــا يــأتِي أطــبَّ وأبْصــرَا

وقولهُ في المعتمدِ[(٦)]:

تَبِعَــتْ «بنــو العبّــاسِ» هَــدْيَ محُمَّــدٍ ❊ ثَبْــتِ البصــيرةِ فــي المحجّــة هَــادِ[(٧)]
وكــأَنَّهمْ لمَّـــا اقْتَفَـــوْا مِنْهاجَـــهُ ❊ تَبِعُــوا ضِــياءَ الكَوْكَــبِ الوَقَّــادِ[(٨)]

---

(١) ديوانه: ٢/٦٧٦.

(٢) ديوانه: «وإن بان ذو الرأي».

(٣) ديوان ابن هرمة: ص ١٦٧ وفيه «الأدنين»، وفي أمالي القالي: «الأدنون» ٣/٤٠، وصدر البيت: «يزرن امرأ لا يصلح القوم أمره».

(٤) وينتجي: يفضي بسره.

(٥) لم أجده في ديوانه.

(٦) أي البحتري، ديوانه: ٢/٧٣٢.

(٧) ديوانه: «هدىٰ موفق».

(٨) ديوانه: «اقتفوا آثاره».

وقوله[1]:

مُتَيَقِّظٌ عُصِمتْ بوادِرُ حُكْمِهِ ❊ بِعُرِيٍّ من الرَّأيِ الأصيلِ شِدَادِ[2]
كالسَّيْفِ في ذاتِ الإلهِ، وقد يُرى ❊ كَرَمًا كفرعِ النَّبعةِ المَيَّادِ[3]

وقوله في المهتدي[4]:

تَثْنِي بوادِرَهُ الأَناةُ، وإنَّما ❊ سارتْ عزيمَتُهُ فكانتْ جحْفلًا[5]

وقال أبو تمام[6]:

وعزائمًا في الرّوع مُعْتَصِميَّةً ❊ مَيْمونةَ الإِدبارِ والإِقْبالِ
فَتَعَمُّقُ الوُزَرَاءِ يَطْفُو فَوْقَها ❊ طَفْوَ القَذى وتَعقُّبُ العُذَّالِ[7]
[٧س] والسَّيفُ ما لَمْ يُلْفَ فيهِ صَيْقَلٌ ❊ من سِنْخِهِ لَم يَنْتَفِعْ بصِقَالِ[8]

ما كانَ ينبغي أن يجعلَ العزائمَ إدبارًا، لأنّها لفظةٌ قبيحةٌ ولا يصحُّ لهَا أيضًا معنىٰ في هذا الموضعِ، وخاصةً وقَدْ قالَ: «في الرَّوع»، إلّا أنْ يُتَأَوَّل أنْ يكون أرادَ قولَهم: فلانٌ يضربُ الأمرَ ظهرًا لبطنٍ ويُقْبِلُ بالرَّأي ويُدْبِرُ، يريد أنَّه يصرِّفُهُ ويُقلِّبُهُ، وبين اللّفظتين فَرْقٌ كبيرٌ، وما كانت ها هنا ضرورةٌ إلىٰ هذا اللّفظِ

---

(١) ديوانه: ٧٣٣/٢.
(٢) ديوانه: «بوادر أمره».
(٣) ديوانه: «المنآد».
(٤) ديوانه: ١٦٤٩/٣، وتكرر في ص ١٨٧٤، ص ١٨٨٠.
(٥) ديوانه: «وربما سارت».
(٦) ديوانه: ٢١٨/٢، والتبريزي: ١٤٥/٣.
(٧) التبريزي: أي أبطلت قول العذال وذوي الشفقة من الأقرباء، إنك مخطئ في مصيرك مقاتلتهم.
(٨) «س»: «يكف» والتصحيح من ديوانه وشرح التبريزي فيها «من طبعه» والسنخ: الأصل كل شيء وسنخ السيف: سيلانه، وهو ما يدخل من السيف والسكين في النصاب.

الرّديءِ، لأنَّ في سائر الألفاظِ والمعاني مندوحةً، و«تعقُّبُ العذَّال» رديءٌ أيضًا، لأنّ الخليفَةَ يَجِلُّ أن يُقْدِمَ أحدٌ على عذْلِهِ، وقولُه: «فتعمُّقُ الوُزراءِ يَطْفُو فوقَها» في غايةِ الحُسْنِ والجودةِ والحلاوةِ.

وقال أبو تمام(١):

تَرَى الحادثَ المستعْجِمَ الخَطْبِ مُعْجَمًا ❊ لديــهِ ومَشْــكولًا إذا كــان مُشْــكِلَا

وهذا من أشعارِ المعلِّمينَ ومعانيهم؛ لأنه أرادَ بقولهِ «مُعْجَمًا» أي: مَنْقُوطًا؛ و«مَشكولا» أرادِ الشَّكْلَ.

والبحتريُّ في هذا الباب أشعرُ من أبي تمَّامٍ ألفاظًا ومعانيَ، وليسَ لأبي تمَّامٍ فيه إلّا قولُهُ: «يطفو فوقَها طَفْوَ القَذىٰ».



(١) ديوانه: ٢/٣١٠، والتبريزي: ٣/١٠٢.

فِي مراعاةِ أَمْرِ الدُّنيا والاضطلاعِ بالأمورِ وحُسْنِ الكفاءَةِ

وهو قريبُ المعنَىٰ من البابِ الذي قبلَهُ

يقولُ البحتريُّ في مدحِ المعتزِّ باللهِ(١):

بـــهِ تُعْـــدَلُ الـــدُّنْيَا إذا مـــالَ قَصْـــدُها ❊ ويَحْسُنُ صُنْعُ الدَّهْرِ، والدَّهْرُ أَخْرَقُ

وقال فيه(٢):

مُـــــدبِّرُ دنيــــا أمْســــكت يَقظَاتُــــهُ ❊ بآفاقِهــا القُصْــوى ومــا طَــرَّ شــارِبُهْ(٣)

وقال في المتوكل(٤):

ولـــهُ، وإن غـــدتِ الـــبِلادُ عريضـــةً ❊ طَـــرْفٌ بـــأطرافِ الـــبِلادِ مُوكَّـــلُ

وأجودُ من هذا قول أبي تمَّامٍ يعني نَفْسَه في اغْتِرابهِ(٥):

أطـــلَّ علـــى طُلَـــى الآفـــاقِ حَتَّـــى ❊ كـــأَنَّ الأرضَ فـــي عَيْنَيْـــهِ دَارُ

وهذا المعنىٰ حَسَنٌ جدًا، ولكنَّه لَيسَ لَهُ، وإنَّما سَمِعَ منصورًا النَّمَريَّ يقولُ في الرَّشيدِ(٦):

---

(١) ديوانه: ١٥٣٢/٣.

(٢) ديوانه: ٢١٧/١.

(٣) «س»: «طُرَّ».

(٤) ديوانه: ١٧٥٢/٣.

(٥) ديوانه: ٥١٣/١، والتبريزي: ١٥٥/٢، وفيهما «كُلى» جمع كُلْيَة. وقال ابن المستوفي في النظام حـ ٢ لوحة ٤١ «ويروىٰ علىٰ طُلى الآفاق» وطُلى: جمع طُلاةٍ وهي العُنُق، وقد سبق البيت في ٢٣٦/١ برواية الديوان، وقال: «ويروىٰ (طلى)».

(٦) سبق البيت في: ٢٣٦/١، وانظر شعر منصور النمري، ص ٨٠.

وعَـــيْنٌ محـــيطٌ بالبَرِيَّـــةِ طَرْفُهـــا ❖ ســـواءٌ عَلَيْـــهِ[1] قُرْبُهـــا وبَعيـــدُها

فحذَا عَلَيْهِ، غَير أنَّ قولَه: «كأنَّ الأرض في عينيهِ دَارُ» في غايةِ الحُسْنِ والحَلاوة[2].

وقال البحتريُّ في عبيد الله بن يحيىٰ بن خاقان[3]:

طَـرْفٌ مُطِـلٌّ علـى الآفـاقِ يَكلأُهـا ❖ بنـاظرٍ لـم يَـنَمْ عَنْهَـا ولـم يُـنِمِ

وبيتُ منصورٍ أجودُ من هذا، وبيتُ أبي تمّام أجودُ من بيت مَنْصورٍ، وإن كانَ منه أخذَ، وما قال النَّاس في السِّياسةِ أحسَنَ من قولِ محمدِ بن وُهَيْب[4]:

وكـــأنَّ ضـــوءَ جبينـــهِ قَمَـــرٌ ❖ بـــدر وســـائِرُ خَلْقِـــهِ أَسَـــدُ

[٨س] وكأنَّـــــه رُوحٌ تُـــدبِّرُنا ❖ حَركاتُـــــهُ وكأنَّنـــــا جَسَـــــدُ

ونحوُهُ قولُ أبي العتاهيةَ[5]:

أمـــينَ الله أمْنُـــكَ خيـــرُ أَمْـــنٍ ❖ عَلَيْـــكَ مـــن التُّقَـــى فيـــهِ لِبَـــاسُ

تُســـاسُ مـــن السَّـــماء بِكـــلِّ بِـــرٍّ ❖ وأنـــتَ بـــهِ تَسُـــوس كمـــا تُسَـــاسُ

كـــأنَّ الخلـــقَ رُكِّـــبَ فيـــهِ رُوحٌ ❖ لَـــهُ جَســـدٌ وأنْـــتَ عليـــهِ راسُ

---

(١) في «س»: «علينا» تحريف، والتصحيح من ديوانه.

(٢) قال في الجزء الأول ص ٢٣٦ «عجز هذا البيت حسن جدًا، وبيت النمري أحب إليّ، لأن معناه أشرح».

(٣) ديوانه: ١٩٧١/٣.

(٤) هو محمد بن وُهَيْب الحميري شاعر من أهل بغداد ومن شعراء الدولة العباسية، من معاصري دعبل وأبي تمّام، مدح المعتصم والمأمون وهو شاعر مطبوع مكثر. «الأغاني: ١٤١/١٧، ومعجم الشعراء: ص ٣٥٧»، والبيتان في ديوانه «شعراء عباسيون د. السامرائي»: ٧٢ وفيه: «في صولةِ أسد».

(٥) لم أجد الأبيات في ديوانه، وهي في الأغاني: ٦٤/٤ دار الكتب، من كلمة في مدح الرشيد.

وقال عليُّ بنُ جَبَلَةَ في حُمَيْد بن عبد الحميد[1]:

يَفْتُــــقُ مــــا يَرْتُـــقُ أعـــداؤُه ❁ ومــــا لِمَــــا يَفْتُــــقُ مِــــنْ آسِ
فالنَّـــاسُ جِسْـــمٌ وإمـــامُ الهُـــدى ❁ رَأْسٌ وأنـــتَ العـــينُ فـــي الـــرَّأسِ

وقال أبو تمَّامٍ في مُحَمد بن عبد الملك[2]:

رِدءُ الخِلافـةِ فـي الجُلـيّ إذا نَزَلـتْ ❁ وقـيِّمُ المُلْـكِ لا الـوانِي ولا النَّصِـبُ
جَفْــنٌ يَعـافُ لذيــذَ النَّـوْمِ نـافِرُه ❁ شُـحًّا عليـهِ وقلْـبٌ حولَهـا يَجِـبُ[3]
طَليعـــةٌ رأيُـــهُ مـــن دونِ بَيْضـــتِهَا ❁ كما انْتَمىٰ رابئٌ في الغَزْوِ مُنْتَصِبُ
حتَّـى إذا مـا انْتَضـى التّـدبيرَ ثـابَ لَـهُ ❁ جَـيشٌ يُصـارِعُ عنـهُ مَالَـهُ لَجَـبُ
شِـعارُهَا اسـمك إنْ عُـدَّت محاسِـنُها ❁ إذا اسم حاسدِكَ الأدنىٰ لها لَقَبُ[4]
وزيـرُ حَـقٍّ ووالـي شُـرطةٍ ورحَـا ❁ ديـوانِ مُلْـكٍ وشـيعيٌ ومُحْتَسِـبُ
كـالأرحبيِّ المُـذَكِّي سَـيْرُهُ المَرَطـى ❁ والوَخْدُ والمَلْعُ والتَّقْرِيبُ والخَبَبُ[5]
عَـــوْدٌ تُســـاجِلُهُ أَيّامُـــهُ فَبِهـــا ❁ مـن مَسِّـهِ وبِـهِ مِـن مسِّـها جَلَـبُ

قوله: «كما انتمىٰ رابئٌ»: ارْتَفَعَ إلىٰ رأس جَبلٍ، وانتميتُ أي: ارتفعتُ،

---

(١) هو حميد بن عبد الحميد الطوسي كان من كبار قواد المأمون، وكان جبارًا وفيه قوة وبطش وإقدام وكان يندبه للمهمات، مات مسمومًا سنة ٢١٠ «النجوم الزاهرة: ١٩٠/٢، والطبري: ٥٤٩/٨، وأسماء المغتالين: ص ١٩٩»، والبيتان في ديوانه: ٤٧ وفيه:

يرتـــق مـــا يفتـــق أعـــداؤه ❁ ولـــيس يأســـو فتقـــه آس

(٢) ديوانه: ٣٠٣/١، وشرح التبريزي: ٢٤٥/١.

(٣) ديوانه: «شحّا عليها».

(٤) ديوانه وشرح التبريزي: «إذ».

(٥) في الأصل: «المُذَكَّىٰ» بالبناء للمفعول.

ومنه انتمىٰ في النَّسب إلىٰ بني فلان، أي ارتفع، و«الرَّابِئُ» الذي يَربَأُ للقومِ كأنَّهُ يرتفع إلىٰ موضع عالٍ، وليس هو من «الرَّبْوةِ» لأنَّ تلك غيرُ مهموزةٍ، يفعلُ ذلك يرقبُ للقومِ أمرَ العدوِّ، والرَّابئُ لا ينتصبُ وإنَّما ينامُ علىٰ بَطْنِهِ أو يستلقي علىٰ جَنْبه ليَخْفىٰ شَخْصُهُ؛ لأنَّهُ إنْ قامَ أدْرَكتهُ العينُ من بُعْدٍ كما قال الهذليُّ[1]:

أقمْـــتُ بِرَيْــدِهَا يومًـــا طــويلًا ❊ ولــم أشْــرِفْ بِهــا مثــلَ الخَيــالِ
ولــمْ يَشْــخَصْ بِهــا بَصــرِي و[لكـنْ] ❊ دنــوتُ تَحــدُّرَ المــاءِ الــزُّلالِ[2]

فإن كانَ حذا علىٰ قولِ مُتَقدِّمٍ فالصَّوابُ هو هَذا، إلّا أنْ يكونَ أرادَ: نَصَبَ نَفْسهُ لِذَلِكَ، أي: أعدَّها، ولم يُرِدِ الانْتِصَابَ.

و«الأرحبيُّ» من الإبلِ منسوبٌ إلىٰ «أرحبَ» حيٌّ من همدانَ تُنْسَبُ إليهم النَّجائِبُ، و«المذكيُّ» الّذي قد انتهىٰ في سِنِّهِ وقوَّتِه، و«المَرَطىٰ»: عَدْوُ الخيلِ فَوق التَّقريبِ ودونَ الإلْهابِ[3]، و«الوَخْدُ» الاهتزازُ في السيرِ، مثلُ وَخْدِ النَّعامِ.

[٩س] و«المَلْعُ» من سير الإبلِ السّريعُ، و«التَّقْرِيبُ» من عدوِ الخَيْلِ معروف، و«الخَبَبُ» دَونُه.

وليسَ التَّقريبُ من عدوِ الإبلِ، [و]هو عندي في هذا الموضِع مُخْطِئٌ، وقد يكونُ التَّقْريبُ لأجناسٍ من الحيوانِ ولا يكونُ من الإبلِ، فإنَّا ما رأينا قطُّ بعيرًا يقرِّب تقريبَ الفرسِ، و«المَرطىٰ» أيضًا من عدوِ الخَيْلِ، ولم أرهُ في أوْصافِ الإبِلِ.

---

(١) هو عمرو ذو الكلب بن عجلان بن برد أحد بني كاهل، وكان جارًا لهذيل، عَلِق امرأةً من فَهْم يقال لها «أم جُلَيْحَ»، فأحبها وأحبته، وطلبه أهلُها وقتلوه، «انظر: أسماء المغتالين: ص ٢٤١، والأغاني: ٢٠/١٧، ومعجم الشعراء: ص ٢٧، وشرح أشعار الهذليين صنعة السكري: ص ٥٦٨ وما بعدها.

(٢) في «س»: «بصرىٰ فقامت»، وفي شرح أشعار الهذليين: «ولم يشخص بها شرفي».

(٣) التقريب: أن يرفع الفرس يديه معًا ويضعهما معًا، والإلهاب: الجري الشديد الذي يثير الغبار.

وقولُهُ: «شعارُها اسْمُكَ» يعني الخلافةَ، والشّعار هو العلامةُ الّتي تَخصُّ الشّيءَ، أُخِذَ من الشِّعار وهو الثّوبُ يصل[1] شعرَ الجسدِ، وقسمةُ البيتِ رديئةٌ علىٰ مذهبهِ في الطّباقِ، لأنَّ الشّعار طِباقُهُ الدِّثارُ، واللَّقبُ طِباقُه الاسمُ، وكانَ ينبغي أن يقولَ: إذا اسمُ حاسدِك الأدنىٰ لهَا دِثارُ، وذلك أنَّ الشعار أخصُّ بالجسدِ من الدِّثارِ، ولو استوىٰ له أن يقولَهُ كانَ أيضًا في غايةِ الرَّداءةِ، لأنَّ الدِّثارَ يعلو علىٰ الشّعارِ ويغطِّيهِ، وليس بجيّدٍ أن يَعلوَ لَقبُ حاسدِه علَىٰ اسمِهِ، وإنما يعني هذا الحاسدَ المعروفَ بأبي الوزير وكان قد اخْتُصَّ بالواثِقِ، ولَطُفَتْ مَنْزِلتُه عنده جدًا، حتىٰ كانَ ربما عرضَ عليه الكُتُبَ، وكان عدوَّ محمَّد بن عبد الملك، فيقولُ: شعار الخلافةِ اسْمُكَ، لأنَّك الوزيرُ، وذلك أبو الوزيرِ لَقبٌ، فلهذا قالَ:

وزيـر حـقٍّ ووالـي شُـرْطةٍ ورحـا ❊ ديـوانِ مُلْـك وشـيعيٌّ ومحتسـبُ

فجعله الوزيرَ حقًا، وأنّه ينظرُ في الأمورِ كلها، ليُعْلَم أنها إليه، وأنّه القيّمُ بها، وهذا بيتٌ من مدحِ الوزراءِ في غايةِ الرَّكاكةِ والسُّخْفِ، وقُبْحِ المعاني والألفاظِ، ومن الذي يشكُّ في أنَّ الوزيرَ إليه النَّظرُ في هذه الأشياءِ، وكأنَّهُ أرادَ أنَّـ[ـه] يعاينُها بنَفْسِهِ، من غيرِ واسطةٍ، ليدُلَّ علىٰ كفاءَتِهِ.

وجعلَه «رحا ديوانِ مُلكٍ»، و«الرَّحا» ها هنا في غايةِ القُبْحِ، وأرادَ أنَّه هو الذي يدبِّرُ أمورَ الديوانِ دون الكُتَّابِ، فجعله هو الذي يدورُ، ولم يقنع حتّىٰ جعله رحا، وإنما المستعملُ من الاستعارةِ لمثل هذا المعنىٰ: قُطبُ الرَّحا لا الرَّحا، لأنَّ المدارَ علىٰ القُطْبِ.

وقد جعل البحتري «رحىٰ» في موضعٍ أشبَهُ بالصَّوابِ من هذا الموضِعِ فقال[2]:

---

(١) كذا في «س»، وفي اللسان «شعر»: الشعار ما ولي شعر الجسد من الثياب.

(٢) ديوانه: ١٤٣٦/٣، والطلي: الأعناق.

للهِ أَنْــتَ رحــا هيجــاءَ مُشْــعلَةٍ ❁ إذا القنَـا مـن صُـباباتِ الطُّلَـى رَعَفَـا

ثمّ قال أبو تمَّامٍ: «وشيعيٍّ» ، منسوب إلىٰ شيعةِ[1] ولد العبّاسِ ، وكان لهم في كُلِّ ديوان رجلٌ من الشِّيعةِ ، يَخْزِنُ الدِّيوانَ ويَحفظُ الحِساب ، فجعلَ الوزيرَ أيضًا خازنًا ، وكان ينبغي أنْ يجريَ عليها أيضًا للخَزْنِ جرايةً! ، ثمَّ ختم البيتَ «بالمحتسبِ» ، ومَا علِمْنا أحدًا مَدَح وزيرًا فجعله واليَ شُرْطةٍ ولا مُحْتَسِبًا ولا خَازنًا ، وقد كانَ يكفيه من ذلِكَ كلِّه أن يقولَ إنَّهُ ينظرُ [١٠س] في كِبارِها نحو ما قالَ البحتريُّ في أبي نوحٍ عيسىٰ بن إبراهيم[2]:

يُؤَيِّــدُ المُلْــكَ مِـنهمْ نُصْـحُ مُجْتَهِـدٍ ❁ للهِ يُسْــرِعُ بـــالتَّقْوى وَيتَّئِــدُ[3]
مُباشِــرٌ لِصِــغَار الأمــر لا سَــلِسٌ ❁ سَــهْلٌ ، ولا عَسِــرُ التَّنْفِيــذِ مُنْعَقِــدُ
ولا يُــؤَخِّرُ شُــغْلَ اليــومِ يَــذْخُرُهُ ❁ إلــى غــدٍ إنّ يــومَ الأعجــزينَ غَــدُ

وقالَ البحتريُّ في الفتحِ بن خاقان[4]:

تحمَّــلَ أعبــاءَ المعــالي بأســرِهَا ❁ إذا خُــطَّ منهــا مَغْــرَمٌ عَــادَ مَغْــرَمُ[5]
وَقــامَ بمــا لَــو قــامَ رضــوى ببعضــهَ ❁ هوَى الهَضْبُ من أركانِ رَضوى المُلَمْلَمُ
مُــدَبِّرُ مُلْــكٍ ، أيَّ رَأْيَيْــهِ صَــارَعُوا ❁ بـهِ الخَطْبَ رُدَّ الخَطْبُ يُـدْمى ويُكْلَمُ
أمــدُّ الرِّجــالِ لُبْثَــةً حــينَ يَرْتَئــي ❁ وأســرعُهم إمضَــاءةً حــين يَعْــزِمُ[6]

---

(١) في «س»: «واد».
(٢) في «س»: «أبي فرح» وستأتي ترجمته ص ٦٢٦ ، وانظر ديوان البحتري: ٤٩٦/١ .
(٣) ديوانه: «منه».
(٤) ديوانه: ١٩٢٥/٣.
(٥) في «س»: «شاد» والتصحيح من ديوانه.
(٦) «س»: «إمضاؤه» ، والتصحيح من الديوان.

بِتَشْدِيدِهِ تُلْغى الأمورُ وتُجْتَبَى ❊ وتُنْقَضُ أسبابُ الخطوبِ وتُبْرَمُ

وما أحسنَ ما قالَ منصورٌ النَّمَرِيُّ في حُسْنِ الكَفاءةِ وسُرْعةِ إمضاءِ الأُمورِ[1]:

وليسَ لأعباءِ الأمورِ إذا عَرتْ ❊ بِمُكْترِثٍ لكن لَهُنَّ صَبُورُ[2]

يُرى ساكنَ الأوصالِ باسِطَ وَجْهِهِ ❊ يُرِيكَ الهُوَيْنَا والأمورُ تَطيرُ[3]

وقالَ آخرُ ـ أظنُّهُ أشجعَ السُّلَميَّ ـ[4]:

بَديهَتُهُ مِثْلُ تَفْكِيرِهِ ❊ إذا رُمْتَهُ فَهْوَ مُسْتَجْمِعُ

وقال البحتريُّ في ابنِ بِسْطَام[5]:

بتدبير مأمون على الأمر رأيه ❊ ذكير وأمضى المرهفات ذكيرها

تُحاطُ قواصِي المُلْكِ فيهِ، وتَسْكُنُ الْـ ❊ ـخِلافةُ مُلْقَاةً إليهِ أُمورُها[6]

وَذو هاجسٍ لا يُحْجَبُ الغَيبُ دُونَه ❊ تُريهِ بُطونَ المُشْكلاتِ ظُهورُها

وقالَ أبو تمّامٍ في مُحمّدِ بن عبدِ المَلكِ[7]:

---

(١) نسبا إلى الأخطل في ديوان المعاني من جملة أبيات «١/٥٨» ولم أجدهما في ديوان منصور.

(٢) في «س»: «لمكترث» ولا يستقيم التعبير والتصحيح من ديوان المعاني، وفيه «لهن قهور».

(٣) ديوان المعاني: «باسط جهده»، وقد سبق هذا البيت منسوبًا إلى النمري في ١/٤٤٥ دون تخريج، كما ورد في ديوان المعاني ٢/٧٧.

(٤) البيت من قصيدة في مدح جعفر بن يحيى البرمكي عندما ولاه الرشيد خراسان «أخبار الشعراء المحدثين: ص ٨٣، الأغاني: ١٧/٣٧، خزانة الأدب: ١/٢٩٧»، وفيها كلها «مثل تدبيره» الشعر والشعراء: ص ٨٨٣، وديوان المعاني: ١/٦٤ «تدبيره متى هجته».

(٥) ديوانه: ٢/١٠٠١.

(٦) ديوانه: «وتسكن الرعية».

(٧) ديوانه: ٢/٣١٠، والتبريزي: ٣/١٠١.

هَـــزَزْتَ أميــرَ المــؤمنينَ محمّــدًا ❁ فكــانَ رُدَيْنِيًّــا وأبــيضَ مُنْصُــلَا

فمـــا إنْ تُبـــالي إذْ تُجَهِّـــزُ رأيَـــهُ ❁ إلـى نَاكـثٍ ألّا تُجَهِّـزَ جَحْفَــلا[(١)]

تَـرى شَخْصَـهُ وَسْـطَ الخلافـةِ هَضْبَةً ❁ وخُطْبَتَـــهُ دونَ الخِلافـــةِ فَيْصَـــلا

ومـا هَضْـبَتا رَضْـوى ولا رُكْـنُ مُعْنِـقٍ ❁ ولا الطَّـوْدُ مـن قُـدْسٍ ولا أُنُـفُ يَـذْبُلا

بِأَثْقــلَ منــهُ وَطــأةً يَــومَ يَغْتَــدِي ❁ فيُلْقِــي وَراءَ المُلْــكِ نَحْــرًا وكَلْكَــلا

وهذا جَيِّدٌ بالغٌ، إلّا أنّ قولَ البحتريِّ في الرَّأيِ «ردَّ الخطب يُدْمىٰ ويُكْلَمُ» أجودُ من قولِه «ألا تُجَهِّزَ جَحْفَلا»، وقولُهُ «هوىٰ الهَضْبُ من أركانَ رِضوىٰ المُلَمْلَمُ» أجودُ من قولِه «بأثْقَل مِنْهُ وَطْأَةً» وإنْ كان هذا قد جمَع عِدَّةَ جبالٍ، ولكنَّ قَوْلَهُ «فيُلْقِي وراءَ المُلْكِ نَحْرًا وَكَلْكَلا» حَسَنٌ جِدًّا.

وقالَ أبو تمامٍ في مُحمَّدِ بنِ عَبْدِ المَلِك[(٢)]:

[١١س] وأنتَ شِهابٌ في المُلِمَّاتِ ثَاقِبٌ ❁ وسـيفٌ إذا مـا هـزَّك الحـقُّ قَاصِـلُ

مـن البِيضِ لـم تَـنضُ الأَكُـفُ كَنَصْلِهِ ❁ ولا حَمَلَــتْ مِــثْلًا إلَيْــهِ الحَمائِــلُ

مُــــؤَرِّثُ نــــارٍ والإمـــامُ يُشُـــبُّهَا ❁ وقَائِـــلُ فَصْـــلٍ والخَليفَـــةُ فَاعِـــلُ

وإنَّـــك إنْ صـــدَّ الزَّمـــانُ بِوَجْهِـــهِ ❁ لَطَلْـقٌ ومـن دون الخِلافَـةِ بَاسِـلُ[(٣)]

قوله: «مُؤرِّثُ نَارٍ»، بنىٰ البيتَ على معنًىٰ لَهُ وَجْهٌ جيِّدٌ، ولكنَّ عَكْسَهُ أجودُ وأبْلَغُ وأعْرَقُ، وذلك أنه قال:

«مُـــؤَرِّثُ نَـــارٍ والإمـــامُ يَشُـــبُّهَا»

---

(١) ديوانه والتبريزي: «أن تجهز رأيه».

(٢) ديوانه: ٣٢٨/٢، والتبريزي: ١١٩/٣.

(٣) ديوانه والتبريزي: «من دون الخليفة».

«فمؤرِّثُ» مُوقِدٌ، و«يَشُبُّهَا» يَرْفَعُ لَهَبها، فَجعلَهُ مُبْتَدِئًا، والخَليفةَ مُتَمِّمًا، وكذلِك قولُهُ: «وقائِلُ فَصْلٍ والخَليفةُ فَاعِلُ»

وكانَ الأحسنُ أنْ يكون الخليفةُ المُبْتدئَ بتأرِيثِ النَّارِ وهوَ الذي يَشُبُّ، والخَليفةُ القائِلَ، وهو الذي يَفْعَلُ؛ لأنَّ القائِلَ هو الآمِرُ، والفاعِلَ هو المأمورُ، ولكنَّه بنىٰ الأمرَ علىٰ أنَّ الخليفةَ يعملُ علىٰ رأيِهِ، فصارَ الخليفةُ مأمورًا عَليهِ، ولو سَمِعَ الخليفةُ لأنكَرهُ وعاقَبَ من أجْلِهِ.

وقال البحتريُّ يخاطِبُ صالحًا مولَىٰ المهتدي باللهِ(١):

إنَّ الخليفــةَ لــيسَ يَنْظُــرُ بالــذي ❊ طَالَبْــتُ إلا أَنْ تقــولَ فَــيَفْعَلا

وليسَ هذا من قول أبي تمَّامٍ في شيءٍ، إنَّمَا استشفَع البحتريُّ إلىٰ المهتدي بصالحٍ، فقالَ إنَّ الخليفة يَنْتَظِرُ أن يَسْأَلَهُ في أمري فَيفْعلَ ما يقولُ، فأبو تمّامٍ أطلق القولَ عُمومًا في الأمور كلِّها، وأنَّ وزيرَه يَقولُ وأنَّ الخليفةَ يَفْعَلُ.

وقَوْلُهُ:

وإنــكَ إنْ صــدَّ الزَّمــانُ بوجْهِــهِ ❊ لَطَلْــقٌ ومــن دُونِ الخلافــةِ باسِــلُ

بيتٌ غيرُ جيدِ القِسْمةِ، لأنَّ الصُّدودَ بالوجْهِ لا يكون مقابَلَتُهُ طلاقةَ الوجْهِ، و«الباسل» هوَ الشّديدُ، والبسالةُ الشدّةُ، ولذلك قيل للشجاعِ باسلٌ، فذهبَ أبو

(١) ديوانه: ١٨٧٣/٣، وسبق البيت في ٦٦/٢ وروىٰ هناك وفي ديوانه: «ليس يرقب». أما الممدوح فهو صالح بن وصيف القائد التركي، قتل «بغا» سنة ٢٥٤ وخلع المعتز وقتله وقتل قومًا من كبار الكتاب، ولما قدم موسىٰ من بغا إلىٰ سامراء استتر صالح، ثم انكشف أمره وقتل سنة ٢٥٦ «الطبري ٣٤١/٩ وما بعدها».

تمّامٍ إلىٰ أنَّ الطّلاقةَ في الوجهِ أن يكونَ مُنبَسِطًا مُسْفِرًا، والبسالةُ الشدّةُ، فجعلها في موضعِ النَّقِيضِ كما قال ابنُ هَرْمَةَ[١]:

كريمٌ له وجهانِ، وجهٌ لذي الرِّضا ❁ أسيلٌ، ووجهٌ في الكَريهةِ باسِلُ

والجيّدُ النّادرُ قولُ البحتريِّ في محُمدِ بنِ عبد الملكِ[٢]:

عَلقُوا من «محمدٍ» خيرَ حَبْلٍ ❁ لِرُواقِ الخِلافةِ المَمْدودِ

لم يَخُنْ رَبَّها، ولم يُعْمِلِ التَّد ❁ بيرَ في حَلِّ تاجِها المَعْقودِ

مُصْلتًا بَيْنَها وبينَ الأعادِي ❁ حدَّ رأيٍ يَفُلُّ حَدَّ الحَديدِ

صارِمَ العَزْمِ، حاضِرَ الحَزْمِ سارِي الـ ❁ ـفِكْرِ ثَبْتَ المقالِ صُلْبَ العُودِ[٣]

وقال البحتريُّ في الحَسَنِ بن مَخْلدٍ[٤]:

وَزَرُ الخلافةِ حين يُعْضِلُ حادِثٌ ❁ وشِهابها - في المُظْلِماتِ - الواقِدُ

[١٢س] المَذهبُ الأَمَمُ الذي عُرِفَتْ لَهُ ❁ فيهَ الفضائلُ والطَّريق القاصِدُ[٥]

وَلِيَ الأمورَ بِنَفْسِهِ، ومحلُّها ❁ متقاربٌ، ومرامُها مُتباعِدُ

إنْ غارَ فهْو من النَّباهَةِ مُنْجِدٌ ❁ أو غابَ فهْوَ من المَهابَةِ شاهِدُ

فقد اغْتَدى المُعْوَجُّ وهو مُقَوَّمٌ ❁ بِيدَيْهِ، واستوفى الصّلاحَ الفاسِدُ

---

(١) ديوانه: ص ١٦٧ يمدح المنصور.

(٢) ديوانه: ١/٦٣٥، وقد سبق البيت في ٣/٧٨.

(٣) ديوانه: «ثبت المقام».

(٤) ديوانه: ١/٦٠٢.

(٥) ديوانه: «الفضيلة»، و«الأمم»: القصد والوسط.

أوْفــى فأغشــاكَ الصَّــباحُ بِضَــوئِهِ ❁ وجـرى فغرَّقـكَ «الفُـراتُ» الذّائـدُ[1]

وهذا هُو القولُ الذي لو عصرتَهُ لانْعصرَ، لكثرةِ مائِهِ ورونَقِهِ.

وقولُهُ:

«وشهابُها ـ في المظلماتِ ـ الواقِدُ»

مثلُ قولِ أبي تمّامٍ:

«وأنــتَ شِــهابٌ فــي المُلِمَّــات ثَاقــبُ»

وليس هذا بمأخوذٍ من ذاكَ، لأن المعنىٰ مُشْتَرَكٌ وليس من خاصِّ المعاني الذي يأخُذُها واحدٌ عن آخر.

وقالَ البحتريُّ في عبيد اللهِ بن يحيىٰ بن خاقان[2]:

وكَــمْ لِعُبَيْــدِ اللهِ مــن يــومِ سُــؤْدَدٍ ❁ يُجَلِّــي طَخـا الأيّـامِ ضَـوءُ شُـعَاعِهِ

وكَــمْ بحَثُــوهُ عــن طبــاعِ تكَــرُّمٍ ❁ يَــرُدُّ الزَّمــانَ صَــاغِرًا عــن طِباعِــهِ

سَــلِ الــوُزراءَ عــن تَقــدُّمِ شَــأْوِهِ ❁ وعــن فَوْتِــهِ مــن بَيْـنهِم وانْقِطاعِــهِ

وهَــلْ وازَنُــوهُ عنــد جِــدِّ حَقِيقَــةٍ ❁ بِمِثْقَالِـــهِ، أوْ كَـــايَلُوهُ بِصَـــاعِهِ

زَعِـيمٌ بفَـتْحِ الأمْـرِ عنـد انغلاقِـهِ ❁ علـيهمْ، ورَتْـقِ الفتـق عنـد اتِّسـاعِهِ

عــلا رَأيُــهُ مَرْمــى العُقــولِ فلـم تَكُـنْ ❁ لِتُنْصِــفَهُ فــي بُعْــدِهِ وارْتِفَاعِــهِ

وقــاربَ حتــى أطْمــعَ الغُمْــرُ نَفْسَــهُ ❁ مُكَاذَبَــةً فــي خَتْلِــهِ واخْتِدَاعِــهِ[3]

---

(١) ديوانه: «فأعشاك» بالعين المهملة، و«الزائد» بالزاي.

(٢) ديوانه: ٢/١٣١٩.

(٣) ديوانه: «وخداعه»

تَضِيعُ صروفُ الدَّهرِ في بُعْدِ هَمِّهِ ❊ وتَتْوىٰ الخطوبُ في اتِّساعِ ذِرَاعِهِ[1]

وتعلمُ أعباءُ الخلافةِ أَنَّها ❊ وإنْ ثَقُلَتْ موجودةٌ في اضطلاعِهِ

وما طاوَلَتْهُ مِحْنَةٌ من مُلِمَّةٍ ❊ فينزِع إلا باعُها دونَ باعِهِ[2]

رعى الله من تلقى الرّعيّةُ أُنْسَها ❊ إلى ذَبِّهِ من دونِها ودِفاعِهِ

فهل تريدُ زيادةً في مدحِ وزير علىٰ هذا حسنًا، وبلاغةً وحلاوةَ معانٍ ؟!

وإذ قد انتهيتُ إلىٰ هذا الموضعِ من الأبياتِ، فأذكرُ ما بعدَها من اعتذارِ[3] البحتريِّ، وذلِكَ قولُهُ:

تَصَرَّعْتُ حَوْلًا بالعراقِ مُجَرَّمًا ❊ مدافعةً مِنِّي ليومِ وَداعِهِ

أَأَنْساكَ بعد الهولِ ثُمَّ انْصِرافِهِ ❊ وبعد وُقوعِ الكُرْهِ ثمّ اندفاعِهِ

إِذًا نسيَ الله اطّيافي ببَيْتِهِ ❊ ووفْد الحجيجِ حاشدٌ في اجْتماعِهِ

وواللهِ لا حَدَّثْتُ نفسِي بِمُنْعِمٍ ❊ سِواكَ، ولا عنَّيْتُها باتّباعِهِ

ولو بُعِتُ يومًا منك بالدَّهرِ كُلِّهِ ❊ لفكّرتُ دهرًا ثانيًا في ارْتجاعِهِ

وقال فيه[4]:

[١٣س] الدَّهْرُ يضحك عن بشاشةِ بشْرِهِ ❊ والعيشُ يَرْطُبُ من نضارةِ عُودِهِ

ونَصيحة السُّلطان موقعُ طَرْفِهِ ❊ ونَجِيُّ فِكْرتِهِ وحُلْمُ هُجُودِهِ

---

(١) تتوىٰ: تهلك.

(٢) ديوانه: «فتنزع»، «فما طاولته محنة عن...».

(٣) في «س»: «اعتداد».

(٤) ديوانه: ٢/٦٩٥.

إن أوْقَفَ الكُتَّابَ أمْرٌ مُشْكِلٌ ❊ في حَيْرةٍ، رَجَعُوا إلى تَسْدِيدِهِ[1]
والحَزمُ يَذْهبُ غيرَ مُلْتاثٍ إلى ❊ تَصْويبِهِ في الرَّأيِ أو تَصْعيدِهِ
أوفى على ظُلَمِ الشُّكوكِ فَشقَّهَا ❊ كالصُّبْحِ يَضْرِبُ في الدُّجى بِعَمودِهِ

وهَذا هوَ القولُ الذي لَوْ قَدَحْتَ منه النارَ لأوْرىٰ.

وقال في [أبي] الحسنِ بن عبد الملك بن صالحٍ[2]:

أفنَىٰ «أبو الحسنِ» المحاسِنَ مُنْعِمًا ❊ بخلائقٍ لِلقَطْر بعضُ شُكولِها[3]
وإذا الأمورُ تصَعَّبَتْ شُبُهاتُها ❊ سَبَقتْ رِياضَتُهُ إلى تَذْليلِها
عَرَفَ المصادِرَ قبلَ حينِ وُرُودها ❊ ومَواقِعَ البدَهاتِ قبلَ حُلُولِها

وهذا مِثلُ قول الآخَرِ:

مُطِلٌّ على الأشياءِ حتَّى كأنَّما ❊ لَهُ من وراءِ الغَيْبِ مُقْلةُ شاهِدِ[4]
يرى عاقِباتِ الأمْرِ والأمْرُ مُقْبِلٌ ❊ كأنَّ لَهُ في اليومِ عَيْنًا على غَدِ[5]

وحَسْبُكَ بهذا حُسْنًا، وهو ألطَفُ من معنىٰ البحتريِّ.

---

(١) ديوانه: «أن أوقع الكتاب».

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من «س»، والأبيات في ديوانه: ١٧٦٧/٣، والممدوح هو أبو الحسن محمد بن عبد الملك بن صالح بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب شاعر أديب مشهور، «جمهرة الأنساب ص ٣٦، ومعجم الشعراء: ص ٣٦٣».

(٣) ديوانه: «المحاسن كلها»، وفي «س»: «القطر» والتصحيح من الديوان.

(٤) زهرة الآداب: ١٠٤٤/٤ ولم ينسب، وفيه: «أطلّ»، وفي «س»: «الغيث» تصحيف.

(٥) عيون الأخبار: ٣٥/١ وروايته فيه:

عليم بأعقاب الأمور برأيه ❊ كأن له في اليوم عينًا على غد

ووفيات الأعيان: ٤١٧/٢ ولم ينسب، وروايته فيه:

عليم بأخبار الخطوب بظنه ❊ ... ...

وقالَ آخرُ:

بصـــيرٌ بأعقــابِ الأمـــورِ كأنّمـــا ❁ يُخاطِبُـهَ مـــن كُـلِّ أمـر عَواقِبُـهْ[1]

وقالَ آخرُ:

بَصـــيرٌ بأعقــابِ الأمُـــورِ كأنَّمـــا ❁ يـرَى بصـوابِ الرَّأيِ مـا هُـوَ واقِـعُ[2]

ورواهُ المُبَرِّدُ:

يَــرى فلتـاتِ الـرَّأيِ والـرَّأيُ واثِـقٌ ❁ كـأنَّ لَـهُ فـي اليـومِ عَيْنًـا علـى غـدِ[3]

وقال البحتريُّ في أبي العبّاسِ أحمدَ بنِ الموفقِ[4]:

وإنَّ «أبــا العبَّــاسِ» مَــنْ تَــمَّ رَأيُــهُ ❁ ومـــن شُـــهِرَتْ آثــارُهُ ومنَاقِبُـــهْ[5]

يُرِينــاكَ لا نَرْتــابُ فيــكَ إذا بَــدا ❁ يُؤَدِّيــك نَصًّــا نَجْــرُهُ وضَــرائِبُهْ[6]

وقــد شَــحذتْ مِنْــهُ حَداثــة سِــنِّهِ ❁ شَــهامةُ غِطْريــفٍ حِــدادٍ مَخالبُــهْ

إذا المــرءُ لَـمْ تَبْـدَهْكَ بـالحَزْمِ كُلِّـهِ ❁ قَريحَتُــهُ لــم تُغْــنِ عَنْــكَ تَجارِبُــهْ

---

(١) عيون الأخبار: ٣٥/١، والعقد الفريد: ٢٥١/٢، ونسب إلىٰ جثامة بن قيس «انظر المؤتلف والمختلف: ص ٥٠، وجمهر الأنساب: ص ١٨١»، وزهرة الآداب: ١٠٤٤/٤ ونسب فيه إلىٰ محمد بن وهيب، وفي نهاية الأدب: ٧٩/٦، وغرر الخصائص: ص ٩٥، ووفيات الأعيان: ٤١٧/٢، والكامل: ٢/٢، ولم ينسب.

(٢) عيون الأخبار: ٣٥/١، والعقيد الفريد: ٢٥١/٢، ووفيات الأعيان: ٤١٧/٢، ولم ينسب.

(٣) الكامل للمبرد: ٢/٢، وروايته فيه «يرىٰ فلتات الرأي والرأي مقبل».

(٤) ديوانه: ٢١٩/١ وأبو العباس أحمد بن الموفق هو «الخليفة المعتضد» وجاءت هذه الأبيات في الديوان خاتمة لقصيدة قالها «يمدح الموفق بالله. ويذكر العلوي الخارج بالبصرة» فهي إذن في مدح الأب، وهذه الأبيات الأخيرة في وصف الابن.

(٥) أبو العباس هو ابن الموفق، ديوانه: «أيامه ومناقبه».

(٦) يخاطب «الموفق» ويقول: إننا نرىٰ في ابنك صورة كاملة لك.

بلاغةُ الوزراءِ وحُسْنُ عبارتهم ووصفُ القلمِ



وإذ قد ذكرتُ كفايَةَ الوزراءِ واضطلاعهم بالأمورِ، فأذكرُ ها هُنا شيئًا من بلاغتِهم، وحُسْنِ عبارتِهم ووصفِ القلم.

قالَ أبو تمَّامٍ في سليمانَ بنِ وَهْبٍ(١):

مـا علـى الوُشَّـجِ الرواتِـك مـن عَتْـ ❀ ـبٍ إذا مـا أتَـتْ أبـا أيُّـوبِ

حُـوَّلٌ لا فَعَالُـهُ مَرْتَـعُ الـذم (م) ولا عِرضُـهُ مُـراحُ العُيـوبِ

سُـرُحٌ قولُـهُ إذا مـا اسْـتَمرَّتْ ❀ عُقْـدَةُ العـيِّ فـي لِسـانِ الخَطيـبِ

[١٤س] وقال في الحسنِ بنِ وهبٍ(٢):

لَصـدُورُ الأقْـلامِ أمضـى بِكفَّيْـ ❀ ـكَ إذا شئتَ مـن سِهامِ نِبَـالِ(٣)

---

(١) هو أبو أيوب سليمان بن سعيد بن عمرو من أسرة خدمت الخلفاء منذ عهد معاوية ولي الوزارة للمهتدي ثم للمعتمد على الله وله ديوان رسائل، «الأغاني ٢٠/٦٧ وما بعدها، والفخري: ص ٢٠٢»، والأبيات في ديوانه: ٢٢٦/١، والتبريزي: ١٢١/١، وفيهما «الوسّج» بالسين المهملة، ورواية الديوان أوجه، والوشج جمع واشجة، «وهي صلة الرحم أو شبه الإبل بالوشيجة ـ وهي عرق الشجرة ـ لضمرها» انظر تاج العروس: ٢٥٩/٦. «الوسّج: جمع واسج، والوسيج: ضرب من سير الإبل». التبريزي؟

(٢) لم أجد هذه الأبيات في ديوانه أو شرح التبريزي، غير أني وجدتها في مخطوطتين للديوان ضمن قصيدة في مدح الحسن بن وهب أولها:

قـف نـؤبن كنـاس ذاك الغـزل ❀ إنَّ فيـه لَمسـرحًا للمقـال

وقد ورد هذا البيت في: ٤٣١/١ ولم يخرج، «ديوان أبي تمّام بخط محمد بن مظفر بن أبي نصر بن شيخ الوزيري ورواية الصولي آيا صوفيا رقم ٣٨٧٣ لوحة ١٥٢، ديوان أبي تمام فاتح إستانبول رقم ٣٧٧٢ نسخت قبل ٨٦٠ هـ لوحة ١٢٩».

(٣) في المخطوطتين: مخطوطة آيا صوفيا «من صدور العوالي»، وفي مخطوطة الفاتح «من سهام النصال».

بِمُصفًّى فِرَنْدِهَا النَّيِّرِ الوَشْـ ❊ ـيِ وجِدْثانِ عَهْدِها بالصِّقالِ[١]

نُطَفٌ تَثْلُجُ امْرءًا وهُوَ حَرًّا ❊ ن ببردٍ من المعاني زُلالِ

وتُناغِي الهَوى، وتَنْسابُ في الرُّو ❊ حِ بِسِحْرٍ مِنَ البيانِ حَلالِ

يَشْرَعُ الذِّهْنَ والمسامِعَ فيها ❊ في صفايا أَمْثالِها أَمْثالِي

يُريدُ أمثالَهُ من الشِّعْرِ الذي يقولُهُ.

وقال فيه[٢]:

ولقَدْ سَمِعْتُكَ والكلامُ لآلِىءٌ ❊ تُومٌ وبِكْرٌ في النِّظامِ وَثَيِّبُ

فكَأَنَّ قُسًّا في عُكاظٍ يَخْطُبُ ❊ وكأَنَّ ليلى الأَخْيَلِيَّةَ تَنْدِبُ

وكَثِيرُ عَزَّةَ يومَ بَيْنٍ يَنْسِبُ ❊ وابنُ المُقَفَّعِ في اليتيمةِ يُسْهِبُ

تكسو الوقارَ وتستخِفُّ مُوَقَّرًا ❊ طَوْرًا وتُبْكِي سامعينَ وتُطْرِبُ

قولُهُ: «بِكْرٌ في النِّظامِ» يريُد مالمْ يُسْبَق إليه، و«ثيِّبٌ» يريدُ الألفاظَ والمعاني قد تقدمَ النَّاسُ فِيها واستعملوها، والبيتانِ بعدَ هذا رَديئانِ جدًا، وما نُدْبةُ ليلىٰ الأخيليّة من النساء وغَيْرها، والرجالُ أندبُ مِنْها؟!، وكان ينبغي أن يُفَضِّله علىٰ ابنِ المقفع وغَيْرِهِ[٣] لا أن يُشَبِّهَهُ بِهِ، وكذلك ذِكْرُهُ «لِكَثيرِ» رَكَاكَةٌ وضِيقُ حِيلَةٍ.

وقالَ فيهِ حينَ ورَدَ عليهِ كِتَابُهُ[٤]:

لقد جلَّى كتابُك كلَّ بَثٍ ❊ جَوٍ وأصابَ شاكِلَةَ الرَّمِيِّ

---

(١) فرند السيف: «وشيه، وجوهره وماؤه».

(٢) في «س»: «وقال آخر فيه». ديوان أبي تمام: ٢٣٦/١، والتبريزي: ١٣٤/١، وفيهما: «ولقد رأيتك» و«فبكر».

(٣) في «س»: «إلا».

(٤) ديوانه: ٦٢/٣، والتبريزي: ٣٥٤/٣.

فضضْـــتَ خِتَامَـــهُ فتبلّجــت لـــي ❊ غَرائِبُـــهُ عـــن الخَبـــرِ الجَلِـــيِّ
وكــانَ أغْـضَّ فــي عَيْنِـي وأنْـدى ❊ علـى كَبِـدِي مـن الزَّهْـرِ الجَنِـيِّ
وأحســنَ موقعًــا مِنِّــي وعنــدِي ❊ مــن البُشْـرى أتــتْ بعــدَ النَّعِــيِّ
وضُــمِّنَ صَــدْرُهُ مــالمْ يُضَــمَّنْ ❊ صــدورُ الغانيــاتِ مــن الحُلِــيِّ[1]
وكــائِنْ فيــهِ مــن معنًــى خَطيــرٍ ❊ وكــائِن فيــهِ مــن لفــظٍ بَهِــيِّ[2]
وكــمْ أفْصَــحْتَ عــن بــرٍ جَليــلٍ ❊ بــهِ وَوَأَيْــتَ مِــنْ وأيٍ سَــنِيِّ[3]
فــأطْلِقْ مِــن عِقَــالي فــي الأمــانِي ❊ ومِــنْ عُقُــلِ القَــوافِي والمَطِــيِّ
فيَــا ثَلَــجَ الفــؤادِ وكــانَ رَضْــفًا ❊ ويــا شِــبَعِي برَوْنَقِــهِ وريِّــي[4]
لَــئِنْ غَرَّبْتَهــا فــي الأرض بِكْــرًا ❊ لقــد زُفَّــتْ إلــى سَــمْعٍ كَفِــيِّ[5]
بيــانٌ لــم تَرِثْــهُ تُــراثُ دَعَــوى ❊ ولــم تُنْبِطْــهُ مــن حِسْــي بَكِــيِّ[6]

وهذه أبياتٌ مضطربةٌ، وليسَ فيها جيّدٌ إلّا قولهُ: «ويا شِبَعِي بِرَوْنَقِهِ ورِيِّي».

وقال فيه[7]:

فأجْـلُ القــذى عــن مُقْلَتــيَّ بأسْـطُرٍ ❊ يكْشِــفْنَ مــن كُرُبــاتِ بــالٍ بــالي

---

(١) ديوانه والتبريزي: «ما لم تضمّن».
(٢) «كائن» بمعنى «كم» وفي ديوانه والتبريزي: «فكائن».
(٣) في «س»: «وكم كشفت» ولا يستقيم معها الوزن والتصحيح من ديوانه والتبريزي.
(٤) في «س»: «فيا شبعي».
(٥) ديوانه والتبريزي: «لقد جُلِيَتْ علي».
(٦) «الحِسْيُ»: الماء القليل. «البكيّ»: البئر قليلة الماء.
(٧) ديوانه: ٢٨٨/٢، والتبريزي: ٦١/٣، وفي حاشية التبريزي: «وقال ـ وكتب بها إلى ابن وهب بجرجان ـ:»، وفي ديوانه والتبريزي: «بال بالي».

[١٥س] سودٌ يَبَيِّضْنَ الوجوهَ بِمُصْطَفىً ❁ تِلْكَ النَّوادِرِ مِنْكَ والأمْثالِ
واحْثُثْ أنامِلَكَ السَّوابغَ كُلَّها ❁ حَتى يَجولَ هُناكَ كلَّ مجَالِ[1]
في بطنِ قِرْطاسٍ رَخيصٍ ضُمِّنَتْ ❁ أحشاؤُهُ غُرَرَ الكلامِ الغَالِي[2]

وهذا البيت الأخيرُ جيدٌ، والباقي صالحٌ.

وقال في ابن الصَّالحِ الهاشميِّ[3]:

لُقْمانُ صمتًا وحِكْمةً فإذا ❁ قالَ لَقَطْنَا الجُمانَ من خُطَبهْ

وللهِ درُّ أبي مُعاذٍ بَشارِ بن بُردٍ إذْ يقولُ على هذا الرويِّ[4]:

للهِ ما قَدْ حَواهُ مَنْطِقُهُ ❁ من لؤْلُؤٍ لا يُنامُ عن طَلَبهْ[5]
يُخْرِجُ من فيهِ في النَّدى كما ❁ يَخْرُجُ ضوءُ السِّراجِ في لَهَبهْ[6]

وما أحسنَ ما قالَ أبو عُبَادةَ البحتريُّ في الحسنِ بن وَهبٍ أيضًا[7]:

وإذا استهلَّ «أبو عليٍّ» في النَّدى ❁ جاءَ الغمامُ المُسْتَهِلُّ بِسَكْبِهِ[8]
وإذا احتبى في عُقْدةٍ من حِلْمهِ ❁ يومًا رأيت [مُتالِعًا] في هَضْبِهِ[9]

---

(١) ديوانه والتبريزي: «السوابغُ»، «حتى تجول».

(٢) ديوانه والتبريزي: «درر الكلام».

(٣) يعني محمد بن عبد الملك بن صالح الهاشمي، ديوانه: ١/٣٢٤، والتبريزي: ١/٢٧٣.

(٤) ديوان بشار: ١/١٨٤، وفي «س»: «بشار بن المبرد».

(٥) صدره في الديوان: «لله ما راح في جوانحه».

(٦) ديوانه «يخرجن من فيه للندى كما»، «من لهبه».

(٧) ديوانه: ١/١٦٤.

(٨) ديوانه: «للنّدي».

(٩) متالع: جبل في نجد.

وإذا تـألَّقَ فـي النَّـدِيِّ كلامُـهُ الـ ❊ ـمَصْقولُ «خِلْتَ لِسَانَهَ من» عَضْبهِ[1]
وإذا دجـتْ أقلامُـهُ ثـمّ انْتحَـتْ ❊ بَرَقَـتْ مصـابيحُ الـدُّجى مـن كُتْبِـهِ[2]
بـاللَّفْظِ يَقْـرُبُ [فَهمـهُ] فـي بُعْـدِهِ ❊ مِنَّـا، ويَبْعُـدُ نَيْلُـهُ فـي قُرْبِـهِ[3]
حِكَـمٌ فَسـائِحُها خِـلَال بَنَانِـهِ ❊ مُتَـدَفِقٌ، وقَليبُهـا فـي قَلْبِـهِ
كـالرَّوْض مُؤْتَلِقًـا بحُمْـرَةِ نَـوْرِهِ ❊ وبيـاضِ زَهْرتِـه، وخُضْـرَةِ عُشْبِـهِ[4]
أو كـالبُرودِ تُخُيِّـرتْ [لِمُتَـوَّج] ❊ مِـن خالِـهِ، أو وَشْـيِهِ أو عَصْـبِهِ[5]
وكأنَّهـا، والسـمعُ معقـودٌ بِهـا ❊ شَـخْصُ الحَبيـبِ بـدا لِعَـيْنِ مُحِبِّـهِ[6]

قولُهُ: «دجتْ أقلَامُهُ» يريدُ إذا أخذت المداد.

قوله: «باللَّفْظ يَقْرُبُ فَهمُه في بُعْدِهِ مِنَّا» أي: يقربُ فَهمُه مِنَّا لِحُسْنِ بَيانِه وتَلْخيصِه، «في بُعْدِهِ» أي: في دِقَّةِ معَانيهِ.

«ويَبعُدُ نَيْلُهُ في قُرْبهِ» أيْ: ويَبعُدُ أنْ ينالَه أحدٌ، أيْ: يأتِيَ بِمِثْلِهِ، «في قُرْبِهِ» يريدُ أنَّه مُطْمِعٌ مُمْتَنِعٌ، إذا سَمِعَهُ سَامِعٌ ظَنَّ أنَّه قريبٌ علَيْهِ، وأنَّه يأتي بمثلِهِ، وهوَ مِنْهُ بعيدٌ.

وقولُهُ: «فسائِحُها» أي ما يسيحُ منها فيَجْرِي، أي يتدفقُ ذلك خلالَ بنانِه.

---

(١) رسم حروف هذه الكلمات غير واضح في «س»، والتصحيح من الديوان، النَّديُّ: مجتمع القوم وناديهم.
(٢) ديوانه: «في كتبه».
(٣) ما بين الحاصرتين ساقطة من «س»، والتصحيح من الديوان.
(٤) ديوانه: «مؤتلفًا»، وقد سبق في ٢/ ٩٨.
(٥) ما بين الحاصرتين ساقطة من «س».
(٦) «س»: «شخص المُحِبِّ بدل لعين حبيبه».

وقولُه: «كالرَّوْضِ مؤتلقًا بحُمْرَةِ نَوْرِهِ وبياضِ زَهْرَتِه» ، قد أَنْكَرَ ذلكَ علىٰ البُحْتريِّ بعضُ أهلِ اللُّغَةِ وذكرَ أن النَّوْرِ هوَ الأبيضُ خَاصةً ، وأن الزَّهْرَ هو الأَصْفرُ لا محالة ، وإنَّما يَضُمُّهُما إذا قُلْت: أنوارٌ وأزهارٌ ، فيدخُلُ في هذا اللَّفْظِ سَائرُ الألْوانِ.

وقد قال ـ لَعْمرِي ـ قومٌ من أهلِ اللُّغَةِ ـ منهم ابنُ الأعرابيِّ وغيرُهُ ـ إن النَّوْرَ هو الأبيض والزَّهْرُ هو الأصفرُ ، فما يُصْنَعُ إذًا بقولِ حُمَيْدِ بن ثَوْرٍ:

كَأنَّ علىٰ أشداقِهِ نَوْرُ حَنْوَةٍ ✿ إذا هو مَدَّ الجِيدَ منه لِيَطْعَمَا[1]

[١٦س] يَصِفُ فَرخَ الحمامةِ ، وصُفرَةَ أشدَاقِها ، ويُشبِّهُهَا بِزَهْرِ الحَنْوةِ ، وهُو أصْفَرُ شَديدُ الصُّفْرَةِ ، فقالَ: «نَوْرُ حَنْوَةٍ» ، ولم يَقُلْ: «زَهْرُ حَنْوَةٍ».

وقال الأَعْشَىٰ[2]:

وشَمُولٌ تَحْسَبُ العَيْنُ [إذا] ✿ صُفِّقَتْ [وَرْدَتَها] نَوْرَ الذُّبَحْ

«والذُّبَحُ» نَبْتٌ ، ونَوْرُهُ أحمَرُ شَديدُ الحُمْرَةِ ، ويُرْوىٰ «الذِّبَحُ»[3].

وقالَ أبو النَّجْمِ[4]:

---

(١) سبق في ٢/١٠٠ وانظر تخريجه هنا ، والشاعر هو: حُمَيْدُ بن حَزْن الهلالي ، أبو المثنىٰ شاعر مخضرم ، عاش زمنًا في الجاهلية وشهد حُنَيْنا مع المشركين ، ووفد علىٰ النبي ﷺ. ومات في خلافة عثمان ، وهو شاعر مجيد ، عده ابن سلام في الطبقة الرابعة من الإسلاميين. «الشعر والشعراء: ١/٣٩٠ ، والإصابة الترجمة: ١/١٨٣٦ ، والأغاني دار الكتب: ٤/٢٥٦».

(٢) ديوانه: ٢٩١ وقد سبق في ٢/١٠٠ ، وما بين الحاصرتين سقط من «س» ، والشمول هي الخمر التي بردت بريح الشمال ، وروي البيت في الجزء الأول بفتح «وردتها» علىٰ أنها مفعول أول لتحسب ، أما هنا فالكلمة ساقطة ، وفي الديوان جاءت مرفوعة ، واخترت رواية الموازنة.

(٣) بكسر ففتح ، وانظر اللسان مادة: «ذبح».

(٤) الأبيات في ديوانه ص ٦٢. وفيه «في عزائه» ، «تخال الشمس».

فـالرَّوْضُ قـد نَـوَّرَ فـي حَوَّائِـهِ ❊ نَـوْرًا تحَـارُ الشَّـمْسُ فـي حَمْرائِـهِ
مُكَلَّـلًا بـالنَّوْرِ مـن صَـفْرائِهِ[1]

فجَعلَ الأحمرَ والأصفرَ نَوْرًا، وقد ذكرتُ هذا مشروحًا في الجزءِ الذي بَيَّنْتُ فيه معايبَ البحتريُّ، وذكرتُ ما عيبَ عليه مِمَّا هوَ عَيْبٌ صحيحٌ وما ادُّعِيَ عليهِ مِمَّا لَيْس بعيبٍ[2].

وقالَ البحتريُّ في محمدِ بن عبدِ الملكِ الزَّيَّاتِ[3]:

لَتَفَنَّنْـتَ فـي الكِتَابَـةِ حَتَّـى ❊ عَطَّـلَ النَّـاسُ فَـنَّ عَبـدِ الحَمِيـدِ[4]
فـي نظـامٍ مـن البلاغـةِ مـا شَـكَّ ❊ امـرؤٌ أنَّـهُ نظـامُ فَريـدِ[5]
وبَـديعٍ كأنَّـهُ الزَّهَـرُ الضَّـا ❊ حِـكُ فـي رَوْنَـقِ الرَّبيـعِ الجَديـدِ
مُشْـرِقٌ فـي جَوانـبِ السَّمْعِ مايُخْـ ❊ ـلِقُـهُ عَـوْدُهُ علـى المُسْـتَعِيدِ
مـا أُعيـرَتْ منـهُ بطُـونُ القَراطِيـ ❊ ـسِ، ومـا حُمِّلَـتْ ظُهـورُ البَريـدِ
حُجَـجٌ تُخْـرِسُ الألَـدَّ بأَلْفَـا ❊ ظٍ فُـرَادَى كـالجَوْهَرِ المَعْـدُودِ
ومعـانٍ لَـوْ فَصَّـلَتْها القَـوافي ❊ هَجَّنَـتْ شِـعْرَ جـرول ولَبِيـدِ[6]

(١) ديوانه: «مكللًا بالورد».
(٢) انظر ٢/٩٩.
(٣) ديوانه: ١/٦٣٦.
(٤) هو عبد الحميد بن يحيىٰ مولىٰ العلاء بن وهب العامري، كان يكتب لمروان بن محمد الجعدي أحد خلفاء بني أمية، وقد قتل معه سنة ١٣٢ «الوزراء والكتاب للجهشياري: ص ٧٢ وما بعدها».
(٥) ديوانه: «مَرِيد».
(٦) جرول هو الحطيئة.

حُـزْنَ مُسْـتَعْملَ الكـلامِ اخْتيـارًا ❖ وَتَجَنَّـبْنَ ظُلْمَـةَ التَّعقِيـدِ
ورَكِـبْنَ اللَّفْـظَ القَريـبَ فأدْرَكْـ ❖ ـنَ بـهِ غايـةَ المُـرادِ البَعيـدِ
كالعَـذْراى غَـدَوْنَ فـي الحلـل الصُّفْـ ❖ ـرِ أو رُحْـنَ فـي الخُطـوطِ السُّـودِ[1]

وَقَد وصفَ أبو تَمامٍ القلمَ فقالَ في مديح مُحمدِ بن عبدِ الملكِ[2]:

لـك القَلَـمُ الأعلـى الـذي بِشَـبَاتِهِ ❖ تُصـابُ مـن الأمْـر الكُلـى والمَفاصِـلُ
لَـه الخَلَـواتُ الـلَّاءِ لَـوْلَا نَجيُّهـا ❖ لمـا احْتَفلـتْ لِلْمُلـكِ تِلْـكَ المَحافِـلُ
لُعـابُ الأفـاعي القَـاتِلاتِ لُعَابُـهُ ❖ وأَرْيُ الجَنـى اشْـتَارَتْهُ أَيْـدٍ عَوَاسِـلُ
لَـهُ رِيقَـةٌ طَـلٌّ ولكـنَّ وَقْعَهَـا ❖ بآثـارِهِ فـي الشَّـرْقِ والغَـرْبِ وابِـلُ
فَصـيحٌ إذا اسْـتَنْطَقْتَهُ وَهْـوَ رَاكِـبٌ ❖ وأعجَـمُ إنْ خاطَبْتَـهُ وَهْـوَ رَاجِـلُ
إذا ما امتَطَى الخَمسَ اللِّطاف وأفرِغَتْ ❖ عَلَيْـهِ شِـعَابُ الفِكْـرِ وَهْـيَ حَوافِـلُ[3]
أطاعَتْـهُ أطْـرافُ القنـا وتَقَوَّضَـتْ ❖ لِنَجْـواهُ تَقْـويضَ الخِيـامِ الجَحافِـلُ[4]
وقَـدْ رَفَدَتْـهُ الخِنْصَـرانِ وشَـدَّدَتْ ❖ ثَـلَاثَ نَواحيـهِ الـثَّلاثُ الأنامِـلُ
رَأيـتَ جَليـلًا شـأنُهُ وهْـوَ مُرْهَـفٌ ❖ ضَـنًا وسَـمينا خَطْبُـهُ وهْـوَ نَاحِـلُ

[١٧س] وما وصفَ النّاسَ القلمَ بأجودَ ولا أبرعَ، ولا أصحَّ معانٍ وألطفَ من هذا الوَصْفِ.

(١) في «س»: «حلل الصفراء» والتصحيح من ديوانه.
(٢) ديوانه: ٢/٣٣٢، والتبريزي: ٣/١٢٣.
(٣) في «س»: «شعاب» عسيرة القراءة.
(٤) شرح التبريزي: «أطراف لها».

وقدْ كانَ النَّاسُ يَسْتَحْسِنُونَ قولَ المُقَنَّعِ الكِنْديِّ(١):

قَلَــمٌ كَخُرطُــومِ الحَمامَــةِ مَائِــلٌ ❊ مُسْــتَحْفِظٌ للعلــمِ مــنْ عُلَّامِــهِ(٢)
يَسِــمُ الحُــروفَ إذا تَشَــابَهَ أَيُّهــا ❊ لِبَيانِهَــا بــالنَّقْطِ مــن إعْجامِــهِ(٣)
يَحْفَــى فيُقْضَــمُ مــن شُــعَيْرَةِ أنْفِــهِ ❊ كَقُلامَــةِ الأُظْفُــورِ مــن مِقلامِــهِ(٤)
وبِأنْفِــهِ شَــقٌّ تَــلَاءَمَ فاسْــتَوى ❊ سُــقِيَ المَـدَادَ، فــزادَ فــي تَلْآمِــهِ
مُسْـتَعْجِمٌ وهــوَ الفَصيحُ بِكُـلِّ مَـا ❊ نَطَـقَ الرِّجـال بـهِ علـى استعجامِهِ(٥)
وهجَــاهُ قــافٌ ثُــمَّ لامٌ بعــدهَا ❊ مــيمٌ مُعَلَّقَــةٌ بأسْــفَلِ لَامِــهِ(٦)

وهذه الأبياتُ في قصيدةٍ يمدحُ فيها الوليدَ بن يزيدَ، ولا تبلغُ في الجودة أبياتَ أبي تمام، ولا تَعْشُرُهَا(٧).

وما سمعتُ فيه وصفًا أردأ ولا أقبحَ من أبياتٍ منسوبَةٍ إلىٰ البحتريّ وهي لوَهْب ابن شاذانَ الهمداني، رواها أبو عبد الله مُحَمد بن داودَ بن الجرَّاحِ في كتاب «الورقة» ووصفَ وهبًا هذا بشدّةِ التَّكلفِ وقال(٨):

---

(١) الأبيات في الحيوان: ١/٦٥، وبعضها في التنبيهات ص ٣٠٤.

(٢) الحيوان والتشبيهات: «مائل».

(٣) الحيوان: «إذا يشاء بناءها»، «من أرسامه».

(٤) التشبيهات، وفي الحيوان: «قلآمه».

(٥) الحيوان: «نطق اللسان».

(٦) الحيوان: «هجاؤه قاف ثم لام بعدها». ولا يصح معها الوزن.

(٧) يقال: «عشر: أخذ واحدًا من عشرة».

(٨) لم أجد ذكرًا لوهب هذا في الجزء المطبوع من كتاب الورقة «وانظر ص ١٦ من المقدمة»، كما لم أقف له علىٰ ترجمته في الكتب التي بين يدي، وقد وجدت له بعض الأبيات في عيار الشعر: ١٩٣، وورد بعض هذه الأبيات منسوبًا إلىٰ العلوي في العقد الفريد: ٤/١٩١.

وعُريـــانُ مـــن خلفـــه مُكْـتَسٍ ✤ يسيرُ مــن الوَشْـيِ فـي يَلْمَـقِ[1]
يُحَـــذِّفُ فـــي الـرأسِ شَـــابورةً ✤ تسـيلُ علـــى ذِروةِ المَفْـــرقِ[2]
فَعمَّـــرَ فـــي البحـــرِ مُسْتأنسًـــا ✤ فلـــم يَـــر يُبْسًـــا ولـــم يَغْـــرَقِ[3]
وناصَـبَ فـي البَـرِّ شـمسَ الهَجيـر ✤ فمـــا لَوَّحَتْـــهُ ولـــمْ يَفْـــرَقِ
إذا أنـــتَ مَشَّـــيْتَهُ راكبًـــا ✤ تَسَـمَّعَ منـكَ ولـمْ يَخْـرُقِ
يُقِـيمُ بِغَرْبِـهِ غَـرْبَ الـبِلادِ ✤ ويَنهـى ويـأمُرُ فـي المَشْـرِقِ[4]
إذا مـا اسـتقامَ سـقى غَيْـرَهُ ✤ مـن الثَّمْـدِ الآجِـنِ الأورَقِ[5]
وأطـرَقَ ثُـمَّ جـرى ماضـيًا ✤ علـى فِكـرَةِ السَّـاكِنِ المُطْـرِقِ
فكـمْ مـن طليـقٍ لَـهُ مُوثَـقٍ ✤ وكـم مـن وَثيـقٍ لـه مُطْلَـقِ[6]
يسـوقُ إلـى المُطْبِـقِ النَّاكِثيـ ✤ ـنَ ومثـواهُ فـي مُطْبِـقِ الخَنْـدَقِ



---

(١) في العقد: «خلعه مكتس يميس».

(٢) العقد الفريد: «تحدر من رأسه ريقه».

(٣) في «س»: «يابسًا» ولا يستقيم الوزن بها، ويَبْسًا ويُبسًا بضم وفتح المثناة.

(٤) في العقد: «يقيم ويوطن»، «بالمشرق»

(٥) الثمد: الماء القليل، الآجن: الماء المتغير الطعم واللون، الأورق: لا مطر فيه.

(٦) في العقد الفريد:

فكـم مـن أسـير لـه مطلـق ✤ وكـم مـن طليـق لـه موثـق

العفو والحلم

ويُوصَفُ الخليفةُ بالعفوِ والحِلْمِ، وذلك مَوجودٌ في سائرِ النَّاس، وينبغي أن يُتَوصَّلَ إلىٰ لفظٍ تكونُ للخليفةِ فيه مَزِيَّةٌ علىٰ غيرِهِ.

[قال أبو تمام][1]:

وكم ناكثٍ للعهدِ قد نَكَثَتْ بِهِ ❊ أمَانيهِ واسْتَخْذى لِحَقِّكَ بَاطِلُهْ[2]

فأمْكَنْتَهُ من رُمَّةِ العفوِ رأفةً ❊ ومغفرةً إذْ أمْكَنَتْكَ مقَاتِلُهْ

وحاطَ له الإقرارُ بالذَّنبِ رُوحَهُ ❊ وجُثْمَانَهُ إذْ لَمْ تُحِطْ[ـهُ] قَنَابِلُهْ[3]

وهَذا لَعمري حَسَنٌ، ولكنَّهُ يصلحُ أنْ يُوصَفَ بهِ غيرُ خَليفَةٍ.

وقال [١٨س] البحتريُّ في المتوكِّلِ[4]:

ولَهُ وراءَ المُذْنبينَ ودونَهم ❊ عفوٌ كظلِّ المُزْنَةِ المَمْدُودِ

قولهُ: «كظِلِّ المُزْنَةِ المَمْدودِ» لفظٌ ومعنىٰ ما لحُسنهِ نهايةٌ، وكأنَّهُ أَليقُ بالخلفاءِ من غيرِهم، من أجْلِ جَعْلِهِ عفوًا يَعْلوهم ويُظِلُّهم، كما تعلو المُزْنةُ وتُظِلُّ.

وقال بَعدَه في الأناةِ والحِلمِ:

وأناةُ مُقْتَدِرٍ تُكَفْكِفُ بأسَهُ ❊ وقَفَاتُ حِلْمٍ كالجِبَال عَتيدِ[5]

(١) ساقطة من «س».

(٢) ديوانه: ٢/ ٢٠١، والتبريزي: ٣/ ٢٧ وفي ديوانه: «بالمهد».

(٣) في «س»: «يحط» وفي ديوانه وشرح التبريزي: «قبائله»، و«قنابله»: أي جيوشه وكتائبه.

(٤) ديوانه: ٢/ ٧٠١.

(٥) في «س»: «كالجبال»، وفي ديوانه: «عنده موجود».

وقالَ في المُعْتزِّ[1]:

بحِلْمٍ كأنَّ الأرضَ مِنْهُ تَوقَّرَتْ ❁ وجُودٍ كأنَّ البَحْرَ منهُ تفجَّرَا

وهذا حِلمٌ عظيمٌ في البيتينِ، وجودٌ في هذا البيتِ هو أعظمُ.

وقالَ أيضًا في المتوكلِ[2]:

أكرمُ النَّاسِ شيمةً، وأتمُّ النَّـ ❁ ـاسِ حِلْمًا، وأكثرُ النَّاسِ رِفْدا

فَفضَّل حلمه على حلومِ النَّاسِ.

ولم يرضَ أبو تَمامٍ أن يجعل الحلمَ رزينًا ثَقيلًا على مذاهبِ الناس كلِّهم عربِهم وعَجَمِهم، ولكن جعله رَقيقًا، قال[3]:

رقيقُ حواشي الحِلْمِ لَوْ أنّ حِلْمَهُ ❁ بِكفّيْكَ ما ماريتَ في أنَّه بُرْدُ

فجعله كالبُرْد، والبُرْدُ لا يُوصَفُ بالرِّقَّةِ، وكان ينبغي أنْ يجعلَه كالهوء!![4].

وقالَ البحتريُّ في المُعْتزِّ[5]:

وعفوتَ عفوًا عمَّ أُمَّةَ «أحمدٍ» ❁ في الغَرْب مِن أوطانِهم والمَشْرِقِ

ولقد رددْتَ على الأنامِ عُقولَهم ❁ بِهَلاكِ سُلطانِ الرَّقيقِ الأَحْمقِ[6]

(١) ديوانه: ٢/٩٣٣.

(٢) ديوانه: ٢/٧١٢، وفيه: «وأتم الناس خلقًا».

(٣) ديوانه: ١/٤٧١، وشرح التبريزي: ٢/٨٨.

(٤) سبق للآمدي أن اعترض على هذا البيت في الباب الذي أفرده لذكر معايب أبي تمام «١/٣٣٨ وما بعدها، انظر النظام لابن المستوفي جـ ١ لوحة ٣٦٦، وهوامش شرح التبريزي».

(٥) ديوانه: ٣/١٤٧٨.

(٦) ديوانه: «الركيك» ويعني به المستعين.

وقال في المُعْتزِّ(١):

وأبـيضُ مـن «آلِ النّبـيِّ» إذا احتبـى ❖ لِســاعةِ عَفْــوٍ فــالنُّفوسُ مَواهبُــهْ
تَغَمَّـدَ بالصَّـفحِ الـذُّنوبَ وأسْـمحتْ ❖ سَــجاياهُ فــي أعدائِــهِ وضَــرائِبُهْ

قوله: «فالنُّفوسُ مواهبُه» لفظٌ ومعنىً في غايةِ الحُسْنِ والحَلاوةِ، ولكنَّهُ يَصلُحُ أن يُقالَ لخليفةٍ [وَ]غَيْرِ خَليفة إذا كان عظيمًا مُسَلَّطًا.

وينبغي للشاعرِ أن ينظرَ أغلبَ خِلالِ الخيرِ على الممدوحِ فيمدحَهُ، ويُكَرِّرَهُ في أوصافِهِ ويُرَدِّدَهُ.

ومن أشهرِ فضائلِ المأمونِ وأحبِّها إليهِ أن يُذْكَر بها الحِلْمُ والعَفْوُ، ومِمَّا يُؤثرُ عنه أنه قال:

«أنا ألذُّ العفوَ حتى أخاف ألّا أُؤْجَر عليهِ، ولو عَلِمَ النَّاسُ مِقدارَ محبَّتي للعفوِ لتقرَّبُوا إليَّ بالذُّنُوبِ»(٢).

وقد مدحَهُ أبو تمّام بقصيدتين فما وصفه فيهما بعفوٍ ولا حلم، إلا ما ذَكرهُ من مَنِّهِ على أسرى الرومِ، لمّا أتوْهُ بهم، في غَزَاتِهِ، وذلك قولُهُ(٣):

[١٩س] لمـا رأيـتَهُمُ تُسـاقُ ملـوكهُمْ ❖ حِزَقًـا إليْـكَ كـأنهُمْ أنعَـامُ
جرحـى إلـى جرحـى كـأنَّ جلـودَهُمْ ❖ يُطلـى بهـا الشِّـيَّانُ والعُـلّامُ(٤)
مُتسـاقطِي وَرَق الثِّيـابِ كـأَنَّهُمْ ❖ دَانُـوا فأُحْـدِثَ فـيهِمُ الإحْـرامُ

(١) ديوانه: ١/٢١٧.
(٢) انظر: «بغداد» لابن طيفور: ص ٥٠، ١٠٧، وتاريخ الخلفاء للسيوطي: ص ٣٢٢، ونهاية الأرب: ٦/٦١، والفرج بعد الشدة: ٣/٣٤٢.
(٣) ديوانه: ٢/٣٧٨، وشرح التبريزي: ٣/١٥٦، والحِزَق: الجماعات.
(٤) الشيّان: صبغ، العلام: الحِنّاءُ.

أكرمْتَ سيفَك غَربَهُ وذُبابَهُ ❁ عَنْهُمْ وحُقَّ لِسيفِكَ الإكْرامُ
فرددتَ حدَّ الموتِ وهو مُركَّبٌ ❁ في حَدِّهِ فارتدَّ وهو زُؤامُ

والمنَّ على هؤلاءِ الأسرى المُثْخَنينَ من الرُّومِ يلزمُ المأمونَ، ولا يُسَوِّغُ لَهُ الدِّينُ تَجاوُزَهُ إلى غَيْرِه، لأنَّ الله ﷻ قالَ: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنَّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾[1].

وقولهُ في القصيدةِ الأُخْرى[2]:

فانتاشَ مصرَ منَ اللَّتَيَّا والَّتي ❁ بِتَجاوُزٍ وتَعَطُّفٍ وتَغَمُّدِ

وهذا كان منهُ على سبيلِ السّياسةِ والإصلاحِ والضَّرورةِ، وليس هذا مِمَّا يعتدُّ به المأمونُ في فضائلِ الحِلْمِ، ولا لأبي تمَّامٍ في مَدْحِهِ بهِ، وإنما يَعْتَدُّ [بِهِ] المأمونُ في سياستِه وحسنِ تدبيرِهِ، وما أحسنَ ما قالَ فيه محُمد بن عبد الملك الفَقْعَسِيُّ[3]:

أميرَ المؤمنينَ عفوتَ حَتَّى ❁ كأنَّ الناسَ ليس لهم ذُنوبُ

وقالَ فيه عبدُ الله بنُ [أبي] السَّمْطِ[4]:

(١) سورة محمد ﷺ، آية: ٤.

(٢) ديوانه: ١/٤٥١، وشرح التبريزي: ٢/٤٨، «واللتيا والتي» كناية عن المصاعب.

(٣) محمد بن عبد الملك الفقعسي كوفي شاعر قديم أدرك المنصور ومن بعده، وله مدائح وأبيات في الرشيد والمأمون، كان راوية بني أسد وصاحب مآثرها وأخبارها، وعنه أخذ العلماء مآثر بني أسد «الورقة لابن الجراح ص ١٣، الفهرست ص ٥٥»، وفي «س»: عفاو حتى، والتصحيح من الورقة ص ١٣.

(٤) هو عبد الله بن أبي السمط بن مروان بن أبي حفصة. شاعر كان في بغداد في أيام المأمون يجيد قول الشعر وله مدائح في عدة من الأكابر «تاريخ بغداد ٩/٤٧٠، وأشعار أولاد الخلفاء: ص ١١٧»، ولم أجد هذا البيت في ما بين يديّ من مراجع.

عفـوتَ حتـى تمنينـا الـذنوبَ كمـا ❖ أعطيـتَ حتـى لقلنـا إنَّـهُ سَـوَفُ

أخذَ هذا من قولِ أبي دَهْبَلَ[1]:

مـا زِلـتَ فـي العفـوِ للـذُّنوبِ وإطـ ❖ ـلاقِ لعـانٍ بِجُرْمِـهِ غَلِـقِ

حتـى تمنَّـى البُـراةُ أَنَّهُـمُ ❖ عنـدكَ أَمْسَـوْا فـي القَـدِّ والحَلَـقِ

ونحوُهُ قولُ الآخرِ في المأمونِ[2]:

صَـفُوحٌ عـن الإجْـرامِ حتَّـى كأنـهُ ❖ من العفوِ لم يعرفْ من الناسِ مُجْرِمَا

وقالَ البحتريُّ في المتوكِّلِ[3]:

مَلِـكٌ إذا عـاذَ المُسـيءُ بعفـوِهِ ❖ غفـرَ الإسـاءَةَ قـادرٌ لا يَعْجَـلُ

وعفَـا كمـا صَـفَحَ السَّـحابُ ورعْـدُهُ ❖ قَصِـفٌ وبَارِقُـهُ حريـقٌ مُشْـعَلُ[4]

وهذا نسجٌ في غايةِ الحُسنِ وتمثيلٌ يروقُ سامِعَهُ، ولكنَّه غيرُ معروفٍ، ولا مُعتادٍ أن يُشَبَّهَ عفوَ القادرِ عن إساءةِ المُسيءِ بإمساكِ السَّحابِ عن المَطرِ، وهذا إنما يصلحُ أن يكونَ تمثيلًا لصفحهِ عن ذَنْبِ المذنبِ، والإمساك عن عقوبِته،

---

(١) البيتان في ديوانه: ص ٤٧.

(٢) البيت للحسن بن رجاء بن أبي الضحاك الكاتب، من كتاب الدولة العباسية كان ذكيًا أديبًا شاعرًا «الأغاني الدار: ٢٠١/٧، وقطب السرور: ٥٠، ٦٠، ٧٣، وأخبار أبي تمام: ص ١٦٧ وما بعدها»، وقد ورد البيت في بغداد: «ص ٥٣، وغرر الخصائص: ص ٣٧١، والفرج بعد الشدة: ٣٨٧/١»، وهو أحد بيتين في مدح المأمون، والثاني قوله:

ولَـيسَ يُبـالي أن يكـونَ بـهِ الأذَى ❖ إذا مـا الأذى لـم يَغْـشَ بـالكُرْهِ مُسْـلما

(٣) ديوانه: ١٥٩٦/٣.

(٤) ديوانه: «وعفا كما يعفو السحاب».

فإن قيلَ إنَّ الوعيدَ والتهددَ قد يوضعان في معنىٰ الرَّعد والبرقِ[1] وذلك جائزٌ في كلامِ العرب، وكثيرٌ [٢٠س] في أشعارِها، ومنه قولُ الشاعرِ[2]:

فـابرق بأرضـك مـا بـدا لـك وارعـد

وقولُ الكُميتِ:

أَرْعِـد وأَبْـرِقْ يـا يزيـ ❊ ـدُ فمـا وَعيـدُكَ لِـي بِضَـائِرْ[3]

فإلىٰ هذا ذهبَ البحتريُّ في أنْ جعلَ البرقَ والرَّعدَ بإزاءِ الوعيدِ والتهددِ، قيلَ: ليس في البيت الأوَّل إفصاحٌ بذكر تهددٍ ولا وعيدٍ، ولا كُلُّ من أرادَ العقوبةَ يُفْصِحُ بالتهدّدِ، وخاصةً الملوكَ والعظماءَ، ألا ترىٰ إلىٰ قولِهِ:

«قـادرٌ لا يَعجـلُ»

وَبَعْدُ، فإنَّ صَفْحَ الممدوحِ إنما هو عن إيقاعِ المكروهِ، وصَفحُ السَّحابِ إنما هو عن إسبالِ المَطرِ، وهذا تشبيهُ الشَّيء بِضِدِّهِ، فإنْ قيلَ: فإنَّ الغيثَ قد يَضُرُّ ضررًا عظيمًا، إذا جاءَ في غير حِينهِ، وقد يكونُ معه الصَّواعِقُ والغَرَقُ وذهابُ النُّفوسِ، قيلَ: الأشياءُ إنما تُحمَلُ علىٰ الأعمّ الأغلبِ الأكثرِ، دونَ الأخصِّ الأقلّ، الذي إنما يقعُ في الفَرْطِ.

---

(١) في «س»: «البرد».

(٢) البيت لابن أحمر، وهو في ديوانه: ٥٤، وعجزه:

«يا جُلَّ ما بعدت عليك بلادنا»

وهو عمرو بن أحمر بن فرّاص الباهلي وكان أعور، وهو من شعراء الجاهلية وأدرك الإسلام فأسلم وغزا مغازي الروم ونزل الشام وتوفي بعد أن عمر طويلًا، وهو كثير الغريب، فصيحُ الكلام «طبقات فحول الشعراء: ص ٥٨٠، الشعر والشعراء: ٣٥٦».

(٣) ديوانه: ٢٢٥.

والغيثُ إذا أتىٰ فإنّهُ حياةُ الأرضِ علىٰ كلٍّ ، وفي أكثرِ الأمر ، وإن ضرَّ ، فإنَّ ضررَه لا يبينُ في عِظَم منفعتِه والمصلحةِ بمكانِهِ ، وخاصّةً مواطنَ العرب ، ومحاضِرَهم ومباديها ، التي عليهِ فيها يُعَوِّلونَ ، وبه يحيونَ ، وبه يُخْصِبونَ ، فإساءةُ البحتريِّ عندي في هذا ظاهرةٌ ، ألا ترىٰ أنهُ لو كان في وصفِ الحرمانِ فقال:

مَلِكٌ رأيتُ البشر منه مُبَشِّرًا ❊ بنوالِ كَفٍّ تستهلُّ وتَمْطُلُ

فأبى كما امتنَع السَّحابُ ورعدهُ ❊ قَصِفٌ وبارِقُهُ حريقٌ يُشْعَلُ

لكانت هذه الألفاظُ من أليقِ شيءٍ بهذا المعنىٰ ، وأصحِّها فيهِ ؟

وقال في المعتزِّ[(١)]:

إذا اسْتَعْرَضْتَهُ بَخِفِيٍّ لَحْظٍ ❊ رَضِيتَ مَهَزَّةَ السَّيفَ الحُسَامِ

غفورٌ بعدَ مقدرةٍ إذا ما ❊ تَرجَّحَ بين عفوٍ وانتقامِ

وقال مروانُ الأصغرُ في المتوكّل[(٢)]:

مَلِكٌ يَسبِقُ العقوبةَ بالعفـ ❊ ـو ويعطي الجزيل قبل السُّؤالِ

وقال مروانُ الأكبرُ[(٣)]:

للهِ يغضبُ رغبةً ومخافةً ❊ ولـه يكونُ إذا رضيتَ رضاكا[(٤)]

---

(١) ديوانه: ١٩٣١/٣ .

(٢) مروان بن أبي الجنوب واسمه يحيىٰ بن مروان بن سليمان بن يحيىٰ بن أبي حفصة . يكنىٰ أبا السمط ويلقب غبار العسكر ببيت قاله ، حسنت حاله عند المتوكل وقلده اليمامة والبحرين وطريق مكة «معجم الشعراء: ص ٣٢١ ، وطبقات ابن المعتز: ص ٣٩١ ، وتاريخ بغداد: ١٥٣/١٣» ، ولم أقف علىٰ البيت .

(٣) مروان بن سليمان بن يحيىٰ بن أبي حفصة شاعر مفلق ، مدح معن بن زائدة في أيام المنصور ، ووفد علىٰ المهدي وولديه ومدحهم توفي سنة ١٨٢ . «طبقات الشعراء: ٢٤٦ ، الشعر والشعراء: ٧٦٣» .

(٤) كذا في «س» والأوجه أن يكون «تغضب» بالمثناة من فوق للمخاطب .

يَضــحى عــدوُّك خائفًــا فــإذا رأى ❀ أنْ قـد قـدرتَ علـى العِقـابِ رجاكـا

وقال البحتريُّ في المُعتمدِ[1]:

يَعْفُــو بعفــوِ اللهِ عَنْــهُ تَحَرِّيًــا ❀ والعفــوُ خيــرُ خلائــقِ الأمْجــادِ

وقال في المتوكِّل لمّا عفا عن أهل حمص[2]:

[٢١س] أرَيْـتَهُمُ إذْ ذاك قُـدرةَ قـادرِ ❀ وعفـوَ مُحـبٍّ للسَّـلامةِ مُسْـتَبْقِ

ولَـوْ شِـئْتَ طـاحُوا بالسُّيوفِ وبالقَنَـا ❀ وباللَّهْـذَمِيَّاتِ المُذَرَّبَـةِ الـزُّرْقِ[3]

وإنَّ ولاءَ المُعْتَقـينَ مـن الـرَّدى ❀ يفـوقُ ولاءَ المُعْتَقـينَ مـن الـرِّقِ

وقال بشارُ في المهديّ[4]:

إذا مـا أسـاءوا مـرّةً عـاد حلمُـهُ ❀ علـيهم وإنْ عـادوا لـه كـان أحْلَمـا

وهذا أيضًا جيد.

فهذا ما وجدتُه مما قالاهُ في الخلفاءِ، وقد أساءا في هذا البابِ وأحسنا، فأجعلُهُما متكافِئَيْنِ.

ومن قَوْلِهما في الوُزراءِ والأمراءِ والكُتَّابِ وغيرِهم، قالَ البحتريُّ في الحسن بن مَخْلَدٍ[5]:

---

(١) ديوانه: ٢/٧٣٤ وفيه «لعفو الله عنك».

(٢) ديوانه: ٣/١٥٤٣.

(٣) اللهذميات: القاطعة من السيوف والأسنة.

(٤) لم أجد البيت في ديوانه.

(٥) في «س»: «خالد» ديوانه: ١/٦٠٣، وفيه: «عَفْوٌ كَبَتَّ به العدوَّ».

عَفْـوٌ بِـهِ كُبِـتَ العـدوُّ ولَـمْ أجِـدْ ❊ كـالعَفْوِ غِـيظَ بِـهِ العـدوُّ الحاسِـدُ
حتَّـى لَكَـانَ الصَّـفْحُ أثقـلَ مَحْمَـلًا ❊ مِمَّـا تَخَوَّفَـهُ المُسِـيءُ العَامِـدُ

وهذا حسنٌ جدًا، ولكنّه أخذَه من قولِ أبي تمّامٍ يفخرُ بقومِهِ[1]:

إذا أسَـرُوا لـم يأسِـرِ البَغْـيُ عَفْـوَهُمْ ❊ وَلَـمْ يُمْسِ عَـانٍ فِـيهِمُ وَهْـوَ كَـانِعُ
إذا أطلقـوا عنـه جوامِـعَ غُلِّـهِ ❊ تَـيقَّن أنَّ المَـنَّ أيضًـا جَوامِـعُ[2]

«كانع» محتاج خاضع.

وقالَ البحتريُّ في معناه[3]:

وثنَـى العُـداةَ إليـهِ عَفْـوٌ لـو دنَـى ❊ لَثَنَـتْهُمُ غَضْـبًا إليـه سُـيوفُهُ[4]
نِعَـمٌ إذا ابْتـلَّ الحسـودُ بِسَـيْبِهَا ❊ أحْيَتْـهُ بالإفْضَـالِ وهـيَ حُتُوفُـهُ

ومثلُه قولُ البحتريُّ في أبي سعيد[5]:

أسَـالَ لكـمْ عَفْـوًا رأيـتُمْ ذُنُـوبَكُمْ ❊ غُثَـاءً عليـهِ وهْـوَ مِـلْءُ المَـذَانب
وفـي عَفْـوِهِ - لـو تَعْلَمـونَ - عُقُوبَـةٌ ❊ تُقَعقِـعُ فـي الأعْنَـاقِ إنْ لـمْ يُعَاقِـبِ[6]

---

(١) ديوانه: ٣/٦٣٥، وشرح التبريزي: ٤/٥٨٩، وفيه «لم يأسر اليأس».
(٢) سبق البيت في ٢/٤٣، وانظر تعليق الأستاذ صقر على شرح الشيخ محي الدين عبد الحميد لمعنى كلمة «جوامع»، وانظر أيضًا النظام لابن المستوفي جـ ٢ لوحة ١٥٠.
(٣) ديوانه: ٣/١٤٢١.
(٤) «س»: غُضبًا، ولا تصح.
(٥) ديوانه: ١/١٨٢.
(٦) ديوانه: «في الأعراض» وقد سبق البيت في ٢/٤٣.

قوله: «أسالَ لكم عفوًا» إلىٰ آخر البيت ، استعارةٌ وتجنيسٌ في غايةِ الحُسْنِ والصّحةِ والحلاوةِ ، وهذا كلُّهُ من قولِ الشاعرِ[(١)]:

وَلَلْكَفُّ عن شتمِ اللَّئيمِ تَكَرُّمًا ❊ أضَرُّ لَهُ من شَتْمِهِ حينَ يُشْتَمُ[(٢)]

وقالَ أبو تمّامٍ في مالك بن طَوْق[(٣)]:

لم يَأْلُكُمْ مالِكٌ صَفْحًا ومَغْفِرةً ❊ لو كانَ يَنْفُخُ قَيْنُ الحيِّ في فَحَمِ[(٤)]

أخْرَجْتُمُوهُ بِكُرْهٍ من سَجِيَّتِهِ ❊ والنَّار قدْ تَنْتَضى من نَاضرِ السَّلَمِ

هذا ما لِحُسْنِهِ وجَوْدَتِه وصِحَّتِهِ نِهَايَةٌ ، وهوَ من مشهورِ إحسانِهِ ، لأَنَّهُ « ؟ »[(٥)] بينَ الشجر شديد ولا يقدح منه نارٌ ، ويُقال: لا نارَ فيه ، وكأنَّ هذا البيتَ ليسَ من البابِ.

وقالَ في عبد اللهِ بن طاهرٍ[(٦)]:

لَيَاليَ لم يَقْعُدْ لِسَيْفِكَ أنْ يُرَى ❊ هُوَ المَوْتُ إلَّا أنَّ عَفْوكَ غَالِبُهْ

[٢٢س] وقالَ أبو تمّامٍ أيْضًا في ابن أبي دُؤاد يَصِفُ رِجالَ قَوْمِهِ[(٧)]:

إذا سَيْفُهُ أضحى على الهَامِ حَاكمًا ❊ غدَا العفوُ منه وهْوَ في السيفِ حَاكِمُ

---

(١) البيت للمؤمل بن أميل المحاربي كما في حماسة أبي تمام.

(٢) في «س»: «والكفّ» والتصحيح من الحماسة: ١١٤٤/٣.

(٣) ديوانه: ٣٥٠/٢ ، وشرح التبريزي: ١٨٩/٣.

(٤) في «س»: «لم يألكم مالكم» والتصحيح من الديوان وشرح التبريزي.

(٥) الكلام غير متصل هنا ، والوصف بعد ذلك «للسّلم». وإلىٰ أن أعثرَ علىٰ نسخة تجبر هذا النقص أحسب أن أقرب عبارة إلىٰ المعنىٰ هنا هي: «لأنه قال إنكم أخرجتموه من سجيته وهي صلة الرحم كرهًا كما تقدح النار من السّلم ، والسلم من بين الشجرتين.... الخ».

(٦) ديوانه: ٢٩٦/١ ، وشرح التبريزي: ٢٣٢/١ ، وفيهما «بسيفك».

(٧) ديوانه: ٣٨٩/٢ ، وشرح التبريزي: ١٨١/٣ ، وسبق في ٣٢٣/١.

وقالَ البحتريُّ في عليّ بن مُرٍّ[١]:

نَهَيْـتُ حُسَّـادَهُ عنـهُ، وقُلـتُ لَهُـمْ ❊ السَّـيْلُ باللَّيْـلِ لا يُبْقِـي ولا يَـذَرُ
كُفُّـوا، وإلّا كَفَفْـتُم مُضْـمِرِي أَسَـفٍ ❊ إذا تَنَمَّـــرَ فـــي إقْدَامِـــهِ النَّمِـــرُ
واللُّـوْمُ أَنْ تَـدْخُلُوا فـي حَـدِّ سَـخْطَتِهِ ❊ عِلْمًـا بـأنْ سَـوْفَ يَعْفُـو حِـينَ يَقْتَـدِرُ

وهذا من إحسانِ أبي عبادة المشهور.

وقالَ في مُحمدِ بنِ عبد اللهِ بن طَاهرٍ:

[ولـم يُـرَ يومًـا قـادِرًا غَيْـرَ صـافحٍ ❊ ولا صـافحًا عـن زَلَّـةٍ وهـوَ قـادِرُ][٢]

وهذا تقسيمٌ حَسنٌ لطيفٌ، منه قولُ ابنِ هَرْمَةَ[٣]:

ولـيسَ بِمُعْطِـي العَفْـوِ مـن غَيـرِ قُـدْرَةٍ ❊ ويَعْفُـــو إذا مـــا أمكَنَتْـــهُ المَقاتِـــلُ

وأجودُ من هذا قولُ زُهَيْرٍ[٤]:

وَذِي خَطَـلٍ فـي القَـوْلِ يَحْسَـبُ أَنَّـهُ ❊ مُصـيبٌ، فمـا يُلْمِـمْ بـهِ فَهْـوَ قَائِلُـهْ
عَبَـأْتُ لَـهُ حِلْمِـي وأكْرَمْـتُ غَيْـرَهُ ❊ وأعرضْـتُ عَنْـهُ وهْـوَ بَـادٍ مَقاتِلُـهْ

وقالَ البحتريُّ[٥]:

---

(١) ديوانه: ١/٩٥٧.

(٢) سقط هذا البيت من «س»، وقد استخرجته مما قال في محمد بن عبد الله بن طاهر، انظر ديوانه: ٢/٩٦٣.

(٣) ديوانه: ١٦٤.

(٤) ديوانه: ١١١.

(٥) ديوانه: ١/٤٤١.

لا يَكْفَهِــرُّ إذا انْحــازَ الوَقَــارُ بِــهِ ❊ ولا تَطِــيشُ نوَاحِيــهِ إِذَا مَزَحَــا
خفَّـتْ إلـى السُّـؤْدُدِ المجْفُـوِّ نَهْضَـتُهُ ❊ ولو يُوازِنُ «رَضوى» حِلْمُهُ رَجَحَا[1]

وقال في عبد اللهِ بن يَحْيىٰ بنِ خَاقانَ[2]:

مقَامـاتُ حِلْـمٍ مـا يُـوازَنُ قَـدْرُها ❊ وسـاعاتُ جُـودٍ مـا يُطَـاعُ عَـذُولُها

وقالَ في الحسنِ بنِ وَهْبٍ[3]:

وإذا احتَبـى فـي عُقْـدَةٍ مـن حِلْمِـهِ ❊ يومًـا رأيـتَ «مُتَالِعًـا» فـي هَضْـبِهِ

وهذا كلُّهُ جَيِّدٌ.

وقالَ في ابْنِ بسطامٍ[4]:

لَـهُ نَبْعَـةٌ فـي العِـزِّ طالَـتْ فُروعُهـا ❊ وطـابَ ثَراهـا، واطْمأَنَّـتْ أُصُـولُها
فَلَـوْ وُزِنَـتْ أَرْكـانُ رَضـوى ويَـذْبُلٍ ❊ وقُـدْسٍ بهـا في الحِلْـم خَـفَّ ثَقِيلُها[5]

---

(١) سبق البيت في ٣٤٣/١، وفيه: «السُّودَد» بفتح الدال، ورواية الديوان الضم وهي لغة طيئ.

(٢) ديوانه: ١٧٧٣/٣، وفيه: «قال يمدح الحسين بن محمد الطائي، ورويَ في عبيد الله بن عبد الله بن طاهر»، وقد سبق أن أورد الآمدي في ص ١٥٦ من هذا الجزء ثلاثة أبيات من القصيدة نفْسها، وقال: «وقال في عبيد الله بن عبد الله بن طاهر حين قدم بغداد» وفي ديوانه: «موازين حلم».

(٣) ديوانه: ١٦٥/١، و«متالع»: جبل بناحية البحرين بين السَّوْدَةِ والإحساء، وفي سفحه عين ماؤها يقال له «عين متالع».

(٤) ديوانه: ١٧٧٧/٣.

(٥) سبق في ٣٤٣/١، وفي ديوانه «... وقدس به في الحلم»، ورضوىٰ ويذبل وقدس أسماء جبال، الأول: جبل بالمدينة، والثاني في نجد، والثالث في تهامة.

وقال[1]:

وسَــــواءٌ مَقَـــاوِمُ الحِلْـــمِ مِنْـــهُ ✤ ورِعَـــانُ «الرَّيـــانِ» أرْسَـــتْ هِضَـــابُهْ

لَو كَان قولُ أبي تمَّامٍ:

«اخْرَجْتُمُـــوهُ بِكُـــرْهٍ مـــن سَـــجِيَّتِهِ»

من هذا البابِ، لَفَضَّلْتُهُ على البُحتريِّ، ولكني أجعَلُهُما متكافِئَيْنِ، لأنَّ قولَ أبي تمام:

«تَـــيقَّن أنّ المـــنَّ أَيْضًـــا جَوامِـــع»

ليس من اختراعاتِهِ كما ذَكَرْتُ[2].



(١) ديوانه: ١/١١٥، و«الريان»: جبل بين بلاد طيئ وبني أسد «معجم ما استعجم: ٦٩٠».

(٢) لم أجد ما ذكره الآمدي.

كرمُ الأخلاقِ ولينُها[1]

ومن ذلكَ قولُ أبي تمَّامٍ في أبي سعيد[2]:

لقد آسفَ الأعداءَ مَجدُ ابنِ يوسُفٍ ✤ وَذُو النَّقْصِ في الدُّنْيَا بِذِي الفضْلِ مُولَعُ

أخذْت بحَبْلٍ مِنْهُ لَمَّا لَوَيْتُهُ ✤ عَلى مِررِ الأيَّامِ ظَلَّتْ تَقَطَّعُ

[٢٣س]هُوَ السَّيْلُ إنْ واجَهْتَهُ انْقَدْتُ طَوْعَهُ ✤ وتقتاده مِنْ جَانِبَيْهِ فَيَتْبَعُ[3]

ومثلُهُ قولُ البحتريِّ في الفَتْحِ بن خَاقانَ[4]:

حَرونٌ إذا عازَزْتَهُ في مُلِمَّةٍ ✤ فإنْ جِئْتَهُ من جَانِبِ الذُّلِّ أصْحَبَا

وهذا من المعاني المُشْتَرَكة، وليسَ من المَخْصُوصَةِ التي لا يقَعُ فيها اتِّفاقٌ.

وقد أحسنَ أبُو تمَّامٍ كُلَّ الإحْسانِ في قَوْلِهِ في الأفْشين[5]:

لانَتْ مَهَزَّتُهُ فعَزَّ، وإنَّمَا ✤ يَشْتَدُّ بَأْسُ الرُّمحِ حِينَ يَلِينُ

وترى الكريمَ يَعِزُّ حِينَ يهونُ ✤ وتَرَى اللَّئِيمَ يَهونُ حِينَ يَهُونُ

وقالَ في أبي سعيدٍ[6]:

---

(١) انظر ٣/١٠٩.

(٢) ديوانه: ٢/١٠، والتبريزي: ٢/٣٢٥.

(٣) في «س»: «إن واجهت» والتصحيح من الديوان وشرح التبريزي.

(٤) ديوانه: ١/١٩٨.

(٥) ديوانه: ٣/٣٢، وشرح التبريزي: ٣/٣١٧.

(٦) ديوانه: ٢/٧٥، وفيه «بالليان معاقبًا»، وشرح التبريزي: ٣/٣٨١.

قَطَبَ الخُشونَةَ واللِّيانَ بِنَفْسِهِ ❊ فغدا جَليلًا في القُلوبِ لَطِيفَا

وقد أحسنَ أبو الشيص في قَوْلِهِ(١):

كريمٌ يَغُضُّ الطَّرْفَ فَضْلَ حَيائِهِ ❊ ويَدْنُو وأَطْرافُ الرِّماحِ دَوانِ

وكالسَّيْفِ إنْ لايَنْتَهُ لانَ مسُّهُ ❊ وحَدَّاهُ - إن خَاشَنْتَهُ - خَشِنَانِ

وقال آخر(٢):

إذَا قِيلَتِ العَوْراءُ أغْضى كَأَنَّهُ ❊ ذَليلٌ بلا ذُلٍّ ولَوْ شَاءَ لَانْتَصَرْ

وقالَ أبو تمَّامٍ أيضًا في عُمَر بن طَوْقٍ(٣):

الجِدُّ شِيمَتُهُ وفيهِ فكاهةٌ ❊ سُجُحٌ ولا جِدٌّ لِمَنْ لَمْ يَلْعَبِ

شَرِسٌ ويُتْبِعُ ذاكَ لِينُ خَلِيقَةٍ ❊ لا خَيرَ في الصَّهْباءِ مالَمْ تُقْطَبِ(٤)

وهذا معنًى في غايةِ الحُسْن، وتمثيلٌ في غايةِ الصِّحَّةِ.

---

(١) أبو الشيص هو: محمد بن عبد الله بن رزين الشاعر المشهور وهو ابن عم دعبل الخزاعي، انقطع إلى عقبة بن جعفر الخزاعي، وكان أميرًا على الرَّقَةِ، فمدحه بأكثر شعره، توفي سنة ١٩٦ وقد كفَّ بصرُه «فوات الوفيات: ٤٤٨/٢، والبداية والنهاية: ٢٣٨/١٠، والأغاني: ١٠٤/١٥» والبيتان في ديوانه: ٦٧.

(٢) البيت لأسيد بن عنقاء الفزاري يمدح ابن عمه عميلة الفزاري الذي قاسمه ماله وجبره من فقره، «انظر القصة مع الأبيات في شرح حماسة أبي تمّام ص ١٥٨٦، والأمالي: ٢٣٧/١، واللسان مادة سوم ـ عور» وفي معجم الشعراء: ص ١٩٩ «ابن عنقاء الفزاري وهي أمه واسمه: قيس بن بحرة وقيل عبد قيس».

(٣) في «س»: «عمرو»، والتصحيح من الديوان، وهو عمر بن مالك بن طوق التغلبي، وإليهم تنسب رحبة مالك بن طوق وأبناءُ مالك بن طوق: طوق، وأحمد «جمهرة الأنساب: ص ٣٠٤»، والبيتان في ديوانه: ٢١٨/١، وشرح التبريزي: ١٠٢/١.

(٤) في «س»: «إذا لم تقطب» ولا يستقيم بها الوزن.

وقال أبو تمَّامٍ في أبي دُلَفٍ[1]:

جَمُّ التَّواضعِ والدُّنْيَا بِسُؤْدَدِهِ ❊ تكادُ تَهْتَزُّ مِنْ أَطْرافِهَا صَلَفَا

جَعَلَ «الصَّلَف» ها هنا بمعنى: التِّيهِ، وهذا مَذهبُ العَوامِّ، وقد غَرِيَ به الشعراءُ المُحْدَثُونَ، فأمَّا العربُ فإنَّ «الصَّلَف» في كلامِهَا: «البُغْضُ» من الرَّجلِ والمَرْأةِ، يُقالُ: قد صَلِفَت المَرأةُ عِندَ زَوْجِها، إذا لَمْ يُحْبِبْها، وصَلِفَتْ هِيَ، إذا لَمْ تُحْبِبْهُ[2]، فَهوَ صَلِفٌ، وهِي صَلِفَةٌ، كما قالَ جَريرٌ[3]:

إنِّي أواصِلُ من أردتُ وِصَالَهُ ❊ بِحِبَالٍ لَا صَلِفٍ ولَا لَوَّامِ

وقالَ البُحْتُرِيُّ في التَّواضُعِ، يخاطِبُ ابن المُدَبِّرِ[4]:

دَنَوْتَ تَوَاضُعًا وعلوتَ قَدْرًا ❊ فشَأْنَاكَ، انْحِدارٌ وارْتِفَاعُ

كذاكَ الشَّمْسُ تَبْعُدُ أنْ تُسامى ❊ ويدنُو الضَّوءُ مِنها والشُّعَاعُ

وهذا لا شيءَ يفوقُهُ حسنًا وصحةً ومُبالغةً، وهو بتَواضُعِ الخُلفاءِ أشبَهُ منهُ بتواضُعِ مَنْ سِوَاهُمْ، وأظُنُّه أخذَ المعنى من قولِ بَشَّارٍ[5]:

أوْ كَبَدْرِ السَّماءِ غيرَ قَرِيبٍ ❊ حينَ يُوفِي والضَّوءُ فيهِ اقْتِرَابُ

[٢٤س] وبَيتُ البحتريِّ أجودُ.

وقالَ في حُسْنِ الأخْلاقِ[6]:

---

(١) ديوانه: ٥٣/٢، وفيه: «من أعطافه صلفًا»، وشرح التبريزي: ٣٦٤/٢.

(٢) انظر شرح التبريزي، والنظام لابن المستوفي ج ٢ لوحة ١٧٠.

(٣) ديوانه: ٩٩٩.

(٤) ديوانه: ١٢٤٧/٢، وقد سبقا في: ١٣٠/٣.

(٥) ديوانه: ٣٤٩/١، وفيه: «حين أوفى».

(٦) ديوانه: ١٦١٠/٣، وقد سبق في: ١٥٤/٣.

صَفَتْ، مِثْلَما تَصفُو المُدامُ، خِلالُهُ ❊ ورَقَّتْ، كما رَقَّ النَّسيمُ، شَمائِلُهْ

وقالَ في أبي سَعيد[1]:

واسْتَمْطَرُوا في المَحْلِ مِنْكَ خَلائِقًا ❊ أصْفَى وأعذَبَ من زُلالِ المَاءِ

وقال البحتريُّ في أبي نَهْشَل بن حُمَيْد[2]:

إلى «أبي نَهْشَلٍ» ظَلَّتْ رَكائِبُنَا ❊ يَخِدْنَ من بَلَدٍ نَاءٍ إلى بَلَدِ[3]

إلى فَتًى مُشْرِقِ الأخْلاقِ لو سُبكَتْ ❊ أخلاقُهُ من شُعاعِ الشَّمْسِ لَمْ تَزِدِ

وقالَ أبو تمّامٍ في الحَسَنِ بن وَهْبٍ[4]:

ضَمَّ الفَتَاءَ إلى الفُتُوَّةِ بُرْدُهُ ❊ وسَقَاهُ وَسْمِيُّ الشَّبابِ الصَّيِّبُ

وصَفَا كما اعْتَدَلَ الشَّبابُ وإنَّهُ ❊ في ذَاكَ من صِبْغِ الحياءِ لَمُشْرَبُ[5]

تَلْقى السُّعودَ بِوَجْهِهِ وتُحِبُّهُ ❊ وعليكَ مَسْحَةُ بُغْضَةٍ فَتَحبَّبُ[6]

وقال البحتريُّ في مُحمدِ بن يحيىٰ[7]:

---

(١) ديوانه: ١/٨.

(٢) في «س»: «في نهشل بن حميد»، وأبو نهشل هو محمد بن حميد بن عبد الحميد الطوسي الطائي، ديوان البحتري: ١/٥٧٤، والبيتان قد سبقا في: ٣/٨٣.

(٣) ديوانه: «يخدين»، «يَخدن» من الوخد، وهذه من «الخدي»، لغتان في سعة الخطو في المشي.

(٤) ديوانه: ١/٢٣٢، وشرح التبريزي: ١/١٣٢.

(٥) ديوانه: «وصفا كما يصفو الشباب»، وشرح التبريزي: «وصفا كما يصفو الشباب».

(٦) ديوانه: «تلقىٰ السعود بوجهه وتجيئه».

(٧) ديوانه: ٢/١٢٨١، والممدوح هو محمد بن يحيىٰ الواثقي، ذكره الطبري في أحداث سنة ٢٥٢ عند وقوع الفتنة بين جند بغداد وأصحاب محمد بن طاهر، وقال: إنه من قواد بغداد، وفي أحداث سنة ٢٥٦ عند الحديث عن خلع المهتدي ثم موته ذكر أنه من قواد خراسان «الطبري: ٩/٣٥٧، ٤٦٤».

كــلَّ يــومٍ تَسُــنُّ مجــدًا جَديــدًا ✤ بِفَعَــالٍ فــي المَكْرُمــاتِ بَــديعِ
أَدَبٌ لــم تُصِــبْهُ ظُلْمَــةُ جَهْــلٍ ✤ فَهْـوَ كالشَّـمْسِ عنـدَ وقـتِ الطُّلُـوعِ
ورِجَــالٌ جَــارَوْا خَلائِقَــكَ الغُــرَّ (م) ولَيســـتْ يَلامِــقُ مــن دُروعِ
ولَيَــالي الخَريــف خُضْــرٌ، ولكِــنْ ✤ رَغَّبَتْنَــا عَنْهــا ليَــالي الرَّبِيــعِ

وإنَّ كُلَّ هذا جَيِّدٌ إلَّا قَولَهُ:

«ولَيســـتْ يَلامِــقُ مــن دُروعِ»

فإنَّه تَمثيلُ مَنْ قَلَّتْ حِيلَتُهُ[1].

وقالَ في إبراهيمَ بنِ الحَسنِ بنَ سَهْلٍ[2]:

خُلُــقٌ أَتَيــتَ بَفْضِــلِهِ وسَــنائِهِ ✤ طَبْعًــا فجــاءَ كأَنَّــهُ مَصْــنُوعُ
وحـديثُ مَجْـدٍ عَنْـكَ أَفْـرَطَ حُسْـنُهُ ✤ حَتّــى ظَنَنَّــا أَنَّــه مَوْضُــوعُ

وقَالَ أبو تَمّامٍ في أَبي الحُسَيْنِ مُحمدِ بنِ الهَيْثَمِ[3]:

فــلا يُغْبِــبْ مَحَلَّــكَ كــلَّ يــومٍ ✤ مــن الأيّــامِ أَلْطَــافُ السَّــحابِ
فَــثَمَّ الجــودُ مشــدودُ الأَواخــي ✤ وثَــمَّ المَجــدُ مَضْــروبُ القِبَــابِ
وأخــلاقٌ كــأَنَّ المِسْــكَ فِيهــا ✤ بِصَــفْوِ الــرَّاحِ، بــالنُّطَفِ العِــذابِ[4]

وقال في الحَسنِ بن وَهْبٍ[5]:

(١) سيأتي البيت في باب الجود ص ٢٦٠، وقد أوضح الآمدي هناك وجه اعتراضه على هذه الصورة.
(٢) ديوانه: ١٣١٦/٢.
(٣) ديوانه: ٣٣٠/١، والتبريزي: ٢٨٢/١، وفيهما: «وقال يمدح محمد بن الهيثم بن شبانة من أهل مرو، ويهجو أبا صالح بن يزداد ويعرض به»، وفيهما: «من الأنواء».
(٤) ديوانه: «وصفو الراح بالنطف العذاب».، وشرح التبريزي: «بصفو الراح والنطف العذاب».
(٥) ديوانه: ٢٣٣/١، وشرح التبريزي: ١٣٢/١.

لَمَكاسِرُ الحَسَنِ بنِ وَهْبٍ أَطْيَبُ ❊ وأمرُّ في حَنَكِ الحَسودِ وأَعْذَبُ
ولَهُ إذا خَلُقَ التَّخَلُّقُ أو نَبَا ❊ خُلُقٌ كَرَوْضِ الحَزْنِ أَوْ هُوَ أَطْيبُ[1]
ضَرَبَتْ بِهِ أُفُقَ الثَّناءِ ضَرائبٌ ❊ كالمِسْكِ يُفْتَقُ بالنَّدى ويُطَيَّبُ
يَسْتَنْبِطُ الرُّوحَ اللَّطِيفَ نَسِيمُها ❊ أَرَجًا وتُؤْكَلُ بالضَّمِيرِ وتُشْرَبُ

ويُقَالُ: فلانٌ طَيِّبُ المَكْسِرِ، وطَيِّبُ المَكاسِرِ، إذا كَانَ كَرِيمَ الأَخْلاقِ [٢٥س] سَهْلَهَا.

ورياض الحَزْنِ، إنَّما يُوصَفُ بالحُسْنِ، ورياضُ الخفض والأغْواطِ أخْصَبُ[2].

وقولُهُ:

«يَسْتَنْبِطُ الرُّوحَ اللَّطِيفَ نَسِيمُها»

مَثلٌ يؤكِّدُ به ذكاءَ طِيبِ أخْلاقِهِ، وهي ضَرائِبُهُ وأنَّ يَسِيرَ الرُّوحِ ولَطِيفَهُ يَهِيجُ نَسِيمَ أرَجها[3].

وقال أبو تمام في الحسن بن وهب[4]:

واجِدٌ بالخَليلِ من بُرَحاءِ الشـ ❊ ـوقِ وُجدانَ غَيْرِهِ بالحَبيبِ
آمِنُ الجَيْبِ والضُّلوعِ إذا ما ❊ أصْبَحَ الغِشُّ وهو دِرعُ القُلوبِ

(١) في «س»: «الحسن» والتصحيح من ديوانه وشرح التبريزي وستأتي في تعليق الآمدي على الأبيات.

(٢) نقل ابن المستوفي كلام الآمدي ثم قال: «وإنما أراد أبو تمام أن روض الحزن حسن زاه، وإذا كان كذلك فهو أيضًا خصيب» «النظام لابن المستوفي جـ ١ لوحة ٧١».

(٣) انظر الموضع السابق في النظام.

(٤) ديوانه: ٢٢٩/١، وشرح التبريزي: ١٢٣/١.

لا كَمُصْفِيهِمُ إذا حضَرُوا الودَّ ❊ ولَاحٍ قُضْبانَهم بالمَغيبِ
يَتغطّى عَنهم ولكنّه تَنْـ ❊ ـصُلُ أخلاقُه نُصولَ المَشيبِ

وقال أبو تمّام في مُحمد بن حَسَّانٍ الضَّبيِّ(١):

بِمُحَمَّدٍ صارَ الزَّمانُ مُحمدًا ❊ عِندي وأعْتَبَ بعد سُوءِ فَعَالِهِ
بمُرَوَّقِ الأخْلاقِ لو عَاشَرْتَهُ ❊ لَرأيتَ وجهَكَ في جميع خَصَالِهِ(٢)
أبَدًا يُفَيدُ خلائِقًا من ظُرْفِهِ ❊ ورَغَائِبًا من جُودِهِ ونَوالِه(٣)

وقال البحتريُّ في أبي أيوبَ بن أختِ أبي الوَزيرِ(٤):

سرٌّ وإعلانٌ تُسَوِّي منهما ❊ نَفسٌ تُضيءُ وهِمَّةٌ تَتَوقَّدُ
فكأنَّ مجلِسَهُ المُحجَّبَ مَحْفِلٌ ❊ وكأنَّ خَلْوَتَهُ الخَفِيَّةَ مَشْهَدُ(٥)
وتواضُعٌ لولا التَّكرُّمُ عاقَهُ ❊ عنهُ علوٌّ لم يَنلْهُ الفَرقَدُ
وشبيبةٌ فيها النُّهى فإذا بَدتْ ❊ لذوي التَّوسُّمِ فهي شَيْبٌ أسودُ(٦)

---

(١) ديوانه: ٢٤٢/٢، وشرح التبريزي: ٣١/٣، ومحمد بن حسان الضبي أبو عبد الله النحوي، أدب أولاد المأمون، وولاه مظالم الجزيرة وقِنّسْرين والعواصم والثغور سنة ٢١٥، ثم زاده بعد ذلك، مظالم الموصل وأرمينية، وولاه المعتصم مظالم الرقة سنة ٢٢٤، وأقره الواثق عليها، وقد مدحه أبو تمام بعدة قصائد. «بغية الوعاة: ٧٥/١، ومعجم الأدباء: ١١٩/١٨».
قلت: وتحديد السيوطي لولاية ابن حسان على الرقة سنة ٢٢٤ قد لا يتفق مع ما أراد د. نجيب البهبيتي من تأريخ بعض جوانب حياة أبي تمام، انظر «أبو تمام حياته وحياة شعره ص ٩٥».
(٢) ديوانه وشرح التبريزي: «نجحك».
(٣) شرح التبريزي: «غرائبًا من ظرفه» وهي أشبه بمذهب أبي تمّام.
(٤) ديوانه: ٦٢٩/١.
(٥) ديوانه: «مجلسه المحجب»، وقد سبق في ٩٣/٢ برواية الديوان.
(٦) في «س»: «فيها النوى» تحريف.

قولُه:

«فكـأنَّ مَجلسـهُ المحبّـبَ مَحْفِـلٌ ...»

مثلُ قولِ ابنِ مُطيرٍ[1]:

يَعِـفُّ ويسـتحيي إذا كـانَ خَالِيًـا ❁ كمـا كَـان لـو أضـحى عليـهِ رَقيـبُ

وهذا معنًى متداولٌ.

وقال[2]:

صـافِ أمثـالَ أحمـدَ بـنِ علـيٍّ ❁ تَعْتَـرِفْ فَضْـلَهُ علـى مَـنْ تَصـافي
أرْيَحِـيٌّ إمّـا يُوافِـقُ مـن تَهْـ ❁ ـوىٰ وإمّا يكفيكَ حَرْب الخِلافِ[3]

وفي نحو هذا يقول في أبي العبّاس عبد الله بن المعتز بالله وفي مدح المعتزِّ[4]:

ورأيـتُ «عبـدَ اللهِ» فـي السِّـنِّ التـي ❁ تَعِـدُ الكبيـر بـدهرِه المُتطـاولِ
قَمَـرٌ تُؤَمِّلُـهُ «المـوالي» لِلَّتـي ❁ يقضـي بهـا المـأمولُ حـقَّ الآمِـلِ[5]
يرجـونَ فيـهِ نجابـةً شِـهدتْ بهـا ❁ فيـه عـدولُ شـواهِدٍ ودلائـلِ
ومـذاهِبٌ فـي المكرُمـاتِ بمثلهـا ❁ يَتَبـيَّنُ المفضـولُ سـبقَ الفاضِـلِ
حَـدَثٌ يـوقِّره الحجـى، فكأنمـا ❁ أخَـذ الوقـارَ مـن المشيبِ الشَّـامِلِ[6]

---

(١) هو الحسين بن مطير انظر ترجمته هنا: ص ٣٦٣. والبيت في الأغاني: ١١٢/١٤ من قصيدة يمدح المهدي، وروىٰ الشطر الثاني هناك «كما عف واستحيا بحيث رقيب».

(٢) ديوانه: ١٣٨٣/٣ يمدح أحمد بن عليّ الإسكافي، ولم أجد له ترجمة وافية إلا أنه من بني عبد الأعلىٰ، والإسكافي نسبة إلىٰ إسكاف بني الجنيد بين بغداد وواسط، «انظر معجم البلدان: ١٨١/١».

(٣) ديوانه: «أما يوافق ما تهوىٰ».

(٤) ديوانه: ١٦٤٦/٣، وفيه: «تعد الكثير بدهرها».

(٥) في «س»: سقط الشطر الثاني لهذا البيت وتكرر شطر البيت الأول مكانه.

(٦) في «س»: «الوقارُ» بالرفع، والتصحيح من ديوانه.

وقال في المعتزّ[1]:

ضَرْبٌ كنصلِ السّيفِ أُرْهِفَ حَدُّهُ ❊ وأضاءَ لامعُ مائِه المُتَرقْرِقِ
[٢٦س] ومهذَّبُ الأخلاقِ يَعْطِفُهُ النَّدى ❊ عَطفَ الجَنوبِ من القَضيبِ المُورِقِ
طَلْقٌ فإن أبدى العبوسَ تطأطأتْ ❊ شُوسُ الرِّجالِ وخُفِّضَتْ في المَنْطِقِ

وقال في الفتحِ[2]:

غرائبُ أخلاقٍ هي الروضُ جادَهُ ❊ مُلِثُّ العَزالى ذو رَبابٍ وَهيْدَبِ
فكم عجَّبَتْ من ناظرٍ مُتأمِّلٍ ❊ وكم خبَّرَتْ من سامعٍ مُتعجِّبِ[3]
وقد زادَها إفراطَ حُسنٍ جِوارُها ❊ خلائقَ أصفارٍ من المَجْدِ خُيَّبِ[4]
وحُسْنُ دَرَارِيِّ الكواكِبِ أن تُرى ❊ طوالِعَ في داجٍ من اللَّيْلِ غَيْهَبِ

وهذا حسَنٌ جداً.

وقال[5]:

رضيتُ منكَ بأخلاق قد امْتَزَجَتْ ❊ بالمَكرُماتِ امتزاجَ الرُّوح بِالبَدنِ
وزدتَني رغبةً في عَقْدِ وُدّكِ إذْ ❊ شَفَعْتَ ذاكَ النَّدى بالفَهْمِ والفِطَنِ
من يُصْبِهِ سَكَنٌ مِمَّنْ يُحِبُّ ومَنْ ❊ يهوى فمالَكَ غَيرُ المَجْدِ من سَكَنِ

هذا بابٌ فضلُ أبي تمّام فيه على البحتريّ ظاهر ومعلوم.

---

(١) ديوانه: ١٤٧٧/٣.
(٢) ديوانه: ١٩٢/١.
(٣) ديوانه: «وكم حيّرت».
(٤) ديوانه: «لأخلاق»، وقد سبق البيت في: ٣٥/٢.
(٥) ديوانه: ١٦٢٥/٣.

بابُ
ما ينْبَغِي أن يُمدَح فيه الخلفاءُ من الجودِ والكرم

وقد أفردت لذلك كتابًا مفردًا يتلو هذا الكتاب، ولكن لما كان هذا الكتاب قد اشتمل علىٰ أكثر أنواع مدائح الخلفاء، وجب أن أذكر معها ما مدحوهم به من الجود والكرم، ثم إني أقدّم قبل ذلك مقدّمة فأقول:

إنّ هذه خَلَّةٌ من أدونِ الخِلَالِ التي يُمدح بها الخلفاء، لأنّ من ملك الدّنيا لم يكُ منكرًا منه العطاءُ والبذلُ، إذ كانت رغبات النّاس جميعًا إليه، وكان إخراجُ المال واجبًا عليه، ثمّ إنّ الجود، وإن كانت خَلَّةً شريفةً، فليست كسائر الخِلالِ الشريفةِ التي قد تقدمت في هذا الجزء، لأنّ تلك لا تكون إلّا في الأعيانِ من الناسِ، والجودُ قد يشارك الخلفاءَ وعظماءَ الملوكِ فيه أدونُ النّاس طبقة، حتىٰ الحائكُ والحجّامُ.

فينبغي للشاعر أن يتأتىٰ لمدح الخليفة بالجود، بما يُخرجُه عن أن يكون [له[1]] فيه مُشْبِهٌ أو نظيرٌ، فإنّ قول أبي تمّام في المعتصم[2]:

تعوَّد بسطَ الكفِّ حتى لَوَ انَّهُ ✽ ثَناها لِقَبْضٍ لم تُطِعْهُ أنامِلُهْ

وهو أبرع بيت له في وصف الجود، يصلُحُ أن يُمدَح به بعض السوقة، إذا كان مُتخرِّقًا في البذل، مُسرفًا في إتلاف المال.

---

(١) لازمة للسياق.

(٢) ديوانه: ٢/٢٠٣، وشرح التبريزي: ٣/٢٩، وفي «س»: «ثناها الجود» ولا يصح بها المعنىٰ، وفي التبريزي: «لم تجبه». وانظر ص ٢٢٠ من هذا الجزء.

وسبيلُ مدح الخليفة أن يكون دالًّا على الخليفةِ بمعناهُ نحوَ قولِ البحتريِّ(١):

إذا غِبتَ عن أرضٍ ويمَّمتَ غيرَها ❖ فقد غاب عنها شَمسُها وهِلالُها
غدتْ بكَ آفاقُ البلادِ خَصيبَةً ❖ وهلْ تَمحلُ الدُّنيَا وأنت ثِمالُها ؟

[٢٧س] فجعله ثِمالَ الدنيا، والثَّمالُ: الغياثُ.

وقوله فيه أيضًا(٢):

قد قلتُ للغيثِ الرُّكامِ - ولجَّ في ❖ إبراقِه وألَحَّ في إرعادِه -:
لا تعرِضنَّ «لجَعفرٍ» مُتَشبِّهًا ❖ بنَدى يَديهِ، فلستَ من أنْدادِه
اللهُ شَرَّفهُ، وأعلى ذِكْرَه ❖ ورآه غيثَ عبادِهِ وبِلادِه

فجعَله غيثَ العبادِ والبلاد.

وقوله في المعتز(٣):

يا جمالَ الدُّنيا سناءً ومجدًا ❖ وثِمَالَ الدُّنيا عطاءً وبذلًا

ثمّ جعل صدر هذا البيتِ عَجُزَه في قصيدةٍ أُخرىٰ فقال(٤):

يا ثِمالَ الدُّنيا عطاءً وبذلًا ❖ وجمالَ الدُّنيا سناءً ومجدًا

وهذا لا يقالُ إلّا لخليفةٍ.

وكذلك قولُه(٥):

---

(١) ديوانه: ٣/١٦٢٥، والبيتان في مدح المتوكل.
(٢) أي في المتوكل، ديوانه: ٢/٧٠٣، وفيه: «للغيم» وهي أصح للمعنىٰ.
(٣) ديوانه: ٣/١٦٥٢.
(٤) ديوانه: ٢/٧١٣.
(٥) ديوانه: ٢/٧١٢.

أكـرمُ النـاسِ شـيمةً، وأتـمُّ النـ ❁ ـاسِ خلْقًـا، وأكثـرُ النّـاسِ رِفْـدَا
وحكـى القطـرَ، بـل أبـرَّ علـى القَطْـ ❁ ـرِ بكَـفٍّ علـى البريَّـةِ تَنْـدى

وقوله[1]:

بثـتَ فينـا عطـاءً زاد فـي عـددِ الـ ❁ ـعليـا ونَـوَّه بِاسْـمِ الجـودِ تَنويهـا
مـا زالَ بحـرًا لِعافينـا فكيـفَ وقَـدْ ❁ قابَلْتَنَـا ولـكَ الـدُّنيا ومـا فِيهـا[2]
أعطاكَهـا اللهُ عـن حـقٍّ رآكَ لـهُ ❁ أهـلًا وأنـتَ بحـقِّ اللهِ تُعْطِيهـا

وقولُه في المعتزِّ[3]:

ومـا حَسُـنَتْ نـواحي الأرضِ حَتَّـى ❁ ملكـتَ السّـهلَ مِنهـا والجِبَـالا
بوجـهٍ يمـلأُ الـدُّنيا ضـيَاءً ❁ وكـفٍّ تَمـلأُ الـدّنُيا نَـوالا

وقالَ في المتوكل[4]:

يـا ابـن عـمِّ النبـيِّ لا زالَ للدّنـ ❁ ـيَـا ثِمـالٌ مـن رَاحتيـكَ غَزيـرُ
أيُّ مَحْـلٍ عَـرا فكَفُّـك غيـثٌ ❁ أو ظَـلامٌ دجـا فَوجهُـكَ نُـورُ

وللهِ در أبي مُعاذٍ إذ يقولُ[5]:

إذا جلـس المهـديُّ عمّـتْ فضـولُه ❁ علينـا كمـا عـمَّ الضّـياءُ مـن البَـدرِ

فهذا هو المدحُ الذي لا يليقُ إلّا بخليفة، فإن مدَح مادحٌ بِمثلِ هذا غيرَ

---

(١) ديوانه: ٤/١٤٢١، وفيه: «ونوَّهْتَ».
(٢) ديوانه: «ما زالت»، «ولك الدنيا بما فيها».
(٣) ديوانه: ٣/١٧٢٥.
(٤) ديوانه: ٢/٩٠١.
(٥) ديوان بشار: ٣/٢٥٩.

خليفة، فما تركَ للخليفةِ شَيئًا.

فأما قول أبي تمام في المعتصم(١):

مـدى العُفـاةِ فلـم تِحُلُـلْ بـهِ قَـدَمٌ ❊ إلا تَرحَّـل عنهـا العَثْـرُ والزَّلَـلُ

وقولُه فيه(٢):

هـو البحـرُ مـن أيِّ النَّـواحي أتيتَـهُ ❊ فلُجَّتُـه المعـروفُ والجـودُ سـاحِلُهْ

تعـوَّد بسـطَ الكـفِّ حتـى لَـوَ أنَّـهُ ❊ ثناهـا لِقَـبْضٍ لـم تَطِعْـهُ أنامِلُـهْ

فهي في غايةِ الحُسن والصّحَّةِ والحلاوة والبراعة، وليس بمدح يخصّ [٢٨س] الخلفاء دون غيرهم، ولا أقول إنّ ذلك عيب في المدح، ولكن ما يخصّ أجودُ وأليَقُ.

فأما قولُه في المأمون(٣):

مـن شَـرَّدَ الإعـدامَ عـنْ أوطاننـا ❊ بالبَـذلِ حتـى اسـتُطْرِفَ الإعـدامُ

وتكفـلَ الأيتـامَ عـن آبـائِهم ❊ حتـى وَدِدْنـا أنَّنـا أيْتَـامُ

وقوله(٤):

سَـخِطَتْ لُهـاهُ علـى جَـدَاهُ سَـخطَةً ❊ فاسـترفَدَتْ أقصـى رضـا المُسـتَرفِدِ

---

(١) ديوانه: ٢/١٨٠، وشرح التبريزي: ٣/١١.

(٢) ديوانه: ٢/٢٠٣، وشرح التبريزي: ٣/٢٩، وفي شرح التبريزي: «هو اليم»، «لم تجبه».

(٣) ديوانه: ٢/٣٧٥، وشرح التبريزي: ٣/١٥٣، وفيهما: «عَن أوطانه».

(٤) ديوانه: ١/٤٥٢، وفيه: «المترفّد»، وشرح التبريزي: ٢/٥١، وقال ابن المستوفي في النظام ج ١ لوحة ٣٣١: «قال الآمدي: «اللّهى» جمع لهوة، وأراد العطايا و«الجدى» هو الغنى والثروة، أراد: سخطت عطاياه على غناه وثروته فاسترفدت: أي طلبت رضاها فكأنها استرفدته، أي: جعلته رفدًا، وهذا من هوسه، والمعنى بهذه الاستعارة صحيح».

وقوله[١]:

لو يعلمُ العافونَ كم لكَ في النَّدى ❊ من لَذَّةٍ وقريحةٍ لم تُحمَدِ

فليس ذلك بجيّد، ولا محمود من الوصف، وقد ذكرت ما فيه في كتاب «الجود والكرم»[٢] في مواضعه.

والبحتريُّ في هذا أشعرُ من أبي تمّام.



(١) ديوانه: ١/٤٥٤، وشرح التبريزي: ٢/٥٢.

(٢) انظر «س»: ٣٥٠ وما بعدها.

الشجاعة والبأس

فأمّا الشجاعة فليس ذلك من الخِلال التي تُعتَمد في مدح الخلفاء، إلّا أن يكون خليفةً قد عرف بها وشُهِرَ[1] به، وكانت به مواقفُ فيه، لأنّ الملوك والعظماء تُرفَعُ أقدارُهم عن أن يجعل الشاعرُ غرضَه بالبأس[2] والجودِ، فإن اعتمد ذلك شاعرٌ، فسبيلُه أن يجعلَه في تضاعيف الخِلال التي هي بالمُلْكِ أخصُّ، ألا ترىٰ إلىٰ قول البحتريِّ في أبي الحسن بن عبد الملك بن صالح الهاشميّ[3]:

وكأنّــك «العبّــاسُ» نُبْــل خَليقــةٍ ✽ وعلــوَّ هَــمٍّ فــي «بنــي العبَّــاسِ»

لــو جــلَّ خلــقٌ قــطُّ عــن أُكرومــةٍ ✽ تُثنــى جللــتَ عــن النَّــدى والبَــاسِ

وإنما قالَ هذا، لأنَّ النّدىٰ والبأسَ موجودٌ في ساسةِ دوابِّ عبيدِهم، فَضْلًا عنهم.

فمن حُكْمِ الشَّاعرِ إن ذَكرَ البأسَ أن يَتأتّىٰ لَهُ كما تأتّىٰ البحتري في الجود، بما أبان به الخليفة من غيرِه.

وكادَ أبو تَمَّامٍ يظفرُ بهذا المعنىٰ في مدحِ المعتصمِ لولا أنَّه أفْسَدَهُ فقال[4]:

من البأسِ والمعروفِ والجودِ والتُّقَىٰ ✽ عِيــالٌ عليــه رِزقُهــنَّ شــمائِلُهْ

فجعل البأس مَع هذه الحالِ عيالًا عليه، وجعلَ شمائلَهُ ـ وهي أخلاقُهُ ـ

---

(١) أي عرف بالشجاعة وشهر بالبأس.

(٢) كذا، ولعله «... غرضه المدح بالبأس والجود».

(٣) ديوانه: ٢/١١٣٦.

(٤) ديوانه: ٢/١٩٩، شرح التبريزي: ٣/٢٥، وقد سبق في: ١/٢٩٦.

رزقًا لها، وهذه استعارةٌ في غايةِ القُبْح والشناعةِ، وإنما سَمِع قول جريرٍ في يزيدَ بنِ معاويةَ[1]:

الحـزمُ والجـودُ والإيمـانُ قـد نَزلُـوا ❁ علـى يزيـدَ أمـينِ اللهِ فـاحْتَلفُوا

فحذا حَذْوَهُ، وما أظنُّ لجريرٍ بيتًا في المَدحِ أردأَ من هذا البَيتِ، وهوَ خيرٌ من [بيت][2] أبي تمام.

وإنَّما أراد جرير أن يجعل ليزيد في وصفه بالحزم والإيمان مَزِيَّةً على غيره من أجل الخلافة[3] فكان المعنى جيدًا واللفظ [٢٩س] رديئًا[4] لأنَّه قال: «نَزلُوا واحتلفوا»، وهذا فعل ما يعقل، ولو كان استوى له أن يقول «نزلت واحتلفتْ»، كان ذلك أليَق وأحسن، ولكن لمَّا كان الاحتلافُ لا يكُون إلَّا لما يعقل، حمل الفعلَ عليه[5].

وأجودُ من هذا وذاكَ قولُ دعبل، ومن جريرٍ أخذ إلا أنه أورده على أحسن

---

(١) لم أجده في ديوانه، وهو في الكامل للمبرد: ٣/٥٥ في مدح يزيد بن عبد الملك.

(٢) لازمة للسياق.

(٣) في «س»: «من أجل الخليفة» وأثبتُّ ما يتطلبه السياق.

(٤) في «س»: «رديء» بالرفع.

(٥) نقل ابن المستوفي في النظام «ج ٢ لوحة ٢٤٨» تعليقًا للآمدي حول بيت أبي تمّام السابق يختلف في نصه عن ما ورد هنا، وربما نقله من كتاب الآمدي «معاني أبيات أبي تمّام» الذي ينقل منه كثيرًا قال: قال الآمدي: «أي ليس قوام هذه الأشياء إلا به، ولولا هو لكانت قد درست، وذهبت، لأنها مجتمعة فيه، فجعل شمائل الممدوح التي هي أخلاقه المشتملة على هذه الخلال كأنها رزق لها، ولما لم تذكر إلا به ولم تك لها مادة إلا من أخلاقه جعلها كالعيال عليه، وجعل ما فيه منها ينبوعًا لها يمدها، فهو كالرزق لها، فالغرض فيه صحيح على بعده، وأظنه سمع قول جرير في يزيد بن معاوية فاحتذى عليه «وذكر البيت»، ثم قال: وهذا أيضًا ليس بالجيد وقد كان ينبغي أن يجعل هذه الخلال طبائع له، وغرائز فيه، فأما أن يجعلها نازلة عليه محتلفة، ويجعلها لذلك عيالًا عليه، فإن هذا من بعد الاستعارات وقبيحها ورديء المدح».

وجهٍ وألطَفِهِ، فقالَ[1]:

تنـافسَ فيـه الحـزمُ والبـأسُ والتقـى ❁ وبذلُ النّدىٰ حتىٰ اصطَحَبْنَ ضَرائِرا

وقد أساءَ أيضًا سَلْمٌ الخاسِرُ في قولِه[2]:

جمـــع الخِلافـــةَ والشجـــاعـــةَ ❁ والسّـــماحةَ فـــي نِظـــامِ

وما ذِكْرُ السّماحةِ مع الخِلافةِ؟ وأظنُّه قال ذلك من شُحِّ المَنصورِ[3].

والجيّدُ قوله[4]:

إمـامُ هـدًى فـي راحتيـه مـع الهُـدى ❁ مقـاديرُ تَجـري مـن نحـوسٍ وأسْـعُدِ

وقال سَلمٌ أيضًا[5]:

أقـامَ النّـدى والبـأسُ فـي كـلِّ منزلٍ ❁ أقـامَ بـه فضـلُ بـن يحيـى بـن خالـدِ

وقال مسكين الدارِميُّ[6] في يزيدَ بن معاويةَ:

فتًى مالَه في البأس والمجد والنّدىٰ ❁ وبـذل اللّهـى فـي العـالمين نظيـرُ

---

(١) سبق البيت في: ١/٢٩٦.

(٢) هو سلم بن عمرو بن حماد مولىٰ أبي بكر الصديق، بصري شاعر مطبوع. متصرف في فنون الشعر توفي سنة ١٨٦ «طبقات ابن المعتز: ص ٩٩، الأغاني: ٢١/٧٣، وفيات الأعيان: ٢/٣٥٢».
والبيت من قصيدة في مدح المهدي «انظر طبقات الشعراء المحدثين: ص ١٠٣» وفيه:
جمـــع الخلافـــة والســـما ❁ حـــة والشـــجاعة فـــي نظـــام

(٣) كان المنصور غاية في الحرص والبخل، فلقب «أبا الدوانيق» لمحاسبته علىٰ الدوانيق والحبات، وقد ذكرت آنفًا أن ابن المعز في طبقاته قال إن القصيدة في مدح المهدي.

(٤) لم أجد البيت فيما بين يديّ من مراجع.

(٥) البيت في الوافي بالوفيات: ١٥/٣٠٤، وفيه: «الفضل».

(٦) في «س»: «نذير» وصوابه ما أثبتُّ.

ففضله بهذه الخلال[1] علىٰ العالمين.

وقال أبو تمّامٍ في مدح المعتصمِ[2]:

وَمَشْهَدٍ بين حُكمِ الذلّ منقطعٌ ✤ صاليه أو بحبالِ الموتِ مُتَّصِلُ
جَلَّيْتَ والموتُ مُبدٍ حُرَّ صفْحَتِهِ ✤ وقد تَفَرْعَنَ في أفعالِهِ الأجَلُ

وهذا مدحٌ يصلُح أن يكون لكلِّ بادي[3] بأسٍ ونجدةٍ، كائنًا من كان من الناسِ، والبيتان جميعًا رديئان، فالأوّل رديء من جهة الإعراب، والثاني من جهة المعنىٰ، فقولُه: «بين حكم الذلّ»، لو كان لحكم الذُّلّ أشياءُ متفرّقةٌ لصلُحَتْ فيها «بَين»، غير أنّ حُكمَ الذلِّ والذلُّ بمنزلةٍ واحدة، وكذلك حكمُ العزِّ والعزُّ، فكما لا يقالُ: «بين العزِّ» فكذلك لا يقالُ: «بين حكم العزِّ» حتىٰ يقال [هذا][4]، وكذلك لأنَّ بين إنّما هي وسطٌ بين شيئين، وقد بيّنتُ هذا فيما قدمت ذكره من أغاليطه واستقصيته[5].

وقوله:

وقد تفرعَن في أفعالِهِ الأجَلُ

معنىٰ في غايةِ الركاكةِ والسُّخف، وهو من ألفاظِ العامّةِ، وما زالَ الناسُ يعيبونَهُ به، ويقولونَ: اشتقَّ للأجلِ[6] الذي هو مُطِلٌّ علىٰ كلِّ النُّفوسِ فعلا من اسم فرعون

---

(١) في «س»: «الخلافة» ولا يستقيم بها معنىٰ العبارة.
(٢) ديوانه: ١٨٥/٢، وشرح التبريزي: ١٦/٣، وقد سبقا في ٤٤٦/١.
(٣) في النظام: ج ٢ لوحة ٢٤٤، نقل ابن المستوفي نص تعليق الآمدي وفيه «لكل ذي بأس».
(٤) ساقطة من «س»، وهي في: ٤٤٦/١.
(٥) في «س»: «اشتق الأجل».
(٦) في «س»: «من اسم فعل فرعون».

وقد أتىٰ الأجل علىٰ نفس فرعون، وعلىٰ نفس كلّ فرعون كان في الدنيا[1].

وقال في مدح الواثقِ[2]:

لَيثٌ إذا خَفَقَ اللواءُ رأيتَه ❊ يعلو قَرا الهَيجاءِ وهي زَبونُ
لحياضِها مُتورِّدٌ، ولخَطْبِها ❊ مُتَعمدٌ ولِثَديِهَا مَلبونُ[3]

[٣٠س] وهذا يصلُح أن يُمدَح [به] كلُّ أحدٍ.

وقوله: «ولخطبها متعمّد» لفظ ومعنىٰ سخيفان، وإنما جاء به من أجل قوله: «لحياضها متورد».

وقال البحتريّ في المتوكّل[4]:

وإذا ما تَشَنَّعتْ حَومةُ الحر ❊ بِ، وكان المقامُ بالقومِ دَحْضا
غشي الدَّارعين ضربًا هذاذَيْـ ❊ ـكَ، وطعنًا يُوَزِّعُ الخَيلَ وخْضا[5]

وقد يكذِبُ الشاعرُ للممدوح، ولا مثلَ هذا الكَذِبِ للمتوكِّل.

وقد أحسَن ـ لعمري ـ سَلمٌ الخاسرُ كلَّ الإحسان في قوله يمدح المهديّ[6]:

أعذَرْتَ إذ أنْذَرْتَ كلَّ مُخالفٍ ❊ نارَ الخليفة أن يكونَ رَمادَها

فإنّ هذا ما وراءَ حسنه وصحّته شيءٌ.

---

(١) اعتمدت في تصحيح نص التعليق على ما سبق في: ١/٤٤٨، وعلىٰ ما نقله ابن المستوفي في كتابه النظام: ج ٢ لوحة ٢٤٤.
(٢) ديوانه: ٣/٤٠، وشرح التبريزي: ٣/٣٢٦، و«القرا»: الظهر.
(٣) في شرح التبريزي وديوانه: «متردد»، «بثديها».
(٤) ديوانه: ٢/١٢١٥، و«الدحض»: المكان الزَّلِق.
(٥) هذاذيك أي: هذًا بعد هذٍ أي: قطعًا قطع، والوخض: الطعنة غير النافذة.
(٦) لم أقف عليه بعد.

وممّا عِيب علىٰ أبي تمّام في مدح المعتصم قوله[1]:

إقدامُ عمرٍو في سماحةِ حاتمٍ ❊ في حِلْمِ أحنفَ في ذكاء إياسِ

وقالوا[2] كان ينبغي أن يُفَضِّله علىٰ جميع هؤلاء، فقالوا: قال أبو تمّام لمّا أُنكِرَ ذلك عليه[3]:

لا تُنْكري ضَربي لَه من دونَه ❊ مثلًا شرودًا في النّدى والباسِ

فاللهُ قد ضَرَبَ الأقلَّ لِنُورِه ❊ مثلًا من المِشْكاةِ والنِبْراسِ

«المِشكاةُ»: الكُوَّةُ، يقالُ بِلِسانِ الحَبَشَةِ، و«النبراس»: المصباح.

وقد اعتُرِضَ عليه أيضًا في هذينِ البيتَينِ، وقيلَ إنه قَصَّرَ في البيتِ الأول، بأن ذَكر النّدىٰ والبأسَ، وترك الحلمَ والذكاءَ، وكان يجبُ أن يذكرَها أجمع[4]، ولا يُسَمِّيَها، فقيلَ لمن أنكرَ هَذا: فلو كُنت أنتَ مكانَه، كيف كنتَ تقولُ؟، فقالَ: كنتُ أقولُ:

لا تُنْكِرُوا ضَربي لَه من دونَه ❊ غاياتِ أمثالٍ جَرَتْ لِأُناسِ

أو: «مَضَتْ لِأُناس».

وهذا ـ لَعمري ـ مستقيمٌ أنْ لو قيلَ، ولكن لَم يستقمْ لأبي تمام أن يَجمع الوجوهَ الأربعةَ في هذا البيتِ كما جَمعها في البيتِ الأوّلِ، فاقتصر علىٰ اثنين

---

(١) ديوانه: ٥٧١/١، وشرح التبريزي: ٢٤٩/٢، وفيهما أنها في أحمد بن المعتصم، وفي ديوانه «إقدامُ» بالرفع، وشرح التبريزي بالنصب، وقال ابن المستوفي في النظام: ج ٢ لوحة ١٠٧: «ويروىٰ «إقدامَ عمرٍو» بالنّصبِ وهو أولىٰ من الرفع بدلًا من «أبعدَ غاية» في البيت الذي قبله».

(٢) قال ذلك يعقوب بن إسحاق الكندي، انظر شرح التبريزي والنظام لابن المستوفي.

(٣) ديوانه وشرح التبريزي: «لا تنكروا».

(٤) في «س»: «أجمع أجمع».

منهما، وقد علم أن المعنىٰ يضمّهما جميعًا.

والقبيحُ قولُ جريرٍ[1]:

كانــــت حنيفـــةُ أثلاثًـــا فثُلـــثُهُمُ ❊ مـــن العبيـــدِ وثُلْـــثٌ مـــن مواليِهـــا

فقيل لِرَجُلٍ من بني حنيفةَ: فمن أيِّ الأثْلاثِ أنتَ؟، فقالَ: من الثُلُثِ المَلغيِّ.

وقد يكونُ من الضروراتِ في الشِّعر ما يكون بعضُه أحسنَ من بعض.

وقيل في البيت الثاني في قولِهِ:

«فـــاللهُ قـــد ضـــرَب الأقـــلَّ لِنـــورِه»

إنَّ نورَه إنما هو نورُ هُداهُ، الذي يهدي بِهِ من في السّماواتِ والأرضِ، ولذلك قالَ: ﴿يَهۡدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ أي: بنورِ هُداه، وليس يُحيطُ الخَلْقُ بهذا النُّور ولا بِقَدْرِهِ معرِفَةٌ، ولا بالمَثَل الذي ضربَه ﷻ له، فمن أين عَلِمَ أبو تمّام أنّ أحَدهما أقلُّ من الآخرِ؟ وذلك أنَّه جلَّ اسمُهُ قالَ:

﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ [٣١س] فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ﴾.

ثم قال:

﴿يُوقَدُ[2] مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ﴾ أي: لَيستْ بِضَاحِيةٍ بَارِزَةٍ للشَّمس، تُشْرِقُ عليها ولا تكادُ تَغيبُ عَنها.

﴿وَلَا غَرۡبِيَّةٖ﴾.

---

(١) ديوان جرير: ٥٤٥.

(٢) في الأصل: «تُوقَد»، وهي قراءة أبي بكر وحمزة والكسائي وخلف «إتحاف فضلاء البشر ٢/٢٩٨».

أي: ولا مَقْنُوءَةٍ، والمقنوءةُ: الأرضُ المُنْحرِفَةُ عن الشَّمس بساترٍ يَستُرها، فتغيبُ عنها بسرعة، ولا تأخذ بحظها منها، يريدُ اعتدالَ موضع الشَّجرة ليَخْلُصَ الزّيتُ من ثَمرتِها ويَصفُو، وهذا كلُّهُ قد يوجدُ في الشَّجَرِ.

ثم قال:

﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾.

ولم يعرِف الخلقُ ولا شاهدوا زُجاجةً كأنَّها كوكبٌ دُرِّيٌّ ولا زيتًا يَكادُ يُضيءُ وإن لَم تَمْسَسْهُ نَارٌ.

ثمّ قالَ: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾.

وهذا الوصفُ كلُّهُ إنما أرادَ ﷻ [به][1] تعظيمَ أمرِ نورِ المِصباحِ، الذي جعلَهُ مثلًا لِنُورِ هُداهُ، فإنّا وإنْ لم نعرفْ حقيقتَه، فقد دَلَّنا تباركَ اسمُه علىٰ أنّه نورٌ عظيم القَدْرِ، فكيف يجوز أن يجعلَه أقلَّ من نور الهُدَىٰ، والله تبارك اسمُهُ قد جَعَله مِثلَهُ؟.

فإن قيل: قَدْ يُشَبَّهُ الشيءُ من بعضِ جهاتِه لا من جِهاتِه كُلِّها، قيل: ليس النورُ[2] إلا جهةً واحدةً، وهي الضّياءُ فقط.

وأظنُّ أبا تمّام ذهبَ إلىٰ أنَّ ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ إلىٰ نُور وَجهِه، فإن كان ذهبَ إلىٰ هذا فهو غَلطٌ منه، ولا أعرف له عُذرًا يتَوجَّهُ، فإن قيل: بلِ العُذْرُ له مُتَوجِّهٌ، وهو أنَّ نورًا يملأُ السّماواتِ والأرضَ أكثرُ وأعظمُ من نورٍ تَضمُّه مِشكاةٌ، وهي الكُوَّةُ غيرُ النَّافِذةِ، قيلَ: لم يُرِدْ ﷻ بذِكرِ المشكاةِ تقليلَ أمرِ الضَّوْءِ، وأنه[3] علىٰ

(١) زيادة يقتضيها السياق.
(٢) كذا في «س»، ولعله «ليس للنور إلا جهة واحدة».
(٣) في «س»: «وإلا أنه».

قدر المشكاة ، وإنما أراد جَلَّ اسمُهُ أن يؤكد شدّةَ النورِ وعِظمَه ، لأنه إذا كانَ في شيء يَضُمُّهُ كان أغلبَ وأشدَّ لِضيائِه مِنه إذا كانَ ضَاحِيًا منتشرًا ، وهذا مَعلومٌ ، ومعرِفَتُهُ قائِمَةٌ في النُّفوسِ.

وقالَ بعضُ المفسِّرينَ: أراد جلَّ وعزَّ: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ ، وهو أثْبَتُ في العُقولِ وأولىٰ بالصَّوابِ ، وأبعدُ من أنْ يُحيطَ العِلمُ بأنَّ أحد النُوريْنِ أقل من الآخَر ، لأنَّه تشبيهٌ صَحيحٌ ، وقد نطقتْ بذلِكَ العَربُ ، قال الطَّحْنُ[1] الحِرْمازِيُّ يَصِفُ عَيْنَي الأسَدِ[2]:

قَالِبُ حِمْلَاقَينِ مِثَلَ الوَقْبَيْنِ
أو مِثَلَ مِصْبَاحَينِ فِي مِشْكَاتَيْنِ

«الحِمْلاقُ» جَوانِبُ العين من دَاخِلٍ ، و«الوَقْبُ» النَّقْرَةُ في الحَجَرِ وقالَ أبو زُبَيدِ الطَّائيُّ[3]:

كأنَّ عينيهِ مِشْكاتَينِ في حَجَرٍ ❁ قيضا اقْتياضًا بأطرافِ المَناقِيرِ



(١) لم أجد له ترجمة فيما بين يديّ من مراجع.

(٢) البيتان في شرح الصولي لديوان أبي تمّام وقد وردا هناك مضطربي المعنىٰ والوزن دون نسبة «شرح ديوان أبي تمّام للصولي ١/٥٧٢».

(٣) هو المنذر بن حرملة كان جاهليًا قديمًا ، وأدرك الإسلام ، إلا أنه لم يسلم ومات نصرانيًا وكان نديم الوليد بن عقبة ، عاش مائة وخمسين سنة ، وكان مغرىً بوصف الأسد ، وكان أعور آدم طوالًا استعمله عمر بن الخطاب علىٰ صدقات قومه ولم يستعمل نصرانيًا غيره «طبقات فحول الشعراء لابن سلام: ٢/٥٩٣ ، والشعر والشعراء لابن قتيبة: ١/٣٠١». والبيت في «ديوانه: ٨٠» وفيه في وقبين من مجر.

تمامُ بابِ السُّؤددِ والشَّرَفِ

[٣٢س] وهذا ما قلتُ إني أذْكُرُه من تمامِ بابِ السؤدد والشَّرَفِ، بعدما ذَكَرْتُهُ من ذَلِكَ في مدائِح الخُلفَاءِ[١].

قال أبو تمّام في مالك بن طَوقٍ[٢]:

لِتَغْلِبٍ سُؤْدَدٌ طالَت منَابِتُهُ ✤ في مُنْتَهى قُلَلٍ منها وفي قِمَمِ

مَجدٌ رعى تَلَعاتِ الدَّهرِ وهوَ فَتًى ✤ حتى غدا الدَّهرُ يَمْشِي مِشيَةَ الهَرِمِ

التِّلاعُ: مجاري الماءِ من ارتفاع إلى انخفاض، والخَفْضُ منها كثيرُ العُشْبِ، وقُلَل: جَمعُ قُلَّة، وقِمَم: جمعُ قِمَّةٍ، وهُما رأسُ الجَبَلِ.

ولو قالَ: «حتى هَرِمَ الدَّهرُ»، كانت استعارةً مُحْتَمَلَةً، كما قالَ البحتريُّ[٣]:

هَرِمَ الزَّمانُ وعِزُّهمْ لَم يَهْرَمِ

وكما قال الأخْطَلُ[٤]:

عَمِرْتُ شبابَ الدَّهرِ، لا يَسْتَطِيعُهُمْ ✤ أفالآن لمَّا أصبَح الدَّهرُ فانيا؟

---

(١) قال الآمدي في: ٣/١٣٤: «ولهما في باب السؤدد والمجد والشرف في مدح سائر الناس ما أذكره من بعد» غير أن شيخنا السيد صقر ـ عفا الله عنه وأمد في عمره ـ أدخل على تلك العبارة عنوان باب مستقل هو «في تأييد الدين وتقوية أمره» فاختلط البابان، وجاءت عبارة الآمدي في هذه الصفحة لتوثق وتصحح.

(٢) ديوانه: ٢/٣٤٩، وشرح التبريزي: ٣/١٨٧.

(٣) ديوانه: ٤/٢٠٨٤، وصدره: «صحبوا الزمان الفرط إلا أنه»، وقد سبق في: ٢/٢٥، وانظر الموشح: ٥٢٣٠.

(٤) ديوانه: ص ٣٥٢، وفيه: «سَعيْتَ... لم تسْتَطِعْهُمُ».

فما وجهُ قَولِهِ: «يَمشِي» ؟ ، كأنَّه لا يَجوزُ أن يُعْلَمَ أنّه هَرِمَ ، حتىٰ يُرىٰ مَاشِيًا مُرْتَعِشًا.

وقال مَعْنُ بن أوسٍ المُزَني[1]:

تعَلَّلْــتُ إذ دَهــري فتًــى بِوصــالِهَا ❊ فَقَــدْ عَصَــلتْ أنيــابُ دَهْــرٍ وعَــرَّدا

فإنما[2] أرادَ نفْسَه لا الدَّهر ، كما قال[3]:

نهـــارُكِ يقظـــانٌ وليْلُـــك نـــائمُ

والاستعارة الحسنة في هذا قول النابغة[4]:

عَلَــوْتَ مَعــدًا نــائِلًا ونِكايَــةً ❊ فأنــتَ ، لِغَيْــثِ الحَمْــدِ ، أوَّلُ زائــدِ

وقال في أبي سعيد[5]:

طَلَــبُ المَجْــدِ يُــورثُ المَــرْءَ خَــبْلًا ❊ وهُمومًــا تُقَضْــقِضُ الحَيْزُومــا

فتــراهُ وهْــو الخَلِــيُّ شَــجيًا ❊ وتــراهُ وهــو الصَّــحيحُ سَــقيمًا

تَجِــدُ المَجْــدَ فــي البَرِيَّــةِ مَنْشُــو ❊ رًا وتَلْقــاهُ عنــدَهُ مَنْظُومَــا

وَلَّهَتْــهُ العُلــى فَلَــيْسَ تَعــدّ الــ ❊ بُــؤْسَ بُؤْسًــا ولا النعــيمَ نعيمــا[6]

---

(١) ديوان معن بن أوس: ص ٢٨ ، وعصل الناب: اعوجاجه.

(٢) كذا في «س» ، ولعلّ العبارة السابقة «فأما قول معن».

(٣) لم أقف عليه بعد.

(٤) ديوان النابغة: ص ٤١ ، وفيه «أول رائد» بالمهملة.

(٥) هو أبو سعيد محمد بن يوسف الثغري والأبيات في ديوانه: ٤٠٢/٢ ، والتبريزي: ٢٢٧/٣ ، وقد سبقت الأبيات في: ٢٨٩/١ ، وتقضقض الحيزوما: تكسر الصدر.

(٦) ديوانه وشرح التبريزي: «تيمته» ، وفي «س»: «البأس بأسًا».

وتَشديدُ «الشَجِي» خطأ(١).

وهذه الأبيات من صحيح المعاني، ومُتْقنِها، وإنما احتذىٰ فيه حَذْوَ لَقيطٍ الإياديِّ في قصيدتِه المشهورةِ، وقد ذكرتها في سرقاته(٢).

وقال [في] محمد بن الهيثم(٣):

---

(١) قال ابن السيّد البطليوسي في الاقتضاب: «وقال يعني ابن قتيبة» في هذا الباب: «رجل شج وامرأة شجيّة، وويل للشجي من الخليّ، ياء الشجي مخففة، وياء الخلي مشددة» انظر أدب الكاتب لابن قتيبة: ص ٣٧٩.

«قال المفسر»: قد أكثر اللغويون من إنكار التشديد في هذه اللفظة، وذلك عَجَبٌ منهم، لأنه لا خلاف بينهم أن يقال: شجوت الرجل أشجوه: إذا حزّنته وشجى يشجى شجا: إذا حزن، فإذا قيل: شج بالتخفيف كان اسم فاعل من شجىٰ يشجي فهو شج، كقولك: عمي يعمىٰ فهو عم، وإذا قيل: شجيّ بالتشديد كان اسم المفعول من شجوته أشجوه فهو مشجوّ وشجيّ، كقولك مقتول، وقتيل، ومجروح، وجريح، وقد روي أن ابن قتيبة قال لأبي تمام الطائي: يا أبا تمّام أخطأت في قولك:

ألا ويــلَ الشّــجِيِّ مــن الخلِــيِّ ❁ وَوَيْــلَ الربــع مــن إحــدى بكِــيِّ

فقال له أبو تمّام: ولم قلت ذلك؟ قال: لأن يعقوبَ قال: شج بالتخفيف ولا يُشدّد، فقال له أبو تمّام: من أفصح عندك؟ ابن الجرمقانية يعقوبُ، أم أبو الأسود الدؤلي حيث يقول:

ويــلَ الشــجيِّ مــن الخلــيّ فإنّــهُ ❁ نَصِــبُ الفُــؤادِ بِشَــجْوِهِ مَغْمُــومُ

والذي قاله أبو تمام صحيح، وقد طابق فيه السماعُ القياسَ، وقد قال أبو دؤاد الأيادي ـ وناهيك به حجة ـ:

مَــنْ لِعَــيْنٍ بِــدَمْعِهَا مُوَلِّيَــهْ ❁ ولِــنَفْسٍ مِمَّــا عناهَــا شَــجِيَّهْ

«الاقتضاب في شرح أدب الكتاب: ١/١٨٥».

قلت: وفي لقاء ابن قتيبة أبا تمام نظر، فالأول ولد سنة ٢١٣ وأبو تمام توفي فيما بين ٢٢٨ إلىٰ ٢٣٢ علىٰ خلاف. (المحقق).

«وانظر التبريزي ٣/٣٥١، واللسان: شجا».

(٢) انظر: ١/٢٨٩، وقصيدة لقيط المشهورة أولها:

يــا دارَ عمــرةَ مــن مُحْتلِّهــا الجَرَعَــا ❁ هاجــت لِــيَ الهــمّ والأحــزانَ والوَجَعــا

«مختارات الشجري ص ٢».

(٣) ديوانه: ٢/٤٢٨، والتبريزي: ٣/٢٥٣.

خَـدَمَ العُلَـى فخدمْنَـهُ وهـي التـي ❁ لا تَخْـدِمُ الأقـوامَ مـا لَـمْ تُخْـدَمِ
وإذا انتمـى فـي قُلَّـةٍ مـن سُـؤْدَدٍ ❁ قالـت لَـه الأخـرى: بلَغْـتَ تَقَـدَّمِ
مـا ضـرَّ أروعَ يَرْتَقِـي فـي هِمَّـةٍ ❁ رَوعـاءَ أَلَّا يرتقـي فـي سُـلَّمِ[1]

قوله: «قالت له الأخرىٰ: بلغتَ» ، أي: بلغتَ تلك ، فتقدّمْ إليَّ ، ولولا هذا لكانت مناقضةً ، لأنّه إذا بَلغ ، فإلىٰ أينَ يتقدَّمُ؟ ، ويجوز أن يكونَ: قد بلغتَ ، فما تَنْتظِرُ؟.

وقولُه: «أَلَّا يَرتَقِي في سُلَّمِ» ، ليس بمبالغة [٣٣س] إذ لا قَدْرَ لِعُلوّ السُّلَّم ، ولو كانَ قالَ: أَلَّا يَرتَقِي في طَودٍ أو جبَلٍ كان أبلغَ ، ولكنَّه إنّما ذَكر السُّلَّم ، لأَنَّه آلةُ الصُّعودِ المُسْتَعملةِ ، وقد قال تعالىٰ: ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾[2].

وقال زهير[3]:

ولَـوْ نَـال أسـبابَ السَّـماءِ بِسُـلَّمِ

وقد ذكر البحتريُّ «السُّلَّمَ» فوضَعه في مَوْضِعِه ، فقال في خضر بن أحمدَ التَّغلبِيِّ[4]:

والعُـلَا سُـلَّمٌ مَراقِيـهِ «خَطَّـا ❁ بُ أبـي عـامرٍ» إلـى «مَسـعودِهْ»

---

(١) ديوانه والتبريزي: «همّة علياء».

(٢) سورة الطور: ٣٨ ، وبقية الآية الكريمة ﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾.

(٣) ديوانه: ص ٣٥ ، وصدره: ومن هاب أسباب المنايا ينلنه.

(٤) ديوانه: ٥٩٦/١ ، والممدوح هو: الخضر بن أحمد بن عمر بن الخطاب التغلبي استعمله المعتمد علىٰ الموصل سنة ٢٦١ ، وهو من أسرة لها الإمارة علىٰ ديار ربيعة «ابن الأثير حوادث ٢٥٤ ، ٢٦٠ ، ٢٦١».

يعني حُدُودَهُ، فهذا هو الوجه الحسن في معنىٰ «السُّلَّمِ»[1].

وقال كُثَيِّر في عبد العزيز بن مروان[2]:

إلىٰ حَسَبٍ عالٍ بنَىٰ المرءُ قبلَه ❊ أبُوهُ لَه فيهِ معَارِيجُ سُلَّمِ

وهذا أيضًا معنىٰ صحيح حسن.

والجيد في هذا المعنىٰ قولُ أبي تمّام في أبي دلف[3]:

مَحاسِنَ من مَجْدٍ متىٰ تَقْرِنُوا بِها ❊ محاسِنَ أقوامٍ تَكُن كالمعايبِ

معالٍ تمادَت في العُلُوِّ كأنّها ❊ تُطالِبُ ثأرًا عند بَعْضِ الكَواكِبِ[4]

وقال في خَالدِ بنِ يزيدَ بن مَزْيدٍ[5]:

وما زالَ يَقْرَعُ تلك العُلىٰ ❊ مع النَّجمِ مُرْتديًا بالعَماءِ[6]

ويَصعدُ حتّىٰ لظَنَّ الجهو ❊ لُ أنَّ لَه مَنزِلًا في السَّماءِ

«العماء» السّحابُ الرّقيق، وأين هو من النجم؟، إنَّ بينهما لَبوْنًا بعيدًا،

---

(١) اعتراض الآمدي علىٰ أبي تمام لا محلّ له في ضوء المعنىٰ الصحيح للبيت كما شرحه التبريزي فقال: «يقول: ما يضر فتىٰ ماضيًا عزمه إذا كانت له همّة سامية إلىٰ معالي الأمور ألا يرتقي إليها بسلم، أي همته العالية تغنيه عن السلم».

(٢) تفسير الطبري: ١٤/٩ الأميرية، ولم أجده في ديوانه.

(٣) ديوانه: ١/٢٨٣، وشرح التبريزي: ١/٢١٠.

(٤) شرح التبريزي:

«معال تمادت في العلو كأنما ❊ تطالب ... ... »

وديوانه:

مكارم لجّت في علوّ كأنها ❊ تحاول ... ...»

(٥) ديوانه: ٣/٢٤٢، وشرح التبريزي: ٤/٣٤.

(٦) ديوانه وشرح التبريزي: «فما زال». وديوانه فقط: «يفرع» بالفاء.

ولفظُ «العماء» قبيحٌ أيضًا.

وقد أتىٰ البحتريُّ بما هو أبلغُ من هذا فقال[1]:

لِمُحمدِ بنِ عليٍّ الشَّرفُ الذِي ❊ لا يَلْحَظُ الجَوزاءَ إلّا من عَلِ

ثمّ أفسدَ المعنىٰ، بِأنْ حَطّ المَمدوحَ عن هذهِ الرُّتْبَةِ إلىٰ ما هو دونها فقالَ:

عالٍ على نَظَرِ الحسودِ كأنَّما ❊ جذبته أفرادُ النجومِ بأحْبُلِ

فبين أن[2] ينظر إلىٰ الجوزاءِ من عل، وبين أن تُكَلَّفَ النُّجومُ أن تَمُدَّه بالحِبَالِ، فرقٌ كبيرٌ.

والعُذْرُ له في هذا أن يقال: إنّ البيت الأول أراد به شرفه، والبيت الثاني أرادَ به نفسه.

ثم جاء بعده ببيت في غاية الجودة، ولكنّه أساء من حيث أجاد، لأنه عرَّض نفسَه لِغَضبِ كلّ سيّدٍ شريفٍ ماجدٍ، من خليفةٍ إلىٰ ما هو دُونَه، وهو قوله:

أوَ ما رأيتَ المَجْدَ ألقى رَحْلَه ❊ في آل طَلَحةَ ثُمَّ لَم يتحوّلِ[3]

فلما سمع هذا البيت بعض من له فهم من الخلفاء والملوك وكبار الأمراء ـ وهو في القصيدة المعشوقة[4]، التي يصف فيها الفرس والسّيف، وهي من أشهر شعره، والنّاس أكثر لها رواية، وقد ذكر دعبل منها في [٣٤س] كتاب «الشعراء» الذي ألفه عِدّة أبيات ـ كان بِودِّه أن يقولَ لَهُ: اذهبْ فالتَمسِ الجَدوىٰ

(١) ديوانه: ٣/١٧٤٤، والممدوح هو محمد بن علي بن عيسىٰ القمي الكاتب، وفي: «من عُلوٍّ» وهو بيِّن الفساد.

(٢) في «س»: «فبينما»، سبق قلم.

(٣) ديوانه: ٣/١٧٤٤.

(٤) التي أحبها الناس وعشقوها.

من الموضِع الذي ألقىٰ المجدُ فيه رَحْلَهَ، ولم يتحوّلْ عنه.

وقال البحتريُّ[(١)]:

لبنـــي مَخْلَــدٍ علــى كُــلِّ حَــيٍّ ❊ أَثَــرٌ مــن عطَــائِهم لَــيس يَعفُــو

مجــدُهُمْ فــوقَ مجــدِ مــن يَتعــاطى ❊ سَــعْيَهم، والسَّــماءُ لــلأرضِ ســقفُ

وهذا ـ لَعمري ـ حسَنٌ جِدًا، ومِثْلُه قول عُمَارَةَ بن عَقيلٍ[(٢)]:

همُ الأُفق فوقَ النَّاسِ والنَّاسُ تَحتَهمْ ❊ وآلُ عُبيــــدِ اللهِ فيــــه كَواكِبُــــهْ

وأجودُ من هَذا قول التّياحِ بن مالك البَجَلِيّ[(٣)]:

لكـــلِّ أُنـــاسٍ بلْـــدَةٌ يســـكُنُونَها ❊ وأنـــتمْ سَـــماءٌ فوقَهـــا ونجُومُهـــا

وقال في ابن ثوابة[(٤)]:

يفــوتُ احتفــالَ القــومِ أوَّلُ عَفْــوِهِ ❊ وقــدْ بلَغُــوا أو جــاوَزُوا آخِــرَ الجُهْــدِ

مُخَفَّضَــةً أَقْــدارُهم تحــتَ قَــدْرِهِ ❊ كما انخَفَضتْ سُفْلىٰ تِهامَةَ عن نَجْدِ

ومثلُ قولِ أبي تمّام:

...   . ❊ قالــتْ لــه الأُخــرى: بَلَغْــتَ تَقَــدَّمِ

---

(١) ديوانه: ٣/١٣٧٣.

(٢) لم أقف على البيت.

(٣) حماسة ابن الشجري ص ٣٧٠، وفيها: «النباج» بالموحدة الفوقية فالموحدة التحتية فألف فجيم.

(٤) ديوانه: ٢/٧٥٠، وابن ثوابة هو: أحمد بن محمد بن ثوابة بن خالد الكاتب، أبو العباس، كان من جِلَّة الكتاب وأعيانهم، له الرسائل الحسنة والنظم الجيد، روىٰ عنه أحمد بن أبي طاهر والمبرد وغيرهما، ويقال إن أصلهم نصارىٰ، وكانت بينه وبين أبي الصقر إسماعيل بن بلبل عداوة وشحناء، وتقلد في أيام وزارته بابل وسورا وتوفي سنة ٢٧٣. «معجم الأدباء: ٤/١٤٤ والفهرست ص ١٤٣ والوافي بالوفيات ٧/ ٣٦٨».

قولُه أيضًا في أبي دلف[1]:

إذا ارتقَىٰ طودَ مَجدٍ ظَلَّ في نَصَبٍ ❊ أو يَرتَقِي من سِواه ذِرْوةً شعفا
جَمُّ التَّواضُعِ والدنيا بسُؤْدَدِهِ ❊ تكادُ تَهتَزُّ من أطرافِها صَلَفا

وهذا أحسنُ جِدًّا، وقد ذكرتُه فيما قَبلَ هذا البابِ، وذكرتُ معنَىٰ «الصَّلَفِ»[2].

ثمّ قال بعد هذا وأساءَ وقَبَّحَ[3]:

لو لم تُفَتِّ مُسِنَّ المَجِد من زَمَنٍ ❊ بالبَأسِ والجودِ كانَ المَجدُ قَد خَرِفَا

وهذا ممّا عابَه به النّاسُ كُلهُّمْ[4].

وأَقبَحُ من هذا ما قالَه في مُحمدِ بن المُسْتَهِلِّ[5]:

أبوكَ شقيقٌ لم يَزلْ وهْوَ للنّدى ❊ شقيقٌ وللملْهوفِ حِرزٌ ومُعْقِلُ
أفادَ من العليا كُنوزًا لو أنَّها ❊ صوامِتُ مالٍ مادرَى أينَ تُجْعَلُ

كان يَجعلُها حيثُ تُجْعلُ كنوزُ الأموال تحتَ الأرضِ، وسُقَّاطُ الشُّعراءِ لا يَرضَونَ لأنفسهم[6] بمثل هذا، وأظنّه سَمِع قولَ كُثَيِّرٍ[7]:

ولو أنَّ حُبِّي أُمَّ ذي الودعِ كُلَّهُ ❊ لأهلِك مَالٌ لم تَسَعْهُ المَسارِحُ

(١) ديوانه: ٢/٥٢، والتبريزي: ٢/٣٦٣ وفيهما: «علا طود»، «يعتلي».
(٢) انظر: ص٢١٠ من هذا الجزء، وفي ديوانه: «تهتز من أعطافه».
(٣) ديوانه: ٢/٦٨ وشرح التبريزي: ٢/٣٧٥.
(٤) انظر الموشح ص ٤٧١.
(٥) ديوانه: ٢/٢٩٩ وشرح التبريزي: ٣/٧٤ وفيهما «قال يمدح أبا المستهل محمد بن شقيق الطائي».
(٦) في «س»: «لا يرضون أنفسهم».
(٧) ديوانه: ص ١٨٤.

أرادُ: لو أنّ حبّي يا أُمَّ ذي الودع كُلَّه مالٌ، أي: إبِلٌ، «لم تَسعْهُ المسارِح»، أي: المواضِعُ التي تسرحُ فيها، وهذا معنىً لا حلاوة فيه، فنقله أبو تمّام إلىٰ المعالي والمجد، وجاء به علىٰ أقبح لفظ وأهجنه وأسخفه، ثم أتىٰ بعد ذلك ببيت جيّد، إلا أن فيه لفظة هي حشو، وليست حشوًا علىٰ مذهبه وذلك قولُه:

فحسب امرئٍ أنت امرؤٌ آخِرٌ له ❊ وحَسْبُكَ فخرًا أنَّهُ لَكَ أوَّلُ

[٣٥س] فقال: «أنت امرؤٌ»، و«امرؤٌ» مُسْتغْنًى عنها.

وقال البحتريُّ في وصف مُحمد بن يوسف[١]:

أَغرُّ إذا عُدَّتْ مَناقِبُ فِعْلِهِ ❊ توهّمت أنَّ الحقَّ مِنْهُنَّ بَاطِلُ
وإن جاءَنا يَحكي أبَاهُ فَلَم تَزلْ ❊ لَهُ مِن أبيهِ شيمةٌ وشَمائِلُ
هما شَرَعٌ في المَكْرُماتِ، فهذِه ❊ أواخِرُ أخلاقٍ، وتلكَ أوائِلُ

وقال البحتريُّ في الفتحِ بنِ خاقانَ، يذكر ابنَهُ[٢]:

ومُلِّيتَ عَيْشًا من «أبي الفتحِ» إنَّهُ ❊ سليلُ العُلا والسُّؤْدَدِ المُترافِدِ
متَى ما تَشِدْ مَجدًا تَجِدْهُ بِهمِةٍ ❊ تَقَيَّلَ فِيها ماجدًا بعد ماجدِ[٣]
وإن يَطَّلِبْ مسعاةَ مَجدٍ بَعيدةً ❊ يَنَلْهَا بجدٍّ أرْيَحِيّ ووالِدِ
كما مُدَّتِ الكَفُّ المُضافُ بَنانُها ❊ إلى عَضُدٍ في المَكْرُماتِ وسَاعِدِ
يَسُرُّكَ في هَدْيٍ إلى الرُّشْدِ ذَاهِبٍ ❊ وَيُرْضِيكَ في هَمٍّ إلى النَّجْمِ صَاعِدِ

---

(١) ديوانه: ١٧٣١/٣.

(٢) ديوانه: ٦٢٦/١، وأبو الفتح هو محمد بن الفتح بن خاقان، ذكره المرزباني في معجم الشعراء ص ٤٠١، وقال «فتىً أديب» وكنيته فيه «أبو الفتوح».

(٣) ديوانه: «متىٰ ما يشد مجدا يشده بهمة».

وقالَ البحتريُّ[1]:

يَبِــين بالفَضــلِ أقــوامٌ فَيَفْضُــلُهُمْ ❖ مُوَحَّــدٌ بِغَرِيــبِ الــذِّكْرِ مُنْفــرِدُ
تَوحَّــدَ القَمَــرُ السَّــاري بِشُــهْرتِهِ ❖ وأَنْجُــمُ اللَّيــلِ نَثْــرٌ حَولَــه بَــدَدُ[2]
أَحْيَتْ خِلالُ «أبي ليلىٰ» «أبا دُلَفٍ» ❖ ومِثْلُـهُ أوجَـدَ الأقـوامَ مـا افْتَقَـدُوا[3]

وقولُه: «أَوْجَد الأقوامَ ما افْتَقَدُوا» في غاية الحُسن والحلاوةِ.

وقولُ أبي تمّام في أبي سعيد[4]:

وبالهَضْــبِ مــن أَبْرِشْــتَويمَ وَدَرْوَذٍ ❖ عَلَـتْ بِـكَ أطـرافُ القَنا فاعْـلُ وازْدَدِ
أفادَتْــك فيهــا المُرْهفَــاتُ مــآثِرًا ❖ تُعَمَّــرُ عُمْــرَ الــدَّهْرِ إنْ لَــم تُخَلَّــدِ

وهذا هو المَدحُ الشَريفُ، الذي لا يدُفَعُ حُسنُه وجودتُه.

وقالَ فيه[5]:

فــافْخَرْ فمَـا مـن سـماءٍ للعُلـى رُفِعَـتْ ❖ إلّا وأفعالُــكَ الحُســنى لهَــا عَمَــدُ

وقالَ في محُمّدِ بن حسَّان الضَّبيِّ[6]:

إذا نــوى الــدَّهْرُ أن يــودِي بتَالِــدِه ❖ لــم يَسْــتَعِنْ غيــرَ كَفَّيْــهِ بــأعْوانِ
لــو أنَّ إجماعنَــا فــي فَضْــلِ سُــؤدَدِه ❖ في الدِّين لم يَختَلِفْ في الأُمَّةِ اثْنَانِ

---

(١) ديوانه: ١/٦٤٦.
(٢) البيتان سبقا في ٣/١٣١.
(٣) «أبو ليلىٰ»: هو الحارث بن عبد العزيز بن دلف، «وأبو دلف»: جد الممدوح.
(٤) ديوانه: ١/٤٣٣، وشرح التبريزي ٢/٢٨، وأَبْرِشْتَوِيَم: جبل بالبر في أذربيجان، دروز: وادٍ لبني سليم، أو ثغر لأذربيجان.
(٥) ديوانه: ١/٤٢٩ وشرح التبريزي: ٢/٢١، وفيهما «للندىٰ».
(٦) ديوانه: ٣/٢٧ وشرح التبريزي: ٣/٣١١.

وقال في خالد بن يزيد بن مزيد(١):

طَلَبَتْ ربيعَ ربيعةَ المُمْهِي لهَا ❁ ووَرَدْنَ ظِلَّ ربيعةَ المَمْدُودَا(٢)
ذُهْلِيِّهَا مُرِّيِّهَا مَطَرِيِّهَا ❁ يُمنَى يدَيْها خالدَ بنَ يَزِيدَا
بَكْرِيِّهَا عَلَوِيِّهَا صَعْبِيِّها الـ ❁ ـحِصْنَّى شَيْبَانِيِّها الصِّنْدِيدَا
نَسَبٌ كأنَّ عليه من شَمْسِ الضُّحى ❁ نُورًا ومن فَلَقِ الصَّباحِ عَمودا
عُريانُ لا يَخْبُو دلَيلٌ من عَمًى ❁ فيهِ ولا يَبْغِي عَليهِ شُهُودا(٣)
[٣٦س] شَرفٌ على أُولَي الزَّمانِ وإنَّما ❁ خَلَقُ المَناسِبِ ما يكونُ جَديدا(٤)
لو لمْ تَكُنْ من نَبْعَةٍ نَجْدِيَّةٍ ❁ عُلْوِيَّة لَظَننْتُ عُودَكَ عُودَا(٥)

قولُهُ: «المُمْهِى لها» أي: الذي هو غِياثُها، يقال: قَدْ أماهَ وأمْهىٰ، إذا أكثر من سَقْيِ المَاءِ، وقولُه: «عُريانُ» يعني النَّسبَ مكشوفًا لا سِتْرَ عليه.

وقولُه: «لا يخْبُو» أي: لا يخبو نورُه «دَلِيلًا»(٦)، أي: لا يَخْبُو في حالِ دلالَتِه علىٰ نَفْسِه.

«من عَمًىٰ فيهِ» أي: من ظُلْمَةٍ أو شَكٍّ «ولا تَبغِي عَليهِ شُهُودَا».

وهذا بيت رديء، وما كانت به إليه حاجة مع قوله: «نَسبٌ كَأنَّ عليه من

(١) ديوانه: ٤٠٥/١ وشرح التبريزي: ٤٠٥/١
(٢) ديوانه: «فتفيّأت ظلًّا لها ممدودا».
(٣) ديوانه وشرح التبريزي «لا يكبوا».
(٤) شرح التبريزي: «أن يكون جديدا».
(٥) في التبريزي: عَلَويّة: وقال: يعني من عليّ بن بكر بن وائل، وروىٰ الصولى «عُلْويّة» وقال: عُلْويّة: مرتفعة.
(٦) في «س»: «لا تخبو عليه ليلًا».

شمس الضُّحىٰ نُورا»، وهذا أجود بيت فيها، وأجود ما وصف به النَّسبُ الشريفُ، وسائرُ الأبيات رديء، ولا طائلَ فيه[1].

وقولُه: «لظننتُ عودَك عودًا» من عِثَارَاتِهِ.

وقالَ في عبد الله بنِ طاهر[2]:

سما لِلْعُلىٰ من جَانِبيهَا كِلَيْهما ❊ سُموَّ عُبَابِ المَاءِ جَاشَتْ غَوارِبُه

قولُهُ: «من جانبيها كِلَيْهما» لَمْ يُفدنا «بكليهما» فائدة، لأنّ أحدًا لم يكن يَظُنُّ أنَّه سما لها من جانبٍ واحدٍ.

والتَّوكيدُ ـ لَعمري ـ غيرُ مُنْكَر ولكنَّه يكون في موضعٍ أحسنَ منه في غيرِه ولو قالَ: سما للعُلىٰ حتَّىٰ علا ذُرْوَة العُلىٰ لكان هذا أشْبَه بمذْهَبِه، وأظنّ أنَّه أخذ هذا من قولِ امرئِ القيس:

سموَّ حبابِ المَاءِ حَالًا على حالِ[3]

ولكنّ الجَيّدَ النَّادِرَ قولُه في خالد بن يزيدَ أبياتًا جيّدة[4]:

هَصورُ المَعالي لا يَزيدُ أذالَهُ ❊ ولا مَزيدٌ ولا شريكٌ ولا الصُّلْبُ

ولا مُرَّتَا ذُهْلٍ ولا الحِصْنُ غَالَه ❊ ولا كَفُّ شأويه عَلِيٌّ ولا صَعْبُ

مَضَوا وهُمْ أوْتادُ نَجْدٍ وأرْضُها ❊ يُرَوْنَ عِظَاما كُلمَّا عَظُمَ الخَطْبُ

وما كانَ بين الهَضْبِ فَرْقٌ وبَيْنَهَم ❊ سِوَى أَنَّهُمْ زَالُوا ولَمْ يَزُلِ الهَضْبُ

---

(١) في «س»: «والطائل فيه» تحريف.

(٢) ديوانه: ٢٩٤/١ وشرح التبريزي: ٢٢٧/١.

(٣) ديوانه ص١٢٤ وصدره: «سموت إليها بعد ما نام أهلها».

(٤) ديوانه: ٢٦٨/١، وشرح التبريزي ١٨٢/١، وفيهما «مصون».

لهم نَسَبٌ كالفَجْرِ ما فيهِ مَسْلَكٌ ❊ خَفيٌّ ولا وادٍ عَنُودٌ ولا شِعْبُ
هو الإضحِيانُ الطَّلْقُ رَفَّت فُروعُهُ ❊ وطالَ الثَّرى من أَصْلِه وزَكا التُّرْبُ(١)
فَيا وَشَلَ الدُّنيا بِشَيبَانَ لا تَغِضْ ❊ ويا كَوْكَبَ الدُّنيَا بِشَيْبَانَ لا تَخْبُو(٢)
فما دَبَّ إلّا في بُيوتِهِمُ النَّدى ❊ ولم تَرْبُ إلّا في حُجُورِهِمُ الحَرْبُ
أولاك بَنُو الأحْسَابِ لَولا فَعالُهُمْ ❊ درجن فَلَمْ يُوجَد لِمَكْرُمَةٍ عَقْبُ
جُعِلْتَ نظامَ المَكْرُماتِ فلَمْ تَدُرْ ❊ رَحى سُؤْدَدٍ إلّا وأنْتَ لهَا قُطْبُ
إذا افتخرتْ يومًا ربيعةُ أَقْبَلتْ ❊ مُجَنَّبَتَيْ مَجْدٍ وأنْتَ لهَا قَلْبُ
يَجِفُّ الثَّرى مِنْها وتُرْبُكَ لَيِّنٌ ❊ ويَنْبُو بِهَا مَاءُ الغَمامِ وما تَنْبُو

لَوْ لم يقلْ أبو تمَام غيرَ هذه القصيدةِ لكانَ بها شاعِرًا مُحْسِنًا مُقدَّمًا.

[٣٧س] قوله: «وادٍ عَنودٌ»، فالعَنُودُ هَا هُنا: المُعوجُّ، العادِلُ عن الوضُوحِ، وقدْ عَنَدَ فُلانٌ عن الحَقِّ: عدلَ، والمُعانَدَةُ: أن تَعدِلَ عنه، ويَعْدِلَ عَنْك، والعَنُودُ مِنَ الإبِلِ: الذي لا يُخَالِطُها، إنما هو أبدًا في ناحيةٍ منها.

و«الشِّعْبُ»: كُلُّ فُرْجةٍ بين جَبلين، يريدُ أنه نَسبٌ عالٍ على كلِّ شيءٍ،

---

(١) في «س»: رقت بالقاف، وانظر الشرح بعد الأبيات، قال ابن المستوفي: وأنشد ابن القاسم الحسن بن بشر الأبيات وقال: «قوله: «له نسب كالفجر» أي معروف مشهور مضيء، وقوله ما فيه مسلك خفيّ أي: ليس فيه شيء يدق ويخفى حتى يحتاج إلى سؤال وتعرف، والإضحيان يقال: يوم إضحيان، وليلة إضحيانة إذا لم يكن فيهما غيم وكانا مشرقين مضيئين، ويروى: «رفت فروعه» من الرفيف أي لمعت وبرقت من الندى والطل» النظام ج١ لوحة ٩١، وفي ديوانه وشرح التبريزي «من تحته» ورواية الموازنة ذكرها ابن المستوفي في المصدر السابق.

(٢) في ديوانه وشرح التبريزي «لا تخب»، وانظر رأي المرزوقي في إثبات الواو ورد ابن المستوفي في النظام ج٢ لوحة ٩٢.

وظاهرٌ غيرُ بَاطنٍ.

و«الإِضحِيَانُ»: المُضِيءُ الشديدُ البَياضِ.

و«الطَّلْقُ»: يقالُ: لَيلَةٌ طَلقةٌ إذا كانَت مُقْمِرة، عن يعقوبَ[1]، وقالَ غيرُه إذا لم يكن فيها ريحٌ ولا شيءٌ مُؤذٍ.

و«رَفَّتْ[2] فرُوعُهُ» لمَعت من غَضَاضَتِها وحُسْنِها.

قولُهُ: «فيا وَشَل الدّنيا» فالوشَلُ الماءُ القليلُ، وما قَطر من شَيءٍ فهو وَشَلٌ، وقد عِيبُ بهذا، وقيلَ: ما كان ينبغي أن يجعلَه وشَلًا، بل كان يجبُ أن يجعله بحْرًا.

وما ذهبَ عندي في هذا إلّا إلىٰ مذهب صحيح، لأنّ العربَ تجعلُ النُّطفةَ الماءَ الكثيَر، والماءَ القليلَ، ويقولونَ: وصلنا إلىٰ هذه النُّطفةِ، يعنونَ البحرَ، وإنما ذلك تقليلٌ علىٰ وجه التكثيرِ والتّعظيمِ، ومثلُ هذا كَثيرٌ شائِعٌ في كَلَامِهم، فأخرجَ أبو تمّام الوشَل ها هُنا مخرَج التّعظيم، والله أعلم، لأنَّه يعلمُ أنّ الوشلَ الماءُ القليلُ، وذلك قولهُ في بابك[3]:

بُحْرٌ مِنَ المكروهِ عَبَّ عُبَابُهُ ❊ ولَقَد يُرَى وشَلًا مِنَ الأَوْشَالِ[4]

---

(١) هو أبو يوسف بن إسحاق المعروف بابن السّكيت وفي كتابه «تهذيب الألفاظ» ص ٤٠٢: «ليال طوارق إذا كنّ مقمرات».

(٢) في «س»: «رقت» بالقاف والشرح علىٰ «رفّت» بالفاء فأثبتها.

(٣) بابك الخرمي الذي ادعىٰ أن روح جاويدان حلت فيه وكان ابتداء أمره سنة ٢٠١، وخرج في «البذ» وأباح المحرمات من النكاح وغيره، واعتقد بالتناسخ، حاربه المأمون ولم يظفر به، ثم وجه المعتصم إليه الأفشين «حيدر بن كاوس» سنة ٢٢٠ ومعه محمد بن يوسف فحاربه، واقتتلوا قتالا شديدا وعظيما حتىٰ هزمه سنة ٢٢٢، وفتح مدينته «البذ» وخربها واستباحها المسلمون، وصُلب بابك في سامراء، وأرسل أخوه عبد الله إلىٰ بغداد فصلب فيها، «الكامل والطبري حوادث سنة ٢٠١ ـ ٢٢٢».

(٤) ديوانه: ٢/٢٠٧ وشرح التبريزي: ٣/١٣٣ وفيهما «ولقد بدا».

وقد أساءَ عندي في قَوْله:

فمــا دبَّ إلا فــي بيــوتِهمُ النَّــدى

كإساءةِ البحتريِّ في قولهِ:

أو مــا رأيــتَ المجــدَ أَلقَــى رَحلَــهُ ❁ فــي آلِ طَلْحَــةَ ثُــم لــم يَتَحــوَّلِ

وأعظمُ إساءةً منه أبو تمّام، لأنّه إنما ذكر النّدىٰ وهو طائِيٌّ، فأيُّ شَيءٍ تَرَكَ لحاتِمٍ، ودعْ ما سِواه، وفي المدح مُتَّسع لمن يريد المبالغةَ والإِغراق، ولا يخصُّ واحداً بفضيلةٍ دون الناس جميعاً.

وقال في عُمر بن طَوْقٍ[1]:

لَكِــنْ بَنُــو طَــوْقٍ وطَــوْقٌ قَــبْلَهُمْ ❁ شَــادوا المَعــالِي بالبِنَــاءِ الأَغْلَــبِ

فَسَــتَخْرَبُ الــدُّنيا وأبنيــةُ العُلــى ❁ وقِبــابُهم جُــدُدٌ بهــا لَــم تَخْــرَبِ[2]

رُفِعَــتْ بأيّــام الطِّعــانِ وغُشِّــيَتْ ❁ رَقْــرَاقَ لَــوْنٍ للسَّــماحَةِ مُــذْهَبِ

يــا طالبًــا مســعاتَهم لينالَهــا ❁ هَيْهــاتَ مِنــكَ غُبــارُ ذاكَ المَوكِــبِ

أنــتَ المُعنَّــى بــالغَوانِي تَبْتَغِــي ❁ أقصــى مَودَّتِهــا بِــرَأْسٍ أَشْــيَبِ

وَطِيَء الخطـوبَ وكَـفَّ مـن غلوائهـا ❁ عُمَـرُ بـنُ طَـوْقٍ نَجْـمُ أَهْـلِ المَغْـرِبِ

مُلْتَــفُّ أعْــراقِ الوَشــيج إذا انْتَمــى ❁ يــومَ الفخَــارِ ثَــرِيُّ تُــرْبِ المَنْصِــبِ[3]

فــي مَعْــدَنِ الشَّــرَفِ الــذي مــن حَلْيِــهِ ❁ سُــبِكَتْ مَكــارِمُ تَغْلِــبِ ابنــةَ تَغْلِــبِ

قال: «تَغْلِبَ» لأنها اسمُ القبيلةِ، وهي ابنة تَغْلِبِ، الذي نُسِبَتْ إليه.

---

(١) ديوانه: ١/٢١٧ وشرح التبريزي ١/٩٧، وفيها: «بالثناء الأغلب».

(٢) ديوانه وشرح التبريزي «وقبابها»، ديوانه فقط «جدد بهم».

(٣) في «س»: «تراب» تحريف، والتصحيح في ديوانه والتبريزي.

[٣٨س] وقال البحتريُّ في أبي الخَطّابِ الطّائي[١]:

وُصِلَتْ «بنو عُمْرَان» يومَ فخَارِه ❁ بَمناقِبِ طائِيَّةِ الأنْسَابِ
قَومٌ يَضِيمُوَن الجِبالَ وقد رَسَتْ ❁ أعلامُهـا بِرَجَاحَةِ الأَلْبَابِ
سَحَبوا حَواشِي الأتْحَمِيِّ، وإنّمَا ❁ وَشْيُ البُرودِ على أسودِ الغَابِ
نَزلُوا من الجبلينِ حيثُ تعلَّقَتْ ❁ غُرُّ السَّحائِبِ من رُبَى وهِضَابِ[٢]
مُستمسكينَ بَأوَّلِيَّةِ سُؤْدَدٍ ❁ وبِمَنْصِبٍ في «أسْودانَ» لُبَابِ
يَسْتحدِثُونَ مكَارِمًا قد أَحْسَروا ❁ فيها نُفُوسَهُمُ مِنَ الإتعابِ
فكأنَّما سَبَقَوا إلى قِدَمِ العلا ❁ في الغَوثِ أو غَلبُوا على الأَحْسَابِ[٣]

«أَسَودانُ» هو: نبهانُ بنُ عمروِ بن غَوثٍ بن طيءٍ[٤].

وقال البحتريُّ في أبي الحسن بن عبد الملك بن صالح[٥]:

أخذوا النبوَّةَ والخِلافَةَ فانثَنَوْا ❁ بالمَكْرماتِ كَثيرِها وقَلِيلها
لو سارتِ الأَيَّامُ في مَسْعاتِهِم ❁ لتنالَها، لَتَعطَّفَتْ في طُولِها[٦]

وقال في ابن بِسْطَام[٧]:

أَخٌ لي متى اسْتَعْطَفْتُهُ أو جَفَوْتُهُ ❁ فنفسي إلى نفسي أَظَلُّ أَمورُها

---

(١) ديوانه: ٢٩٦/١، والممدوح هو الحسن بن محمد الطائي «انظر هامش الديوان».
(٢) الجبلين: جبلا طيء، أجا وسلمى.
(٣) ديوانه: «وكأنما»، «في القرب».
(٤) انظر جمهرة النسب ص ٤٠٣.
(٥) ديوانه: ١٧٦٧/٣.
(٦) ديوانه: «لتقطّعت».
(٧) ديوانه: ١٠٠٠/٢، وفيه: «أو حنوته»، «أظل أصورها»، أي أميلها.

إذا ما بَدا أَخلى المعالي دَخيلُها ❊ وأَنسى صغيرَ المَكْرُماتِ كَبيرُها

إذا ذُكِرَتْ أسلافُهُ وتُشُوهِرَتْ ❊ أَمَاكِنُها قُلتَ النَّجومُ قبورُها

وما المَجْدُ في أَبْناءِ «جُرْدانَ» إذ رسَا ❊ بعاريةٍ ينوى ارْتجاعًا مُعِيرُها[1]

إذا ماتَتِ الأَرضُ ابْتَدوْهَا كأنَّما ❊ إليهِمْ حَيَاها، أو عَليهِمْ نُشُورُها

ودونَ عُلاهُمْ للمُسامِينَ بَرْزَخٌ ❊ إذا كَلَّفَتْهُ العِيرُ طالَ مَسيرُها[2]

«البرزخُ» ها هنا: ما بين السّماء والأرض، وكلُّ ما حجزَ بين الشيئينِ فهو برزخٌ، وناهيك بهذا مَدحا، وحسبُك بهذا الشرفِ شَرَفًا.

والبحتريُ أحذقُ النَّاس بمدحِ أشْرافِ العَجمِ، وذِكْرِ مناقِبِهِم، ومن ذلك ما قال [حين] مدح أَحْمدَ بنَ عليّ[3]:

صَافِ أمثالَ أحمَدَ بنِ عَليّ ❊ تَعْتَرِفْ فَضْلهُ عَلى مَنْ تُصافِي

أرْيَحِيٌّ إمَّا يوافِقُ ما تَهْـ ❊ ـوى وإمّا يكفيكَ شرَّ الخِلافِ

همّةٌ تَرذُلُ الدَّنايا ونفسٌ ❊ شَرُفَتْ أن تَهُمَّ بالإشرافِ

وعُلاً في الصَبَهْبَذِينَ وَدِدْنَا ❊ أَنَّها في الزُّيودِ والأعْوافِ[4]

قَدَّمتْهُ قوادِمُ الرِّيشِ مِنْهُمْ ❊ حينَ خاسَتْ بآخرينَ الخَوافِي

رَهْطُ سابورَ ذِي الجُنودِ وطُلَّا ❊ بُ مَساعي سابور ذِي الأكْتَافِ[5]

---

(١) «جردان» بلد قرب كابلستان بين غزنة وكابُل، وفي ديوانه «جرزان» وهو اسم جامع لناحية بأرمينية قصبتها تفليس «معجم البلدان ٢/١٢٤ ـ ١٢٥».

(٢) ديوانه: «العيس».

(٣) ديوانه: ١٣٨٣.

(٤) الصَّبَهْبَذِينَ: أي أمراء الأعاجم، الزيود والأعواف عنىٰ بهم العرب.

(٥) سابور ذو الجنود: سابور بن أردشير بن بابك، أول الملوك الساسانية «٢٤١ ـ ٢٧٩م».=

عَمِـــرُوا يُخْلِفُـــونَ بَاطِـــلَ مـــا ظَـــنَّ (م) العِـــدَى بالثِّقَـــافِ قبـــلَ الوِقَـــافِ(١)

[٣٩س] إن بلونـــاك كنتَ واحِـــدَ آحـــا ✤ دٍ لهــــم كَثْـــرةٌ علـــــى الآلافِ

وهذا حَسَنٌ جِدًّا.

وقال في بني الفيّاضِ(٢):

يَـرْذُلُ البَحْـر فـي بحـورِ بني الفَيَّـــ (م) ـــاضِ إذ جُشْـــنَ بـــالنَّوالِ فَفُضـــنا

واسِـــطُو سُـــؤْدَدٍ فلـــيسَ يُنَـــادَوْ (م) نَ إلَـــى المجـــدِ مـــن هُنَـــاك وهُنَّـــا(٣)

نزلـــوا رَبـــوةَ العِـــراقِ ارْتيـــادًا ✤ أيُّ أرضٍ أشَـــفُّ ذِاكـــرًا وأسْـــنى

بـــين دَيْـــرِ العَـــاقولِ مُرْتَبَـــعٌ يُشْـــ ✤ ـــرِفُ مُحْتَلَـــةٌ إلـــى دَيْـــرِ قُنَّـــى(٤)

حيـثُ بـاتَ الزيتـونُ مـن فوقِـهِ النَّخْـ ✤ ـــلُ عليـــهِ وُرْقُ الحَمـــامِ تَغنَّـــى

مـــا المســـاعِي إلا المكـــارِمُ تُرْتَـــا ✤ دُ وإلّا مَصـــانعُ المجـــدِ تُبْنـــى

وقالَ في بني الجراحِ(٥):

لأُخْبِرَنَّـــكَ عـــن «بنـــي الجـــراحِ ✤ »وعَتَـــادهِمِ مـــن سُـــؤْددٍ وسَـــماحِ

= سابور ذو الأكتاف: سابور بن هرمز بن سرىٰ بن سابور بن أردشير وهو سابور الثاني، قاتل العرب ونزع أكتاف رؤسائهم فسمي ذا الأكتاف، «انظر الطبري ٢/٤٤ وما بعدها».

(١) ديوانه: «بالوِقاف قبل الثِّقاف»، الوقاف في الحرب: أن يقف كل محارب مع الآخر، الثقاف: الملاعبة بالسيف.

(٢) ديوانه: ٤/٢١٤٧، والممدوح هو علي بن محمد بن الحسين بن الفياض.

(٣) هنّا: أي هاهنا.

(٤) دَيْر العاقول، ودَيْر قنّىٰ: ديران علىٰ دجلة بينهما بريد، وبين دير قنىٰ ودجلة ميل ونصف، «الديارات للشابشتي ص ٢٦٥».

(٥) ديوانه: ١/٤٧٦ والجراح هو جدّ الحسين بن مخلد.

ومكـانِهِمْ مـن «فـارسٍ» حيـثُ الْتَقَـتْ ✿ غُـرَرُ الجِيَـادِ تُعَـانُ بالأَوْضَـاحِ[1]
مـن بَيـتِ مَكْرُمـةٍ وعـزِّ أَرُومَـةٍ ✿ بَسْـلٍ عَلـى المُتَغَلِّبِـينَ لَقَـاحِ[2]
وَرِثُـوا الكِتَابَـةَ والفُروسَـةَ قَبْلَهـا ✿ عَـنْ كُـلِّ أبـيضَ مِـنْهُمُ وَضَّـاحِ
بِصُـدورِ أقْـلامٍ تَـرُدُّ إِلَـيْهِمُ ✿ شَـرَفَ الرِّياسَـةِ، أو صُـدورِ رِمَـاحِ

وقالَ في أحمد بن محمّد[3]:

أعـدَدتُ وُدَّ أبـي نصـر ونُصْـرَتَهُ ✿ لِشَـكَّةِ الـدَّهْرِ مـن نَـابٍ وأُظْفُـورِ
تَنازَعَتْـهُ ملـوكُ العُجْـمِ وارِثَـةً ✿ عن «شِمْرَ يَرْعَش» فخرًا جِدَّ مَذْكُورِ[4]
مُـرَدَّدٌ مـن قـديمٍ فـي نَبَـاهَتِهِمْ ✿ كالمشتري لم يكن مستحدث النّورِ

وقال[5]:

لِيَهْنِـئْ «بنـي يـزداد» أَنَّ أَكُفَّهُـمْ ✿ خَلائِـفُ أَنْـواء السَّحابِ الـرَّواجِسِ
ذَوي الحَسـبِ الزَّاكـي المُنيـفِ عُلُـوُّه ✿ على النَّاسِ، والبيتِ القديمِ القُدامِسِ[6]
إذا رَكِبُـوا زَادوا المواكِـبَ بهجـةً ✿ وإن جلَسوا كانُوا صدورَ المَجالِسِ[7]

---

(١) في «س»: «عور» والتصحيح من الديوان.
(٢) في «س»: «المتاح» والتصحيح من الديوان، بسل: حرام، لقاح: الذين لم يلحقهم سبي ولم يدينوا للملوك.
(٣) ديوانه: ١٠٢٧/٢، وفيه: يمدح حَمْدَ بن محمد بن أبي نصر الكاتب.
(٤) ديوانه: «ملوك السّغد»، وشمر يرعش هو: هو شمّر يرعش بن مالك الحميري القحطاني. وقال ابن قتيبة: هو شمّر بن أفريقش، وسمي شمر يرعش لارتعاش كان به، وغزا فارس ودخل مدينة «الصغد» فهدمها، فسميت «شمر كند»، أي شمر خربها، وكان ملكه مائة وسبعة وثلاثين سنة، «جمهرة النسب» ص٤٣٩ والمعارف لابن قتيبة ص ٦٢٩.
(٥) ديوانه: ١٢٢٤/٢.
(٦) في «س»: «القرامس» تحريف، والقدامس: العظيم.
(٧) ديوانه: «بدور».

بنو الأبحُرِ المَسْجورةِ الفَيْضِ والظُّبا الْـ ❊ ـقَواضِبِ عِتْقًا والأُسُودِ العنَابِسِ[1]

لَهم مُنْتَمًى في «هاشمٍ» بولائِهم ❊ يُوازي عُلاهُمْ في أَرُومَةِ «فَارِسِ»

وأَقلامُ كُتّابٍ إذا ما نَضَضْتَها ❊ إلى نَسَبٍ كانت رماحَ فَوارسِ[2]

يَرَوْنَ لِعَبْدِ الله فَضْلَ مَهابَةٍ ❊ تُطَاطِئُ لحَظْ الأَبْلَجِ المُتَشاوِسِ[3]

يُخَلِّي الرجالُ مجْدَه لا تَرومُهُ ❊ وهُمْ نَابِهو الأَخطارِ شُمُّ المَعَاطِسِ[4]

ولم أرَ مثلَ الفَضْلِ ضَنَّتْ بِغَيْرِه ❊ وعَادَت بهِ نَفْسُ الحَسودِ المُنافِسِ[5]

ولا كالْعَطايَا يَشْرُفُ النَّجمُ ما بنَتْ ❊ وهُنَّ منالٌ لِلْأَكُفِّ اللَّوامِسِ

«أَبا صَالِحٍ» إنَّ المحَامِدَ تلتقي ❊ بسَاحةِ رَحْبٍ من فِنائِكَ آنِسِ[6]

[٤٠س] بحيثُ الثّرى رَطْبٌ يَرِفُّ نَباتُهُ ❊ رَفِيفًا، وعهدُ الدَّهرِ لَيس بِخَائِسِ

فِدَاؤُكَ أبناءُ الخُمولِ إذا هُمُ ❊ أَلاموا، وأربابُ الخِلالِ الخَسائِسِ

وإن كنتَ قد أخَّرْتَ ذِكرَ مَعونَتِي ❊ وألغيت رَسْمِي في الرُّسومِ الدَّوَارِسِ

وقال[7]:

يُنَوِّلُنَا «حَمُولَةُ» من بَعيدٍ ❊ ويَحْرِمُنا رِجالٌ من قَريبِ

---

(١) في «س»: «العبايس»، والتصحيح من الديوان.

(٢) ديوانه: «نصصتها» بالصاد المهملة، ونص الشيء: حركة.

(٣) ديوانه: «الأبلخ» أي المتكبر.

(٤) ديوانه: «يخلّى الرجال مجدكم».

(٥) ديوانه: «مثل المجد»، «جادت به».

(٦) هو أبو صالح بن يزداد.

(٧) ديوانه: ٢٦٢/١، وحمولة هو أبو العباس خمولة وزير آل أبي دلف، اتخذ من قرية بروجرد منزلا لما عظم أمره واستبد بالجبال «معجم البلدان بروجرد».

سَـحابُ الجُـودِ منهـلّ العزَالَـى ❁ وريـحٌ مِنْـهُ صـادِقةُ الهُبُـوبِ
لَـهُ فـي مـارجِ النَّـار انْتِسـابٌ ❁ بأُمَّـاتٍ نَقِيَّـاتِ الجُيـوبِ
سَـرَاةُ الإِنْـسِ والجِنَّـانِ أَدَّتْ ❁ إلـى «جُـوذَرْزَ» نَجْـدتَها و«بِيـبِ»[1]
تَطـولُ لهَـا الأعـاجِمُ حـين يُثْنَـى ❁ وتَعْرِفُهـا القَبَائِـلُ للشُّـعوبِ

وقال البحتريّ في مدح العَجَمِ[2]:

مـا لِلْمكـارِمِ مـا تُريـدُ سِوى «أبِي ❁ يعقـوبَ إسـحاقَ بـنِ إسـماعيلِ»
وإلىٰ «أبي سَهلِ بنِ نوْبخْتَ» انْتَهىٰ ❁ مـا كـانَ مـن غُـرَرٍ لهَـا وحجُـولِ
نَسَبٌ كمَـا اطَّـردَتْ كعـوبُ مُثَقَّـفٍ ❁ لَـدْنٍ يَزِيـدُكَ بَسْـطَةً فـي الطُّـولِ
يُفْضِي إلىٰ «بِيبَ بنِ جُوْذَرْزَ» الذي ❁ شَـهَر المَكـارِمَ بعـد طـولُ خمُـولِ
الـوارِثِينَ مـن السَّـريرِ سَـراتَهُ ❁ عـن رَبِّ كـلِّ تَحيَّـةٍ مَـأْمُولِ[3]
والضـارِبينَ بسُـهْمَةٍ مَعروفَـةٍ ❁ في التَّاجِ ذي الشُّرفَاتِ والإِكْليلِ[4]

---

(١) جوذرز وبيب من آباء الممدوح.

(٢) ديوانه: ١٨٣٥/٣ وإسحاق بن إسماعيل بن نيبخت فارسي الأصل، كان جده الأعلىٰ «نيبخت» منجما عند المنصور، وهو الذي بشّره بمقتل إبراهيم بن محمد بن الحسن سنة ١٤٥، فأقطعه ألفَيْ جريب بنهر جور «الطبري ٦٤٨/٦»، وجده الأدنىٰ «الفضل بن نيبخت» أبو سهل، وكان في خزانة الحكمة لهارون الرشيد، وله نقل من الفارسي إلىٰ العربي، ومعوله في علومه علىٰ كتب الفرس، وكان من أئمة المتكلمين «الفهرست ص ٣٣٣، أخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطي ص ١٦٨»، وكان أبوه إسماعيل ممن يجالسون المأمون، انظر: «بغداد ص ١٦٤، الطبري ١٥١/٩» وانظر هامش ديوان البحتري ١٨٣٥/٣، ويبدو أن إسحاق هذا قد تقلد عملا في الثغور، إذ أن البحتري قال له مادحا في هذه القصيدة:

«أن العواصـم قـد عُصِـمْنَ بـأبيضٍ ❁ مـاضٍ كَحـدِّ الأبـيضِ المَسْـلُولِ»

(٣) ديوانه: «الوارثون»، و«عن كل رب».

(٤) ديوانه: «والضاربون».

وهذا حَسَنٌ جدًّا.

وقال في بني نُوبَخْتَ[1]:

وإذا أبــو الفَضْــلِ اســتعارَ سَــجِيَّةً ❊ لِلْمَكْرمــاتِ فَمِــنْ «أَبَــي يَعْقُــوبِ»
لا يَحْتَــذِي خُلُــقَ القَصِــيِّ ولا يُــرى ❊ مُتَشَــبِّهًا فــي سُــؤْدَدٍ بِغَريــبِ[2]
يُمْضِــي عَزِيمَتَــهُ، ويُوقِــدُ رأيَــهُ ❊ عَزَمَاتُ «جُـوذَرْز» وسَـوْرَةُ بيـبِ[3]
شَــرَفٌ تَتَــابَعَ كَــابِرًا عــن كــابِرٍ ❊ كــالرُّمحِ أُنْبُوبًــا علــى أُنْبُــوبِ

وقد قَالَ بشارٌ نحوَ هذَا:

خُلِقُــوا قــادةً فكــانُوا ســواءً ❊ كَكُعــوبِ القَنــاةِ تَحــت السِّــنانِ[4]
فَهُــمُ خَمْسَــةٌ كَخَمْــسِ مــن الدِّيــ ❊ ــنِ كَفَلْنَــا بِهِــنَّ للــدَّيَّانِ[5]

وهذا هُوَ المعنى الحلْوُ، لا قولُ أبي تمَّام:

«كَثلاثَـةِ القِـدْرِ»[6]

و:

«ثَلاَثَــةٌ كَثلاثَــةٍ»[7]

---

(1) ديوانه: ٢٤٧/١.

(2) في «س»: «ترى» بالمثناة من فوق، والتصحيح من ديوانه.

(3) ديوانه: «تمضي صريمته»، «وتوقد» بالمثناة من فوق.

(4) هذا البيت في ملحقات ديوانه: ٢٣٤/٤، وقد سبق في ٧/٢.

(5) كذا في «س»، ولم أجد هذا البيت فيما بين يديّ من مراجع.

(6) يعني قول أبي تمّام:

وثلاثــة القــدر اللــواتي أشــكلت ❊ أأخيرهــا ذو العــبء أم قيــدومها

«ديوانه: ٤٩٠/٢، وشرح التبريزي: ٢٧٤/٣».

(7) يعني قوله: =

وأظنُّ البحتريَّ علىٰ هذا حذا قوله[1]:

فــي فتيـــةٍ طَلَبــوا غُبــارَك إنّــهُ ❖ رَهَــجٌ تَرَفَّــعَ عــن طَريــقِ السُّــؤْدَدِ
كــالرُّمحِ فيــهِ بِضْــعَ عَشْــرةَ فِقْــرَةً ❖ منُقَــادَةً تحــتَ السِّــنانِ الأَصْــيَدِ

وقد أتَىٰ بَشَّارٌ بهذا المعنىٰ في أوصافِ النِّساءِ فقالَ:

ويــكَ إنَّ النِّســاءَ بِيضًــا وأُدْمًــا ❖ صِــبْغةً مِثْــلُ صِــبغَةِ الأَتْــرابِ[2]
[٤١س] كَكُعــوبِ القَنــاةِ مُشْــتَبِهاتٍ ❖ وكــأنَّ الرّبــابَ أخــتُ الرَّبــابِ[3]

وقال البحتريُّ في نحو هذا[4]:

وإذا رأيــتَ شــمائِلَ ابْنَــيْ صــاعدٍ ❖ أَدَّتْ إليــكَ شــمائِلَ ابْنَــيْ مَخْلَــدِ
كالفَرْقَــدينِ إذا تأمَّــلَ نَــاظِرٌ ❖ لــم يَعْــلُ مَوْضِــعُ فَرْقَــدٍ عــن فَرْقَــدِ

وقَالَ في صاعِد بن مَخْلَدٍ[5]:

عقيــدُ المَعــالِي، ماونــت فــي طِلَابِــهِ ❖ لِتَعْلَقَــهُ، ولا ونــى فــي طِلَابِهــا
إذا طَمِــعَ السَّــاعُونَ أنْ يَلْحَقُــوا بِــهِ ❖ تمهَّــل قــابَ العَــيْنِ أو فَــوْتَ قَابِهــا

= بثلاثــــة كثلاثــــة الــــراح اســــتوى ❖ لــــك لونهــــا ومــــذاقها وشــــميمها
«المصدران السابقان».

(١) ديوانه: ٥٤٨/١، وفيه: «نهج ترفع»، «خلف الستان» وقد سبق البيت الثاني في ٧/٢.

(٢) ديوانه:
ويكــــنّ النّســــاء بيضــــا وأدمــــا ❖ صــــيغة بعــــد صــــيغة الأتــــراب
«ديوانه: ٣٦٨/١» وانظر تعليق محقق الديوان.

(٣) ديوانه: «أم الكتاب»، وانظر تعليق محققه.

(٤) ديوانه: ٥٤١/١، وابنا صاعد هما: أبو عيسىٰ العلاء بن صاعد، وأبو صالح، وابنا مخلد: هما صاعد والحسن.

(٥) ديوانه: ٢٣٥/١.

إذا مـــا تَراءَتْـــه العَشِـــيرَةُ طَالعًـــا ❊ عَليهـــا، جَلَـتْ ظَلماءَهـا بِشِـهَابِها
وإن أَنْهضَـــتْهُ كَافِئًـــا فـــي مُلِمَّـــةٍ ❊ من الدَّهرِ، سَلَّت نَصْلهَا من قِرَابِها[1]
إذَا اصْـطَحَبَتْ آلاؤُهُ غَطَّـتِ الرُّبـى ❊ وحُسْـنُ اللَّآلـي زَائِـدٌ فـي اصْـطِحابِها

جاءَ بِهذَا على القَلْبِ، وإِنَّما هو: واصطحاب اللَّآلي زَائِدٌ في حسُنْهِا.

وقال في إسماعيل بن بلبل[2]:

صَـغُرَتْ مقـاديرُ الرِّجـالِ، وقـارَبُوا ❊ في السَّعي حتَى ما تَرىٰ لَك حَاسِدا
لـو نَافَسـوكَ لخالسـوك مـن النَّـدى ❊ مـا يُصْـلِحونَ بـهِ الزَّمـانَ الفَاسِـدَا
تـأبى الألُـوفِ على الألُـوفِ تُـرى لهـا ❊ تَبَعًـا، وتَتَّبِـعُ الألُـوفُ الواحِـدا
[قَعَـدُوا وأيـنَ قِيَـامَ مـن قَـدْ طُلْنَـهُ ❊ شُـرُفاتُ مـا تَبْنِـي ذُرًى وقوَاعِـدَا][3]
ولَقَـد بَرَعْـتَ علـى المُلـوكِ: مَحلـةً ❊ عُلْـوًا، وأَفْنِيـةً يَـرُقْنَ الرَّائِـدَا
وَمـدَدْتَ تَطَّلِـبُ الـذي لـم يَطْلُبُـوا ❊ كفًّـا تُناوِلُـكَ السَّـماءَ وسـاعِدَا

وهذا ـ لَعْمرِي ـ مَدحٌ يَعلُو كُلَّ مَدْحٍ، قوله «شرفات ما تبني» أي: طالته الشُرْفةُ، وطالته القواعدُ أيضًا.

قال في إسماعيل أيضًا[4]:

وَمَكْرُمَـةٍ جَلَّـى «أبـو الصَّـقرِ» طَامِحًـا ❊ إليهـا كمـا جَلَّـى طريدَتَـه الصَّـقْرُ

(١) ديوانه «سيفها».
(٢) ديوانه: ٨٢٥/٢.
(٣) ساقط من «س»، وانظر التعليق على الأبيات.
(٤) ديوانه: ٨٧٤/٢، وفيه «وأكرومة».

تَجاوَزَهــا المغمــورُ لا يَنْثَنِــي لهَــا ❊ بِعِطْفٍ، ويَنْحُو نَحوها النَّابِهُ الغَمْرُ[1]

وقال في ابن المُدَبِّرِ[2]:

ومـا زالـتَ العِيسُ المَراسِيلُ تَنْتَحي ❊ فيُقَضـى إلـى «آل المُـدَبِّرِ» حَاجُهـا
أُنــاسٌ قَــدِيمُ المَكْرُمــاتِ وَجَــدْتُها ❊ لَهُم، وسَريرُ «العُجْمِ» فيهِم وتَاجُها
إذا خَيَّمُوا في الدَّارِ ضَاقَتْ رِبَاعُها ❊ وإن رَكَبُـوا فـي الأرضِ ثـار عَجَاجُهـا
مَلِيُّــونَ أن تُسْــقى الــدِّيارُ غِيَاثُهــا ❊ بــأَوْجُهِهِمْ حتَـى تَســيلَ فِجَاجُهـا

ثمَّ اعْتَدَّ لإبْراهيمَ[3] بما لا شَيءَ أحسنُ مِنْه فقالَ ـ ليس[4] من الباب ـ:

يَــدٌ لَــكَ عَنْــدِي قــد أبَّــر ضِــياؤُهَا ❊ عَلى الشَّمْس حتَّى كَاد يَخْبُو سراجُهَا
فــإن تُتْبــعِ النُّعْمــى بِنُعْمــى فإنَّــهُ ❊ يَـزينُ اللَّآلِـي في النِّظَـامِ ازْدِواجُهـا[5]

وَلِلْبُحترِيِّ افتِنَانٌ في ذِكر السُّؤْددِ والمجد والشرف، ومُلَحٌ كثيرةٌ [٤٢س] مُعْجِبَةٌ، فمن ذلك قوله في أبي جعفر الطّائي[6]:

مُعْطَـى مــن المَجْـدِ، مُـزْدادٌ برغْبَتِـهِ ❊ يَجـري علـى سَـنَنٍ منْـهُ وأسـلوبِ
كـالعَيْنِ مَنْهُومــةً فــي الحُسْــنِ تَتْبَعُــهُ ❊ والأنْفُ يَطْلُبُ أَقصى غَايَةِ الطّيبِ[7]

(١) ديوانه «يجاوزها» بالمثناة من تحت.

(٢) ديوانه: ٤٢٧/١، وفيه «تنبري».

(٣) يعني الممدوح وهو إبراهيم بن المدبّر.

(٤) أي ليس من باب السؤدد والشرف.

(٥) سبق في ٣٧٣/٢.

(٦) ديوانه: ٩٣/١.

(٧) ديوانه «يطلب أعلى مُنتهى الطيب».

وقال في إسحاق بن كنداج(١):

شَــرَفٌ تَزَيَّــدَ بــالعراقِ إلــى الــذي ✤ عَهِـدُوهُ «بالَبْيضـاءِ» أو «بِبَلَنْجَـرا»(٢)

مِثْــلُ الهِــلالِ بــدا فلَــمْ يَبْــرح بــه ✤ صــوغُ اللّيــالي فيــهِ حَتّــى أقْمَــرا

قوله: «صَوغُ اللَّيالِي» من أحسَنِ لَفْظَةٍ، وأوْقَعِهَا في أحسنِ مَوْضعٍ يَليقُ بِهَا.

وقال في مُحمَّد بن حُمْيَدٍ(٣):

«أَبَنِــي حُمْيــدٍ» طــالَ مَجْــدُ مُحَمَّــدٍ ✤ لمَّـــا تَطَـــاوَلْتُمْ لِبُعْـــدِ مَنَالِـــهِ

ولكـــم، وإن لا تَلحقـــونَ بشـــأوِهِ ✤ شَرَفٌ تَظلُّ الشَّمسُ تحتَ ظِلَالِهِ(٤)

لا تَحْسُـــدوه فَضْـــلَ رُتْبَتِـــهِ التِـــي ✤ أعْيَــتْ عَلَــيكُمْ، وافْعلــوا كَفَعَالِــهِ(٥)

مُتَنقِّــلٌ مــن سُــؤْدَدٍ فــي سُــؤْدَدٍ ✤ مِثْــلَ الهِــلالِ جَــرى إلــى اســتِكْمَالِهِ

وقالَ في أبي عامر الخضر بنِ أحمدَ التَغْلبيّ(٦):

وَأَغَـــرُّ يَرفَعُـــهُ أبـــوه وكَـــمْ ✤ لِكَـــريمِ قَـــومٍ مـــن أبٍ يَضَـــعُهْ

إن سَـــرَّكَ اســـتيفاءُ سُـــؤْدَدِهِ ✤ بـــالرَّأْيِ تَبْحثُـــهُ وتَنْتَزِعُـــهْ

---

(١) ديوانه: ٩٧٩/٢ والممدوح: هو إسحاق بن كنداج، أو كندانيق، من أشهر القواد الخزر في عهد المعتمد، «الطبري حوادث سنة ٢٥٩، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٩، ٢٧٣، ٢٧٤، وابن الأثير ٦٣/٦».

(٢) «البيضاء» مدينة مشهورة بفارس، سميت البيضاء لأن لها قلعة تبيّن من بعد ويرئ بياضها، بينها وبين شيراز ثمانية فراسخ، تامة العمارة، خصبة جدا «معجم البلدان، ٥٢٩/١»، «بلنجر»: مدينة ببلاد الخزر خلف باب الأبواب فتحها عبد الرحمن بن ربيعة، أو سلمان بن ربيعة الباهلي، «معجم البلدان ٤٨٩/١».

(٣) ديوانه: ١٧٨٥/٣.

(٤) ديوانه «ولستم لاحقين بشأوه».

(٥) في «س»: «فافعلوا».

(٦) ديوانه: ١٢٥٠/٢.

فانظرْ بعَيْنِكَ أَيَّةً لَحِقَتْ ❊ ضَوءَ الغَزَالَةِ أينَ مُنْقَطَعُهْ[1]

وحَسْبُكَ بهذا حُسنًا وحلاوةً.

ومن أعجبِ ما أتىٰ به في هذا الباب قَولُهُ في عليّ بنِ مُرّ[2]:

وَمُصْعِدٍ في هِضَابِ المَجْدِ طَالِعُها ❊ كأنَّهُ لِسكونُ الجَأْشِ مُنْحَدِرُ[3]

مازالَ يَسْبِقُ حتى قالَ حَاسِدُهُ ❊ لَهُ طَرِيقٌ إلى العلياءِ مُخْتَصَرُ

وقالَ أبو تمّامٍ في عُمَر بنِ عبد العزيزِ الطَّائي[4]:

للهِ درُّ بني عبدِ العَزيزِ فكَمْ ❊ أرْدَوْا عَزيزَ عِدًى في خَدِّهِ صَعَرُ

تُتْلى وصَايَا المَعالي بين أَظْهُرِهِمْ ❊ حَتَّى لقَدْ ظَنَّ قومٌ أنَّها سُوَرُ

بل لَيْتَ شِعْرِيَ من هاتَا مَآثِرُهُ ❊ مَاذَا الذي بِبُلوغِ القَوْمِ يَنْتَظِرُ[5]

وهذا أيضًا جَيِّدٌ حسن.

وقال البُحْتُرِيُّ[6]:

لا تَنْظُرنَّ إلى «الفَيَّاضِ» من صِغَرٍ ❊ في السِّنِّ، وانْظرْ إلىٰ المجدِ الذي شَادَا

---

(١) ديوانه «فاطلب بعينك».

(٢) ديوانه: ٩٥٧/٢.

(٣) ديوانه «يطلعها».

(٤) ديوانه: ١٤٩/١ وشرح التبريزي: ١٨٩/٢، والممدوح عم أبي الخطاب الحسن بن محمد بن عبد العزيز الطائي ممدوح البحتري.

(٥) ديوانه وشرح التبريزي: «يا ليت»، و«ببلوغ النجم».

(٦) ديوانه: ٦١٠/١، والفياض هو أبو الحسن علي بن محمد بن الفياض، من أصل فارسي، من أهل ديرقني، كاتب إسحاق بن كنداج، ولي بعض الأعمال للسلطان في الأنبار «الديارات ص ٣٩٦، وأخبار البحتري ص ١١٧، والطبري ٢٠/١٠»، وما بين الحاصرتين سقط من «س».

إنَّ النّجـومَ- نجـوم اللّيـلِ- أصْـغَرُها ❁ [في العين] أَذْهَبُها في الجوِّ إصعادا

وقال في الطّائيّ أبي جعفر(١):

بَلَــغَ السـيادَةَ فـي بُـدوِّ شـبَابِهِ ❁ إنّ السَّـوادَ مَظَنَّـةٌ للسُّـؤْدَدِ

فـي كـلِّ يـومٍ رُتبـةٌ يَزْدَادُهـا ❁ ومُشـارِفُ النُّقْصانِ مَنْ لَـمْ يَـزْدَدِ(٢)

[٤٣س] وقالَ(٣):

فتًـى لَـمْ يُنَكِّبْـهُ الشَّبابُ عـن الحِجَـى ❁ ولم يَنْسَ عَهْدَ اللَّهوِ والشَّيْبُ شَاغِلُهْ(٤)

إذا سـؤْدَدٌ دانـى لَـهُ مَـدَّ هَمَّـهُ ❁ إلـى سُـؤْدَدٍ نـائِي المَحـلِّ يُزاولُـهْ

تَوَقَّـعُ أن يَحْتَلَّهـا دَرَجُ العُـلا ❁ كَما انْتَظَرتْ أوبَ الهلالِ مَنَازِلُهْ(٥)

وكـم عِـدَّةٍ للمَجـدِ بـادَرَ فَوْتَهـا ❁ وعَـاثِرِ حَمْـدٍ أَعْلَقَتْـهُ حَبائِلُـهْ(٦)

وقال في إبراهيمَ بن الحسنِ بن سهلٍ(٧):

يفـديك قـومٌ لـيسَ يوجَـدُ مِنْهُمُ ❁ فـي الحَمـدِ مَرْئـيٌ ولا مَسْـمُوعُ

خُـدِعُوا عـن الشَّـرفِ المُقـيمِ تظنيًـا ❁ مـنهمْ بـأَنَّ الواهِـبَ المخْـدُوعُ

باتَـتْ خَلائِقُهـمْ علـى أمْـوالِهِمْ ❁ وكـأنَّهُنَّ جَواشِـنٌ ودُروعُ

---

(١) ديوانه: ٢/٦٩٠ والممدوح هو أبو جعفر أحمد بن محمد الطائي، وفيه: «إن الشباب مطية»، وقال محققه في الهامش بعد أن ذكر الرواية الأخرى: «وهذا تحريف».

(٢) ديوانه «ويشارف».

(٣) ديوانه: ٣/١٦٩٤.

(٤) ديوانه «شامله».

(٥) في ديوانه «درَجَ» بالنصب والصحيح ما أثبتُّ.

(٦) ديوانه «وكم غرّة».

(٧) ديوانه: ٢/١٣١٥، وفيه: «في المجد»، وفي «س»: «مرائي».

قَنِعُوا بَمْيسورِ الفَعالِ وأُوهِمُوا ❁ أنَّ المَكارِمَ عِفَّةٌ وقُنُوعُ
كلّا وكلُّ مُقَصِّرٍ مُتَجَهْوِرٍ ❁ عِنْدَ الحَطيمِ طَوافُهُ أَسْبُوعُ
لا يَبْلُغُ العَلْياءَ غيرُ مُتَّيمٍ ❁ بِبلُوغِها يَعْصِي لَهَا ويُطِيعُ

وقال(١):

أَوَمَا تَرونَ الشامِتينَ أَمَامَكُمْ ❁ ووراءَكُمْ من مُضْمِرٍ أو مُظْهِرِ
من غَيرِ ذَنْبٍ جِئْتُموهُ سِوَى عُلاً ❁ زُهْرٍ لِجَدِّكُمُ الأغَرِّ الأَزْهَرِ
فكأنّمَا شَرفُ الشريفِ إذا انْتَمى ❁ جُرمٌ جناهُ إلى الوضيعِ الأَصْغَرِ

وقال البحتريُّ في إسماعيل بن بلبل، وهو من بني شيبان(٢):

سَيَجْبُرُ كَسْرِي «المَصْقَلِيُّونَ»(٣) إِنَّهُمْ ❁ بهمْ تُدْفَعُ الجُلَّى ويُجْتَبَرُ الكَسْرُ
فما تَتَعاطى ما يَنالونَهُ يَدٌ ❁ ولا يَتَقَضَّى ما يُنِيلُونَهُ شُكْرُ(٤)
إذا اتَّجَرُوا في سُؤْدَدٍ وتَزَايَدُوا ❁ فأَنْفَقُ ما أَبْضَعْتَ عندهُمُ الشِّعْرُ(٥)
يُجازِي القَوافِي بالأَيادِي مُبِرَّةً ❁ تَضاعِيفُها عن كُلِّ وَاحدةٍ عَشْرُ(٦)

---

(١) ديوانه: ٢/١٠٣٢.

(٢) ديوانه: ٢/٨٧٢.

(٣) المصقليون: نسبة إلى مصقلة بن هبيرة الشيباني، كان عاملا لعلي، ابتاع بني سامة من لؤي وأعتقهم وفرّ إلى معاوية وولاه معاوية «طبرستان» فسار إليها بجيش كبير، وتوغل فيها دون أن يؤمن خطوطه الخلفية، فأخذها عليه العدو بعد عبوره المضايق، ورموه بالحجارة فقتلوه، وهلك أكثر جيشه. ويقال في المثل: «حتى يرجع مصقلة من طبرستان»، «المعارف ص ٤٠٣، ومعجم الشعراء ٤٤٧، وجمهرة أنساب العرب ص ٣٢١، مروج الذهب ٢/٤١٩، ومعجم البلدان ٤/١٥».

(٤) في الديوان «يتقصى» بالصاد المهملة.

(٥) ديوانه «إذ تجروا».

(٦) ديوانه «في كل...».

وما سَوَّدَ الأَقْوامُ مِثْلَ «عُمَارَة» ✿ إذا نُسِيَ الأقوامُ شَاعَ لهمْ ذِكْرُ[1]

تَجَنَّبْ سواهم لِلْعُلَا واتّبَاعِهَا ✿ بِسَعْيٍ وعَرِّسْ حيثُ أَدرَكَكَ الفَجْرُ[2]

وقال في الهَيْثَمِ بن عثمانَ الغَنَوِيّ[3]:

لا يَقْتُلُ الحُسَّادُ أَنْفُسَهمْ فَقَدْ ✿ هَتكَ الصَّباحُ دُجى الهَزيعِ المُظْلِمِ

غَنِيَتْ «غَنِيٌّ» بالذُّرَى من مَجْدِهَا ✿ وقبائلٌ بينَ الحصى والمَنْسِمِ[4]

فَقِفُوا على أحْسَابِكُمْ وهُبوطِهَا ✿ ودَعُوا العُلوَّ فإنَّهُ في الأَنْجُمِ[5]

وقال فيها:

ولقَدْ جَرَيتَ إلى المعالي سَابِقًا ✿ وأَخَذْتَ حظَّ الأَوَّلِ المُتَقَدِّمِ[6]

وكَبَا عَدوُّكَ حين رَامَكَ لِلَّتي ✿ تُخْشى فَقُلْنا: لِلْيدَينِ ولِلْفَمِ[7]

[٤٤س] كَذَا والله يكونُ المَدحُ، فَلْيَقُلْ الشَّاعِرُ، أو فَلْيُمْسِكْ.

وقالَ أبو تمّام في بني حُمَيْدٍ[8]:

عَهدِي بهِمْ تَسْتَنِيرُ الأرضُ إنْ نَزَلُوا ✿ فيها وتَجْتَمِعُ الدُّنيا إذا اجْتَمعُوا

---

(١) ديوانه «شاع له».

(٢) ديوانه «تجنب سراهم للعلى وابتغائها».

(٣) ديوانه: ٢٠٨٤/٤.

(٤) «غنى» قبيلة الممدوح، وغنى: هو عمرو بن أعصر بن سعد بن قيس بن عيلان «الجمهرة ص ٢٤٧».

(٥) ديوانه «فقعوا»، و«فإنه للأنجم».

(٦) ديوانه «فأخذت».

(٧) ديوانه «حين رام بك التي».

(٨) ديوانه: ٣١١/٣ وشرح التبريزي: ٩١/٤، وفيه «يرثي بني حُمَيد بن قحطبة».

وَيضْحَكُ الدَّهْرُ مِنْهُمْ عَنْ غَطَارِفَةٍ ❁ كأنَّ أيَّامَهُمْ من حُسْنِها جُمَعُ[1]

وقالَ أبو تمّام[2]:

إذا أَكْدَتْ سَوامُ الشِّعْرِ أضْحَتْ ❁ عَطَايَاهُ وهُنَّ لَهَا مَرَاعِي[3]

سَعى فاسْتَنْزَلَ الشَّرفَ اقْتِسَارًا ❁ وَلَوْلا السَّعْيُ لم تَكُنِ المَسَاعِي

وما في الأَرْضِ أنْصَحُ للمعَالِي ❁ إذا دُوجِينَ من جُودٍ مُطَاعِ[4]

قَولُهُ:

«سَعى فاسْتَنْزَلَ الشَّرفَ اقْتِسَارًا»

ليسَ بالمعنىٰ الجيّدِ، بل هو عندي هِجاءٌ مُصرَّحٌ، لأنَّه إذا استنزل الشرف فقد صار غير شريفٍ[5]، لِأنّك إذا ذممت رجلًا شريف الآباء، كان أبلغ ما تذمُّهُ بِهِ أن تقولَ: قد حُطَّ شَرَفُهُ، وَوُضِعَ من قَدْرِهِ وشَرَفِهِ، وقد بَيَّنْتُ هذا في أغاليطه مشروحًا مستقصًىٰ.

وقوله:

وما في الأرض أَنْصَحُ لِلْمَعَالِي ❁ إذا دُوجِينَ من جُودٍ مُطَاعِ[6]

---

(١) شرح التبريزي: «من أنسها جمع»

(٢) ديوانه: ٢/٢٥ والتبريزي ٢/٣٣٨.

(٣) في «س»: «أكلأ» «وهن له» والتصحيح من ديوانه وشرح التبريزي.

(٤) ديوانه والتبريزي: «أعصىٰ لامتناع»، وفيها «بسوق الذم»، وفي «س»: «جودين» تحريف والتصحيح من النظام ٢/١٤١ «رواية الصولي»، وديوانه مخطوط «فاتح استانبول رقم ٣٧٧٢» لوحة ١١٢، وانظر التعليق الذي سيأتي بعد قليل.

(٥) في «س»: «غير شرف» والتصحيح من ١/٢٤٠ فعبارات التعليق واحدة.

(٦) في «س»: «جُوذِبْنَ»، وهذه رواية أخرىٰ، والشرح علىٰ ما أثبتُّ.

فياويْحَهُ، بلَغَ بهِ عِشْقُ الاستعارةِ إلى نُصْحِ المَعالي ومُداجَاتِها[١]، سَوْأةً لَهُ.

وقد غَضِبَ ديكُ الجِنِّ علىٰ الدَّهْرِ، وذَكر أنَّه لا يَنْصَحُهُ، ولست أدري أيُّهُمَا تَبعَ صاحِبَه في هذا الجُنونِ المَحْضِ فقَالَ[٢]:

لا جـرَّدَ الـدَّهْرُ لِـي كفًّـا تُعاقِـدُنُي ❊ عقـدًا مـن النُصْـحِ إلا وَهْـوَ مَنْقُـوضُ

ولا بَسَـطْتُ يـدًا للـدَّهْرِ أَنْصَـحَهُ ❊ مَـا عِشْـتُ إلّا بِنُصْـحٍ فيـهِ تَمْـرِيضُ

قـد سَـوَّدَ الـدَّهْرُ مـا كانـت تُبَيِّضُـهُ ❊ مـن الأَيـادِي لَـدَيَّ السُّـودُ والبِـيضُ

وقال أبو تَمَّامٍ ـ ويُكْتَبُ في أَوَّلِ البَابِ[٣] ـ:

لآلِ وهْـبٍ أَكُـفٌّ كُلَّمـا اجْتُـدِيَتْ ❊ فَعَلْنَ في المَحْلِ مالَا تَفْعَلُ الدِّيَمُ[٤]

قـومٌ تَـراهُمْ غيَـارى دُونَ مَجْـدِهِمُ ❊ حتـى كـأنَّ المَعـالِي عنـدهُمْ حُـرَمُ[٥]

وهذا من مُخْتارِ مَعانِيهِ.

وقال[٦]:

يكـادُ نَـداهُ يتركُـهُ عَـديمًا ❊ إذا هَطَلَـتْ يـدَاهُ علـى عَـديمِ

---

(١) هذا دليل علىٰ أن رواية الموازنة «دوجين»، والمداجاة: المجاملة، يقال: داجيت فلانا إذا مازحته علىٰ ما في قلبه وجاملته.

(٢) لم أجدها في ديوانه كما لم أقف عليها فيما بين يدي من مراجع.

(٣) ديوانه: ٣/٥٤٠ وشرح التبريزي ٤/٤٩٠.

(٤) في ديوانه وشرح التبريزي: «لآل سهل» وفيهما: «وقال يعاتب محمد بن سعيد كاتب الحسن بن سهل»، وفي «س»: «فعلن في المجد» تصحيف.

(٥) في الأصل: «حَرَم» والتصحيح من ديوانه وشرح التبريزي. وفي ديوانه فقط: «غيارىٰ عند مجدهم».

(٦) ديوانه: ٢/٣٩٢ وشرح التبريزي ٣/١٦١.

تَــراهُ يَــذبُّ عــن حَــرَمِ المَعــالي ❊ فتَحْسَــبُهُ يُــدافِعُ عــنَ حَــريمِ

وهذا أيضًا مثلُ الأَوّلِ في الجَودةِ[1] أو قَريبٌ مِنْهُ.



(١) في «س»: «الجود».

بابٌ في الحَسَدِ[1]



قالَ أبو تمّام[2]:

مُخَـامِري حَسَـدٍ مَـا ضَـرَّ غَيْـرهُمُ ❊ كأَنَّمـا هُـوَ فـي أَبْـدَانِهِمْ مَـرَضُ

وقال[3]:

هُـمُ حَسَـدوهُ- لَا مَلُـومِينَ- مَجْـدَهُ ❊ ومـا حَاسـدٌ فـي المَكْرُمـاتِ بِحَاسِـدِ

[٤٥س] وقال[4]:

وَاعْذُرْ حَسودَكَ فيما قَدْ خُصِصْتَ بِهِ ❊ إِنَّ العُلـى حَسَـنٌ فـي مِثْلِهـا الحَسَـدُ

وقال[5]:

مُمْتَلِـئُ الصَّـدْرِ والجَـوَانِحِ مِـن ❊ رَحْمَـةِ مَمْلُـوئِهِنَّ مِـن حَسَـدِه

وقال[6]:

وإذا سَـرَحْتَ الطَّـرفَ حَـولَ قِبابِـهِ ❊ لـم تَلْـقَ إلَّا نِعْمَـةً وحَسُـودَا

وقال[7]:

---

(١) لم يذكر الآمدي هذا الباب مع أبواب المديح التي وردت في الجزء الثالث ص ١٠٩.

(٢) ديوانه: ٥٩٣/١ وشرح التبريزي ٢٨٤/٢.

(٣) ديوانه: ٤٦١/١ وشرح التبريزي ٧٣/٢، وفي ديوانه: «بالمكرمات».

(٤) ديوانه: ٤٢٩/١ وشرح التبريزي ٢١/٢.

(٥) ديوانه: ٤١٦/١ وشرح التبريزي ٤٣٧/١. يقول: هو ممتلئ الصدر والحشا من رحمة مملوئهنّ من حسده «النظام ح ١ لوحة ٣١٣».

(٦) ديوانه: ٤٠٨/١ وشرح التبريزي ٤١٩/١.

(٧) ديوانه: ٣٩٥/١، وشرح التبريزي ٣٩٧/١.

وإذا أَرادَ اللهُ نَشْرَ فَضيلَةٍ ❁ طُوِيَتْ أَتاحَ لها لِسانَ حَسُودِ
لولا اشِتعالُ النَّارِ فيما جاوَرَتْ ❁ ما كانَ يُعْرفُ طِيبُ عَرْفِ العُودِ
لولا التَّخوُّفُ للعَواقِبِ لَمْ تَزَلْ ❁ للحاسِدِ النُّعْمَى علَى المَحْسودِ

وهذا غايةٌ في حُسْنِه وحلاوتِهِ وصِحَّةِ تَمْثِيلِهِ، وهو إحسانُهُ المشْهورُ.

وقال[1]:

مُشَمِّرٌ ما يكِلُّ في طَلَبِ الْ ❁ علْياءِ والحَاسِدُونَ في طَلَبِهْ
أَعلاهُمُ دُونَه وأَسْبَقُهُمْ ❁ إلى العُلَى واطِئٌ على عَقِبِهْ

وقال[2]:

أحَبُّ مُدانِيهِ إلَيْهِ مُكَاشِحٌ ❁ يُنَافِسُهُ في سُؤْدَدٍ ويُماجِدُه[3]
مَحَا حِقْدَهُ عندَ التَّيقُّنِ أَنَّهُ ❁ علَىٰ المَجْدِ يومًا لا عَلَىٰ المالِ حَاسِدُهْ[4]

وقالَ البحتريُّ[5]:

---

(١) ديوانه: ٣٢٢/١ وشرح التبريزي ٢٧٢/١.
(٢) ديوانه بشرح الصولي ٥٠٨/١ ووجدتهما ضمن قصيدة في القسم المنحول الملحق بشرح التبريزي، وبَيَّن محققه أن هذه القصيدة أثبتها ابن المستوفي في كتابه «النظام»، ونقل شرح الصولي والآمدي والخارزنجي عليها ولم يجدها في النسخ الأخرىٰ التي بين يديه، ثم قال: «ولا نجد ما يمنع من صحة نسبتها إليه» «التبريزي ٦٢٥/٤». وقلت: وجدت هذه القصيدة في نسخة لديوان أبي تمّام «مخطوطة» وبرواية الصولي وبخط محمد بن مظفر بن أبي نصر مسرح الوزيري وكتبت سنة ٥٨٠ هـ في مكتبة آية صوفيا برقم ٣٨٧٣ لوحة ٦٧.
(٣) شرح التبريزي والنسخة المخطوطة من ديوانه «أدانيه».
(٤) شرح التبريزي والمخطوطة: «مما حقده عنه».
(٥) ديوانه: ٧٥٣/٢، وفيه «عُلَلٌ، ما يُبَلُّ» والعلل: الشرب الثاني، ورواية الموازنة أجود، وبَلَّ من مرضه أي شُفِيَ.

[٤٦س] نِعَمُ اللهِ عِنْدَهُ، وعلَيْهِ ✤ عِلَلٌ ما يُبِلُّ مِنْها حَسُودُهْ

وقال[١]:

مَكارِمُ هُنَّ الغيظُ باتَ غَليلُهُ ✤ يُضَرِّمُ في صَدْرِ الحَسُودِ المُكَابِدِ[٢]

ولَنْ تَسْتَبِينَ الدَّهْرَ مَوْضِعَ نِعْمَةٍ ✤ اذا أنْتَ لم تُدْلِلْ عَلَيْهَا بِحَاسِدِ[٣]

وهذا من قول أبي تمّام[٤].

[وقال][٥]:

حادَ عن مجدِكَ المُسامِي وأمْعَنْـ ✤ ـتَ عُلُوًّا، فصَدَّ عنك الحَسودُ

وقال[٦]:

يَئِسَ الحاسدونَ مِنكَ، وما مَجْـ ✤ ـدُكَ مِمَّا يرجُوهُ ظَنُّ الحَسُودِ

وقال[٧]:

ويَرُدُّ غَرْبَ مُساجِلِيكَ إذا غَلَوْا ✤ سَعْيٌ أطَلْتَ بِهِ عَناءَ الحَاسِدِ

جَهِدُوا على أنْ يَلْحَقُوكَ وأفْحَشُ الـ ✤ ـحِرْمانِ يُقْدَرُ للحَرِيصِ الجَاهِدِ

وهذا حَسنٌ جِدًّا.

---

(١) ديوانه: ٦٢٥/١.

(٢) ديوانه: «المكايد» بالمثناة التحتية.

(٣) سبق هذا البيت في ٢٢/٢، وفي «س»: «يستثير الدهرُ».

(٤) يشير هنا إلى ما ذكره في الجزء الأول من أن البحتري أخذ معنى بيته السابق من قول أبي تمام:

وإذا أراد الله نشر فضيلة ✤ طويت أتاح لها لسان حسود

(٥) ديوان البحتري ٧٢٢/١٢.

(٦) ديوانه: ٦٣٨/١.

(٧) ديوانه: ٥٥٢/١.

وقال[1]:

نِعَـمٌ إذا ابْتَـلَّ الحسـودُ بِسَـيْبِهَا ❁ أحْيَتْـهُ بالإفْضـالِ وهَـي حُتُوفُـهُ

وقال[2]:

ومَـلأْتَ أحشـاءَ الحَسُـودِ بَلابِـلًا ❁ فارْتَـدَّ يَحْسُـدُ فيـكَ مـن لَـمْ يَحْسُـدِ

وقال في البَيْعَةِ التي أَخَذها المُتوكلُ لِوُلاةِ عُهُودِهِ[3]:

فَنِيَـتْ أحادِيـثُ النُّفـوسِ بِـذِكْرِهَا ❁ وأفـاقَ كـلُّ مُنـافِسٍ وحَسُـودِ

واليـأْسُ إحـدى الـرَّاحَتَيْنِ ولـن تَـرَى ❁ تَعَبًـا كَظَـنِّ الخَائِـبِ المَكْـدُودِ

وقال في مدح ابن طَاهر[4]:

ومَرْضَـى مـن الحُسَّـادِ قـد كَـانَ شَـفَّهُمْ ❁ تَوقُّـعُ هَـذَا الأمْـرِ قَبْـلَ وُقُوعِـهِ

ومـا عُـذْرُهُمْ فـي أَنْ تَغِـلَّ صُـدورُهُمْ ❁ علـى نَاشِـرِ الإِحْسـانِ فـيهِمْ مُشـيعِهِ؟

لـئن شَـهَر السُّـلطانُ أَمْضـى سُـيوفِهِ ❁ ورَشَّـح عُـودُ المُلـكُ أزْكـى فُروعِـهِ

فـلا عَجَـبٌ أن يَطْلُـبَ السَّـيلُ نَهْجَـهُ ❁ وأنْ يَسْـتَقِيمَ المُشْـتَرِي مـن رُجُوعِـهِ

وهذا لَا شَيءَ أحسنُ مِنْهُ.

وقال[5]:

---

(١) ديوانه: ١٤٢١/٣ وفي الأصل: «بعيبها» تحريف.

(٢) ديوانه: ٥٤٩/١. وفيه: «أحشاء العدو».

(٣) ديوانه: ٧٠١/٢، وقد عقد المتوكل لأبنائه الثلاثة سنة ٢٣٥ بولاية العهد وهم: محمد المنتصر، والمعتز بن قبيحة، وإبراهيم المؤيد «الطبري أحداث سنة ٢٣٥».

(٤) ديوانه: ١٢٧٨/٢.

(٥) ديوانه: ٧٦٦/٢.

وكَــم لَـكَ فــي النَّـاسِ مــن حَاسِـدٍ ❊ وفــي الحَسـدِ النَّـزْرِ حَـظُّ الحَسُـودِ

وقال[1]:

وكــم أنَافَــتْ مــن الأبْنَــاءِ مَــأْثُرةٌ ❊ مَشـــهورةٌ تَـــدعُ الآبـــاءَ حُسَّـــادَا

وقال[2]:

شَــغَلَ الحَاسِـــدينَ أنْ لَــمْ يَبِيتُــوا ❊ قَـــطُّ مـــن هَمِّـــهِ ولا أَشْـــغالِهْ

فاضِــحًا سَــعْيَهُمْ إذا مَــا تَعــاطَوْا ❊ سَـعْيَهُ فُحْـشُ نَقْصِـهِم عــن كَمَالِـهْ

وقال[3]:

صَــغُرَتْ مقــاديرُ الرِّجــالِ، وقــارَبُوا ❊ في السَّعْي حَتَى ما ترى لَك حَاسِدًا[4]

لــو نافَسُــوكَ لخَالَسُــوكَ مــن النَّـدى ❊ مــا يُصْـلِحُونَ بــه الزَّمــانَ الفَاسِـدَا[5]

وقال:

«أَبَنِـي حُمَيْـدٍ» طَـال مَجْـدُ «مُحمَّـدٍ» ❊ لمَّـــا تَطـــاوَلْتُم لِبُعْـــدِ مَنَالِـــهِ[6]

ولَكُـــمْ، وإنْ لا تَلْحَقُـــونَ بِشَـــأْوِهِ ❊ شَـرَفٌ تَظَـلُّ الشَّـمْسُ تَحْـتَ ظِلَالِـهِ

لا تَحْسُـــدوه فَضْـــلَ رُتْبَتِـــهِ الَّتـــي ❊ أعْيَـتْ علَـيكُمْ، وافْعَلُـوا كَفَعَالِـهِ[7]

---

(١) ديوانه: ٦١١/١، وفيه «مكرمة مشهودة».

(٢) ديوانه: ١٨٤٠/٣.

(٣) ديوانه: ٨٢٤/٢، وقد سبقا ٢٥٤/٣.

(٤) «س»: (الحاسدا) تصحيف، انظر: ما سبق، ٢٥٤/٣.

(٥) ديوانه: ١٧٨٥/٣.

(٦) ديوانه «ولستم لاحقين بشأوه».

(٧) ديوانه: ٢٠٨٥/٤.

وقال:

لَا يقْتُـــلِ الحُسَّـــادُ أنْفُسَـــهُمْ فَقَـــدْ ❊ هَتَـكَ الصَّـباحُ دُجَـى الهَزِيـعِ المُظْلِـمِ
وكبَـا عَـدوُّكَ حِـينَ رامَ بـكَ الَّتِـي ❊ تُخْشَـى فَقُلْنَـا: لِلْيَـدَيْن ولِلْفَـمِ[1]

[٤٧س] وقال:

مُحَسَّـــدٌ بخِـــلَالٍ فِيـــهِ فَاضِـــلَةٍ ❊ ولَـيْسَ تَفْتَـرِقُ النَّعْمـاءُ والحَسَـدُ[2]

وقال:

مُحَسَّـــدٌ وكـــأنَّ المَكرُمـــاتِ أبَـــتْ ❊ أنْ تُوجَـدَ الـدَّهْرَ إلا عِنْـدَ مَحْسُـودِ[3]

وقال:

خلائِـقُ مـا تَنْفَـكُّ تُوقِـفُ حَاسِـدًا ❊ لَـهُ نَفَـسٌ فـي إثْرِهـا مُتَراجِـعُ[4]
ولَـن يَنْقـلَ الحُسَّـادُ مَجْـدكَ بَعْـدَما ❊ تَمكَّـن رَضْـوى واطمـأنَّ مُتـالِعُ[5]

وقال:

بِفَضِـيلةٍ فـي الـنَّفسِ تُوجَـدُ عِنـدُه ❊ بِفَضَـائِلِ الآبَـاءِ والأَجْـدَادِ[6]
ومَحلَّـةٍ تَعْلُـو فَتَسْـقُطُ دُونَهَـا ❊ هِمَـمُ العِـدى ونَفاسَـةُ الحُسَّـادِ[7]

---

(١) ديوانه: ١/٤٩٦.
(٢) ديوانه: ١/٥٥٦.
(٣) ديوانه: ٢/١٣٠٥.
(٤) سبق في ٢/٥٤، ورضوىٰ ومتالع: جبلان، «معجم ما استعجم» ص٦٥٥، ١١٨١.
(٥) ديوانه: ٢/٧٣٣.
(٦) ديوانه «توصل عنده».
(٧) ديوانه: ٢/٦٩٠.

وقال:

هُبِلَ الحَسودُ لَقَدْ تَكَلَّفَ خُطَّةً ❊ تُبْدِي الخِزَايَةَ في وُجُوهِ الحُسَّدِ

لَؤُمَتْ خَلائِقُهمْ فكَذَّبَ سَعْيُهُمْ ❊ عن سَعْيِ فَرْدٍ في المَكارِمِ أَوْحَدِ[1]

وقال:

يَئِسَ الحاسدونَ مِنكَ، وكانُوا ❊ أَسَفًا يَنظُرونَ نَحْوكَ حُولَا

ورَأَوْا أَنَّهُمْ إذا وَصَلُوا تِلْـ ❊ ـكَ المَساعِي بالفِكْرِ ذَابُوا نُحولَا

فَثَنَوْا عَنْكَ أَعْيُنًا وقُلوبًا ❊ لم يَرُدُّوا إلَّا حَسِيرًا كَلِيلا

وكَفَاني على الذي يُوجَدُ الفَضْـ ❊ ـلُ لَدَيهِ بالحَاسدينَ دَلِيلا

قد تَصرَّفا في هذا الباب تَصرُّفًا حسنًا، غير أني أفضل أبا تمّام لقوله:

«وإذا أرادَ اللهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ»

لأنَّهُ مَعنًى مُتناهٍ في حُسْنِه وحَلاوةِ لَفْظِه[2].



---

(١) ديوانه: ١٧٦٦/٣.

(٢) هنا ينتهي باب المديح الذي بدأ في الجزء الثاني ووقف فيه عند وصف البهاء والهيبة والجلال والجمال.

الجُودِ والكَرَم

هذا بابٌ يُعوِّلُ عليهِ الشعراءُ في المديحِ، لأنَّ الجودَ قد يكونُ في المَلِكِ والسُّوقَةِ، والشريفِ والدُّونِ.

وأنا الآن أُمَيِّزُ في هذا الكتابِ أنواعَ الجودِ والكرمِ، وأنتزعُ من القصائِدِ الأبياتَ المتجانسةَ، وأَبَوِّبُها أبوابًا، وأُوازِنُ بينَها، لِيَصَحَّ القولُ، ويلوحَ التَّفْضِيلُ، فأبْتَدِئُ بما قالاه:

في الرّجاء والتّأميل،

- وفي الوعد وإنجازه،
- وفي الابتداء بالعطاء،
- وفي البشر عند السّؤال،
- وفي الإكثار من العطاء،
- والقصد والإسراف،
- وتعجيل العطاء،
- ومتابعة العطاء،
- وتشبيه جود الجواد بالسّحاب والغيث والأنواء،
- وبالبحر،
- وفي خبط الجواد بنائله من غير تمييز،

ـ وفي عذل الجواد على الجود ،

ـ وفي تعجرف الجواد على ماله حتى يتلفه ،

ـ ودفع جود الجواد وعطاياه لنوائب الدهر ،

ـ وإعطاء الجواد حتّى لا يجد من يعطيه ،

ـ وفي التذاذ الجواد بالجود ،

ـ وإغناء الجواد للسائلين حتّى يكونوا مسئولين ،

ـ [٤٨س] واكتساب الشرف(١) بعطاء الجواد ،

ـ وفي اعتذار الجواد بعد العطاء والاعتذار له ،

ـ وفي إخفاء الجواد لنائله ،

ـ وفي شفاعة الجواد إلى غيره مع مايجود به ،

ـ وفي ما استنه الكريم للنّاس من الكرم حتّى اقتدوا به ،

ـ وفي نوادر من باب الجود(٢) ،

ـ وفي الاعتداد بنعم الممدوحين ،

ـ وفي الشكر والثناء.



(١) في «س»: «بالعطاء بعطاء الجواد».

(٢) في «س»: «المجد».

الرجاء والتأميل(1)



قال أبو تمّام(2):

رجَاؤُكَ للباغِي الغِنَى عاجِلُ الغِنَى ✤ وأوَّلُ يومٍ من لِقائِكَ آجِلُهْ

هذا بيت في غاية الحُسْن والحلاوة، يقول:

عاجِلُ الغنى لمن يبتغيه عندك هو رَجاؤُهُ إيّاكَ، وآجلُ الغنى هو أن يلقَاكَ، أي ليس يتأخرُ الغِنى عنه بعد لِقائِكَ.

ونحو صَدرِ هذا البيت قولُ البحتريِّ(3):

ما فقَدنا الإعدامَ حتَّى مَددْنَا ✤ أملًا نحو سَيْبِكَ المَوجُودِ

صدر [بيت] أبي تمّامٍ أجودُ وأبلَغُ وأجَمعُ من بيتِ البحتريّ بأسْرِه.

وقال أبو تَمّام(4):

رأيتُ رَجائِي فِيكَ وحدك هِمَّةً ✤ ولكنَّه في سَائِرِ النَّاس مَطْمَعُ

أخَذهُ البحتريُّ فقال(5):

ثَنَى أَمَلي فاخْتَارَهُ عن مَعاشِرٍ ✤ يَبِيتُونَ والآمالُ فِيهمْ مَطامِعُ

(1) في «س»: «التأمل».

(2) ديوانه: ٢/٢٠٥، وشرح التبريزي ٣/٣٠.

(3) ديوانه: ١/٦٣٦، وفيه: سببًا نحو سيبك الممدود.

(4) ديوانه: ٢/١٩، وشرح التبريزي ٢/٣٣٣، وقد سبق في ٢/٢٢.

(5) ديوانه: ٢/١٣٠٣، وفيه: «فاحتازه».

وقال أبو تمّام[1]:

مَلِـكٌ إذا خـاضَ المسـامِعَ ذِكْـرُهُ ❁ خَـفَّ الرِّجـاءُ إليـه وهـو رَكِـينُ

وقال[2]:

أَمَـلٌ مـن الآمـالِ أُحْكِـمَ فَتْلُـهُ ❁ فكأنّـهُ مَـرَسٌ مـن الأمْـراسِ

وقال أبو تَمّامٍ أيضًا[3]:

تـرِدُ الظُّنـونَ بـهِ على تَصـدِيقها ❁ ويُحكِّـمُ الآمـالَ فـي الأَمْـوالِ

وقال البحتريّ[4]:

غَمْـرُ النَّـوالِ إذا الآمـالُ أكـذَبَها[5] ❁ مِثـالُ نَيْـلٍ مـن الأقْـوامِ ضَحْضَـاحِ

بيتُ أبي تمّامٍ ألْطَفُ مَعنىً في تحكيمه الآمالَ في الأموالِ، وبيت البحتريّ اكثرُ ماءً ورَوْنقًا.

وقال أبو تمّام[6]:

إذا أَخذتْـهُ هِـزَّةُ المَجْـدِ غَيَّـرتْ ❁ عطايـاهُ أسـماءَ الأمـانِي الكـواذِبِ[7]

(١) ديوانه: ٣/٤٠، وشرح التبريزي ٣/٢٢٦.

(٢) ديوانه: ١/٥٧٣، ولم أجده في شرح التبريزي، بينما أورده ابن المستوفي في النظام: ج٢ لوحة ١٠٦، ووجدته في نسخة من ديوانه المخطوط في دار الكتب، ترتيب علي بن حمزة الأصفهاني رقم ١٠٦، أدب لوحة ١٠٣، وفي نسخة أخرىٰ في مكتبة الفاتح باستانبول رقم ٣٧٧٢ لوحة ٩٥.

(٣) ديوانه: ٢/٣٠٥، وشرح التبريزي ٣/٧٧.

(٤) ديوانه: ١/٤٤٤، وفيه «ثماد»، وفي «س»: «بمثال».

(٥) في «س»: «من» وصححتها من مقتضىٰ السياق.

(٦) ديوانه: ١/٢٨١، وشرح التبريزي ١/٢٠٤.

(٧) ديوانه شرح التبريزي «حرّكته هزّة».

يــرى أقْــبح الأشــياءِ أوبــةَ آمِــلٍ ❊ كَسَــتْهُ يــدُ المَــأْمولِ حُلَّــةَ خَائِــبِ[1]
وأحْســنُ مــن نَــوْرٍ يُفَتِّحُــه النَّــدى ❊ بَيــاضُ العَطايَــا فــي سَــوادِ المَطالِــبِ[2]

«بَياضُ العطَايا في سَوادِ المَطالِب» ، إنما نَقلَهُ من قولِ الأَخْطَلِ:

رأيــن بياضًــا فــي ســوادٍ كأنَّــهُ ❊ بَياضُ العطايَا في سَوادِ المَطالِبِ[3]

[٤٩س] ذَكَرَهُ ابنُ أبي طَاهرٍ في سَرقاتِه ، إلَّا أنَّ قولَ أبي تمّامٍ:

«.... من نَوْرٍ يُفَتِّحُهُ النَّدىٰ» في غايةِ الحَلاوةِ.

وقولُه:

... ... غيرّتْ ❊ عطَايَــاهُ أســماءَ الأمــانِي الكــواذِبِ

فالأمانِيُّ هي الأكاذيبُ ، أي أعطَىٰ أصحابَ الأمانِي ما يتَمَنَّوْنَهُ من الأبَاطِيل فصارتْ حقائِق وزالَ عَنْها اسمُ الأَمَانِي[4].

وقال البحتريُّ[5]:

جَــلا أَوْجَــهُ الآمــالِ حتَّــى أضَــاءَها ❊ هِــلاَلٌ علَيــهِ بَهْجَــةٌ وقَبُــول

وهذا في غايةِ الحُسنِ.

---

(١) شرح التبريزي: «أوبة آيب».

(٢) ديوانه وشرح التبريزي: «يفتِّحه الصّبا» ، وقد سبق البيت في ١/٣٠٨.

(٣) سبق في ١/٣٠٨ ، ولم أجده في ديوان الأخطل ولم أقف عليه فيما بين يديّ من مراجع «وانظر الهامش التالي».

(٤) نقل ابن المستوفي تعليق الآمدي السابق في «النظام» ثم قال: ولم أجد ما نسبوه إلىٰ الأخطل في ديوانه ، ولا يشبه نمطه لرقته ، ولعلّه موضوع ليدفع أبو تمّام عن محاسنه «النظام ج١ لوحة ١٠١».

(٥) ديوانه: ٣/١٨٢٣.

وقال البحتريُّ أيضًا في صحّة الأملِ[1]:

حيـــث لا تُتْلَـــى المعـــاذيرُ ولا ❁ يطـأ اليـأسُ علـى عَقْـبِ الأمـلْ

وهذا «نمط[2]» من مشهور إحسانه.

وقال[3]:

مُوســـرٌ مـــن خلائـــقٍ تَتَـــراءى ❁ مـــن ضـــروبِ الرَّبيـــعِ أو أشـــكالِهْ

يتضـــرّعْنَ للرجـــاءِ دنُـــوَّ ال ❁ غـيمِ والـوَدقُ خـارجٌ مـن خلالِـهْ[4]

«يتصرَّعْنَ للرَّجاءِ» أي: ينحططن إليه، ويدنون منه، وهذا تمثيلٌ حسن جدّا، ومعنىٰ غريبٌ لطيف.

وقال أبو تمّام[5]:

---

(١) ديوانه: ١٧١٥/٣، وفيه «لا تُبْلىٰ».

(٢) هذه الكلمة عسيرة القراءة، وأثبتُّ ما أحسبه أقرب إلىٰ الرسم في المخطوطة.

(٣) ديوانه: ١٨٣٨/٣.

(٤) روىٰ في الموازنة ١٠٦/٢ «دنو المزن» وسبق في ١٠٦/٢، وانظر تعليق الآمدي علىٰ لفظه: «اصطراع، ويتصرعن، يتصرع»، ورد محقق ديوان البحتري عليه، الذي يرىٰ أن معنىٰ الكلمات الثلاث: يتواضع، وأن الشاعر لم يوقع لفظة «يتصرع» موقع الذم في قوله:

مـــن يتصـــرع فـــي إثـــر مكرمـــة ❁ فدأبـــه فـــي اتباعهـــا دأبـــهُ

وأقول: إن قول البحتري:

أمنّـــا أن تصـــرّع عـــن ســـماح ❁ وللآمـــال فـــي يـــدك اصـــطراع

رديء التجنيس فيه واضح، كما أن المعنىٰ الذي شرح به الآمدي البيت أقرب إلىٰ الصحة، ولو جعلنا كلمة «تصرّع» بمعنىٰ تتواضع، لما استطاعت أن تنهض بالمعنىٰ المقصود «وانظر كذلك مقدمة الطبعة الثانية من ديوان البحتري»، كما أن لفظة «يتصرع» جاءت فعلًا في موضع الذم، «راجع المعنىٰ في ١٠٦/٢ الموازنة».

(٥) ديوانه: ٣٠٧/٢، والتبريزي ٩٩/٣ وفيه «رجعت».

رَدَدْتَ المُنى خُضْرًا تَثَنّى غُصونُها ❊ علينا وأطْلَقْتَ الرَّجاءَ المُكَبَّلا

وهذا البيتُ في غَايةِ الجَوْدَةِ لَفْظًا ومعنًى، وإطْلاقُهُ للرَّجاءِ المُكَبَّلِ في غَاية الحُسْنِ.

وقال أبو تمّامٍ[1]:

أَهْبَبْتَ لِي رِيحَ الرَّجاءِ فأقْدَمَتْ ❊ هِمَمِي بِهَا حتَّى اسْتَبحْنَ هُمُومِي

فقوله: «أقْدَمَتْ هِمَمي» من الإقْدام بها، أي: بِريحِ الرَّجَاءِ، أي: تجاسرتْ هِمَمي بها، فأقْدمَتْ حتى استباحت همومي، وهذا بيتٌ ليس بِجَيِّدِ السَّبْكِ.

وقال أبو تمّامٍ في ابنِ أبي دُؤاد[2]:

أنْتَ جُبْتَ الظُّلَامَ عن سُبُلِ الآ ❊ مَالِ إذ ضَلَّ كُلُّ هَادٍ وحَادِ

فكأنَّ المُغِذَّ فِيهَا مُقِيمٌ ❊ وكأنَّ السَّارِي عَلَيْهِنَّ غَادِ[3]

وضِياءُ الآمالِ أَفْسَحُ في الطَّرْ ❊ فِ وفي القَلْبِ من ضِياءِ البلادِ

وهذا جَيّدٌ بَالِغٌ.

وقال البحتريُّ[4]:

---

(١) ديوانه: ٢/٤٤٦، والتبريزي ٣/٢٦٧، وفي «س» «أهبلت».

(٢) ديوانه: ١/٣٧٥، وشرح التبريزي ١/٣٦٠، وديوانه فقط: «حاد وهاد».

(٣) جاء في النظام: «وقال الآمدي: أي: أوضحت سبل الآمال بجودك وكرمك حتى أضاءت طرقها إليك، وسلكها مؤملوك، واثقين بك، قد زالت ظلمتها: أي شكوكها، «فكأن المغذ فيها مقيم»، أي: فكأن الحثيث السير في سبل هذه الآمال مقيم، أي: كأنه قد بلغ واطمأن ووصل إلى ما أراد، «وكأن الساري عليها غاد». أي: وكأن الذي يسري ليلًا قد قطع الليل بالسرى وصار عاديًا، أي واصلًا إلى البغية «ج١، لوحة ٢٨٣، وفي ديوانه:»... الساري عليها كغاد».

(٤) ديوانه: ٣/١٩٧٤، والمخاطب هو: علي بن يحي المنجم.

وإنــي لأَرْجُــو ، والرَّجــاءُ وَســيلةٌ ❊ عَلِــيَّ بــنَ يَحْيَــى لِلَّتِــي هِــيَ أعْظَــمُ

فأحسَنَ في قولِهِ: «والرَّجاءُ وسَيلَةٌ» وأَلْطَفَ، وأَظُنُّهُ سَمِعَ قَوْلَ أبِي الشِّيصِ[1]:

بِحَسْــبِ الــذَي يَرجُــو نَــداكَ ذَرِيعَــةً ❊ إذَا لَــمْ يَكُــنْ إلَّا الرَّجــاء لَــهُ سَــبَبْ

وقال أبو نُواسٍ في مثلِهِ[2]:

رَجَــوْكَ فــي قَصْــدِهُمُ وأَمَّلُــوا ❊ وللرَّجَــاءِ حُرْمَــةٌ لا تُجْهَــلُ

وبيت البحتريّ أَجْوَدُ من هذينِ البَيْتَينِ، وهذا بابٌ الفضلُ فيه لأبي تمّامٍ على البحتريِّ، لأنَّه تصرَّفَ في معاني الرَّجاءِ[3] أكْثَر من تَصرُّفِ البحتريّ [٥٠س] وفي كُلِّ ذاك أحسَنَ وأجَادَ.



(١) لم أجد البيت فيما بين يدّي من مراجع.

(٢) ديوان أبي نواس ٤٣٣، وفيه «رجوك في تطفيلهم».

(٣) في «س»: «والرجاء».

ما قالاه في الوعدِ وإنجازه

وقال[1]:

قَــومٌ إذا وَعَــدُوا أوْ أوْعَــدُوا غَمَــرُوا ❊ صِـدْقًا ذَوائِـبَ مـا قَـالُوا بِمَـا فَعَلُـوا[2]

قَولُه: «ذَوائِبَ مَا قالُوا» ، فذوائبُ كلِّ شيءٍ أعلاهُ ، يُريدُ أنّ أَفْعَالَهم زَادَتْ علىٰ وَعْدِهم وَوَعيدِهِم حتَّىٰ غَمَرتْهَا.

وقال[3]:

فلَوَيْــتَ بــالمْوعُودِ أعنــاق الــورى ❊ وَحَطمْــتَ بالإِنْجَــازَ ظهْــرَ المَوْعِــدِ

حَطْمُ ظَهْرِ المَوْعدِ اسْتِعارَةٌ قبيحةٌ جدًا ، والمعنىٰ أيضًا رديءٌ ، لأنّ إنجاز الوعدِ هو تصحيحُه وتحقيقُهُ ، وبذلك جَرت العادةُ ، أن يُقالَ: قد صحَّ وعدُ فُلانٍ ، وتَحقَّقَ ما قالَ ، فجعَل أبو تمّامٍ في موضعِ صِحَّةِ الوَعدِ حَطْمَ ظَهْرِهِ ، وهذا إنما يكونُ إذا أُخْلِفَ الوعدُ وكُذِب ، ألا ترىٰ أنهم يقولونَ: قد مَرَّضَ فلانٌ وَعدَهُ وعَلَّلَهُ ووعد وعْدًا مريضًا ، فإذا أَخْلَف وعَدَه فقد أماته ، فالإخلافُ هو الذي يَحْطِمُ ظَهْرَ الوَعْد لا الإِنجازُ ، فلا خفاءَ بفسادِ ما ذهبَ إليه ، وكان ينبغي أن يقولَ:

---

(١) كذا في «س» ، وقد يكون: «قال أبو تمّام» كما هي بداية كلّ باب ، ويجوز أن يكون هنا خرم.

(٢) في «س»: «قوم إذا وعدوا وعدوا» والتصحيح من ديوانه وشرح التبريزي ، والبيت في ديوانه: ١٨٧/٢ . والتبريزي ١٧/٣ ، ونقل ابن المستوفي تعليقًا للآمدي يختلف نصه عن ما ورد هنا فقال «قال الآمدي: ذؤابة كل شيءٍ أَعْلاهُ ، أي غمروا قولهم حتىٰ استغرقوه بأفعالهم ، كأنه يريد أنَّ فعلهم يَفْضُلُ عن قولهم ويزيد عليه».

(٣) ديوانه: ٤٥٣/١ والتبريزي ٥٣/٢ ، وقد سبق في ٤٣٨/١ ، وفي «س»: «فلويت بالموعد».

وحَطَمْت بالإِنجازِ ظهرَ المَالِ، لأنَّ الوعْد كان يَصِحُّ ويَسْلَمُ حينئذٍ، والمالُ يَتْلَفُ.

وقال[1]:

إذا وَعَــد انهلَّــتْ يَــداهُ فأهْــدَتَا ❊ لَك النُّجْحَ مَحْمُولًا على كَاهِلِ الوَعْدِ

وكاهلُ الوَعْدِ إذا حَمَلَ النُّجحَ فمِنْ سَبيلهِ أن يكونَ صحيحًا مُسلَّمًا، لا أن يكون مَحْطومًا كما قالَ في البيت الأوّلِ، وهذه استعارةٌ في البيت صحيحةٌ، وإن كان كاهلُ الوعدِ قبيحًا.

ومِثْلُ ذلك في الفسادِ قولُهُ[2]:

إذا مــا رَحًــى دَارتْ أدَرَّتْ سَــمَاحَةً ❊ رَحــى كُــلِّ انْجــازٍ علــى كُــلِّ مَوْعــدِ

وهذا إتْلافُ الوعدِ وإبطالُهُ[3]، وإنما ذَهَب إلىٰ أنَّ الإنجازَ إذا وقعَ بطَلَ الوعدُ، وليسَ الأمرُ كذلِك، لأنَّ الوعدَ ليس بضدٍّ للإِنْجازِ، فإذا وقَع بطَل الوَعْدُ، وليسَ هذا بضِدّ[4] ذَاكَ، بلِ الوَعْدُ الصَّادِقُ طَرَفٌ للإنْجازِ، وسَببٌ من أَسْبابِهِ، فإذا وَقَعَ الإِنْجازُ فهو تَمامُ الوَعْد، وتَصَحيحٌ لَه، وتحقيقٌ وتصديقٌ، فهو بهذا غالِطُ، والمعنىٰ الصّحيح قولُهُ[5]:

أَبَلُّهــمُ رِيقًــا وكَفًــا لِسَــائِلٍ ❊ وأَنْضَــرُهُمْ وَعْــدًا إذا صَــوَّحَ الوَعْــدُ

فتَصويحُ الوعدِ هو أن يُخْلِفَهُ الواعِدُ، فيَبْطُلَ، ولا يَصِحَّ، و«صَوَّحَ النَّبتُ»

---

(١) ديوانه: ٤٨٦/١ وشرح التبريزي ١١٣/٢، وقد سبق في ٧٩/١، وفي «س»: «علىٰ كل موعد».

(٢) ديوانه: ٤٣٤/١، وشرح التبريزي ٣١/٢، وقد سبق ٤٣٩/١.

(٣) سبق في ٤٣٩/١.

(٤) في «س»: «بطل» تحريف.

(٥) ديوانه: ٤٧٤/١، وشرح التبريزي ٩١/٢، وقد سبق في ٤٣٩/١، وفي «س»: «ربعا»، والتصحيح من ديوانه وشرح التبريزي.

إذا جَفَّ.

ومِثْلُهُ في الصِّحَّةِ قَولُهُ(١):

تَزْكُــو مَواعِـــدُهُ إذا وَعْــدُ امْــرِئٍ ❊ أَنْسَــاكَ أحــلامَ الكَــرى الأَضْــغَاثَا

فهذا هو الصَّحِيحُ، أن يكونَ الوعْدُ يَزْكُو، لا أَنْ يَبْطُلَ ويذهَبَ، ولله درُّ إبراهيمَ بنِ هَرْمَةَ، إذْ يقولُ(٢):

[٥١ص/أ] يَسْبِقُ(٣) بالفِعْلِ ظَنَّ سَائِلِهِ ❊ وَيَقْتُــلُ الرَّيْــثَ عِنــدَهُ العَجَــلُ

فهَذِه الاستعارةُ الصّحيحةُ، أن يقتلَ العجَلُ الإبطاءَ، لا أن يَقْتُلَ الإنجازُ الوعدَ، فأمَّا قَولُهُ(٤):

نَــؤمُّ أبــا الحسـينِ وكــان قِــدْمًا ❊ فتًــى أعَمــارُ مَوْعِــدِه قِصَــارُ

وقولُ البحتريُّ(٥):

وجَعَلْـتَ فِعْلَـك تِلْـوَ قَوْلِـكَ قَاصِـرًا ❊ عُمــرَ العَــدُوِّ بــهِ وعُمْــرَ المَوْعِـدِ

فإنَّ عُمْرَ الْموعِدِ مَدّةُ وَقْتِهِ، فإذا أُنْجِزَ صارَ مالاً، فنفَاذُ وَقْتِهِ لَيْسَ بِمُبْطِلٍ

---

(١) ديوانه: ٣٥٣/١ وفيه: «الورىٰ الأضغاثا»، وشرح التبريزي ٣٢٠/١، وقد سبق في ٤٣٩/١/١.

(٢) ديوان إبراهيم بن هرمة ص١٧٢، وفيه «يسبق بالفضل»، «يقتل الريث عرفه العجل» وقد سبق في ٤٤٠/١.

(٣) يبدو أن هناك نسختان لهذا الجزء من الموازنة بخط كاتب واحد، فقد تكررت الورقة (٥٣) وبمقارنة الورقتين تبيّن أنهما ورقتان من نسختين مختلفتين من الكتاب، فعلىٰ الرغم من أن خَطَّهما يدل علىٰ أن كاتبهما واحد إلا أنه بداية ونهاية كل منهما تختلف عن الأخرىٰ، وقد أثبت الورقة المتفقة والمتسقة مع باقي الأوراق، ويلاحظ منه الترقيم سقوط رقمي (٥٢ أ، ٥٣ ب) وهي الورقة الزائدة.

(٤) ديوانه: ٥١٣/١، وشرح التبريزي ١٥٦/٢، وسبق في ٤٤٠/١.

(٥) ديوانه: ٥٤٩/١، وقد سبق في ٤٤٠/١.

لَهُ ، بل ذلك نَقْلُهُ من حالٍ إلىٰ حالٍ أُخرىٰ .

ألا ترىٰ إلىٰ البحتريّ كيف كَشفَ عن المعَنىٰ ، وجاءَك بالأمر من فصّه[1] فقال[2]:

يوليك صدر اليومِ قَاصيةَ الغِنى ❊ بمواهِبٍ قد كُانَّ أمْسِ مَواعِدَا

فَبُطْلانُ المَوْعِدِ هو بُطلانٌ للشيءِ الذي المَوعِدُ واقعٌ عليهِ.

ثمَّ أتْبَعَ هذا البيتَ بأن قالَ[3]:

سَوْمُ السحائِبِ ما بَدأْنَ بوارِقًا ❊ في عارِضٍ إلا انْثَنَيْنَ رَواعِدَا

فالعارِضُ: السّحابُ ، وجعلَ البوارِقَ مثالًا للمواعيدِ وجعلَ الرَّواعِدَ ، التي هي البوارِقُ علىٰ الحقيقة وحالُهما واحدةٌ، مثالًا للغَيْثِ، الذي هو العَطايَا [٢٥ص/ب] فالرواعِدُ لَيْستِ بِمُبْطِلَةٍ للبوارِقِ، بل هيَ هِيَ، لأنَّ تلك نُورٌ يُحْدِثُهُ ازدحامُ السّحابِ واصْطِكَاكُهُ ، والرّعدُ صوتُ ذلِكَ الازدحامِ ، فالبرقُ يُرىٰ أوَّلًا ، والرَّعْدُ يُسْمَعُ آخِرًا ، وذلكَ لِأنَّ العينَ أسْبَقُ إلىٰ الإبْصارِ من الأُذُنِ إلىٰ الاسْتِماعِ ، لأنَّ العَيْنَ ترىٰ الشَّيءَ في مَوقِعهِ، والأُذُنَ لا تَسْمَعُ الصّوتَ إلا إذا وصَل إليها.

وقال البحتريُّ[4]:

والوَعْدُ كالوَرَقِ النَّضيرِ تأوَّدَتْ ❊ فيهِ الغصونُ ونُجْحُهُ أن يُثْمِرَا

فشَبَّهها بالمَواعِدِ التي تَحولُ مَواهِبَ ، وهذا أحسنُ ما يكونُ من التَّمثيلِ

---

(١) فصّ الأمر: أصله وحقيقته.

(٢) ديوانه: ٢/٨٢٣ ، وقد سبق في ١/٤٤٠ .

(٣) ديوانه: ٢/٨٢٣ ، وقد سبق في ١/٤٤١ .

(٤) ديوانه: ٢/٩٧٧ وفيه «ونجحها» ، وقد سبق البيت برواية أخرىٰ ٢/٣٧ .

وأَصحُّهُ، وأقامَ الروَّاعِدَ مقامَ المواهِبِ، لأَنَّهُ قد يكونُ بَرْقٌ لا مطَر فيهِ، ولا يكادُ يكونُ رَعْدٌ إلا ومَعَه الغَيْثُ، ثمّ إِنّ التَّشْبِيهَ إِنَّما صَحَّ بأنْ كانَ الرَّعْدُ بَعْدَ البَرْقِ.

وما أحَسنَ ما قالَ خَلَفُ بنُ خَليفَةَ الأقطعُ(١):

مَوَاعِيــدُهم فِعْــلٌ إذا مــا تَكَلّمُــوا ❊ بِتلْـكَ التـي إن سُـمِّيَتْ وَجَـبَ الفِعْـلُ

يعني قَولَهم «نَعَم» فجلَ الوَعْدَ هو الفِعْلُ نَفْسُهُ لِصِحَّتِهِ وصِدْقِهِ، وقد مَثَّلَ البحتريُّ المواعيدَ أيْضًا، وكيف تَحولُ العطاءَ تمثيلًا آخَرَ حسَنًا، فقالَ(٢):

وشَـكَرْتُ مِنْـكَ مواهِبًـا مَشـكُورَةً ❊ لـو سِرْنَ فـي فلَـكٍ لَكُـنَّ نُجُومَـا(٣)

ومواعِـدًا لـو كُـنَّ شـيئًا ظـاهِرًا ❊ تُفْضِـي إِلَيـهِ العَيـنُ كـانَ غُيومَـا(٤)

[٥٣س] لأنَّ الغيمَ يصيرُ مطَرًا، كما أَنَّ الوعدَ يصَيرُ عطَاءً، فأبو تمّامٍ فيما ذهَبَ إليهِ غَالِطٌ، لأنَّه وضَعِ الاستعارةَ في غَيرِ مَوْضِعِها.

وقالَ(٥):

لـو كـانَ فـي عاجِـلٍ مـن آجِـلٍ بَـدَلٌ ❊ لكَـان فـي وَعْـدِهِ مـن رِفْـدِهِ بَـدَلُ

لـه رِيـاضُ نـدًى لـم يُكْـدِ زَهْرتَهَـا ❊ خُلْـفٌ ولـم تَتَبَخْتَـرْ بَيْنَهـا العِلَـلُ

وهذا غَلَطٌ أيضًا؛ لأنَّ العاجِلَ أبداً أفضلُ من الآجِلِ، فكيفَ لا يكونُ بدلًا

(١) البيت من قصيدة له في حماسة أبي تمّام للمرزوقي ص١٧٧٤، وقد سبق في ٤٤٢/١.

(٢) ديوانه: ١٩٦٤/٣، وقد سبقا في ٤٤٢/١.

(٣) ديوانه «مشهورة».

(٤) ديوانه «كنّ».

(٥) ديوانه: ١٧٧/٢، وشرح التبريزي ١٠/٣، والبيت الأول سبق في ٣٩٦/١.

مِنْهُ، وقد قيلَ ـ وجرىٰ مثلا[1] ـ:

«والـــنفسُ مولعـــةٌ بِحُـــبِّ العاجِـــلِ»

وكان يَنْبَغي أن يقولَ: «لو كانَ في عاجِلِ قَولٍ بَدلٌ من آجلِ فَعْلٍ»

وإلىٰ هذا ذَهَبَ، غيرَ أنَّ الصّواب لا يُقْبَلُ إذا كانَ مَطْوِيًّا في القَلْبِ، ومَخْبُوءًا تحت الإِضْمار، حتىٰ يَخْرُجَ إلىٰ الوجودِ.

ألا تَرىٰ إلىٰ البحتريِّ لمّا جاءَ بهذا المعنىٰ كيف أوردَهُ علىٰ غايةِ الصّحّةِ والسّلامةِ فقال[2]:

لــو قَليــلٌ كفــى امــرأً مــن كثيــرٍ ❊ لاكْتَفَيْنَـــا بِقَوْلِـــه مـــن فَعَالِـــهْ

وحَسْبكَ بِقَولِهِ: «لم تَتَبَخْتَرْ بَينْهَا العِلَلُ».

قبحًا[3].

وقال أبو تمّام[4]:

تَحِـــنُّ عِدَاتُـــهُ إِثْـــرَ التَّقاضِـــي ❊ وتُنْـــتِجُ مِثْلمَـــا نُـــتِجَ العِشَـــارُ

وهذا بيتٌ رَدِيءُ المعنىٰ، لأنّه جَعل الممدوحَ ممّن يُقْتَضىٰ، وأنّ عِدَاتَهُ تَحِنُّ، والحنينُ لا يكونُ إلَّا بعدَ حَبْسٍ ومَنْعٍ، وقالَ:

«وتُنْـــتِجُ مِثْلمَـــا نُـــتِجَ العِشَـــارُ»

---

(١) سبق هذا الشطر في ٣٩٦/١، «انظر الهامش» وهو الجرير.

(٢) ديوانه: ١٨٤١/٣، وقد سبق في ٣٩٩/١.

(٣) هذا التعليق بنصّه نقله ابن المستوفي في النظام جـ٢ لوحة ٢٤٢.

(٤) ديوانه: ٥١٤/١ والتبريزي ١٥٨/٢.

والعِشَارُ من الإِبلِ: الحَوامِلُ، التي قد أتىٰ لحملها عَشرةُ أَشْهُر، والواحِدَةُ عُشَراءُ، فلا يزالُ ذلك اسْمَها إلىٰ أن تَضَعَ، وبعد ما تضَعُ، فأرادَ أنّ عِداتَهُ تُنْتِجُ لا مَحالَة، كما أنَّ العِشَار تُنْتِجُ لا محَالةَ.

وإنما خصَّ العِشَارَ دونَ غَيْرِها من الحَوامِلِ لِعظَمِ قَدْرِ الإِبِلِ عَندَهم، وأنَّها مُعَوَّلهُم في الخِصْبِ والجَدْبِ، وعلىٰ كلّ حالٍ فَقوْلُهُ:

«وتُنْــــتِجُ مِثْلمَـــا نُــــتِجَ العِشَـــارُ»

ليس بِجَيّدٍ ولا حسَنٍ، لأنّه لم يُدْلِلْ بهِ علىٰ سُرعةٍ، بل هُو إلىٰ الدلالةِ علىٰ إبطائِهِ أقْرَبُ.

والجيدُ لَهُ في هذا البابِ قولُه في أبي دلف(١):

يقــولُ قَــولَ الــذي لــيسَ الوفــاءُ لَــهُ ❊ عَزْمًــا ويُنْجِــزُ إنْجــازَ الــذي حَلَفــا

وهذا في غايةِ الحُسْن.

وقال البحتريّ(٢):

يَحِــنُّ إلــى المعــروفِ حتَّــى يُنيلَــه ❊ كمــا حَــنَّ إلْــفٌ مُسْـتَهامٌ إلــى إلْــفِ
ويَقَلَــقُ حتَّــى يُنْجِــزَ الوعْــدَ مِثْــلَ مــا ❊ يُجَافِي الذي يَمْشِي عَلىٰ رَمَضِ الرَّضْفِ

وهذا جيّدٌ حسَنٌ لطيفٌ.

[وقال](٣):

(١) ديوانه: ٢/٥٤، والتبريزي ٢/٣٦٦.
(٢) ديوانه: ٣/١٣٦٦.
(٣) ديوانه: ٣/١٥٣١.

مَواهِـبُ أَعـداد ُالأمَـانِي وخَلْفَهـا ❁ عِـداتٌ يَكـادُ العُـودُ مِـنْهنَّ يُـورِقُ

فذكَر أنَّه إذا أعطَىٰ وَعدَ، والوَعْدُ بعدَ العَطيَّةِ أحسَنُ من الوَعدِ قَبْلَ العطيَّةِ، لأنَّ تِلْكَ عطيّةٌ واحِدةٌ وهذه عَطيتانِ، وفَرْحَتَانِ، وذلِكَ [٤٥ص/أ] دليلٌ علىٰ جُودِ الجَوادِ وَربِّهِ[١] لِعطَاياه، ومُتَابَعتِهِ إيَّاهَا.

ومثلُ هذا قولُ أبي النَّضْرِ[٢] جَهْمِ بنِ عَبْدِ المَلِك في الفَضْلِ بنِ يَحْيَىٰ[٣]:

يَفْعَـلُ النَّـاسُ إذا مـا وعَـدُوا ❁ وإذا مَـا فَعَـلَ الفَضْـلُ وعَـدْ[٤]

وقال البحتريّ[٥]:

يُمْضِـي المنايَـا دِرَاكًـا ثُـمَّ يُتْبِعُهـا ❁ بـيضَ العطَايـا ولـم يُوعِـدْ ولـم يَعِـدِ

وقد مدَح البحتريُّ الوَعْدَ، وفضَّل العطاءَ بعدَه علىٰ ما يأتي من غير وَعْدٍ،

---

(١) رَبَّه، يَرُبُّه: أي أصلحه ونمّاه.

(٢) كذا في «س»، وورد في ص ٣٧٨ من هذا الجزء باسم «أبو البصير»، والظاهر أن تصحيفًا وقع في اسمه، فقد ترجم صاحب الأغاني لأبي النضير عمر بن عبد الملك وقال: «أنه مولى لبني جمح، شاعر من شعراء البصريين من أصحاب أبان اللاحقي، مشهور بالظرف، وكان يغني بالبصرة على جوار له مولدات، ويظهر المجون والخلاعة ثم انقطع إلى البرامكة، فأغنوه إلى أن مات» «الأغاني الدار ٨٥/١١، وانظر: أخبار الشعراء المحدثين للصولي ص٨، والوافي بالوفيات للصفدي ٥٢٨/٢٢».

(٣) الفضل بن يحيىٰ البرمكي كان من أكثر البرامكة كرما وجودًا، تولىٰ الوزارة قبل أخيه جعفر في عهد الرشيد، كما وَلّاه الشرق كله من شروان حتىٰ آخر بلاد الترك، ولما قتل الرشيد جعفرًا في نكبة البرامكة، أُودِعَ الفضل وأبوه السجن، وتوفي فيه سنة ١٩٣ «ابن خلكان ٢٧/٤».

(٤) البيت من جملة أبيات نسبت إلىٰ أبي عيىٰ البصير وأولها:

وُصِـفَ الصَّـدُّ لِمَـنْ أهـوى فَصَـدْ ❁ وبـدَا يَمْـزَحُ بـالهَجْرِ فَجَـد

«زهر الآداب ص ٣٧٤»، وإدراكُ أبي علي الفضلَ بعيدٌ، فقد دخل أبو علي سامَّراءَ أوَّلَ خِلافةِ المعتصمِ وتوفي سنة ٢٥١، والفضل ـ كما قدمت ـ كان في زمن الرشيد. «انظر معجم الشعراء ١٨٥، ونكت الهيمان ٢٢٥».

(٥) ديوانه: ٥٧٤/١.

وشبَّههُ تشبيهًا يفوقُ كلَّ حُسْنٍ وصِحَّةٍ، فقالَ[1]:

أُحِــبُّ انْتظـاراتِ المواعِيــدِ والَّتــي ❊ تجــيءِ اخْتِلاسًــا لا يــدومُ ســرورُها
وإنّ جِمــامَ المــاءِ يَــزدادُ نَفْعُهــا ❊ إذا صَــكَّ أســماعَ العطَــاشِ خَرِيرُهــا

فسقط[2] الآن الشكُّ في أنَّ البحتريَّ ـ في هذا الباب ـ أشعرُ من أبي تمامٍ.



---

(١) ديوانه: ٢/١٠٠٢.

(٢) في «س»: «فتسقط» وقد صوبته كما يقتضيه السياق.

وفي الابتداء بالعطاءِ من غيرِ سُؤالٍ

قال أبو تمّام[1]:

يأخُـذُ الزَّائـرينَ قَسْـرًا ولـو كَـفَّ (م) دَعـاهُمْ إليْـهِ وادٍ خَصـيبُ[2]

وهذا معنَىٰ جيِّدٌ بالِغٌ.

وقال[3]:

فأضْـحَتْ عطايـاهُ نـوازِعَ شُـرَّدًا ❖ تُسـائِلُ فـي الآفـاقِ عـن كُـلِّ سَـائِلِ

وهذا تَضعيفٌ[4] للمعنىٰ شَديدٌ، وكيف تكونُ عطَاياهُ نَوازِعَ شُرَّدًا خاليةً من مُعطًىٰ، وهل هذا شَيء يُعْقَلُ، وتقومُ في النَّفسِ صحَّتُهُ؟

فإن قيلَ: هذه استعارةٌ ومبالغةٌ، قيل: الاستعارةُ التي فيها بعض الغلوّ لا تُنكَرُ، ولكن لِكُلِّ جنسٍ من المعاني سبيلٌ في الاستعارةِ، وقد عُهِدَتْ وجرىٰ بها الاستعمالُ، ولم تجر عادةُ الاستعارةِ في مالِ الجوادِ أن يقولَ المالُ: هل من طالبٍ؟ هل من سائلٍ، ثمّ أن يُشَرَّدَ في الآفاقِ يَلتمسُ من يَأخُذُهُ، وإنما العَادَةُ فيهِ أن يكونَ كارِهًا لأن يُبْذَلَ، خائِفًا أن يُمْحَقَ، لأنَّه يُقالُ: فلانٌ قد أتلَف مالَه، وقد

---

(١) ديوانه: ٣٣٩/١، وفيه «يأخذ المعتفين»، وشرح التبريزي ٢٩٤/١.

(٢) في «س»: أثبتت الياء في «وادي» ووضع تحت الدال كسرتان، وفعل هذا في بعض المواضع وكذلك في مخطوطة كمبردج، وكأنهم يشيرون إلىٰ جواز إجراء المنقوص مجرىٰ الممنوع من الصرف وهو رأي يونس «انظر الكتاب ٣٠٨/٣».

(٣) ديوانه: ٢٢٠/٢، وفيه «شُزَّبًا»، وشرح التبريزي ٧٩/٣.

(٤) «س»: «تصنيف» تحريف وتصحيف.

مَحَقَهُ، فالاستعارةُ فيه أن يُجعَل المالُ شاكيًا من التَّمحيقِ، وضاجًّا من كثرَةِ البَذْلِ، كما قالَ هو في بابٍ من بَعْدُ[1]:

قاسي الضَّميرِ على التِّلادِ كأنَّما ❊ يَغْدُو على تَفْريقِ مَالِ مُذْنِبِ

وكما قالَ[2]:

يَلْقَى بها حُرُّ التِّلادِ وعَبْدُهُ ❊ عِندَ السُّؤالِ مصَارِعًا وحُتوفَا

وكما قال[3]:

غادَرْتَ فيها ما ملكْتَ قَتيلا

وكما قال أبو نواس[4]:

بُحَّ صوتُ المالِ مِمَّا ❊ منكَ يشكُو ويَصيحُ

فعيبَ بقولِهِ: «بُحَّ» أنّه إفراطٌ في الاستعارة وغُلُوٌّ، وكذلك جَرتِ العادةُ [٥٥س] في غيرِ المَالِ أن يُقال للرَّجُل الكثير الاستعمالِ للماء: قد ضجّت منك دجلةُ، والبحرُ على وَجَلٍ، ونحوُ هذا ممّا هو على أفواهِ النّاسِ، وذلك لأنَّ كُلمَّا وقعَ الثَّلْمُ والمَحْقُ لا تكونُ الاستعارة لَهُ إلَّا الخوفُ من ذَلِكَ، والكرهُ لَهُ، كما أنَّه لو كان سببًا يعقِلُ لما اختارَ أن يَتْلِفَ ويُسْتَهلَكَ.

والاستعارة الصّحيحةُ في هذا قوله[5]:

---

(١) هذا وهم من الآمدي، فالبيت للبحتري وهو في ديوانه: ١/٢٨٤.

(٢) أي أبو تمّام، والبيت في ديوانه: ٢/٧٨ والتبريزي ٢/٣٨٤، وفيه: «تكفي بها نهل البلاء وعَلَّةٌ»، وقال: والرواية الصحيحة «وذكر رواية الموازنة».

(٣) ديوانه: ٢/٢٩٦، وشرح التبريزي ٣/٧١ وصدره: «كم وقعة لك في المكارم فخمة» وفي التبريزي: «فتيلا» بالفاء الموحّدة.

(٤) ديوانه: ص٤٣٤.

(٥) ديوانه: ١/٢٨١ وشرح التبريزي ١/٢٠٤، وقد سبق في ٢/٢٦، وقد وجدت ابن المستوفي قد=

تكَــادُ مغانيـــهِ تَهِــشُّ عِرَاصُـــها ✤ فتركـبُ مـن شَـوْقٍ إلـى كُـلِّ رَاكِـبِ

لأنّ مغانيه لو كانَتْ تعقِلُ لهشَّتْ لِسُؤَّالِهِ، وعُفَاتِه، كاهْتِشَاشِهِ هُوَ[١] إذْ في احْتِشادِهم فِيها جمالٌ له ولَهَا معَهُ.

وأصلحَ معنىٰ هذا البيتِ أيضًا وجوّدَه قولُه: «تكادُ»، فإنّما تُمَثَّلُ الجَماداتُ أبدًا بما يَعْقِلُ، فتُحْمَلُ الاستعارةُ علىٰ ما يجوزُ فيهِ، ويليقُ بِهِ، ألا ترىٰ إلىٰ قولهِ في وَصْفِ سَحَابَةٍ[٢]:

لــو ســعت بقعــةٌ لإعظــامِ نُعْمــى ✤ لَسَــعى نحْوَهَــا المَكــانُ الجَــدِيبُ

وذلك لِما لَهُ فيها من المصلحةِ، وكذلك قولُ البحتريِّ[٣]:

ولَــوَ أنَّ مشــتاقًا تكلّــفَ فــوقَ مــا ✤ فــي وُسْــعِهِ لمَشَــى إليــك المِنْبَــرُ

وذلك لِما لَه في أَنْ يَرْقَاهُ من الجَمَالِ.

فالمالُ ما وَجْهُ شَهوتِهِ لأَنْ يُمْحَقَ ويُتْلَفَ حتىٰ يَجعَلَهُ شارِدًا في البِلاد يلتمِسُ من يأخُذُهُ؟ فإنْ قِيلَ:

فما الذي يُنْكَرُ من الشَّاعِرِ أن يُغْرِبَ ويُبْدِعَ، ويأتَي بما لَم يُسبَقْ إليه؟، قيل: ليس بِمُنْكَرٍ أن يفعلَ ذلك إذا سلَكَ الطُّرقَ المعهودةَ في ذلَك المعنىٰ، وأن يتفرَّعَ

= نقل تعليق الآمدي الذي سيأتي علىٰ هذا البيت، وهو استطراد للتعليق علىٰ بيت أبي تمام السابق فأضحت عطاياه نوازع شردا.. «ص٣٤٨»، غير أن الناسخ لمخطوطة النظام أسقط اسم الآمدي سهوًا، فتداخلَ تعليقه مع تعليق الصولي، وقد سقطت بعض عبارات هذا التعليق من نسخة الموازنة، واعتمدتُ علىٰ ما نقله ابن المستوفي لإكمال ما نقص، والحمد لله علىٰ كل حال «النظام لوحة ١٠٠ ج١».

(١) في الأصل: «هوانٌ».

(٢) ديوانه: ٣٣٧/١ والتبريزي ٢٩١/١.

(٣) ديوانه: ١٧٠٧٣/٢، وفيه «تكلف غير ما»، وقد سبق في ٢٦/٢، ١٤٧/٣.

فيها، ولا يَخْرجَ عنها، ويأتِيَ فيها بِكلِّ ما يَسْنَحُ له من المبالَغَةِ والإغْرابِ، كما قال أبو نواس:

بُحَّ صوتُ المَالِ مِّمَا ✤ منكَ يَشْكُو ويَصيحُ

فلم يَقْتَصِرْ علىٰ المعهودِ في هذَا، بأن يقولَ: قد شكَا المالُ، وكمْ[1] يشكوكَ المالُ، حتّىٰ يجعلَ له صوتًا قد بُحَّ من كَثرةِ ما يصيحُ [فعلىٰ هذا الوجهِ يكون الإغرابُ والإبداعُ، ولو قَال أبو نُواس: قد بُحَّ صَوتُ المال مِمَّا يصيِحُ][2]، ويلتمسُ من يأخُذُه، لقلنا له: قد هَجَوتَ ممدوحَكَ ـ أصلحكَ الله ـ أقبحَ هِجَاءٍ.

والسّليمُ الصَّحيحُ قولُ البحتريِّ[3]:

أعطيتَ سائِلَك المُحسَّدَ سُؤْلَهُ ✤ وطَلَبْتَ بالمَعْروفِ غيرَ الطَّالِبِ

وأَظنُّ أبا تمّام سَمِعَ قول أبي العَتاهِية[4]:

وإنّا إذا ما تركَنا النَّوالَ ✤ فلم نَبْغِهِ فَبِهِ يَبْتَدينَا

وإن نَحْنُ لم نَبْغِ مَعروفَه ✤ فمَعروفُهُ أبدًا يَبْتَغِينَا

[٥٦س] وإنَما أرادَ أبو العَتاهِيَةَ: أنَّه يَبْتَغينا لمَعْرُوفِهِ، لا أنَّ المعروفَ يَنْفَصِلُ عَنْهُ، ويَشْرُدُ في طَلَبِنا والْتِمَاسِنَا، وقد أحسَنَ أبو العتاهية.

وقال ابن أُذَينةَ[5]:

---

(١) في «س»: «ولم» والتصحيح من النظام.

(٢) الزيادة من النظام.

(٣) ديوانه: ١/١٦٢.

(٤) البيتان في ديوانه ص ٤٥٢، في مدح المهدي، وفيه «فلم نبغ نائله يبتدينا»، وفي «س»: «فيه»، وقد سبقا في ١/٢٧٦.

(٥) البيتان في ديوانه: ٣٨٥ وروىٰ في كل المراجع «لا يعنيني».

أسْـــعَى لَــــهُ فَيُعَنِّينِــــي تَطَلُّبُـــــه ❊ ولـــو قَعَـــدْتُ أَتَـــانِي لــم يُعَنِّينِـــي

وإنَّما أرادَ يَأْتيني الله بهِ، وعلىٰ هذا الوجه قال دِعْبِلُ[1]:

والـــرِّزْقُ أَكْثَـــرُ لِـــي مِنِّـــي لَـــهُ طَلَبَـــا

أي أنَّ الله ـ جلّ وعزَّ ـ يأتيني بهِ، فكأَنَّهُ يَطْلُبنِي.

وقد حَذا[2] هوَ حَذْوَ قولِ ابن أُذَيْنَةَ، فقالَ[3]:

الــــرِّزْقُ لا تَكْمَـــدْ عليـــه فإنَّـــهُ ❊ يـــأَتِي ولـــمْ تَبْعَـــثْ إِلَيْـــه رَسُـــولا

فهذِه طَريقَةُ الاستعارةِ في هذا المَعنىٰ.

وقال أبو تمّام أيضًا في الابتداءِ بالعَطاءِ[4]:

ورأيتَنِـــي فســـألتَ نفَســـك سَـــيبَها ❊ لِـي ثُـمَّ جُـدْتَ ومـا انتَطـرْتَ سُـؤالِي

كالغَيْـــثِ لـــيسَ لـــهُ، أُريـــدَ غَمامُـــهُ ❊ أو لَـــمْ يُـــرَدْ بُـــدٌّ مـــن التَّهْطَـــالِ

وهذا معنًىٰ في غاية الجودة، إلا أنَّه كان ينبغي أن يجعلَ الغيثَ في موضع الغمامِ، والغَمامَ في موضع الغيثِ، لِأنَّ الذي يُرادُ ليس هو الغَمامُ، وإنَّما هو الغيثُ، ولو قالَ:

كـــالغيمِ لَـــيْسَ لـــه أردْنَـــا غَيْثَـــه ❊ أَم لَـــمْ نُـــرِدْ بُـــدٌّ مـــن التَّهْطَـــالِ

أو «كالمُزْنِ» ـ فإنَّهما لَفْظَةٌ أحسنُ من الغَيْمِ ـ كانَ عندي أصحَّ وأجودَ.

---

(١) ديوانه: ص ٥٧ وصدره:

أسعىٰ لأطلبه والرزق يطلبني

(٢) يعني أبا تمّام.

(٣) ديوان أبي تمّام: ٢٩١/٢، وشرح التبريزي ٦٨/٣.

(٤) ديوانه: ٣٠٥/٢ والتبريزي ٧٨/٣ والبيت الأول سبق في ٢٧٦/١.

وقولهُ:

ثُـمَّ جـدتَ ومـا انْتظَـرتَ سُـؤالِي

معنًى قد ابْتذَلَتْهُ الشُّعراءُ، وتقَدَّمتْ فيهِ، ألَا ترَىٰ إلىٰ قولِ أبي العَتاهِيةِ:

فلـــم نَبْغِـــهِ فَبـــهِ يَبْتَـــدينَا

وقال مُسْلمُ بنُ الوليدِ[1]:

أخٌ لـــيَ يُعْطِينـــي إذا مـــا سَـــألْتُهُ ❊ ولَـو لَـمْ أُعَـرِّضْ بالسُّـؤالِ ابْتَـدانِيَا

وأجودُ من كلِّ جيِّدٍ في هذا قَوْلُ سَلْمٍ الخَاسِرِ[2]:

أعْطَـــاكَ قبـــلَ سُـــؤالِهِ ❊ فكَفَـــاكَ مَكْـــروهَ السُّـــؤالِ

وقال أبو تمّامٍ أيضا[3]:

أَسـائِلَ نَصْـرٍ لا تَسـلْهُ فإِنَّـهُ ❊ أَحـنُّ إلـى الإرفـاد منـك إلـى الرِفْـدِ

وهذا جيِّدٌ بَالِغٌ، وهو قريبٌ من قولِ مَروانَ بنِ أَبي حَفْصةَ[4]:

لَمَعْـنٌ بمـا يُعْطِـي أَسـرُّ مِـنَ الـذِي ❊ بمـا نَـالَ مـن مَعْروفِـهِ يتَمَـوَّلُ

وبيتُ أبي تمّامٍ أجودُ، وأجودُ مِنْهما قولُ البُحتريِّ[5]:

---

(١) البيت في ملحق ديوانه ص ٣٤٦.

(٢) البيت في معجم الأدباء ٢٤٠/١١ من قصيدة يمدح فيها يحيىٰ بن خالد بن برمك، وقد سبق في ٢٧٧/١ ونسب في محاضرات الأدباء إلىٰ مسلم ٥٣٩/٢، وورد في لباب الآداب ص ٣٠٨ دون نسبة.

(٣) ديوانه: ٤٥٧/١ والتبريزي ٦٦/٢.

(٤) لم أجده في شعره المجموع.

(٥) ديوانه: ١٣٦٦/٣، وفيه «يحن إلىٰ المعروف».

يَحِـــنُّ إلـــى الإِرْفـــادِ حتَّـــى يُنِيلَـــهُ ❁ كمَـا حَـنَّ إلـفٌ مُسْـتَهَامٌ إلـى إِلْـفِ

وإِنَّما أخذهُ[1] من قولِ أبي تَمَّامٍ[2]:

مـــا زالَ بـــالمَعْروفِ وهـــو مُتَـــيَّمُ

وقال البحتريُّ علىٰ الوجهِ الأَوَّلِ المُبْتَذلِ[3]:

جـــادَ حتَّـــى أفنـــى السُّـؤالَ، فلمَّـــا ❁ بـــادَ مِنَّـــا السُّـــؤالُ جـــادَ ابْتِـــداءَ

ونحوُه قولُهُ[4]:

حَليفُ نـدًى إن سِيلَ فَاضَتْ جِمَامُهُ ❁ وذُو كَــرَمٍ إِنْ لــم يُسَــلْ يَتَبَــرَّعُ

[٥٧س] وقالَ[5]:

رَطـبُ الغَمـامِ إذا مـا اسْـتُمْطِرَتْ يَـدُهُ ❁ جـاءَتْ مِواهِبُـهُ قَبـلَ المَواعِيـدِ

وقالَ[6]:

وَثِقْـتُ بنُعمـاهُ ولـم تَجْتَمِـعْ بِهَـا ❁ يَـدِي، ورَأيـتُ الـنُّجْحَ قبـلَ سُـؤالِهِ

وقوله: «لَمْ تَجْتَمِعْ بها يَدِي» أيْ: لَمْ أضمّ عليها يَدِي بعد، ثمّ مَثَّلَه أحسنَ

---

(١) في «س»: «أخذ».

(٢) صدره: قد تُيِّمَتْ مِنهُ القَوافِي بامْرِئٍ

ديوانه: ٢/٣٨٣ وشرح التبريزي ٣/٢١٤.

(٣) ديوانه: ١/١٥.

(٤) ديوانه: ٢/١٢٣٩، وفيه «فاضت حياضه» و«إلا يُسَلْ»، والجِمامُ: جَمعُ الجَمِّ من المَاءِ أي مُعْظَمُهُ، وجَمْعُ الجَمَّةِ وهي البئرُ الكثيرة الماءِ أو مُجتمَعُ مائِها.

(٥) ديوانه: ١/٥٥٧.

(٦) ديوانه: ٣/١٦٢١.

تمثيلٍ فقال[١]:

وتَعلـمُ أنَّ السّـيفَ يَكْفيـكَ حَـدُّه ❊ مُكـاثرةَ الأقـرانِ قبـل اسْـتِلالِهِ

وقال[٢]:

كـان ابتـداؤكَ بالعطـاءِ عَطّيـةً ❊ أُخـرى، وبَـذْلُكَ للجَسـيمِ جَسـيما

وأجودُ من هذا كُلِّه قول مسلم[٣]:

أَعْطـى فمـا تَنْفَـكُّ تُنْـزَعُ هِمَّـةٌ ❊ أَمـلاً إليْـه مـن المَحـلِّ الأَبْعَـدِ

سَـبَقتْ مواهبُـهُ مُنَـى مُرْتادِهـا ❊ واسْـتَحدَثَتْ هِمَمًـا لمن لَـمْ يَرْتَـدِ[٤]

وقال البحتريّ في ابن بِسْطامٍ[٥]:

وبديهـةٌ مـن طَوْلِـهِ لـم تَرْتَقِـبْ ❊ وافـاكَ مُبْتَـدِئًا بهَـا إنْعامُـهُ[٦]

كالسَّـيْلِ أصـبَحَ فـي ذَرَاكَ أَتِيُّـهُ ❊ والجـوُّ مُصْـحٍ مـا يُحَـسُّ غمَامُـهُ[٧]

وهذا أيضا تمثيلٌ في غاية الحُسْن والصِّحَّةِ والحَلاوةِ.

ومثلُه قول السِّمْطِ بن مروانَ بن أبي حَفْصة[٨]:

---

(١) المصدر السابق.

(٢) ديوانه: ١٩٦٤/٣.

(٣) ديوانه «س»: ٢٣٢.

(٤) ديوانه «عطيته».

(٥) ديوانه: ٢٠٣٥/٣.

(٦) في «س»: «معتديًا».

(٧) في ديوانه: «والصبح مصح»، والأتيُّ: السيل الذي يأتي من حيث لا يدرك.

(٨) قالها في عبد الله بن طاهر وقد بعث إليه ـ وهو في بغداد وعبد الله بن طاهر في الجزيرة ـ بعشرين ألف درهم وكسوة، «انظر الورقة لابن الجراح ص ٤٨» ففيها شعر السمط وشعر نهشل=

لَعمـري لَـنِعم الغَيـثُ غَيـثٌ أَصـابَنَا ❊ بِبَغْــداد مــن أَرْضِ الجَزِيــرة وابِلُــهْ
فَكُنَّــا كَحــيٍّ صَــبَّح الغَيــثُ أَهْلَــهُ ❊ ولــم تَنْتَجــعْ أظْعانُــهُ وحمَائِلُــهْ

ذكرَ ثَعْلَب عن ابنِ سَلّامٍ قَال: قالَ أبو الغَرّافِ[١]: سَرَقَ هذا المَعْنىٰ من قَولِ نَهْشَلِ[٢] بنِ حرِّيّ، وقد بعَثَ إليه كَثِيرُ بن الصَّلْتِ الكِنْديُّ[٣] ـ وهو قَاضِي عُثْمانَ علىٰ المَدينةِ، ونَهْشَلٌ بالبَصْرةِ ـ بِكسْوةٍ ومَالٍ، فقالَ نَهْشَلٌ[٤]:

جَـزى اللهُ خيـرًا- والجـزاءُ بِكَفِّـهِ- ❊ بَني الصَّلْتِ إخوانَ السَّماحةِ والمَجْدِ
أَتَـــانِي وأَهْلِـــي بـــالعِراقِ نَـــداهُمُ ❊ كما أَرْفَضَّ غَيثٌ من تِهَامَةَ في نَجْدِ
فمـــا يَتَغَيَّـــرْ مـــن بِـــلادٍ وأَهْلِهـــا ❊ فَمـا غَيَّـرَ الإِسـلامُ مَجْـدَكُمُ بَعْـدِي

البحتريُّ في هذا البابِ عندِي أَشعرُ من أبي تمّامٍ لكثرةِ تصرُّفِهِ فيهِ، ولِمَا تضمَّنَهُ من إساءةِ أبي تمّام.

= ورواية ثعلب، فكأن الآمدي قد نقل منه هذه الرواية، وانظر هوامش تلك الصفحة في الورقة، وقد ذكره المزرباني في ترجمة «عياش بن حنيفة الخثعمي»، وروىٰ له بعض الأبيات «معجم الشعراء ص١٢٩»، ولم يرد البيت الثاني في الورقة، ووردا في «ديوان المعاني» ١/٦٥.

(١) هو عَمرو بن مرثدٍ قال المَرْزباني: شَاعِرٌ مَعْروف سندي «معجم الشعراء ص٣٠».

(٢) نَهْشلُ بنُ حرِّيٍّ بنِ ضَمْرَة بن جابر بن قطن بن نهشل الدارمي شاعر شريف مشهور، وأبوه حرّيٌّ شاعر مذكور، وجده ضمرة بن ضمرة شريف فارس شاعر بعيد الذكر كبير الأمر، بَقِيَ نهشلُ إلىٰ أيام معاويةَ، وكان مع علي في حروبِهِ، وقُتِلَ أخوه مالك في صِفِّين وهو يومئذ رئيس حنظلة فرثاه نهشل بمرات كثيرة «طبقات فحول الشعراء ٥٨٤، الاشتقاق ٢٤٤، والأغاني ٨/١٥٨ ـ ١١/١٣٤».

(٣) كَثِيرُ بن الصلت بن معدي كرب الكندي كاتب الرسائل في ديوان عبد لملك بن مروان. أصله من اليمن، ومنشؤه في المدينة، كان اسمه «قليلًا» وسماه عمر بن الخطاب «كثيرًا»، ولما وليَ عثمان أجلسه للقضاء بين الناس في المدينة، ثم ولي كتابة الرسائل لعبد الملك بن مروان، وكان وجيهًا في قومه، وروىٰ أحاديث عن جمع من كبار الصحابة «رضوان الله عليهم» ـ ذكره ابن سعد في الطبقة الأولىٰ من تابعة أهل المدينة «الإصابة ت ٧٤٨٤».

(٤) الورقة ص ٤٩ وديوان المعاني: ١/٦٥.

ما وصفا به البشر عند السؤال وحسن اللقاء

قال أبو تمّام(١):

ومُرَحِّـــبٌ بـــالزائرينَ وبِشْـــرُهُ ❊ يغْنيـكَ عـن أَهْـلٍ لَديـهِ ومَرْحَـبِ

وقالَ(٢):

[٥٨س] إذا قالَ أهْلاً مَرحبًا نَبعت لَهُم ❊ مياهُ النَّدى مـن تَحْـتِ أهْـلٍ ومَرْحَـبِ

وقالَ(٣):

وجَـدْنَاكَ أَنْـدى مـن رِجـالٍ أَنـامِلاً ❊ وأحسنَ في الحَاجَاتِ وَجْهًا وأجْمَلا

تُضِـيءُ إذا اسـودَّ الزَّمـانُ وبَعضُـهُمْ ❊ يـرَى المـوتَ أن يَنْهـلَّ أو يَـتَهلَّلا

أي: يرىٰ انْهِلَال الموتِ أو يتَهلَّلا، أيْ: انصبابَ الموتِ أو أن يتَهلَّلَ، يعني الطلَاقَةَ والبِشْرَ.

وقالَ(٤):

وإذا المواهِـبُ أظْلَمَـتْ أَلْبسـتَها ❊ بِشْـرًا كبارِقَـةِ الحُسـام المِخْـذَمِ

أَعطَيْـتَ مَـالَمْ تُعطِـهِ ولَـو انْقضـى ❊ حُسْـنُ اللّقـاءِ حَرَمْـتَ مـا لـم تَحْـرِمِ(٥)

---

(١) ديوانه: ٢١٨/١ وشرح التبريزي ١٠١/١، وقال ابن المستوفي: «يروي» «ومرحِّبٍ» بالجر كأنه عطف علىٰ قوله: «بضياء ذاك الكوكب»، ومرحَبٌ بالرفع علىٰ الاستئناف، أي وهو مُرَحِّبٌ بالزائرين.

(٢) ديوانه: ٢٤٧/١ وشرح التبريزي ١٥٢/١، وفي «س»: «إذا ما قال».

(٣) ديوانه: ٣١٠/٢ والتبريزي ١٠٢/٣.

(٤) ديوانه: ٤٢٩/٢ وشرح التبريزي ٢٥٤/٣.

(٥) ديوانه «حرمت من لم تحرم».

فقولُه: «أعطيتَ ما لم تُعْطِهِ» يعني: البِشْرَ، لأنَّه ليس بعطاءٍ على الحقيقةِ، ولو لَمْ تَفعلْ لحَرَمْتَ ما لم تَحْرِمِ، أي: لحَرَمْتَ مِنْهُ ما لَا يسمَّى حِرْمَانًا على الصِّحَةِ، أو أن يكونَ أرادَ: ولو انقضى حُسنُ اللّقاءِ كنتَ قد حَرَمْتَ العَطَاءَ الذي لم يُحْرَمْهُ أي: كُنْتَ كأنَّكَ لم تُعْطِهِ لسوءِ لِقَائِكَ.

وما تركَ زهيرٌ في البِشْرِ إحْسانًا لقائلٍ مع قَولِهِ[1]:

تــــراهُ إذا مـــا جِئتَـــه مُـــتَهلِّلًا ❊ كأنَّـــكَ مُعْطيـــهِ الـــذي أنـــتَ سَـــائِلُهْ

وقد قدحَ فيه ما لَا يضرُّه، وهو أَنْ قِيلَ: إنّه قد حَطَّ من هِمَّتهِ، ووضَعَ مِنْهُ[2] إذ جَعَلَهُ يفرَحُ بعطِيَّةٍ يُعْطَاها[3]، وكان يَجِبُ أن يَجعَل الدُّنيَا تَصْغُرُ عِنْدَهُ أَنْ لَوْ سِيقَتْ إِلَيْهِ.

وما قالَهُ زُهيرٌ غيرُ مَانِعٍ أن يكونَ صَاحِبُه بِهذَا الوَصْفِ، بلَ ما قَالَهُ يُوجِبُ لصاحِبِهِ هذَا الوَصفَ، أن يكون بِشْرهُ وطَلاقةُ وَجْهِهِ في إعطاءِ ما يُعْطي، وأَخْذِ ما يأْخُذُ على حالٍ واحِدَةٍ، وقد أخَذه الكُمَيْتُ فقَالَ:

يَلْقَـــى أبانًـــا علـــى عُسْـــرٍ ومَيْسَـــرةٍ ❊ كـــأنَّ مُسْـــتَوْهِبِيه المـــالَ هُـــمْ وَهَبُـــوا[4]

وقد تصَّرفَ البُحتريّ في وصفِ البِشْرِ تصرُّفًا كثيرًا حَسنًا، فقالَ[5]:

أَرْيحِـــيٌّ إِذا تهَلَّـــلَ لِلْجُـــو ❊ دِ أضَـــاءَتْ طلاقَـــةٌ وقَبُـــولُ

وقال[6]:

(١) ديوانه ص ١١٣، وفيه «كأنك تعطيه».
(٢) في «س»: «إذا».
(٣) انظر ديوان المعاني: ٢٩/١ ففيه هذا الاعتراض.
(٤) هو أبان بن الوليد البجليّ، ولم أجده في ديوان الكميت المجموع.
(٥) ديوانه: ١٨٤٦/٣.
(٦) ديوانه: ١٧٩٧/٣.

لــو أنَّ كَفَّــكَ لَــم تَجُــدْ لِمُؤَمِّــلٍ ❊ لكَفــاهُ عَاجِــلُ وَجْهِــكَ المُتَهلِّــلِ
وَلَــوَ أنَّ مَجْــدَكَ لــم يَكُــنْ متُقادِمًــا ❊ أغنــاكَ آخِــرُ سُــؤْدَدٍ عــن أوَّلِ

وقال[1]:

وتَبَسُّــماتكَ لِلْعَطــاءِ كأنَّهــا ❊ زَهْـرُ الرَّبيـعِ خِـلالَ رَوْضٍ مُعْشِـبِ

قولُهُ: «تبسُّماتُكَ»، جَمْعُ التَّبسُّمِ، هُوَ مَصْدَرٌ، والمَصادِرُ لا تُجْمَعُ كما لا يُقالُ: تَعَجَّبْتُ تعجُّبَاتٍ، وتَقدَّمْتُ تَقَدُّماتٍ، فكذلكِ لَا يُقالُ تَبَسُّماتٍ.

وقال[2]:

وأبــيَضُ وضَّــاحٌ إذا مــا تغيمــت ❊ يــداهُ تَجلــى وَجْهُــهُ فتَقَشَّــعا[3]
[٥٩س] تَرَى ولَعَ السُّؤَّالِ يَكْسو جبينَهُ ❊ إذا قَطَّــبَ المَســئولُ بِشْــرًا مُولَّعــا

وهذا أحَسنُ من قولِ مُسلم بن الوليد[4]:

لا يَضْــحَكُ الــدَّهْرَ إلا حِــينَ تَســأَلُهُ ❊ ولا يُعَــبِّسُ إلا حــينَ لا يُسَــلُ

وقال البحتريّ[5]:

وَوَجْــهٌ رِقَّ مــاءُ الجــودِ فيــهِ ❊ علــى العِــرْنِينِ والخَــدِّ الأســيلِ
يُرِيــكَ تــألُّقُ المَعــروفِ فِيــهِ ❊ شُـعاعَ الشَـمْسِ فـي السَّـيفِ الصَّـقيلِ

---

(١) ديوانه: ١/٢٨٤.
(٢) ديوانه: ٢/١٢٦٦.
(٣) في «س»: «إذا همّت» والتصحيح من الديوان.
(٤) ديوانه ص ٢٥٠، وفيه «وليس يعبس».
(٥) ديوانه: ١/١٧٣٤.

هَذا من قَولِ أَبي تَمّامٍ[1]:

بِشْــرًا[2] كبارِقَــةِ الحُســامِ المِخْــذَمِ ✤ فَوكَّــدهُ بِــذِكْرِ شُــعاعِ الشَّــمْسِ

[وقال][3]:

مُشْـرِقٌ للنَّـدى ومِـنْ حَسَـبِ السَّـيْ ✤ فِ لِمُسْــتَلِّهِ ضِــياءُ حَديِــدِهْ

ضَـحِكاتٌ فـي إِثْـرِهنَّ العَطايَــا ✤ وبـروقُ السَّـحابِ قَبْـلَ رُعـودِهْ

وهذا مِثْلُ ما تقَدَّم[4] من قَوْلِهِ:

سَـومُ السَّـحائِبِ مـا بَـدأَنَ بَوارقًـا ✤ فـي عـارِضٍ إلّا انثَنَـيْنَ رَواعِـدا

قوله: «ما بَدأنَ»: يُرِيدُ السَّحَائِبَ، يقال: بَدأْتُ الشَّيءَ وأَبْدأْتُهُ وذَلِكَ عن أَكْثرِ أَهْلِ اللُّغَة غَيرِ الأَصمعيِّ، فإنّهِ قالَ: لا يُقالُ: بَدأْتُ الشَّيءَ، وإِنّما يُقالُ: أَبْدَأْتُهُ.

وقال[5]:

أَزْهَــرُ، والــرَّوْضُ لا يَرُوقُــكَ أَوْ ✤ يَحْكِــي مَصــابِيحَ لَيْلِــهِ زَهَــرُهْ

يُخِيــلُ حَتــى تــرى النَّجـاحَ عَلَــى ✤ ظَــاهِرِ بِشْــرٍ مَتِينَــةٍ بُشَــرُهْ[6]

والغَــيمُ مَحبُوكَــةٌ طرائِقُــهُ ✤ أَحْجـى مـن الصَّـحْوِ يُبْتَغـي مَطَـرُهْ

وما لَا نِهايَةَ لِحُسْنِه قَولُهُ[7]:

---

(١) سبق في: ٢٩٧/٣ وصدره: «وإذا المواهب أظلمت البستها».

(٢) في «س»: «بشرٌ» بالرفع، وهو خطأ لأنه مفعول ثان «لألبستها».

(٣) ديوانه: ٥٩٩/١.

(٤) انظر: ٢٨٢/٣.

(٥) ديوانه: ١٠٣٧/٢.

(٦) ديوانه «نخيل حتى نرى»، «ومُبيِّنة».

(٧) ديوانه: ١٣٧٤/٣.

شِيمةٌ حُرَّةٌ، وظاهِرُ بِشْرٍ ❁ رَاحَ مِنْ خَلْفِهِ السَّماحُ يَشِفُّ

وأَعْجَبُ منْ هذَا وأَلْطَفُ قَوْلُهُ[1]:

يُشْرِقُ بِشْرًا، وَهُوَ فِي مَغْرَمٍ ❁ لَوْ مُنِيَ البَدْرُ بِهِ رَبَّدَهْ
ضَوْءٌ لَوَ أَنَّ الفُلْكَ ازْدَادَ فِي ❁ أَنْجُمِهِ فِيهِ لِمَا أَنْفَدَهْ

وقالَ[2]:

تُنْبِي طَلاقَةُ وَجْهِهِ عَن جُودِهِ ❁ فتكَادُ تَلقَى النُجْحَ قبْلَ لِقَائِهِ
وضِيَاءُ وَجْهٍ لَوَ تَأَمَّلَهُ امْرُؤٌ ❁ صَادِي الجَوانِحِ لارْتَوى مِن مَائِهِ

وهذا مَعنًى حَسَنٌ لطيفٌ، والعَطْشَانُ لا يَرْوِيهِ النَّظَرُ إلى الماءِ، وإنّما يَروِيهِ أن يَكْرَعَ فيه، فأَرَادَ البحتريُّ أنَّ تأَمُّلَ وَجهِهِ يَرْوِي العَطشانَ، على المُبالَغةِ، من كَلامِ النَّاسِ أن يَقُولُوا: هَذا وَجْهٌ يُشبعُ الجَائِعَ ويَرْوِي الظَمْآنَ، يُريدونَ من حُسنِهِ.

وقال[3]:

[٦٠س] كانتْ بَشَاشَتُكَ الأولى التي ابْتَدَأَتْ ❁ بالبِشْرِ، ثُمَّ اقْتَبَلْنَا بَعْدَها النِّعَمَا
كالمُزنَةِ اسْتُؤْنِفَتْ أولى مَخِيلَتِهَا ❁ ثُمَّ اسْتَهلَّتْ بِغُزْرٍ تَابَعَ الدِّيَمَا

وهذا أيضًا تمثيلٌ جَيِّدٌ بالغٌ مصيبٌ.

وقال في إسماعيل بن بلبل[4]:

مُضِيءٌ ينوبُ البِشْرُ عن ضَحكَاتِهِ ❁ ولا رَيْبَ فِي أَنَّ العُبُوسَ هو العُسْرُ

(١) ديوانه: ٢/٦٦٥.
(٢) ديوانه: ١/٢٤.
(٣) ديوانه: ٣/٢٠٤٦.
(٤) ديوانه: ٢/٨٧٤، وفيه «ينوب اليسر» تصحيف.

ولـو ضُـمِّنَ المعـروفُ طَـيَّ صَـحيفَةٍ ❁ يُطـانُ عَليـه كـانَ عِنْوانَهـا البِشْـرُ[1]

وهذا بابٌ فَضْلُ البحتريِّ فِيهِ علىٰ أبي تمَّامٍ ظاهرٌ لِصِحَّةِ تَمثِيلَاتِهِ وكَثْرَةِ افْتِنَانِهِ.



(١) ديوانه: «تكاد عليه» وقال محققه: لعله أخذها من كود الشيء: جمعه، لفظة يمانية، ويُطَانُ أي: يبني ويسد عليه بالطين، وضُبِطَ الشطر الأول فيه بنصب «المعروف» ورفع «طيّ» وهو خطأٌ.

وفي الإكثار من العطاء



قالَ أبو تمّامٍ[1]:

لُهَى تَسْتَثِيرُ القَلْبَ لَوْلا اتِّصَالُهُ ❊ بِحُسْنِ دِفاعِ اللهِ وسوسَ قَائِلُهْ

وقالَ[2]:

كم نفحةٍ لكَ لم يَحْفَظْ تَعَجْرُفُهَا ❊ لِصَامِتِ المَالِ لا إلًّا ولَا ذِمَمَا

مواهِبٌ لو تَولَّى عَدَّها هَرِمٌ ❊ لَمْ يُحْصِهَا هَرِمٌ حَتَّى يُرى هَرِمَا

يعَنِي هَرِمَ بنَ سِنَانٍ المُرِّي، الذَيَ مَدَحَهُ [زُهير]، وكان من الأَجَوادِ. وقال أبو تمّام[3]:

إذا شِئتَ أن تُحْصِي فَواضِلَ كَفِّهِ ❊ فكُنَ كاتبًا أو فاتَّخِذْ لك كَاتِبَا

وهذا من معاني العَوامِّ، وَضَعَفَةِ المُعَلِّمينَ.

وقالَ في أبي الغَريبِ يَحيىٰ بنِ عَبد اللهِ[4]:

لَولا تَنَاهِي كُلِّ مخلوق لَقَدْ ❊ خِلْنَا نوَالَكَ لَيسَ بالمُتَنَاهِي

وليسَ هذا الجِنسُ من الإغراقِ جَيِّدًا ولا حَسَنًا.

---

(١) ديوانه: ٢/٢٠٥ والتبريزي ٣/٣٠، وفيهما «لولا اتصالها».

(٢) ديوانه: ٢/٤٣٧ والتبريزي ٣/١٧٤، وفيه «لم يُحْفَظْ تذمّمّها» بالبناء للمجهول وهو خطأ.

(٣) ديوانه: ١/٢٤١ والتبريزي ١/١٤٣.

(٤) ديوانه: ٣/٥٧ وشرح التبريزي ٣/٣٥٠.

وقالَ أبو تمّامٍ[١]:

وللهِ أنْهــارٌ مــن النَّــاسِ شَــقَّها ❊ لِيَشْــرَعَ فِيهــا كــلُّ مُقْــوٍ ووَاجِــدِ

المُقْوِي: الذي قد فَنِيَ زَادُهُ، والواجِدُ: الغَنِيُّ.

ولا يُقَال: أنْهارٌ مِنَ النَّاسِ شَقَّها إلا مَنْ لَمْ يَسْمَعْ بِمَدْحِ المَادحِ، ولا بِكَلامِ العَربِ قَطُّ، وإنَّمَا المُستَعملُ في هذا أن يُقالَ: كالبَحْرِ، وكالسَّيلِ، وكالفُراتِ، فأمّا نَهْرُ مَشْقُوقٌ فمن أَقْبَحِ لَفْظٍ وَأَوْضَعِهِ.

وإنَّما قَالَ كَعْبُ بنُ مَعْدانَ الأشْقَرِيُّ[٢]:

بَــراكَ اللهُ يــومَ بــراكَ بحــرًا ❊ فَفَجَّــرَ مِنْــكَ أنهــارًا غِــزَارا

بَنِيــكَ السَّــابِقين إلــى المَعــالي ❊ إذا مــا أعْظَــمَ النَّــاسُ الخِطــارَا[٣]

لأنه جعلَ المهلّبَ بحرًا، وجعل بَنِيهِ أنْهارًا مُفَجَّرَةً مِنْهُ فَحَسُنَ ذلَك ولَمْ يَقْبُحْ.

وقال أبو تمّام[٤]:

كــأنَّ أموالَــه والبَــذْلُ يَمْحَقُهــا ❊ نَهْــبٌ تَعَسَّــفهُ التَبــذِيرُ أو نَفَــلُ[٥]

وهذا بيتٌ جَيِّدٌ المَعْنىٰ، وَأجْودُ منه قَوْلُ البُحْتَرِيُّ[٦]:

---

(١) في «س»: جيدٌ ولا حسنٌ.

(٢) ديوانه: ٤٦٣/١، والتبريزي ٧٦/٢.

(٣) كعب بن معدان الأشقري يكنىٰ أبا مالك، وأمه من عبد القيس، شاعر فارس خطيب معدود في الشجعان، من أصحاب المهلب والمذكور في حروبه للأزارقة «الأغاني ٥٤/١٣، معجم الشعراء ص٢٣٦».

(٤) في معجم الشعراء والأغاني «بنوك السابقون».

(٥) ديوانه: ١٨١/٢ والتبريزي ١١/٣.

(٦) ديوانه: ٢٨٠/١.

تُحَسَـــبُ فِـــي وَفْـــرِهِ يَـــداهُ يَـــدَيْ ✤ عَـــــدوِّهِ أو لِغَيْـــــرِهِ نَشَـــــبُهْ

مـــالٌ إذا الحَمْـــدُ مِنْـــهُ عِـــيضَ غَـــدَا ✤ مُنْهِبُـــــهُ غَانِمًـــــا ومُنْتَهِبُـــــهْ

[٦١س] قَولُهُ:

تُحْسَـــبُ فـــي وَفْـــرِهِ بَـــدي يـــدي ✤ عَدوِّهِ ... ...

يُشْبِهِ قَولَ أبي تمَّامٍ(١):

وإن خَفَـــرتْ أمَـــوَالَ قَـــومٍ أكُفُّهُـــمْ ✤ مِـــن النَّيْـــلِ والجَـــدْوى فكَفَّـــاهُ مَقْطَـــعُ

وهذا من قَبيحِ المَعاني(٢):

وقال أبو تمّام(٣):

مَـــنَ رأى بَارِقًـــا سَـــرى صَـــامِتيًّا ✤ جَـــادَ نَجْـــدًا سُـــهولَها والحُزُومَـــا

فسَـــقَى طَيِّـــئًا وكَلْبًـــا وذُودا ✤ نَ وقيسًـــا ووائِـــلًا وتَمِيمـــا

لَـــن ينـــالَ العُلـــى خُصُوصًـــا مـــن الأقّـــ ✤ ـــوامِ مَـــنْ لـــم يَكُـــنْ نَـــداهُ عمُومَـــا(٤)

وهذا جَيِّدٌ بَالِغ في العُمومِ والكَثْرَةِ.

وقال أيضًا في كثرةِ العطَاءِ(٥):

يقـــول الحَاسِـــدونَ إذا انصـــرَفْنَا ✤ لَقَـــدْ قَطَعُـــوا طَرِيقًـــا أو أغـــاروا

وَحسْبُكَ بهذا قُبْحًا ورَكاكَةً، وكان يجب أن يُتْبِعه بِبيتٍ آخرَ يَذكُرُ فِيهِ أنَّهُمْ

---

(١) ديوانه: ٢/١٤ والتبريزي ٢/٣٣٠.

(٢) وقال الصولي: هذا مثل حسن!.

(٣) ديوانه: ٢/٤٠٠ والتبريزي ٣/٢٢٤.

(٤) ديوانه وشرح التبريزي: «من الفتيان».

(٥) ديوانه: ١/٥١٣ والتبريزي ٢/١٥٦.

هَربُوا لِئَلّا يُؤْخَذُوا فُيعاقَبُوا عُقوبَةَ قُطَّاعِ الطُّرُقِ!.

ومن هذا البَابِ قَوْلُهُ[1]:

سَخِطَتْ لُهَاهُ على جَدَاهُ سَخْطَةً ✻ فاسْتَرْفَدَتْ أَقْصى رِضَى المُسْتَرْفِدِ

«فاللُّهَا» جمعُ «لَهْوَةٍ»، وهِيَ: العَطِيَّة، وأَصْلُهَا ما تُلْقِيهِ [فِي فَمِ][2] الرَّحا من الحَبِّ، كأنَّك جَعلْته طُعْمَة للرَّحىٰ، فَشُبِّهَتْ العَطِيَّةُ بِهِ، والجَدوىٰ هي العَطِيَّةُ أيضًا، فكيف يُسْخِطُ عطَايَاهُ؟، هذا عَيْنُ الخَطَأِ، ولو قَالَ: «سَخِطَتْ يدَاهُ علىٰ جَدَاهُ» كان قَوْلًا حَسَنًا مُسْتَقِيمًا.

وقد جاءَ بِهذَا المَعنىٰ في مَوْضِعِ آخَرَ وأتىٰ بِهِ علىٰ الصَّوابِ فقَال[3]:

ما الْتَقى وفْرُهُ ونَائِلُه مُذْ ✻ كانَ إلَّا وَوَفْرُهُ المَغْلوبُ

قال[4]: والوفْرُ: هو المَالُ الكثيرُ، وَالنَّائِلُ: هو المالُ الذي يُعْطِيهِ، وَهُوَ قِطْعَةٌ يَقْتَطِعُها من وَفْرِهِ، وهو مُذْهِبٌ لِلْوَفْرِ ومفنيه، كما قال زُهَيرٌ[5]:

أخو ثِقَةٍ، لا تُهْلِكُ الخَمْرُ مَالَهُ ✻ ولَكِنَّه قَدْ يُهْلِكُ المالَ نَائِلُهْ

وقد أحسَن البحتريُّ في هذَا البَابِ كلَّ الإحسانِ وذلِكَ قَولُهُ في الكَثْرةِ والعُمومِ[6]:

وأَنْفَق في العَلْياءِ حتَّى حَسِبْتَهُ ✻ من الدَّهْرِ يُعْطِي أَو مِنَ الدَّهْرِ يُنْفِقُ

---

(١) ديوانه: ٤٥٣/١ والتبريزي ٥١/٢، وفي ديوانه فقط: «المُتَرفِّدِ».

(٢) في «س»: «من الرحا» وما أثبته هو ما يوجبه شرح «لهوة» في اللسان.

(٣) ديوانه: ٣٣٩/١ والتبريزي ٢٩٥/١.

(٤) كذا في «س»، ولا أدري من القائل.

(٥) ديوانه ص ١١٣ وفيه «أخي».

(٦) ديوانه: ١٤٩٢/٣.

عطاءٌ كَضوءِ الشَّمْسِ غَمْرٌ فَمَغْرِبٌ ❁ يَكونُ سَواءً سَناهُ ومَشْرِقُ[1]

وقالَ في قصيدةٍ أُخرىٰ[2]:

مواهِبُ أعدادُ الأمَاني وخَلْفَها ❁ عِدَاتٌ يكادُ العُودُ مِنْهُنَّ يُورِقُ

قولُهُ: «أعدادُ[3] الأمَانِي» في غَايةِ الحُسْنِ والصِّحةِ.

وقال[4]:

لم يُحْصَ عِدَّةُ ما تُولِيهِ من حَسَنٍ ❁ وَسَيِّدُ النَّيْلِ ما لَمْ يُحْصِهِ العَدَدُ

وقال[5]:

مَواهِبُ ضَرَبَتْ في كُلِّ ذِي عَدَمٍ ❁ بِثَرْوةٍ وأَمَاحَتْ كُلَّ مُمْتَاحِ

وقال[6]:

كُلمَّا جَاءتِ اللَّيالي بإحسا ❁ نِ فَبَادِي إحسانِها إحْسَانُهْ

جُمَلٌ من لُهًى يُشَكِّكْنَ في القَو ❁ مِ أَهُمْ مُجْتَدوهُ أم خُزَّانُهْ؟

وقال في مثلِهِ[7]:

أَعْطَيْتَنِي حَتى حَسِبْتُ جزيلَ مَا ❁ أَعْطَيْتَنِيهِ وَديعَةً لَمْ تُوهَبِ

---

(١) ديوانه «عم».

(٢) ديوانه: ١٥٣١/٣.

(٣) «س»: «اعداد».

(٤) ديوانه: ٦٤٨/٢، وفيه «مأولاه».

(٥) ديوانه: ٤٤٤/١، في «س»: «بثورة» والتصحيح من ديوانه.

(٦) ديوانه: ٢٢٩٨/٤.

(٧) ديوانه: ٨٢/١، وقد سبق في ٣١٤/١.

[٦٢س][1] وإنَّمَا أخذَ هذا المَعْنىٰ من قَولِ الفَرَزْدَقِ[2]:

أعطانِيَ المالَ حتَّى قُلْتُ: يُودِعُنِي ❊ أو قُلْتُ: أَوْدَعَ مالًا قد رَآهُ لَنَا

وبَيْتُ البُحْتُرِيِّ أجْوَدُ من هذا[3] لَفْظًا وسَبْكًا[4].

وقال[5]:

تَجاوَزَ غاياتِ العُقُولِ رغائِبٌ ❊ يَكادُ بِهَا لَوْلَا العِيَانُ تُكَذَّبُ

وقال في أبي نَهْشَلٍ[6]:

وعَطايَاكَ في الفُضُولِ عِدَادُ الرَّ (م) مْلِ من عَالِجٍ وكَيْفَ الحُقُوقِ[7]

ظَلَّ فيها البَعيدُ مِثْلَ القريبِ الـ ❊ ـمُجْتَبَى والعدوُّ مثلَ الصَّديقِ[8]

كَحَبِيِّ الغَمامِ جَادَ فَرَوَّى ❊ كُلَّ وادٍ من البِلادِ وَنِيقِ

وهذهِ مَعانٍ مُخْتَلِفَةٌ، وكلُّها في غايةِ الجَودَةِ والصِّحَّةِ، ولا خفَاءَ بِفَضْلِ البُحْترِيِّ ـ في هذا الباب أيضًا ـ علىٰ أبي تمّام.

---

(١) من هنا تبدأ نسخة «كمبردج» لتلتقي مع النسخة التونسية وتصاحبها وقد سدت النسخة التونسية خرما كبير في نسخة كمبردج التي تبدأ من لوحة ٧٢/ب فلله الحمد والمنة، وسأشير إليها في الهامش «بالأصل».

(٢) الموشح ص ٥١٨، وفيه «قلت أودعني»، وقد سبق في ٢/٨، وفيه «أو قلت أعطىٰ» وبها ينكسر البيت.

(٣) «س»: «أجود منه».

(٤) كذلك قال في الجزء الأول، وقال المرزباني: «أخذ قوله: «البيت» وقصر وأفحش، وأسقط أحد القسمين».

(٥) ديوانه: ١٣٨/١، وفيه:

«... ... ... ❊ نكاد لها لولا العيان نكذب».

(٦) ديوانه: ١٤٨٤/٣.

(٧) «عالج» رملة بالبادية بين فَيْد والقُرَيَّات يَنْزِلُها بنو بُحْترٍ من طَيِّئ «معجم البلدان» ٧٠/٤.

(٨) سبق في ٣٩١/١.

فيِ[1] ذكرِ القَصْدِ والإسرافِ



قال أبو تمّام[2]:

قَصْدُ الخَلائِقِ إلّا في نـدًى ووغًـى ❊ كِلَاهُمَـا سُـبَّةٌ مـا لَـمْ يَكُـنْ سَـرفَا

وكان يَنْبَغِي أن يَقُولَ: ما لم يَكُونا سَرَفا، وكأنَّه تأوَّلَ ما لم يكُنْ ذاكَ، أو حَمَلَهُ على قَوْلِهِم «كلاهُما فَارِسٌ إذا رَكِبَ، وفارِسانِ[3] إذا رَكِبا» لأنَّ «كِلَا» تَصْلُحُ هَاهُنا للإِفْرادِ والتَّثْنِيَةِ.

وقال البحتريّ[4]:

ولا إسـرافَ غيـرُ الجُـودِ فيـهِ ❊ وسـائِرُهُ لِهَـدْيٍ واقْتِصَـادِ

فذَكَرَ السَّرفَ في الجُودِ وَحده، وأبو تَمّام جعلَ السَّرفَ في النَّدىٰ والوَغىٰ جَميعًا، وأرادَ بالسَّرفِ في الوَغىٰ القَتلَ، فبَيتُهُ أجمَعُ للمعاني، وبيتُ البحتريِّ أَحْسَنُ سَبكًا وأجودُ لفظًا.

وقال البحتريّ[5]:

(١) في «س»: «وقد ذكر».

(٢) ديوانه: ٥٣/٢ والتبريزي ٣٦٥/٢: «كلاهما سُنَّة» والتبريزي و«س»: «إلا في وغىٰ وندىٰ».

(٣) في الأصل: «وكلاهما فارس إذا ركبا». والتصحيح من «س»، وقد رد الضمير مفردًا حملا على اللفظ في «كلا وكلتا» أكثر من الحمل على المعنى وقد جاء ذلك كثيرا، انظر «الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري ٢٦٠». وهو رأي البصريين، ومن قوله: «لأن كلا...» ساقطة من «س».

(٤) ديوانه: ٧٢٥/٢.

(٥) ديوانه: ١٤١٧/٣، وفيه «كرما».

كَـــرَمٌ دَعَتْـــكَ بِـــهِ القَبائِـــلُ مُسْـــرِفًا ✤ مـا مُسْـرِفٌ فـي المَكْرُمـاتِ بِمُسْـرِفِ

فأما قَولُ أبي تمّام[١]:

لـــه خُلُـــقٌ نهـــى القـــرآنُ عَنْـــهُ ✤ وذَاكَ عطَـــاؤهُ السَّـــرفُ البِـــدارُ

ولـــم يَـــكُ ذاكَ إصـــرْارًا ولكِـــنْ ✤ تمَـــادَتْ فـــي سَـــجيَّتِهَا البِحَـــارُ

[٧٣س] فمِمَّا لا يفِي بَجَودَتِه وحُسْنه شَيءٌ، ولكن جَاءَ بهِ بعدَ بَيتٍ لَو خَرِسَ كان خيرًا له مِنْ أنْ يأتِيَ بمِثْلِهِ[٢]، وهو قولُه:

يقـــولُ الحاسِـــدونَ إذا انْصَـــرفْنَا ✤ لقَـــدْ قَطَعُـــوا طَرِيقًـــا أو أغـــارُوا

وقد مضى ذِكْرُه[٣]، وأبو تمّامٍ في هذا البابِ أشْعَرُ.



(١) ديوانه: ١/٥١٣. وفيه «البذار»، وهي رواية «س»، وانظر تعليق أبي العلاء على هذه الرواية في شرح التبريزيّ ٢/١٥٦.

(٢) قوله: «من أن يأتي بمثله» سقط من «س».

(٣) انظر ص ٣٠٥.

ذكرُ تعجيلِ العطَاءِ[1]



لم أرَ أبا تَمَّامٍ جَرَّدَ القولَ في هذا الباب، ولا أتىٰ فيهِ بشَيءٍ يُعْتَدُّ بِهِ، ووجَدْتُهُ قالَ في مُحمدِ بنِ عبد الملكِ الزيَّاتِ[2]:

فمـا يَلْحَـظُ العـافِي جَـداكَ مُـؤمِّلًا ❊ سِـوَى لَحْظَـةٍ حتَـى يَـؤُوبَ مُـؤمَّلا

وقال البحتريُّ[3]:

عَجِـلٌ بالـذي تُنيـلُ يَـداهُ ❊ إنَّ بُـطءَ النّـوالِ مـن تَنْكِيـدِهْ

كـادَ مُمْتَاحُـهُ لسـابِقِ جَـدوا ❊ هُ يكـونُ الإصْـدارُ قبـلَ وُرُودِهْ[4]

وهذا معنًىٰ حسَنٌ لطيفٌ وإنّما ساغَ ذلِكَ[5] لِقَوْلِهِ: «كاد».

وقالَ[6]:

إذا قـالَ وَعْـدًا أو وعيـدًا تَسَّـرعَتْ ❊ مكَـارِمُ تَثني آجِـلَ الأمْـرِ عَـاجِلا

ومن المَكارمِ تحقيقُ الوَعيدِ[7] وتَعجِيلُهُ أيضًا كالوَعْدِ، ولذلِكَ ضمَّهُما[8] معًا.

---

(١) «س»: «في تعجيل العطاء».

(٢) ديوانه: ٢/٣٠٧ والتبريزي ٣/٩٩، وفيهما «ما يلحظ».

(٣) ديوانه: ١/٥٩٩.

(٤) الأصل: «يسابق»، والتصحيح من ديوانه و«س».

(٥) ساقطة من «س».

(٦) ديوانه: ٣/١٦٠٢، وفي الأصل: «تشرّعت» بالشين المعجمة.

(٧) «س»: «الوعد».

(٨) زيادة من «س».

ومثلُهُ قوله(١):

إنْ يَقُلْ واعِدًا تُوافِ إلى النُّجْـ ❖ ـحِ يَداهُ في صَفْقَةٍ ولِسانُهْ
ضامِنٌ لِلَّتي تُرادُ لَدَيْهِ ❖ قَلِقُ الفِكْرِ أو يَصِحَّ ضَمانُهْ

وقال(٢):

حَيثُ لا تَدْفَعُ الحقُوقَ المعاذِيـ ❖ ـرُ، ولا يَسبِقُ العَطاءَ السُّؤالُ

وأَجْوَدُ من هذا قولُ ابنِ هَرْمَةَ(٣):

يسبق بالفعل ظنّ سائِلِه ❖ ويقتل الرّيثَ عنده العَجَلُ

وقال البحتريّ(٤):

وقد أعجَزَ العذالَ أنْ يتَدارَكُوا ❖ لَهًى تَسْبِقُ الأَلْحاظَ قَبلَ ارْتِدادِها

وهذا نِهايةٌ في السُّرعةِ والتَّعجيلِ.

وقال(٥):

كم قد عَجِلْتَ إلى النَّعماءِ تَصْنَعُها ❖ مُبادِرًا وبَخِيلُ القَومِ مُتَّئِدُ

وقد أبرَّ البحتريُّ في هذا البابِ على أبي تمّام(٦).



(١) من قوله: «ومثله قوله» إلى قول ابن هرمة: «ويقتل الريث عنده العجل» أخرته «س» إلى نهاية الباب، والبيتان: «في ديوانه» ٤/ ٢٢٨٩، وفيه «الذي يراد لديه».

(٢) ديوانه: ١٨٠٩.

(٣) ديوانه: ١٧٢.

(٤) ديوانه: ٢/ ٦٧٥.

(٥) ديوانه: ٢/ ٦٤٨، وفي «س»: «كم عَجِلْتَ».

(٦) من قوله: «وقد أبر...» ساقط من «س».

ذكر[1] متابعةِ العطاءِ



قال أبو تمامٍ[2]:

كلّما زُرْتَهُ وجدتَ لَديهِ ❁ نَشَبًا ظَاعِنًا ومَجْدًا مقُيمَا[3]

وتُؤَامُ النَّدى يُرِي الكَرمَ الفَلْـ ❁ ـتَةَ في أَكْثَرِ المواطِنِ لُومَا[4]

وهذا معنًى صحيحٌ حَسَنٌ.

وقال[5]:

إذا كانت النُّعمى سَلوبًا من امرِئٍ ❁ غَدَتْ من خَلِيجيْ كَفِّهِ وهيَ مُتْبعُ

السَّلوبُ: التي لا وَلدَ لَها، والمُتْبعُ: التي يَتْبَعُها وَلَدُها[6].

وقالَ[7]:

(١) «س»: «في متابعة العطاء».

(٢) ديوانه: ٢/٤٠٣ والتبريزي ٣/٢٢٨.

(٣) شرح التبريزي «وجدت ليده نسبا» بالسين المهملة «والنشب»، المال، «الظاعن» الرَّاحل، ورواية الموازنة والديوان أجود من رواية التبريزي.

(٤) ديوانه والتبريزي «الكرم الفارد» والفرد: هي الناقة المنفردة المنقطعة عن القطيع، والفلتة: الأمر يقع فجأة دون تردد أو تدبر.

(٥) ديوانه: ٣/١٤ والتبريزي ٢/٣٢٩.

(٦) الأصل: «التي لها» والتصحيح من «س»، قال أبو العلاء: «السلوب» التي سُلِبَ ولدها منها بموتٍ أو غيره، «والمُتْبِعُ» التي يَتبَعُها ولدها، و«الخليج»: ما ينقطع من بَحْرٍ أو نهرٍ، كأنه يُخْلَجُ منه أو يُجْذَبُ وإنما أرادَ من خَلِيجَيْ كفَّيْهِ، فدلَّ عليهما بالكف الواحدةِ ومثلُ هذا كثير.

(٧) ديوانه: ٢/٤٢٦ والتبريزي ٣/٢٥٠ ـ ٢٥١، ويمدح ابن شُبانةَ أبا الحسين محمد بن الهيثم،=

ولْـــتَعْلَمِ الأيّــــامُ أنّــــي فُتُّهَـــا ❁ بـأبي الحسُـين مُحَمـدِ بـنِ الهَيْـثَمِ
بـــأغرَّ لـــيسَ بتَـــوأَمٍ ويَمِينُـــهُ ❁ تَغـدُوُ وتَطْـرقُ فالفَعَـال التَّـوْأَمِ[١]
كَلِـفٌ بِـرَبِّ الحَمْـدِ يَـزْعُمُ أنَّـه ❁ لـم يُبْتَـدأْ عُـرْفٌ إذا لَـمْ يُـتْمَمِ[٢]

وقالَ أيْضًا[٣]:

وصَـــنيعةٍ لَـــك ثَيِّـــبٍ أهـــديْتَها ❁ وهـي الكَعَـابُ لِعَائـذٍ بِـكَ مُصْـرَمِ
[حلت مَحَلَّ البكـر مـن مُعْطًـى وقـد ❁ زُفَّـتْ مـن المُعطِـي زِفـافَ الأيِّـمِ][٤]

قَولُهُ: «وصنيعةٍ لَك ثَيِّبٍ أهديتها» يريد: أنك قد صنعت مثلها[٥] فلَيْسَتْ بِكْرَ[٦] صنائِعِكَ، أي لَيْسَت أوَّلَ ما صَنعتَ، ولمَّا لَمْ تَكُنْ بِكْرًا جَعلَها ثَيِّبًا، وقالَ: «وهي الكَعابُ لعائِذٍ بِكَ»، فأقامَ[٧] الكَعَابَ هَا هُنَا مقَامَ البِكْرِ، أي هي ثَيِّبٌ عِنْدَكَ وبِكْرٌ عندَ من تُعْطِيهِ.

والكَعابُ هي التي قد كَعَب ثَدِيُها، وقد تكونُ بِكرًا وتكون ثَيِّبًا قد افْتُرِعَتْ،

= من أهل مرو وصاحب (كتاب الدولة) «مروج الذهب للمسعودي ١/١٣» مدحه أبو تمام بعدة قصائد «ديوانه: ١/٢٨٧ ـ ٢٩٦، ٢/٦٨، ٨٠، ١٥٢، ٣٤١، ٣/٢٤٨، ٢٨٩» وانظر «أخبار أبي تمام ص ١٨٨ ـ ١٩٠».

(١) التبريزي: قد كثر تردد هذا المعنىٰ في شعر العرب، وذلك أنهم يذمون التوأم من الرجال، لأنهم ينسبونه إلىٰ نقص في الخَلْقِ، وضَعْفٍ في القُوَّةِ ويرون أن المُتْئِمَ من النِّساء قُسِمَ ولدُها اثنين، وفي التبريزي: «بالنَّوالِ التَّوْأمِ» وعليها الرواية أيضا في ديوانه.

(٢) التبريزي: «كلف برب المجد».

(٣) «أيضا» زيادة من «س»، والبيت من ديوانه: ٢/٤٢٨، والتبريزي ٣/٢٥٥، وفي الأصل: «بل مصرم».

(٤) ساقط من الأصل، وانظر الشرح بعده.

(٥) «أهديتها» ساقطة من «س»، وفيها «أنك صنعتها».

(٦) «س»: «بِكْرٌ لصنائعك».

(٧) الأصل: «وأقام»، والتصحيح من «س».

فليستْ بِضِدِ الثَّيِّبِ في الحقيقةِ، ولكنَّهُ أقامَها مُقامَها، لقولِهِ: «حَلَّتْ محلَّ البِكْر من مُعْطَى».

وقولُه: «وقد زُفَّتْ[1] مِنَ المُعْطِي زِفَافَ الأيِّمِ» يريد بالأيِّمِ الثَّيِّبَ، والأيِّمُ هي التي لا زَوْجَ لهَا، بكرًا كانتْ أو ثيِّبًا.

وقد بَيَّنْتُ هذا في أَغاليطِهِ وأَوْضَحْتُهُ[2].

وقال في موضعٍ آخرَ يذكرُ الصَّنيعةَ[3]:

وليســتْ بــالعوانِ العَــنْسِ عِنْــدي ✤ ولا هِــيَ مِنْــكَ بــالبِكْرِ الكَعَــابِ

[١٧٤] قولُهُ: «لَيسَت بالعَوانِ العَنْسِ عِنْدِي» يُريدُ لِجَلَالَتِها، وأَنَّهُ ما أُسْدِيَ إليه مِثْلُها، وأرادَ أن يقولَ «العانِسَ» فقال «العَنْسَ»، و«العَنْسُ» إنّما هي النّاقةُ التي قَد انْتَهتْ في قُوَّتِها وشِدَّتِها وشَبابِها[4]. وقد ذَكَرتُ هَذا في أغالِيطِهِ أَيْضًا[5].

وقال أبو تمّام في الحَسَنِ بن وهبٍ[6]:

جُمعَــتْ لنَــا فِــرَقُ الأمَــانِي مِــنْكُمُ ✤ بــأَبرَّ مــن رُوحِ الحَيــاةِ وأَوْصَــلِ

(١) «قد» زيادة من «س».

(٢) انظر ١/٣٦٤.

(٣) ديوانه: ١/٣٣٣ والتبريزي ١/٢٦٨.

(٤) ساقطة من «س».

(٥) انظر الموازنة ١/٢٧٢، ٣٦٨ وفي «س»: «وقد ذكرت هذا أيضا في أغالطه».

(٦) ديوانه: ٢/٢٧٠ والتبريزي ٣/٤٩ وفيهما «وقال يمدح أبا الوليد أحمد بن دؤاد الإيادي» وفي الأصل: «وقال في الحسن بن هب» والتصحيح من «س».
وفي الديوان قصيدة يمدح أبو تمام بها الحسن بن وهب من نفس الوزن والقافية وأولها:
لـيس الوقـوفُ بكـفـء شـوقِكَ فـانزلِ ✤ تبْلُــلْ غَلــيلًا بالــدُّموعِ فَتُبْلِــلِ
«ديوانه: ٢/٤٤٢، والتبريزي ٣/٣٢».

فصـــنيعةٌ فـــي يَوْمِهـــا وصَـــنيعةٌ ❊ قـــد أَحْولَـــتْ وصـــنيعةٌ لـــم تُحْـــوِلِ
كـــالمزن مـــن ماضِـــي الرَّبـــابِ ومُقْبِـــلٍ ❊ مُنتَظَّـــرٍ ومُخَـــيِّمٍ مُتَهلِّـــلِ[1]

قولُهُ: «وصنيعةٍ قد أحْولَتْ، وصنيعةٍ لم تُحْوِلِ» لا يُشْبِهُ أحوالَ الأمطارِ في قُرْبِ بَعْضها من بَعْضٍ، ولكنَّ قَولَهُ: «بأبَرَّمن رُوحِ الحياةِ وأوْصَلِ[2]» حَسَنٌ جِدًا.

والصَّحِيحُ المَعنىٰ في هذا قولُ البُحْتُريِّ[3]:

لِـــيَ مِنْـــهُ فـــي كُـــلِّ يـــومٍ نَـــوالٌ ❊ لـــم تَنَلْـــهُ كُـــدُورَةُ التَّرْنِيـــقِ[4]
عِنْـــدهُ أوَّلٌ وعِنْـــدِيَ ثَـــانٍ ❊ مـــن نَـــدَاهُ وثَالِـــثٌ فـــي الطَّرِيـــقِ[5]

وإن كنتُ لا أُحِبُّ لفظةَ[6] «الطَريقِ» هَاهُنا، فإنَّها من ألفاظِ العوامِّ.

وقد أحسَن البحتريُّ أيضًا في متابَعةِ العطَاءِ كلَّ الإحسانِ، فمن ذلك قوله[7]:

إلـــى فتًـــى يُتْبِـــعُ النُّعمـــى نَظائِرَهـــا ❊ كـــالبَحْرِ يُتْبِـــعُ أمواجًـــا بـــأمواجِ

وقولُهُ[8]:

فـــإن تُتْبِـــعِ النُّعْمـــى بنُعِمـــى فإنَّـــه ❊ يَـــزِينُ الآلِـــي فـــي النِّظَـــامِ ازْدواجُهـــا

وقوله[9]:

---

(١) في الأصل: «مُنتَظَرٍ».
(٢) ساقطة من «س».
(٣) ديوانه: ٣/١٤٨٣.
(٤) في الأصل: «التدنيق» تحريف «والترنيق»: اختلاط الماء بالطين.
(٥) في «س»: «ثاني» «انظر هامش ص ٢٨٨ من هذا الجزء».
(٦) الأصل: «لفظ» والتصحيح من «س».
(٧) ديوانه: ١/٤١٢.
(٨) ديوانه: ١/٤٢٧، وفيه «فإن تلحق».
(٩) «س»: «وقال» وفيها تقدم قوله: «وأحسن من كل حسن قوله: «البيت» على هذا البيت، وفي ديوانه:=

إذا كــرَّتِ الآمــالُ فيــه تَتَابَعَــتْ ❊ مواهــبُ مَكــرورِ الأيــادِي مُعادِهــا

وأحسَنُ من كلّ حَسَنٍ قَوْلُه[1]:

يَكُــرُّ نوالُــهُ عَلَــلًا عَلَيْنَــا ❊ كُــرورَ الكَــأْسِ أَترعَهَــا المُــديرُ

وقال البحتريُّ أيضًا في أحمدَ بن محمد بن بِسْطام[2]:

تَتَــابَعُ منــه كُــلَّ يــومٍ مَواهِــبٌ ❊ تَفوتُ ارْتدادَ الطَّرفِ سَبْقًا عَجولُها[3]

إذا كَرَّهــا بــالبِرِّ منــه أعادَهــا ❊ علىٰ النَّهْجِ مَحمودُ السَّجايا جَميلُها

وقال[4]:

بلَغَــتْ يــداهُ إلى التي لــم أَحْتَسِبْ ❊ وثَنَــى لأُخــرى فهْــو بَــادٍ عَائِــدُ

هُــوَ واحِــدٌ فــي المَكْرُمــاتِ، وإنَّمَــا ❊ يكْفِيــكَ عَادِيــةَ الزَّمــانِ الوَاحِــدُ

والبحتريُّ في هذا كُلِّهُ أشعرُ من أبي تمّامٍ.



= ٦٧٥/٢، وفيه «تلاحقت مواهب».

(١) ديوانه: ٩١٥/٢.

(٢) «س»: وقال في أحمد بن بسطام، ديوانه: ١٧٧٧/٣.

(٣) «س»: «يفوت»، ديوانه:

«تتــابع منــه كــل يــوم فضــيلة ❊ يفوت ... ...»

(٤) ديوانه: ٦٠٢/١ يمدح الحسن بن مخلد، وفي «س»: وقال البحتري أيضا، وفي الأصل: «إلىٰ الذي لم أحتسب»، والتصحيح من «س».

وفي تشبيه جُودِ الجوادِ بالسَّحابِ والغيثِ والأنْواءِ

قال أبو تمّام[1]:

مواهبُ جُدنَ الأرضَ حتى كأنَّما ✤ أَخَذْنَ بآدابِ السَّحابِ الهَواطِلِ

وهذا حَسَنٌ جِدًا.

وقال[2]:

نَشَأَتْ من يَمينِه نفحَاتٌ ✤ ما علَيها ألَّا تكونَ غُيوما

والبيتُ الأوّلُ أجودُ.

وقال[3]:

جرى حَاتِمٌ في حلْبَةٍ منه لَوْ جَرى ✤ بَها القَطْر شَأوًا قِيلَ أيُّهما القَطْرُ

فهذا تشبيهٌ بالسَّحابِ.

وأَكثَرُ ما جَاءَ عَنهُ تفضِيلُ جُودِ الجَوادِ على السَّحابِ فمن ذلك قولُهُ[4]:

في قُلِّهِ كُثْرُ السِّماكِ وإنْ غَدَا ✤ هَطِلًا وعَفْوُ يَديْهِ جُهْدُ المِرْزَمِ

السِّماكُ سِمَاكَانِ: الأعْزَلُ والرَّامِحُ، وهُمَا[5] كَوكَبانِ من نجوم بُرجِ[6] الأَسَدِ

(١) ديوانه: ٢/٢٢٠ والتبريزي ٣/٨٠، وفي الأصل: «حُزْنَ الأرض».

(٢) ديوانه: ٢/٤٠٠ والتبريزي ٣/٢٢٥.

(٣) ديوانه: ٣/٦١٧ والتبريزي ٤/٥٧٤.

(٤) «س»: «وذلك قوله:»، ديوانه: ٢/٤٢٨، والتبريزي ٣/٢٥٢.

(٥) «س»: «الأعزل والرامح كوكبان».

(٦) «س»: «من نجوم الأسد»، وانظر العمدة لابن رشيق ٢/٢٥٢ قوله: «ونوء الأسد... ذراعي=

ونوء الأَسَدِ من أَغْزَرِ الأنواءِ، والمِرْزَمُ أحدُ كَوكَبَيْ ذِرَاعَيْ الأَسَدِ وقالَ ابنُ هَرْمَةَ[1]:

جَوادٌ تُبارِي المِرْزَمَينِ شِمَالُهُ ✿ وتَحْقِرُ أنواءَ الرَّبِيعِ يَمِينُها

قَولُ أبي تَمّامٍ أَبْلَغُ، وهذا أَحْسنُ لَفظًا وأَبْرَعُ.

وقَولُهُ[2]:

غَيثٌ حوَى كَرَمَ الطّبائعِ دَهْرَهُ ✿ والغَيثُ يَكْرُمُ مَرَّةً ويَلُومُ

وهذا غايةٌ في الحُسْنِ والصِّحَّةِ.

وقال في مِثْلِهِ[3]:

كَرُمَتْ راحَتاهُ في أزَماتٍ ✿ كانَ فِيها صَوْبُ الغَمامِ لَئِيمَا

وقال[4]:

ولا أرى دِيمَةً أنْفَى لِنَائِبَةٍ ✿ مِنْهُ على أنّ ذِكرًا طارَ للدِّيَمِ

وقالَ[5]:

لَهُ كَرمٌ لو كَان في المَاءِ لم يَغِضْ ✿ وفي البَرقِ ما شَامَ امرؤٌ برقَ خُلَّبِ

= الأسد» سقط من «س».

(١) لم أجد البيت في ديوانه المجموع.

(٢) ديوانه ٢/٤٢٠ والتبريزي ٣/٢٩١، وقال التبريزي: «عادة العرب إذا خَفَّفوا الهمزةَ في مثل «يَلؤمُ» أن يُلْقوا الحركة على اللام، ويحذِفوا الهمزة، فيقولوا «يَلِمُ» وفي «يَسْأَمُ» «يَسِمُ» وفي «يَنْئَم» «يَنِمُ» وبعضهم يقول يَلوَمُ ويَسامُ ويَنِيمُ الليث «أي يئنّ»، وذلك ردئ، قليلٌ في كلامهم».

(٣) ديوانه: ٢/٤٠٠ والتبريزي ٣/٢٢٥، وفيه «كان صوب الغمام فيها لئيما».

(٤) ديوانه: ٢/٣٤٩ وشرح التبريزي ٣/١٨٧، وفي ديوانه: «أنجى لمسغبة» والتبريزي: «أمحى لمسغبة» وفي «س»: «أكفى.... طاب للديم».

(٥) ديوانه: ١/٢٤٦ والتبريزي ١/١٥٢.

[٧٧] وقالَ(١):

إن غاضَ ماءُ المُزْنِ فِضْتَ وإن قَسَتْ ❊ كَبِـدُ الزَّمـانِ عَلـيَّ كُنـتَ رَؤوفَـا

وقالَ(٢):

يَفـيضُ سـماحةً والمُـزْنُ مُكْـدٍ ❊ ويَقْطَـعُ والحُسـامُ العَضْـبُ نَـابِ

وقالَ(٣):

إذا وَعَـد انْهلَّـتْ يَـداهُ فأهـدَتَا ❊ لَكَ النُّجحَ محمولًا على كَاهِلِ الوَعْدِ

دَلوحَـانِ تَفْتَـرُّ المكَـارِمُ عَنْهُمـا ❊ كما الغَيثُ مُفْتَرٌّ عن البَرْقِ والرَّعْدِ(٤)

قولُهُ: «دَلوحانِ» من السَّحابِ والدَّوالِحِ، وهي المُثْقَلَةُ بالمَاءِ(٥).

«تَفْتَرُّ المَكارِمُ عَنهُما(٦)» تَبْدُو وتَظْهَرُ.

«كما الغيثُ مُفْتَرٌّ عن البَرْقِ والرَّعْدِ» أقامَ راحَتَيْهِ مقامَ البَرْقِ والرَّعْدِ، وأنَّ الغَيْثَ يفتَرُّ عنهما.

هذا علىٰ ظاهرِ لَفْظِ أبي تمّام، وهو عندِي من المقلوبِ، لأنَّ حقيقةَ الافترارِ الانكشافُ، ومنه قولهُمُ: فَرَرْتُ الدَّابَّةَ، أي: كَشفتُ جَحْفَلَتَه(٧) لأنْظُرَ إلىٰ سِنّهِ،

(١) ديوانه: ٢/٧٧ والتبريزي ٢/٣٨٣.

(٢) ديوانه: ١/٢٣٢ والتبريزي ١/٢٨٤ وفيه: «تفيض».

(٣) ديوانه: ١/٤٨٦ وشرح التبريزي ٢/١١٣، وانظر ١/٢٣١.

(٤) الأصل: «منهل»، والشرح علىٰ «مفتر» فأثبتها.

(٥) قال ابن المستوفي: «دلوحان يعني يديه أي: هما دلوحان. وأصل الدّلح أن يمشي الرجل مُثقلًا، ثم استعير لغيره، وقيل يعني به النُّجحَ والوعدَ وقد تقدم ذكره في البيت الذي قبله» «النظام شرحي المتنبي وأبي تمام، مخطوط لوحة ٣٧٢».

(٦) «س»: أي تبدو وتظهر.

(٧) جحفلة الدابة: ما تتناول به العلف، وهو من الخيل والحُمُرِ والبغال وذوات الحافر بمنزلة الشفة=

وقد فُرَّ فُلانٌ عن ذَكاءٍ، وفُرَّ عن عَقْلٍ أي كُشِفَ، فوجْهُ الكَلامِ: دَلُوحَانِ يفتَرَّانِ عن المَكارِمِ، أي يَنْكَشِفانِ ويَنْفَتِحانِ عن الغَيثِ، وهو عندِي من المقلوبِ الحَسَنِ السَّائغ الجَائزِ مِثلُهُ للمُتَأَخِّرينَ، لأن اليَدين إذا انْفَتَحَتا وانكَشَفَتَا عن المَكارِم، فإنَّ المكارِمَ أيضًا قد انكشَفَتْ، وكذلِكَ البرقُ والرَّعْدُ إذا انْفَتَحا وانكشَفا عن الغيثِ، فإنَّ الغيثَ قد انكشَف واتَّضَحَ[1].

وقال البُحْتُريُّ في هذَا المَعنى[2]:

لَعَمْـرُكَ مـا الـدُّنيا بِنَاقِصـةِ الجَـدا ❊ إذا بَقِـيَ الفَـتْحُ بـنُ خاقـانَ والقَطْـرُ

وقالَ[3]:

وجـرَى جـودُه رَسـيلًا لِجـود الْـ ❊ ـغَيْـثِ مـن غَايَـةٍ فجـاءا سـوَاءَ

وقالَ[4]:

فهْـو غَيـثٌ والغَيـثُ مُحْتَفِـلُ الـوَدْ ❊ قِ، ويَحْـرٌ، والبَحْـرُ طـامِي العُبـابِ

فهذا شَرْطٌ في غايةِ الجَوْدةِ والقُوَّةِ، ولكنّ[5] قولَ أبي تَمّامٍ:

يَفِـيضُ سـماحةً والمُـزْنُ مُكْـدِ ❊ ويَقْطَـعُ والحُسـامُ العَضـبُ نَـابِي

أَلْطَفُ مَعنًى[6].

= من الإنسان والمِشْفَرِ للبعير، واستعارَهُ بعضهم لذوات الخُفِّ.

(١) ساقطة من «س».

(٢) ديوانه: ٢/٨٤٤، وقد سبق في ٣/٧٠ وفي «س»: «في هذا الباب» وفي الأصل: الجدّ.

(٣) ديوانه: ١/١٥، وفي هامشه «الرسيلُ الفرس الذي يرسلُ مع آخر في السباق».

(٤) ديوانه: ١/٨٥.

(٥) في الأصل: «ولأنّ».

(٦) من قوله: «ولكن قول أبي تمام.... ألطف معنى» سقط من «س».

وقد فَضَّلَ البحتريُّ[1] جُودَ الجَوادِ على السَّحابِ والغِيثِ وتصرَّفَ في ذَلِكَ وافتنَّ افْتِنانًا

عَجيبًا فقالَ[2]:

لـيس السَّـحابُ ببـالِغٍ فيـه الرِّضـى ✤ فـأقول إنَّ نَـدَاهُ صَـوْبُ سَـحَابِ

و[قال[3]:

إنْ أنَـا شَـبَّهْتُهُ بالغَيْـثِ فـي مِـدَحِي ✤ غَضَضْتُ مِنْهُ وكُنْتُ المَادِحَ الهَاجِي]

وقال[4]:

فلـو ذَارَعَـتْ أخلاقُـهُ الغيـثَ حـافِلًا ✤ لحَاجَزَهَـا بَـاعٌ مـن الغَيْـثِ ضَـيِّقُ

وقالَ[5]:

كَرُمْـتَ وكـانَ القَطْـرُ أنـأَى مسَـافةً ✤ وأَضـيَقَ باعًـا مـن نَـداكَ وأقصـرَا

وقالَ[6]:

وأُكْبِـرُ أن أُشَـبِّهَ جُـودَ «فَـتْحٍ» ✤ بمـاءِ غمَامَـةٍ أو سَـيْلِ وَادِ

وقالَ[7]:

ويَحْمِـلُ إسـماعيلُ عنَّـا ابـنُ بُلبـلٍ ✤ من المَحْل عِبْئًا لَيْسَ يَحمِلُهُ القَطْرُ[8]

---

(١) ساقطة من «س».

(٢) «س»: «افتنانا حسنا»، ديوانه: ١/٢٩٥، وفي الأصل: «وأقول».

(٣) ديوانه: ١/٤١٤ وفيه «فكنت المادح الهاجي» وما بين المعقوفين زيادة من «س».

(٤) ديوانه: ٣/١٤٩٢.

(٥) ديوانه: ٣/٩٣٣، وديوانه: «أدنئ»، ورواية الموازنة أجود.

(٦) ديوانه: ٢/٧٢٥ وفيه «بصوب غمامة».

(٧) ديوانه: ٢/٨٧٣.

(٨) جاء في الديوان أن هذه القصيدة قيلت في إسماعيل بن بلبل أو في أبي عامر الخضر بن أحمد=

بِغُــزْرِ يَــدٍ منــه تَقــولُ: تَعلَّمَــتْ ❁ يَـدُ الغَيـثِ مِنْهـا أم تَقَيَّلَهَـا البَحْـرُ؟[1]

وقالَ[2]:

إن قَصَّـرتْ هِمَـمُ العَـافين جـاشَ لَهُـمْ ❁ جُحَـافُ أغْلَـبَ فـي حافَاتِـهِ الزَّبَـدُ

عَفـوٌ مـن الجُـود لـم تَكْـذِبْ مَخيلَتُـهُ ❁ يُقَصِّــرُ القَطْـرُ عنــه وهــو مُجْتهِــدُ

فقولَه[3]: «يُقصِّرُ القَطْرُ عَنْه وهو مُجْتَهِدُ» مثلُ قول أبي تَمَّام[4]:

فــي قُلِّــهِ كُثْــرُ السِّــمَاك وإن غــدا ❁ هَطِـلًا، وعَفْـوٌ يَديـه جُهْـدُ المِـرْزَمِ

وبيت أبي تمّام هذا أجود[5].

وقال البحتريّ[6]:

قَـدْ قُلـتُ لِلْغَـيْمِ الرُّكـامِ- ولَـجَّ فـي ❁ إبْراقِــهِ، وأَلَــحَّ فــي إرعَـــادِه

لا تَعْرِضَــنَّ «لجَعْفَــرٍ» مُتَشَــبِّهًا ❁ بنـدى يَدَيْـهِ فَلَسْـتَ مِـن أنْـدَادِهِ!

وقال[7]:

أقـولُ لِتَجَّـاجِ الغَمـام وقَـد سَـرى ❁ بمُحْتَفِـلِ الشُّـؤبُوبِ صَـابَ فَعَمَّمَـا

= فمن رواها في الخضر روئ البيت في الخضر قال: «ويحمل عنا الخضر» «خضر بن أحمد» ...».
وفي الأصل: «ويحمل فينا» والتصحيح من ديوانه.

(١) ديوانه: «أو تقيّلها».

(٢) ديوانه: ٢/٦٤٨.

(٣) «س»: «قوله».

(٤) ديوانه: ٢/٤٢٨ والتبريزي ٣/٢٥٢ وقد سبق ٣/٣١٨.

(٥) «هذا» زيادة من «س».

(٦) ديوانه: ٢/٧٠٣، وفي الأصل و«س»: «للغيث».

(٧) ديوانه: ٤/٢٠٨٨.

أَقِـلَّ وأَكْثِـرْ لَسْـتَ تَبْلُـغُ غَايـةً ✤ تَبـينُ بِهَـا حَتَّـى تُضَـارِعَ «هَيْثَمـا»

وقال[1]:

تَـرَاحُ الغَـوادِي أن تُشَـاهِدَ عِنْـدَهُ ✤ شَـبَائِهَهَا- مِـن سَـيْبِهِ- وشُـكولَها

بَقِيـتَ وكَـأين جِئْـتَ بِـادِئَ نِعْمَـةٍ ✤ يَقِـلُّ السَّـحابُ أنَ يَجـيءَ رَسِـيلَهَا[2]

وقال[3]:

[٧٨] أعطيت حتّى تركْتَ الرِّيحَ حَاسِرَةً ✤ وَجُـدْتَ حتَّـى كـأنَّ الغَيْـثَ لـم يَجُـدِ

هذا من قَوْلِهِم: فلانٌ يُبارِي الريحَ جُودًا[4]، فيقالُ: أيُّ جودٍ[5] للرّيحِ حَتَّىٰ يُبارِيَها الجوادُ[6]، فإنَّما المعنىٰ أنَّه يبارِي هُبوبَها، فيُعْطِي أبدًا ما هَبَّتْ، كما نَذر لَبيدُ أن يُطْعِمَ ما هَبَّتِ الصَّبَا وخَبَرُهُ في هذا مَشْهُورٌ[7].

ويَجُوزُ أن يكونَ ذَهَبَ إلىٰ أنّ الأمطارَ لا تكونُ إلّا بالرِّياحِ[8]، ولا يَجْمَعُ

---

(١) ديوانه: ١٧٩٤/٣، وكلمة «وقال» ساقطة من «س». وتراح: أي تُسَرُّ وتَفْرَحُ.

(٢) «س»: «فكأين» وهي رواية الديوان.

(٣) ديوانه: ٥٧٥/١.

(٤) «س»: «سخاءً».

(٥) «س»: «سخاء».

(٦) الأصل: «الجودُ» والتصحيح من «س».

(٧) كان لبيد من أجود العرب، وكان آلىٰ في الجاهلية ألَّا تَهُبَّ صبًا إلَّا أطعمَ، وكان له جفنتان يغدو بهما ويروحُ في كل يومٍ علىٰ مسْجد قومه فيُطْعِمُهُمْ، فهبَّتِ الصَّبَا يوما والوليدُ بنُ عُقْبَةَ علىٰ الكوفة، فصعَد الوليدُ المِنبَرَ وخطَب الناسَ، ثم قالَ: إنَّ أخاكم لبيدَ بنَ ربيعةَ قد نَذَر في الجاهليَّةِ، ألَّا تَهُبَّ صبًا إلا أطعمَ، وهذا يومٌ من أيامه، وقد هبت صبا، فأعِينُوهُ، وأنا أوَّلُ من فَعَلَ، فأرسل إليه بمائةِ بكرةٍ «الأغاني ١/١٤ وما بعدها».

(٨) في «س» أورد هنا قوله: «والأول أليق»، ثم كرَّره بعد ذلك.

السَّحابَ ويأتِي بالغيثِ إلا الرِّيحُ[1]، والأوّلُ أليَقُ وأشْبَهُ لِقولِهِ[2]: «تركتَ الرِّيحَ حاسِرَةً» أي: مُعْيِبَةً.

وقال[3]:

ورأيتُ يومَ نداكَ أشرقَ بهَجةً ✤ واهتزَّ أطرافًا، ورقَّ نسيمَا
ورأيتُ يومَ الغيثِ في ظَلمائِهِ ✤ جَهْمًا مُحَيَّاهُ أغمَّ بَهيمَا[4]
ويَخُصُّ أرضًا دونَ أرْضٍ جَوْدُهُ ✤ وسحابُ جُودِكَ في العُفاةِ عُمومَا[5]

فهذا كُلُّه تفضيلٌ لِجودِ الجَوادِ على الغَيثِ.

وقد شَبّهَهُ بالغَيثِ أحسَن تَشْبيهٍ فقَالَ[6]:

يُعْطِي على الغَضَبِ المُتَعْتعِ والرِّضَا ✤ وعلَى التَهَلُّلِ والعُبوسِ الأَرْبَدِ
كالغَيْثِ يَسقِي الخَابطِينَ بأبيض ✤ من غَيْمِهِ وبأحْمَرٍ وبأسْوَدِ

وأحسنُ من هذَا وأجمعُ قولُهُ[7]:

يجودُ على الطُّلاب سَحًّا ودِيمَةً ✤ وهَطْلًا وإرْهامًا ووَبْلًا ورَيِّقَا

فجاءَ بستَّة أنْواع من نُعوت الغَيْثِ في بيتٍ وَاحِدٍ.

و«السَّحُّ» شِدَّةُ انْصِبابِ المَطَرِ، و«الدِّيمَةُ» المَطَرُ الدَّائِمُ في سُكونٍ و«الهَطْلُ»

---

(١) «س»: «ولا يجمع السحاب ويأتي الغيث إلا بالريح».
(٢) «س»: «كقوله».
(٣) ديوانه: ١٩٦٤/٣.
(٤) ديوانه: «وشهدت يومَ الغيثِ في هَطْلانِهِ».
(٥) الأصل: «جُودُهُ» والتصحيح من ديوانه و«س».
(٦) ديوانه: ٥٤٦/١.
(٧) «س»: «وأجود من هذا» ديوانه: ١٥٠٣/٣، وفيه: «تجود» وهي رواية «س».

فوقَ ذلِك[1]، و«الإرْهامُ» من أرْهَمتِ السَّماءُ وهي الرِّهْمَةُ: المَطَرُ الضَّعيفُ الدَّائِمُ، و«الوَبْلُ» [من الوابِل[2] و]هو المطَرُ الشَّديدُ الضَّخْمُ القَطْرِ، و«الرَّيِّقُ» من تَرَيُّق الماءِ وهو تَردُّدُهُ علىٰ وجهِ الأرضِ من الضَّحْضَاحِ ونَحوِهِ، وإذا انْصَبَّ الماءُ قُلْتَ راقَ يَرِيقُ، ويُقالُ[3] أرقْتُهُ أنا إراقةً وهرَقْتُهُ، ويُقالُ راقَ السّرابُ[4] يُرِيقُ إذا تَضحضَحَ فوقَ الأرْضِ، والرَّيِّقُ من كلِّ شَيءٍ أَفْضَلُهُ، رَيِّقُ الشَّرابِ وَرَيِّقُ المَطَرِ.

فأقولُ الآن في الموازنة بينَها: إنَّهُ لولا قولُ أبي تَمّامٍ:

والغيـــثُ يَكْـــرُم مَـــرَّةً ويَلُـــومُ

وقولُهُ:

[٦٨ب]كـان فِيهـا صـوبُ الغَمـامِ لئَيمَـا

لَفَضَّلْتُ البحتريَّ علَيه، ولكنّي أجعَلُهُما متكافِئَيْنِ.



(١) قال شارح الديوان: «الهطل: المطر الضعيف الدائم». وجاء في «فقه اللغة للثعالبي ١٧٩» «إذا دَامَ المَطَرُ مع سكون فهو الدِّيمَة، والضَّرْبُ فوقَ ذلك، والهَطْلُ فوقه، فإذا زادَ فهو الهَتَلَانُ والتَّهْتَانُ» وروىٰ ذلك الأصمعي أيضا «اللسان: هطل»، وهذا المعنىٰ أقْرَبُ إلىٰ ما مراد الشاعر.

(٢) زيادة من «س».

(٣) ساقطة من «س».

(٤) الأصل: الشراب بالشين المعجمة وفي «س» «راقَ الماءُ يَريق رِيقًا».

وفي تشبيهِ جُودِ الجوادِ بالبَحْرِ



قال أبو تمّام[1]:

هــو البَحْـرُ مــن أيِّ النَــواحِي أتيتَــه ❊ فلُجَّتُــهُ المعَــروفُ والجــودُ ســاحِلُهْ

وهو مَعنًى في غايةِ الجَوْدَةِ والصِّحَة، وإنما حَذاهُ على قولِ مُسْلمٍ[2]:

هو البَحْرُ يغشى سُرَّةَ الأرْضِ فَيْضُهُ ❊ وتُــدْرِكُ أطــرافَ الــبِلادِ سَــواحِلُهْ

وغَيَّرَ معَناهُ.

وقال[3]:

يَمــينُ مُحَمَّــدٍ بَحْــرٌ خِضَــمٌّ ❊ طَمــوحُ المَــوجِ مَجْنــونُ العُبَــابِ

وقال[4]:

بَحْـرٌ يَطِـمُّ علَـى العُفَـاةِ فـإن تَهِـجْ ❊ رِيــحُ السُّـؤالِ بِمَوْجِـهِ يَغْلَوْلِــبِ

والشَّـوْلُ مـا حُلِبَـتْ تَـدفَّقَ رِسْـلُهَا ❊ وتَجِـفُّ دِرَّتُهــا إذا لــم تُحْلَــبِ

أرادَ أنَّ هذا الممَدوحَ يَجودُ ويُوسِعُ، فإن سُئِلَ أعْطَى وأكثَرَ وزَادَ، وذكَرَ أنّ الشَّوْلَ لَيستْ هذهِ حَالها، وأنّ ألْبَانَها تَتَدفَّقُ إذا حُلِبَتْ، وتَنْقَطِعُ إذا لَمْ تُحْلَب،

---

(١) ديوانه: ٢٠٣/٢ والتبريزي ٢٩/٣، وفيه: «هواليم».

(٢) «س»: «على بيت مسلم» ديوانه: ١٤٦، وفيه «فيضه».

(٣) ديوانه: ٣٣١/١ وشرح التبريزي ٢٨٣/١ يمدح ابن شبانة «محمد بن الهيثم»، ومن هنا إلى آخر البيت سقط من «س».

(٤) ديوانه: ٢١٩/١ وشرح التبريزي ١٠٤/١، ١٠٥.

فَفَضَّلَ جُودَهُ على لَبَنِ الشَّوْلِ، وإنَّما كانَ يَنْبَغِي أن يُفَضِّلَ جُودَه على الغَيثِ كما قال:

والغَيــثُ يكــرُمُ مَــرّةً ويَلُــومُ[1]

أو علَى البَحْرِ حسبَ[2] ما يأتي في هذَا البَابِ، ولكنَّهُ ذكر الشَّوْلَ، لأنَّ أَلْبانَها غِياثُ العَربِ وغِنَاها ومُعَوَّلُها، ولِهذَا ما قَالَ في المَواعِيدِ:

وتُنْــتَجُ مِثْلمَــا نُــتِجَ العِشَــارُ[3]

وإنَّما أخذَ قَوْلَهُ:

وتَجِــفُّ دِرَّتُهــا إذا لَــمْ تُحْلَــبِ

من قولِ بَشَّارٍ:

والــدَّرُّ يَقْطَعُــهُ جَفَــاءُ الحَالِــبِ[4]

وهذَا كلُّهُ جَيِّدٌ بالِغٌ[5].

---

(١) «س»: «تارة».

(٢) ساقطة من «س».

(٣) ديوانه: ١/٥١٤ والتبريزي ٢/١٥٨ وصدره: «نحن عداته إثر التقاضي»

(٤) ديوان بشار بن برد ١/١٩٢. وصدره: «وإذا جفوت قطعت عنك منافعي».

(٥) كلمة «بالغ» ساقطة من «س»، وقد نقل ابن المستوفي كلام الآمدي السابق ثم قال معلقًا: وهذا التمثيلُ الذي ذكره أبو تمام، إذا حُمِلَ على ظاهره، لا يطابقُ الأولَ من كِلا جانبَيْه، لأن قولَهُ «والشَّوْلُ ما حُلِبَتْ تدفَّقَ رَسْلُهَا» بإزاء قوله: «وإن تَهجْ رِيحُ السُّؤال بِمَوْجِهِ يَغْلَوْلِبِ».
فأما قوله: «بَحْرٌ يَطمُّ على العُفاةِ» فليس بإزاءِ قوله: «وتَجِفُّ درَّتُها إذا لم تُجْلَبِ».
ولعلِّي أعثر في كتاب على ما ذكرته فآتى به، والمعنى هو الذي ذكره الآمدي، ولم يُرِدْ أبو تمام تشبيه الممدوح في أحواله بالشَّوْلِ، إنما نفى عنه أن يكون في ابتدائه بالعطاء وسؤاله مثلَهَا، وعليه المعنى في كتاب أبي زكريا، يقول: هو للعُفاةِ بَحْرٌ وإن يَهِيجُ بالسؤال كَثُرَ فَيْضُهُ، ثم ضرب مثلاً=

ولم يَمُرَّ بي لَهُ تفضيلُ جُودِ الجَوادِ علىٰ البَحْرِ، ولكِنَّ البحتريَّ يقولُ في المُعْتَزِّ[1]:

مَلِكٌ تَدِينُ لهُ الملوكُ وتَقْتَدِي ❊ لُجَجُ البِحارِ بَسَيْبِهِ المُتَدفِّقِ[2]

وقال [فيه][3]:

لم أرَ كالمُعْتِزِّ في حِلْمِهِ الـ ❊ ـوافِي وفي نائِلِهِ الغَمْرِ
يُسْتَصْغَرُ البَحرُ إذا اسْتُمْطِرَتْ ❊ يَدٌ لهُ تُرْبِي علىٰ البَحْرِ[4]

[٦٩] وأجودُ من هذا قَولُ قَعْنَبِ بنِ أُمِّ صاحِبٍ[5]:

قالوا الفراتُ وما أَرْضىٰ بِهِ شَبَهًا ❊ ولن يَقومَ بِجَارِي سَيْبِكَ النَّهَرُ[6]

= لكثرةِ عطائِه، وإن سُئِلَ شيئا بعد شيء فقال: إن الناقة الشَّائل إن حُلِبَتْ تدفَّق رَسْلُهَا، وإن لم تُحْلَبْ جَفَّتْ دَرَّتُها.

هذا كلامه، ولم يكشف المعنىٰ.

وقال الخارَزَنْجِي: أي بَحْرُ نَوَالِهِ زَاخِرٌ فائضٌ علىٰ أهلهِ، فإذا صادفَ سُؤالًا غَلَب وغَرَّق العُفاة والزُّوَّارَ. وقال: الشَّولُ الإبلُ التي جَفَّتْ أَلْبَانُها فإن حُلِبَتْ دَرَّتْ ورجعتِ الألبانُ التي في ضُرُوعِها، وإن تُرِكَتْ يَبِسَتْ، أي يُعْطِي ما استُمِيحَ وسُئِلَ، هذا كلامُهُ، وجعَلَ النُّوقَ التي جَفَّتْ أَلبانُها بإزاءِ قوله «بَحرٌ يَطُمُّ علىٰ العفاة» وهو تشبيهٌ وتمثيلٌ رديان. «النظام شرحي المتنبي وأبي تمام لابن المستوفي، مخطوط، دار الكتب، لوحة ٦٥».

(١) في الأصل: «تدين به» والتصحيح من ديوانه و«س»، ديوانه: ٣/١٤٧٦.

(٢) ديوانه: ٣/١٤٧٦.

(٣) ساقطة من الأصل، والبيتان في ديوانه: ٢/١٠١٠ وفي الأصل: روىٰ البيت «يُسْتَمْطَرُ البَحْرُ» ونَصَّ علىٰ رِوايةِ الدِّيوان بخَطٍّ أَدَقَّ.

(٤) في الأصل: «علىٰ البر» وما أثبتته رواية الديوان و«س».

(٥) قَعْنَبُ بنُ أمِّ صَاحِبٍ الفزاري «بالصادِ المهملة»، كما ورد في كتاب «من نسب إلىٰ أمه من الشعراء لابن حبيب»، نوادر المخطوطات، عبد السلام هارون ١/٩٢ «وهو: قَعْنَبُ بن ضَمْرَةَ، أحدُ بَني عبد الله بن غَطَفَان، وكان في أيام الوليد بن عبد الملك» انظر: «شرح التبريزي للحماسة ٤/١٢».

(٦) «بجاري» ساقطة من «س».

يَسْقِي مِنَ الأرضِ جَنْبًا لا يُجَاوِزُهُ ❁ وسائِرُ الأرْضِ منه يَابِسٌ صَفِرُ

وقد تقدَّم الناسُ في هذا وأكثروا، وكلُّ هذا إفراطٌ حَسَنٌ مستحلًى لا يَنْفِرُ منه الطَّبْعُ، ولكِنَّ الرَّديءَ المُطَّرَحَ المَرْذُولَ[1] عند أهلِ العِلْمِ بصناعةِ الشِّعْرِ ما أَنْشَدهُ المُبرِّدُ لِبَعْضِهِمْ[2]:

لَهُ هِمَمٌ لا مُنْتَهى لِكِبَارِها ❁ وهِمَّتُهُ الصُّغْرى أَجَلُّ مِنَ الدَّهْرِ

لَهُ رَاحَةٌ لو أنّ مِعْشَارَ جُودِها ❁ على البَرِّ صارَ البَرُّ أندى من البحرِ[3]

ولو أنَّ خَلقَ اللهِ في مَسْكِ فَارِسٍ ❁ وبَارَزَهُ كانَ الخَليَّ مِنَ العُمْرِ[4]

وقال البحتريُّ في ذلك[5]:

إذا قُرِنَ البَحْرُ الخِضَمُّ بِأَنْعُمِ الـ ❁ ـخَليفَةَ كادَ البحرُ فيهِنَّ يَغْرَقُ

وقال[6]:

فَاتَ الرِّجالَ وفي الرِّجالِ تَفاوُتٌ ❁ بِخَصائِصِ الأخْلاقِ، والآدابِ

فكأنَّما البَحْرُ اسْتَجَاش يَمِينَه ❁ فَقَضى بِها أَرَبًا مِنَ الآرَابِ

وقال[7]:

---

(١) «المرذول» ساقطة من «س».

(٢) «لبعضهم» ساقطة من «س»، وروي المبرد الأبيات في الكامل ١٢٨/٣ كمثال على التشبيه المفرط المتجاوز، والأبيات لبكر بن النطاح يقولها في أبي دلف القاسم بن عيسى.

(٣) الأصل: «معشار عشرها» البيتان الأولُ والثاني في ديوان المعاني ١٠٨/١ غير منسوبين.

(٤) المَسْكُ: الجِلْدُ.

(٥) «في ذلك» ساقطة من الأصل، ديوانه: ١٥٣/٣ وفي «س»: «إذا فرق» تحريف.

(٦) ديوانه: ٢٩٧/١.

(٧) ديوانه: ٢٣٥/١.

وَفَى جُودُهُ بالبَحْرِ والبَحْرُ لو رَمى ❊ إلى سَاعَةٍ من جُودِهِ ما وفَى بِهَا

وقال[1]:

أَلَستَ ترى مَدَّ الفُراتِ كأَنَّهُ ❊ جِبالُ شَرَوْرَىٰ جِئْنَ فَي البَحْرِ عُوَّمَا؟

ولم يَكُ من عاداتِهِ، غيرَ أَنَّهُ ❊ رَأى شِيمَةً من جَارِهِ فَتَعلَّمَا

وقال في المعتزّ[2]:

بِحِلْمٍ كَأَنَّ الأَرْضَ مِنْهُ تَوقَّرَتْ ❊ وجُودٍ كأَنَّ البَحْرَ مِنْهُ تَفَجَّرَا

ولا خفاءَ بِفَضلِ البحتريِّ في هذا البابِ علىٰ أبي تَمَّامٍ.



(١) ديوانه: ٤/٢٠٩٠ وشَرَوْرىٰ اسم جبل في الباديةِ، بين العَمْقِ والمَعْدنِ، في طريق مكة إلىٰ الكوفة وهي بين بني أسد وبني عامر «معجم ما استعجم ٧٤٩».

(٢) ديوانه: ٢/٩٣٣ وفي «س»: «توقدت» وفيها تقدم الحكم في الموازنة «ولا خفاء...» إلىٰ آخر العبارة، علىٰ قول البحتري في المعتز، وكأن الناسخ قد استدرك هذا البيت فجاء به آخر الباب.

ومن خبط الجواد بنائله من غير تمييز ولا تأمل لإيقاع الصنيعة في موقعها

قال أبو تمَّام(١):

إذا مَا غَدا أَغْدى كرِيمَةَ مَالِهِ ❊ هَدِيًّا ولو زُفَّتْ لِألأَمِ خَاطِبِ

وهذا ـ وأَبيكَ ـ الكرمُ المَحْضُ.

وقالَ(٢):

فتًى جُودُه طَبْعٌ فَلَيْسَ بِحَافِلٍ ❊ أَفِي الجَوْرِ كانَ الجُودُ مِنْه أَمِ القَصدِ

وهذا أيضًا غايةُ الكَرَمِ(٣).

وقال البحتريُّ(٤):

تَغَطْرُسُ جُودٍ لَمْ يُمَلِّكْهُ وقْفَةً ❊ فَيَخْتَارَ مِنها للصَّنِيعَةِ مَوْضِعَا

وهذا أَيْضًا جيِّدٌ(٥).

---

(١) ديوانه: ١/٢٨١ وشرح التبريزي ١/٢٠٥.

(٢) ديوانه: ١/٤٥٧ وفيه «س»: «أو القصد» وشرح التبريزي ٢/٦٦، وفي ديوانه فقط: «طبعه جود»، وفي «س» والأصل: «أفي الجود» تحريف.

(٣) نقل ابن المستوفي عبارة الآمدي فقال: «قال الآمدي: هذا وأبيك الكرم المحض، وقال في مثله بغير لفظه: فتئ جوده... الخ»، «النظام شرحي المتنبي وأبي تمام الجزء الأول، دار الكتب، لوحة ١٠١».

(٤) ديوانه: ٢/١٢٦٦، وفيه «لم يكلفه» وفي «س»: «لو تملكه».

(٥) «س»: وهذا أيضا جواد.

وقال البحتري[1]:

ماضٍ على عَزْمِه في الجُودِ لو وَهب الشْـ ✽ ـشَـبابَ يـومَ لِقَـاءِ البِـيضِ مـا نَـدِمَا

وهذا أجوَدُ النَّاسِ وأجْهَلهُم.

وقال أبو تمَّام في المعتصم[2]:

عَطـاءٌ لـو اسْـطَاعَ الـذي يَسْـتمَيحُهُ ✽ لأصـبَحَ مـن بـينِ الـوَرى وهـو عَاذِلُـهْ

وقال فيه يَصِفُ مذَاهِبَهُ في عَزائِمِهِ[3]:

وعزائِمًـــا فـــي الـــرَّوْعِ مُعْتَصِـمِيَّةً ✽ مَيمونَـــةَ الإِدْبـــارِ والإِقْبـــالِ

فَتعَمُّـــقُ الـــوُزَرَاءِ يَطْفُـــو فَوْقهَـــا ✽ طَفْـــوَ القَـــذى وتَعقُّـــبُ العُـــذَّالِ

وهذا لَيْس بالجَيِّدِ، ومنَ هذَا[4] الذي يَعذِلُ الخليفةَ علىٰ أمرٍ يعَزِمُ عليه، إنَّما يُشيِر ويَذْكرُ صَوابًا إن كانَ عِنْدَهَ، فأمَّا أن يَعْذِلَ فلا.

[وقال البحتريُّ في المُهْتَدِي[5]:

وقـد أعْجَـزَ العُـذَّالَ أن يَتَـدَارَكُوا ✽ لُهًـى تَسْـبِقُ الألْحـاظَ قَبـلَ ارْتِـدَادِها]

والذي هُو في غايةِ القُبْحِ قَولُ البُحْتُرِيِّ في المُعْتزِّ[6]:

---

(١) ديوانه: ٢٠٤٦/٣.

(٢) «في المعتصم» زيادة من «س»، والبيت من ديوانه: ٢٠٥/٢، والتبريزي ٢٩/٣، وهنا أضاف المؤلف معنىً آخر للباب وهو «عذل الجواد علىٰ الجود» وقد سبق في ٢٧٢/٣ أن عده بابًا مستقلًا.

(٣) ديوانه: ٢١٨/٢ والتبريزي ١٤٥/٣.

(٤) «س»: «ومن إذا».

(٥) ديوانه: ٦٧٥/٢، وما بين المعقوفين زيادة من «س».

(٦) «س»: «غاية في القبح» والبيت في ديوانه: ٦١٤/١، وقد سبق البيت في ٧٧/٢، وقال الآمدي= = هناك معلقا عليه «وهذا عندي من أهجىٰ ما مُدِحَ به خليفةٌ وأقْبَحِهِ، ومن ذا يُعَنِّفُ الخليفةَ أو

لا العَـــذْلُ يَرْدَعُــهُ ولا التْـــ ❊ ـتَعْنِيـــفُ عـــن كَـــرَمٍ يَصُـــدُّهْ

فَجَعلَ الخَليفَة مِمَّنْ يُعْذَلُ ويُعَنَّفُ على الكَرَمِ[1].

وقولُ أبي تمّامٍ[2]:

ميمونـــــةَ الإِدْبــــارِ والإِقْبَــــالِ

لفظٌ غيرُ جيِّدٍ، من أجل لفظةِ «الإِدْبَارِ». كأَنَّه أرادَ أن يقولَ: ميمونةَ البَدْءِ والعَوْدِ، والكرِّ[3] والرُّجوعِ أو التَّصرُّفِ، فقالَ: «الإدبارَ» من أجل قوله «الإقبالِ».

وقال أبو تمّامٍ[4]:

أَمُهْـــدِيًّا لَحيـــتِ علَـــى نَـــوالٍ ❊ لقـــد حُكْـــتِ المَـــلَام لِغَيْـــرِ وَاعِ

وقال[5]:

لا مُلْـــبِسٌ مَالَـــه مـــن دونِ سَـــائلِهِ ❊ سِـتْرًا ولا مُنْصِبُ المَعْـروفِ لِلْعَـذَلِ

قَوْلُهُ: «ولا مُنْصِبُ المَعْروفِ لِلعَذْلِ»، أي: لا يَجْعَلُهُ نَصِيبًا لِلْعَذْلِ[6]، ويَمْنَعُ من الإِعْطَاءِ[7].

يَصدُّهُ؟، إن هذا لبالهجو أولىٰ منه بالمدح»، وانظر تعليق الشريف المرتضىٰ في أماليه ٢/٩٣.

(١) ساقطة من «س».

(٢) «س»: «ومنه قول»، و«ميمونة الإقبال والأدبار».

(٣) «س»: أو المكر.

(٤) زيادة من «س»، وانظر ديوانه: ٢/٢٥، والتبريزي ٢/٣٣٩، يمدح مهدي بن أصرم وفي ديوانه: «لقد أسمعت لومك غير واع».

(٥) ديوانه: ٢/٢٣٥ والتبريزي ٣/٩٣ وفيهما: «ولا ناصبُ المعروفِ»، وفي ديوانه: «ما ملبس».

(٦) دأب ناسخ الأصل علىٰ ضبط «العَذَل» بتسكين أوسطه، في البيت وفي التعليق، ولا يصح الوزن بهذا الضبط.

(٧) وجاء في النظام لابن المستوفي «وروىٰ الآمدي «ولا مُنْصِبُ المعروف للعدل» وقال: «أي=

[وقال البحتريُّ(١):

لــه بِــدَعٌ فــي الجــودِ تَــدعو عَذُولَــهُ ❊ عَليهــا إلــى اسْتِحْسَــانِهَا فَيُســاعِدُهْ]

وقالَ أيْضًا(٢):

[١٧٠] مَلُــومٌ علــى بَــذْلِ الــتِّلادِ مُفَنَّــدٌ ❊ ولا مَجْـــدَ إلَّا لِلْمَلـــومِ المُفَنَّـــدِ

وقالَ(٣):

أَشْــهَرْتَ لَيْــلَ عَــواذِلٍ لَــوْلَا لُهًــى ❊ تُصْــفِي كَرَائِمَهــا لَبِــتْنَ هَواجِــدَا

يُسْــقَيْنَ مِنــكَ الغــيظَ دون مَعَاشِــرٍ ❊ يُسْــقَونَ بالــذَّمِّ الــزُّلالَ البَــارِدا(٤)

وإذا وَسَـــمنَكَ والبَخِيــــلَ بِنَبْـــزَةٍ ❊ كُنْتَ المُضَلَّلَ والبَخِيلَ الرَّاشِدَا](٥)

وقال(٦):

وإذا مـــا ريـــاحُ جُـــودِكَ هَبَّـــتْ ❊ صـــارَ قَـــوْلُ العُـــذَّالِ فِيهـــا هَبَـــاءَ

وقال(٧):

إذا جـــادَ أغضـــى العـــاذلونَ وكَفَّهُـــمْ ❊ قَـــدِيمُ مسَـــاعِيهِ التـــي تُتَقَيَّـــلُ

= لا يجعل المعروف نصبا للعَذَل ويدعه له». «النظام شرحي المتنبي وأبي تمام لوحة ٢٦٤» وفي الأصل: «لا تجعله... وتمنع»، والتصحيح من «س».

(١) ديوانه: ٥٨٦/١ وفيه «عليه»، وما بين المعقوفين زيادة من «س».

(٢) الأصل: «وقال البحتري» والتصحيح من «س»، ديوانه: ٧٧٢/٢ التِّلادُ: المال الموروث، والمُفَنَّدُ: المخطأ رأيه.

(٣) ديوانه: ٨٢٥/٢، وفيه: «أسهدت»، و«لولا اللهى».

(٤) ديوانه: «يُشْفَيْنَ»، وفي الأصل: مثل، والتصحيح من «س».

(٥) زيادة من «س».

(٦) ديوانه: ١٩/١ وفي «س»: «فيك هباء».

(٧) ديوانه: ١٧٩٠/٣ وفيه «يتقيّل».

ومـن ذا يلـومُ البحـرَ إن بـاتَ زَاخِـرًا ❁ يَفِيضُ وصَوبَ المُزْنِ إنْ راحَ يَهْطِلُ[1]

وهذا[2] غايةٌ في الحُسْنِ والبَراعَةِ، وإنّما أخَذَه من قولِ الشاعِرِ المَعْروفِ بأبي الأسَدِ[3] في الفَيْضِ[4]:

---

(١) ديوانه: «أن بات يهطل».

(٢) «س»: «وهذا في غاية الحسن».

(٣) هو نُباتَةُ بن عبد الله الحِمَّاني، «بكسر الحاء المهملة» من شيبانَ، شاعرٌ مطبوعٌ متوسط الشعر من شعراء الدولة العباسية من أهل الدينور، وكان طيبا مليح النوادر مدَّاحا خبيث الهجاء، وكان صديقًا لعلوية المُغَنِّي الأعْسَر، ينادمه ويواصل عشرته ويَصِلُهُ علوية بالأكابِر ويعرضه للمنافع، وكُنْيَتُهُ أبو الأسد، وكان منقطعا إلىٰ الفيض بن أبي صالح وزير المهدي، كما انقطع قبله إلىٰ أبي دلف «الأغاني ١٩٧/١٢ والوزراء والكتاب ص ١٦٤».

(٤) «س»: يمدح الفيض، وهو: الفَيْضُ بن أبي صالح، واسم أبي صالح شَيرَويه، وكان سخيًّا سَرِيًّا، وكثير الإفضال واسِع الحَال، وكان مُتَكبِّرًا مُتَجبرًا مُتَرَفِّعًا، وكان الفيضُ قد وُصِفَ للمهدي لما عَزَم علىٰ يعقوبَ بن داود، فلما قَبضَ عليه أحضرَ الفَيْضَ واستوزره سنة ١٦٦ هـ ومات المهديُّ وهو وزيرُه، ولم يستوزره الهادي، وبقي الفيضُ إلىٰ أيام الرشيد ثم مات سنة ١٧٣ «الوزراء والكُتَّاب للجهشياري ١٦٤ وما بعدها، الفخري في الآداب السلطانية لابن الطقطقي ١٣٥ وما بعدها»، وقد أوردت الأصل بيتًا واحدًا ملفَّقًا من صدر الأول وعجز الثاني والتصحيح من «س» والبيتان: وردا من جملة أبيات في مدح «الفيض» هي:

ولائمـة لامتـك يـا «فـيض» فـي النـدى ❁ فقلـت لهـا لـن يقـدح اللـوم فـي البحـر
أرادت لتثني «الفيض» عن سنن الندىٰ ❁ ومن ذا الذي يثني السحاب عن القطر
مواقـع جـود «الفـيض» فـي كـل بلـدة ❁ مواقـع مـاء المـزن فـي البلـد القفـر
كـأن وفـود «الفـيض» لمـا تحملـوا ❁ إلـى «الفـيض» وافـوا عنـده ليلـة القـدر

«الأغاني ١٩٨/١، والوزراء والكتاب ص ١٦٤ والفخري ص١٢٦ وديوان المعاني ٣٠/١، ٦٣» انظر العمدة لابن رشيق ٧٤/١، وعيون الأخبار لابن قتيبة ٥/٢، والعقد الفريد لابن عبد ربه «ونسب البيت لأبي الأسود الدؤلي» ٥/٣، وقراضة الذهب لابن رشيق ٨٧، وقد أورد البيت ملفقا كما ورد في الأصل، ونسبه إلىٰ حمزة بن بيض، «ترجمته في الأغاني ١٤/١٥»، وفي مرآة الجنان لليافعي ٤٣٩/١ منسوبا إلىٰ أعرابي في مدح الفضل بن يحيىٰ البرمكي».

ولائمةٌ لامَتْكَ «يا فَيضُ» في النَّدىٰ ❁ فقلتُ لَها: لن يَقْدَح اللَّومُ في البَحْرِ
أَرَادَتْ لِتَثْنِي الفَيْضَ عن عَادَةِ النَّدىٰ ❁ ومن ذَا الذي يَثْنِي السَّحابَ عن القَطْرِ

بيتُ البُحْتُريِّ الثَّانِي أجْمَعُ، وبيتُ أبي الأَسَدِ الثَّاني[1] أَبْرَعُ، والبحتريُّ في هذا الباب[2]، أشْعَرُ من أبي تَمَّامٍ.



(١) زيادة من «س».
(٢) زيادة من «س».

تعجرُفُ الجوادِ على مالِهِ وإتلافِهِ إيّاه[1]



قال أبو تمّام[2]:

كــأنَّ أموالَــهُ والبَــذْلُ يَمحَقُهُــا ✿ نَهْــبٌ تَعَسَّــفَهُ التَّبْــذِيرُ أوْ نَفَــلُ

وقالَ[3]:

جَــزى اللهُ كفًّــا مِلْؤُهــا مــن سَــعَادَةٍ ✿ سَـرَتْ فـي هَـلاكِ المَـالِ والمَـالُ نَـائِمُ

قولُهُ: «مِلْؤُها من سَعَادَةٍ» من أحْسَنِ لَفْظَةٍ وأبْرَعِها.

وقالَ[4]:

كـم وَقْعَـةٍ لَـكَ فـي المكـارِمِ ضَـخْمَةٍ ✿ غَــادَرْتَ فِيهــا مــا مَلَكْــتَ قَتِــيلا

«ضَخْمَةٍ» لَفْظَةٌ غيرُ جَيِّدَةٍ في هذا المَوْضعِ ولا لائِقةٍ، وإنَّما جَعَلَها في مَوْضِعِ «عَظِيمةٍ».

وقَولُهُ: «في المَكارم» أي في سبيلِ المَكارِمِ، كما تقولُ: في اللهِ، أي في سبيل الله.

---

(١) سقط هذا الباب والباب الذي يليه من نسخة الأصل «ك» وأوردته «س» بينما جعلت «ك» هذا العنوان على باب «إعطاء الجواد حتى لا يجد من يعطيه»، وهو في لوحة ٧١ تونسية إلى لوحة ٧٤.

(٢) ديوانه: ٢/١٨٠ والتبريزي ٣/١١.

(٣) ديوانه: ٢/٣٨٧ والتبريزي ٣/١٧٨.

(٤) ديوانه: ٢/٢٩٦ والتبريزي ٣/٧١. وفي ديوانه: «فخمة».

وقالَ[1]:

وإن خَفَرتْ أموالَ قَومٍ أَكُفُّهُمْ ❁ من النَّيْلِ والجَدوى فكَفَّاهُ مَقْطَعُ

وهذا البَيْتُ مِمَّا عَهِدْتُ الشيوخَ يَضْحكُونَ مِنْه، وقد أتىٰ البحتريُّ بِمثلِ قولِهِ: «فكفَّاه مَقْطَعُ»، ولكنَّه جاءَ به حَسَنًا فقال[2]:

تُحْسَبُ في وَفْرةٍ يَداهُ يَدْي ❁ عَدوِّهِ أو لِغَيْرِهِ نَشَبُهْ

وقالَ أبو تمّامٍ[3]:

فالمالُ أَنَّى مِلْتَ ليسَ بسَالِمٍ ❁ من بَطْشِ كَفِّك مُصْلِحًا أوْ مُفْسِدَا

[وقال][4]:

يَلْقى بها حُرُّ التِّلادِ وعَبْدُهُ ❁ عِنْدَ السُّؤالِ مَصارِعًا وحُتُوفًا

وقال[5]:

---

(١) ديوانه: ١٤/٢ والتبريزي ٣٣٠/٢.

(٢) ديوانه: ٢٨٠/١.

(٣) ديوانه: ٤٨٢/١ والتبريزي ١٠٧/٢ وفي ديوانه: «من بطش جودك» ومعنىٰ هذا البيت متعلق بالبيت الذي قبله وهو:

لمَّا زَهِدتَ زَهِدْتَ في جَمعِ الغِنَى ❁ ولَقَدْ رَغِبْتَ فكنتَ فيه أَزْيَدا

وقال الخارزنجي: يقول: أنت في حالَتَيْ زُهْدك ورغبتك لا يسلم منك مالك، فإنك تنفقه إذا زهدت في الدنيا في أعمال البر، وتنفقه إذا رغبت فيها في ابتناء المكارم، «النظام حـ ١ لوحة. ٣٧٠»، وفي «س» «أني نلت».

(٤) ساقطة من «س»، وانظر ديوانه: ٧٨/٢ والتبريزي ٣٨٤/٢، وفي الأصل «البلاد» تصحيف والتصحيح من شرح التبريزي، وفي ديوانه: «تكفي بها نهل البلاء وعلّه».

(٥) ديوانه: ٤٣٧/٢ والتبريزي ١٧٤/٣ وفيهما «يُحْفَظْ» بالبناء للمجهول وهو خطأ، العَجْرَفةُ: ركوبك الأمر لا تَرَوِّيَ فيه، «والإل»: الحلف، و«الذِّمَّةُ»: العهد، من قوله تعالىٰ: ﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ﴾ التوبة آية ٨.

كـم نَفْحـةٍ لَـكَ لـم يَحْفَـظْ تَعَجْرُفُهَـا ❁ لِصَـامِتِ المَـالِ إلَّا ولَا ذِمَمَـا

وقالَ[١]:

مَلَكْـتُ مَالَـه المَعَـالِي فمَـا تَلْـقَـاهُ إلا فَرِيسَـةً لِلحقُـوقِ ❁

يَقِـظٌ وهْـوَ أكْثَـرُ النَّـاسِ إغْضَـاءً ❁ علـى نَائِـلٍ لَـهُ مَسْـرُوقِ[٢]

فقولُهُ: «فَريسةً لِلحقُوقِ» كلامٌ حَسَنٌ حُلْوٌ.

وقوله: «على نائل لَهُ مَسْروقِ»، معنًى ليسَ بالجيِّد بل هو رديءٌ؛ لأنَّ نائِلَه هو ما يُنيلهُ، فكيف يكونُ مَسروقًا[٣] منه؟، وهل يكونُ الهَجْوُ إلّا هكَذا: أن يجعَلَ نائِلَه مأخوذًا منه على وَجهِ السَّرِقَةِ؟.

وإنما اعتمَدَ المطابقةَ لمَّا وصَفَهُ بالتَّيقُّظِ جعَلَه مِمَّنْ يُسرَقُ مِنْهُ، إذ كان من شأنِ المُتَيقِّظِ ألّا يغفل حتى يَسْتَمِرَ[٤] عليهِ السَّرَقُ، وكان يَصِحُّ هذا المعنى[٥] لو قالَ: «على مالٍ لَه مَسروقٍ» حتى يكونَ يُعْطِي مالَه اختيارًا لجُودِهِ، ويُغْضي إذا سُرِقَ مِنْهُ لِكَرَمِهِ، وقد ذَكَرْتُ هذَا في أغَالِيطهِ على هَذا الشَّرحِ[٦].

---

(١) ديوانه: ٢/١٤٦ والتبريزي ٢/٤٤٥.

(٢) سبق التعليق عليه في ١/٤٤٩.

(٣) قال ابن المستوفي بعد أن ذكر شروح بعض الشيوخ لهذا البيت: لم يُلِمَّ أَحَدٌ منهم بِتَفْسِيرِ قوله: على نائِلٍ له مَسروقٍ، وكيف يكونُ نَائِلٌ يِنيلُهُ مَسروقًا، وهو مأخوذٌ بِعِلْمِهِ؟ «النظام ٢ لوحة ١٩٦».

(٤) في الجزء الأول ص ٤٤٩ «استتمّ عليه» وهو خطأ، وذكر المحقق في الهامش رواية هذا الجزء، واستمر: يستمر: ذهب، وفي «س»: «حتى استمرَّ».

(٥) في «س»: «ولو».

(٦) انظر ١/٤٤٩.

وقال البحتريُّ في هذا البابِ[1]:

فكَم لَك في الأموال مِنْ يَوْمِ وَقْعَةٍ ❁ طَويلٌ - من الأهوالِ - فيه عَوِيلُها

ومِثْلُ هذَا قولُ أبي نُواس[2]:

بُحَّ صوتُ المَالِ مِمَّا ❁ مِنكَ يَشْكُو ويَصيحُ

وما زالَ النّاسُ يعيبونَ قَولَه: «بُحّ[3]».

وقال البحتريُّ أيضًا[4]:

ويَحكُمُ في ذَخائِرِه نَداهُ ❁ كمَا حَكَمَ العَزيزُ على الذَّليلِ

وأحسَنُ من كلِّ حَسَنٍ قَولُهُ[5]:

يَتفَادى من نَداهُ تَالِدٌ ❁ لو ترَقَّى للثُّرَيا ما وَأَلْ

وهذا أَجْوَدُ من أبياتِ أبي تمَّامٍ كُلِّها.

وقالَ[6]:

غريبُ المَكْرُماتِ تَرى لديهِ ❁ رِقابَ المالِ تُهْتَضَمُ اهْتِضَاما

إذا وهبَ البدُورَ رأيتَ وَجْهًا ❁ يُخالُ لِحُسْنهِ البدرَ التَّمَامَا[7]

---

(١) ديوانه: ٣/١٧٧٨، وقد سبق في ٢/١٩، وفي الأصل «من الأموال» تحريف، والتصحيح من روايته التي سبقت في الجزء الأول ومن ديوانه.

(٢) ديوانه: ٤٣٤، وقد سبق في ٢/١٩.

(٣) انظر الموشح ص ٤١٤.

(٤) ديوانه: ٣/١٧٣٤.

(٥) ديوانه: ٣/١٧١٥ و«وَأَلَ»: أي نجا.

(٦) ديوانه: ٣/٢٠٠٥.

(٧) ديوانه: «تَخالُ» بالبناء للمعلوم.
و«البدور»: جمع بَدْرَةٍ، كيس فيه ألف أو عشرة آلاف.

وقال في محمّدِ بن عبد الملك[1]:

مـــا فَقَــدْنا الإعــدامَ حتَّــى مَــدَدْنَا ❊ أمــــلًا نَحـــوَ سَـــيْبِكَ المَمْـــدُودِ
سُـــؤْدَدٌ يُصْـــطَفي ونَيْـــلٌ يُرجّـــى ❊ وثَنــــاءٌ يَحْيَـــا ومَـــالٌ يُـــودِي



(١) ديوانه: ١/٦٣٦.

دفع جودِ الجواد وعطاياه لنوائبِ الدَّهرِ

قالَ أبو تَمّامٍ[1]:

مشَـتِ الخُطـوبُ القَهْقَـرى لمَّـا رَأتْ ❁ خَببـي إليـكَ مُؤكَّـدًا بِرسـيمِ

فَزِعَـتْ إلـى التوْديـعِ غيـرَ لَوابِـثٍ ❁ لمَّـا فَزِعْـتُ إليـكَ بالتَّسْـليمِ

والـدَّهْرُ أَلْأَمُ مـن شَـرَقْتَ بِلَوْمِـهِ ❁ إلَّا إذا أشْـرَقْتَهُ بكـريمِ

وهذا البيتُ الأخيرُ من الاستعارةِ القبيحَةِ.

وقوله[2]:

صَـدَمتْ مواهِبُـهُ النّوائِـبَ صَـدْمَةً ❁ شَـغَبَتْ على شَـغَبِ الزَّمـانِ الأنْكَـدِ

وحَسْبُكَ بـ«صَدَمَتْ» لفظةً هجينةً قبيحةً.

وقال[3]:

أيُّ مُـداوٍ لِلْمَحْـلِ نائِلُـهُ ❁ وهـانِئٍ للزَّمـانِ مـن جَرَبِـهْ

إنْ جـدَّ ردَّ الخطـوبَ تَـدْمَى وإنْ ❁ يَمْـزَحْ فجِـدُّ العَطَـاءِ فـي لَعِبِـهْ[4]

قولُهُ:

«وهـانِئٍ للزَّمـانِ مـن جَرَبِـهْ»

---

(١) ديوانه: ٢/٤٤٥ والتبريزي ٣/٢٦٧.

(٢) ديوانه: ١/٤٥٢ والتبريزي ٢/٥١.

(٣) ديوانه: ١/٣٢٣ والتبريزي ١/٢٧٢ والهانئ: الطالي الإبل بالقطران.

(٤) ديوانه وشرح التبريزي: «يلعب».

هي الاستعارةُ الجيّدةُ الحسَنَةُ، وكان ينبغي أن يقولَ:

«وإن يلعَبْ فجِدُّ العطَاءِ في لَعِبه[1]»

وأبلغُ وأجودُ من هذا قول البُحْتُريِّ[2]:

وادعٌ يلعَـــــبُ بالـــــدَّهرِ، إذا ❊ جَـدَّ فــي أُكْرومَــةٍ قُلْــتَ: هَــزَلْ!

وقال أبو تمّام وأحسَنَ[3]:

بَرقَـتْ بـوارِقُ مـن يمينِـكَ غَـادَرتْ ❊ وَضَـحًا بِوَجْـهِ الخَطْـبِ وَهْـوَ بَهـيمُ
ضَـرَبتْ أُنـوفُ المَحْـلِ حَتَّـى أَقْلعَـتْ ❊ والعُـــدْمُ تحـــت غَمَامِهـــا مَعْـــدُومُ

وقال[4]:

أوْطَــأْتَ أرضَ البُخْــلِ فيهــا غــارةً ❊ تَرَكَـتْ حُـزُون الحادِثــاتِ سُــهولا

وهذا كلُّه جَيِّدٌ.

وقال[5]:

أَلا لَا يَمُـــدُّ الـــدَّهْرُ كَفًّـــا بِسَـــيِّئٍ ❊ إلـى مُجْتَـدِي نَصْـرٍ فتُقْطَـعْ مـن الزَّنْـدِ

وهذا من مَضاحيكِ شعرِه التي تُشْبِهُ شِعْرَ أَبي العِبَرِ[6].

---

(١) وهي الرواية التي عليها البيت في ديوانه وشرح التبريزي.

(٢) ديوانه: ١٧١٤/٣، وقد سبق في ١٧/٢.

(٣) ديوانه: ٤٢١/٢ والتبريزي ٢٩١/٣، وفي ديوانه: «بوجه الدهر».

(٤) ديوانه: ٢٩٦/٢ والتبريزي ٧٠/٣.

(٥) ديوانه: ٤٥٧/١ والتبريزي ٦٤/٢، وفي ديوانه «فتقطع للزّند».

(٦) قال عبد الله بن المعتز: تجاوز حدّ المدح ولم يجيء بشيء في ذكر زند يد الدّهر، «انظر النظام جـ ١ لوحة ٣٣٦، ونقل هذا أيضا المرزباني في الموشح ص ٤٧٧ دون أن يعزوه».

وقال البحتريّ[1]:

شَـــامَتْ بُــرُوقَ سَـــحابَةٍ «قُرَشِــيّةٍ» ❁ غَرِقَـتْ صُـروفُ الـدَّهر بَـيْن سُـيُولِها

وقَالَ[2]:

كَـــريمٌ لا يَـــزالُ لَـــهُ عَطَـــاءٌ ❁ يغَيِّـــر سُـــنَّةَ السَّـــنَةِ الجَمَـــادِ

وقَالَ[3]:

إنْ تَـرْمِ آلاؤهُ فـي الـدَّهْرِ عَـنْ وَتَـرٍ ❁ تَكُـن لهـا نُـوَبُ الأيَّـامِ أَهْـدافَا

وهذا بَيْتٌ حَسَنٌ جِدًا.

وقَالَ[4]:

وَدَعِ الخُطُـــوبَ فإِنَّـــه يَكْفيكَهَـــا ❁ مِـن حَيْـثُ واجهَهَـا «أبـو الخطـابِ»

خَـــرِقٌ إذا بَلَـــغ الزَّمـــانُ فِنَـــاءَه ❁ نَكَصَـــتْ عَوَاقِبُـــهُ عَلَـــى الأعْقَـــابِ

وَقَال[5]:

قَمَـــرٌ مِـــنَ الفِتيَـــان أبـيضُ صَـادِعٌ ❁ لِـدُجَى الزَّمَـانِ الفَـاحِم الغِرْبِيـبِ

أعيـى خُطُـوبَ الـدَّهْرِ حَتَّـى كَفَّهـا ❁ والـدَّهْرُ سِـلْكُ حَـوادِثٍ وخُطُـوبِ[6]

---

(١) ديوانه: ١٧٦٨/٣، وقد سبق في ٧٧/٣.

(٢) ديوانه: ٧٢٥/٢.

(٣) ديوانه: ١٣٧٨/٣.

(٤) ديوانه: ٢٩٥/١.

(٥) ديوانه: ٢٤٨/١.

(٦) في الأصل «أغنى خطوب» تصحيف والتصحيح من ديوانه.

قوله: «سِلْكُ حوادِثٍ» من أحسن لفظٍ وأعذبه.

هُمَا عندي في البَابِ متكَافِئَانِ، علىٰ ما لأبي تمّام من الإساءَةِ[1].



(١) إلىٰ هنا ساقط من الأصل.

وفي إعطاءِ الجوادِ حتى لا يجدُ من يُعْطيه(١)

قال أبو تمّام(٢):

فَنَــوَّلَ حتــى لــم يَجِــدْ مَــن يُنيلُــهُ ❁ وحَـارَب حَتَّـى لَـمْ يَجِـدْ مَـنْ يحارِبُـهْ

وقد قال أبو نواس(٣):

وأطعـــم حَتَّـــى مـــا بمكَّـــة آكِـــلُ

وقال عليّ بن جبلة(٤) وأظنُّ أَبَا تَمَّام أخذ مِنْه:

[أَعطيْـتَ حَتَّـى لَـمْ تَجِـدْ لَـكَ سَـائِلًا ❁ وَبَـدأت إذْ قَطَـعَ العُفَـاةُ سـؤَالَها](٥)

ومِثْلُه سواءً قَولُ البحتريّ ومنه أخذ فيما أظُنّ(٦):

جَــادَ حَتَّــى أَفنَــى السّــؤالَ فَلَمَّــا ❁ بَــادَ مِنّــا السّــؤالُ جَــادَ ابتــدَاءَ

وعَلَى أنَّ هَذا كُلَّه عندي من المعاني المشتركةِ، التي لَيس بمنكَر أن تَتَّفِقَ الخواطرُ(٧) فيها لأَنَّها خلائقُ الأجودِ مشَاهَدة، وما شُوهِدَ وصف واتُّفِق(٨) عليه.

---

(١) عنوان هذا الباب في الأصل: تعجرف الجواد على ماله وإتلافه، والتصحيح من «س».

(٢) هنا ينتهي الخرم في الأصل الذي أشرت إليه في ص ٣٠٨، والبيت في ديوانه: ١/٢٩٤، وشرح التبريزي ١/٢٢٧.

(٣) ديوان أبي نواس ٤٣٦، وعجزه: «وأعطى عطايا لم تكن بضمار».
وقد سبق في ١/٢٧٥، وفي الأصل: «آجل» والتصحيح من ديوانه ومن «س».

(٤) وهو الشاعر الضرير المعروف بالعَكَوَّكِ.

(٥) هذا البيت ساقط من الأصل والتكملة من «س»، وقد سبق في ١/٣٠١ وهو في ديوانه: ٩٩.

(٦) كلمة «سواء» ساقطة من الأصل، والبيت في ديوانه: ١/١٥.

(٧) «س»: «عليها».

(٨) سبق أن عدَّ الآمدي قول أبي تمام «فنوّل حتى لم يجد من ينيله» مأخوذا من قول أبي نواس السابق=

وقال أبو تمّام أيضًا[1]:

[٧٨ب] تَلَافَى نَداكَ المُجْتَدينَ فأصبَحُوا ❊ ولـم يَبْـقَ مَـذْخُورٌ ولـم يَبْـقَ مُجْتَـدِ

وَقَال البحتريّ[2]:

إذا قيـلَ قـد فَنِـيَ السّـائِلُو ❊ ن قالـت عطايـاه هـل مِـنْ مَزِيـدِ

صاحبُ أبي تمّامٍ أكرَمُ، لأنّه لم يُبْقِ مَذْخُورًا.

وقَوْلُهُ[3]: «قَالَتْ عَطَايَاه هل مِن مَزِيدِ»، فالعَطَايا هِيَ ما يعطيه فيخرُجُ عن يَدِه إلىٰ المجتدين، فكيفَ قالت: هل من مَزِيد؟؟ وإنما وجه الكلام ـ لو ساغ له الوَزْنُ ـ أَنْ يقول: قَالَت مَكَارِمُهُ هل مِن طَالِب؟، هل من مُلْتَمِسٍ؟ وهذا عندي في الخَطَأ شبيه بقول أبي تمّام[4]:

وأَضْـحَتْ عَطَايَـاه نَـوَازِعَ شُـرَّدًا ❊ تُسَـائِلُ فِـي الآفَـاقِ عَـنْ كُـلِّ سـائِلِ

وقَالَ البحتريّ[5]:

بَـثَّ اللُّهَـى فـي المعتِفِـينَ فَلَـمْ يَـدَعْ ❊ فـي الأَرضِ مُجْتَـديًا ولا مُسـتَرْفِدا

المُجَتدي هو المسترفِدُ، وقد[6] وَكَّد الأوَّلَ بالثَّانِي لاخِتلاف اللَّفظَيْن، ولو كانَ بينهما خِلافٌ كَانَ أجودَ في المعنَىٰ، ولا يجوز أن يكُونَ مُستَرْفَدًا[7] بفتح

= ٢٧٥/١، كما اعتبره أيضا من السرق الصحيح الذي خرجه ابن أبي طاهر ١١٣/١...!!

(١) «أيضا» ساقطة من «س»، ديوانه: ٤٣٤/١، والتبريزي ٣١/٢، وفي الأصل: «تلافىٰ جداك».

(٢) ديوانه: ٧٦٦/٢، وفيه «عطاياه».

(٣) من هنا إلىٰ قوله «عن كلّ سائل» سقط من «س».

(٤) ديوانه: ٢٢٠/٢، والتبريزي ٧٩/٣، وفي ديوانه: «شزّبا».

(٥) لم أجده في ديوانه.

(٦) ساقطة من «س».

(٧) ساقطة من «س».

الفَاء ، أي شيئًا يُرْفَدُ ، لأنَّ ذلك في الأَرْضِ كَثِيرٌ وليس يَمْلِكُهُ ، ويحسن أَنْ يُقَال علىٰ المُبالغة: لم يدع في الأرض مسترفِدًا إلّا أغناه ، يريد مسترفِدًا له .

وقال البحتريّ[1]:

أعطَيْتَ حتّى لم تَجِدْ لَكَ سَائِلًا ❊ وعَلَوْتَ حتّى لَمْ تَجِدْ لَكَ مَصْعَدَا

وَقَال أبو تمّامٍ في نَحو هَذَا[2]:

وإذَا حَلَلْتَ بِهِ أَنَالَكَ جُهْدَه ❊ وَوَجَدْتَ فَوْقَ الجُهْدِ مِنْهُ مَزِيدَا

وقال البحتريّ[3]:

جَادَ حَتَّى لو استُزِيدَ مِنَ الجو ❊ دِ لما كَانَ عِنْدَه من مَزِيدِ

وكِلَاهُما[4] قَدْ ذَهَبَ مَذْهَبًا جَيِّدًا مَحْمُودًا .



(١) لم أجد هذا البيت في ديوانه «تحقيق الصيرفي» وقد أورد الآمدي في الجزء الثاني ص٢٢٨ بضعة أبيات للبحتري لم ترد في ديوانه علىٰ نفس الوزن والقافية ، وقد جعلها محقق ديوان البحتري في ملحقات الديوان نقلاً عن الموازنة ، واعتمد المحققان «محقق الموازنة ومحقق ديوان البحتري» علىٰ كتاب «القول الفائق» لابن الأثير لتخريج البيت ، ونسخة هذا الكتاب المزعوم موجودة في معهد المخطوطات تحت رقم ١٤١٥ ، وهذا الكتاب في حقيقته قطعة من الموازنة لفقت نسبته إلىٰ ابن الأثير ، وهو منه براء ، فالأبيات بالطبع وردت تحت الباب نفسه «وصف الديار وساكنيها» في الموازنة ، وفي الكتاب المدعي لابن الأثير ؛ لأنه نسخة تكاد تلتزم بترتيب الأبواب نفسه الذي جاء في الموازنة ، أما العبارات والألفاظ فإنها هي هي بنصها في الموازنة ، وفوت مثل هذا علىٰ المحققين الكبيرين أمر يدعو إلىٰ العجب!!.

(٢) ديوانه: ٤٠٩/١ والتبريزي ٤٢٠/١ وفيهما: «ومتىٰ حللت... بعد الجهد».

(٣) ديوانه: ٧٦٩/٢.

(٤) سقطت الواو من «س».

في التذاذ الجواد بالجود

قال أبو تمّام في المأمونِ(١):

لَوْ يَعْلَمُ العَافُونَ كَمْ لَكَ فِي النَّدَى ✤ مِن لَذَّةٍ وقَرِيحَةٍ لَمْ تُحْمَدِ

[٧٩] أي: مِن لَذَّة واقترَاحٍ، أيْ: ابتِدَاع واستخراجٍ.

وهَذَا عندي غَلَطٌ مِنهُ، لأنَّ هذَا الوَصْفَ الذي وَصَفَهُ بِهِ، داعيهِ(٢) إلى أن يَتَنَاهى الحامِدُ لَهُ في الحَمدِ ويجتهدَ(٣) في الثناء، لا أن يَدَع حَمْدَه(٤)، وإنما ذَهَب إلى أنّ الإنسانَ(٥) إنَّما يُحْمَدُ على الشيء الذي(٦) [يتَكَلَّفُهُ ويَتَجَشَّمُهُ، ويَتَحمَّلُ المَشَقَّةَ فِيهِ، لا على الشيء](٧) الذي له بواعثُ شهوةٍ وشِدَّةِ صَبَابَةٍ إليه وَمَيْلٍ إلى فِعْلِهِ، ومَنْ كَانَ غَرَامُهُ بالجُودِ هَذَا الغَرَام، فَعَلى قَدرِ(٨) ذَلِكَ يَجِبُ أَنْ يُحمَدَ ويُمْدَح، وقد ذَكَرتُ هذا في أَغَالِيطِهِ على هذا(٩) الشَّرحِ(١٠).

---

(١) ديوانه: ٤٥٣/١ والتبريزي ٥٣/٢، وقد سبق في ٣١٦/١، ٤٤٩، وقال ابن المستوفي: «قال الصولي: نقل كلام المأمون في العفو فصيَّره له في الجود، قال المأمون: إني لأعشق العفو حتى أظنُّ أني لا أؤجر عليه» «النظام جـ ١ لوحة ٣٣١».

(٢) في الأصل: «داعيا» والتصحيح من «س».

(٣) «س»: «ولا يجتهد».

(٤) ساقطة من الأصل.

(٥) «س»: «الناس».

(٦) ساقطة من «س».

(٧) ما بين المعقوفين سقط من الأصل.

(٨) ساقطة من «س».

(٩) ساقطة من الأصل.

(١٠) انظر ٤٥٠/١.

فأمّا قول البحتريّ[1]:

وَلَقـد أَبْـدَتْ الحَمْـدَ حَتَّـى لَـوْ بَنَـتْ ❁ كَفَّـاكَ مَجْـدًا ثَانِيًـا لَـمْ يُحْمَـدِ

فَمَذهَبٌ صحيح، يُرِيدُ أَنَّكَ قَدْ أَفَنيْتَ أوصافَ[2] المَحَامِدِ، فإن جِئْتَ بِنَوْعٍ مِنَ المَكَارِمِ تَبنِي بِها[3] مَجْدًا آخَرَ لَمْ يَقْدِر من يَحْمَدُكَ أو يثنِي عَلَيْكَ على أكثرِ ممّا قَدَّمَ[4].

وقال البحتريّ[5]:

يَلَـذُّ الأَرْيَحِيَّـةَ للعَطَايَـا ❁ كَمَـا لَـذَّت لِشَـارِبِها الشَّـمُولُ

وهَذَا حَسَنٌ حُلْوٌ.

وَوَجَدْتُ فِي التَّعليقاتِ أنَّ بشارًا أَخَذَ قَوْلَهُ في عُقْبَةَ بن سَلْم[6]:

لـيس يُعْطِيـكَ للرجـاءِ ولا الخَـوْ ❁ فِ ولكِـنْ يَلَـذُّ طَعْـمَ العَطَـاءِ

مِن قَولِ القَائِلِ[7]:

---

(١) في الأصل: «وقال البحتريّ» والبيت في ديوانه: ٥٤٩/١ وفيه «ولقد بنيت» وفي ديوانه وفي «س»: «لم تحمد» وقد سبق في ٤٥٠/١.

(٢) «س»: «الأوصاف والمحامد».

(٣) في الأصل: «تبني به».

(٤) الأصل: «تقدم».

(٥) في الأصل: «قال البحتري» ديوانه: ١٨٢٠/٣.

(٦) عقبة بن سلم بن نافع الهنائي من الأزد، قال ابن حزم في الجمهرة: «ولاه المنصور البحرين والبصرة، فأكثر القتل في ربيعة، حتىٰ كان ذلك سبب انحلال الحلف بين ربيعة والأزد، وقتله رجل من ربيعة.، فتك به في جامع البصرة بحضرة الناس» «جمهرة أنساب العرب لابن حزم الأندلسي ص ٣٨٠»، وانظر: تاريخ الطبري ٥١٩/٧، ١٦٥/٨، وديوان بشار ١٣٦/١.

(٧) لم أقف عليه بعد.

يَلَـــذُّ عَطَـــاءَ الـــرَّاغِبِين إِذَا غَـــدَوا ❁ كمـــا لَـــذَّ أنفـــاسَ العَـــرُوسِ مَشُـــوقُ

وَهَذا كُلُّه أَجْوَدُ من قولِ أبي تَمَّامِ[1].



---

(١) يعني قوله:

لـو يعلـم العـافون كـم لـك فـي النـدى ❁ مـــن لـــذة وقريحـــة لـــم تحمـــد

إغناءُ الجوادِ للسّائلينَ حتى يكونُوا مَسْئولين(١)



وقال(٢) أبو تمّام(٣):

تَنْـدَى عُفَاتُـكَ للعُفَـاةِ وَتَغْتَـدِي ❊ رِفْقًـا إلـى زوَّارِكَ الـزُّوَّارُ

وقال(٤):

فَمَـا يَلْحَـظُ العَـافِي جَـدَاكَ مُـؤَمِّلًا ❊ سِـوى لَحْظَـةٍ حَتّـى يَـؤُوبَ مُـؤَمَّلَا

وقَالَ(٥):

فكَـمْ لَحْظَـةٍ أعْطَيتَهـا لابـن نَكْبَـةٍ ❊ فأَصْـبَح منهـا ذَا عِقَـابٍ وَنَائِـلِ

وَقَالَ(٦):

---

(١) سقط هذا العنوان من «س» فالتحق هذا الباب بالباب السابق، أما في الأصل فقد جاءت العبارة محرفة، ثم اتصلت بالجملة التي انتهىٰ بها الباب السابق فصارت هكذا: «وهذا كله أجود من قول أبي تمام أغنىٰ يعني السائلين حتىٰ يكونوا مسئولين»، ولعل الصواب ما أثبته، وانظر ص ٢٧٢ من هذا الجزء.

(٢) كذا في الأصل، وربما يكون المعطوف عليه أبياتا سقطت من النسختين.

(٣) ديوانه: ٥٢٨/١ والتبريزي ١٨١/٢.

(٤) ديوانه: ٣٠٧/٢ والتبريزي ٩٩/٣.

(٥) ديوانه: ٢٢٠/٢ والتبريزي ٨٠/٣ وقال المرزوقي: «أي: فكم منكوب رفعته وأعرته لحظك، فأصبح من بعد يعاقب من يشاء وينيل من يشاء» وقال ابن المستوفي: «المنكوب الذي نكبه الدهر واجتاحه»، «النظام شرحي المتنبي وأبي تمام لوحة ٢٦٢»، وفي «س»: «فكم لحظة أعطيتها» وهي رواية الديوان.

(٦) ديوانه: ص ٢٩٨ والتبريزي ٢٤٤/٣، وفيه «يقول كنت أنا والإعدام أخوين، ولسنا لعلة» أي: لضرّة، والأخوان إذا كانا لأب وأم كانا أجدر بمودة وائتلاف».

وكُنْـتُ أَخَـا الإِعْـدَام لسـنا لِعَلَّـةٍ ❊ فكَـمْ بِـكَ بعْـدَ العُـدْم أَغْنَيْـتُ مُعْـدِمَا

وإذ أنـا مَمْنُـونٌ عَلـيَّ ومُـنْعَمٌ ❊ فَأَصبَحْتُ مِنْ خَضْرَاءِ نُعمَاكَ مُنْعِمَا

وأَنشَدَ ابنُ أبي طَاهِرٍ لأَبِي تَمَّامٍ[1]:

وأَنِّـي لأَرجُـو عَـاجِلًا أَنْ تَرُدَّنِـي ❊ مواهِبُـهُ بَحْـرًا تُرَجَّـى مَـوَاهِبِي

وذَكَرَ أَنَّهُ أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ دِعْبل[2]:

إنْ جَـاءَه مُرْتَغِبًـا سَـائِلٌ ❊ آلَـتْ إليـهِ رَغْبَـةُ السَّـائِلِ

فسائِرُ أبياتِه على هَذَا مَحْذُوّةٌ[3].

وقال البحتريّ في مثل ذلك[4]:

أَلحَقْتَنِـي بِرِجَـالٍ كُنْـتُ أَتْـبَعُهُمْ ❊ وأَطْلُـبُ الرِّفْـدَ مِـنهم إن هُـمُ رَفَـدُوا

فـالآنَ أُجْـدِي كَمَـا كَانَـتْ سَـراتُهُمُ ❊ تُجْدِي وأُحْمَدُ إِفْضَالًا كَمَا حُمِدُوا[5]

---

(١) ديوانه: ٢٨٨/١ والتبريزي ٢١٥/١ وروي التبريزي: «وإني لأرجو أن تردّ ركائبي...».

(٢) سبق هذا في ٢٧٤/١، وديوانه: ٢٢٨.

(٣) ولكن الآمدي سبق أن قرر في الجزء الأول أنه: «غير منكر لشاعرين مكثرين متناسيين ومن أهل بلدين متقاربين، أن يتفقا في كثير من المعاني، ولاسيما ما تقدم الناس فيه، وتردد في الأشعار ذكره، وجرى في الطِّباعِ والاعتياد من الشاعر وغير الشاعر استعماله»، ٢٢٢/١، قال هذا مدافعا عن من يدعي أن البحتري قد سرق من أبي تمام بعض أبياته، وقد طبق هذا المقياس أيضًا على الادعاء القائل بأن أبا تمّام سرق بعض المعاني من ديك الجن، «انظر ص ١١٣»، ونحن نعلم أن دعبلاً معاصر لأبي تمام فكيف يقبل أن يكون أبا تمام سرق من دعبل بعض معانيه، وقد قرر الصولي «أخبار أبي تمام ص ١٠١» قبله المبدأ الذي اتفق عليه العلماء الذين بحثوا في السرقات قال: «حكم النقاد للشعر به قد مضى بأن الشاعرين إذا تعاورا معنى ولفظا أو جمعاهما، أن يجعل السبق لأقدمهما سنا، وأولهما موتا، وينسب الأخذ إلى المتأخر، لأن الأكثر كذا يقع، وإن كانا في عصر واحد ألحق بأشبههما كلامًا، فأن اشكل ذلك تركوه لهما».

(٤) ديوانه: ٤٩٦/١

(٥) «س»: «فصرت» وهي رواية الديوان.

مَقَسِّـما نَشَـبي فِـي عُصْـبَتَيْ طَلَـبٍ ❖ فَعُصْـبَةٌ صَـدَرَتْ وعُصْـبَةٌ تَـرِدُ

[وَقَالَ(١):

كَـرُمَ الأميـرُ بـنُ الأميـرِ فَأَقْبَـلَ الْـ ❖ ـمُجْـدِي إِلَيْـه وَهْـوَ عَـافٍ مُجْتَـدِ]

وَقَالَ(٢):

أَمَّـا أَيَادِيـكَ عِنْـدِي فَهِـي واضِـحَةٌ ❖ مـا أنْ تَـزَالُ يَـدٌ مِنْهَـا تَسُـوقُ يَـدَا

[أَلازِمِـي الكُفْـرُ إنْ لَـمْ أجْزِهـا كَمَـلًا ❖ أَمْ لَاحِقِي العَجْزُ إنْ لَمْ أُحْصِهَا عَدَدَا](٣)

أَصْبَحتُ أُجْدِي عَلَى العَافِينَ مبْتَدِئًا ❖ مِنها ومـا كُنْـتُ إلا مُسْـتَمِيحَ جَـدَا

وَمَـنْ يَبِـتْ مِنْـكَ مَطْوِيًّـا عَلَـى أَمَـلٍ ❖ فَلَـنْ يُـلَامَ عَلـى إعْطَـاءِ مَـا وَجَـدَا(٤)

وهذا في غَايَةِ الحُسْنِ.

وقال(٥):

مَـنْ شَـاكِرٌ عَنِّـي الخَلِيفَـةَ فـي الَّـذِي ❖ أَوْلَاه مِـن طَـوْلٍ ومِـنْ إحْسَـانِ

حَتَّـى لَقَـدْ أَفْضَـلْتُ مِـنْ أَفْضَـالِهِ ❖ ورَأَيْـتُ نَهْـجَ الجُـودِ حِـينَ أَرَانِـي

مَـلأتْ يَـدَاهُ يَـدِي وشَـرَّدَ جُـودُهُ ❖ بُخْلِـي فـأَفْقَرَنِي كَمَـا أَغْنَـانِي

وَوَثِقْـتُ بـالخَلَفِ الجَمِيـلِ مُعَجَّـلًا ❖ مِنْـهُ فَأعطَيْـتُ الـذِي أَعْطَـانِي

---

(١) ديوانه: ١/٥٤٥ وفيه: «فأصبح المجدي إليه» وما بين المعقوفين زيادة من «س».

(٢) ديوانه: ٢/٧١٩.

(٣) زيادة من «س».

(٤) الأصل: «فلن يلام بإعطاء»، والتصحيح من ديوانه ومن «س».

(٥) ديوانه: ٤/٢٢٢٧ و٢٢٥٥، ديوانه: «أولى من الأفعال والإحسان»، وذُكِرَتْ رواية الموازنة في القصيدة الثانية ص ٢٢٥٥.

أَخَذَ هَذَا مِن قَوْلِ ابن الخيّاط المكيّ[1]:

لَمسْتُ بِكَفِّي كَفَّهُ أَبْتَغِي الغِنَى ✤ ولَمْ أَدْرِ أنَّ الجُودَ من كَفِّهِ يُعْدِي
فَلَا أَنَا مِنْهُ مَا أفاد ذَوُوا الغِنَى ✤ أفَدْتُ وأَعْدَانِي فَفَرَّقْتُ مَا عِنْدِي

هُمَا عِنْدِي فِي هَذَا الباب مُتَكَافِئَانِ، لأَنَّهُمَا أَخَذَا المعْنَىٰ الذي رَكِبَاهُ من غَيْرِهِمَا[2].



(١) في الأصل «من ابن الخياط» والزيادة من «س»، والبيتان في الوساطة ص ٢٢٣، والصناعتين ص ٢٠٦، وفي الأغاني ٩٤/١٨ وفيه «أخذت بكفي»، وقد سبق البيت الأول في ٢٤٠/١، وهما وفي الأغاني ٢٦/٣ منسوبتان لبشار، وفي شرح الحماسة للمرزوقي ص ١٦٣٠.

(٢) من قوله: «هما...» إلىٰ آخر التعليق سقط من «س».

ذكر[1] الشرف في العطاء



قال أبو تَمَّام في أبِي دُلَفٍ[2]:

تُـدْعَى عَطَايَـاه وَفْـرًا وهْـيَ إن شُـهِرَتْ ✤ كَانَـتْ فَخَـارًا لِمَـن يعفـوه مُؤْتَنَفَـا[3]

مـا زِلْـتُ مُنْتَظِـرًا أعْجُوبَـةً زَمَنًـا ✤ حَتَّـى رأيـتُ سُـؤَالًا يَجْتَنِـي شَـرَفَا[4]

وهذا معنىٰ حسن جدًا.

وإنما أخذه من قول أميّةَ بن أبي الصّلت[5]:

عطـاؤُكَ زَيْـنٌ لامـرئٍ إنْ حَبَوْتَـهُ ✤ بخيـرٍ ومـا كـلُّ العطـاءِ يَـزِينُ[6]

---

(١) ساقطة من «س»، وفيها «الشوف» بالواو تحريف.

(٢) ديوانه: ٥٤/٢ والتبريزي ٣٦٥/٢.

(٣) جاء في النظام «قال الصولي: يظن قوم عطاياه للغنىٰ، وإنما هي للشرف والفخر، ويقال: عفاه يعفوه إذا سأله...، وقال أبو زكريا: وفرا أي غني؛ لأن كل من أعطاه فقد استغنىٰ عن الناس كلهم، وهو يعطي سرًا وجهرًا، فعطاياه في السر إن شهرت، كانت فخرًا مؤتنفًا وشرفًا مستظرفًا لسائله، لأنه شريف العطاء، فمن أعطاه أكسبه إعطاؤه فخرًا وغنىٰ، وقال الخارزنجي: يقول عطاياه تدعىٰ مالًا، وهي فخار لمن حافظ عليها؛ لأنه لا يسأله إلا شريف وجليل الخطر»، النظام لابن المستوفي ٢ لوحة ١٧٠ ـ يني جامع ـ، «وقد سبق البيت في ٣١/٢»، وفي الأصل: «كان» والتصحيح من الديوان ومن «س».

(٤) ديوانه والتبريزي: «أعجوبة عننا»، وفي النظام «قال ابن المستوفي: وفي طرة: «عننا»، أي يعنّ أي يعرض، وروي: زمنًا «النظام جـ٢ لوحة ١٧٠»، وفي الأصل: «يُجْتَبىٰ» بالبناء للمجهول، والتصحيح من ديوانه.

(٥) في الأصل: «ابن الصلت».

(٦) البيت في مدح عبد الله بن جدعان الجواد المشهور، انظر «ديوان أمية بن أبي الصلت ص ٨٠»=

وقال أبو تمّام[1]:

لا يَكْـرُمُ النَائِـلُ المُعْطَـى وإنْ أُخِـذَتْ ❊ بِـهِ الرَّغَائِـبُ حَتَّـى يَكْـرُمَ الطَّلَـبُ[2]

وقال البحتريّ ومنه أَخَذَ[3]:

عَلَّمْتَنِـي الطَّلَـبَ الشَّـرِيفَ ورُبَّمـا ❊ كُنْـتُ الوَضِـيعَ مـن اتِّضـاعِ مَطَـالِبي

وقال[4]:

عَـالِي النَّـوَالِ أَنَـالَني بنوالِـهِ ❊ شَـرَفًا أَطَـلَّ عَلَـى النُّجـوم مُنِيفُـهُ

أيُّ اليَـدَيْنِ أَجَـلُّ عِنْـدي نِعْمَـةً ❊ إغْنَـاؤُه إيَّـايَ أمْ تَشْـرِيفُهُ؟

= وقد سبق في ١/٢٨٦.

(١) ديوانه: ١/٣٠٣ والتبريزي ١/٢٤٥ وفي «س»: «وقال».

(٢) ديوانه والتبريزي: «لا يكرم الظّفر» وقد سبق البيت في ٢/٣٩ وهناك «وإن أخذت منه الرغائب» وقال ابن المستوفي «قال المرزوقي وروى: «لا يكرم الظفر المعطى وإن كثرت به الرغائب»، إنما العرف يكرم والنوال يشرف متى صين طلب العافي الزائر من المطل، ولم يهن، ولم يبتذل بالتسويف والدفاع. قال المبارك بن أحمد: وقد ذكرت معنى هذا البيت في موضع آخر، وهو أن يجوز أن يريد بذلك أن الظفر لا يكون كريمًا وإن حصلت به الرغائب، حتى يكون الطلب كريما، يعني أن الطالب يقصد بطلبه من يكون كريمًا، قال الصولي: وروي

لـن يكـرم الظفـر المعطـى وإن أخـذت ❊ بـه الرغائـب حتـى يكـرم الطلـب

كذا يرويه الناس وقرأته على أبي مالك:

لـن يكـرم الظفـر المعطـى وإن أخـذت ❊ منـه الرغائـب حتـى يكـرم الطلـب

يقول: لا يكون كريم الظفر حتى يكون كريم الطلب، وَاطَّلَبَ الرجل: مطلبًا كريمًا، «النظام لابن المستوفي ١ لوحة ١١٥/١١٦، دار الكتب».

(٣) ديوانه: ١/١٦٢، وقد سبق في ٢/٣٩.

(٤) ديوانه: ٣/١٤٢٠، ديوانه و«س»: «عالي المحلّ» وفي «س»: «أناله» تحريف.

وقال[1]:

وَإِذَا اجْتَـداهُ المجْتَـدُونَ فإنَّـه ❊ يَهَبُ العُلَا فـي نَيْلِـهِ المَوْهُـوبِ[2]

شُـهِرَتْ عطايـاه فَصِـرْنَ قبـائِلًا ❊ لقبائِـلٍ مِـنْ زَوْرِهِ وَشُـعُوبِ[3]

كَـمْ حُـزْنَ مِـنْ ذكْـرٍ لِغُفْـلٍ خَامِـلٍ ❊ وَبَنَـيْنَ مِـن حَسَـبٍ لِغَيْـرِ حَسِـيبِ

قولُ أبي تمّامٍ:

حَتَّـى رأيْـتُ سُـؤَالًا يَجْتَنِـي شَـرَفا

خَيْرٌ منْ هَذَا كُلِّهِ، وَإِنْ كان المعنىٰ مسروقًا.

وقال أبو تمّام في ضِدِّ ما تقدّم[4]:

فـإِنْ كَـانَ ذَنْبِـي أنَّ أحسَـنَ مَطْلَبِـي ❊ أَسَـاءَ فَفِـي سُـوءِ القَضَـاءِ لِـيَ العُـذْرُ

حَذَا حذو قول عبّاس بن الأحنف[5]:

وَمـا كَـانَ مِثْلِـي يَعْتَرِيـكَ رَجَـاؤُهُ ❊ ولكِنْ أَسَاءَتْ شِيمَةٌ مِنْ فَتًى مَحْضِ

---

(١) ديوانه: ١/٢٤٨.

(٢) سبق في ٢/٣١ ورواه هناك «في سيبه الموهوب».

(٣) ديوانه: «نشرت عطاياه».

(٤) ديوانه: ٣/٦١٤ والتبريزي ٤/٥٧١، وقد سبق البيت ١/٢٧٧.

(٥) نسبه في الجزء الأول، ص٢٧٧ إلىٰ مسلم بن الوليد، وقد ورد البيت مع بيتين في ديوان مسلم ابن الوليد ص ٢٨٦، كذلك وردت تلك الأبيات في زهر الآداب ٤/١٠٧١ منسوبة إلىٰ مسلم، وفيه «أساءت نعمة»، ولم أجده في ديوان العباس، والبيتان الآخران:

وإنـي لأسْـتَحيي السُّـؤَالَ ومَـذهبِي ❊ عَـريضٌ وآبـى الشحَّ إلا علـى عِرْضِـي

وإنـي وإشـرافي عليـكَ بِهمَّتِـي ❊ لكـالمُبْتَغِي زُبْـدًا مـن المـاءِ بـالمَخْضِ

وقال البحتري[1]:

لُمْتَنِـي أن رَمَيْـتُ فِـي غَيْـرِ مَرْمًـى ✤ وعَزِيــزٌ عَلَــيَّ تَضْـيِيعُ سَــهْمِي

[٧٠ ب] إنْ أكُنْ خِبْتُ فِي سُؤَالِ بَخيلٍ ✤ فَبكُرْهِي - ذَاكَ السُّؤَالُ - وَرَغْمِي[2]

وهذا جيّد بالغ.

وأبو تمّام أشعر في قوله: «يَجْتَني شرفًا[3]» وإن كان المعنى مأخوذًا.



(١) ديونه ٣/١٩٣٨.

(٢) ديوانه «حبت» بالحاء المهملة.

(٣) من هنا إلى نهاية العبارة سقط من «س»، وفي الأصل «ذلك».

ما قالاه في شفاعةِ الجوادِ

قال أبو تمّام[1]:

أَنْضَرتْ أَيْكتي عَطَايَاكَ حتَّى ✤ صارَ ساقًا عُودِي وَكَانَ قَضِيبَا
مُمْطِرٌ لي بالْجَاهِ والْمَالِ ما أَلْـ ✤ ـقَاكَ إِلَّا مُسْتَوْهِبًا أَوْ وَهُوبَا[2]
وإِذَا مَا أَرَدْتَ كُنْتَ رِشَاءً ✤ وإِذَا ما أَرَدْتَ كُنْتَ قَلِيبَا[3]

وهذا معنًى في غايةِ الحُسْنِ وتمثيلٌ في غايةِ الصِّحَّةِ.

وقال[4]:

فَلَقِيتُ بَيْنَ يَدَيْكَ حُلْوَ عَطائِهِ ✤ وَلقَيتُ بَيْنَ يَدَيَّ مُرَّ سُؤَالِهِ
وَإِذَا امْرُؤٌ أَسْدَى إِلَيْكَ صَنِيعَةً ✤ مِنْ جاهِهِ فكَأَنَّها مِنْ مَالِهِ[5]

وهذا حسن جدًا.

ولِدعْبِلٍ مثل معنى البيت[6] الأوّل - وأظنّ أبا تمّام عليه حذا - وذلك قوله:

شَفيعَكَ فاشْكُرْ فِي الحَوائِجِ إِنَّه ✤ يَصُونُك عن مَكْرُوهِهَا وَهْوَ يُخْلِقُ[7]

(١) ديوانه: ١/٢٥٨ والتبريزي ١/١٧١.
(٢) ديوانه والتبريزي: «ممطرًا»، وقد سبق البيت الأول في ٢/٣٢، وفي التبريزي و«س»: «لا ألقاك».
(٣) في التبريزي: «فإذا ما أردتُ... وإذا ما أردتُ» بالإسناد إلى ضمير المتكلم.
(٤) ديوانه: ٢/٢٨٦ والتبريزي ٣/٦٠، وقد سبق البيتان في ١/٢٤١.
(٥) في «س»: «أسدي إليّ».
(٦) «س»: «مثل معنى بيت الأول».
(٧) ديوان دعبل بن علي: ص١٩٣ وانظر تخريجه هناك، وقد سبق البيت في ١/٢٤٠، وجاء أخبار أبي تمّام «أن دعبلًا قال: كان أبو تمّام يتتبع معانيَّ فيأخذها، «وذكر الأبيات»، فقال له رجل في=

فأمّا معنىٰ البيت الثاني فمبتذل متداول، يجري في العادات وفي كلام النّاس، إلَّا أنّ أبا تمّام أحسن العبارة عنه فصار مثلا.

وقال البحتريّ[1]:

وَكَــريمٍ غَــدَا، فَــأَعْلَقَ كَفِّــي ❊ مُسْــتَميحًا فِــي نِعْمَــةٍ مِــنْ كَــرِيمِ
حــازَ حمــدي وللرّيــاح اللّــواتي ❊ تَجْلُــبُ الغيــثَ مثــلُ حَمْـدِ الغُيــومِ[2]

وأصحاب السّرقات يقولون: هذا مأخوذ من قول أبي تمّام:

«وإذا امروٌّ أسـدى إليـك صنيعـة[3]»

وليس الأمرُ كذلك، لأنّ هذا المعنىٰ مشتركٌ بين النّاسِ، وليس باختراع لأبي تمّام، لأنّك أبدًا تسمعُ القائلَ[4] يقول لمن بلغ حاجتَه بشفاعَتهِ: ما أعتدُّ هذا إلَّا من مَالِك، أو من اللهِ[5] ثم منك، فليس لأبي تمّام فيه أكثرَ من أن عبَّرَ عنه عبارةً حسنة مكشوفة [٧١] فصارت مثلًا، والمعنىٰ جارٍ في العادات فجاء به البحتريّ ومَثَّلَهُ بمثالٍ أبدَع فيه فأغرب[6]، وهو قوله:

حــازَ حمــدِي وللرِّيــاحِ اللّــواتِي ❊ تَجِلُــبُ الغَيْــثَ مثــلُ حَمْـدِ الغُيــومِ

= المجلس: والله لئن كان أخذ المعنىٰ وتبعته فما أحسنت، وإن كان أخذه منك لقد أجاده، فصار أولىٰ به منك، فغضب دعبل وقام». «أخبار أبي تمّام للصولي ص٦٤».

(١) ديوانه: ٤/٢٠٧٢.

(٢) في الأصل: «مدحي»، والتصحيح من ديوانه ومن «س».

(٣) «س»: «إليّ صنيعة».

(٤) «س»: «فسمع والقائل...».

(٥) «س»: «ومنك».

(٦) تعليق الآمدي السابق سبق ـ بنصه تقريبًا ـ في ٢/٧١، وفي «س»: و«أغرب».

فلو كانَ [أبو تمّام][1] أوردَ هذا المعنى، كانَ البحتريُّ[2] سارِقًا منه لا محالةَ.

وقال البحتريّ[3]:

يُشَفِّعُنِي فيما يَعِزُّ وجُودُه ❊ ويَمْهَدُ لِي عند الرِّجالِ ويَشْفَعُ[4]

سُرَى الغيثِ يُرْوي غُرْزُهُ حيث يَنبري ❊ وتَتْبَعُهُ أكْلاؤُهُ حينَ يُقْلِعُ[5]

وهذا أيضًا تمثيلٌ في غاية الحسن والصّحة، وهو نحوُ قولِ ابنِ مُطَيْرٍ[6]:

فتًى عِيشَ في معروفِهِ بعد مَوْتِهِ ❊ كما كانَ بعدَ السَّيلِ مَجْرَاهُ مَرْتَعَا[7]

وعلى هذا الحذو أيضًا حذا البحتريّ في وصف قصيدته فقال[8]:

فقد أَتَتْكَ القوافي غِبَّ فائِدةٍ ❊ كما تَفَتَّحَ غِبَّ الوابِلِ الزَّهَرُ

---

(1) في الأصل: «البحتريّ» والتصحيح من «س».

(2) ساقطة من «س».

(3) ديوانه: ١٢٧١/٢.

(4) ديوانه «فيشفع».

(5) ديوانه و«س»: «حين ينبري».

(6) الحسين بن مطير بن مكمل، مولى لبني أسد بن خزيمة، ومن مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، شاعر مقدم في القصيد والرجز، فصيح مدح بني أمية وبني العباس، كان زيّه وكلامه يشبه مذاهب الأعراب وأهل البادية، وذلك بيّن في شعره، مدح معن بن زائدة ثم رثاه بقصيدة منها بيته هذا. «خزانة الأدب، ٤٧٥/٥، معجم الأدباء ١٦٦/١٠».

(7) في الأغاني «ممرعًا» ١١٠/١٥، والبيت من قصيدة يرثى فيها معن بن زائدة وفيها يقول:

أَلِمّا على معنٍ وقُولا لِقَبْرِه ❊ سقتك الغَوادي مَرْبعًا ثم مَربعًا

فيا قبرَ مَعْنٍ أنتَ اولُ حُفْرةٍ ❊ من الأرض خُطَّتْ للمكارم مَضجَعا

ويا قَبرَ مَعْنٍ كيف واريتَ جُودَه ❊ وقد كان منه البَرُّ والبَحْرُ مُتْرعا

وكنتَ لدارِ الجودِ يا معنُ عامرا ❊ وقد أصبحتْ قَفْرًا من الجُودِ بَلْقعا

(8) ديوانه: ٩٥٨/٢ وسقطت في «س» «فقال».

وقال البحتريّ[1]:

لَـمْ يَـأتِ جُـودُك سَـابِقًا فـي سُـؤْدَدٍ ❁ إلّا وجَاهُـــكَ للعُفـــاةِ رَدِيفُـــهْ

غَيْثَـانِ إن حَـدْبٌ تَتَـابَعَ أَقْـبَلا ❁ وهُمـــا رَبيـــعُ مُؤَمِّـــلٍ وخَرِيفُـــهْ

وقال البحتريُّ أيضًا[2]:

أبـــا عيســـى وأنـــتَ المَـــرْءُ تَعلـــو ❁ لـــه الـــنَّفْسُ الشَّـــريفةُ والقَبِيـــلُ[3]

وَفَرْتُـكَ ، لا هـوًى بِـكَ فـي وفُـورٍ ❁ إذا مـــا حـــانَ مـــن حَـــقٍّ نُـــزولُ[4]

ولكـــن جـــاهُ ذي خَطَـــرٍ شَـــريفٍ ❁ أراهُ وَهْـــوَ مـــن جُـــودٍ بَـــديلُ

إذا مـــا القَـــولُ عـــادَ لنـــا بِطَـــوْلٍ ❁ فَفَـــيْضٌ مـــن فَعالِـــكَ مـــا نَقُـــولُ[5]

وقال في المهتدي وابنهِ العبّاس[6]:

وإنِّــــي أرْتَجِيـــكَ وأرْتَجِيـــهِ ❁ لـــديكَ لِنَائِـــلٍ بِـــكَ مُسْـــتَفَادِ

---

(١) ديوانه: ١٤٢١/٣.

(٢) ديوانه: ١٨٢١/٣ وفي «س»: «وقال أيضًا» وأبو عيسىٰ هو العلاء بن صاعد.

(٣) «س»: «والقبول».

(٤) في الأصل: «وقربك».. «وقوف» والتصحيح من ديوانه، وفيه «إذا ما كان».

(٥) ديوانه «ما تقول»، «فقبض» بالموحدة التحتية، وهي أصح لرواية الموازنة «ما نقول».

(٦) كذا في الأصل وصوابه «المستعين» ومما يعزز هذا أن البحتري يذكر قتل «أوتامش» وكاتبه «شجاع» في أول القصيدة:

وعَرَّفَـتِ اللَيَّـالي فـي «شُـجَاعٍ» ❁ و«تَـامشَ» كَيـف عاقِبَـةُ الفَسَـادِ

وهذا حدث سنة ٢٤٩ في خلافة المستعين «الطبري ٢٦٣/٩»، وفي سنة ٢٥٠ أُجلِسَ العباسُ بن أحمد بن محمد، «وهو العباس بن المستعين»، وعُقِدَ لَهُ وقد ذكر هذا البحتري فقال:

لِيَهْنِكَ فـي ابنـك «العبـاس» هَـدْيٌ ❁ تَبَـيَّنَ مـن رَشـيدِ الأمْـرِ هَـادِ

أُقمْـتَ بـهِ، ولـم تـألُ اختيـارا ❁ سـبيلَ الحَـجِّ فينـا والجِهَـادِ

«وانظر الطبري ٢٧٦/٩ وديوانه: ٥٢٣/١».

وأقــربُ مــا يَكــونُ الــنُّجْحُ يَومًــا ❊ إذا شَــفَعَ الوجيــه إلَــى الجَــوادِ

وقال في حَمُولة[1]:

خَطَبْنَــا إليــه قَوْلَــه غِــبَّ فِعْلِــهِ ❊ ومــن يَفْعَــلِ المَعروف فَهْــوَ يَقُــولُ[2]

ومــا عائِــدٌ مــن جَاهِــهِ بعــد جُــودِهِ ❊ بِمُبْعِــدِه مــن أنْ يُنَــالَ جَزِيــلُ[3]

أرانــي حقيقًــا أنْ أؤولَ إلــى الغِنَــى ❊ إذا كانــت الشُّــورى إليــكَ تَــؤولُ

وقال[4]:

وهَبْــتَ لنَــا العِنايَــةَ بَعــدَما قَــدْ ❊ نَراهَــا عنــد أقــوامٍ تُبَــاعُ

ولــم يُحْظَــرْ عَلَيْنَــا الجَــاهُ حتَّــى ❊ جَــرَتْ عَنــه المَــذانِبُ والــتِّلاعُ[5]

فَفِعْلُــكَ إن سُــئِلْتَ لنَــا مُطِيــعٌ ❊ وقَوْلُــكُ إن ســأَلْتَ لنَــا مُطَــاعُ

وقال[6]:

ولمّــا الْتَمسْــتُ جَاهَــه جــاءَ تَالِيًــا ❊ لِمُسْتَسْــلِفٍ مــن سَبْقِ مَوْهُــوبِ مَالِــهِ

ولَسْــتَ خَليقًــا بانتِفَــاعٍ ترومُــهُ ❊ بِقَــوْلِ امْــرِئٍ لَــمْ تَنْتَفِــعْ بِفَعَالِــهِ[7]

وقال[8]:

---

(١) ديوانه: ١٨٣٣/٣، وحمولة هو: أبو العباس حمولة وزير أبي دلف «الفهرست ص٢٤٠».

(٢) عبث الوليد ص ١٩٨ «يفعل الإحسان» وقال: «الوجه جزم «يفعل» لأن الفاء تدلّ على الجزاء، والرفع جائز...».

(٣) في الديوان: «وما ساعةٌ... بِمُبْعِدَةٍ...».

(٤) ديوانه: ١٢٤٦/٢.

(٥) ديوانه: «تَحْظِرْ» بالبناء للمعلوم.

(٦) ديوانه: ١٨٤٥/٣.

(٧) ديوانه: «لانتفاع»، و«لستُ» بضم التاء، و«يُنْتَفِعْ»، والصواب رواية الموازنة.

(٨) ديوانه: ٢٢٦٩/٤.

ظَنَنْتُ بِهِ التي سَرَّتْ صَديقِي ❁ فكان الظَّنُّ قُدّامَ اليَقينِ
وكُنْتَ إليه في وَعْدِ شَفيعي ❁ فَصِرْتَ إليه في نُجْحِ ضَمينِي
وما وَلِيَ المَكارِمَ مِثْلُ خِرْقٍ ❁ أغرَّ يرى المَواعِدَ كالدُّيونِ[1]

وقال[2]:

راشنَا أمسِ جَاهُهُ، وثَنَى اليَوْ ❁ مَ لنَا بالرِّيَاشِ أجْمَعَ مَالُهْ
كانَ مَعْروفُهُ المُقَدَّمُ قَوْلًا ❁ فَقفَا القَوْلَ من قَريبٍ فَعالُهْ[3]

[قد تَصرَّفَ البحتريُّ في هذا البابِ تَصرُّفًا جميلًا، وأحسنَ كُلَّ الإحسانِ في قوله:

«إذا شفع الوَجيهُ إلى الجَوادِ»

ولولا قولُ أبي تمّام:

«فلَقَيْتُ بين يَديْكَ حُلوَ عطَائِهِ»

لَفضَّلْتُهُ على أبي تَمَّامٍ، ولكنّي أَجْعَلُهُما مُتكافِئَيْنِ][4].



(١) في الأصل «أولى» والخِرْقُ: هو الفتى الكريم خليقة، المتخرق في الكرم.
(٢) ديوانه: ١٨٢٩/٣.
(٣) الأصل: «فقَفَا اليوم».
(٤) زيادة من «س».

ذكر ما استنه الكريمُ في النَّاسِ من الكرم[1]

قال أبو تمّام[2]:

أَيْقَظْتَ نُوَّامَ الكِرام بحادثٍ ✤ لِنَدَاكَ أَظْهَر كَنْزَ كُلِّ كَريمِ[3]
ولَقَد نكونُ ولَا كريمَ نَنَالُهُ ✤ حتّى نَخُوضَ إليه أَلْفَ لَئيمِ
وسَنَنْتَ بالمَحْمُودِ من أَثَرِ النَّدى ✤ سُنَنًا شَفَتْ من دَهْرِنَا المَذْمُومِ[4]
وُسِمَ الورَى بِخَصاصَةٍ فَوَسَمْتَهُ ✤ بِسَماحَةٍ لَاحَتْ على الخُرْطُومِ

وهذه معانٍ جِيادٌ[5].

وقال[6]:

أَوَلَيْسَ عَمْرٌو سنَّ لِلنَّاسِ النَّدى ✤ حَتَّى اشْتَهَيْنَا أن نُصِيبَ بَخِيلا ؟

[١٧٢أ] وما زَالَ النَّاسُ يَسْتَقْبِحونَ هذا[7] اللّفظَ والمعنَى، وإنما سَمِع أَبَا نُواسٍ

---

(١) «س»: «ما استنه الكريم من سنن الكرام».

(٢) ديوانه: ٢/٤٤٦ والتبريزي ٣/٢٦٤.

(٣) ديوانه والتبريزي و«س»:
«أيقظتَ لِلْكَرمِ الكِرامَ بِنَاطِقٍ ✤ لِنَداكَ أظهرَ كَنْزَ كُلِّ قَديمِ»

(٤) ديوانه والتبريزي: «فسنت»، والتبريزي: «بالمعروف».

(٥) «س»: «جيدة».

(٦) ديوانه: ٢/٢٩٦ والتبريزي ٣/٧١، عمرو: هو أبو الممدوح نوح بن عمرو بن حُوَيٍّ بن ماتع السّكسكي، من ولد السكاسك بن أَشرس بن كندة، ولهم ثروة عظيمة بالشام، وهو بيت «لهيا» بقرب دمشق، وحُوَيٌّ هو قاتل عمّار بن ياسر ﷺ «جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ٤٣١ ـ ٤٣٢».

(٧) «س»: «يستقبحون القول بهذا اللفظ».

قال[١]:

سَـــنَّ لِلنَّـــاسَ النَّـــدى فَنَـــدوْا ❁ فكـــأنَّ البُخْـــلَ لَـــمْ يَكُـــنِ

فأخَذَه وأَفْسَدَهُ بِشَهْوَاتِهِ أنْ يصيبَ بَخِيلًا

وقال[٢]:

أرى النَّاسَ مِنْهاجَ النَّدى بعدما عَفَتْ ❁ مَهايِعــهُ المُثلَــى ومَحَّــتْ لَواحِبُــهْ

ففــي كُــلِّ شــرقٍ للـبِلادِ ومَغْـربٍ ❁ مَواهِــبُ لَيْسَــتْ مِنــهُ وهْــيَ مَواهِبُــهْ[٣]

وهذا مَعنىٰ حَسَنٌ جِدًّا، ومِثْلهُ قوْلُ البُحْتُريّ[٤]:

رَغَّبْتَ قومًـا فـي السَّماحِ وأَيْـنَ هُـمْ ❁ إنْ سَــاجَلُوكَ مــن السِّــماكِ الأَعْــزَلِ

سَــامَوْكَ مــن حَسَــدٍ فَأَفْضــلَ مِـنْهُمُ ❁ غَيْــرُ الجَــوادِ، وجَــادَ غَيْــرُ المُفْضِــلِ

فَبَــذَلْتَ فِينــا مــا بَــذَلْتَ سَــماحَةً ❁ وتَكَرُّمًــا وبَــذَلْتَ مَــا لَــمْ تَبْــذُلِ[٥]

قولُهُ: «وجَادَ غَيْرُ المُفْضِلِ» أي: صَار جَوادًا من لَمْ يَقْدِرْ علىٰ الإفضالِ، وقولُهُ: «وبَذَلْتَ ما لَمْ تَبْذُلِ» أي: لمَّا سَامَاك حُسَّادُك فَسمَحُوا وبَذَلُوا، كانَ ذلك البَذْلُ كأنَّهُ مِنْكَ، وإن لم تكُنْ بَذَلتَهُ علىٰ الحَقيقةِ، فهذا مَعنىٰ قَولِ أبي تَمّامٍ:

فَفــي كُــلِّ شَـرْقٍ فـي البِلَادِ ومَغْـربٍ ❁ مُواهِــبُ لَيســت مِنــهُ وَهْــيَ مَواهِبُــهْ

وقال البحتريّ[٦]:

---

(١) ديوان أبي نواس ٤١٣.

(٢) ديوانه: ١/٢٩٥ وشرح التبريزي ١/٢٢٨.

(٣) في ديوانه والتبريزي: «ففي كل نجد في البلاد وغائر».

(٤) ديوانه: ٣/١٧٩٧.

(٥) ديوانه: «يُبْذَلِ» بالبناء للمجهول.

(٦) ديوانه: ٣/١٣٧٣، وفيه «واشتباه الأخلاق».

كَـمَ سَـرِيٍّ تَقَيَّـلَ السَّـرْوَ عَـنْهُمْ ❊ واشْـتِبَاهُ الأَفْعَـالِ عَـدْوى وإِلْـفُ!

وقال[1]:

أقَـامَ بـه فـي مُنْتَهـى كـلّ سُـؤْدَدٍ ❊ فَعَـالٌ أقَـامَ النَّـاسَ دُونَ منَالِـهِ[2]

فـإن قَصَّـرَتْ أَكْفَـاؤُهُ عـن مَحَلِّـهِ ❊ فـإنَّ يمـينَ المَـرءِ فَـوقَ شِـمَالِهِ

وما أحسنَ ما قالَ دِعْبِلٌ[3]:

عَلَّـمَ الجَـرْيَ فـي السَّـماحَةِ حتَّـى ❊ قَـدْ جَـرى فـي السَّـماح كُـلُّ بليـدِ

رَأيُـهُ للخُطُـوبِ والسَّـيفُ لِلْمَضْـ ❊ ـرِبِ وَقْـفٌ والمَـالُ للتَّبْديـدِ[4]

[هُما في هذا البَابِ مُتكافِئان، لأَنَّهُمَا رَكِبَا معَنًى قد تَقدَّم النَّاسُ فيهِ، وهو من المعاني المشتركة][5].



(١) ديوانه: ٣/١٦٢١.

(٢) ديوانه: «دون امتثاله» و«س»: «مثاله».

(٣) لم أجدهما في ديوانه، ولم أقف عليهما فيما بين يديّ من مراجع.

(٤) «س»: «للمضروب».

(٥) زيادة من «س».

في اعتذار الجوادِ بعدَ العطاءِ



قال أبو تمّام(١):

لَـهُ كَـرَمٌ لـو كـان فـي المَـاءِ لـم يَغِـضْ ✤ وفـي البَـرْقِ مـا شَـام امـرؤٌ بَـرقَ خُلَّـبِ

[٧٤ب] أخـو أَزمَـاتٍ بَذْلُـهُ بَـذْلُ مُحْسِـنٍ ✤ إلَيْنَـا ولكـن عُـذْرُهُ عُـذْرُ مُـذْنِبِ

أزماتٌ: شدائِدُ وجُدْبٌ.

وقال(٢):

يُعْطِي عطاءَ المُحْسنِ الخَضِلِ النَّدي ✤ عَفْـواً ويَعْتَـذرُ اعتِـذَارَ المُـذْنِبِ

هذا من قولِ دِعبلٍ(٣):

فتًـى يَعْتَفِيـكَ بإنْعَامِـهِ ✤ كمـا تَعْتَفِيـكَ يَـدُ الطَّالِـبِ

ويُعْطِيـكَ مُعْتـذِراً فـوقَ مـا ✤ تُؤَمِّلُـهُ رغبـةُ الرَّاغِـبِ

فَتَحْـوى مَواهِبَـهُ جَمَّـةٌ ✤ وأنْـتَ بِمَنْزلَـةِ الوَاهِـبِ

وهذا من قول زُهَيرٍ(٤):

---

(١) ديوانه: ٢٤٦/١، والتبريزي ١٥٢/١.

(٢) ديوانه: ٢١٨/١، والتبريزي ١٠١/١.

(٣) لم أجدها في شعره المجموع، ولم أقف عليها بعد.

(٤) ديوان زهير بن أبي سلمى ص ١٤٢.
وصدره: تَراهُ إذا مَا جِئْتَهُ مُتَهلّلَا
وفي «س»: «معطيه».

كَأَنَّــكَ تُعْطِيــهِ الــذي أنْــتَ سَــائِلُهُ

وأمّا البحتريُّ فإنّه قالَ في الطّائي(١):

أيّـــدُ الأعبـــاءِ لـــو حَمَّلَـــهُ ❊ ســائِلو القَــومِ ثَبيــراً لَحَمــلْ(٢)
سَـــاحَةٌ إنْ يَعْتَمِـــدْهَا يَعْتَـــرِفْ ❊ نَاشِـــدُ السُّـــؤْدَدِ فيهـــا مـــا أَضَـــلْ
حَيـــثُ لا تُبلـــى المعـــاذيرُ، ولا ❊ يَطَــأُ اليــأسُ علــى عَقْــبِ الأمَــلْ(٣)

ولكن لم يُرِدِ البُحتريُّ بالمعاذيرِ، الاعتذارَ الذي يقَعُ مع العَطاءِ(٤) علىٰ نحوِ ما ذهب إليه أبو تمّام، ولكنَّ قولَهُ:

أَيِّـــدُ الأعبـــاءِ لـــو حَمَّلَـــهُ ❊ ســائِلو القَــومِ ثَبِيــراً لحَمَــلْ(٥)

يَنفِي عنه الاعتذارَ علىٰ كَلِّ حَالٍ.

وكلاهما أحَسنَ، وأبو تمّامٍ فيما ذَهَبَ إليه أشعرُ.



(١) ديوانه: ٣/١٧١٤ والطائي هو: أحمد بن محمد الطائي: أحد القادة الأمراء، ولاه المعتمد الكوفة وسوادها، وفي سنة ٢٧١ عقد له علىٰ المدينة وطريق مكة، وفي سنة ٢٧٢ تصدىٰ لثورة العامة في سامراء بسبب غلاء الأسعار، وفي سنة ٢٧٥ تغلب علىٰ «فارس العبدي» الذي تصعلك وعاث في سامراء، وفي نفس السنة أمر أبو أحمد بن الموفق بتقييد الطائي وحبسه، وكان يلي الكوفة وسوادها وطريق خراسان والشرطة ببغداد وخراج بادوريا وقطربل، وفي سنة ٢٨١ توفي ودفن في مسجد السهلة، «الطبري ٩/٦٢١، ٦٢٢، ١٠/٨، ١٠، ١٤، ٣٦، المنتظم لابن الجوزي ٥/٨٠».

(٢) «ثبير» اسم جبل. وجمعه: أثيرة وهي جبال معروفة المواضع «انظر: معجم ما استعجم ١/٣٣٦».

(٣) «س»: «الناس» تصحيف.

(٤) «س»: «العطايا».

(٥) «ثبيرًا لحَملْ» ساقطة من «س».

وها هنا بابٌ آخر في الاعتذار للجواد من تأخر عطائه

قال أبو تمّام[(١)]:

عَلى أيِّ أحوالٍ مَضَيْتُ فشَاكِرٌ ❊ لِما كَانَ مِن بِرِّ الأمَيرِ وعَاذِرُ
فإن صَدقَ البَرقُ الذي شِمْتُ عَارِضًا ❊ فلا عَجَبٌ مِن أن تَجودَ المَواطِرُ
وإن عاقَتِ الأسبابُ فالبَحْرُ رُبَّما ❊ تمَنَّعَ مِنْهُ جَانِبٌ وهو زَاخِرُ

وهذا مِثلُ قول أبي ذُفَافَةَ المصريّ، أحد شعراء البرامكة[(٢)]:

أَنتَ الرَّبيعُ الذي تَحيا الأنامُ بهِ ❊ كلٌّ يعيشُ بفَضلٍ منك مَقْسومِ[(٣)]
وما السَّحابُ إذا ما انجابَ عن بَلَدٍ ❊ وحانَ ميقَاتُهُ فيهِ بِمَذْمُومِ[(٤)]
إن جُدْتَ فالجُودُ أمْرٌ قد عُرِفْتَ بهِ ❊ وإن تَجافَيْتَ لم تُنْسبَ إلى لُومِ[(٥)]

وهذا حَسَنٌ جدًا، وأظُنُّ أبا تمام عليه حذا.

وقد تقدّمَ[(٦)] ابن هَرْمَةَ في هذا المَعنى، فقال في المَنْصورِ:

---

(١) لم أجد الأبيات في دواوينه المطبوعة والمخطوطة.

(٢) «س»: «البصري»، وقد ورد ذكره في «تتمة يتيمة الدهر» للثعالبي ص ٤٥، وروي بعض أبيات له، ومنها بيتان من الأبيات الثلاثة التي وردت هنا، وهما الثاني والثالث، والأبيات رويت في المنتحل للثعالبي «الإسكندرية ١٩٠١ ص ٦٠» منسوبة للبحتري، ولهذا أثبتها محقق الديوان في ملحق الديوان ٤/٢٦٦٣.

(٣) «س»: «يحيا».

(٤) «س» والمنتحل: «انحاز»، «وجاز ميقاتُهُ» وفي تتمة اليتيمة: «ولم يلمّ به يومًا بمذموم».

(٥) في تتمة اليتيمة: «فالجود شيء»، و«وإن تَجافَيْتَ لم تُنسبْ إلى اللُّوم».

(٦) في الأصل: «وقد تقدم قول ابن هرمة» والتصحيح من «س».

يجودُ إذا ما صادفَ الجودُ حقَّهُ ❁ ويبخلُ أحيانًا فيُعْذَرُ بالبُخْلِ[1]

وقال المتوكِّلُ لعبدِ الأعْلىٰ بن حمَّادٍ النَّرْسيِّ[2]: إني أُريدُ أن أبَرَّكَ فيَمْنَعُني من ذلك النِّسْيانُ، فقالَ: أحسن اللهُ ـ يا أميرَ المؤمنينَ ـ عن هذه النيَّةِ جَزاءَك، ألَا أُنْشِدُكَ[3] في هذا المعنىٰ؟، قال: هاتِ، فأنشَدَهُ[4]:

لأشْكُرَنَّكَ معروفًا هَمَمْتَ بهِ ❁ إنَّ اهتِمامَكَ بالمَعْروفِ مَعْروفُ

ولا ألومُكَ إذ لم يُجْرِهِ قَدَرٌ ❁ فالشيءُ بالقَدَرِ المَحْتُومِ مَصْروفُ[5]

وقال عُمارةُ بن عُقيلٍ في خَالدِ بن يزيد[6]:

---

(١) لم أجد البيت في ديوانه المجموع، غير أنَّ فيه جملة أبيات قالها في المنصور من نفس الوزن والقافية، ويبدو أنَّها تؤلف جزءا من قصيدة طويلة في مدح المنصور العباسي «ديوان ابن هرمة ١٨٨، ١٩٩، ٢٠٠، والموازنة ٣/١١٢».

(٢) عبد الأعلىٰ بن حماد الباهلي المعروف بالنَّرسيِّ، و«نِرسٌ» لقبٌ لجَدهِ لَقَّبته به النَّبَطُ، وكان اسمُه «نَصْرًا» فقالوا: نرس، سكن بغدادَ مدة، وحَدَّثَ بها عن مالك بن أنس، وحماد بن سلمة، ووهب بن خالد، وغيرهم، وروىٰ عنه أبو يحيىٰ صاعقة، والبخاري ومسلم في صحيحيهما وغيرهم، توفي في بغداد سنة ٢٣٧ «تاريخ بغداد ١١/٧٥».

(٣) الأصل: «إلا أني أنشدك».

(٤) (قال هات) ساقطة من «س».

(٥) «س»: «إن لم». عيون الأخبار ٣/١٦٥ ونهاية الأرب ٣/٢٤٥، وبهجة المجالس ١/٣١٦، وجذوة المقتبس ١٢٩ ونسبهما لابن عائشة، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ٣٥٢ وفيه: «إذ لم يمضه قدر»، والمستطرف للأبشيهي ١/٢٣٧.

(٦) خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني، القائد المشهور، ولاه المأمون الموصل، ثم زاده، ديار ربيعة كلها، ولما انتفض أمر أرمينية في أيام الواثق جهز خالدًا إليها، فاعتلَّ ومات في الطريق سنة ٢٣٠، وكان جوادًا شجاعًا، وأولاده أيضا كانوا قُوادًا، اتصلت الرئاسة فيهم أول أيام مروان بن محمد، ثم جميع دولة بني العباس إلىٰ آخر أيام المعتضد. «جمهرة أنساب العرب ٣٢٦، ووفيات الأعيان ١/٧٨، ٦/٣٤١، والأغاني ٢٠/١٨٦، والبيان والتبيين ١/٣٤٢».

أأتـــرُكُ إن قَلّـــتْ دَراهِـــمُ خَالِـــدٍ ❊ زِيارَتَـــــهُ إنِّـــــي إذًا لَلَئِـــــيمُ[1]

وقـــد يُسْـــلِعُ المـــرءُ اللَّئـــيمُ اصْـــطِنَاعَهُ ❊ وَيعْتَـــلُّ نَقْـــدُ المَـــرءِ وهـــو كَـــرِيمُ

«يُسْلِعُ» أيْ: تَكْثُرُ سِلْعَتُهُ[2].

وقال أبو تمّام[3]:

وكنـــتُ أعلَـــمُ عِلْمًـــا لا كفَـــاءَ لَـــه ❊ أن لَـــيْسَ كـــلّ قِطَـــارٍ يُنْبِـــتُ العُشُـــبَا

وربَّمـــا عَـــدلَتْ كَـــفُّ الكَـــرِيمِ عـــن الــ ❊ ـقَـــومِ الحضُـــورِ ونَالَـــتْ مَعْشَـــرًا غَيَبَـــا

وقال البحتريّ[4]:

ومـــا مَنـــعَ الفـــتحُ بـــنُ خاقَـــانَ نَيْلَـــهُ ❊ ولكِنَّهـــا الأقـــدارُ تُعْطِـــي وتَحْـــرِمُ

ســـحابٌ خطَـــانِي جُـــودُه وهـــو مُسْـــبِلٌ ❊ وبَحْـــرٌ عـــداني فَيْضُـــهُ وهـــو مُفْعَـــمُ

وبَـــدْرٌ أضَـــاءَ الأرضَ شـــرقًا ومَغْرِبًـــا ❊ ومَوضِـــعُ رِجْلِـــي مِنْـــهُ أســـوَدُ مُظْلِـــمُ

---

(١) الكامل: ٣١٣/١، والبيت الأول من دلائل الإعجاز ص ١١٧، والمستظرف للأبشيهي ١٦/١، والثاني في الأغاني ١٨٧/٢٠.

(٢) جاء في الكامل: «مَنْ رَفَعَ «المرء» نصب «اصطناعه» ومن نصب «المرء» رفع «اصطناعه»، وأما على تفسير أبي العباس فَيَنْصِبِ «اصطناعه» لا غير».

وقال المرصفي في «رغبة الآمل ١٨٦/٣»: «اصطناعه» كذا وقعت هذه الكلمة، وهي تحريف من الناسخ، والصواب «اضطباعه» بالضاد المعجمة والباء الموحدة، مصدر «اضطبع الشيء»، أدخله تحت ضبعيه، وهما عضداه، كني بذلك عن شحه وبخله، فأما «الاصطناع» وهو إسداء المعروف فغير مناسب هنا.

«ومن رفع المرء.... الخ» هذا الاحتمال سائغ لو كان الفعل متعديا، ولم يثبت عندنا، وتفسير أبي العباس صريح في أنه لازم، وأن «اضطباعه» بالنصب مفعولا لأجله».

(٣) ديوانه: ٢٩٨/١ والتبريزي ٢٣٦/١.

(٤) ديوانه: ١٩٧١/٣.

أأشكو نَدَاهُ بعدَما وَسِعَ الوَرى ❖ ومن ذَا يَذُمُّ الغيثَ إلّا المُذَمَّمُ[1]

[هما في هذا الباب أيضًا متكافئان، لأنَّ المعنى الذي رَكبَاهُ مشترك][2].



(١) ديوانه و«س»: «إلا مذمم»، وقد سبق البيت برواية الديوان في ٢/٢٥.

(٢) ما بين القوسين زيادة من «س».

ذكرُ كِتمانِ الجوادِ لنائلِهِ[1]



قالَ أبو تَمّامٍ في الفَضْلِ بنِ صَالحٍ الهاشَمِيِّ[2]:

سُـمَيْدعٌ يَتَغطى مِـن صَـنائِعِه ❊ كما تَغطَّتْ رِجالٌ مِن فَضائِحِها[3]
وفَـأرَةُ المِسْـكِ لا يُخْفِـي تَضَـوُّعَها ❊ طولُ الحِجابِ ولا يُزْري بِفَائِحِها[4]

وهذا غايةٌ في الحُسْن والحَلاوَةِ.

وقالَ في ابن الهَيْثَمِ[5]:

عُـرْفٌ غَـدا ضَـرْبًا نَحيفًـا عنـدَهُ ❊ شُـكْرُ الرِّجـالِ وإنَّـهُ لَجسِـيمُ
أخْفَيْتَـهُ فَخَفَيْتُـهُ وطَوَيْتَـهُ ❊ فَنَشَـرْتُهُ والشَّـخْصُ منـهُ عَمِـيمُ[6]
جـودٌ مَشَـيْتَ بـه الضَّـرَاءَ تَواضُـعًا ❊ وعَظُمْـتَ عـن ذِكْـرَاهُ وهـو عَظِـيمُ

---

(١) «ذكر» ساقطة من «س».

(٢) ديوانه: ١/٢٧٠ والتبريزي ١/٣٥٢ والفضل بن صالح هو: الفضل بن صالح بن عبد الملك بن صالح بن علي بن عبد الله بن العباس، من أحفاد عبد الملك بن صالح وكان في أيام الرشيد جليل القدر جدًا، وفي غاية الرفعة والتصاون، ونكبه الرشيد وحبسه سنة ١٨٧ «انظر الطبري ٨/٣٠٢، وجمهرة النسب ص ٣٦»، واتهم الفضل بن صالح بأنه قتل أخاه عبد الله بن صالح وتزوج جاريته أتراك، وأبو تمام يدفع عنه هذه التهمة «انظر ديوانه: ١/٣٧٠ والتبريزي ١/٣٤٤، ٣٥٣، والنظام لابن المستوفي جـ ١ لوحة ٢٧٠ دار الكتب» وفي الأصل: «بن صلح».

(٣) السميدع: الشجاع السيد الكريم.

(٤) في الأصل «لا تخفي»، والتصحيح من الديوان والتبريزي.

(٥) ديوانه: ٢/٤٢٢ والتبريزي ٣/٢٩٢.

(٦) الأصل: «غميم» بالغين المعجمة، والتصحيح من ديوانه والتبريزي وفيه: العميم: التام.

وهذا جَيِّدٌ بالِغٌ[1].

«والضَّرَاءُ» ما واراك من شَجَرٍ أو غَيْرِه، يقالُ: هو يَمْشي الضَّرَاء أي يسْتُرُ ما يَفْعَلُهُ ولا يُجاهِرُ بِهِ، يُرِيدُ أنَّه يَفْعَلُ الجَميلَ في سِترٍ[2] لِيَكونَ أبعَدَ من الامتِنانِ[3].

وقال في مالك بن طوق[4]:

[وصَنيعَةٍ لَكَ قد كتَمْتَ جَزيلهَا ✻ فأبى تَضَوُّعُها الذي لا يُكْتَمُ

مَجْدٌ تَلُوحُ حُجُولُهُ وفَضِيلَةٌ ✻ لكَ سَافِرٌ والحقُّ لا يتَلَثَّمُ[5]

وهذا معنًى لا يُسْمَعُ ألطَفُ ولا أحسَنُ[6] منْهُ.

وقد قال دعبل[7]:

إذا انْتَقَمُوا أعْلَنُوا أمْرَهُم ✻ وإن أنْعَمُوا أنْعَمُوا باكْتِتَامِ[8]

تقُومُ القُعودُ إذا أقْبَلُوا ✻ وتَقْعُدُ هَيْبَتُهُم بالْقِيَامِ

وهذا لعَمْرِي حَسَنٌ، وأحْسَنُ مِنْهُ قَوْلُهُ[9]:

---

(١) «س»: «وهذا أيضا».

(٢) «س»: «ستره».

(٣) في التبريزي ٣/٢٩٣ «ابن السكيت: هذه الكلمة في الأضداد، وزعم أنه يقال: مشى الضراء، إذا أظهر أمره».

(٤) ديوانه: ٣/٣٦١ والتبريزي ٣/٢٠١، وما بين المعقوفين زيادة من «س».

(٥) التبريزي: «تلوح فضوله» ومالك بن طوق التغلبي: صاحب الرحبة، أحد الأشراف الأجواد، ولي إمرة دمشق للمتوكل وهو الذي بنى الرحبة التي على الفرات وإليه تنسب توفي سنة ٢٥٩ «النجوم الزاهرة ٢/٣٢، فوات الوفيات ٢/٢٩٤، الفرج بعد الشدة ٢/٣٦٠» وفي «س»: «يتثلم».

(٦) «س»: «لا تسمع ألطف منه ولا أحسن».

(٧) ديوان دعبل المجموع: القسم المنسوب إلى دعبل ص ٤٢١.

(٨) «وأعلنوا» ساقطة من «س».

(٩) لم أقف على البيتين، ولم أجدهما في ديوانه.

يَهـوى اقترابَـكَ كـلُّ طَالِـبِ حَاجَـةٍ ❊ كَرَمًـا كَمـا يَهْـوى الطَّيِـبَ المُـدْنَفُ
وإذا صَـنَعتَ صَـنيعَةً أنسِـيتَها ❊ وذَكَـرْتَ مَوعِـدَكَ الـذي لا يُخْلَـفُ

ولَهِجَ النَّاسُ بقول الخُرَيْمِيِّ، وأعرضوا عما سواه وهو يَسْتَحِقُّ، وذلك قوله(١):

زادَ مَعْروفُـكَ عنـدي عِظَمًـا ❊ أَنَّـهُ عِنـدَكَ مَسْـتُورٌ حَقِيـرُ
تَتَنَاسَـاه كـأنْ لَـمْ تَأْتِـهِ ❊ وهـو عنـد النَّـاسِ مَشْـهورٌ كَبيـرُ

وقال مُنْقِذُ الهِلاليُّ(٢):

فـإنّ إحياءَهـا إماتَتُهـا ❊ وإنَّ منًّـا بِهَـا يُكـدِّرُها

وقال أبو البَصيرِ جَهْمُ بنُ عَبدِ المَلِك(٣) أظُنُّه السَّواقَ مولىٰ المَهالِبَةِ(٤):

أَمْوالُـهُ بـين أخِلَّائِـهِ ❊ وفـي الـوَغى كالأسَـدِ العَـادِي
يَكْـتم مـا يَفْعَـلُ مـن جُـودِهِ ❊ وقـد حَـدا فـي جُـودِهِ الحَـادِي

---

(١) هو إسحاق بن حسان بن قوهي، تقدمت ترجمته.

(٢) البيت في البيان والتبين ٣/٢٢٧ من ثلاثة أبيات.

(٣) انظر ما سبق ص ٢٨٦ من هذا الجزء، وسماه هناك «أبو النضر»، والمعروف هو أبو النضير عمر بن عبد الملك، وقد ترجمه له صاحب الأغاني «الدار ١١/٢٨٥»، وقد وردت بعض الأخبار عن «أبي البصير»، وبعضها أورده صاحب الأغاني عن «أبي النضير» والراجح أن تصحيفا وقع في اسمه.

(٤) وظن الآمدي ليس فيمحله فالسواق هو: إبراهيم السواق مولىٰ المهالبة، كان مقدما في الشعر، وروي له المبرد بعض أبيات في مدح بشر بن داود بن يزيد بن قبيصة بن المهلب، «الكامل» ٢/٣٠، وسماه صاحب العقد الفريد: «إبراهيم السويقي» ونقل حديثا له في ضر ناله «العقد الفريد ٥/٣٧٩»، وانظر كتاب البغال «رسائل الجاحظ ٢/٢٩٨».

وقال أبو قابَوسٍ النَّصرانِيُّ[1]:

رأيـــتُ يَحيـــى أتـــمّ الله نعمَتَـــهُ ❁ علَيـه يَـأتِي الـذي لَـمْ يأتِـهِ أحَـدُ
يَنسـى الـذي كـانَ مِـنْ مَعْروفِـهِ أبـدًا ❁ إلـى الرِّجـالِ ولا يَنْسَـى الـذي يَعِـدُ



(١) البيتان في مدح يحيى بن خالد البرمكي «معجم الشعراء ٣٢ وزهر الآداب ٣٧٤/٢ ومرآة الجنان ٤٢٨/١ وابن خلكان ٢٢٥/٦».

نوادرُ من بابِ الجُودِ

[١٧٦أ]

بَيتُ أبي تمَّامٍ في الجُودِ قولُهُ[١]:

تَعَــوَّدَ بَسْــطَ الكَــفِّ حتّــى لَــوَ انَّــهُ ❊ ثَناهــا لِقَــبْضٍ لَــم تُجِبْــهُ أنامِلُــه

وبيت البحتريّ[٢]:

لا يُتْعِــبُ النَّائِــلُ المبــذولُ هِمَّتَــهُ ❊ وكيــفَ يُتْعِــبُ عَــينَ النَّــاظِرِ النَّظَــرُ

وهذان المعنيانِ لا غايةَ وراءَهما في الحُسْن[٣] وقد وَقَعَت فيهِما جَميعًا[٤] معارضةٌ من أهل[٥] الإعْنَاتِ، فقيلَ في بيت أبي تمّام: إنّ الجوادَ لا يُعطي ما يُعطيه من يدِه[٦]، وإن كانَ في يدِه شيءٌ يعطِيه[٧] فلن[٨] يكونَ مَبْسوطَ الكفِّ به لأنّ الكفَّ حينئذٍ تكون فارغةٌ، وإنما يَبْسُطُهما[٩] للسَّلامِ والمُصَافَحَةِ، لا لِأنْ يُعْطِي[١٠] شيئًا فِيها[١١]

وهذه معارضةٌ في غايةِ الفَساد، إنما ذهب أبو تمّامٍ إلىٰ المَعْنىٰ المشهورِ

(١) ديوانه: ٢/٢٠٣ والتبريزي ٣/٢٩، وقد سبق في ١/٢٥٨.

(٢) ديوانه: ٢/٩٥٦.

(٣) زيادة من «س».

(٤) «س»: «معا».

(٥) زيادة من «س».

(٦) «س»: «يديه».

(٧) «س»: «فلم».

(٨) زيادة من «س».

(٩) «س»: «وإنما هي للسلام».

(١٠) الأصل: (تعطي) بالإسناد إلىٰ المخاطب.

(١١) ساقطة من «س».

المعتادِ[1] في استعمالِ النَّاسِ أن يقولوا: فلان مبسوطُ اليدِ بالمكارِمِ، وسَبْطُ الأنامل بالخَيْراتِ، ويقولونَ في البخيلِ: شَنِجُ[2] الأصَابعِ، وجَعْدُ الكَفّ ومقبوضُ الكفِّ عن الخيرِ، وهذا[3] أكثرُ في كلامِهم من أن يُحْتَاجَ عليه[4] إلى استشهاد.

وإنما أخرجَ أبو تمّامٍ المعنَى على هذه العادةِ وحذا حَذْوُ مسلم بن الوليد في قوله[5]:

لا يستطيعُ «يزيدٌ» من طَبيعَتِهِ ❊ عن المُروءَةِ والمعروفِ إحْجاما

إلا أنّه كَشَف المعنى، وأحسَنَ العِبارةَ عنه، فصارَ أولى به.

وقيل في بيت البحتريّ: وكيف[6] لا يُتْعِبُ عينَ الناظرِ النظر؟ وأنت ترى الإنسانَ أبدًا يُكِبُّ على شيءٍ يَعْمَلُهُ فَتَسْدَرُ[7] عَيْنُهُ، وخاصَةً[8] الكاتِبُ المُكِبُّ على الكِتَابَةِ، أو النَاظِرُ فيها[9]، وهذا أبدًا ترى كلَّ أحدٍ يَشْكُوهُ، وترى الإنسان يُعْمِلُ طَرْفَهُ في النَّظَرِ إلى الشيءِ البَعيدِ فَيَسْدَرُ نَاظِرُهُ حتى لا يرى شيئًا، فهلْ هذا كُلُّهُ إلّا من إتعابِ العينِ بالنَّظرِ، وأنت أبدًا تقولُ للمديم الدّراسةِ لِلْكُتُبِ[10]: لا

(١) ساقطة من «س».
(٢) رجل شَنِجُ الكف: ضيِّقُها، والشَّنَجُ: تقبض الجلد والأصابع وغيرها.
(٣) «س»: «وهو».
(٤) «س»: «وفيه».
(٥) ديوان مسلم بن الوليد ٦٤ وفيه: «عن المنية» وقد سبق في ٢٥٨/١ وفي «س»: «حذا حذو قول مسلم بن الوليد» يمدح يزيد بن مزيد الشيباني.
(٦) في الأصل: (وكيف يتعب عين الناظر؟) والتصحيح من «س».
(٧) صدر: لم يكد يبصر.
(٨) في الأصل: «خاصة».
(٩) «س»: «فيه».
(١٠) ساقطة من «س».

تُتْعِبْ عَيْنَك وارْفُقْ بِها، ورَوِّحْ عَنها ونحو هذَا[1].

وهذه أيضًا معارضةٌ في غايةِ الفساد، لأنّ البحتريَّ لم يذهبْ إلىٰ استعمال العين وَكدّها في النَّظر إلىٰ الشيءِ الواحد، لأنّ ذلك [٨٢ب] إخراجٌ لها عن عادتها الطبيعية[2]، كالكلام الذي إذا أخرجته عن العادة الطبيعية إلىٰ أن ترفعَ به[3] الصوتَ من غِناء أو حداء، أو خُطبةٍ طويلة أتعبت جميع الآلات من الحلق ومجاري النَّفَس والفكين، وإلّا فالكلام الذي تستعمله في عاداتك[4] غير متعب، لأنّك لست تحْمِلُ علىٰ الطبيعة[5]، إنما تتركُها فيه وعادتَها، وذلك غير متعب لها، فكذلك العين إذا تركتها ونظرها الطبيعي، فإن ذلك غيرُ متعب[6] لها، وكذلك اليدُ والرّجل وسائر الأعضاء، وجناحُ الطائر مثله، وإذا أتعبت اليد بأن تحملَ الشيءَ الثقيلَ، وأتعبت الرِّجلِ بالمشي الطّويل، فقد حملت علىٰ الحركةِ الطبيعية وأخرجتها عن عادتها، وللطَّائر أيضًا في طَيَرانِهِ حدودٌ محدودَةٌ[7] في استعمال جناحيه، ومواقيت موقتة، فإن لم يسقطْ للاستراحة، أسْقَطَهُ التعبُ والكدُّ، فهذا كله أنت تراه مشاهدة، فإنما ذهب البحتريّ إلىٰ أنّ عينَ النَّاظِرِ لا يتعبها النظرُ الطبيعيُّ، الذي جعل الباري ﷻ[8] له مبلغا وقَدْرًا فيها ليستدرك[9] النَّاظرُ به معرفة ما يُشاهد[10] من الأشياءِ.

---

(١) زيادة من «س».

(٢) قوله: «كالكلام... الطبيعية» سقط من «س».

(٣) ساقطة من «س».

(٤) «س»: «عادتك».

(٥) «س»: «تحمل فيه علىٰ الطبيعية».

(٦) ساقطة من «س».

(٧) «س»: «والطائر أيضا في طيرانه له حدود محدودة....».

(٨) ساقطة من «س».

(٩) «س»: «يستدرك».

(١٠) «س»: «ما يشاهده».

وهذان البيتانِ بيتا الطائيين في الجود.

وقال بَكرُ بن النَّطَّاح الحَنفيُّ[1]:

وَلَـو لَـم يَكُـنْ فـي كَفِّـهُ غَيـرُ رُوحِـهِ ✽ لجَـادَ بهـا فَلْيَتَّـقِ الله سَـائِلُهْ

وقد قالَ مُسْلِمُ بنُ الوليد[2]:

يجـودُ بـالنَّفْسِ إن ضـنَّ البخيـلُ بهـا ✽ والجُـودُ بـالنَّفْسِ أقصـى غَايـةُ الجُـودِ

وهذا البيت هو بيت مسلم في الجود الذي يُفْتَخرُ له به، وبيتُ بَكْرٍ أجودُ من هذا لقوله[3]:

«ولَو لَمْ يَكُنْ في كَفِّه غَيْرُ رُوحِهِ»

ولقوله[4]:

«.... .... فَلْيَتَّـق الله سَـائِلُهْ»

وهذا لعمري إفراط حسن.

وبيتا الطائّيين أجودُ معنىً وألطفُ، لأنّهما لم يَخْرُجا عن طريقة الجُودِ والكَرَمِ، وهذان البيتان خارجان عَنهما[5].



(١) «س»: «أبو بكر»، وانظر ترجمته ص ٢٤٢، وهذا البيت روي لأبي تمام في ديوانه: ٢٠٣/٢ وشرح التبريزي ٢٩/٣ وينسب أيضًا لزياد الأعجم، ولأخت يزيد بن الطثرية. «انظر العمدة ٢٨٣/٢، ووفيات الأعيان ٣٧٥/٦».

(٢) ديوان صريع الغواني ص ١٦٤، وفيه «إذْ أنت الضنين بها» وفي «س»: «إن ضن الجواد بها».

(٣) الأصل: من هذا القول.

(٤) «س»: «وقوله».

(٥) «س»: «عنها».

ومن نوادر بابِ الجُودِ



قولُ أبي تَمّامٍ في تَوجُهِهِ إلىٰ عبد الله بن طاهر(١):

[٨٣] يقول في قُومَسٍ صحبي وقد أخَذَتْ ✿ منا السُّرى وخُطى المَهْرِيَّةِ القُودِ
أمَطْلِعَ الشَّمْسِ تَبْغِي أن تَؤُمَّ بِنَا ✿ فقلتُ كَلَّا ولكن مَطْلِعَ الجُودِ

وهذا ما لا نهايةَ لِحُسْنِه، ولكنَّه(٢) نقل هذا المعنىٰ من قول ابن هَرْمَةَ في وصْفِ امرأةٍ(٣):

تَبدَّتْ لنَا كالشَّمْسِ يوم طُلوعِها ✿ بِلَوْنٍ غَنيَّ الجِلْدِ عن أثَرِ الوَرْسِ
فلمّا ارْتَجَعْتُ الطَّرْفَ قلتُ لِصَاحِبي ✿ على مِرْيةٍ ما هَا هُنا مَطلِعُ الشَّمْسِ(٤)

فحوّلَ المعنىٰ إلىٰ ذِكْرِ الجُودِ.

---

(١) ديوانه: ١/٥٠٠ والتبريزي ٢/١٣٦ وفيهما: «تنوس أن تؤمّ بنا».
وقال ابن خلكان: «قُومَس» المذكور في شعر أبي تمام: بضم القاف وفتح الميم وقيل بكسرها، إقليم من عراق العجم حدّه من جهة «خراسان» «بسطام»، ومن جهة العراق «سمنان» هاتان المدينتان داخلتان في أعمال «قُومَس»، وكرسي «قُومَس» «الدامغان». وانظر: «معجم البلدان ٤/٤١٤».

(٢) «س»: «وأطنه».

(٣) ديوانه: ١٣٤، وفيه: «تبدت فقلت: الشمس عند طلوعها»، وفي «س»: «عند طلوعها».

(٤) ديوانه: «لما ارتجعت الروح»، وقال الشيخ عبد الرحيم العباسي في معاهد التنصيص ٤/٢٤٩: «إن أبا تمام أخذ معنىٰ البيتين من قول مسلم:
يقولُ صحبي وقد جدوا على عَجَلٍ ✿ والخَيْلُ تستنُّ بالرُّكْبان في اللُّجُم
أمَطْلِعَ الشَّمْسِ تَنْوِي أن تَؤُمَّ بنا ✿ فقلت كلا ولكن مَطْلِعَ الكَرَمِ
وقد أثبت محقق ديوان مسلم البيتين في ذيل الديوان الذي احتوىٰ شعره المجموع «ص ٣٤٠».

وقال البحتريّ في معنىً آخر(١):

دانٍ علــى أيــدي العُفــاةِ وشَاسِــعٌ ❊ عــن كِــلّ نِــدٍّ فــي النَّــدى وضَــريبِ
كالبَــدْرِ أفْــرَط فــي العُلُّــو وضَــوْؤُهُ ❊ لِلْعُصْــبَةِ السَّــارينَ جــدُّ قَريــبِ

وهذا أيضًا غايةٌ في حُسنه(٢) ومعناهُ، وبيتا(٣) أبي تمّام ألطفُ معنىً.

وقال أبو تمّام(٤):

رأى البخــلَ مــن كــلِّ فظيعًــا فعافَــهُ ❊ علــى أنَّــهُ مِنْــهُ أمَــرُّ وأفْظَــعُ
وكــلُّ كُسُــوفٍ فــي الــدَّراريِّ شُــنْعَةٌ ❊ ولكنّــه فــي البَــدْرِ والشَّــمْسِ أشْــنُعُ(٥)

قوله: «على أنّه منه»، أي: على أنّ البُخْلَ من أبي سَعيدٍ أمَرُّ وأفْظَعُ منه من غَيْرِه(٦).

وقولُه: «وكلُّ كسوفٍ في الدَّراريُّ شُنْعَةٌ» يريد بالدّراريِّ: النّجومَ المضيئة وكسوفُها ليس(٧) ممّا يَظْهَرُ لعيونِ النَّاسِ، لأنّ كسوفَ الكوكبِ إنما هو أن يَحْصُلَ

---

(١) ديوانه: ١/٢٤٨، وفي «س»: «على كل ند».
(٢) ساقطة من «س».
(٣) «س»: «وبيت».
(٤) ديوانه: ٢/١٠٢ وشرح التبريزي ٢/٣٢٧.
(٥) في ديوانه والتبريزي والنظام و«س»: «في الشمس والبدر».
(٦) وقال أبو العلاء: «يقول: الكسوف في النجوم يشنع وهو النيرين أشنع وكذلك البخل في غير الممدوح من الرؤساء أقل شناعة منه فيه»، وقال ابن المستوفي: «لم يتعرض أبو تمام إلى قلة شنعة البخل في غير الممدوح كما ذكروا، ولو ذهب إلى ذلك لكان ناقضا لما ضرب به المثل من زيادة الشنعة في الشمس والبدر وإنما أطلقها» «النظام لوحة ١٣٩ جـ ٢».
(٧) الأصل: «فليس» والتصحيح من «س».

سَمْتِهِ كَوْكَبٌ في فَلَكٍ[1] هو أسْفلُ من فَلَكِهِ[2] فَيَسْتُرَهُ، فذاك[3] كُسُوفُهُ، ولا يَتَفقَّدُهُ و[لا][4] يَعْرِفُهُ إلّا المنجمونَ، فليست[5] فيه شُنْعَةٌ، لأنّ الشُّنْعَةَ ما عَمَّتْ رؤيتُهُ[6] فجعل أبو تمّام كسوفَ الكواكبِ[7] شُنْعةً وجعل كسوفَ الشَّمْسِ والبَدْرِ أشْنَعُ وقد أحسن ولم يُسِيءْ.

ولِلْبُحتريّ شيء يقارب هذا في المعنىٰ، ولكن ليس مثله [في الجودة] وهو قوله[8]:

فَــرَّقَ بــين النَــاسِ فــي نَجْــرِهِمْ ❊ مــا يُعْظِــمُ العَبْــدُ لَــه سَــيِّدَهْ

وأَنْجُــمُ الأفْــقِ نِظَــامٌ، خَــلَا ❊ مــا خَالَفَــتْ أَنْحسُــهُ أَسْــعُدَهْ

لَــمْ أحْفِــلِ الأشَــباحِ حتَّــى أرى ❊ بيــانَ مــا تَــأْتِي بِــه الأفْئِــدَةْ[9]

وهذا شبيهٌ بقول نُصَيْبِ الأصْغَرِ:

---

(١) «س»: «ملك».

(٢) «س»: «ملكه».

(٣) «س»: «فذلك».

(٤) زيادة من «س».

(٥) قوله: «فليست... عمت رؤيته» سقط من «س».

(٦) كرر هذا الرأي أبو العلاء «انظر شرح التبريزي ٢/٣٢٧»، وقد علق ابن المستوفي علىٰ قول أبي العلاء فقال: «ولا معنىٰ لقوله: «كما أن كسوف النجوم لا يظهر للعامة كما يظهر كسوف الشمس والقمر»، إذ لو لم يرد بكسوف الدراري ظهوره، لم يقع الفرق بينه وبين كسوف الشمس والقمر لخفاء ذاك وظهور هذا، ولما جمع في الكسوف بين الشمس والقمر، وإن كان لأحدهما جاز أن ننسبه إلىٰ النجوم أيضا» النظام جـ ٢ لوحة ١٣٩.

(٧) «س»: «فجعل أبو تمام فيه شنعة ما».

(٨) ديوانه: ٢/٦٦٣، وما بين القوسين زيادة من «س».

(٩) «س» وديوانه: «لا أحفل».

وإذا جَهِلْتَ من امرئٍ أعْرَاقَهُ ✤ وقَدِيمَهُ فانْظُرْ إلى ما يَصْنَعُ[1]

وهذا معنًى شائِعٌ.

وقال نابغةُ بني شيبانَ[2]:

لا تَحْمَدَنَّ امْرَأً حتّى تُجَرِّبَهُ ✤ ولا تَذُمَّنَّهُ من غَيْرِ تَجْرِيبِ

وقال آخر[3]:

إنِّي امْرؤٌ قلمَّا أثني على أحدٍ ✤ حَتَّى أرى بعضَ ما يَأتي وما يَذَرُ
لا تَحْمَدَنّ امرأً حتى تُجَرِّبَهُ ✤ ولا تَذُمَّنَّ مَن لَمْ يَبْلُهُ الخَبَرُ

وقد أحسنَ بَشَّارٌ في قَوْلِهِ[4]:

ولَوْلا الذي زَعَمُوا لم أكُنْ ✤ لِأحْمَدَ ريحانةٌ قَبْلَ شَمّ

وأظُنُّ أوّل من نظم هذا المعنى الأعشى في قولِه[5]:

---

(١) الأغاني ٢٠/٣٤ وفيه «وإذا نَكَرْتَ»، وزهر الآداب ٤/١٠٣٠، والوزراء والكتاب للجهشياري ص ٢٠٣، ونقل عن عبد الصمد بن علي: أن أبا الحجناء أخذ بيته من قول مسلم الآخر:
لا تسأل المرء عن خلائقه ✤ في وَجْهِهِ شَاهِدٌ عن الخَبَرِ

(٢) ديوانه: ٧٥ وهو عبد الله بن المخارق بن سليم بن بني شيبان، شاعر بدوي محسن من شعراء العصر الأموي، كان يفد إلى الشام يمدح الخلفاء من بني أمية فيجزلون عطاءه، مدح عبد الملك بن مروان وولده من بعده، وله في الوليد بن يزيد مدائح كثيرة توفي في أيامه سنة ١٢٥، «المؤتلف والمختلف للآمدي ص ٢٩٤، الأغاني ٦/١٤٦».

(٣) البيتان للنجاشي وهو قيس بن عمرو الحارثي وكان فاسقًا رقيق الإسلام «الشعر والشعراء ١/٣٢٩ وحماسة البحتري ص ٣٧٠» وفي «س»: «وقال»، وفيها «على رجل حتى أتى».

(٤) ديوانه: ٤/١٨١ وفيه: «لأمدح ريحانة...».

(٥) ديوان الأعشى الكبير ص ٧٥ وفي الأصل: «جئتك» والتصحيح من «س».

فجِئْتُـــكَ مُرْتَـــادَ مـــا خَبَّـــروا ❖ ولـــولا الـــذي خَبَّـــروا لـــم تَـــرَنْ

وقال آخر[1]:

أبْـــلُ مـــن شِـــئْتَ تَقْلَـــهْ ❖ عـــن قَلِيـــلٍ لِفِعْلِـــهْ



(١) في الأصل: «لفعله» بتحريك الهاء، والبيت لأبي العتاهية، وانظر فصل المقال في شرح كتاب الأمثال لأبي عبيد البكري ٣١٠، وبهجة المجالس وأنس المجالس للقرطبي ٣٠٣/١، ولم أجد البيت في ديوانه.

ومن نوادرِ باب الجود[1]

قول أبي تمّام [في مُحَمّد بن الهَيثمِ][2]:

لـدى ملـكٍ مـن أيْكَـةِ الجُـودِ لـم يَـزَلْ ❊ علـى كَبِـدِ المَعْـروفِ مـن فِعْلِـهِ بَـرْدُ
ودانـي الجَـدا تـأتِي عطَايـاهُ مـن عَـلٍ ❊ ومَنْصِبُـهُ وَعْـرٌ مطَالِعُـهُ جُـرْدُ[3]
فقـد نـزلَ المُرتَـادُ منـه بِمَاجِـدِ ❊ مَواهِبُـهُ غَـوْرٌ وَسُـؤْدَدُهُ نَجْـدُ[4]
بـه أسـلمَ المعـروفُ بالشَّـامِ بعـدَما ❊ ثـوى منـذُ أودى خِالـدٌ وهـو مُرْتَـدُّ[5]

فقال[6]: «دانَي الجَدا[7]» ثمّ قالَ «تأتِي عطَايَاه من عَلٍ» و«الجدَا»: هو العطَاءُ الذي يُعطِيه، وهذا من عَويصَاتِهِ التي يَتَجَنَّبُ مِثلَها الحُذَّاقُ، وهو مَشغْوفٌ بها وكأنَّه يريدُ: أنَّ عطاياهُ دانِيَةٌ من يدِ المُتَناوِل، وأنَّها تأتي من عَلٍ لِعُلوِ قَدْرِهِ، [8] أو أراد أنّها تأتي كما يأتي السّيلُ من ارتفاع إلىٰ هبوطٍ، فيكونُ أغزرَ لها وأسرعَ، وكأنَّ المعنىٰ الأوّلَ أقوىٰ، لأنَّه قد كرّره[9] وأكَّدهُ [٨٤] بقولِهِ:

(١) «س»: «ومن نوادر الجود».
(٢) زيادة من «س»، والأبيات في ديوانه: ١/١٧٤، والتبريزي ٢/٨٧.
(٣) «س»: «الخبا».
(٤) في الأصل: «ترك» تصحيف، والتصحيح من ديوانه و«س».
(٥) هذا البيت والبيت الأول سبقا في ١/٤٧٣.
(٦) «س»: «قال».
(٧) في الأصل: «يأتي الجدا» وفي «س»: «دانىٰ الجنا».
(٨) «س»: «وأراد».
(٩) في الأصل: «قرره» والتصحيح من «س».

«مَواهِبُــــهُ غَــــوْرٌ وسُــــؤْدَدُهُ نَجْــدُ»

وبقوله[١]:

ومَنْصِـــبُهُ وَعْـــرٌ مَطالِعُـــهُ جُـــرْدُ

أي: جَداهُ دانٍ قَريبٌ مِمَّنْ يُرِيدُهُ، ومَنْصِبُهُ بَعيدُ المَرامِ ممّن يريد التعلّقَ به أو المساواةَ له، فمطالعه[٢] جُرْدٌ: جمع أجردَ، أي مُلْسٌ لا يتعلقُ بها شيء[٣]، كما يُقال: «تقَدَّم إليه المُتَناولُ[٤]» والمعنيانِ لا يتشاكلان كلَّ التشاكُلِ؛ لأنَّ العطايا ليست من المَنْصب في شَيء، وإنما كان يَنْبَغي أن يقولَ: ودانِي الجدَا تأتي عطاياه من يدٍ هي [مع][٥] الثُّريا، أو من راحةٍ هي فوقَ النجمِ، حتّىٰ تكونَ عطاياهُ دانيةٌ مع علوّ يده، لأنّ العطايا منها تأتي، وعنها تَصْدُرُ، فُيشْبِهُ شيءٌ شيئًا، وتَصِحُّ المقابَلةُ، أو أنْ يجعَلَ الممدوحَ دانِيًا ممّنْ يريدُه، دَمِثًا متواضِعًا سهلًا، ويجعلَ مَنْصِبَه رَفيعًا وَعْرًا صَعبًا[٦]، حتّىٰ يكونَ المعنىٰ أنّه رفيعُ القَدْرِ علىٰ تَواضُعِهِ، كما قالَ البحتريُّ[٧]:

دنــوتَ تَواضُــعًا وعلــوتَ قَــدْرًا ❊ فشــأناكَ انْخفــاضٌ وارْتِفَــاعُ
كَــذَاكَ الشَّــمْسُ تَبْعُــدُ أن تُســامى ❊ ويــدنُو الضَّــوءُ مِنْهــا والشُّــعَاعُ

---

(١) الأصل: «ويقول».

(٢) ساقطة من «س».

(٣) الأصل: «فمطالعه جرد فليس يتعلق بها شيء».

(٤) كذا في الأصل: وتبدو العبارة هنا ناقصة، وقد سقطت هذه العبارة من «س» فلم أتمكن من تصحيحها ولعل صواب العبارة: «كما يقال: تفوت يد المتناول».

(٥) زيادة من «س».

(٦) ساقطة من «س».

(٧) ديوانه: ١٢٤٧/٢، وفيه «وبعدت قدرًا»، وفيه وفي «س» «انحدار وارتفاع».

فأمّا أنْ تُجْعلَ عطَاياهُ دَانِيةً مع عُلوِ قَدْرِهِ ورَفيعِ مَنْصِبِه ، فكذا[1] يَجِبُ أن تكونَ ، وليس هذا بِبَديعٍ ، ولا بِمعْنًىٰ مفيد ، لأنّه ليس بطباق ، ثمّ[2] أنا ما علمنا[3] أنّ للمعروفِ كَبِدًا ، وأنّه كان مرتدّاً فأسلم ، إلّا من هذه الأبيات ، فأما قوله[4]:

«... ... ... وإنْ قَسَتْ ❁ كَبِـدُ الزَّمـانِ عَلـيَّ كُنْـتَ رَؤُوفَـا»

فإن استعارةَ الكَبِدِ ها هُنا ليست بقبيحةٍ كَقُبْح استعارةِ الكَبِدِ للمَعروف ، لأنّ المعروفَ لا يُوصَفُ بالقَسْوةِ ولا بالشِّدَّةِ كما وُصِفَ الزَّمانُ ، فَلمَّا وَصَفَ الزَّمانَ بالشدّةِ والصُّعوبَةِ ، لم يُنْكَرْ أن يَجْعَلَ له علىٰ الاستعارةِ كَبِداً قَاسيةً ، فعلىٰ هذه السّبيل وما أشبهها[5] تحسن الاستعارة وتَقْبُحُ ، وقوله: «منذ أودىٰ خالد وهو[6] مُرْتَدٌّ» يريدُ خَالدَ بن يزيدَ بن مزيدٍ[7].

وقال في خالِدِ بن يزيدَ أيضًا[8]:

ظِـلُّ عُفَـاةٍ يُحِـبُّ زَائِـرَهُ ❁ حُـبَّ الكبيـرِ الصَّـغيرَ مـن وَلَـدِهْ[9]

---

(١) «س»: «فكذلك».

(٢) ساقطة من «س».

(٣) «س»: «ما رأينا».

(٤) «فأما» ساقطة من الأصل وهي في «س»، والبيت في ديوانه: ٢/٧٧ والتبريزي ٢/٣٨٣ وفيه:
إن غـاض مـاء المـزن فُضْـتَ وإن قَسَـتْ ❁ ... ...»

(٥) «وما أشبهها» ساقطة من «س».

(٦) «وهو مرتد» ساقطة من «س».

(٧) قال أبو العلاء: يعني خالد بن يحيىٰ البرمكي، لأنه كان فارسيًا، فتقرّب إلىٰ الممدوح بذكره، لأن الممدوح أيضا من فارس، وهذا أشبه من أن يعني خالد بن بزيد، وأبو خالد بن عبد الله القسري، أو خالد بن يزيد بن معاوية «النظام ج ١ لوحة ٣٦٧، والتبريزي ٢/٩١».

(٨) ساقطة من «س».

(٩) ديوانه: ١ ١٣ والتبريزي ١/٤٣١ «الأبيات ١٦، ١٧ ٥٥، ٥٧» قال ابن المستوفي: قال الخارزنجي:=

إذا أنَـــــاخُو بِبَابِـــــهِ أخَـــــذَوا ❊ حُكْمَــيْهِمُ مِـــن لِسَـــانِهِ ويَـــدِهْ[1]
آثرَنَــــــي إذْ جَعلْتُـــــهُ لجَـــــأً ❊ كُـــلُّ امْـرِئٍ لَاجِـئٌ إلـى سَـنَدِهْ[2]
إِيثَارَ شَـزْرِ القُـوى يـرى جَسَـدَ الـ ❊ ـمعروفِ أولى بالطبِّ من جَسَدِهْ[3]

فقد أَفَدْنا من الأبياتِ الأولِ أنّ المعروف كَبِدًا، وأنه كَان مُرتدًّا فأسلمَ، وأفدنا من هذه الأبيات أنّ جَسدَه ممّا يَجِبُ أن يُتَطَّبَ له، وأنّ الممدوحَ يرىٰ أنّه

= يقول هو ظِلُّ عفاةٍ، يريحهم من تعبِ القلب ومن حرارةِ الشمس، ويُحب من يزوره لطلب معروفه كحب الوالد الكبير الصغيرَ من ولده. وفي الكتاب العجمي: «ظل نداه» أو «حياه»، لأن تنكير «عفاة» غير مستحب. قال المبارك بن أحمد «ابن المستوفي»: الرواية «عفاة» ولم أجد ما ذكره في نسخة ما، ولا بأس من تنكير «عفاة» وإن كان التعريف أجود «النظام جـ ١ لوحة ٣١٠».

(١) «س»: «حكمهم» وهي رواية النظام وقال: قال الخارزنجي: إذا أناخ العُفاة ببابه وجدوا ما يحبون من إنعامه باللسان وإعطائه باليد. وهذان الحكمان اللذان يريدونهما. قال المبارك بن أحمد: الصحيح أنه مثل قوله:

نرمـــي بأشـــباحنا إلـــى ملـــك ❊ نأخـــذ مـــن مالِـــهِ ومـــن أدبِـــه

«ديوانه: ١/٣٢٠».

وفي النسخة العجمية ويروى «حُكْمَيْهِم» أي. بالبسط والإيناس والبرِّ والصِّلة. «جـ١ لوحة ٣١٠».

(٢) في الأصل: «راجع» وكتب الناسخ فوقها «لاجئ» وهذه هي رواية ديوانه والتبريزي والنظام، وفي ديوانه: «إذ جعلته سندًا» وقال الخارزنجي: أي اختارني، يقول آثرني وأكرمني إذ انقطعت إليه وتمسكنا بحبله وجعلته سندي ومعقلي «النظام جـ ١ لوحة ٣١٤».

(٣) في ديوانه والنظام «رأىٰ» وقال الصولي: شَزْر القوي، يريد: شديد الفَتْلِ، والشَّزْر: شدة الفتل. «رأىٰ جسد المعروفِ» يقول: رأىٰ إصلاح ابن أبي دؤاد له أولىٰ من إصلاح جسده، أراد بهذا إيثاره الكرم والمدح: قال المبارك بن أحمد: نصب، «إيثار» علىٰ المصدر، وعمل فيه آثرني، ومن رفع فعلي خبر مبتدأ محذوف، والأول أقوىٰ، وفي نسخة يقول: هذا الرجل يداوي المعروف ليزيل مرضه وهو علىٰ شفائه أحرص «من» شفاء جسده إذا اعتل «النظام جـ ١ لوحة ٣١٤، وقد سبق البيت في ١/٤٧٤».

أولىٰ بالطبِ من جَسدِ نَفْسِهِ[1].

وقال[2]:

وقُـدِدْتَ مـن شِـيَمٍ كـأنَّ سُـيورَها ❁ يُقْـدَدْنَ مـن شِـيَمِ السَّـحاب المُـرْزِمِ
شُـهِرَتْ فمـا تَنْفَـكُّ تُوقِـعُ باسْـمِها ❁ مـن قَبْـل مَعنَاهـا بِعُـدْمِ المُعْـدِمِ

وهذا من فلسفته التي يُخْرِجُ العبارةَ عنها خُروجًا صحيحًا، يريد أنَّ المُعْدِمَ إذا أمَّلَكَ وفكَّر في كريم أخلاقِكَ، ذهب عنه البُؤسُ والفقرُ قبل عطَائِكَ لِثقَتِهِ بالغِنىٰ من جِهَتِكَ.

وقال[3]:

لا شمْسُـهُ حَـرَّةٌ تُشْـوىٰ الوجـوهُ بهـا ❁ يومًـا ولا ظِلُّـهُ عنْهـا بِمُنْتَقِـلِ
تحـولُ أموالُـهُ عـن عَهْـدِها أبـدًا ❁ ولـم يَـزُلْ قَـطُّ عـن عَهْـدٍ ولَـمْ يَحُـلِ

وهذا معنًىٰ ليس بالجيّدِ، وظاهِرُهُ أنّ أموالَه أبدًا تَنْتَقِلُ عن يَدِهِ وأنّ كَونَها

---

(١) «س»: أولىٰ من جسد نفسه بالطب، وفي حاشية نسخة الموازنة «برلين»: «قد جعل امرؤ القيس للّيل أعجازًا وأردافا وصلبا وكلكلا، وما رأينا من ذمّه» وقال صاحب الحاشية تعليقًا علىٰ قول الآمدي «وقد عاب امرأ القيس بهذا البيت. الخ» الموازنة ١/٤٧٧: «ما عاب من عاب امرأ القيس من حيث الاستعارة، وإنما لكونه وصف الليل بالطول، وذكر الأرداف والصدر ليس فيه دليل علىٰ الطول عند هذا المعيب، وأما الاستعارة فما عابه أحد عليها، ولزم المؤلف أن يعيبه كما عاب أبا تمام» الموازنة ـ برلين ٢٦٠ لوحة ٧٥.

(٢) ديوانه: ١/٤٣٠ والتبريزي ٣/٢٥٥، وفيهما: «القُدِدْت».

(٣) ديوانه: ٢/٢٣٥ والتبريزي ٣/٩٤، وفي ديوانه والتبريزي: «لا شمسه جمرة» وديوانه والتبريزي: «ولا ظلّه عنّا»، وفي النظام «تشوي الوجوه» علة ما سمي فاعله وقال: «رواية الخارزنجي «يشوي الوجوه بها» وقال يقول: لا يأتيك أذاه فيبلغ إليك إذ كنت وليّه، ولا ينطوي عنك نفعه وخيره. وروىٰ غيره «تشوي الوجوه» علىٰ ما لم يسمّ فاعله «... وعنّا بمنتقل». «النظام ج ٢ لوحة ٢٦٤».

في يده عَهْدٌ بينَها وبينه، وليس بممدوحٍ[1] من جُعِلَ هو ومالُه متعاهِدَيْن، وكأنَّه أراد أنّ أموالَه تحولُ عن عَهْدِ العَاهِدِ[2] لها من اجتماعها عنده، ووفورِها[3] لديه، لأنّه يُفَرِّقُها، ولم يَخْلُ هو قَطٌّ عن عَهْدٍ عليه من كَرَمٍ ولا غَيرِهِ.

والجيّدُ الحَسن الذي لا يتطرَّقُ عليه التأوّلُ في هذا المعنىٰ قولُ البحتريِّ[4]:

إمَّـــا تَنَقَّلـــتِ العُهـــودُ فإنَّـــهَ ❊ ثَبْـتٌ علـى عَهْـدِ النَّـدى وذِمَامِـهِ

معاهدةُ النَّدىٰ إنما هي[5] في بَذْلِ المَالِ.

ومثلهُ في الجَوْدَةِ قولُ دِعْبِلٍ[6]:

والجـود يَعلـم أنـي مُنْـذُ عَاهـدَنِي ❊ ماخُنْتُـهُ وَقْـتَ مَيْسُـورِي ومَعسُـورِي

وقال البحتريُّ في مُعاقَدةِ الجَوادِ والجُودِ[7]:

---

(١) ساقطة من «س».

(٢) «س»: «لا».

(٣) الأصل: «ووقوعها».

(٤) ديوانه: ١٩٨٥/٣.

(٥) «س»: «هو».

(٦) «س»: «في الجود» محاضرات الأدباء ٥٧٨/٢، ولم يرد البيت في ديوانه، وفي «س»: «معسرتي».

(٧) «س»: معاقدة الجواد الجود، ديوانه: ٦٦٤/٢ يمدح عبدون بن مخلد و«القناني»: نسبة إلىٰ قنان ابن سعد بن مالك بن سعد بن زيد بن ماة بن تميم «جمهرة الأنساب ص ٢١٥».
وقال أبو العلا المعري في عبث الوليد: «وقوله: «وأخيًا لِدة» غير مستعمل، وإن كان هو الأصل المعتمد لأنهم يقولون: فلان لِدَةُ فلان وفلانة لِدة فلانة، يستعملونه في المذكر والمؤنث يريدون أنهما في سنٍّ واحدة» ثم يقول «ولدة في الحقيقة إنما هو مصدر ولد لِدَةً، مثل وعد عدة ووجد جدة، إلا أنهم استعملوه في الأخبار، وقلما يقولون: عجبت من لدة فلانة فلانًا، أي: ولادتها، وذلك الأصل، إلا أنه ترك، وإن حمل بيت أبي عبادة علىٰ أنه مضاف إلىٰ اللفظ دون المعنىٰ،=

إنَّ «القَنَـــــانِيَّ» ، وإن النَّـــــدى ❁ تِرْبَـــا اصْـــطِحَابٍ ، وأخَيَّـــا لِـــدَهْ
تعاقَـــدا حِلْفَـــا علـــى وَفْـــرِ ذِي ❁ وَفْـــرٍ إذا جَمَّعَـــــهُ بَـــــدَّدَهْ
[٨٥] فالفعلُ فَوْتُ القَولِ إن فاضَ في ❁ عَارِفَـــةٍ والجـــودُ فَـــوتُ الجِـــدَهْ

وهذا معنىٰ حَسنٌ حلوٌ ، وقد تقدَّم النّاسُ فيهِ ، فقال مُوسىٰ شهواتٍ في سعيد بن خالد بن أسِيدٍ[(١)]:

عَقِيدُ النَّدى ما عاش يرضى به النَّدى ❁ فـإن مـاتَ لـم يَـرْضَ النَّـدى بعَقِيـدِ

فأخذتْ هذا المعنىٰ بِعَيْنِه أختُ الوليدِ بن طَرِيفٍ فَقَالتْ[(٢)]:

حليفُ النَدى ما عاش يَرْضى به النَّدى ❁ فـإن مـاتَ لـم يَـرْضَ النَّـدى بِحَليـفِ

= فذلك سائغ ، وقد ذهبت إليه طائفة من أهل العلم» . «عبث الوليد ص ٩٢ ، ٩٣» .

(١) موسىٰ شهوات: موسىٰ بن يسار المدني أبو محمد شاعر من الموالي ، نشأ وعاش في المدينة ونزل بالشام في أيام سليمان بن عبد الملك ، وقد هوي أمة من إماء المدينة ، فأتىٰ سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان ابن عفان فشكا إليه حبها ، وسأله شراءها له ، فاعتلَّ عليه ، فأتىٰ سعيد بن خالد بن أَسِيد فأخبره بقصته ، فأمر له بثمنها وزاده مائة دينار لجهازها وكسوتها فقال فيه:

سـعيد النـدى أعنـي سـعيد بـن خالـد ❁ أخـا العـرف ولا أعنـي ابـن بنـت سـعيد
ولكننـــي أعنـــي ابـــن عائشـــة الـــذي ❁ كـــلا أبويـــه خالـــد بـــن أســـيد

عقيـــد النـــدىٰ «البيت»

فسمي عقيد الندىٰ «الأغاني الدار ٣٥١/٣ ، ٣٦٥ والشعر والشعراء ٥٧٧/٢» وسعيد بن خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس ، وكان سيداً ممدحًا ، وهو المعروف بعقيد الندىٰ «جمهرة الأنساب ص ١١٤» ، وفي «س» «لم يرض بحليف» .

(٢) قيل هي الفارعة ، وقيل فاطمة ، وقيل ليلىٰ ، رثت أخاها بقصيدة أجادت فيها ، وكانت تسلك في شعرها سبيل الخنساء في مراثيها لأخيها صخر ، وأخوها الوليد بن طريف الشاري ، انظر أخباره وأبيات أخته في تاريخ الطبري ٢٥٦/٨ ـ ٢٦١ ومن قوله: «فأخذت . . . إلىٰ آخر البيت» ساقطة من «س» .

وأظَنُّ الأعشىٰ أوّل سَابِقٍ إلىٰ هذا المعنىٰ بقوله(١):

تُشَبُّ لِمَقْرُورَيْنِ يَصْطَلِيانِها ❊ وباتَ على النَّارِ النَّدى والمُحلَّقُ
رَضِيعَيْ لِبَانٍ ثَدْيَ أمّ تَقاسَما ❊ بأَسْحَمَ دَاجٍ عَوْضَ لا نَتَفَرَّقُ(٢)

قيل في «أسْحَم دَاجٍ» أنّه أرادَ: تقاسما في ظُلْمَةِ الرَّحِمِ، أي: تحالفَا هناك وتعاقَدا، لأنّهما أخَوان، وقيلَ «أسحمُ دَاجٍ» الرَّمادُ، لأنّ العربَ كانت تَحلِفُ بهِ وبالنَّارِ.

وقال حبيبُ بن شَوذَبِ المدنيُّ في السَّريِّ بن عبد اللهِ الهَاشِمِيّ(٣):

فكَّ السَّرِيُّ عن النَّدى أغلالَهُ ❊ فجرَى وكان مُكَبّلاً مَغْلُولا(٤)
وتَعاقَدا العَقْدَ الوَثِيقَ وأشْهَدا ❊ من كِلِ قَوْمٍ مُسْلِمينَ عُدُولا
فوفى النَدى لكَ بالذي عَاقَدْتَهُ ❊ ووفى السَّرِيُّ فما يُرِيدُ بديلا

---

(١) ديوانه ص ٢٧٥ يمدح المحلّق الكلابيّ، وهو عبد العزيز بن حيثم بن شداد، وسمي محلقًا لأن حصانًا له عضَّه في وجنته، فترك في جهة أثرًا كالحلقة، «وانظر الأغاني ٨/٧٧».

(٢) ديوانه: «تحالفا» وفيه: «عَوْضُ»، ومعناه: أبد الدهر، وقال في اللسان «يبني الحركات الثلاث، والنصب أكثر وأفشىٰ» وروىٰ بيت الأعشىٰ السابق بالنصب، و«أسحم داج»: الليل، وقيل حلمة الثدي، اللسان: «سحم».

(٣) حبيب بن شوذب الأسدي المدني أبو الرُّميح «وفي الفهرست: جندب بن شوذب» شاعر راوية له أبيات جياد، مُقِلٌّ، وكان من موالي بني أسد في المدينة، أدرك الفرزدق وجرير، وكان يتعصب للفرزدق، مدح الحكم بن المطلب بن عبد الله بن حنطب المخزومي ـ وكان من الأجواد المتجاوزين الحد في السخاء ـ «الورقة لابن الجراح ص ٧٨ والفهرست للنديم ص ١٨٧». والسَّريُّ بن عبد الله بن الحارث بن العباس بن عبد المطلب، تولىٰ خراسان خليفة للمهدي من قبل المنصور سنة ١٤١ وفي سنة ١٤٣ تولىٰ مكة والطائف بعد عزل الهيثم بن معاوية وعزل عنها سنة ١٤٦ «جمهرة أنساب العرب ص ١٨، والطبري ٧ ص ٥١١، ٥٥١، ٦٥٦».

(٤) الأبيات في الورقة لابن الجراح، وفيه «ووفىٰ الندىٰ».

فهذا لم يَرْضَ بالحلف والعَقْدِ حتىٰ أوْقَعَ بينهما شهادةَ قومٍ مُسْلمِينَ عُدولٍ، فَوَيْحَهُ[1]، ألا قال: «وأشهدا مَلِكَ السماءِ وأشهدا جِبْريلا»؟!، لأن الإنسانَ [قد][2] يقولُ فيما يَعْقِدُه علىٰ نفسه: أشْهِدُ الله وملائِكَتَه علىٰ كذا، وهذا النّحو إنما يُخْرِجُهُ الشعراء مَخْرجَ النَادِرَةِ، وهو غيرُ حَسَنٍ ولا جميلٍ.

وقد قالَ حبيبُ بن شَوْذَبٍ هذا ــ وهو حَسنٌ[3]، وإن كان قَد غَلا في الاستعارةِ[4]:

أنْتَ أنْفُ الجُودِ إن فارَقْتَهُ ❊ عطَسَ الجُودُ بأنْفٍ مُصْطَلَمْ

ومثل قولِهِ:

فكَّ السَّريُّ عن النَّدى أغلالَه ❊ فجرى وكانَ مُكبَّلًا مَغْلُولا

قولُ بَكرِ بنِ النَّطاحِ الحَنَفِيِّ:

أبا دُلَفٍ إنّ السّماحةَ لم تَزَلْ ❊ مُغلَّلَةً تَشكو إلى اللهِ غُلَّها[5]

فبشَّرَها رَبي بِميلادِ قَاسِمٍ ❊ وأرْسَلَ جِبْريلًا إليْها فحَلَّها

وهذا ليسَ بغُلوٍ ولا استعارةٍ قَبيحَةٍ.

---

(١) الأصل: فوَبَّخَهُ والتصحيح من «س».

(٢) ساقطة من الأصل والتصحيح من «س».

(٣) «س»: ما هو أحسن اللفظ، وفي الأصل: «وقال حبيب».

(٤) الورقة ص ٧٩.

(٥) أبو دلف: القاسم بن عيسىٰ بن إدريس بن معقل العجلي، كان كريما سريا جوادا ممدحًا شجاعا مقدما «وفيات الأعيان ٤/٧٤، تاريخ بغداد ١٢/٤١٦». ولم أقف علىٰ البيتين.

وممّا أخْرِجَ مخرجَ النّادرةِ قولُ ابنِ المَوْلىٰ[1]:

رِشْـــتَ النَّــدى ولَقَــدْ تَكسَّــرَ ريشُــهُ ❁ فَعــلَا النَّــدى فــوقَ الـبِلادِ فطَــارا

ونَحْوُ هذا[2] ما أنْشَدَه الأخْفَشُ لبِعْضِهم ، وهو من بَابِ الهِجاءِ[3]:

لأضــربَنَّ رَجــائِي ألْــفَ مِقْرَعَــةٍ ❁ غَــدًا وأصْــلُبُ آمــالِي علــى خَشَــبَهْ

إذْ مَنّيــانِيَ قَوْمًــا لا حــراكَ بِهِــمْ ❁ وإن سَـمِعْتُ لَهـم فـي دُورِهِـم جَلَبَـهْ

وهذه نوادِرُ من الشُّعراءِ مُضْحِكَاتٌ .



(١) ابن المولىٰ: هو محمد بن عبد الله بن سالم بن المولىٰ، مولىٰ الأنصار شاعر متقدم مجيد من مخضرمي الدولتين ومدّاحي أهلهما «الحماسة للمرزوقي ٤/١٧٦١، ومعجم الشعراء للمرزباني ٣٤٢».

(٢) «س»: ونحوه.

(٣) لم أقف علىٰ البيتين.

ومن نوادر باب الجود



ويصلُحُ أن يكونَ في بابِ «تَعجْرُفِ الجَوادِ على مَالِه»، قولُ البحتريّ[1]:

غَريبُ السَّجايا ما تَزالُ عقولُنا ❊ مُدلَّهةً في خَلَّةٍ من خِلالِهِ
إذا مَعْشَرٌ صَانُوا السَّماحَ تَعسَّفَتْ ❊ بهِ هِمَّةٌ مَجْنُونَةٌ في ابْتِذَالِهِ[2]

قوله: «إذا مَعْشَرٌ صانوا السَّماحَ» معنًى رديءٌ، لأنّ البخيلَ ليسَ من أهلِ السَّماحِ، فيكونَ له سماحٌ يصونُه، وسواءٌ عليه قال: صَانُوا السَّخَاءَ، أو[3] صانوا الجُودَ أو صانُوا الكَرَمَ[4]، فإنَّ هذا كُلَّه لا يَمْلِكُ البُخَلاءُ منه شيئًا، وهو منهم بعيدٌ، فكيف يصونونَهُ؟، فإن قيلَ: إنما أقامَ السَّماحَ مقام الشيء الذي يُسْمَحُ به، وفي مجازات العرب ما هو أبعُد من هذا، قيل[5]: البحتريُّ لا يُسوَّغُ [له][6] مثلُ ذلك، ولا يُجَوّزُ له، لأنه مُتَأخِرٌ، لا سيما[7] وليستْ ها هنا ضرورة؛ لأنه قد كان يُمْكِنهُ أن يقول: «صانُوا الثَّراء» مكان «السَّماحِ[8]»، [وينبغي أن يُلحَق

---

(١) ديوانه: ٣/١٦٢٠ وفيه «صانعوا التلاد» وقد سبق البيتان والتعليق في ٢/٨١.

(٢) «س»: «الرماح».

(٣) الأصل: «أم».

(٤) الأصل: «الحزم».

(٥) في الأصل: «مثل» والتصحيح من «س».

(٦) زيادة من «س».

(٧) «س»: «ولاسيما».

(٨) علق محقق ديوان البحتري على كلام الآمدي السابق «والذي ورد في الجزء الثاني ص٨١» قال: «ونقول إن الرواية التي أثبتناها» التلاد «تنفي هذا العيب» «ديوان البحتري ٣/١٦٢٠=

هذا بِمَساوِئِه[1]] .

ومن هذا الباب قول البحتريّ أيضًا[2]:

يـا ابـنَ عبـدِ المليـكِ مَلَّكـكَ الحمـ ❊ ـدَ وُقـوفٌ بـين النَّـدى والجُـودِ
[٨٦] مـا فَقَـدنا الإعـدامَ حتـى مَـددْنَا ❊ سـببًا نحـو سَـيْبِك المَوْجُـودِ[3]
سُـؤْدَدٌ يُصـطَفى، ونَيْـلٌ يُرجَّـى ❊ وثنـاءٌ يُحْيـا، ومـالٌ يُـودِي

ويصلح أن يكون في باب الرّجاءِ والأمَلِ.

قولُهُ: «ملَّكك الحَمدَ وقُوفٌ» إن كانَ أرادَ: وقوفَ قَومٍ بين النَّدىٰ والجُودِ، أي: ليس لهم فيهمَا[4] حظٌ، فقد أقامَ النَّعتَ مقام المَنْعُوتِ، والمعنىٰ رديءٌ،

= هامش ٢٠».

وأقول: لقد كان من نتائج الخصومة العنيفة بين البحتري وأبي تمّام أن حرص أنصار كل من الشاعرين علىٰ تغيير روايات البيت المعيب للتخلص من مواطن الثلب، وذهب بعضهم إلىٰ ادعاء الشعر الرديء ونسبه إلىٰ شاعر الخصوم، ولو سمع الآمدي تلك الرواية لما تردد في الإشارة إليها، كما أن هذه الرواية خالفتها نسخ الديوان التي ذكرها المحقق «أو أخواتها: هـ، ح، ل» وانظر عن محاولة أنصار كل من البحتريّ وأبي تمّام في هذا الميدان المذموم «الموشح ص ٥٠٥ والعمدة ٢٤٩/٢ والجزء الأول من هذا الكتاب ص٤٦، والتبريزي ٣٠٥/١ هـ ٣، و٧٩٤ وأخبار أبي تمام ص ٥٦» وقال ابن العميد بعد أن غير كلمة في بيت من أبي تمام «وكذا يلزم لمثل أبيات أبي تمّام إذا أمكن إصلاح بيت وتهذيب قصيدة»، «النظام لابن المستوفي ١٢١/١».

(١) زيادة من «س».
(٢) «أيضا» زيادة من «س» وفيها: يا ابن عبد الحميد وهو تحريف، فالقصيدة في مدح محمد بن عبد الملك الزيات، «انظر الديوان ص ٦٣٦ هـ ٢٨».
(٣) كتب الناسخ في الأصل فوق نهاية البيت «الممدود»، وهي رواية الديوان.
(٤) «س»: فيها.

جعل الممدوحَ لم يملِكِ الحمدَ إلّا لَمّا[1] بَخِلَ هؤلاء، فلم يكنْ لهم في الجود حظٌّ، فكأنَّهم [هم][2] الذين ملَّكوهُ الحَمدَ، أي: إنَّما حُمِدَ لمّا أضيفَتْ أفْعالُهُ إلىٰ أفعال البُخلاء، وهذا إلىٰ الذم أقرب[3] منه إلىٰ المدح.

وكأنهُ[4] أرادَ «ملَّكَكَ الحَمْدَ وقوفٌ»، أي: وقوفُكَ بين النَّدىٰ والجُودِ، أي: إنّك لا تَقِفُ إلّا بَيْنَهما، كأنّه مقيم بينهما لا يُفارِقُهما، كما يقال: أنا مقيم بين أمرك ونَهْيِك، وواقفٌ عند طَاعَتِك.

وقولُهُ: «بين النَّدىٰ والجُودِ» [ليس بالجيّد][5]، لأن النَّدىٰ هو الجودُ والجودُ هو النَّدىٰ، يُقالُ: فلانٌ يَتَندَّىٰ علىٰ إخوانه ويَتَجوَّدُ[6] عَلَيهِم، ويقال: هو ذو ندًىٰ، كما يقال: هو ذو جُودٍ.

و«بين» ها هنا ليست قويّةَ المعنىٰ، لأنّها ليست كالواو التي تَنْسِق بالكلمةِ علىٰ الكلمة الأخرىٰ التي هي في معناها، مثلُ النَّأي والبُعْدِ[7]، والسِّرِّ والنَّجْوىٰ، بل يُوجِبُ أن تكونَ إحدىٰ الكلمتين غيرُ الأخرىٰ[8]، وكأنَّ البحتريَّ ذهبَ إلىٰ أنّ النّدىٰ سَجِيَّتُهُ في الكَرَمِ والبَذْلِ، وأنّ الجودَ العطاءُ، وهو مُحْتَمِلٌ [وينبغي أن

---

(١) «س»: إلا كما.

(٢) زيادة من «س».

(٣) «س»: «وهذا أقرب إلىٰ الذم منه إلىٰ المديح».

(٤) الأصل: «وإن كان أراد».

(٥) زيادة من «س».

(٦) «س»: «يجود».

(٧) «س»: «كالنأي والبعيد».

(٨) «س»: «الأولىٰ».

يُلحق هذا أيضًا بمساوئه][1].

ومن نوادِرِ بابِ الجُودِ قولُ أبي تمّام[2]:

نِعْمَ الفتى عُمَرٌ في كِلّ نَائبةٍ ❁ نَابَتْ وقلَّ لهُ «نِعْمَ الفَتى عُمَرُ»
يُعْطِي ويَحْمَدُ من يأتِيه يَحْمَدُهُ ❁ فَشُكْرُهُ عِوَضٌ ومالُهُ هَدَرُ

وهذا نهاية في حسنه وصحته، ولستَ أعرف للبحتري مثل هذا المعنى[3]، ولكنّه قال[4]:

فهْوَ يُعْطِي جَزْلًا ويُثْنى عَلَيْهِ ❁ ثمَ يعْطِي على الثَّناءِ جَزَاءَ

[٨٧] وهذا مذهبٌ آخرَ، وذلك ألطفُ وأجودُ في معناه.

ومن نوادر بابِ الجُودِ أيضًا قولُ أبي تمّام في أبي الغريب يحيىٰ بن عبد الله القُميّ[5]:

عَرفْنَا الجودَ فيك ومَا عَرضْنَا ❁ لسَجْلٍ من نَداكَ ولا ذَنُوبِ
ولكن دَارَةُ القَمَرِ استَتَمَّتْ ❁ فدَلَّتْنَا على مَطَرٍ قَرِيبِ

وقال البحتريّ[6]:

---

(١) زيادة من «س».

(٢) ديوانه: ٥٣٣/١، والتبريزي ١٨٨/٢، وفيه «وقلت له».

(٣) زيادة من «س».

(٤) ديوانه: ١٥/١، وفي الأصل: «جزيلاً».

(٥) لم أجد البيتين في ديوانه ولا في شرح التبريزي وهما في الطراز للعلوي ١٩١/١، والسَّجْلُ: الدَّلو الضخمة المملوءة ماء، ذنوب: الدَّلْوَ التي يكون فيها الماء دون مَلْئِها.

(٦) ديوانه: ٧٤٩/٢.

مُعَـــوَّلُ أمـــالٍ تُرجَّـــى نَسـيئَةً ❊ ويُصْـبِحُ مُنْسُـوهَا مَليِّـينَ بالنَّقْـدِ[1]

وقـد دَفَعُـوا بُخْـلَ الزَّمـانِ بجُـودِهِ ❊ ولا طِـبَّ حتـى يُـدْفَعَ الضِّـدُّ بالضِّـدِّ

ومن نوادِر بَابِ الجُودِ قولُ أبي تمّام[2]:

مـن شَـرَّدَ الإعـدامَ عـن أوْطانِـهِ ❊ بالبَـذْلِ حتـى اسْـتُطْرِفَ الإعـدَامُ

أخذَ «تشريدَ الإعدامِ» ـ والله أعْلَمُ ـ من قولِ الأعشىٰ[3]:

هُـمْ يَطـردونَ الفَقْـرَ عـن جَـارِهِم ❊ حتـى يُـرى كالغُصُـنِ النَّاضِـرِ

إلّا أنَّ أبا تمّامٍ شَرَّد الإعدامَ عن أوْطانِه، والأعشىٰ طَردَ الفَقْر عن جار القَوْمِ.

وما زالَ النَّاسُ يعيبون قولَه: «حتىٰ اسْتُطْرِفَ الإعدامُ[4]».

وقال أبو تمَّامٍ[5]:

غَـريمٌ لِلْمُلِـمِّ بـهِ وحَاشَـا ❊ نَـداهُ مِـنْ مُمَاطَلَـةِ الغَـريمِ

هذا حَذاهُ علىٰ قَولِ بَشَّارٍ[6]:

كـأنّ لهـم دَيْنًـا عليـه ومَـا لَهُـمْ ❊ سِـوَى جُـودِ كَفَّيْـهِ عَلَيْـهِ حُقُـوقُ

---

(١) ديوانه: «يَرْخَنَ» و«س» «ويصبح متهوما» تحريف.

(٢) «س»: ومن نوادر الباب، والبيت في ديوانه: ٢/٣٧٥ وشرح التبريزي ٣/١٥٣، وسبق في ١/٣١٣.

(٣) ديوان الأعشىٰ الكبير: ص ١٩٥، وفيه «والشافعون الجوع عن جارهم»، وسبق في ١/٣١٣.

(٤) نقل الآمدي في الجزء الأول ص٣١٣ ما خرَّجه ابن أبي طاهر من سرقات أبي تمّام وقال: وفي بيت أبي تمام زيادة حسنة، وهي قوله «حتىٰ استطرف الإعدام»!

(٥) ديوانه: ٢/٣٩٢ وشرح التبريزي ٣/١٦١.

(٦) في الأصل: «حذا» والتصحيح من «س»، ديوانه: ٤/١٤٠.

وقال البحتريُّ[1]:

ومَــا وَلِــيَ المكــارِمَ مثــلُ خِــرْقٍ ❁ أغــرَّ يــرى المَواعِــدَ كالــدُّيونِ

وقال أبو تمّام[2]:

وتَــرى تَسَــحُّبَنا عَلَيْــهِ كأنَّنَــا ❁ جِئْنَــاهُ نَطْلُــبُ عِنْــدَه مِيرَاثَــا

وهذا حَسَنٌ جِدًا.

وقال أبو تمّام[3]:

لَــيْسَ الغبــيُّ بســيِّدٍ فِــي قَوْمِــهِ ❁ لَكِــنَّ سَــيِّدَ قَوْمِــهِ المُتَغَــابِي

وقال البحتريّ[4]:

إلــى غُمُــرٍ فــي مَالِــهِ تَسْــتَخِفُّهُ ❁ صِــغَارُ الحُقُــوقِ وهْــو عَــوْدٌ مُجَــرِّبُ

وهذا من قولِ دِعْبلٍ[5]:

تَخــالُ أحيانًــا بــهِ غَفْلَــةً ❁ مــن كَــرَمِ الــنَّفْسِ ومــا أعْلَمَــهْ!

وقال أبو دُلامةَ في المنصور[6]:

---

(١) ديوانه: ٤/٢٢٦٩.

(٢) ديوانه: ١/٣٥٣ وشرح التبريزي ١/٣٢٠.

(٣) ديوانه: ١/٢٤١ والتبريزي ١/٨٧، وقد سبق في ١/٢٩٠.

(٤) ديوانه: ١/١٣٧.

(٥) سبق في ١/٢٩٠.

(٦) أبو دلامة زند بن الجون الأسدي بالولاء، شاعر مطبوع، ومن أهل الظرف الدعابة، أسود اللون، نشأ في الكوفة، أدرك آخر بني أمية، ونبغ في أيام بني العباس توفي سنة ١٦١، «ابن خلكان ٢/٣٥٠، والأغاني ٩/١١٥».

واخْـــدَعْ خليفتَنَـــا بِمَسْــــأَلَةٍ ✤ إنّ الخليفـــةَ للسّـــؤالِ مُنْخَـــدِعُ[١]

وقال آخر[٢]:

مُجـرِّبٌ لا تـرى الأعـداءَ تَخْدَعُـهُ ✤ ولـو يُخادِعُـهُ السُّـؤَّالُ لا نْخَـدَعا

وقال أبو تمّام[٣]:

ومـا إن زالَ فـي جَـرْمِ بـنِ عمـروٍ ✤ كَـريمٌ مـن بَنِـي عبـد الكـريمِ[٤]

يكـادُ نَـداهُ يَتْرُكُـه عَـدِيمًا ✤ إذا هَطَلَـتْ يَـداه علَـى عَـديمِ[٥]

تَـراهُ يَـذُبُّ عـن حَـرَمِ المَعـالِي ✤ فَتَحْسِـبُهُ يُـدافِعُ عـن حَـريمِ

أحَـقُ النَّـاسِ بـالكَرمِ امـرؤٌ لـم ✤ يَـزَلْ يـأوِي إلـى أصْـلٍ كَـريمِ

أحَلَّهُـمُ النَّـدى سِـطَةَ المَعـالِي ✤ إذا نَـزَل البَخيـلُ علـى التُّخُـومِ[٦]

---

(١) البيت من قصيدة يمدح بها المنصور وأولها:

إن الخلـيط أجَـدّوا البـينَ فـانْتَجَعوا ✤ وزودوك خبـالا بـئس مـا صَـنَعوا

«الأغاني الدار ٢٣٨/١٠ وفيه «عنها»... «ينخدع» ، ومعاهد التنصيص ٢١٣/٢ ، ونهاية الأرَبِ لِلنويري ٣٨/٤ وفيهما «عنا» وطبقات ابن المعتز ص ٥٥ وفيه:

إيـتِ الخليفـةَ فاخدعـه بمسـألَةٍ ✤ إن الخَليفَـةِ للتَّسْـآل يَنْخَـدِعُ

غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة لبرهان الدين الوطواط ص ٢٦٠ وفيه:

خـادِعْ خليفَتَنـا عَنْهـا بمسـألَةٍ ✤ إن الخَليفَـةِ للتَّسْـآل يَنْخَـدِعُ

(٢) لم أقف عليه بعد ، وفي «س»: «لو يساعدهُ».

(٣) ديوانه: ٣٩٢/٢ شرح التبريزي: ١٦٠/٣ مع اختلاف في ترتيب الأبيات.

(٤) «س»: «من جرم».

(٥) «س»: «تكاد يداه تتركه عديما».

(٦) سطة: مصدر وسط يسط سطة ، وجعلها هاهنا في معنىٰ الوسط.

إذا نــزل النَّزِيــعُ بهــم قَــرَوْهُ ❊ رِيــاضَ الــوُدِّ مــن أُنُــفٍ جَمِــيمِ[1]

فلَــو أبْصَــرْتَهُمْ والزَّائِــرِيهم ❊ لمــا مِــزْتَ البَعيــدَ مــن الحَمِــيمِ[2]

أخذَ هذا المعنى من قَولِ مُحمَّدِ بن بشيرٍ الخَارِجيِّ:

وإذا رَأيــتَ صَــديقَهُ وشَــقِيقَه ❊ لــم تَــدْر أيُّهُمــا ذَوو الأرْحــامِ

وقد ذكرتُه في سَرقاتِه المَجْموعَةِ[3].

ومن نوادرِ بَابِ الجود قَولُ أبي تمّام[4]:

شــافَهْتُ أسْــبابَ الغِنَــى بمُحَمّــدٍ ❊ حتــى ظَنَنْــتُ بأنَّهــا تَــتَكلَّمُ

قــد تُيِّمَــتْ منــه القَــوافِي بــامْرئٍ ❊ مــا زالَ بــالمَعْرُوفِ وهْــوَ مُتَــيَّمُ

يَحْلُــو وَيْعــذُبُ إنْ زمــانٌ نَالَــهُ ❊ بِغِنًــى وتَلْتَــاثُ الخُطــوبُ فَيكْــرُمُ

---

(١) ديوانه وشرح التبريزي: «رياض الريف» «والنَّزِيعُ» مثل الغريب.

(٢) سبق في ٢٥٧/١، وفي ديوانه: «فلو عاينتهم»، وشرح التبريزي «فلو شاهدتهم».

(٣) سبق في ٢٥٧/١ وهو أحد أبيات أربعة وقبله:

نعــم الفتــى فَجَعــتْ بــه إخوانَــه ❊ يــومَ البقيــعِ حَــوادِثُ الأيَّــامِ

طَلْــقُ اليــدين لمــن يَحِــلّ ببَابِــه ❊ عَطَّــافُ أكْنــافٍ علــى الأيتــامِ

هَــشٌّ إذا نــزل الوفــودُ بِبَابِــه ❊ سَــهْلُ الحجــاب مــؤدَّبُ الخُــدام

«معجم الشعراء ص٣٤٣»، ورويت لأبي البلهاء عمير ين عامر، «معجم الشعراء ص ٧٥» وقال في هامش الموازنة ٨٢/١ «ورويت لعمر بن عامر» وأحسب أنه خطأ مطبعي والصحيح ما سبق، وانظر أيضا: شرح حماسة أبي تمام للمرزوقي ٨٠٨، ١٥٩٩ والعقد الفريد ٣١٥/٢ وعيون الأخبار ٨٩/١، والبيان والتبيين ١٦٨/١، ٣٣٢/٢، والمحاسن والمساوئ للبيهقي ١٢٤/١.

(٤) ديوانه: ٣٨٣/٢ وشرح التبريزي ٢٤١/٣.

تَلْقَــاهُ إن طَــرقَ الزَّمــانُ بِمَغْــرَمٍ ✤ شَــرِهًا إليــه كَأَنَّمــا هــو مَغْــنَمُ

لا يَحْسُــبُ الإقــلالَ عُــدْمًا بــل يَــرى ✤ أنّ المُقِــلَّ مــن المُــروءةِ مُعْــدِمُ[1]

وهذا مَدْحٌ شريفٌ.

[وأبو تمّام في هذه الأبواب من النوادِرِ أكثرُ تَصرُّفًا وأشْعَرُ من البُحتريّ[2]].



(١) في ديوانه والتبريزي «لا يحسب» بكسر السين، بمعنى «ظنَّ» وحَسَبَ يَحْسُبُ أي: «عَدَّ».

(٢) ما بين القوسين زيادة من «س».

ذكرُ اعتدادِ المدّاحِ بنِعَمِ الممدوحين



قد مرَّ في [هذِه][1] الأبوابِ من هذا الجِنْسِ غيرُ شَيءٍ ممَّا وجدُتُه لائِقًا بِمَوْضِعِه فأثْبَتُّهُ فيهِ، وهذا بابٌ مُفْرَدٌ في ذلك.

قال أبو تمّام[2]:

وكـم لـكَ عنـدي مـن يـدٍ مُسْـتَهلَّةٍ ❊ علَّـي ولا كُفـرانَ منِّـي ولا جَحْـدُ[3]

يَـدٌ تَسْـتَذِلُّ الـدَّهرَ مـن نَفَحاتِهـا ❊ ويَخْضَرُّ من مَعْرُوفِها الأفُقُ الوَرْدُ[4]

وهذا حسَنٌ جِدًا.

وقال البحتريّ[5]:

يَـدٌ لَـكَ عَنـدي قَـدْ أبـرَّ ضِـياؤُها ❊ على الشَّمْسِ حتى كادَ يَخبُو سِرَاجُها

فـإن تُتْبِـع النُّعْمـى بِنُعْمـى فإنَّـه ❊ يَـزِينُ اللَّآلِـي فـي النِّظامِ ازْدِواجُهـا[6]

وكنـتُ إذا مارَسْـتُ عِنْـدكَ حَاجَـةً ❊ علـى نَكَـدِ الأيَّـامِ هـانَ عِلاجُهـا

وهذا أيضًا حَسَنٌ جِدًا.

(١) زيادة من «س».

(٢) «س»: وقال، ديوانه: ١/٤٧٣، والتبريزي ٢/٩٣.

(٣) شرح التبريزي: «ولا كفران عندي».

(٤) ديوانه وشرح التبريزي: «يد يُسْتَذَلُّ» بالبناء للمجهول، وفي «س»: «من نفحاته».

(٥) ديوانه: ١/٤٢٧.

(٦) ديوانه: «فان تُلْحِقِ النُّعْمَى» وقد سبق في ٢/٣٧٣.

وقال البحتريّ أيضًا[1]:

أمّـا أيادِيـكَ عِنْـدي فهـي وَاضِـحَةٌ ❊ مـا إن تَـزالُ يَـدٌ مِنهـا تَسـوقُ يَـدَا
ألَازمـي الكُفْـرُ إن لـمْ أجْزهـا كَمَـلًا ❊ أم لاحِقي العَجْزُ إن لَم أحْصِها عَددَا
لِـمْ لا أمُـدُّ يَـدِي حَتـى أنَـالَ بِهـا ❊ مـدَى النُّجومِ إذا مـا كُنتَ لِي عَضُـدَا

وقال أيضًا[2]:

كَمْ مِنْ يَـدٍ لَـكَ لَـمْ أكُـنْ أشْري بِهَـا ❊ رَبْعِـيَّ صَـوْبِ الدِّيمَـةِ السَّـحَّاحِ
إن سُـدْتَ فِيهـا المُنْعِمِـينَ فـإنَّني ❊ بالشُّـكْرَ[3] عَنْهـا سَـيِّدُ المُـدّاحِ

وقال أبو تمّام في كَفِّ الدّهر نوائِبَهُ[4]:

لَقِيـتَ صُـروفَ الـدَّهْرِ عَنِّـيَ تَابِعًـا ❊ لِأمْرِ العُلى واخْتَرْتَ شُكْرِي على عُذْرِي[5]
وأوْلَيْتَنِـي فـي النَّائبـاتِ صَـنائِعًا ❊ كـأنَّ أياديهـا فُجِـرْنَ مـن البَحْـرِ[6]
فَعَلَّمْتَنِـي أنْ ألْـبِسَ الحَمْـدَ أهْلَـهُ ❊ وذَكَّرْتَنِي مـا قَـدْ نَسيتُ مِـنَ الشُّكْرِ[7]

قوله: «وذَكَّرْتَنِي[8] ما قَدْ نَسيتُ من الشُّكْرِ» حَسَنٌ جدًا[9]، يُرِيدُ عَهدِي

---

(١) ديوانه: ٧١٩/٢، والأصل «وهي واضحة».
(٢) ديوانه: ٤٧٧/١، «س»: «وقال البحتري».
(٣) ديوانه: «في الشكر».
(٤) «س»: الدهر ونوائبه، ديوانه: ٥١٨/١، والتبريزي ١٦٤/٢.
(٥) ديوانه وشرح التبريزي «دوني».
(٦) «س»: «أوليتني» بإسقاط الواو.
(٧) «س»: «وأذكرتني».
(٨) «س»: «وأذكرتني».
(٩) زيادة من «س».

بإحسانِ [٨٨أ] المُحْسِنينَ [إلَيَّ مِمَّنْ كُنْتُ أشْكُرُه][1] بَعِيدٌ، فَنَسيتُ الشُّكْرَ حَتَّىٰ أحْسَنْتَ إليَّ فذكرْتُهُ بشُكْرِي إيّاكَ.

وقال أبو تمّام في نحوِهِ[2]:

حَبيبٌ بغَيضٌ عند رَاميكَ عن قِلًى ❁ وسَيْفٌ على شَانِيكَ ليَسَ لَهُ غِمْدُ
وكم أمْطَرَتْهُ نَكْبَةٌ ثُمَّ فُرِّجَتْ ❁ ولِلّهِ في تَفْرِيجِها ولَكَ الحَمْدُ[3]
وقد كان دَهْرًا للحوادِث مُضْغَةٌ ❁ فأضْحَتْ جَميعًا وهْي عن لَحْمِهِ دُرْدُ[4]
تُصَارِعُهُ - لَوْلاكَ - كُلُّ مُلِمَّةٍ ❁ ويُعْدُو عَلَيْهِ الدَّهْرُ من حَيْثُ لَا يعْدُو

وقال في نَحْوِهِ[5]:

جَعَلْتُ حُطامًا مَنْكِبَ الدَّهْرِ إذْ نَوىٰ ❁ زِحَامِيَ لَمَّا أنْ جَعَلْتُكَ مَنْكِبِي
وما ضِيقُ أقْطارِ البِلادِ أضَافَنِي ❁ إليكَ ولكِنْ مَذْهَبي فيكِ مَذْهَبِي
فَقَوَّمْتَ لي ما اعْوَجَّ من قَصْدِ همَّتِي ❁ وبَيَّضْتَ لِي ما اسْوَدّ من وَجْهِ مَطْلَبِي

وقال أبو تمّام في كَفِّ الدَّهرِ نوائِبَه وقَمْعِها[6]:

نَبَذْتُ إلَيْهِ هِمَّتِي فكأنَّما ❁ نَبَذْتُ بِهِ نَجْمًا على الدَّهْرِ ثَاقِبًا
وكُنْتُ امْرأ ألقَى الزَّمانَ مُسالِمًا ❁ فآلَيْتُ لا ألقَاهُ إلا مُحَارِبًا

---

(١) زيادة من «س».
(٢) ديوانه: ١/٤٧٢ والتبريزي ٢/٩٢.
(٣) «ثم» ساقطة من «س».
(٤) ديوانه والتبريزي: «وكم».
(٥) ديوانه: ١/٢٤٦ وشرح التبريزي ١/١٥٤، وفيهما: «تركت حطامًا».
(٦) ديوانه: ١/٢٤١ وشرح التبريزي ١/١٤٢، وفيهما و«س»: «كدرت به».

وهذا جَيِّدٌ حسَنٌ(١).

وقالَ في نَحْوِه ـ وهو أحسَنُ من كِلّ حَسَنٍ وأجْودُ من كُلِّ جَيِّدٍ(٢):

بِمَهْـدِيّ بـن أصْـرَمَ عـادَ عُـودِي ❊ إلـى إيرَاقِـهِ وامْتَـدَّ بَـاعِي
أطـالَ يَـدِي علـى الأيّـامِ حَتَّـى ❊ جَزَيْـتُ صُـروفَها صَـاعًا بِصَـاعِ

وهذا عَيْنُ هذا(٣) البَابِ كُلِّهِ.

وقال(٤):

قَـرَّبَ الـدَّهْرَ(٥) مـن يَـدِي وأكنَّـتْ ❊ يَـدُهُ مـن سَـمائِمِ العُـدْمِ حَـالِي(٦)
ولِهَـذا أضْـحى ثَنـائِي طَرِيقًـا ❊ عَـامِرًا بَيْنَـهَ وبَـيْنَ اللَّيـالِي(٧)

وهذا عَيْنُ هذا البابِ كُلِّه في الرَّدَاءةِ والسُّخفِ؛ لأنَّ قولَهُ: «وأكنَّتْ يَدُه من سمائِمِ العُدْمِ حَالِي» استعارةٌ ما رواء قُبْحِها غَايَةٌ.

---

(١) «س»: وهذا حسن جدا.

(٢) ديوانه: ٢/٢٤ وشرح التبريزي ٢/٣٣٨.

(٣) ساقطة من «س».

(٤) هذان البيتان لم يردا في ديوانه أو في شرح التبريزي، غير أني وجدتهما في النسختين المخطوطتين لديوانه ـ لوحة ١٢٩، ١٥٤ وهما من قصيدة في مدح الحسن بن وهب مطلعها:

قِـفْ نَـؤَبِّنْ كِنَـاس ذاكَ الغَـزَالِ ❊ إنَّ فيـه لَمَسْـرَحًا لِلْمقَـالِ

«ورد هذا البيت في الموازنة ١/٤٣١»، ووردت ستة أبيات من مقدمة القصيدة الغزلية في باب الغزل في ديوانه بشرح الصولي ٣/٤٦٣ وفي شرح التبريزي ٤/٢٥٩ أولُها:

شَـد مـا اسـتَنْزَلَتْكَ عـن دَمْعـك الأظْـ ❊ ـعـانُ حتـى اسْـتَهَلَّ دَمْـعُ الغَـزَالِ

(٥) في الأصل: «الدهرُ» بالضم وهو خطأ ظاهر.

(٦) في النسختين المخطوطتين من ديوانه «وأكنَّتْ حاله»، وأكنَّت: سترت، سمائم: جمع سموم: الريح الحارة.

(٧) في المخطوطتين «المعالي».

وقال البحتريّ(١):

وإنَّ ابــن دينــارٍ ثَنَــى وَجْــهَ همَّتِــي ❁ إلى الخُلُقِ الفَضْفَاضِ والنَّائِلِ النَّهْبِ(٢)

[٨٠ب] فلـم أمْـلَ إلّا مـن مودَّتِـهِ يَـدِي ❁ ولا قُلْتُ -إلّا مِنْ مَواهِبِه-: حَسْبِي!(٣)

لَقِيــتُ بــهِ حَــدَّ الزَّمــانِ فَفَلَّــهَ ❁ وقد يَثْلِمُ العَضْبُ المُهَنَّدُ في العَضْبِ(٤)

وقال(٥):

ألنــتَ لِـيَ الأيـامَ مـن بَعْـد قَسْـوةٍ ❁ وعاتَبْتَ لي الدَّهْرَ المُسيءَ فأعْتَبَا(٦)

وألبَسْتَنِي النُّعْمى التي غَيَّرَتْ أخِـي ❁ عَلَـيَّ فأمْسَـى نَـازِحَ الـوُدِّ أجْنَبـا(٧)

وقال في ضِدِّ البيتِ الأخيرِ(٨):

وعَرَفْــتُ وُدَّكَ فــي تَعَصُّــبِ شِــيعَتِي ❁ وَوُجُــوهِ إخْــوانِي، وعَطْــفِ أقَــارِبِي

وقال(٩):

---

(١) ديوانه: ١/١٠٥.

(٢) ابن دينار: هو عبد الله بن دينار بن عبد الله أبوه كان من كبار القواد في الدولة العباسية، وفي سنة ٢٢٧ خرج أبو حرب المبرقع اليماني في فلسطين على المعتصم، فأرسل إليه المعتصم رجاء بن أيوب الحضاري، واشترك معه عبد الله بن دينار هذا في محاربة المبرقع وأسره «الطبري ٩/١١٦ وما بعدها» ويقول في البيت العشرين من القصيدة:

لَجــرَّدَ نَصْــلَ السَّــيْفِ حَتَّــى تَفَرَّقَــتْ ❁ عن السَّيْفِ مَخْضُوبًا جُموعُ أَبِي حَرْبِ

(٣) «يدي» ساقطة من «س».

(٤) «س»: «لقيت وجه الزمان».

(٥) ديوانه: ١/٢٠١.

(٦) الأصل: «وأعتبت لي» عاتب: لام، وأعتب: رضي والتصحيح من ديوانه، وفيه «دهري».

(٧) «س»: «فأوليتني النعمى... فأضحى نازح الدار أجنبا»، وديوانه «فأضحى».

(٨) «س»: «وفي ضد هذا الباب الآخر يقول»، ديوانه: ١/١٦٢، وفي الأصل: «تعصب شيمتي» تحريف.

(٩) ديوانه: ١/١٩٥.

وآليتُ لا أنسى بلوغِي بِكَ العُلى ❁ على كُرْهِ شَتَّى مِنْ شُهودٍ وغُيَّبِ
وَدفْعِي بِكَ الأعْداءَ عَنِّي ، وإنَّما ❁ دَفَعْتُ بِرُكْنٍ مِنْ «شَرَوْرَىٰ» ومَنْكِبِ[1]

وقال[2]:

تَدارَكَني الإحسانُ مِنْكَ ومَسَّنِي ❁ على حاجَةٍ ذاكَ الجَدا والتَّطَوُّلُ
ودَافَعْتَ عَنِّي حينَ لا الفَتْحُ يُبْتَغى ❁ لِدَفْعِ الذي أخْشَى ولا المُتَوكِّلُ[3]

وقال[4]:

أأنْساكَ بعد الهَوْلِ ثُمَّ انْصِرَافِهِ ❁ وبَعْدَ وُقُوعِ الكُرْهِ ثُمَ انْدِفَاعِهِ
إذًا نَسِيَ اللهُ اطِّيافي بِبَيْتِهِ ❁ وَوَفْدُ الحَجِيجِ حَاشِدٌ في اجْتِماعِهِ[5]

وقال أبو تمّام[6]:

أبْدَيْتَ لي عن جِلْدَةِ المَاءِ الذي ❁ قد كُنْتُ أعْرِفُهُ كَثيرَ الطُّحْلُبِ[7]

---

(١) شروري: جبل سبق التعريف به.

(٢) ديوانه: ١٧٩١/٣ «الجدا»: كالجدوىٰ وهما العطية، «التطوّل»: التفضل.

(٣) ساقطة من «س».

(٤) ديوانه: ١٣٢١/٢.

(٥) «إطيافي»: كثرة الطواف بالبيت الحرام، «س»: «وافد في اجتماعه».

(٦) ديوانه: ٣١٣/١ والتبريزي ٢٦١/١ و«أبو تمام» ساقطة من «س».

(٧) ديوانه: «عن صفحة» وجاء في النظام جـ ١ لوحة ١٢١: «قال الصاحب ﷺ «الصاحب ابن عباد ت ٣٨٥ هـ ـ ٩٩٥ م»: سمعت الأستاذ الرئيس «هو ابن العميد محمد بن الحسين، أبو الفضل ت ٣٦٠ هـ ـ ٩٧٠ م» ينشد أبيات أبي تمام التي أوَّلُها «أما وقد ألحقتني بالموكب». وينشد: «أبرزت لي عن صفحة الماء» فقلت: زين سيدنا هذا الشعر بإقامة «الصفحة» مقام «الجلدة»، فقال: كذا يلزم لمثل أبي تمام إذا أمكن إصلاح بيت وتهذيب قصيدة بكلمة» ونقل الدكتور محمد عبده عزام ـ ﷺ ـ هذا في شرح التبريزي «٢٦١/١ هـ (١).». وقال عن «الأستاذ الرئيس» هو «الشريف الرضي»، وهو خطأ ظاهر، ونقل محقق شرح الصولي الدكتور خلف رشيد نعمان هذا=

وَوَرَدْتَ بـي بَحْبُوحَـةَ الـوَادِي ولَـوْ ❁ طَـاوَعْتَنِي لَوَقَفْـتُ عِنْـدَ المِـذْنَبِ(١)
وبَرَقْـتَ لـي بَـرْقَ اليَقَـين وطَالَمـا ❁ أمْسَـيْتُ مُرْتَقِبًـا لِبَـرقِ الخُلَّـبِ
فَجَعَلْـتَ لِـي مَنْدُوحَـةً مـن بَعْـدِ مَـا ❁ أكْـدى عَلَـيَّ تَصـرُّفِي وتَقَلُّبِـي(٢)
والحُـرُّ يَسْـلُبُهُ جَميـلَ عَزائِـهِ ❁ ضِيقُ المَحلِّ فكَيْفَ ضِيقُ المَذْهَبِ
هَيْهَـات تَـأْبى أن تَضِـلَّ بِـيَ السُّرى ❁ فـي بَلْـدَةٍ وسـناك فِيهَـا كَـوْكَبِي(٣)

وهذا كُلُّه جَيِّدٌ بالِغٌ حَسَنٌ.

وقال أبو تَمّامٍ في الاسْتغنَاءِ بالمَمْدُوحِ عَمَّنْ سِواهُ(٤):

[٨١] فتًـى أحْيَـتْ يَـداهُ بعـد يَـأسٍ ❁ لَنَـا المَيْتَـيْنِ مـن كَـرَمٍ وجُـودِ
لَبِسْـتُ سِـواهُ أقوامًـا فكـانوا ❁ كمـا أغْنـى التَّـيمُّمُ بالصَّـعِيد

وقالَ في مثلِ ذلك(٥):

غَنيْـتُ بـه عَمَّـنْ سِـواهُ وحُوِّلَـتْ ❁ عِجَافُ رِكَابِي من سُعَيْدٍ إلى سَعْدِ(٦)

= الخطأ في هامش الكتاب دون تصحيح، فالشريف الرضي وهو محمد بن الحسين توفي سنة ٤٠٦ ومولده سنة ٣٥٩ «تاريخ بغداد ٢/٢٤٦، والمنتظم ٧/٢٧٩»، وفي ديوانه والتبريزي و«س»: «كنت أعهده».

(١) ديوانه «ولو خلفتني» والتبريزي «ولو خليتني».

(٢) ديوانه والتبريزي «وجعلت» قال الصولي: أصل «الكُدْيَةُ»: أن يَبْلُغَ الحافِرُ لِلبِئْرِ إلىٰ حَجَر لا ينفذ فيه الحفر ويقال «أكدىٰ» وجعل مثلا لكل من طلب شيئًا فلم يبلغه. فقال المبارك بن أحمد: «المندوحة» والمنتدح: السعة «النظام ج ١ لوحة ١٢١».

(٣) ديوانه والتبريزي «يأبىٰ أن يضل».

(٤) ديوانه: ١/٤٤٠ وشرح التبريزي ٢/٤٢.

(٥) ديوانه: ١/٤٥٧، شرح التبريزي ٢/٦٥، ٦٦، ٦٧.

(٦) ديوانه والتبريزي «عن سعيد إلىٰ سعد»، وهو مثل يضرب في التحوّل من هلكة إلىٰ نجاة، لقولهم «انج سعد فقد هلك سعيد»، مجمع الأمثال للميداني ١/٣٢٩، ٢/٣٣٩.

تَجلَّى بـهِ رُشْـدِي وأَثْـرْت بـهِ يَـدِي ❁ وفـاضَ بـه ثَمْـدِي وأوْرى بـه زَنْـدِي
ومـا زالَ مَنْشُـورًا علـيَّ نوالُـه ❁ وعِنْـدِيَ حَتَّـى قـد بَقِيـتُ بِـلا عِنْـدِ[1]

قوله: «قَدْ بَقِيتُ بِلا عِنْدِ» من كلامِ السُقَّاطِ ورُذَّالِ العَوامَ.[2]

وقال البحتريُّ في نَحْوِ هَذا[3]:

وأغْنَيْتَنِـي عـن مَعْشَـرٍ كُنْـتُ بُرْهَـةً ❁ أكـافِحُهُمْ عَـنْ نَـيْلِهِم وأُقَـارِعُ
فَلَسْـتُ أبـالِي جَـادَ بالبَـذْلِ بَـاذِلٌ ❁ عَلـى رَاغِـبٍ أو ضَـنَّ بـالخَيْرِ مـانِعُ[4]

وقال في نحوه[5]:

نَفْسِـي فِـدَاؤُكَ طالَمـا أغْنَيْتَنِـي ❁ فكَفَيْتَنِـي عـن هَـذِهِ الأشْـبَاحِ

---

(١) «س»: غنيت.

(٢) جاء في اللسان «عند» قال الأزهريّ: وهو «أي عند» ظرف مبهم ولذلك لم يتمكن إلا في موضع واحد، وهو أن يقول القائل لشيء بلا علم: هذا عندي كذا وكذا. فيقال: ولك عند؟ زعموا أنه في هذا الموضع يراد به القلب، وما فيه معقول من اللب، وهذا غير قوي»، وقال المرزوقي في «المشكل أبي تمام المفردة» ص ٢٣٣: وهذا يحتمل وجهين: أحدهما أن يريد قطعني عن الناس كلهم إلى نفسه، فلم يزل يصطفيني ويسدي إلي إلى أن أغناني عن غيره... حتى ليس لي أن أقول عندي كذا من جهة، والثاني أن يريد ـ وهو الأحسن والأجود بل يغلب لي طني أن أبا تمام لم يرد غيره ـ أنه لم يزل يخولني ويفضل علي إلى أن لم تكن للنعمة علي محمل، وللإحسان عندي مكان، فبقيت بلا عند، أي غمرني، وملأ ساحتي إلى أن ضقت عن تحمل المنن فلا طريق إلى قبول الزيادة منها وعليها».

قال ابن المستوفي «وفي النسخة العجمية: بلا عند، أي بلا موضع أي لم يبق موضع أضع فيه عطاء. وقال الخارزنجي: أي ملأ «عندي» نوالا حتى لا عندي خال، وهذا تلميح للشعر» النظام ج ١ لوحة ٣٣٧.

(٣) ديوانه: ١٣٠٥/٢.

(٤) ديوانه، و«س»: «جاد بالعرف باذل».

(٥) ديوانه: ٤٧٧/١.

خِلَــقٌ مُمَثَّلَــةً بِغَيْــرِ خَلائِــقَ ❁ تُرْضــى وأبْــدانٌ بــلا أرواحِ[1]

وقال في نحوه[2]:

لّلــه دَرُّكُمــا مــن سَــيِّدَيْ زَمَــنٍ ❁ أجْرَيْتُمــا مــن مَعالِيــه إلــى أمَــدِ

وَجــدتُ عِنــدكُما الجَــدوى مُيَسَّــرةً ❁ أوَانَ لا أحَــدٌ يُجْــدِي عَلــى أحَــدِ

وقَــدْ تَطَلَّبْــتُ جَهْــدِي ثَالِثًــا لكمــا ❁ عنــد اللّيــالي فلــم تَفْعَــلْ ولــمَ تَكَــدِ

وقالَ[3]:

ورِجَــالٍ جَــارَوْا خَلائِقَــك الغُــرَّ ❁ ولَيســتْ يَلامِــقُ مــن دُروعِ

ولَيــالي الخَريــفِ خُضْــرٌ، ولكِــنْ ❁ زَهَّــدَتْنَا عَنْهــا لَيــالِي الرَّبِيــعِ[4]

قَوْلُه: «ولَيْسَتْ يَلامِقُ من دُروعٍ» تَشْبيهٌ قَبيحٌ جِدًا، وغَيرُ لائقٍ بالمَعْنى، وكان يَنْبَغي ـ لمّا ذَكَر المُجارَاة[5] ـ أنْ يَقول[6]: ولَيْسَ البَطِيءُ مِثْلَ السَّريع، ونحوَ هذا، أوْ لَو كانَ جعل[7] صَدْرَ البيت «ورجالٌ ظَنَنتُهم جُننًا دونِي»، لَصَلُحَ أن يقولَ «ولَيْسَتْ يلامِقُ من دُروعٍ» فَتصِحَّ[8] القِسْمَةُ، لأنَّ «اليَلامِقَ» جَمْعُ «يَلْمَقٍ»، وهو القِباءُ المَحْشُوّ، ولا يَرُدُّ ما [يَرُدُّ][9] الدِرْعُ التي[10] هي أحْصَنُ

(١) ديوانه: «خلق مخيلة»، وقد سبق البيت في ٢/٥٢ وروايته هناك «ترجىٰ وأجسام بلا أرواح».

(٢) ديوانه: ١/٥١٥.

(٣) ديوانه: ٢/١٢٨١ وفي «س»: وقال البحتري، و«جازوا» بالزاي.

(٤) ديوانه: «رغبتنا».

(٥) «س»: «المجازاة» بالزاي المعجمة.

(٦) ساقطة من «س».

(٧) «س»: قال «ورجال ظننتهم...».

(٨) «س»: «حتىٰ تصح».

(٩) ساقطة من الأصل.

(١٠) «س»: «الذي هو».

الجُنَنْ[1]، إذ لو ساعدت القافية لما ذكر الغُرَّ حتى يقولَ: وليس الأغرُّ مثلَ البَهِيمِ[2]، لكان[3] هذا من أصحّ تَقْسِيمٍ.

والبحتريُّ أحْذَقُ النَّاسِ بالتَّقْسيماتِ والمُقَابَلاتِ، ولَسْتُ أدري كَيفَ تَسامَحَ[4] في مِثْلِ هذا، وإذا لم تُساعِدِ القَافِيةُ، فاطّراحُ[5] البَيتِ من الشِّعْر [واسْتِئْنافُ آخرَ أولىٰ بالصَّواب، وأشْبَهُ بِمَذاهِبِ الحُذَّاقِ من الشُّعَراءِ[6]].

وقال أبو تَمّام في نَحوٍ آخر[7]:

وما سَافَرْتُ في الآفاقِ إلّا ❊ ومِنْ جَدواكَ راحِلَتي وزَادِي
مُقِيمُ الظَّنِّ عندك والأمَانِي ❊ وإنْ قَلِقَتْ رِكَابي في البِلادِ

هَذا مِنْ قَوْلِ أبي نُواسٍ[8]:

وإنْ جَرَتِ الألْفاظُ مِنَّا بِمِدْحَةٍ ❊ لِغَيْرِكَ إنْسانًا فأنْتَ الذي نَعْنِي

وإنَّما أخذَ أبو نُواسٍ هَذا من قول كُثَيِّر[9]:

مَتى ما أقُلْ في آخِرِ الدَّهْرِ مِدْحَةً ❊ فما هيَ إلا لابن لَيْلَى المُكَرَّمِ

---

(١) «س»: «ولو...».
(٢) في «س»: «وليس الغُرُّ مثلَ البُهيم».
(٣) «س»: «كان».
(٤) «س»: «ولا أدري كيف سامح...».
(٥) «س»: «فكان اطّراح».
(٦) الأصل: «فاطرح البيت من الشعر أجدر وأحرىٰ» وما بين القوسين زيادة من «س».
(٧) ديوانه: ٣٨٢/١ والتبريزي ٣٧٥/١، وقد سبقا في الجزء الأول ص ٢٣٩.
(٨) «هذا» ساقطة من «س»، ديوانه: ٤١٥ وقد سبق البيت ٢٣٩/١، وفي «س»: «يومًا بمدحة».
(٩) «هذا من» ساقطة من «س»، ديوانه: ٣٠٢.

وما أحسنَ ما اعْتَذرَ ابن هرمة ، وليس هو هذا المَعنى بِعَيْنِه ، وذلك قوله[1]:

فـإن أكُ قَـدْ هَفَـوْتُ إلـى أميـرٍ ✤ فَعَـنْ غَيـرِ التَّطـوعِ والسَّـمَاحِ
ولكِـنْ سَـقْطَةٌ عِيبَـتْ عَلَيْنَـا ✤ وبَعْضُ القَـولِ يَـذْهَبُ فـي الرِّيـاحِ[2]

وقال أبو تمّام[3]:

أعْطَيْتَنِـي دِيَـةَ القَتيـلِ ولَـيْسَ لِـي ✤ عَقْـلٌ ولا حَـقٌّ عليـكَ قـديمُ
إلّا نـدًى كالـدَّيْنِ حَـلَّ قضَـاؤُهُ ✤ إنَّ الكـريمَ لِمُعْتَفِيـهِ غَـرِيمُ

وقال[4]:

صَـدَفْتُ عَنْـهُ فلَـمْ تَصْـدِفْ مَودَّتُـهُ ✤ عَنّـي وعَـاودَهُ ظَنِّـي فَلَـمْ يَخِـبِ
كالغَيْـثِ إنْ جِئْتَـهُ وافـاكَ رَيِّقُـهُ ✤ وإنْ تَحمَّلْـتَ عَنْـهُ كـانَ فـي الطَّلَـبِ[5]

وهذا في غَايَةِ الحُسْنِ والصِّحَّةِ والحلاوة.

وقال[6]:

كُـلُّ شِـعْبٍ كَنْـتُمْ بِـهِ آل وَهْـبٍ ✤ فَهْـوَ شِـعْبِي وشِـعْبُ كُـلِّ أديـبِ[7]
[٨٢] لـم أزَلْ بَـارِدَ الجَـوانِحِ مُـذْ خَضْـ (م) ـخَضْـتُ دَلْـوِي فـي مَـاءِ ذَاكَ القَلِيـبِ

---

(١) ديوان ابن هرمة ص ٨٦.
(٢) «وبعض القوم». تحريف، و«بالرياح».
(٣) ديوانه: ٢/٤٢١ وشرح التبريزي ٣/٢٩٢.
(٤) ديوانه: ١/٢٢٣ وشرح التبريزي ١/١١٣.
(٥) «س»: «وفاك صبّيبه».
(٦) ديوانه: ١/٢٣٠ وشرح التبريزي ١/١٢٤.
(٧) في الأصل: «فيوسعني» تحريف.

بِنْـتُمُ بـالمَكْروهِ دُونـي وأصبَحْـ (م) ـتُ الشريكَ المُخْتارَ في المَحْبُوبِ[1]
ثُـمَّ لَـمْ أدْعَ مـن بَعيـدٍ لَـدَى الإذْ ❁ نِ ولـم أثْـنِ عَـنكُمُ مـن قَريـبِ[2]
كُـلَّ يَـوْمٍ تُزَخْرِفُـونَ فِنَـائِي ❁ بِحَبَـاءِ فَـرْدٍ وبِـرّ غَريـبِ
إنّ قَلْبِـي لَكُـمْ لَكَالْكَبِـدِ الحَـرَّ (م) ى وقَلْبِـي لِغَيْـرِكُمْ كـالْقلُوبِ[3]

وهذا الاعتدادُ[4] عِنْدِي[5] الذي لا يفي بِحُسْنه وغَرَابَتِه شَيءٌ.

وقالَ[6]:

أبـا سَـعيدٍ وَمَـا وَصْـفِي بِمُـتَّهَمٍ ❁ علـى الثَّنَـاءِ ومـا شُـكْرِي بِمُخْتَـرَمِ
لَـئِنْ جَحـدْتُكَ مـا أولَيْـتَ مـن حَسَـنٍ ❁ إنِّي لَفِي اللُّؤمِ أَحظى مِنْكَ في الكَرَمِ[7]
أنْسـى ابْتِسـامَك والألـوانُ كَاسِـفةٌ ❁ تَبَسُّـمَ البَـرْقِ فـي دَاجٍ مِـنَ الظُّلَـمِ[8]
كَـذا أخـوكَ النَّـدى لـو أنـه بَشَـرٌ ❁ لـم يُلْـفَ طَرْفَـةَ عَـيْنٍ غَيْـرَ مُبْتَسِـمِ
رَدَدْتَ رَوْنَـق وَجْهـي فـي صَـحيفَتِهِ ❁ رَدَّ الصِّـقالِ بَهـاء الصـارم الخَـذِمِ[9]

(١) «س»: «وأصبحت الكريم».
(٢) «س»: «ثم لم أدع منكم من بعيد».
(٣) الأصل: «كالكبد».
(٤) «س»: الاعتذار.
(٥) ساقطة من «س».
(٦) ديوانه: ٣٩٥/٢ والتبريزي ٢١٨/٣، يمدح أبا سعيد: محمد بن يوسف وفي «س»: وقال أبو تمام.
(٧) روى في ديوانه: «لئن حمدتك» وهو لا يتناسب مع معنى البيت، وفي التبريزي «أولى منك».
(٨) أي لا أنسى، فحذف «لا» ومثله كثير «التبريزي» وفي ديوانه وشرح التبريزي: «تبسم الصبح».
(٩) شرح التبريزي «بماء الصارم».

ومـا أبـالي وخَيْـرُ القَـوْلِ أصْـدَقُهُ ❊ حَقَنْتَ [لي] ماءَ وَجْهِي أمْ حَقَنْتَ دَمِي[(١)]

وقال البحتريُّ[(٢)]:

أأكْفُـرُكَ النَّعمَـاءَ عِنْـدي وقـد نَمَـتْ ❊ عَلَـيَّ نُمـوَّ الفَجْـرِ والفَجْـرُ سَـاطِعُ
وأنْـتَ الـذي أعْزَزْتَنِـي بعـد ذِلَّتِـي ❊ فلا القَوْلُ مَخْفُوضٌ ولا الطَّرْفُ خَاشِعُ

وقال[(٣)]:

أراكَ بعـينِ المُكْتَسـي ورَقَ الغنَـى ❊ بآلائِـكَ اللّاتِـي يُعَـدِّدُهَا الشِّـعْرُ[(٤)]
ويُعْجِبُنـي فَقْـرِي إليْـكَ ولَـمْ أكُـنْ ❊ لِيُعْجِبُنـي لَـوْلَا مَحبَّتُـكَ الفَقْـرُ[(٥)]
ووَاللهِ مـا ضَـاعَتْ أيـادٍ أتَيْتَهـا ❊ إلـيَّ ولا أزْرى بِمَعْروفِـكَ الكُفْـرُ[(٦)]
ومـالِيَ عُـذْرٌ فـي جُحـودِكَ نِعْمَـةً ❊ ولَـوْ كـانَ لِـي عُـذْرٌ لما حَسُنَ العُـذْرُ

وقال[(٧)]:

أعْطَيْتَنِـي حَتـى حَسـبْتُ جَزِيـلَ مـا ❊ أعْطَيْتَنيـهِ وَدِيَعـةً لـم تُوهَـبِ[(٨)]
فَشَـبِعْتُ مـن بِـرٍّ لَـدَيْكَ ونَائِـلٍ ❊ ورَوِيـتُ مـن أهْـلٍ لَـديكَ ومَرْحَـبِ[(٩)]

---

(١) أراد «أحقنت» فحذف حرف الاستفهام «التبريزي» وفي «س» وديوانه والتبريزي: «أو حقنت»، وما بين المعقوفين سقط من الأصل، واستدرك في هامش «س».
(٢) ديوانه: ٢/١٣٠٥، وفي الأصل: «يمر الفجر» تحريف.
(٣) ديوانه: ٢/٨٤٧.
(٤) الأصل: «بالآجل اللائي» تحريف.
(٥) ديوانه: «ولم يكن».
(٦) «س»: «بمعروفها».
(٧) ديوانه: ١/٨١، ٨٢.
(٨) سبق في ٢/٨.
(٩) ورد في الديوان سابقا للبيت الذي قبله ببيت واحد.

أَخَذه من قَوْلِ الفَرَزْدَقِ:

[٨٨ب] أعْطانِيَ المالَ حتى قُلْتُ يُودِعُنِي ❊ أو قُلْتُ أوْدَعَ مالًا قَدْ رآه[١] لَنَا

وبَيْتُ البُحْتُرِيِّ أجْوَدُ.

وقال[٢]:

إنِّي هَجرْتُكَ إذْ هَجرْتُكَ وَحْشَةً ❊ لا العَوْدُ يُذْهِبُها ولا الإبْداءُ

أخْجَلْتَنِي بِنَدى يَدَيْكَ وسَوَّدَتْ ❊ ما بَيْنَنَا تلك اليَدُ البَيْضَاءُ[٣]

وقَطَعْتَنِي بالجُود حَتَّى إنَّنِي ❊ مُتَخَوِّفٌ ألّا يكون لقاءُ

صِلَةٌ غَدَتْ في النَّاسِ وهْيَ قَطِيعَةٌ ❊ عَجَبٌ، وبِرٌّ راحَ وهو جَفَاءُ!

لِيُواصِلَنَّكَ رَكْبُ شِعْرٍ سَائرٍ ❊ يَرْوِيهِ فيك لِحُسْنِهِ الأعْداءُ[٤]

حتَّى يَتِمَّ لكَ الثَنَاءُ مُخلَّدًا ❊ أبَدًا كما تَمَّتْ لِيَ النَّعْماءُ

فَتَظَلُّ تَحْسُدُكَ المُلوكُ الصِّيدُ بِي ❊ وأظَلُّ يَحْسدُنُي بِكَ الشُّعَراءُ

وهذا [أيضًا][٥] حَسَنٌ حلوٌ في معناه.

وقريبٌ[٦] منه قولُ مروانَ الأصْغَرِ ـ وهو ابن أبي الجَنُوبِ ـ في المُتَوكِّلِ:

---

(١) سبق في ٢/ ٨، وانظر الموشح ص ٥١٨.

(٢) ساقطة من «س». والأبيات في ديوانه: ١/ ٢١، ٢٢.

(٣) ديوانه: «أحشمتني»، و«س»: «منك اليد».

(٤) «يرويه» ساقطة من «س».

(٥) زيادة من «س».

(٦) «س»: وقريب من قول.

وأمْسِكْ نَدى كَفَّيْكَ عَنِّي ولا تَزِدْ ❊ فقد خِفْتُ أنْ أطْغَى وأنْ أتَجَبَّرا[1]

وقال البحتريُّ ـ ومَوْضِعُها مع الأبياتِ في أوَّل البَابِ[2] ـ:

لا بسٌ منكَ نِعْمةً لا أرَى الإخْ ❊ لاقَ في حَالَةٍ لَها بِخَليقِ

إنْ تَقُلْ زِينَةٌ فَحِلْيَةُ عِقْيَا ❊ نٍ، وإنْ خِفَّةٌ فَفَصُّ عقَيقِ[3]

هِيَ أغْلَتْ قَدْرِي وأمْضَتْ لِساني ❊ وأشاعَت باسْمِي، وبَلَّتْ رِيقِي[4]

ولستُ أعرِفُ للبحتريِّ مَعنًى رَثًا ولفظًا غَثًا إلّا قَوْلَهُ: «فَصُّ عقَيقِ».

وأبو تمّامٍ في هذا البَابِ أشْعَرُ من البُحْتُرِيِّ[5].



(١) البيت في الأغاني ٢/١١ وفيه «فقد كدت»، وتاريخ بغداد ١٥٤/١٣، النجوم الزاهرة ٣٢٥/٢ والطبري ٢٣٢/٩.

(٢) ديوانه: ١٤٨٥/٣.

(٣) ديوانه: «إن يقل» بالبناء للمجهول.

(٤) «س»: «هل»، وديوانه «وأشاعت ذكرى»، «وأعلت» بالمهلة.

(٥) ساقطة من «س».

وهذا بابٌ فيما نَطَقَا به من الشُّكْرِ والحَمْدِ



والبابُ الذي رَسَمْتُهُ وتَرْجَمْتُهُ قَبلَ هذا بالاعْتِدادِ هو صَريحُ الشُّكر، وفي هذا البابِ إفْصاحٌ بِلَفْظِ الشُّكْرِ والحَمْدِ[1].

قالَ أبو تَمّام في الحَسنِ بنِ وَهبٍ[2]:

يَهَبُ النَّائِلَ الجَزيلَ ويُعْطِي ❊ إنْ مَطَلْنا بالشُّكرِ بَعضَ المَطالِ

لَفْظَةُ «المَطْلِ بالشُّكْرِ» هَاهُنَا[3] حُلْوةٌ جِدًا.

وقال في ابنِ الهَيْثَم[4]:

أقولُ بِبَعْضِ ما أسْدَيْتَ عِنْدِي ❊ وما أطْلَبْتَنِي قَبْلَ الطِّلابِ

[٨٩] ولو أنيِّ اسْتَطَعْتُ لقَامَ عَنِّي ❊ بِشُكْرِكَ من مَشي فَوْقَ التُّراب[5]

إذًا شَكَرَتْكَ «مَذحِجُ» حَيثُ كَانَتْ ❊ بَنُو دَيَّانِها وبَنُو الضِّبابِ[6]

---

(١) العبارة في الأصل مضطربة وصححتها من «س».

(٢) «س»: «وقال» ولم يرد هذا البيت في شرح الصولي أو شرح التبريزي، وقد وجدته في مخطوطتي الديوان السابق ذكرهما لوحة ١٥٤، ١٢٩، وفيهما: «النائل النجاز»، «إن مطلناه الشكر».

(٣) في الأصل: «لفظة المطل هاهنا الشكر».

(٤) ديوانه: ٣٣٤/١ والتبريزي ٢٨٧/١ وفي «س»: «وقال في أبي الحسن محمد بن الهيثم».

(٥) «س»: «عظْمُ مَنْ فَوقَ التراب».

(٦) قال التبريزي: «مَذحج» اسم امرأة، واسمها «مدلة» وقيل: سميت «مذحج» لأنها ولدت فوق أكمة، فانذحجت من أعلاها إلى أسفلها، وقال قوم: بل الأكمة كان يقال لها «مذحج»،... ثم ذكر قضاعة لما تدعيه من القربى إليهم، وذكر غيرهم من العرب لأن الإصْهارَ في القبائل وتَزَوَّجَ بعضهم إلى بعض صَيَّرَ بينهم أسباب من الخؤولة والقرابة.

وَجِئْتُكَ في قُضاعَةَ قَدْ أطَافَتْ ❊ بِرُكْنَيْ عَامِرٍ وبَنِي جنابِ[1]
ولا اسْتَنْجَدتُ حَنْظَلَةَ وعَمْرًا ❊ ولم أعْدِلْ بِسَعْدٍ والرِّبابِ[2]

هَذهِ لامُ التَّوْكيدِ[3].

ولا اسْتَرْفَدْتُ من قَيْسٍ ذُرَاها ❊ بَنِي بَدْرٍ وصِيدَ بَنِي كِلابِ[4]
ولا احْتَفَلتْ رِبيعةُ لِي جَميعًا ❊ بأيَّامٍ كَأيَّامِ الكُلابِ[5]
وأشْفِي من صَميمِ الشُّكْرِ نَفْسِي ❊ وتَرْكُ الشُّكْرِ أثْقَلُ للرِّقابِ[6]

وقالَ في مَدْح الحَسَنِ بنِ وَهْبٍ[7]:

والحَمْدُ شَهْدٌ لا تَرَى مُشْتَارَهُ ❊ يَجْنِيهِ إلّا من نَقيعِ الحَنْظَلِ
غُلٌّ لِحَامِلِهِ ويَحْسَبُهُ الذي ❊ لم يُوهِ عاتِقَهُ خَفِيفَ المَحْمَلِ[8]

---

(١) في الأصل و«س»: «بنو» والتصحيح من الديوان وشرح التبريزي.
(٢) في الأصل: «وسعدا» والتصحيح من ديوانه وشرح التبريزي و«س».
(٣) يعني اللام في قوله «ولاستنجدت» وربما تكون هذه العبارة من تعليقات بعض العلماء فأقحمها الناسخ، ومما يعزز هذا أنها ساقطة من «س».
(٤) «س»: «ابني بكر» وبنو بدر: هم أبناء بدر بن عمر بن جوية بن لوذان بن ثعلبة بن عدي بن فزارة.
(٥) أيام الكُلاب: وقائع مشهورة، فيوم الكُلاب الأول: لسلمة بنت الحارث بن عمرو المقصور، ومعه بنو تغلب والنَّمِرُ بن قاسط وسعد بن زيد مناة والصنائع على أخيه شرحبيل بن الحارث بن عمرو ومعه بكر وائل بن حنظلة بن مالك وبنو أسد، فقُتِلَ شرحبيل، أما يوم «الشعيبة» فهو يوم الكلاب الثاني لبني تميم وبني سعد والرباب رئيسهم قيس بن عاصم، على قبائل مذحج في نحو اثني عشر ألفا، رئيسهم زيد بن المأمور، والكُلاب: موضع بالدهناء بين اليمامة والبصرة وفيه كانت الوقعتان «الاشتقاق ص ٢١ والعمدة ٢/٢٠٦».
(٦) ديوانه والتبريزي و«س»: «فأشفي».
(٧) ديوانه: ٢/٢٥٩ والتبريزي ٣/٤٢.
(٨) في الأصل: «ثقيل» والتصحيح من ديوانه والتبريزي و«س».

وقال[1]:

أثْنَيتُ إذْ كان الثَّناءُ حِبالَةً ❁ شَرَكًا يُصادُ بهِ الكَريمُ المُنْعِمُ
وَوَفَيْتُ إنَّ مِنَ الوَفاءِ تجَارَةً ❁ وشَكَرْتُ إنَّ الشُّكْرَ حَرْثٌ مُطْعِمُ

وقال البحتريُّ[2]:

يَمِيلُ وَزْنُ القَوافي بالنَّوالِ ولَوْ ❁ راحَ النَّوالُ وَفي مِيزانِه «أُحُدُ»
والشُّكْرُ أنْ يُخْبِرَ الوُرَّادُ سَائِلَهُمْ ❁ عن فَضْلِ مُخْتَبَرِ العِدِّ الذي وَرَدُوا[3]

وقال أبو تمّام في ابن المعتصمِ[4]:

والحَمْدُ بُرْدُ جَمالٍ اخْتالَتْ بِهِ ❁ غُرَرُ الفَعالِ، ولَيْسَ بُرْدُ لِبَاسِ
وكَأنَّ بَيْنَهُما رِضاع الثَّدْيِ مِنْ ❁ فَرْطِ التَّصافِي أو رِضاعَ الكَاسِ[5]

وقال في أبي عبد الله حَفْصِ بنِ عُمَرَ الأزدِيِّ[6]:

وما كُنْتُ ذَا فَقْرٍ إلى صُلْبِ مَالِهِ ❁ وما كانَ حَفْصٌ بالفَقيرِ إلى حَمْدي
ولكِنْ رَأي شُكْرِي قِلادَةَ سُؤْدَدٍ ❁ فصاغَ لها سِلْكًا بَهِيًّا من الرِّفْدِ

«السِّلْكُ» هو الخَيْطُ نَفْسُهُ، وذلك لا يُصاغُ، ولو قالَ: «فصاغَ لَهَا عِقْدًا» كانَ أحْسَنَ[7].

---

(١) ديوانه: ٢/٣٦٢، شرح التبريزي ٣/٢٠٢.

(٢) ديوانه: ٢/٦٤٦.

(٣) الماء العد: الدائم الذي لا ينقطع كماء العين.

(٤) ديوانه: ١/٥٧١ والتبريزي ٢/٢٤٨، وفي «س»: «في المعتصم».

(٥) ديوانه: «لارضاع الكاس».

(٦) ديوانه: ١/٤٩٣ والتبريزي ٢/١٢٥.

(٧) قوله: «كان أحسن» سقط من «س».

فمـــا فَـــاتَنِي مـــا عِنْـــدَه مـــن حِبَائِـــهِ ❊ ولا فَاتَهُ من فَاخِرِ الشِّعْر ما عندي[1]

وقال [أبو تمَّامٍ في ابن أبي رِبْعيٍّ[2]]:

مـا مِـنْ جَميـلٍ مـن الـدُّنْيا ولا حَسَـنٍ ❊ إلَّا وأكْثَـرُهُ فـي ذَلِـكَ الخُلُـقِ[3]
يـا مِنَّـةً لـكَ لَـوْلَا مـا أخَفِّفُهـا ❊ بـهِ مـن الشُّـكْرِ لَـمْ تُحْمَـلْ ولـم تُطَـقِ
بـاللهِ أدْفَـعُ عَنِّـي ثِقْـلَ فادِحِهـا ❊ فـإنني خَـائِفٌ مِنْهـا علـى عُنُقِـي[4]

وقال البحتريُّ في يوسفَ بنِ محمدٍ[5]:

ومـا اخْتَـرْتُ دَارًا غيـرَ دَارِكَ مـن قِلًـى ❊ وأينَ تُرى قَصْدي ومن دُونِيَ البَحْرُ؟[6]
سَأشْـكُرُ لا أنِّـي أجازِيـك نِعْمَـةً ❊ بـأخْرى، ولكِـنْ كَـيْ يُقـالَ لَـهُ شُـكْرُ
وأذْكُـرُ أيَّـامي لَـديْكَ وحُسْـنَها ❊ وآخِرُ ما يَبْقي من الذَّاهِبِ الذِّكْرُ[7]

وقال البحتريّ[8]:

بِنِعْمِـتِكُمْ يـا «آل سَـهْلٍ» تَسـهَّلَتْ ❊ عِلـيَّ نَـواحِي دَهْـرِي المُتَـوعِّرِ
شـكَرْتُكُمُ حتـى اسـتكانَ عَـدوُّكُمْ ❊ ومـن يُـولَ مـا أوْلَيْتُمُـونِيَ يَشْـكُرِ[9]

---

(١) في الأصل: «فاته» والتصحيح من ديوانه والتبريزي و«س».
(٢) زيادة من «س». وفيها (في أبي ربعي) والتصحيح من ديوانه، وفي الأصل «وقال أيضًا».
(٣) ديوانه: ٢/٩٠ والتبريزي ٢/٤٠١.
(٤) ديوانه والتبريزي: «حق».
(٥) ديوانه: ٢/٨٩٥.
(٦) «س» وديوانه: «ومن خلفي».
(٧) ديوانه: «ونعمتي».
(٨) ديوانه: ٢/٨٩٠.
(٩) ديوانه: «ما أوليتمونيه».

أَلَسْتُ ابْنَكُم دونَ البَنينَ وأَنْتُمُ ❊ أَحِبَّاءُ أَهْلِي دُونَ «مَعْنٍ» و«بُحْتُرِ»[١]

وقال في إبراهيمَ بنِ حسنِ بن سَهْلٍ[٢]:

جِئْنَاكَ نَحْمِلُ أَلفاظًا مُدبَّجَةً ❊ كأَنَّما وَشْيُها مِن يُمْنَةِ اليَمَنِ
نُهْدِي القَرِيضَ إلى رَبِّ القَرِيضِ مَعًا ❊ كحَامِلِ العَضْبِ يُهْدِيهِ إلى عَدَنِ[٣]
مِن كُلِّ زَهْراءَ كالنُّوَّارِ مُشْرِقَةٍ ❊ أَبْقَى على الزَّمَنِ البَاقِي من الزَّمَنِ[٤]
شُكْرُ امْرِئٍ ظَلَّ مَشْغُولًا بِشُكْرِكَ عن ❊ فَرْطِ البُكاءِ على الأطلالِ والدِّمَنِ

[أي: هِيَ شكر[٥]].

وقالَ في عَبد الله بن يحيىٰ بن خَاقانَ [أخي عبيد الله[٦]]:

نَفْسِي فِداءَ أَبِي مُحمَّدٍ الذِي ❊ ما زِلْتُ أَحْمَدُ في ذَرَاهُ مَكَانِي
خِلٌّ بَلَغْتُ بِرَأْيِهِ شَرَفَ العُلى ❊ وأَخٌ غَنِيتُ بِهِ عَنِ الإخْوانِ
والله يَجْزِيكَ الذي لَم يَجْزِهِ ❊ شُكْرِي ولم يَبْلُغْ مَداهُ لِسَانِي[٧]

---

(١) «معن» و«بحتر» ابنا عتود بن عنين بن سلامان بن ثُعَل وهما بطنان ضخمان من طيئ ومنهم البحتري.
(٢) ديوانه: ٤/٢١٩٤، وفي «س»: «إبراهيم بن سهل».
(٣) العصب: نوع من البرود اليمنية.
(٤) «س»: «أبقىٰ من».
(٥) ما بين المعقوفين زيادة من «س»، وفي الديوان «شُكْرَ» بالنصب، وعلىٰ الرغم من عبارة المؤلف الواردة في «س»، فقد ضُبِطَتْ الكلمة فيها وفي الأصل «شكرَ» بالنصب وقد صححت الضبط علىٰ ما تقتضيه عبارته وهو الرفع.
(٦) ديوانه: «يمدح عبيد الله بن يحيىٰ بن خاقان» ٤/٢٢٤٠ وما بين المعقوفين زيادة من «س».
(٧) ديوانه و«س»: «الله يجزيك».

وقال في الفَضْلِ بن إسماعيلَ الهاشميِّ(١):

مُسْــــتَأثِرٌ بالمَكْرُمـــاتِ تَلْومُـــهُ ❁ فِيهـا خَلائِــقُ حَاســدٍ وبَخيــلِ(٢)

[٩٠] ومَتى عَرضْتَ لِشُكْرِهِ فالبَرْحُ مِنْ ❁ نَيــلٍ علَــى ثَــبَجِ الثَّنَــاءِ ثَقيــلِ(٣)

وقال في إسماعيلَ بنِ بُلْبُلٍ(٤):

هَاتيكَ أخْلاقُ «إسْماعيلَ» في تَعَبٍ ❁ من العُلَا، والعُلَا مِنْهُنَّ في تَعَبِ(٥)

أتْعَبْتَ شُكْري فأضْحَى مِنْكَ في نَصَبٍ ❁ أقْصِرْ، فَمَالِيَ في جَدْواكَ مِن أرَبِ(٦)

لا أقْبَـلُ الـدَّهْرَ نَـيْلًا لا يقـومُ بِـهِ ❁ شُـكْري، ولـو كـانَ مُسْـدِيهِ إلـيَّ أبِـي

لمّـا سَـألْتُكَ وافـانِي نـدَاكَ علـى ❁ أضْعافِ ظَنِّي، فلَم أظْفَر ولـم أخِـبِ

وقد أحسنَ البُحْتُريُّ في هذا كُلَّ الإحسانِ.

وقد قال دِعْبل في خلاف هذا المعنى، وكلاهُما في غَايةِ الحُسْن، [فقال](٧) يَمْدَحُ قَوْمًا(٨):

لا يَقْبَلــونَ الشُّــكْرَ مَــالَمْ يُنْعِمُــوا ❁ نُعْمَّــى يَكــونُ لَهــا الثَّنَــاءُ تَبِيعــا

---

(١) ديوانه: ٣/١٦٦٠.

(٢) ديوانه: «تعوده».

(٣) ديوانه: «فالبُرْجُ من تَبَل» والمَعنى على هذه الرواية غامض. والمعنى هنا: أن عطاياه عظيمة ينو بحِمْلِها الثناءُ، فلا يُوفِّيها حقها، والبيت الذي بعده في الديوان يؤكد هذا المعنى فقد قال:

ومِـنَ الصّـنائِعِ مـا يُؤَكّـدُ بـاللُّهَى ❁ فينـوءُ حامِلُـه بِعِـبْءِ الفيـلِ

(٤) ديوانه: ١/١٢٠.

(٥) سبق في ٣/٨٠.

(٦) ديوانه: «فاذهبْ فماليَ في جَدواكِ من أَرَبِ»، و«س» «أضحى منك في تعب».

(٧) زيادة من «س».

(٨) شعره المجموع ص ١٨٤ وفيه «نِعَمًا».

وقال أبو تَمّامٍ [ويُنْقَلُ إلىٰ الباب الذي قَبلَهُ(١):]

ومــن الرَّزِيَّــةِ أنَّ شُــكْرِيَ صَــامِتٌ ❊ عمَّــا فَعَلْــتَ وأنَّ بِــرَّكَ نَــاطِقُ(٢)

تَــأتِي الصَّــنِيعةُ مِنْــك ثُــمَّ أسِــرُّها ❊ إنِّــي إذًا لِيَــدِ الكَــريمِ لسَــارِقُ(٣)

ويروىٰ: لِنَدىٰ الكَريمِ لَسارِقُ(٤).

وقالَ في مِثْلِهِ(٥):

لَلنَّــارُ نَــارُ الشــوقِ فــي كَبِــدِ الفَتــى ❊ [والبَــيْنُ] أوْقَــدَها هَــوًى مَسْــمُومُ(٦)

خَيْــرٌ لَــهُ مــن أنْ يُخــامِرَ صَــدْرَهُ ❊ وحَشَــاهُ مَعْــروفُ امْــرِئٍ مَكْتُــومُ

سَــرَقَ الصَّــنيعةَ واسْــتَمرَّ بِلَعْنَــةٍ ❊ يَــدْعُو عَلَيْــهِ النَّائِــلُ المَظْلــومُ(٧)

أَأُقَنِّــعُ المَعــرْوفَ وَهْــوَ كأنَّــهُ ❊ قَمَــرُ الــدُّجَى إنــي إذًا لَلَئِــيمُ

مُثْــرٍ مِــنَ المَــالِ الــذي مَلَّكْتَنِــي ❊ أعْنَاقَــهُ ومــن الوَفَــاءِ عــدِيمُ

فــأروحُ فــي بُــرْدَيْنِ لــم يَسْــحَبْهُمَا ❊ قَبْلِــي فتًــى وهمــا الغِنَــى واللُّــومُ

[وأبو تَمَّامٍ في هذا البابِ أيْضًا ألْطَفُ من البُحْتُريِّ(٨)].

---

(١) ديوانه: ١٥٥/٢ والتبريزي ٤٥٥/٢، وما بين المعقوفين زيادة من «س».

(٢) هذه رواية «س» والتبريزي، وفي الأصل روي «عما صنعت» ثم كتب فوقها تلك الرواية.

(٣) ديوانه والتبريزي: «أأرىٰ الصنيعة... ليد الكرام...».

(٤) هذه العبارة ساقطة من «س».

(٥) ديوانه: ٤٢٣/٢ والتبريزي ٢٩٣/٣.

(٦) ديوانه والتبريزي: «النار... يوقده...» و«البين» ساقطة من الأصل.

(٧) «س» وديوانه: «فاستمر».

(٨) زيادة من «س»، وإلىٰ هنا تنتهي نسخة «س»، وختمت بالتالي:
«والحمد لله رب العالمين وصلواته علىٰ سيدنا محمد وآله الطيبين وسلم».

كتاب البأس والنَّجدة[1]



فأوّلُ مَا أبدأ بِهِ مِن ذلِكَ:

- وَصْفُ الجَيْشِ وكَثافَتِهِ وَعِظَمِهِ.
- وفي الرَّأيِ والتَّدبِيرِ.
- وفِي صِفَةِ الحَربِ.
- وفِي وَصْفِ رِجَالِ الحَرْبِ[2].
- وفِي تَشْبِيهِ الأبْطَالِ بالسِّبَاعِ.
- وفِي وَصْفِ السّيوفِ والرِّمَاحِ.
- وفِي وَصْفِ الدُّرُوعِ والجُنَنِ.
- وفِي وَصْفِ الخَيْلِ في الحَرْبِ.
- وفِي المَسِيرِ إلى أرْضِ العَدُوِّ والنّزُولِ.
- وفِي ذِكْرِ الظَّفَرِ والفُتُوحِ.
- [و]فِي ذِكْرِ مَنِ انْهَزَم ونَجَا بِحُشَاشَتِهِ[3] ومَنْ أسِرَ.

---

(١) من هنا تبدأ زيادة نسخة الأصل، وقد انتهت صحبتها مع «س» إلى خاتمة باب الجود والكرم في الصفحة السابقة وتستمر هذه الزيادة إلى نهاية الكتاب.

(٢) الأصل: «وصف حال الحرب» وانظر ص ٣٠٤.

(٣) الأصل: «نجاشته».

- ذِكْرُ الصَّلْبِ عَلَىٰ الجُذُوعِ وحَمْلِ الرُّؤُوسِ.

- ذِكْرُ الحَرْبِ فِي البَحْرِ.

- ذِكْرُ حَرْبِ ذَوِي الأَرْحَامِ والحَضِّ عَلىٰ الصُّلحِ والصَّفْحِ.



ما قالاهُ في وَصْفِ الجَيْشِ وكَثافَتِهِ

قَالَ أبُو تَمَّام[1]:

مُثْعَنْجِرٌ لَجِبٌ تَرَى سُلَّافَه ❁ وَلَهم بِمُنْخَرِقِ الفَضَاءِ زِحَامُ
مَلأَ المَلاَ عُصَباً فَكَادَ بأنْ يُرَى ❁ لا خَلْفَ فِيهِ وَلَا لَهُ قُدَّامُ

«مُثْعَنْجِرٌ» ، يقال: اثْعَنْجَرَتِ العَيْنُ دَمْعًا ، واثْعَنْجَرَ دَمْعُهَا ، وهَوَ انْصِبَابُ الدّمع وتَتابُعُهُ ، واثْعَنْجَرَ السَّحَابُ بِالمَطَرِ ، واثْعَنْجَرَ المَطَرِ ، وَقَوْلُ امْرِئِ القَيْسِ[2]:

«وجفنة مُثْعَنْجِرَةْ»

أي: مَمْلُوءَةٌ تَفِيضُ إهَالَةً[3].

و«السُّلَّافُ»: المُتَقَدمُونَ ، و«لَجِبٌ» ، أرَادَ: كَثِيرَ الأصْوَاتِ.

وَقَوْلُهُ: «مَلأَ المَلاَ عُصَبَا»: فالمَلاَ[4] ـ مقْصُورٌ ـ ما اتَّسَعَ مِنَ الأرْضِ ، أراد

---

(١) ديوانه: ٢/٣٧٦ ، والتبريزي ٣/١٥٥ ، عُصَبٌ: جمع عُصْبةٍ وعصابة.

(٢) ديوانه ص ٣٤٩ وفيه: «وقال لما حضرته المنية بأنقرة:

رب طعنة مثعنجرة
وجفنة متحيرة
وقصيدة محبرة
تبقى غدا بأنقرة»

تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.

(٣) في المخطوطة: «وطعنة» وتحتها: «وجفنة» والشرح عليها فأثبتها ، والإهالة: الودك.

(٤) في اللسان «ملا»: وأما المتسع من الأرض فغير مهموز ، يكتب بالألف والياء ، والبصريون يكتبونه بالألف.

أنّ الجَيْشَ قد مَلأه لِكَثْرَتِهِ. وهذا مَعنًى قد تَداوَلتْهُ العَرَبُ وتَقَدَّمَتْ فِيهِ الشُّعَراء، وجَوَّدُوهُ، قال أوس بن حجر[1]:

تَـرَى الأرْضَ مِنَّـا بالفَضَـاءِ مَرِيضَـةً ❊ مُعَضَّـلَةً مِنّـا بِجَـيْشٍ عَرَمْـرَمِ

قَوْلُه: «مُعضَّلَةً» مِنْ قَوْلِهم: عَضَّلَتِ المَرْأةُ عِنْدَ الوِلَادَةِ، إِذَا نَشِبَ وَلَدُهَا في بَطْنِهَا، وَعَسُرَ خُرُوجُه، يُؤكِّدُ بِذَلِكَ كَثرة الجَيْشِ، وأنَّ الأرضَ الفَضَاءِ قَدْ ضَاقَتْ بِهِ، ومِن هَذَا قَولُهم: قَدْ أعْضَلَ الأمْرُ، وأمْرٌ مُعْضِلٌ، أي: عَسيرٌ ضَيِّقٌ.

و«العَرَمْرَمُ» الكَثِيرُ.

وتَبعَ النابِغَةُ أوَسًا فِي هَذَا فَقَالَ[2]:

مَجْـرٌ يَظَـلُّ بِـهِ الفَضَـاءُ مُعَضَّـلًا ❊ يَـذَرُ الإِكَـامَ كَـأَنَّهُنَّ صَـحَارِي

فَأَوْرَدَ النَّابِغَةُ مَعْنَىٰ بَيْتِ أَوْسٍ في صَدْرِ بَيْتِهِ، وزَادَ عَلَيْهِ فِي العَجُزِ بِقَوْلِهِ:

«يَـذَرُ الإِكَـامَ كَـأَنَّهُنَّ صَـحَارِي[3]»

أي: يَهْدِمُها ويَطْحَنُها بِحَوافِرِ الخَيْلِ حَتَّىٰ تَلْحَقَ بالأرْضِ.

وَمِثْلُ هَذَا قَوْلُ زَيْدِ الخَيْلِ:

بِجَمْـعٍ تَضِـلُّ البَلْـقُ فـي حَجَراتِـهِ ❊ تَـرَى الأكْـمَ فِيـهِ سُـجَّدًا للحَـوَافِرِ

---

(١) الشعر والشعراء ٢٠٦/١، وديوان المعاني ٦٨/٢، واللسان «عضل» وفيها: «بجمع عرمرم» وانظر: ديوانه ص ٢١.

(٢) الشعر والشعراء ٢٠٦/١ وفيه «جيش يظل به...»، والمجر: الجيش العظيم المجتمع. «اللسان مجر» وفي ديوانه: ص ٨٨: «جمعا يظل به...».

(٣) في الأصل: «صحار».

[٩١] أي: تَدُقُّهَا الحَوَافِرُ بِكَثْرتِها، وتَكُبُّها إلى الأرْضِ، وبَيْت النَابِغَةِ أجْوَدُ البَيْتَينِ، لأنّه تَضَمَّنَ المَعْنَيَيْنِ جَميعًا، واقتَصَر أبو تَمَّام على وصف الكَثْرةِ في بيتهِ بِمَعْنيَيْنِ مُخْتلِفيْنِ، كَأنَّه اتَّبع أوْسًا، إلّا أنَّ قَوْلَهُ:

وَلَهُـمْ بِمُنْخَـرِقِ الفَضَـاءِ زِحَـامُ

لَفْظٌ حَسَنٌ.

وَقد حَذَا البُحْتريُّ عَلى قَوْله(١):

يَـذَرُ الإكَـامَ كـأَنَّهُنَّ صَـحَارِي

فَقَالَ(٢):

إذَا سارَ في «ابنيْ مَالِكٍ» قَلِقَ الحَصى ❊ عَلَـى جَبَـلٍ يَغْشَـى الجِبَـالَ فَتَقْلَـقُ(٣)

عَفَارِيـتُ هَيْجَـاءٍ كَـأنَّ خَمِيسَـهُمْ ❊ بِـهِ حِـينَ تَلْقَـاهُ الكَتَائِـبُ أوْلَـقُ(٤)

فَقَوْلُهُ: «يغشى الجِبَالَ فتَقْلَق» أي: يَحْطِمُها بكَثْرَتِهِ، وَيَجُوزُ أن يُرِيدَ بِقَوْلِهِ: «يَغْشَى الجِبَالَ» أي: جُيوشًا فَيَقُضُّها، والأوَّل أشْبَه.

وقال البحتريّ في كَثَافَةِ الجَيْشِ وَكَثْرتِه(٥):

لَمَّـا أتَـاكَ يَقُـودُ جَيْشًـا أرْعَنَـا ❊ يُمْشِـي عَلَيْـهِ كَثَافَـةً وجُمُوعَـا

---

(١) يعني أوس بن حجر في بيته السابق.

(٢) ديوانه: ١٤٩٣/٣ وفيه «قلق القنا» ونقل في الهامش تعليق المعري في عبث الوليد على رواية «قلق الحصى» فانظره.

(٣) ابني مالك: هما: الخيار ونبت ابنا مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ «جمهرة الأنساب ص ٣٣٠».

(٤) الأولق: المجنون.

(٥) ديوانه: ١٢٥٥/٢.

يُرِيدُ انضِمَام الخَيْل والرَّجَّالة، بَعْضِهم إلىٰ بَعْض، بِكَثْرتِهم حَتَّىٰ يَمْشِيَ الماشِي عليهم، وإنَّما نَحَا نَحْوَ قَوْل قيس بن الخَطِيم[1]:

لَـوَ أَنَّـكَ تُلْقِـي حَـنْظَلًا فَـوْقَ بَيْضِـنا ❁ تَـدَحْرَجَ عَـنْ ذِي سَـامَةِ المُتَقَـارِبِ

وقوْلُ قَيْسٍ أحسَنُ وأجْوَدُ وأبْرَعُ.

وقَوْلُهُ: «عَنْ ذِي سامَةٍ» أي: عَلَىٰ ذِي سَامَةٍ، والسَامُ: خُطُوطٌ فِي البَيْضِ يَجْرِي فِيهَا مَاءُ الذَّهَبِ[2].

وَقَد أخَذَ ابنُ الرُومِي أيْضا معنَاه، وَلَفْظَهُ أيضًا فَقَالَ[3]:

فَلَـو حَصَـبَتْهُمْ بـالفَلَاةِ سَـحَابَةٌ ❁ لَظَـلَّ عَلَـيْهِم حَصْـبُها يتَـدَحْرَجُ

وَلَيْسَ فِي قَصِيدتِهِ أجْوَدُ مِنْ هَذَا البَيْتِ.

وفِي كَثَافَةِ الجَيْشِ واجتماعِهِ يقول أبو نُواسٍ[4]:

أَمَـامَ خَمِـيسٍ أرجُـوانٍ كأنَّـه ❁ قَمِـيصٌ مَحُـوكٌ مِـن قَنًـا وَجِيَـادِ

«الجِيَادُ» الخَيْلُ، وَلَو كَانَ قَالَ:

---

(١) ديوانه: ص ٨٦.

(٢) جاء في ديوانه: «السام: عروق الذهب الواحدة سامة، وبه سُمِّيَ سامة بن لؤي» ثم قال: «وأراد بالسام هاهنا: خطوط ذهب علىٰ البَيْضِ تُموّه بها».
وفي اللسان «سوم» «البيت»: أي: علىٰ ذي سامه، وعن فيه بمعنىٰ علىٰ، والهاء في سامه ترجع إلىٰ البيض، يعني البيض المموه به، أي البيض الذي له سام، قال ثعلب: معناه أنهم تراصّوا في الحرب، حتىٰ لو وقع حنظل علىٰ رؤوسهم علىٰ املاسه واستواء أجزائه لم ينزل علىٰ الأرض.

(٣) ديوانه: ٤٩٧/٢ وفيه «... بالفضاء سحابة...».

(٤) ديوانه: ص ٤٧٣.

... ... لَيس فيه خصاصة ❁ كَثوبٍ مَحُوكٍ ... ...

كَانَ «ثوبٌ» أحسنَ من «قَمِيصٍ».

وَقَالَت امرأة مِن بَنِي سُلَيْم فِي كَثْرةِ الجَيْشِ وانتِشَارِه[1]:

وَكَانَ إذَا مَا أوْرَدَ الخَيْلَ بِيشَةً ❁ إلى جَنْبِ أشْراجٍ أَنَاخَ فَألْجَمَا

وأرسلَها رَهْوًا رِعَالًا كأنَّها ❁ جَرَادٌ زَهَتْهُ رِيحُ نَجْدٍ فَأَتْهَمَا

وأحْسَن مِن كلِّ حَسَنٍ في عِظَمِ الجيشِ وكَثْرَتِهِ، قَوْل مَالِك بن الرَّيْبِ المازنيِّ[2]:

بِجَيْشٍ لُغَامٍ يَشغَلُ الأرَضَ جَمْعُهُ ❁ عَلَى الطَّير حَتَّى ما يَجْدنَ مَنَازِلا

---

(١) البيتان للخنساء في ديوانها «وهي الخنساء بنت عمرو بن الحارث بن الشريد من بني سليم» وفيه:

وكان إذا ما أقدم الخيل بيشة ❁ إلى هضب أشراك أناخ فألجما

فأرسلها تهوي رعالا كأنها ❁ جراد زفته ريح نجد فأتهما

«شعر الخنساء ص١٨٣» وانظر: «معجم ما استعجم ١/٢٩٣» وقال: «وهذا الشعر يرويه أبو عبيدة لريطة بنت عباس الأصم الرعليّ، ترثي أباها خثعم قتلته، فأدرك بثأرها عباس بن مرداس» وانظر ديوان المعاني ٢/٦٨، والبيت الثاني في اللسان: «رها، زها»، بيشة: واد من أودية تهامة، أشراج: جمع شرج، وهو مسيل الماء من الحرة إلى السهل، رهوا: الرهو هنا السريع وهو من الأضداد. رعالا: جمع رعلة، وهي القطعة من الخيل قدر العشرين، زهته: ساقته.

(٢) انظر غرر الخصائص ص ٣٤١ وفيه:

«بجيش لهام يشغل الطير جمعه ❁ عن الأرض ... ...»

وفي محاضرات الأدباء نسبه إلى المتنبي ولم أجده في ديوانه وفيه «بجيش لهام» ٣/١٥٠ وجيش لغام: أي ذو زبد، وهو من لغام الإبل، ولِهام: يلتهم كل شيء.

والشاعر هو مالك بن الريب المازني التميمي، كان ظريفًا أديبا فاتكا، هرب من الحجاج لأنه هجاه وأصاب الطريق مدة، ثم نَسُك، فأمَّنه بشر من مروان، وخرج إلى خراسان فغزا مع سعيد بن العاص ومات بها «معجم الشعراء ٢٦٥ والشعر والشعراء ٣٥٣».

وَقَال أبو تَمَّامٍ في صِفَةِ الجَيْشِ[1]:

بأرْشَقَ إذْ سَالَتْ عليهم غَمَامَةٌ ❊ جَرَتْ بالعَوالِي والعِتَاقِ الشَّوازبِ

قَوْلُهُ: «سَالَتْ» و«جَرَتْ» مَعْنَاهُمَا وَاحد، وقد كان تَكْفي إحْدَىٰ اللّفظَتَيْنِ مِنَ الأخرىٰ، ولَيْسَ بِعَيْبٍ.

وَقَالَ البُحْتُرِيّ[2]:

إذا انْشَعَبَتْ فِي جَانِبَيْهِ غَمَامَةٌ ❊ إلى بَلَدٍ كَانَتْ دَمًا مُتَدَفِّقَا

وَأَجْوَدُ مِنْ غَمَامَتَيْ أبي تَمَّام والبُحتُرِيِّ قَوْل عَبْدِ اللهِ بنِ عَمرو بن العاص[3]:

غَدَاةَ أَتَى أَهْلُ العِرَاقِ كَأَنَّهُمْ ❊ مِنَ البَحْرِ لُجٌّ مَوْجُهُ مُتَرَاكِبُ[4]

وَجِئْنَا إلَيْهِم في الحَدِيدِ كَأَنَّنَا ❊ سَحَابُ خَرِيفٍ زعزعته الجَنَائِبُ[5]

وَقَال البُحتْرِيُّ[6]:

بِجَمْعٍ تَرى فِيهِ النَّهارَ قبيلةً ❊ إذَا سَارَ فِيهِ والظَّلامَ قَبَائِلا

---

(١) ديوانه: ١/٢٨٤ والتبريزي ١/٢١١، وأرشق: موضع، والشوازب: المضمرات.

(٢) ديوانه: ٣/١٥٠٠.

(٣) هو عبد الله بن عمرو بن العاص، كان اسمه «العاص» فغيّره النبي ﷺ، أسلم قبل أبيه وقَبْل فتح مكة، أذن له الرسول ﷺ، في أن يكتب عنه في حال الغضب والرضا «الإصابة ترجمة: ٤٨٥٠، المغرب في حلىٰ المغرب لابن سعيد الأندلسي ١/٥٤».

(٤) البيتان نسبا لمحمد بن عمرو بن العاص من جملة أبيات في «وقعة صفين» ص٣٧٠ وفيه: «غداة غدا» وانظر: المغرب في حلىٰ المغرب ١/٦٣ والعقد ٤/٣٤٣ ـ ٥/٢٨٤.

(٥) روىٰ صدره في وقعة صفين: «وجئناهم نمشي صفوفا كأننا».

(٦) ديوانه: ٣/١٦٠٢.

أَرَاد: أنَّك ترىٰ النَّهارَ قَبِيلَةً من قَبَائِلِ الجَيْش لعِظَمِهِ، وترىٰ الظلام قَبَائِلًا، كَأَنَّه جَعَلَ الظَّلَامَ مُخْتَلِفَ الأحوالِ في الظُّلْمَةِ يَشْتَدُّ اسوِدَادُه، ويَخِفُّ، بِحَسَب اختلاف أحوالٍ تَعْرِض لِلَّيلِ مِن ريحٍ أو غَمَام، أَوْ تَجَلِّي قَمَرٍ، أو غُيوبِهِ، وأنتَ تَرىٰ اللَّيلَ علىٰ هذه الأحوالِ أَبَدًا، والنَّهارُ حَالُهُ حَالٌ واحدةٌ، لا يقبِضُ البَصَر فِيهِ شيءٌ في حالِ صَحوٍ ولا غَمَامٍ، فَهَذا معنىٰ - إن شاء اللهُ - يَلِيقُ بِالصَّوَابِ، أو يقارِبُهُ.

وَوَجْهٌ آخَرُ أنَّ اللّيل لا يَقْبِض الطَّرْف دَفْعَةً واحِدَةً بَلْ شَيْئًا فَشَيْئًا، حَتَّىٰ يَشْتدَّ سَوادُه إلىٰ أن يمضَي ثُلثُه، وتلك فَحْمَة اللّيلِ، ثُمَّ يَتَجَلَّىٰ إلىٰ ظُلْمَةٍ هي أرقُّ، ويُقَالُ بَلْ العَيْنُ تَأْلَفُ سَوَادَ الليلِ إذا امتدَّ إلىٰ هَذَا الوَقْتِ، فتَقْوىٰ عَلَىٰ إدراكِ ما لم تُكن تُدْرِكُه عند هُجُوم الظُّلمةِ، وَهِي قَرِيبَةُ العَهْدِ بالضَّوْءِ، وهَذَا قَوْلٌ غَيْرُ مَدْفُوعِ الصِّحَّةِ، ثُمَّ إنَّهم يَقُولُون في مَجِيءِ اللّيلِ: جُهْمَةٌ بَعْدَ جُهْمَةٍ، حَتَّىٰ إنَّ بَعْضَهُمْ يَقُولُ أنَّهُ يَرَىٰ الظَّلامَ يتحرَّك [٩٢] عند انحساره ولِهَذَا قَالَ امرؤ القيس:

«ولَيْـــلٍ كمـــوجِ البحـــرِ...»(١)

وَقَال:

فَقُلْـــتُ لَـــهُ لَمَّـــا تَمَطَّـــى بِصُـــلْبِهِ ✤ وأَرْدَفَ أعْجَـــازًا ونَـــاءَ بِكَلْكَـــلِ

وقَال البُحْتُرِيّ(٢):

---

(١) البيت بتمامه:

وليـــلٍ كمَـــوْجِ البحـــر أرخَـــى سُـــدُولَهُ ✤ علـــيَّ بـــأنواعِ الهُمـــوم ليبتَلِـــي

وهو والبيت الذي يليه في ديوانه ص ١٨ وفيه «تمطىٰ بجوزه» أي بوسطه.

(٢) ديوانه: ٢/٩٨٩.

فِـي خَمِـيسٍ كأَنَّمَـا طُرِقُـوا مِنْـ ✤ ـهُ بِلَيْـلٍ، أَوْ صُـبِّحوا بِنَهَـارِ

وَهَذَا حَسَنٌ، والبُحْتُرِيّ مُتَّبِعٌ فِي هَذَا وَغَيْرُ مُبْتَدِعٍ.

وَقَالَ ضَوْءُ بنُ اللِّجْلاجِ الذُّهْلِيُّ[1]:

بِـأَرْعَنَ جَـرَّارٍ كَـأَنَّ زُهَـاءَهُ ✤ دُجَـى اللَّيْـلِ أَلْقَـى جَانِبَيْـهِ فَعَسْكَرَا

وَبَيْتُ البُحْتُرِيّ أَبْرَعُ، لأَنَّه جَمَعَ فِيه اللَّيلَ والنَّهارَ بأَحْسَنِ لَفْظٍ.

وقال أَحْمَرُ بنُ شُجَاعٍ الكَلْبيّ[2]:

بِجَـأْوَاء تُعْشِـي النَّـاظِرِينَ كَأَنَّهَـا ✤ دُجَى اللَّيلِ بَلْ هِيْ مِنْ دُجَى اللَّيْلِ أَكْثَرُ

وَهَذَا إِفْرَاطٌ حَسَنٌ.

وَقَالَ أَبُو نُخَيْلَةَ في وَصْفِ كَتِيبَةٍ يشبِّهُهَا باللّيْلِ:

طَـودٌ جَنَابَـاهُ القِنَـانُ الحُلَّـكُ[3] ✤ مِنهَـا الـدَّجُوجِيُّ ومِنْهَـا الأَرْمَـكُ[4]

---

(١) في الأصل: «الماهلي»، وهو ضوء بن اللَّجْلاج بن عبد الله بن مصبح، أحد بَني عمرو بن الحارث بن سدوس بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة، شاعر فارس «المؤتلف والمختلف ص ٢١٦، ص ٢٦٥»، ولم أقف على البيت، و«زهاؤه» شخصه.

(٢) «المؤتلف والمختلف ص ٤١، والبيت فيه من جملة أبيات وروايته هناك «من دجى الليل أكبر»، والجأواء: صفة للكتيبة من جهة لونها وهو سواد في حمرة، و«هِيْ»، بكسر الهاء وإسكان الياء.

(٣) في الأصل «الكُلَّك»، ولم أعرفها فأثبَتُّ ما هو أقرب إلى المعنى.

(٤) هذا البيت والذي بعده في ديوان المعاني ١١٦/٢، والصناعتين ٤٢٥، والحيوان ١٢٥/٣ «والدجوجى» الشديد السواد المظلم، «الأرمك» ما جاء لونه كالرماد «اللسان دجج، رمك» وطبقات الشعراء ٦٤ «وفيها «كالليل إلا أنها تحرك».

ذا الليـــــلِ إلّا أنّهـــا تحَـــرَّكُ ❊ ... ...

وهذا إحسانُ أبي نُخَيْلَةَ المشهُورُ الّذي يَفُوقُ كُلَّ إحسانٍ. وفي كثرة الجيش وعِظَمِهِ يَقُولُ النَّابِغَةُ الجَعْديُّ:

بـأرْعَنَ مِثْـلَ الطَّـودِ يُحْسَـبُ أنَّهُـمْ ❊ وُقُـوفٌ لأمـرٍ والرِّكَـابُ تُهَمْلِـجُ(١)

وَهَذَا أَيْضًا مِنَ الجَيِّدِ المَشْهُورِ، وَهَو ضِدُّ مَعْنىٰ أبي نُخَيْلَةَ، وكِلَاهُمَا [٨٨ب] بَدِيعٌ في مَعْنَاهُ.

وأنشد إسحاقُ المَوْصِلِيُّ:

كَـــأَنَّهُمْ لَيْـــلٌ إذا اســـتُنْفِرُوا ❊ أَو لُجَّـــةٌ لَـــيْس لَهَـــا سَـــاحِلُ(٢)

وقد أَحْسَن النّجاشِيُّ أيضًا في قَولِهِ(٣):

فَمَـــنْ يَـــر صَـــفَّيْنا غَـــدَاةَ تَلاقَيَـــا ❊ يَقُـــل جَـــبَلَا جَـــيْلان يَنْتَطِحَـــانِ

قَتَلْنَـــا وأَفْنَيْنَـــا ومَـــا كُـــلُّ مَـــا تَـــرَى ❊ بِكَـــفِّ المُـــذَرِّي تَأْكُـــلُ الرَّحَيَـــانِ

(١) تُهَمْلِج: من الهملجة والهملاج: السير الحسن في سرعة وبخترة، والبيت في ديوانه ص ١٨٧ وفيه «وقوف لحاج».

(٢) البيت في الوحشيات من ثلاثة أبيات نسبت إلىٰ أبي الحيال الباهلي ص ٦٤، وقال أستاذنا الشيخ محمود شاكر في هامشه: «هكذا بالياء، وانظر معجم الشعراء للمرزباني ص ٥١٢: أبو الحبال الكلابي بالباء»، والبيتان الآخران رواهما الآمدي في وصف الطعنة ص ٤٧٨ من هذا الجزء.

(٣) هو قيس بن عمرو بن مالك من بني الحارث بن كعب، نُسِبَ إلىٰ أمه، وكانت من الحبشة، وكان شاعرًا هجَّاء مخضرمًا اشتهر في الجاهلية والإسلام أصله من نجران، واستقر بالكوفة «الشعر والشعراء ٣٢٩»، والبيتان في الوحشيات ص ١١٣ وفيه «فمن ير جمعينا ومعتلج القنا»، «أكلنا وأبقينا»، ووقعة صفين ص ٥٢٤، وفيه: «فمن ير خيلينا»، «أكلنا وأبقينا»، ونسبا إلىٰ الأعور الشنّيّ في المؤتلف والمختلف ص ٤٥.

وأَجْوَدُ مِنْ كَلِّ جَيِّدٍ قَوْلُ مُهَلْهِلٍ(١):

كَأَنَّـــا غُـــدوَةً وبَنِـــي أَبِينَـــا ❖ بِجَنْـــبِ عُنَيْـــزَةٍ رَحَيَـــا مُـــدِيرِ

وَقَالَ البُحْتُرِيُّ(٢):

جَـــوٌّ إذا رُكِـــزَ القَنَـــا فِـــي أَرضِـــه ❖ أيْقَنْـــتَ أنَّ الغَـــابَ غَـــابُ أسُـــودِ

وإِذَا السِّـــلَاحُ أضَـــاءَ فِيـــهِ رَأَى العِـــدَا ❖ بَـــرًّا تَـــأَلَّقَ فِيـــهِ بَحْـــرُ حَدِيـــدِ(٣)

وفِي لَمَعَانِ الحَدِيدِ يَقُولُ البُحْتُرِيّ أيضًا(٤):

جَـافِي المَضَـاجِعِ لا يَنْفَـكُّ فـي لَجَـبٍ ❖ يَكَـــادُ يُقْمِـــرُ مِـــن لألائِـــهِ القَمَـــرُ

وَهَذَا ـ لَعَمْرِي ـ مَعنًى حَسَنٌ، وأحَسَنُ مِنْه وأَصَحُّ مَعْنًى قَوْلُ الأَخْنَس بن شِهابٍ التَّغلِبِيِّ(٥):

وجـــأواءَ تُعْشِـــي النَّـــاظِرِينَ كَأَنَّهـــا ❖ إذَا مَـا بَـدَتْ قَـرْنٌ مِـنَ الشَّـمْسِ طَـالِعُ

وَقَد قَالَ المتأخِرُونَ في وَصْفِ السِّلاح ولمَعَانِ الحَدِيدِ مَا يَفوقُ كلَّ حُسْنٍ وصِحَّةٍ، ومِن ذَلِكَ قَوْل سَلْمٍ الخَاسِرِ:

---

(١) البيت من قصيدة له في الأصمعيات ١٥٤.

(٢) ديوانه: ٢/٦٩٩.

(٣) ديوانه: «وإذا السلاح أضاء فيه حسبته».

(٤) ديوانه: ٢/٩٥٨.

(٥) هو الأخنس بن شهاب بن شريق بن ثمامة بن أرقم بن عدي بن معاوية بن عمرو بن غنم بن تغلب أحد الشعراء الفرسان، جاهلي قبل الإسلام بدهر، وهو فارس العصا، «المؤتلف والمختلف ص ٣٠، والاشتقاق ٣٣٦».

وَكَتائـبٍ تُعشِـي العُيُـونَ إذا جَـرَى ❊ مـاءُ الحدِيـدِ عَلَـيْهِم الرِّجـراجُ[1]
وَتَفرَّقَــتْ زُرْقُ الأسِــنَّةِ فِـيهِمُ ❊ تَسْـقِي المنايـا مـا لَهُـنّ مِـزَاجُ
نَزَلَـتْ نُجُـومُ اللَّيْـلِ فَـوْقَ رؤُوسِـهمْ ❊ ولِكُـلِّ رأسٍ كَوْكَـبٌ وَهَّـاجُ[2]

وَحَسْبُكَ بِهَذَا حُسْنًا وَحَلاوَةً.

وقال مُسلِمٌ[3]:

فـي عَسْكَرٍ تَشْرَقُ الأرْضُ الفَضَاءُ بِـهِ ❊ كاللَّيـلِ أنْجُمُـهُ القُضْـبَانُ والأَسَـلُ

وَقَال العَتَّابِيُّ:

تَبْنِـي سَـنَابكُها مِـن فَـوقِ أرؤسِـهم ❊ سَـقْفًا كواكِبُـهُ البِـيضُ المبـاتِيرُ[4]

أَرَادَ بالسَّقْفِ: الغُبَارَ، وَذَهَب إلىٰ قَوْل بشارٍ[5]:

جَعَلْنَـا سَـمَاءً فَوْقَنَـا بِنُجُومِهَـا ❊ سُـيُوفًا ونَقْعًـا يقْـبِضُ الطَّـرفَ أَقْتَمَـا

أو إلىٰ قَولِهِ الذي لا يدَانِيهِ معنًىٰ ولا يتعلّقُ بِهِ، وَهو[6]:

كَـأنَّ مُثَـارَ النّقـعِ فَـوْقَ رؤوسِـنَا ❊ وأسْـيَافَنَا لَيْـلٌ تَهَـاوَى كَوَاكِبُـه

---

(١) كتيبة رجراجة، التي تموج من كثرتها، والرجراج هنا المضطرب.
(٢) هذا البيت في الأغاني ٢١/٨٤ وفيه «ولكل قوم»، وأنه لبشار فأدخله سلم في قصيدته هذه التي يمدح فيها الرشيد.
(٣) ديوانه: ص ٢٥١ وفيه «تُشرِقُ»، بضم المثناة في أوله وكسر الراء المهملة. وفي شرح العكبري لديوان المتنبي «شَرِق» ١/١٢٨.
(٤) أسرار البلاغة ١٥١.
(٥) في ملحق ديوان بشار ٤/١٨٥ وانظر تخريجه هناك، وفيه «خلقنا سماء».
(٦) ديوانه: ١/٣٣٥.

وَلَو قَالَ: لَيْلٌ تضيءُ كَوَاكِبُه، أَوْ تَلُوحُ كَوَاكِبُه، أَو تُنِيرُ، لَكَانَ أَيْضًا قَوْلًا مُسْتَقيمًا، فَلَمَّا قَالَ: تَهَاوَى كَوَاكِبُه، استَوْفَى المعنى بأسرِه، وانتهى إلى غَايةِ التشْبِيه، وكَمَالِ الوصْفِ.

وقال مُحمّد بنُ وُهَيبٍ[1]:

وأرعَنُ فيه للسَّوابغِ لُجَّةٌ ❁ وَسقْفُ سَمَاءٍ أنشأَتْهُ الحَوافِرُ[2]

[٩٣] له فَلَكٌ فَوْقَ الأسِنَّةِ دائِرٌ ❁ ونَقْعُ المنَايَا مُسْتَطِيرٌ وَثَائِرُ[3]

وَلَوْلا أنّ قَصْدِيَ الإجمالُ والاختصارُ، لَأَوْرَدْت فِي هَذَا الباب مِن أَوْصَافِ الجُيُوش والكَتَائِبِ أَكْثَرَ مِمَّا أوردتُهُ، وفِيمَا ذَكَرتُهُ مُقْنِعٌ لَكَ فِي أَنَّ الطَّائِيَّيْنِ قد قَصَّرا عن جَمِيعِ معانِيه، ولم يُبْدِعا فِي البابِ إبدَاعًا يتقدّمانِ بهِ غيرَهُما، ولا يساويانِه، ومن شأنِ المُتَأَخِّر أن يَزِيدَ عَلَى مَنْ تَقَدَّمَ، أو لا يَعْرِضَ للمَعْنَى.



(١) في الأصل «بن وهب».

(٢) البيت والذي يليه من قصيدة له في الأغاني يمدح فيها الحسن بن سهل وفيه «للسوابغ جنّة» «الأغاني ١٧/١٤٤».

(٣) في الأغاني «لها فلك فيه الأسنة أنجم».

ما قالاه في الرَّأيِ والتدبيرِ في الحَرْبِ والمكرِ والخديعةِ والحزمِ وإمضاءِ العَزْمِ

قال أبو تَمَّامٍ في أبي دُلَف[١]:

وَيَومَ أرشَقَ والهَيْجَاءُ قَدْ رَشَقتْ ❁ مِنَ المنيَّةِ رَشْقًا وابِلًا قَصِفَا
فكَانَ شَخْصُكَ فِي إغفالِها عَلَمًا ❁ وَكَانَ رَأْيُكَ فِي ظلمائِهَا سَدَفَا

«وابِلٌ» شَبَّهَهُ بالمَطَرِ، والوابِلُ: الشَّدِيدُ.

وقَولُهُ: «في أَغْفَالِها» أي: المَوَاضِعُ الخَالِيَةُ من الفُرسَانِ وأَهْلِ الحِمَايةِ، أو: في المواضِعِ التي يُخْفِي فِيها الفُرْسَانُ أنفُسَهم لِشدَّة الأمرِ.

وَقَوْلُه: «وكَانَ رأيُكَ في ظَلمَائِها سَدَفَا» والسَّدَفُ: اختلاطُ الضَّوءِ بالظُّلْمَةِ، ولِهَذَا يُذكَرُ في الأضدَادِ، فيُجْعَلُ مَرَّةً الضَّوْءَ، ومَرَّة الظُّلْمَةَ، وَلوْ جَعَل رأيَهُ كالنّهارِ، كان أجودَ على مَذْهَبِهِ، ولكن قد يُسْتَعمَلُ في هَذَا أن يُقَالَ: قد وضُحَ هَذَا الأمرُ كالفَجْر، وقَدْ بَانَ كالفَجْرِ، والسَّدَفُ: هُوَ وقْتُ الفَجرِ وبَعْدَهُ أيْضًا، ولكنَّ لَفْظَةَ الفَجْرِ في هَذَا أجودُ مِنَ السَّدَفِ وأحسَنُ.

وقَالَ في أبي سَعِيدٍ[٢]:

وصَلَيبُ القَنَاةِ والرَّأيِ والإِسـ ❁ ـلامِ، سَائِلْ بذاك عنه الصَّليبَا

---

(١) ديوانه: ٢/٥٦ وشرح التبريزي ٢/٣٦٧ وفيهما «في يوم».

(٢) ديوانه: ١/٢٠٣ وشرح التبريزي ١/١٦٢، ١٦٨.

حَيَّــةُ اللّيــلِ يُشــمِسُ الحَــزْمُ فِيــهِ ❁ حِينَ فَـاءَت شَـمسُ النَّهـارِ الغُرُوبَـا[١]

قَوْلُهُ: «صَليبُ القَناة» يُريدُ رُمْحَه، وليس يُريدُ صُلْبَهُ وظَهْرَهُ، ولو كانَ أرادَ ذَلِك لما كان مَدحًا.

و«صليبُ الرَّأيِ» جَائِزٌ سائِغٌ، و«صَليبُ الإسلام» [فيه[٢]] قُبْحٌ لأنَّه غَيْرُ مُسْتَعْمَلٍ، ولكنَّ المَنْسوقَ قد يُحْمَلُ علىٰ نُسِقَ عليه، إذا كان مقاربًا[٣] له.

وقولُهُ: «يُشْمِسُ الحَزمُ فيه» أي: يُضِيءُ ويَسْتَنِيرُ، كأَنَّهُ يُرِيدُ أَنَّه يَظْهَرُ صَوابُهُ.

وَقَوْلُهُ: «حين فَاءَتْ شَمْسُ النَّهارِ غُروبَا» أي: يُشْرِقُ حَزْمُه حَتَّىٰ يُضِيءَ لِنُورِهِ اللَّيلُ[٤].

وقال في هذه القصيدةِ[٥]:

سَــكَّنَ الكَيْــدَ فــيهِمُ إنَّ مــن أعْــ ❁ ظَــم إرْبٍ أَلَّا يُســمَّى أَرِيبَــا

مَكْــرُهُمْ عِنــدَهُ فَصــيحٌ وإن هُــمْ ❁ خَــاطَبوا مَكْــرَهُ رَأَوْهُ جَلِيبَــا

---

(١) ديوانه والتبريزي: «إن أرادت شمس النهار الغروبا».

(٢) ساقطه من الأصل والتصحيح من النظام.

(٣) الذي نقله ابن المستوفي في النظام جـ ١ لوحة (٨٣) من تعليق الآمدي فيه زيادة عما ورد هنا وهي قوله: «كثيرًا ما يقولون: فلان صُلْبٌ في دينه، قويٌّ شديد، أما إذا لم يستعمل مع لفظة الإسلام فنعم وفيه نظر، وإن كان الدين هو الإسلام، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾».

وهذا ساقط من نسختنا الوحيدة.

(٤) قال أبو العلاء: «تقول العرب حَيَّة الوادي وحَيَّةُ الجبل، فأما حيّة الليل فيجوز ألا يكون أحدٌ استعملها قبل الطائي»، التبريزي ١٦٨/١، ونقل ابن المستوفي تعليق الآمدي السابق لوحة (٨٥).

(٥) ديوانه: ٢٥٣/١ وشرح التبريزي ١٦٤/١ وفي ديوانه: «ساكن الكيد».

قَولُهُ: «سَكَّنَ الكيدَ فِيهم» أي: أخْفَاهُ، و«سَكَّنَ» لا يَنُوبُ منابَ «أخفَىٰ» ولا يُسْتَعْمَلُ أَيْضًا في هذا المَوْضِعِ.

ثمّ قالَ: «إنّ من أَعظمِ إرْبٍ ألّا يُسمَّىٰ أريَبا» و«الإرْبُ»: الدَّهاءُ، يُرِيدُ أَنَّهُ لَمّا أَخْفَىٰ كَيْدَه، فَقالوا: لَأَكِيدَ لَهُ، فقالَ: إنَّ من أَعْظَمِ إرْبٍ، أَيْ: من أَعْظَمِ دَهاءٍ أَلَّا يُسمَىٰ داهِيًا، أي: إنَّ من أَعْظَم دَهائِه أن يُخْفِيَ كَيْدَهُ فلا يَظُنُّوا به الدَّهاءَ.

ثمّ قال: «مَكْرُهم[1] عِندَه فَصيحٌ» أي: ظَاهِرٌ بَيّنٌ.

«وإن هُمْ خَاطَبوا مَكْرَه رَأوهُ جَلِيبا» يُرِيدُ: أَعْجَمِيًّا مَجْلوبًا، فجَعَل المَكرَ يُخاطب، وجعلَه أعجميًّا، ودلَّ علىٰ عُجْمَتِهِ بالجَلَبِ، وما أظنُّ أبالعِبَرِ لو تَعمَّل للسُّخْفِ كانَ يَنْتَهي إلىٰ هذا الحَدِّ[2].

وقال في أبي سعيد[3]:

كادَتْ تُحَلُّ طُلاهُمْ من جَماجِمِهِمْ ❊ لَو لَم يَحُلُّوا بِبَذْلِ الحُكْمِ ما عَقَدُوا
لَكِن بَذَلْتَ لهم رأى ابنِ مُحْصِنَةٍ ❊ يَخَالُهُ السَّيفُ سَيْفًا حين يُجْتَهَدُ[4]

قولُهُ: «يَخالُهُ السَّيفُ سَيْفًا» من إغراقِه المَعْروفِ الذي لا حلاوةَ لَهُ ولا تَحصيلَ فيه.

وقال البحتريُّ في عليِّ بنِ مُرٍّ[5]:

---

(١) في الأصل «مكره».

(٢) نقل ابن المستوفي تعليق الآمدي السابق علىٰ البيتين في النظام لوحة ٨٣.

(٣) ديوانه: ٤٢٨/١؛ وشرح التبريزي ٢/٢٠.

(٤) ديوانه والتبريزي «ندبت». وفيهما: «يَجْتَهِدْ» بالبناء للمعلوم، وقال: والأحسن أن يكون يَجْتَهد ها هنا: للسيف، لأنه أبلغ في المدح.

(٥) ديوانه: ٩٥٦/٢.

إذا ارْتَقى في أعالِي الرَّأيِ لاحَ لَهُ ❊ ما في الغُيوبِ التي تَخْفى فَتسْتَتِرُ
توسَّطَ الدَّهْرَ أحْوالًا، فلا صِغَرٌ ❊ عن الخُطوبِ التي تَعْرُو، ولا كِبَرُ
كالرُّمحِ أذْرُعُه عَشْرٌ وواحِدَةٌ ❊ فليسَ يُزْرِي بهِ طُولٌ ولا قِصَرُ[1]
مُجَرِّبٌ طالمَا أَشْجَتْ عزائِمُهُ ❊ ذَوي الحِجَا، وهو غِرٌّ بَيْنَهم غُمُرُ
آراؤُه اليومَ أسيافٌ مُهنَّدَةٌ ❊ وكانَ كالسَّيفِ إذ آراؤُهُ زُبَرُ

قوله: «آراؤُهُ اليومَ أسيافٌ مُهنَّدَةٌ» أي: ماضيَةٌ، لأنَّه قَدْ كَمُلَ في عَقْلِه وتَجارِبِه، فكانَ في نَفْسِه كالسَّيفِ، «إذْ آراؤُه زُبَرٌ»، أي: لم تطبع، يُرِيدُ: لم يُسْتَكْمَلْ، يقولُ: أنَّه اليومَ يُمضِي الأمورَ بآرائِهِ بِحِنْكَتِه وتَجْرُبَتِه، وكان قبل الحِنْكَةِ والتَّجْرُبَةِ يُمْضيها بِمُباشَرَتِهِ إيَّاها بِنَفْسِهِ بِشَجاعَتِه وإقدامِهِ.

[٩٤] وقال أبو تَمَّام في عُمَر بنِ عَبْد العَزيز الطَّائيّ[2]:

نِعْمَ الفتى عمرٌ في كُلِّ نائِبَةٍ ❊ [نَابَتْ] وقلَّ لَهُ «نِعْمَ الفَتَى عُمَرُ[3]»
مُجرِّدٌ سَيْفَ رَأْيٍ من عَزيمَتِهِ ❊ للدَّهْرِ صَيْقَلُهُ الإطْرَاقُ والفِكَرُ
عَضْبًا إذا سَلَّهُ في وَجْهِ نَائِبَةٍ ❊ جاءَتْ إليْهِ صُروفُ الدَّهْرِ تَعْتَذِرُ

يريد: مُجَرِّدٌ للدَّهْرِ سيفَ رأيٍ، وهذه مبالغَةٌ في غايَةِ الحُسْنِ والجَوْدَةِ والحلاوةِ.

وقال البحتريُّ في أبي سعيد[4]:

---

(١) في الأصل: «عشر واحدة».
(٢) ديوانه: ٥٣٣/١ وشرح التبريزي ١٨٨/٢.
(٣) ما بين القوسين ساقطة من الأصل، وفي التبريزي: «وقلت له».
(٤) ديوانه: ١٦٠١/٣ «الناطلوق»: موضع ذكره أبو تمَّام في شعره، وقال شارح ديوان البحتري: الأناضول. «راجع ١٤٦٩/٣».

يَبيـــتُ وراءَ «النَّــــاطُلُوقِ» ورَأْيُــــهُ ❊ يَجُزُّ بأقْصى «السَّيْسَجانَ» المَفاصِلَا[1]
إذا اســودَّ فيــه الشَّــكُّ كــان كَواكِبًــا ❊ وإن سَــارَ فيــه الخَطْــبُ كــان حَبـائِلَا

«النَّاطُلُوق»: بِبَلدِ الرُّومِ، و«السَّيْسَجانُ»: من بِلادِ المَشْرِقِ، أَظُنُّه من «سِجِسْتَانَ»، أرادَ أنَّه إذا كان غَازِيًا، فإنَّهُ لا يَغْفُلُ ما بَعُدَ عَنه من الأمورِ التي وُكِلَتْ إليه، وعُوِّلَ فيها على رأيِهِ، وهذا مَعنًى حَسَنٌ جِدًّا.

وقالَ في أبي سعيدٍ، يَذكُر كَيْدَه وتَدْبِيرَه في الظَفَرِ بِبُقْرَاطَ بِن أَشُوطَ[2]:

بتَــدبِيرِكَ المَيْمُــونِ أُغْلِــقَ كَيْــدُهُ ❊ [عَلَيــهِ]، وكَلَّــتْ سُــمْرُهُ وبَــواتِرُهْ
وطَيِّــكَ سِــرًّا لــو تَكَلَّــفَ طَيَّــهُ ❊ دُجَـى اللَّيْـلِ عَنَّـا، لـم تَسَـعْهُ ضَـمائِرُهْ

وهذا هُو التَّدبِيرُ والكَيْدُ الصَّحيحُ، لا قولُ أبي تَمَّامٍ:

«سَـــــكَّنَ الكيــــدَ فِــــيهم»

وقَولَهُ: «مَكْرُهُمْ عِندَه فَصِيحٌ».

وقال في أبي سعيد[3]:

فــي عــارضٍ يَــدِقُ الــرَّدى أَلْهَبْتَــهُ ❊ بصَــــوَاعِقِ العَزَمــــات والآرَاءِ

---

(١) في الأصل «السّجسجان» وانظر تعليق الآمدي. و«السيسجان»: بلدة بعد «أران» افتتحها حبيب بن مسلمة، وذلك في أيام عثمان بن عفان ﷺ. «ياقوت».

(٢) ديوانه: ٨٧٩/٢ والذي ظفر ببقراط بن أشوط ـ وهو «بطريق البطارقة» في أرمينية ـ هو يوسف بن محمد، وهو ابن أبي سعيد محمد بن يوسف «انظر ابن الأثير أخبار سنة ٢٣٧، والطبري ١٨٧/٩ دار المعارف». وبقراط بن أشوط هو بطريق البطارقة بأرمينية، خرج يطلب الإمارة فأخذه يوسف بن محمد وقيده، وبعث به إلى باب الخليفة، فأسلم بقراط وابنه. وما بين الحاصرتين ساقط من الأصل.

(٣) ديوانه: ١٢/١.

العارِضُ: السَّحابُ، وإنَّما يُرِيد الجَيشَ.

«يَدِقُ الرَّدىٰ»: يَذْري[1] الرَّدىٰ ويُمْطِرُه، من الوَدْقِ: وهو القَطْرُ إذا أَرسَلَهُ السَّحابُ. والوَدِيقَةُ: شِدَّةُ الحَرِّ، لِدُنُوِّ الشَّمْسِ من سَمْتِ الرُّؤوسِ.

وقال[2]:

عَزَماتٌ يُضِئْنَ دَاجِيَةَ الخَطْـ ❊ ـبِ، وإن كُنَّ من وراءِ حِجَابِ[3]
يَتَوقَّدْنَ والكواكِبُ مُطْفَا ❊ ةٌ، ويَقْطَعْنَ والسُّيوفُ نَوابِ

وقال البُحْتُرِيُّ[4]:

حتى إذا كادَتْ مَصابِيحُ الدُّجى ❊ تَخْبُو وكادَ مُمَرُّةٌ يَتَقَضَّبُ[5]
ضَرَب الجِبالَ بِمِثْلِها من رَأيِهِ ❊ غَضْبانَ يَطْعَنُ بالحِمامِ ويَضْرِبُ

وقال في أبي سعيد[6]:

ثُمَّ فَرَّقْتَ من كتائِبِ آرا ❊ ئك جُنْدًا لا يَأْخُذونَ عطَاءَ[7]
بَينَ ضَرْبٍ يُفَرِّج الهامَ أَنْصَا ❊ فًا، وطَعْنٍ يُفَرِّجُ الغَمّاءَ[8]
وَيَودُّ العَدوُّ لَو تُضْعِفُ الجَيْـ ❊ ـشَ عَلَيهِمْ وتَصْرِفُ الآراءَ[9]

---

(١) كذا في الأصل
(٢) ديوانه: ١/٨٥.
(٣) ديوانه «ولو كان من وراء حجاب».
(٤) ديوانه: ١/٧٥.
(٥) ديوانه: «مصابيح الهدىٰ»، المُمَرُّ: من المريرة وهي الحبل الشديد الفتل، يتقضب: يتقطع
(٦) ديوانه: ١/١٨.
(٧) ديوانه: «يوم فرقت».
(٨) ديوانه: «يفلق الهام».
(٩) ديوانه: «وبودّ» بالموحدة التحتية.

وقال في الخِضْر بن أحمد التَّغْلِبيِّ[1]:

مُسْتَشارٌ في المُعْضِلاتِ إذا مَا ارْ ❊ تَفَع الخَطْبُ عن نِداءِ وَلِيدِهْ
ومُصيبٌ مَفاصِلَ الرَّأيِ إن حا ❊ رَبَ كانَتْ آراؤُه من جُنودِهْ
قَوَّمَتْ عَزْمَهُ الأصَالَةُ، والرُّمـ ❊ ـحُ يُقيمُ الثِّقافُ من تأوِيدِهْ

وأجودُ من هذا كُلِّه وأَشْبَهُهُ بِوَصْفِ الرَّأيِ قولُ أبي تَمَّامٍ في مَدْحِ أبي دُلَفٍ[2]:

وقد عَلِمَ الأفْشِينُ وهو الذي بِهِ ❊ يُصانُ رِداءُ المُلْكِ عن كُلِّ جَانِبِ[3]
بأنَّكَ لما اسْتَحنَكَ الأَمْرُ واكْتَسى ❊ أَهابِيَّ تَسفِي في وُجوهِ التجَارِبِ[4]
تَجلَّلْتَهُ بالرَّأيِ حتى أرَيْتَه ❊ به مِلْءَ عَيْنَيه مكانَ العَواقِبِ
بأرْشَقَ إذ سَالَتْ عليهم غمامَةٌ ❊ جَرَتْ بالعَوالِي والعِتَاقِ الشَّوازِبِ
نَصَلْتَ له سَيْفَينِ رَأيًا ومُنْصُلًا ❊ وكلُّ كَنَجْمٍ في الدُّجُنَّةِ ثَاقِبِ[5]
وكُنْتَ متى تُهْزَزْ لِخَطْبٍ تُغَشِّهِ ❊ ضَرائبَ أمضى من رِقاقِ المَضارِبِ[6]

وهذا إحسانٌ يجبُ أن يُعْفىٰ لأبي تمَّام من أَجْلِه عن كُلِّ إساءَةٍ.

وقد سَلَكَ البُحْتُرِيُّ هذه السَّبيلَ فقال[7]:

---

(١) ديوانه: ١/٥٩٨.
(٢) ديوانه: ١/٢٨٤ والتبريزي ١/٢١٠.
(٣) ديوانه والتبريزي «جاذب».
(٤) في الأصل: «استحكك»، والتصحيح من ديوانه، وفي شرح التبريزي «اسحنكك».
(٥) التبريزي: «نضدت له رأيين سيفًا ومنصلًا».
(٦) ديوانه «رقاب».
(٧) ديوانه: ١/١٨٣.

إلى صامتيِّ الكَيْدِ لو لَمْ يَكنْ لَهُ ❖ قَريحةُ كَيدٍ لاكْتَفى بالتَّجارِبِ[1]
عَلِيمٌ بما خَلْفَ العَواقِبِ إنْ سَرَتْ ❖ رَوِيَّتُهُ فَضْلًا بما فِي العَواقِبِ
وصَيْقَلُ آراءٍ يَبِيتُ يَكرُّها ❖ ويَشْحَذُها شَحْذَ المَدى للنَّوائِبِ[2]
تُحَرِّقُ تَحريقَ الصَّواعِقِ أُلْهِبَتْ ❖ بِرَعْدٍ، وتَنْقَضُّ انْقِضاضَ الكَواكِبِ[3]

وهذا ـ لعَمْري ـ جَيِّدٌ بَالِغٌ، ولكِنَّه يَقْصُرُ عن قَولِ أبي تَمَّامٍ.

والذي هُو في غَايَةِ الجَوْدَةِ، قَوْلُهُ في أبي نَهْشَل بن حُمَيْدٍ[4]:

إذا ما رَمى بالرَّأيِ خَلْفَ أَبِيَّةٍ ❖ مِنَ الأمْرِ يَومًا أدْرَكَتْهُ مَكائِدُهْ[5]
لَهُ فِكَرٌ بينَ الغُيوبِ إذا انْتَهى ❖ إلى مُقْفَلٍ مِنْها فَهُنَّ مَقالِدُهْ
صَواعِقُ آرَاءٍ لَو انْقَضَّ بَعضُها ❖ على «يَذْبُلٍ» لانْقَضَّ أو ذَابَ جَامِدُهْ

وحَسْبُكَ بهذا جودةً.

وقال البحتريُّ أيضًا في «الفتحِ» وهو من فَاخِرِ كَلامِهِ[6]:

بَعِيدُ مَقِيلِ السِّرِّ لا يُدْرِكُ التي ❖ يُحاوِلُها مِنْهُ الأرِيبُ المُخَادِعُ[7]

---

(١) الصامتي: منسوب إلى صامت من بني عمرو بن طيئ. «الاشتقاق ص ٣٩٦، وجمهرة الأنساب ص ٤٠٤».
(٢) ديوانه: يكدها.
(٣) ديوانه: «يحرق... وينقض».
(٤) ديوانه: ٥٨٣/١.
(٥) ديوانه: «مصائده».
(٦) ديوانه: ١٣٠٥/٢.
(٧) ديوانه: «لا يقبل».

ومُكْتَتِمُ التَّدْبِيرِ لَيْسَ بِظَاهِرٍ ✤ على طَرْفِهِ الرَّأْيُ الذي هو تَابعُ[1]
ولا يَعْلَمُ الأعداءُ من فَرْطِ عَزْمِهِ ✤ متى هُو مَصْبُوبٌ علَيهِم فَواقِعُ
خَلائِقُ ما تَنْفَكُّ تُوقِفُ حاسِدًا ✤ لَهُ نَفَسٌ في إثْرِها مُتَراجِعُ
ولَنْ يَنْقُلَ الحُسَّادُ مَجْدَكَ بَعْدمَا ✤ تَمَكَّنَ رَضْوى واطْمَأَنَّ مُتالِعُ[2]

وقال أبو تمّام في أبي سعيد[3]:

يَقْظَانُ أَحْصَدَتِ التَّجارِبُ عَقْدَهُ ✤ شَزْرًا وثُقِّفَ حَزْمُهُ تَثْقِيفَا
واسْتلَّ من آرائِهِ الشُّعَلَ التي ✤ لو أَنَّهُنَّ طُبعْنَ كُنَّ سُيُوفَا
كَهْلُ الأَناةِ فَتى الشَّذَاةِ إذا غَدا ✤ لِلرَّوْعِ كانَ القَشْعَمَ الغِطْرِيفَا

وقد أحسنَ البحتريُّ في هذا الباب إحْسانًا كثيرًا إلّا أنَّ أبا تمّامٍ فيهِ عِندي أَشْعرُ منه.



---
(١) ديوانه «علىٰ سِرّهِ».
(٢) سبق في ٢/٥٤.
(٣) ديوانه: ٢/٣٨٢ الشذاة: بأس الرجل، القشعم: المسن، الغطريف: الحدث أو السيد «ديوانه وشرح التبريزي».

ما قالاهُ في وَصْفِ الحَرْبِ

قال أبو تمّام(١):

فـي مَعْـرَكٍ أَمَّـا الحِمـامُ فَمُفْطِـرٌ ❁ فـي هَبْوَتَيْـهِ والكُمـاةُ صِيـامُ
والضَّـرْبُ يُقْعِـدُ كُـلَّ قَـرْمٍ كَتيبَـةٍ ❁ شَـرِسِ الضَّـريبَةِ والحُتـوفُ قِيَـامُ(٢)
فَفَصَـمْتَ عُـرْوَةَ جَمْعِهِـم فِيـهِ وقَـدْ ❁ جَعَلَـتْ تُفَصَّـمُ مِـن عُراهَـا الهَـامُ(٣)

«الهَبْوَةُ»: الغَبَرَةُ، وجَعلها هَبْوتَيْنِ، يريد غَبرَة هَؤلاءِ وهَؤلاءِ في الكَرِّ والرُّجوعِ، وقد يَجوزُ أن يَكونَ أرادَ هَبوةً واحِدةً فثَنَّاهَا مَرَّتَين(٤) [!]. و«الضَّريبَةُ» الخُلُقُ والطَّبيعَةُ.

وقال في مدح أبي سعيد(٥):

ويَـومٍ يَظَـلُّ العِـزُّ يُحْفَـظُ وَسْـطَهُ ❁ بِسُـمْرِ العَـوالِي والنُّفـوسُ تُضَيَّـعُ
مَصِيفٌ من الهَيْجَا ومن جَاحِمِ الوَغى ❁ ولكِنَّـهُ مِـن وَابِـلِ الـدَّمْعِ مَرْبَـعُ(٦)

«المَصِيفُ»: هو المَوضِعُ الذي يَصِيفُونَ فيه، و«المَرْبَعُ»: مَنْزِلُهم الرَّبيعِ ووَقْتِ المَطَرِ والخِصْبِ.

---

(١) ديوانه: ٢/٣٧٩ والتبريزي ٣/١٥٦.
(٢) ديوانه: «الضرب، يقعد...» وفيه وفي التبريزي «يُقْعِد قَرْمَ كُلِّ كتيبةٍ».
(٣) ديوانه والتبريزي: «عن».
(٤) كذا في الأصل والصحيح «فثناها»، وكلمة «مرتين» لا محل لها.
(٥) ديوانه: ٢/١٥ والتبريزي ٢/٣٣٠.
(٦) التبريزي «الدم».

وقال أبو تمّام[1]:

وَمَشْـهَـدٍ بـيـن حُكْـم الـذُّلِّ مُنْقَطِـعٌ ❊ صَـالِيه أو بِحِمَـامِ المَـوْتِ مُتَّصِـلُ[2]

ضَـنْكٍ إذا خَرِسَـتْ أَبْطالُـهُ نَطَقَـتْ ❊ فيـه الصَّـوارِمُ والخَطِّيَّـةُ الـذُّبُلُ

لا يَطْمَـعُ المَـرءُ أن يَجْتَـابَ ظُلْمَتَـه[3] ❊ بـالقَولِ مـا لَـمْ يَكـنْ جِسْـرًا لَـهُ العَمَـلُ

قوله: «بين حُكمِ الذُّلِّ» رديءٌ، لأنَّ حُكمَ الذُّلِّ ليس يُرادُ به أشياءَ متفرّقةً، فيَصْلُحُ فيها «بين»، لأنّ حُكمَ الذُّلِّ، والذُّلَّ بِمَنْزِلَةٍ، وكذلِك حكمُ العزِّ والعِزُّ وحُكْمُ الظُّلم والظُّلمُ، وحكمُ العَدْلِ والعَدْلُ، وقد بَيَّنْتُ هذا في بابِ أغَالِيطِه، وهو الجزءُ الثَّاني من جُمْلَةِ كِتَابِ الموازَنَةِ[4].

وليس هذا من اللُّحونِ التي يُتجَاوَزُ في مثلها، مثلُ تَسْكينِ ما يَجِبُ أن يكونَ مَنْصُوبًا، أو تحريكِ ما يَجبُ أن يكونَ سَاكِنًا ونحوِ ذلك، لأنَّ هذا فَسادٌ في اللَّفْظِ، وذلك فسادٌ في اللَّفْظِ والمَعْنىٰ، وكان يَنْبَغِي أن يقولَ: ومَشْهَدٌ بَيْنَ[5] حُكمِ الذُّلِّ وحُكْمِ العِزِّ، لأنَّه قد قالَ: «مُنْقطِعٌ صالِيهِ» يُريدُ فَرارَهُ عن الحَرْبِ، «أو بِحبَالِ المَوْتِ مُتَّصِلُ»، الذي لا يَبرَحُ مكانَهُ حتَّىٰ يُقْتَلَ أو يَظْفِرَ[6].

---

(١) ديوانه: ٢/١٨٥ والتبريزي ٣/١٩.

(٢) «وقال أبو العلاء: يجوز في «منقطع» الرفع والخفض فالخفض علىٰ أنه وصف للمشهد إذ كان الضمير قد رجع إليه في قوله «صاليه»، والرفع علىٰ أن يجعل خبرا «لصالية» قُدّم عليه»، وفي ديوانه والتبريزي «أو بحبال».

(٣) في التبريزي: «غمرته» وفي ديوانه «لجته».

(٤) انظر ١/٤٤٦.

(٥) في الأصل: «أن يقول: حكم الذل...» والزيادة من ١/٤٤٦.

(٦) أخطأ الآمدي في فهم معنىٰ البيت مما أداه إلىٰ تخطئة أبي تمَّام، والمعنىٰ الواضح للبيت أن صالي مشهد الحرب بين حُكم الذل وهو القرار أو الاتصال بحبال الموت بالثبات في الحرب.
وقال المرزوقي في «شرح مشكل شعر أبي تمام ص ١٧»: يريد مشهد حرب بين حكم الذل،=

ثمّ قال:

جَلَّيْتَ والموتُ مُبْدٍ حُرَّ صَفْحَتِهِ ❊ وقد تَفَرْعَنَ في أَفْعالِهِ الأَجَلُ[1]

وقد عابَهُ النَّاسُ بهذا، وقالُوا: اشتَقَّ للأجَلِ ـ الذي هو مُطِلٌّ على النُّفوسِ ـ فِعْلًا من اسم فِرْعونَ، وقد أتى الأجَلُ على نَفْسِ فِرْعَونَ، وعلى كُلِّ فِرْعونٍ، كان على وجه الأرض[2].

وقال[3]:

وإذا كانَ عَارِضُ الموتِ سَحًّا ❊ خَضِلًا بالرَّدى أجشَّ هَزِيما

في ضِرامٍ من الوَغى واشْتِعالٍ ❊ يُحْسَبُ الجَوُّ مِنْهُمَا مَحْمُومَا[4]

«عارِضُ المَوتِ»: سحَابُ المَوْتِ، «أجش»: ذو رَعْدٍ. وقولُهُ: «يُحَسَبُ الجَوُّ مِنْهُما مَحْمُوما» مِمَّا أنْكَرَهُ النَّاسُ عَلَيهِ، وإنَّما ذَهَبَ إلى نَحوِ قولِ امرئِ القَيْسِ[5]:

إذا رَكِبُوا الخَيْلَ واسْتَلأَمُوا ❊ تَحرَّقَتِ الأَرْضُ واليومُ قُرْ

وهذا هو الوصفُ الذي لا شيءَ يَفوقُه، فجعَلَ أبو تَمَامٍ الجوَّ مَحْموماً.

وقال في أبي سعيدٍ[6]:

= أي من ضعف فيه وعجز حكم عليه بالذل منقطع صاليه، أي من صلى به، انقطع وسقط أو يتصل بحبال الموت فينجو من الذل والانقطاع.

(١) ديوانه: «في أقطاره»، والتبريزي: «في أوصاله».

(٢) انظر ١/٤٤٨.

(٣) ديوانه: ٢/٤٠٣ والتبريزي ٣/٢٢٨.

(٤) ديوانه والتبريزي: «تَحْسِبُ ـ يحْسِبُ» بالبناء للمعلوم، والتبريزي: «مهموماً».

(٥) ديوانه: ص ١٥٤.

(٦) ديوانه: ١/٤٢٥ والتبريزي ٢/١٢، وفيهما «الزعاف» بالزاي، وموت زعاف وذعاف وذؤاف=

فِي مَوْقِفٍ وَقَفَ المَوتُ الذُّعافُ بِهِ ❊ والمَجْدُ يُوجَدُ والأَرْواحُ تُفْتَقَدُ

وقال[1] البحتريّ[2]:

وقد كانَ التُّرابُ جَنادِلا

أرادَ أنّ الجَيْشَ طحَنَ الصَّخْرَ بحوافِرِ الخَيْلِ لِكَثْرَتِهِ، حَتّىٰ صارَتْ تُرابًا، وإنَّما أَلَمّ بقولِ زَيدِ الخَيْلِ[3]:

وَمجْرٍ تَضِلُّ البُلْقُ في حَجَراتِهِ ❊ تَرى الأُكْمَ فيهِ سُجَّدًا لِلْحَوافِرِ

وقولُهُ: «وقد كانَ التُّرابُ جَنادِلا»، يُرِيدُ: وقدْ كانَ تُرابُ الفَلَا أيضًا جَنادِلَ، فصيَّرَتْهُ حوافِرُ خَيلِنا تُرابًا قبل هذا الوَقْتِ، أو أنْ يكونَ أرادَ: فاغْتَدىٰ جَنْدَلُ الفَلاةِ تُرابًا، بعد أنْ كانَ جَنادِلَ، أي بعدَ أنْ كانَ بالأَمْسِ جَنادِلَ، وهذا أَشْبَهُ من المَعنىٰ الأوَّلِ، لأنَّ ذَاكَ يُوجِبُ أنْ لم يَكُنْ لِلْفَلا أَصْلًا تُرابٌ الْبَتَّةَ.

وقالَ أيضًا في موضِعٍ آخَرَ في وَصْفِ وَقْعةٍ أَوْقَعَها أبو سعيدٍ أَيْضًا بالرُّوم[4]:

وَهَدَّةِ يَومٍ لابنِ يُوسفَ أَسْمَعَتْ ❊ من الرُّومِ مَنْ بَينَ «الصَّفَا» و«الأَخَاشِب»

أَنْكَرَ النَّاسُ علىٰ مُهْلهِلٍ قَولَهُ[5]:

= وزؤاف: شديد، وفي التبريزي «فالموت يوجد».

(١) الكلام غير متصل بما قبله.

(٢) ديوانه: ١٦٠٣/٣ والبيت فيه:

أدَار رحَاهُ فاغْتدى جَندلُ الفَلا ❊ تُرابًا، وقد كانَ التُرابُ جَنادِلا

وقد سبق البيت في ٢٣/٢ وروىٰ هناك «أدار رجاه».

(٣) سبق البيت في ص ٤٣٣ من هذا الجزء، وروىٰ هناك «بجمع».

(٤) ديوانه: ١٧٨/١ وفيه «ما بين الصفا والأخاشب».

(٥) الأصمعيات ص ١٥٥ وفيه «أسمع أهل حجر» «يُقْدَعُ بالذكور»، وقال أبو العباس الأحول: أول=

فَلَوْلَا الرِّيحُ أَسْمَعَ مَنْ بِحِجْرٍ ❁ صَلِيلَ البَيْضِ تُقْرَعُ بالذُّكورِ

وقيلَ كان بينَ الوَقْعَةِ وبين «حجرٍ» ، ـ وهي قَصَبةُ اليَمامَة ـ مَسيرَةُ عَشْرةِ أَيَّامٍ ، وعلىٰ أنّه قالَ «فَلْولَا الرِّيحُ» ، فجاءَنَا البحتريُّ بما طَمّ علىٰ قَولِ مُهْلِهلٍ ، فزَعَم أنَّ هذه الوقَعةَ بالرُّومِ أَسْمَعَتْ أهلَ مكةَ ، و«الأخاشِبُ»: جِبالُ مَكَّةَ ، وقد اعْتُذِرَ لَه بأنْ قِيلَ: إنّه أرادَ خبَرهَا صارَ إلىٰ أَهْلِ مَكَّةَ ، وكذا أرادَ لا مَحالَةَ.

ومن إفراطِ البحتريِّ قولُهُ في أحمدَ بنِ محمدٍ بن بِسطْام(١):

وكَمْ لكَ في الأمْوالِ من يَومِ وقْعَةٍ ❁ طَويلٍ من الأَهْوالِ فيهِ عَوِيلُها

ومن صَولَةٍ في يَومِ بُؤسٍ على العِدَا ❁ يُهالُ فُؤادُ الدَّهْرِ حين تَصُولُها(٢)

قوله: «يُهالُ فؤاد الدّهر» مثل قول أبي تمّام(٣):

... ... لَسَمِعْنا ❁ لِقُلُوبِ الأيَّامِ مِنْكَ وَجيبَا

جَعلَ هذا لِلدَّهرِ فُؤادًا يُهالُ ، كما جَعلَ ذَلِكَ للأيَّامِ قُلوبًا تَجِبُ.

وقال البحتريُّ في مَدْحِ إسحقَ بن إبراهيمَ(٤):

وَوَقَفْتَ مَشْكُورَ المَكانِ كَرِيمَهُ ❁ والبَيْضُ تَطْفُو في الغُبارِ وتَرْسُبُ

= كذب سمع في الشعر هذا «الأمالي ١٣٤/٢» والذكور: أجودُ السيوف وأيبَسُها.

(١) ديوانه: ١٧٧٨/٣ وقد سبق في ١٩/٢ و٣٤١/٣.

(٢) ديوانه: «يصولها».

(٣) ديوانه: ٢٥٥/١ والتبريزي ١٦٦/١ والبيت:

لو أصَخنا من بعدها لَسَمِعْنا ❁ لِقلوبِ الأيّامِ مِنكَ وَجيبا

(٤) هو إسحاق بن إبراهيم بن الحسن بن مصعب المصعبي الخزاعي بالولاء ، صاحب الشرطة ببغداد أيام المأمون والمعتصم والواثق المتوكل ، وكان وجهًا مقربًا من الخلفاء ذا رأىٔ وشجاعة توفي سنة ٢٣٥ «الطبري ٥٩٢/٨ وما بعدها ، الديارات ص ٣٥ وما بعدها» ، والأبيات في ديوان البحتري ٧٥/١.

مَـــا إنْ تَـــرى إلّا تَوقُـــدَّ كَوكَـــبٍ ❊ مـن قَـوْنَسٍ قَـد غَـابَ فيـه كَوْكَـبُ[1]

فَمُجـــدَّلٌ، ومُرَمَّـــلٌ [و]مُوسَّـــدٌ ❊ ومُضـــرَّجٌ، ومُضَـــمَّخٌ، ومُخَضَّـــبُ

سُـــلِبُوا وأَشْـــرقَتِ الـــدِّماءُ عَلَـــيْهِمُ ❊ مُحْمَـــرَّةٌ، فكـــأَنَّهُم لـــم يُسْـــلَبُوا[2]

وفي نحوِ قَوْلِهِ:

والبَـيْضُ تَطْفُـو فـي الغُبـارِ وتَرْسُـبُ

قوله[3]:

فـــي مَقـــامٍ تَخِـــرُّ فـــي ضَـــنْكِهِ البَيْـــ ❊ ـــضُ علـــى البَـــيْضِ رُكَّعًـــا وسُـــجُودَا

وقال أبو تمَام في إسحقَ بن إبراهيم ـ أَظُنُّهُ في حرب الخُرَّمِيَّةِ[4] ـ:

وقَـــائِعُ أشْـــرَقَتْ مِـــنْهُنَّ جَمْـــعٌ ❊ إلـــى خَيْفَـــيْ مِنًـــى والمَـــوْقِفَيْنِ[5]

ثَـــوى فـــي المَشْـــرِقَيْنِ لهَـــا ضِـــجَاجٌ ❊ أطـــارَ قُلـــوبَ أَهْـــلِ المَغْـــرِبَيْنِ[6]

قوله: «أَشْرَقَتِ مِنْهُنَّ جَمْعٌ» أي: أَضاءَتْ، من الإشراقِ والحُسْنِ، لمَّا

---

(١) ديوانه: «في تونس قد غار فيه كوكب».

(٢) سبق في ٢/١٨.

(٣) ديوانه: ١/٥٩٣، وفي ديوانه «علىٰ البيض».

(٤) وجه المعتصم إسحق بن إبراهيم سنة ٢١٨ لقتال بابك فأوقع بهم في أطراف الجبال «الطبري أحداث سنة ٢١٨»، وجاء في ديوان أبي تمام في أول القصيدة: وقال يمدح إسحاق بن إبراهيم ويذكر إيقاعه بالمحمرة أصحاب بابك، وكانوا تواعدوا إلىٰ موضع علم به، فوقف لهم فيه، فكل من جاء قُتِلَ وحُزَّت أذُنُه، حتىٰ وجِّه إلىٰ المعتصم بستين ألف أذن «التبريزي ٣/٢٩٧».

(٥) ديوانه: ٣/١٦ والتبريزي ٣/٢٩٩ وفيهما «فالموقفين» وجَمْعٌ: اسم لمِنىٰ أو موضع قريب منه، وقال أبو عبيد البكري هو: المزدلفة «معجم ما استعجم ١/٣٩٢»: والخيف: ما ارتفع من المسيل وانحدر من الجبل.

(٦) ديوانه: (ضجيج).

جاءتِ الأَخبارُ والبَشائِرُ بِذَلِكَ ، وقولُهُ: «أطارَ قُلوبَ أَهْلِ المَغْرِبَيْنِ» لمَّا سَمِعُوا بِذَلِكَ خَوفًا ، وهذا كلُّه يَسْتَقِيمُ علىٰ الوجه الذي أراده البحتريّ[1] .

وقال البُحْتُرِيّ[2]:

رَبَّمـــا كُنْـــتُ للأَوانِـــسِ زِيـــرًا ❊ مُسْـــتَهامًا بِكُـــلِّ بَيْضَـــاءَ رُودِ
كَـمْ جَمَعْـتُ الرَّحِيـقَ والرِّيـقَ مِنْهـا ❊ وكِلانَـــا قَتِيـــلُ صِـــنْجٍ وعُـــودِ
وكِلانَـا قــد أحَــدثَ الــرَّاحُ فيــهِ ❊ زَهْـوَ عيسَـى بـنِ خَالـدِ بـنِ الوَليـدِ[3]
فــارِسٌ يِضْــرِبُ القــوَانِسَ بالسَّــيْـ ❊ ـفِ إذا مــا الْتَقَــتْ جِبَــالُ الْحَديــدِ

وقال البُحْتُرِيُّ أَيْضًا[4]:

معـــاقِلُهُمْ سُـــمْرُ القَنَـــا ، وعَتَـــادُهُمْ ❊ شَرِيجَانِ: أَسْيافٌ وقُمْصُ حَدِيدِ[5]
إذا غَمَـراتُ المَـوْتِ أَدِجَـتْ تَكَشَّـفَتْ ❊ بِهِـمْ عـن أُسُـودٍ زُوحِفَـتْ بأُسُـودِ
هُـمُ أَخْمَـدوا نَـارَ العـدُوّ ، وَأَوْقَـدُوا ❊ مـن الحَـرْبِ نـارًا غيـرَ ذَاتِ خُمـودِ
بِشَـهْباءَ مـن مَـاءِ الحَديـدِ كَأَنَّهـا ❊ جِبَالُ «شَرَوْرَى» أُضْرِمَتْ بِوَقُودِ[6]

---

(١) يعنىٰ قوله:

وهــدّة يــوم لابــن يوســف أســمعت ❊ مــن الــروم مــن بــين الصــفا والأخاشــب

(٢) ديوانه: ٢/٨٠٢.

(٣) قال محقق الديوان لم نهتد إلىٰ شخصية عيسىٰ بن خالد بن الوليد ، وقلت: هو عيسىٰ بن خالد بن الوليد من ولد الحارث بن هشام المخزومي ، أبو سعد ، شاعر من أهل بغداد جيد الشعر مدح المأمون وهاجي دعبلا وكان دعبل يَنْفيه ويَسِمُهُ بالدَّعي «معجم الشعراء ٩٨ ، سمط اللآلي ٥٧٨ ، طبقات الشعراء ٢٩٤ ، نهاية الأرب ٩١/٣».

(٤) ديوانه: ٢/٧٧٩.

(٥) ديوانه: «وكنوزهم».

(٦) ديوانه: «لوقود».

تُرِيكَ إذا ما الحَرْبُ غَامَتْ سمَاؤُها ❊ نجومَ صِعَادٍ في سَماءِ صَعيدِ

وهذا حُجَّةٌ في أنَّ الصَّعِيدَ هو التُّرابُ في الآيَةِ(١).

وقالَ أبو تمَّامٍ(٢):

والحَرْبُ تَرَكَبُ رَأْسَها في مَشْهَدٍ ❊ عُدِلَ السَّفِيهُ بِهِ بِأَلْفِ حَلِيمِ(٣)

[٩٧] في سَاعَةٍ لو أنَّ لُقمانًا بِهَا ❊ وهو الحَكِيمُ لكَانَ غَيْرَ حَكِيمِ(٤)

جَثَمَتْ طُيورُ المَوْتِ فِي أَوْكارِها ❊ فَتَرَكْنَ طَيْرَ العَقْلِ غَيْرَ جُثُومِ(٥)

البيتان الأوّلانِ في غَايةِ الجَوْدةِ وصِحَة المَعْنى.

قولُهُ: «جَثَمتْ طُيورُ المَوْتِ في أَوْكَارِها» بيتُ ردِّيءُ القِسْمَةِ رَدِيءُ

(١) يريد قوله تعالى في سورة النساء [آية ٤٣] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُواْ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾.

وقوله تعالى في سورة المائدة [آية ٦]: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾.

وقال ابن كثير: «الصعيد: قيل هو كل ما صعد على وجه الأرض فيدخل فيه. التراب والرمل والشجر والحجر والنبات، وهو قول مالك، وقيل ما كان من جنس التراب الرمل والزرنيخ والنورة وهذا مذهب أبي حنيفة، وقيل هو التراب فقط وهو قول الشافعي وأحمد بن حنبل وأصحابهما» «تفسير ابن كثير ٤٣٣/١».

(٢) ديوانه: ٤٤٥/٢ والتبريزي ٢٦٦/٣ وقد سبقت الأبيات والتعليق عليها في ٤٥٣/١.

(٣) في الأصل: «بألف حكيم» والتصحيح من رواية الجزء الأول ومن ديوانه وشرح التبريزي.

(٤) في الأصل: «وهو حكيم» والتصحيح من ديوانه.

(٥) ديوانه: «طيور الجهل».

المَعْنىٰ، لأنَّه جعلَ طَيْرَ المَوْتِ في أوكارِها جُثُومًا سَاكِنةً لا يُنفرُها شَيءٌ، وطَيْرَ العَقْل غَيْرَ جُثُومٍ، يَعْني أَنَّها قَدْ نُفِّرَتْ فَطَارَتْ، يُرِيدُ طَيرانَ عُقولِهم من شِدَّةِ الرَّوْعِ، وما كانَ يَنْبَغِي أن يَجْعلَ طَيْرَ المَوْتِ جُثومًا في أَوْكارِها، وإنَّما كَانَ الوَجْهُ أن يَجَعلهَا جاثِمَةً علىٰ رُؤوسِهِم، أو وُقَّعًا عليهِم، فأمَّا أن تَكونَ في أَوْكارِها، فإنَّها في السِلْمِ وفي الأَمْنِ في أَوْكارِها أيضًا، وطيرُ العَقْلِ لَيْسَ بِضِدٍّ لِطَيْرِ المَوْتِ، وإنَّما هي ضِدٌّ لِطَيْرِ الجَهْلِ، وطَيْرُ الحياةِ هي الضِّدُّ لِطَيْرِ المَوْتِ، وهذا المَعْنىٰ الذي رَكَّبَهُ عِندي خَطأٌ، وقد بَيَّنْتُهُ فيما قَدَّمْتُ ذِكْرَه من أغَالِيطِهِ.

وقد أساءَ أبو تَمّام في هذا الباب إساءاتٍ كَثيرةٍ، والبحتريُّ فيهِ عِنْدي أَشْعَرُ مِنْهُ.



ذِكْرُ وصفِ رجالِ الحَرْبِ

قال أبو تمّام[1]:

مُسْتَرْسِلينَ إلى الحُتوفِ كأنَّما ❊ بَيْنَ الحُتوفِ وبَيْنَهم أَرْحَامُ

هذا معنًى لَيْسَ بالجيِّدِ، لأنَّ الاسترْسالَ قد يكونُ إلى ذَوي الأرْحامِ وقَد لا يكونُ، وهل العَداوةُ والشِّقاقُ والضَّغائِنُ إلا بين ذَوي الأَرْحامِ.

والجَيّدُ النَّادِرُ في هذا قولُ البُحتريِّ[2]:

تَسَرَّعَ حَتَّى قالَ من شَهِدَ الوَغى ❊ لِقاءُ أعادٍ أم لِقاءُ حَبائِبِ

وَمِثْلُهُ في الجَوْدَةِ بل أَوْكَدُ مِنه قَولُه أَيْضًا[3].

يَمْشُونَ تَحت ظُبا السُّيوفِ إلى الوغى ❊ مَشْيَ العِطَاشِ إلى بُرودِ المَشْرَبِ

ثُمَّ قال بعد هذا ما هو أَحسنُ من كُلِّ حَسَنٍ، وأَصحُّ من كلِّ صِحَّةٍ، وهو قوله[4]:

يَتَراكَمُونَ على الأسِنَّةِ في الوَغى ❊ كالصُّبْحِ فَاضَ على نُجومِ الغَيْهَبِ

فإن كان سَمِعَ قولَ سَلْمٍ الخَاسِرِ[5]:

---

(١) ديوانه: ٢/٣٧٨ والتبريزي ٣/١٠٩.

(٢) ديوانه: ١/١٧٨.

(٣) ديوانه: ١/٨٢.

(٤) المصدر السابق.

(٥) البيت في ديوانه «شعراء عباسيون» جمع غوستاف فون غرنباوم ص ١٠٤ وهو أيضًا في معاهد التنصيص ٤/٢٧.

كأنَّــــه والقَنـــــا دَوانٍ ❊ يَــومٌ علـــى لَيْلَـــةٍ مُغيـــرُ

فَعَلَيْه ـ واللهُ أعلمُ ـ حَذَا ، ولا أَدْرِي أَيُّهُما أحلىٰ وأَبْرَعُ .

وقال بَشَّارٌ[1]:

إذا الحـرب قَامَـتْ بِهِـم شَـمَّرُوا ❊ وكَـــانُوا أَسِـــنَّةَ خِرصَـــانِها

وهذا أيضًا حُلْوٌ في مَعناه .

وأجودُ منه وأحلىٰ قولُ البَرْدَخْتِ الضَّبيِّ[2]:

وأَشْـــجَعُ مِـــن أبـــي شِـــبْلَيْنِ وَرْدٌ ❊ وأَنْفَـــذُ فـــي الكَرِيهَـــةِ مِـــن سِـــنَانِ

وقال البُحتريُّ[3]:

وعَصَـــائِبٍ يَتَهـــافَتُونَ إذا ارْتَمَـــى ❊ بِهِـمُ [الـوَغى] فـي جَـاحِمِ الهَيْجَـاءِ[4]

مِثْـلَ اليَـراعِ بَـدَتْ لـه نَـارٌ وقَـدْ ❊ لَفَّتْـــهُ ظُلْمَـــةُ لَيْلَـــةٍ لَـــيْلاءِ

وهذا أَصَحُّ في المَعنىٰ وأَشْبَهُ من كِلّ ما مضىٰ .

وقال أبو تَمَّامٍ[5]:

حَـنَّ إلـى المـوتِ حَتـى ظَـنَّ جَاهِلُـهُ ❊ بأَنَّـــهُ حَـــنَّ مُشْـــتَاقًا إلـــى وَطَـــنِ

وقد جاءَ البحتريُّ بالوطَنِ في مَوضِعٍ هو أَلْيَقُ به من هَذا المَوْضِعِ ، فقال[6]:

---

(١) محاضرات الأدباء: ١٤٨/٣ والخرصان: الدروع أو الرماح.

(٢) هو عليٌّ بن خالد أحد بني السيد بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة ، والبردخت بالفارسية ، الفارغ الذي لا عمل له ، هاجىٰ جريرًا والكميت «معجم الشعراء ١٣١ ، الشعر والشعراء ٧١٢».

(٣) ديوانه: ١١/١.

(٤) ما بين الحاصرتين ساقطة من الأصل والتصحيح من ديوانه ، وفيه: «في غمرة الهيجاء».

(٥) ديوانه: ٣٥٧/٣ والتبريزي ١٤٠/٤.

(٦) ديوانه: ٢١٥١/٤.

تَسْـمُو إلـى حِلَـلِ العَلْيـاءِ أَنْفُسُـهم ❊ كـأَنَّ أَنْفسَـهَم يَطْلُـبْنَ أَوْطَانَـا

وذَلِكَ لِذِكْرِه حِلَلَ(١) العَلْياءِ.

وقد أتى به أيضًا في موضع ليس بِجَيِّدٍ فيه، وذلك قَوْلُه:

أَلِفُـوا الفِـرَاق كَأَنَّـهُ وَطَـنٌ لَهُـمْ ❊ لَا يَقْرُبُـونَ إِلَيْـهِ حَتَّـى يَبْعُـدُوا(٢)

وقال أبو تَمّامٍ(٣):

رَكُـوبٌ بَأَثْبَـاجِ المَتَـالِفِ عَـالِمٌ ❊ بِـأَنَّ المَعَـالِي بَيْـنَهُنَّ المَهالِـكُ(٤)

مُطِـلٌّ علـى الـرُّوحِ المَنيـعِ كأنّـه ❊ لِصَرْفِ المَنَايا في النُّفوسِ مُشارِكُ(٥)

وهذا من معانِيه الجيادِ، جَعَلهُ شرَيكًا لِلمنايا في القُدْرَةِ على النُّفوسِ. وأبْلَغُ من هذا وأَوْكَدُ وأَلْيَقُ قَوْلُهُ(٦):

لَقيـتَهُمْ والمَنايـا غَيـرُ دَافِعَـةٍ ❊ لِمَـا أَمَـرْتَ بِـهِ والمُلْتَقَـى كَبِـدُ

وقال البحتريُّ في نَحْوه، ومِنْه ـ واللهُ أعلمُ ـ أَخذَ(٧):

إذا الْتَهَبَـتْ فـي لَحْـظِ عَيْنيـهِ غَضْـبَةٌ ❊ رَأَيْـتَ المَنَايـا فـي النُّفـوسِ تُـؤَامِرُهْ

فجَعلَ المنَايا مُطِيعَةً له، تَفْعَل ما يَأْمُرها به، فإن كانَا جَميعًا سَمِعا قولَ

---

(١) حِلَل: جمع «حِلَّة» بكسر الحاء المهملة أي: المنزل.

(٢) ديوانه: ٦٢٧/١.

(٣) ديوانه: ١٦٢/٢ والتبريزي ٤٦٠/٢.

(٤) ديوانه والتبريزي: «دونهنّ».

(٥) ديوانه والتبريزي: «على الآجال حتى كأنه».

(٦) ديوانه: ٤٢٥/١ والتبريزي ١٢/٢ والكَبِدُ: الضيق والشدة.

(٧) ديوانه: ٨٧٨/٢.

سَلْمِ الخَاسِرِ:

[٩٨] كـأَنَّ المنايـا عَـامِلاتٌ بِرَأْيِـهِ ❊ إذا اخْتَلَفَـتْ أَرْماحُـهُ ومَناصِـلُهْ[١]

فمِنْه أَخَذَا، أو أَخَذه أبو تمّامٍ فأَخَذه البحتريُّ منه.

ومثلُهُ قولُ دِعْبِلٍ[٢]:

وتَـرى المنايـا تَحـتَ ظِـلِّ لِوَائِـهِ ❊ طَـوْعَ القَواضِـبِ والوَشِـيجِ الـذُّبَّلِ

وقدْ تَجَاوزَ سَلْمٌ هذا المَعْنىٰ إلىٰ إفْراطٍ فَقَالَ[٣]:

تخشـى المنايَـا حَـدَّ صَـوْلَتِهِ ❊ والجُـودُ عنـدَ عَطائِـهِ بُخْـلُ

فجَعل المنَايا تَخشىٰ حَدَّ صولَته، وجعَل الجُودَ بُخْلا لِعِظَمِ ما يُعْطِي ويِنِيلُ.

وما أحسنَ عَنترَةَ في قَولِهِ[٤]:

إنَّ المنايـا لـو تُمَثَّـلُ مُثِّلَـتْ ❊ مِثْلِـي إذا نَزَلُـوا بِضَـنْكِ المَنْـزِلِ

وقال أبو تَمَّامٍ[٥]:

وسـائِلٍ عـن أبـي حَفْـصٍ فَقُلْـتُ لَـهُ ❊ أَمْسِـك عِنَانَـكَ عَنْـه إنَّـه القَـدَرُ

جَعلَهُ هَا هُنَا القدرَ، أَرَاد أَنَّهُ يَدْفَعُ البُؤسَ ويَصْرِفُهُ، ويَنْفِي العُسْرَ والفَقْرَ، لأَنَّه قالَ بعد هذَا:

---

(١) لم أجده في ديوانه المجموع.

(٢) لم أجده في ديوانه.

(٣) لم أجده في ديوانه.

(٤) ديوان عنترة ص ١٢٠.

(٥) ديوانه: ٥٣٤/١ والتبريزي ١٨٨/٢.

فتًــى تــراهُ فتَنْفِــي العُسْــرَ غُرَّتُــهُ ❊ نَفْيًــا، ويَنْبُــعُ مــن أَسْــرارِها اليُسْــرُ[1]

فَوضَع القَدرَ هَا هُنا بحيثُ أرادَ أَنَّهُ جالِبٌ للخَيْر واليُمْنِ والغِنَىٰ، وليس يليقُ القَدَرُ بهذا الموضعِ، ولو كانَ ذَكرهُ في حَرب، وأنَّه مُنصبٌ علىٰ النُّفوسِ انْصِبَابَ القَدَرِ الذي لا مَردَّ لَهُ، كان ذلك أَليَقَ وأشْبَه، كما قَالَ البحتريّ[2]:

ضَــرَب الجِبــالَ بِمِثْلِهــا مــن رَأْيِــهِ ❊ غَضِــبانَ يَطْعَــنُ بالحِمَــامِ ويَضْــرِبُ

أَوْفــى، فَظَنُّــوا أنَّــهُ القَــدَرُ الــذي ❊ سَــمِعُوا بــهِ، فَمُصَــدِّقٌ ومُكَــذِّبُ

ولكنَّهَ قدْ قَالَ في مَوْضِعٍ آخَرَ وأجادَ وأحْسَنَ[3]:

بِأَسْــمحَ مــن غُــرِّ الغَمــامِ سَــماحةً ❊ وأَشْــجَعَ مــن صَــرْفِ الزَّمــانِ وأَنْجَــدِ

فَفضَّلَهُ في السَّماحةِ علىٰ غُرِّ الغَمامِ، وفي البَأسِ علىٰ صَرفِ الزَّمانِ.

قال أبو تمّام[4]:

رآهُ العِلْــــجُ مُقْتَحِمًــــا عَلَيْــــهِ ❊ كَمــا اقْـتَحَم الفَنــاءُ علــى الخُلــودِ

أخذَه من قول مُسْلِم بنِ الوَليدِ[5]:

مُــوفٍ علــى مُهَــجٍ فــي يَــومِ ذِي رَهَــجٍ ❊ كأَنَّــهُ أَجَــلٌ يَسْــعى إلــى أَمَــلِ

وقد أحسنَ كُلَّ الإحسانِ الذي يَقُولُ[6]:

---

(١) التبريزي: «يمنا».

(٢) ديوانه: ١/٧٥.

(٣) يعني أبا تمّام. والبيت في ديوانه: ١/٤٣١ والتبريزي ٢/٢٤.

(٤) ديوانه: ٤٣٧ والتبريزي ٢/٣٧.

(٥) ديوانه: ص ٩، وقد سبق البيتان في ١/٢٥٢ من الموازنة.

(٦) لم أقف علىٰ قائلهما بعد.

سَريعُ اخْتِلاسِ الرُّوحِ يَغدُو فلا يُرى ❊ بــه البَاسِــلُ العــادِي إليــه بِبَاسِــلِ
كــأنَّ لَــه عَيْنَــا إلــى كُــلِّ مُهْجَــةٍ ❊ تُطــالِعُ أو عِلْمًــا بِطُــرْقِ المَقَاتِــلِ

وقال أبو تمّام[1]:

تنـاولَ الفـوتَ أيـدي المَـوتِ قَـادِرةٌ ❊ إذا تنــاولَ سَــيْفًا مِــنْهُمُ بَطَــلُ

قولُهُ: «تَناوَل الفَوْتُ...» عَويصٌ من عويصَاتِهِ، وهو أَيْضًا مُحالٌ، وإنَّما سَمِع قولَ سَعْدِ بن مالك[2]:

هَيْهَــاتَ حَــالَ المــوتُ دو ❊ نَ الفَــوْتِ وانْتُضِــيَ السِّــلاحُ

«فالفَوْتُ» هو النَّجاةُ، أي: حَالَ المَوْتُ دونَ النَّجاةِ، وهذا صَحيحٌ مُسْتَقيمٌ، فقال: «تناوَلَ الفَوتُ أيدي المَوتِ» وهذا مُحالٌ، لأنَّ النَّجَاةَ لا تَتَنَاوَلُها يَدُ المَوْتِ ولا تَصِلُ إلَيْها، وإلّا لَمْ تَكُنْ نجَاةً، وقد ذَكَرْتُ هذا فيما قَدَّمْتُ ذِكْرَه من أَغاليطِهِ[3].

وقال أبو تمّام[4]:

بَـادِي المُحَيَّـا لأطْـرافِ الرِّمـاحِ فمـا ❊ يُـرى بِغَيْـرِ الـدَّمِ المَعْبُـوطِ مُلْتَثِمـا
يُضْحِي على المَجْدِ مَأْمُونًا إذا اشْتَجَرتْ ❊ سُـمْرُ القَنَـا وعلـى الأرواحِ مُتّهَمـا

---

(١) ديوانه: ١٨٨/٢ والتبريزي ١٨/٣ وقد سبق البيت في ٤٥٠/١.
(٢) البيت من أبيات قالها سعد يعرِّض بالحارث بن عباد بن ضبيعة بن قيس في يوم التحالق أو يوم قضة «انظر شرح الحماسة للتبريزي ٢٩/٢ وما بعدها، والمؤتلف والمختلف ص ١٩٨، والعقد الفريد ٢٢٠/٥».
(٣) انظر ٤٥٠/١.
(٤) ديوانه: ٤٣٥/٢ والتبريزي ١٧٠/٣.

وهذا غايةٌ في الحُسْنِ والصِّحَّةِ، ثمَّ قالَ بَعْدَهُ:

قــد قَلَّصَــتْ شــفَتاهُ مــن حَفِيظَتِــهِ ❖ فَخِيــلَ مــن شِــدَّةِ التَّعْبِـيس مُبْتَسِــمَا

وإنَّما سَمِع قَولَ عَنتَرَةَ(١):

لَمَّــا رأَنِــي قَــدْ نَزَلْــتُ أُرِيــدُهُ ❖ أَبْــدى نواجِــذَهُ لِغَيْــرِ تبسُّــمِ

فَوصفَهُ بِشِدَّةِ الجَزَعِ لمَّا أَقْبل نَحْوَهُ، وذَلِك من أَوْصافِ الجُبنَاءِ لا الأبطالِ، وكذلك قَولُهُ:

قــد قَلَّصَــتْ شَــفَتاهُ مــن حَفِيظَتِــهِ

من قَولِ عَنتَرةَ(٢):

إِذْ تَقْلِصُ الشَّفتَـانِ عن وَضَحِ الفَمِ

وهذا إنَّما يَكونُ من الهَوْلِ والشِّدَّةِ، فجَعلَهُ أبو تَمَّامٍ من الحفَيظَةِ، وهي الغَضَبُ، وقد تَعْرِضُ هذه الحَالُ للغَضْبانِ، غَيْرَ أَنها تُذْكَرُ عِنْدَ الشِّدَّةِ والجَهْدِ والرَّوْعِ، فهذا مَوْضِعُها [٩٩] المَعْروفُ الذي تُسْتَعملُ فيهِ مِنَ الشِّعْرِ.

وقَدْ قالَ ابنُ هَرْمَةَ(٣):

كَـرِيمٌ لَـهُ وَجْهـانِ وَجْـهٌ لِـذي الرِّضَـا ❖ أَسِــيلٌ، وَوَجْــهٌ لِلْكَرِيهَــةِ بَاسِــلُ

والوَجْهُ الأَحْسَنُ قولُ أبي تَمَّامٍ(٤):

---

(١) ديوانه: ص ١٥١.

(٢) ديوانه: ص ١٥٢ وصدره:

ولقد حَفِظْتُ وُصاةَ عَمِّي بالضُّحَى

(٣) ديوانه المجموع: ص ١٦٧ وفيه «للكريهة».

(٤) ديوانه: ٢/٤٢٠ والتبريزي ٣/٢٩٠.

كاللَّيْـثِ لَيْـثِ الغَـابِ إلّا أَنَّ ذَا ❊ فـي الـرَّوْعِ بسَّـامٌ وذاكَ شَـتِيمُ

وقال البُحْتُرِيُّ[١]:

ضَحوكٌ إلى الأَبْطالِ وهو يَـرُوعُهُمْ ❊ ولِلسَّيْفِ حَـدٌّ حين يسطو ورَوْنَـقُ

حيـاةٌ ومـوتٌ واحِـدٌ مُنْتَهاهُمـا ❊ كَـذلِكَ غَمْـرُ المَـاءِ يُـرْوِي ويُغْـرِقُ

وهذا لا شيءَ أحسَنُ منه ولا أَلْطَفُ.

وقال الفرزدقُ[٢]:

إذا الْتَقَـتِ الأَبْطـالُ أَبْصَـرتَ لَوْنَـهُ ❊ مُضِـيئًا وأعنـاقُ الكُمـاةِ خُضُـوعُ

وكان يَنْبغِي أنْ يَقولَ: «وأَلْوانُ الكُماةِ كَاسِفَةٌ».

وأَخذَ المَعْنىٰ منه مَرْوانُ بنُ أَبي حَفْصَةَ وصَحَّحَ قِسْمَتَه فَقال[٣]:

تَمْضِـي أَسِـنَّتُهُ ويُسْـفِرُ وَجْهُـهُ ❊ فـي الـروع عنـد تَغَيُّـرِ الأَلْـوانِ

وقال البُحْتُرِيُّ[٤]:

تَبَسُّـمٌ وقُطـوبٌ فـي نَـدًى ووغًـى ❊ كـالبَرْقِ والرَّعْـدِ وَسْطَ العَـارِضِ البَـرِدِ

وهذا بَيْتٌ رديءُ المَعنىٰ علىٰ ما أَذْكُرهُ، لأنَّه شَبَّه تَبسُّمَه عِنْدَ العَطاءِ بالبَرْقِ، وهذا مَعنىٰ صحَيحٌ مستقيمٌ؛ لأنَّ التَّبسُّمَ يَلوحُ مَعَهُ الثَّغْرُ كما يَلُوحُ البَرْقُ، وإذا كانَ في وَقْتِ العَطَاءِ فإنَّ العَطاءَ يَتْبَعُهُ، كما أنَّ الغَيْثَ يَتْبَعُ البَرْقَ في أَكْثَرِ أَحْوالِهِ.

---

(١) ديوانه: ١٤٩٤.

(٢) ديوانه: ٢/٥٠٩ وفيه «أبصرت وجهه».

(٣) ديوان مروان بن أبي حفصة ص ١٠٦.

(٤) ديوان ١/٥٧٥ والبَرِدُ الذي يُمْطِرُ البَرَدَ «هامش ديوانه».

وشَبَّهَ القُطَوبَ بالرَّعْدِ، وإنَّما كَانَ يَنْبَغِي أن يُشَبِّهَه بالمَرْئِيّاتِ لا بالمَسْمُوعاتِ، والرَّعْدُ إنَّما يُوضَعُ في مَوضِعِ التَّهَدُّدِ والوَعِيدِ.

والقُطُوبُ أَيْضًا في الوَغىٰ لا يَدُلُّ علىٰ شَجاعَةِ الشُّجاعِ، لأنَّ الجبَانَ أيضًا في الحَرْبِ مُقَطِّبٌ مُكَلِّحٌ، فَليْسَ القُطوبَةُ في هذهِ الحَالِ مَدْحًا، كالتَّبسُّمِ في حالِ العَطايا، لأنَّ هذا دَليلُ الكَرَمِ وذاكَ لَيْسَ بِدَليلٍ علىٰ الشَّجاعَةِ، بَلْ دليلُ الشَّجاعةِ التَّبسُّمُ في الحَرْبِ كما قال:

ضَحوكٌ إلىٰ الأَبْطالِ وهو يَروعُهمْ[١]

وكما قال أبو تمّام:

إلّا أنَّ ذا في الرَّوْعِ بَسّامٌ وذاكَ شَتِيمُ

وقد قال بَشَّار[٢]:

إذا ما تَـردّى عَابِسًـا فـاضَ سَـيْفُهُ ✤ دِمَــاءً ويُعْطِــي مَالَــه إنْ تَبسَّــما

قَوْلُه: «إذا مَا تَردّىٰ» أي: تَقَلَّدَ السَّيفَ، وقَوْلُهُ: «عَابِسًا» أي: مِنَ الغَضَبِ، والمُحارِبُ لا يُنْكَرُ منه الغَضَبُ، والغَضْبَانُ يُعبِّسُ وهو آمِنٌ، فَلَيْسَ العُبُوسُ هَا هُنا بِمَدْحٍ، وأمَّا تَقْلِيصُ الشَّفَةِ فأَكثَرُ ما يَعْرِضُ من شِدَّةِ الفَزَعِ، وخَاصَّةً في الحَرْب.

قال أبو تمّام[٣]:

---

(١) في الأصل: «يربعهم»، وهو خطأ.

(٢) لم أجده في ديوانه.

(٣) ديوانه: ٥٢٦/١ والتبريزي ١٧٨/٢، وقد سبقا في ٢٥٣/١.

لُفُــظٌ لِأَخْــلاقِ التِّجَــارِ وإنَّهُــمْ ❊ لِغَــدٍ بمــا ادَّخَــرُوا لَــهُ لَتِجَــارُ[1]
ومُجرّبُــونَ سَــقاهُمُ مِــنْ بَأْسِــهِ ❊ فــإذا لُقُــوا فكــأنَّهمْ أَغْمــارُ

أَخَذَ معنىٰ البَيتِ الأوَّلِ من قَوْلِ الشَّاعِرِ[2]:

يَبيــعُ ويَشْــتَرِي لَهُــمُ سِــواهُمْ ❊ ولكِــنْ بالطِّعَــانِ هُــمُ تِجَــارَ

ولكنّه ذَهبَ إلىٰ غرَضٍ آخرَ فأفسدَ المعنىٰ، وأخذ معنىٰ البيت الثَّانِي قَوْلِ قَطريٍّ بن الفُجاءَةِ، وعَكَسَهُ وكلا المَعْنَيْينِ جَيِّدٌ، وبيتُ قَطرِيٍّ أبْرَعُ وأجودُ لأنَّه قابلَ بين المعنيينِ في نِصْفِ بَيتٍ، وذلِكَ قَوْلُهُ[3]:

ثــمّ أنْثَنَيْــتُ وقَــدْ أَصَبْتُ ولَــمْ أُصَــبْ ❊ جَــذَعَ البَصِــيرة قَــارِحَ الإقْــدَامِ

وذَهبَ البحتريُّ أيضًا في هذا الشِّعرِ إلىٰ ما ذهبَ إليه أبو تمَّام حين عَكَس بَيْتَ قَطَريٍّ ابنِ الفُجَاءَةِ فَقالَ[4]:

مَلِــكٌ لَــه فــي كُــلِّ يَــومِ كَريهَــةٍ ❊ إقْــدَامُ غُــرٍّ واعْتِــزَامُ مُجَــرِّبِ

وقد أَتىٰ أبو تمّامٍ بمِعَنىٰ قَطَرِيٍّ بعَيْنِه فقالَ في أبي سعيدٍ[5]:

كَهْــلُ الأَنَــاةِ فَتــى الشَّــذَاةِ إذا غَــدا ❊ لِلْحَــرْبِ كَــان القَشْــعَمَ الغِطْرِيفَــا

---

(١) ديوانه والتبريزي «لغدا».

(٢) البيت لابن هرمة «ديوان المعاني ٢/٦٥»، ولم أجده في ديوانه المجموع، وقد سبق في ١/٢٥٣.

(٣) حماسة أبي تمَّام بشرح المرزوق ١/١٣٨، وقد سبق في ١/٢٥٣.

(٤) ديوانه: ١/٨١ وقد سبق في ٢/٢٤.

(٥) ديوانه: ٢/٧٧ والتبريزي ٢/٣٨٢، وقد سبق في ١/٢٥٢ وقال الخارزنجي: الشذاة: بأس الرجل ونفاذه والقشعم: المسن، والغطريف: الحدث يقول: يتآنىٰ في الأمور تأني الشيخ ويَعْجِّلُ إلىٰ البأس عجلة الشاب النشيط، فهو المسنُّ الحدث في الحالين «النظام لابن المستوفي حـ ٢ لوحة ١٧٤».

وقال أبو تَمّام وقد ذَكرَ الخَيْلَ[1]:

يَحْمِلْـنَ كُـلَّ مُـدَجَّجٍ سُـمْرُ القَنَـا ❊ بإهابِــه أَوْلـى مـن السِّــرْبَالِ
[خَلـطَ الشَّـجاعةَ بالحَيـاءِ فأَصـبْحا ❊ كالْحُسْـنِ شِـيبَ لِمُغْـرَمٍ بـدَلالِ[2]]

فقوله:

سُمْرُ القَنا بإهَابهِ أَوْلىٰ من السِرْبالِ

إنَّما سَمِعَ قولَ عَنْتَرةَ[3]:

فَشَـكَكْتُ بـالرُّمْحِ الأَصَـمِّ ثِيابَـهُ ❊ لَـيْس الكَـرِيمُ علـى القَنـا بِمُحَـرَّمِ

فَظنَّ أنَّ عَنْتَرَة أرادَ الثِّيابَ نَفْسَها، وإنَّما أرادَ الرَّجُلَ نَفْسَهُ لا الثِّيابَ كما قَال الأَغْلَبُ:

أَوْجَـب حجًّـا فـي ثِيـابٍ دُسْـمِ[4]

أي: في نَفْسٍ كَثِيرَةِ الخَطَايَا [١٠٠] والذُّنُوبِ، فكَنىٰ عن النَّفْسِ بالثِّيابِ، وعن الثِّياب الدُّسْمِ، وهُوَ يُرِيدُ الوَسَخ، ومِثْلُ هَذا مَوْجُودٌ في كَلامِهِمْ، وقد قِيلَ: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾[5] أي: نَفْسَك في بَعْضِ تَفْسير الآيَةِ[6]، وقال أبو تمّام:

---

(١) ديوانه: ٢/٢١٢ والتبريزي ٣/١٣٧.

(٢) سقط هذا البيت من الأصل وسيرد ذكره في تعليق الآمدي، انظر هامش ٤ ص ٤٧٣.

(٣) ديوانه ص ١٥٠.

(٤) هو في اللسان مادة «دسم»، وفيه: «أوذم حجا»، وأوذم أي: أوجب، وقبله:

«لاهُم إنَّ عَامِرَ بن جَهْمِ»

ولم أجده في ديوانه.

(٥) سورة المدثر آية (٤).

(٦) قال مجاهد: «﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ أي نَفْسكَ لَيْسَ ثِيابَه» ابن كثير ٤/٣٨٥ ولطائف الإشارات للقشيري ٣/٦٤٨.

... ... سُمْرُ القَنا ❊ بإهابِـــهِ أَوْلـــى مـــن السِّـــرْبَالِ

مُظْهِرًا لِمخَالَفَةِ عَنْتَرَةَ إلىٰ ما هو أولىٰ عِنده، ولم يَعْلَمْ ما ذَهب إليه عَنْتَرَةُ، وقد بَيَّنَ المَعْنىٰ أبو مِحْجَنِ الثَّقَفِيُّ فقال[1]:

وَمَـا رِمْـتُ حَتَّـى خَرَّقُـوا بِرِمَـاحِهِمْ ❊ ثِيَـابي وَجـادَتْ بالـدِّماءِ الأَبَاجِـلُ[2]

وما أَحسَن ما قَال مَنْصورٌ النَّمَريُّ[3]:

تَـرَى الخَيْـلَ يـومَ الـرَّوْعِ يَطْمـأنَ تَحْتَـهَ ❊ وتَـرْوى القَنـا فـي كَفِّـهِ والمَناصِـلُ
حـلالٌ لأَطْـرافِ الأسِـنَّةِ نَحْـرُهُ ❊ حَـرامٌ عَلَيْهـا مَتْنُـه والكَواهِـلُ

وقد قِيلَ: «فشَكَكْتُ بالرُّمْحِ الأَصَمِّ ثِيابَه» أي: دِرْعُهُ.

وقوله: «خلَطَ الشَّجاعةَ بالحَياءِ[4]». من قَوْلِ لَيْلىٰ الأَخْيَلِيَّةِ:

فَتًـى هـو أَحْيـا مـن فَتـاةٍ حَيِيَّـةٍ ❊ وأَشْـجَعُ مـن لَيْـثٍ بخَفَّـانَ خَـادِرِ[5]

ولكِنَّه مَثَّلَه بمِثَال في غَاية الحَلاوةِ والحُسْن علىٰ ظَاهرِهِ، وهو قَوْلُهُ:

---

(١) هو عمرو بن حبيب بن عمرو بن عمير بن عوف أحد الأبطال الشعراء الكرماء في الجاهلية والإسلام أسلم سنة وهذا كان مولعًا بالشراب، وقد حُدَّ علىٰ شربه الخمر مرات وقصته مع سعد بن أبي وقاص في وَقْعَةِ القادسية معروفة. «طبقات فحول الشعراء ١٨، الأغاني ٢١/١٣٧».

(٢) البيت في الأغاني ٢١/١٤٠ وفيه «خَرَّقوا بسلاحِهم إهابي» و«رِمْتُ»، من رام يُريم إذا بَرِحَ.

(٣) ديوانه ص ١١٥ وفيه «حرام عليها منه متن وكاهل».

(٤) هذا من البيت الذي سقط من الناسخ وأثبته «انظر ص ٤٧٢ هامش (٢)».

(٥) البيت في الأغاني ٢٢٧/١١ وروىٰ هناك:

«وتوبة أحيًا... ... ... ❊ وأجرأ ... ... »

وفي ص ٢٤٣ وروايته فيها: «فتىٰ كان أحيا....»، وفي حماسة البحتري ص ٤٢٤ وفيها «فتىٰ كان أحيا....».

«كالحُسْن شِيبَ لِمُغْرَمٍ بِدَلال» ، فَجعلَ الحُسْن بإزاءِ الحَياءِ ، لأنَّ الحَياءَ يُعَصْفِرُ الوجهَ الجميلَ فَيزيدُه حُسنًا ، وجعلَ الدَّلالَ بإزاءِ الشَّجاعةِ ، ولو قَال: «كالحُسْن شِيبَ لِمُغْرمٍ بِقَسْوَةٍ» ، حتىٰ تكونَ القَسْوةُ بإزَاءِ الشَّجاعةِ ، أوْ «بِسَطْوَةٍ عَلَيْهِ» ، أو «بِظُلْمٍ» أو «تَعَدٍّ» ، كانَ أَكْشَفَ لِلْمَعنىٰ ، ولكنْ لَفْظَةُ الدَّلالِ مع الحُسنِ من أليقِ شَيءٍ بشيءٍ ، علىٰ أنَّ المُدِلَّ يَقْسُو ويَسْطُو ويَتعَدَّىٰ ويَظْلِمُ ، فلا أرىٰ شيئًا أحسنَ من الدَّلالِ في هذا المَوْضِعِ.

وقال أبو تمَّام[1]:

إذا كَانَتِ الأنْفاسُ جَمْرًا لدَى الوَغى ❊ وضَـاقَتْ ثِيـابُ القَـومِ وَهْـيَ فَضـافِضُ
بِحَيْـثُ القُلـوبُ السَّـاكِناتُ خوَافِـقٌ ❊ وَمـاءُ الوُجُـوهِ الأَرْيَحِيَّـاتِ غَـائِضُ
فأَنْـت الـذي تُسْـتَنْطَقُ الحَـرْبُ باسْـمِهِ ❊ إذا جَاضَ عن حَدِّ الأَسِنَّةِ جَائِضُ[2]
إذا قَـبضَ النَّقْـعُ العيـونَ سَـمالَها ❊ هُمـامٌ علـى جَمْـرِ الحَفيظَـةِ قَـابِضُ

قولُهُ: «وأنْتَ الذي تُسْتَنْطَقُ الحربُ باسْمِهِ» ، لَيستَ قِسْمَتُهُ مع عَجزِ البَيْتِ قِسْمَةٌ مُؤْتَلِفَةً علىٰ ظَاهِرِ اللَّفْظِ ، وإنَّما يَأتَلِفُ المَعْنىٰ علىٰ التَّأَوُّلِ ، وكان اللَّفْظُ يَحْسُن في القِسْمَةِ لو قَالَ: «وأَنْتَ الذي تُسْتَنْطَقُ الحربُ باسْمِهِ ، إذا كان اسْمُ غَيْرِكَ يُخْرِسُها ولا يُنْطِقُها» وإنَّما يُرِيدُ: يُورِّيها ويُشْعِلُها ، أو أَنْ يَقولَ:

وأَنْـتَ الـذي يَغْشـى الأسِـنَّةَ مُقْـدِمًا ❊ إذا جـاضَ عـن حَـدِّ المَنيَّـةِ جَـائِضُ

(١) ديوانه: ١/٦٠٣ والتبريزي ٢/٢٩٩.

(٢) التبريزي «جائض مثل حائد، وقالوا: هو يمشي الجَيَّضىٰ، لِضربٍ من المشي يميلُ فيه». وقال جعفر بن علبة الحارثي: «وأنشده في الحماسة»:

ولـم تـذر إنْ جُضـنا مِـنَ المَـوْتِ جَيْضَـة ❊ كـم العمـر بـاقٍ والمـدى مُتطـاولُ

«المحقق».

والقِسْمَةُ الصَّحِيحَة في هذا قولُ البُحْتُرِيّ(١):

إذا خَرِسَ الأبطالُ في حَمَسِ الوَغى ❊ عَلَتْ فوقَ أَصْواتِ الحَديدِ زَماجِرُه

وسائرُ أبياتِ أبي تمّامٍ في غَايَةِ الجَوْدَةِ والصِّحَّةِ.

وقال البُحْتُرِيُّ(٢):

غمامُ حَيًّا ما تَسْتَريحُ بُروقُهُ ❊ وعَارِضُ مَوتٍ ما تَفِيلُ رَواعِدُهْ

تَظَلُّ العَطايَا والمَنايَا قَرائِنًا ❊ لِعافٍ يُرَجِّيهِ وغَاوٍ يُعانِدُهْ

إذا افْتَرقتْ أسْيَافُهُ وَسْطَ جَحْفَلٍ ❊ تَفرَّقَ عَنْهُ هَامُهُ وسَواعِدُهْ

وهذا غَايةٌ في الحُسنِ والصِّحَّةِ، ولو كَانَ أبو تَمَّامٍ القائِلَ لِهَذا لَقَال: «إذا اجْتمَعتْ أسْيافُهُ وَسْطَ جَحْفَلٍ» لِيَكونَ الاجْتِماعُ والتَّفَرُّقُ طِبَاقًا، والبُحْتُرِيُّ لا يَقْصِدُ هَذا في كُلِّ الأَحْوالِ، إنَّما قَصْدُه أَنْ يُجِيدَ اللَّفْظَ والسَّبْكَ.

وقال(٣):

مَزَّقْتَ أَنْفُسَهم بِقَلْبٍ واحِدٍ ❊ جُمِعَتْ قَواصِيهِ وقَلْبٍ أَوْحَدِ(٤)

---

(١) ديوانه: ٢/٨٧٨، والآمدي لا يقبل القسمة التي لا تصح إلا بالتأول، بل يريد القسمة ذات المعنىٰ الظاهر الواضح، ويرىٰ أن المقابلة لا تصح بين «استنطق ـ جاض» والواقع أن القسمة أو المقابلة اللفظية ليست مطلوبة، ولا مقصودة، بل إن أبا تمام أراد أن يصور إقدام وشجاعة ممدوحه في اقتحام الوغىٰ، فالحرب لا يوريها إلا هو عندما يفر منها الجبان، وهذا هو المعنىٰ الذي لا يصح إلا بالأول غير أن الآمدي يدعوه إلىٰ أن يأخذ عفو الأشياء بمعانيها المباشرة، وكأنه بهذا يضرب لأبي تمام المثل للكيفية التي يكون عليها التحسين اللفظي، بحيث يتم الابتعاد عن التعقيد والتأوّل.

(٢) ديوانه: ١/٥٨٥، تفيل: تضعف، وفي ديوانه «لا تفيل».

(٣) ديوانه: ١/٥٤٨.

(٤) ديوانه: «وسيف أوحد».

فـــي فِتْيَـــةٍ طَلَبُـــوا غُبَـــارَكَ إنَّـــهُ ❊ رَهَـــجٌ تَرفَّـــعَ عـــن طَريـــقِ السُّـــؤْدَدِ(١)
كـــالرُّمح فيـــهِ بِضْـــعَ عَشْـــرَةَ فِقْـــرَةً ❊ مُنْقـــادَةً تحـــت السِّـــنانِ الأَصْـــيَدِ(٢)

وهذا في غَايةِ الحُسْنِ والجَوْدَةِ، وتَشْبِيهٌ في غَايَةِ القُرْبِ والحَلَاوةِ.

وقال(٣):

نِعْـــمَ المُفَـــرِّقُ مـــن أَعْنَـــاقِ مَأْسَـــدَةٍ ❊ قـــد الْتَقَـــتْ بِصَـــفِيحِ الهِنْـــدِ تَجْتَلِـــدُ

وهذا بَيْتٌ حُلوُ المَعنى جِدًّا.

وقال أبو تمّامٍ في أبي سعيد(٤):

وفـــــي أَبْرِشْـــــتَوِيمَ وهَضْـــــبَتَيْهَا ❊ طَلَعْـــــتَ علـــــى الخِلافَـــةِ بالسُّـــعودِ
بِضَـــرْبٍ تَـــرْقُصُ الأَحْشَـــاءُ مِنْـــهُ ❊ وتَبْطُـــلُ مُهْجَـــةُ البَطَـــلِ النَّجيـــدِ
وبَيَّـــتَّ البَيَـــاتَ بِعَقْـــدِ جَـــأْشٍ ❊ أَشَـــدَّ قُـــوًى مـــن الحَجَـــرِ الصَّـــلُودِ(٥)
[١٠١] رأوا ليـــثَ الغريفَـــةِ وهـــو مُلْـــقٍ ❊ ذِراعَيْـــهِ جَميعًـــا فـــي الوَصِـــيدِ(٦)
عَلِيمًـــا أن سَـــيَرْفُلُ فـــي المَعَـــالِي ❊ إذا مـــا بَـــاتَ يَرْفُـــلُ فـــي الحَديـــدِ(٧)

---

(١) ديوانه: «نهج».

(٢) ديوانه: «خلف» وقد سبق في ٢/٧.

(٣) ديوانه: ٢/٦٤٧ مأسدة: مكان الأسود، تجتلد: تتضارب.

(٤) يمدح أبا سعيد محمد بن يوسف الطائي. ديوانه: ١/٤٣٨، والتبريزي ٢/٣٨، أبْرِشْتَوِيمُ: جبل بالبذ من أرض موقان من نواحي أذربيجان كان يأوي إليه بابك «معجم البلدان».

(٥) التبريزي: «البَيَاتُ»: أن يُطْرَقَ العَدوُّ ليلًا في مَبِيتِه.

(٦) ديوانه والتبريزي «بالوصيد»، والغريفة: موضع الأسد.

(٧) ديوانه: «إذا هو بات يرفل في الحديد».

قولُهُ: «يَرْفُلُ في المَعالِي» استعارةٌ قَبيحَةٌ، لأنَّه يَحُطُّ المَعالي حتىٰ يَجُرَّها علىٰ الأرض، فتَصيرَ حِينئِذٍ غَيرَ مَعالٍ[1]، ولو استوىٰ لَه أن يقولَ: يَرْفُلُ في السُّؤْدَدِ، أو في المَجْدِ، كان أقلَّ قُبْحًا، ومثلُ هذا قولُه[2]:

سَعى فاسْتَنْزَلَ الشَّرَفَ اقْتِسَارًا ❊ ولولَا السَّعْيُ لم تَكُنِ المَساعِي

وليسَ يَنبغِي للشَّاعرِ ـ إذا لَمْ يُساعِدْهُ الوَزْنُ ـ أن يَعْذُرَ نَفْسهُ، ويَرْكَبَ المُحالَ.

وقال أبو تمّامٍ في مَدْحِ ابنِ أبي دُؤاد[3]:

يُفَرِّجُ مِنْهُمُ الغَمَراتِ بِيضٌ ❊ جِلَادٌ تَحْتَ قَسْطَلَةِ الجِلادِ[4]

لَهمْ جَهْلُ السِّباعِ إذا المَنايَا ❊ تَمَشَّتْ في القَنَا وحُلومُ عَادِ

قَوْلُهُ: «بِيضٌ جِلادٌ» يعني: رِجالًا لا سيوفًا، لِأَنَّ السّيوفَ لا تُوصَفُ بالجِلادِ، وهذا في غَايَةِ الجَوْدَةِ والرَّصَانَةِ، يُقال: جَلِدٌ وجِلَادٌ مَثل كَلِبٌ وكِلابٌ.

وقال في عَبدِ اللهِ بن طاهر[5]:

ويَا أَيُّهَا السَّارِي اسْرِ غَيْرَ مُحاذِرٍ ❊ جِنَانَ ظَلامٍ أو رَدًى أنْتَ هائِبُهْ

فقد بَثَّ عبدُ اللهِ خَوْفَ انْتقامِه ❊ على اللَّيلِ حَتَّى ما تَدِبُّ عقَارِبُهْ

وهذا غايةٌ في النَّجْدَةِ والبَأْسِ وعِظَمِ الهَيْبَةِ.

---

(١) في الأصل: «غير معالي»، بإثبات الياء، وهذه طريقة بعضهم في الكتابة، وانظر ص ٢٨٨ هامش ٢.

(٢) ديوانه: ٢/٢٥ والتبريزي ٢/٢٣٩، وقد سبق في ١/٤٤٨.

(٣) ديوانه: ١/٣٨٢ والتبريزي ١/٣٧٣، وقد سقطت «الحاء» من كلمة «مدح» في الأصل.

(٤) ديوانه والتبريزي: «تُفَرِّجُ عنهم» بالإسناد إلىٰ المخاطب.

(٥) ديوانه: ١/٢٩٥ والتبريزي ١/٢٢٩، وفيه «فيا أيها».

وما وَصَفَ أحدٌ الشُّجاعَ في الحرب بأبلغَ من قَوْلِ زُهَيرٍ[١]:

لَيْـــثٌ بِعَثَّـــرَ، يَصْــطَادُ الرِّجـــالَ إذا ❊ ما اللَّيْثُ كَذَّب، عن أقرانه صَدَقَا[٢]
يَطْعَـنُهُم مـا ارْتَمَـوْا حتـى إذا اطَّعَنُـوا ❊ ضَـارَبَ حتَّـى إذا مـا ضَـارَبُوا اعْتَنَقَـا

والقِتالُ لا يكونُ بأكثرَ من هَذهِ الأحوالِ، فَجَمَعها في بَيْتٍ وَاحِدٍ، وهَذِه بَراعةٌ لا يَقْدِرُ عليهَا الطَّائيانِ ولا أَمْثالُهُما، ولم أَرَهُما وَصفَا أحَوالَ الطَّعْنِ والضَّرْبِ، فإنَّ النَّاس قد تَقدَّموا في هذا البابِ بما بَالغُوا فيه واسْتَقْصَوْا، ومن ذَلكِ قولُ قَيس بنِ الخَطيمِ[٣]:

يُـرى قـائِمٌ مـن دُونِهـا مـا وَراءَهـا

وقولُ قَيسٍ بنِ الخَطيم أيْضًا[٤]:

أَتَتْــكَ المَنايــا مـــن بِـــلادٍ بَعيــدَةٍ ❊ بِمُنْخَـرِقِ السِّرْبالِ عَبْـلِ المَناكِـبِ[٥]
أخـي العُـرْفِ والنَّكْـراءِ يَعْـدِلُ دَفَّـه ❊ بِـأَبِيضَ سَـقَّاطٍ وَراءَ الضَّـرائِبِ[٦]

---

(١) ديوانه ص ٥٠.

(٢) في الأصل: «تعثر»، والتصحيح من ديوانه، وفيه: عثر: قبالة تبالة، وهي بلد في اليمن.

(٣) ديوانه ص ٤٦ وصدره: مَلَكْتُ بها كَفِّي فأنْهَرْت فتْقَها

(٤) البيتان في الأشباه والنظائر منسوبان إلى القتال الكلابي «١/٣٣». ولم أجِدهُمَا في دِيوان قَيْس ابن الخطيم.

(٥) مُنْخَرِق السِّرْبال كِنَايةٌ عن المضاء في الأسفارِ والحُروب، عبل: غليظ.

(٦) يعدل دفة: أي يقيم جانبه وفي الأشباه والنظائر «يَعْلُوكَ وقعة» وقال محققه في الهامش: «أ و ب» بعدك دفه» والتصحيح منا»، ورواية الموازنة أصح.
وسيف سقاط وراء الضرائب: أي يقطعها ويسقط من ورائها حتى يجوز إلى الأرض، وانظر ديوان القتال الكلابي «ص٣٨».

وقال النَّمِرُ[1]:

تَكَــادُ تَحِفْــرُ عَنْــهُ إن ضَــرَبْتَ بِــهِ ❊ بَعْـدَ الـذِّراعينِ والسَّـاقَيْنِ والهَـادِي[2]

وقال آخَرُ[3]:

وفَــــارِسٌ جَلَّلْتُــــهُ ضَـــرْبَةً ❊ فبــانَ عـــن مَنْكِبِــهِ الكَاهِـــلُ

فصـــارَ مـــا بَيْنَهُمـــا رَهْـــوَةً ❊ يَمْشِـــي بِهَـــا الـــرَّامِحُ والنَّابِـــلُ

وقال الفرزدق[4]:

ولـــولَا الحَيـــاءُ زِدتُ رَأسَــكَ هَزْمَــةً ❊ إذا سُــبِرَتْ ظَلَّــتْ جَوانِبُهــا تَغْلــي[5]

بَعيــدَةُ مــا بــينَ الصُّــدوعِ كَأَنَّهــا ❊ رَكِيَّــةُ لقُمــانَ الشَّــبيهةُ بالــدَّحْلِ[6]

ومثلُ هذا كَثيرٌ.

---

(١) هو النمر بن تَوْلب العُكْليُّ شاعر مخضرم عاش عمرًا طويلًا في الجاهلية ولم يمدح أحدًا ولا هجا، وكان جوادًا واسع العطاء كثير القرىٰ، وكان أبو عمرو بن العلاء يسميه «الكَيِّسُ» لجودة شعرهَ ويُشَبَّه شعره بشعر حاتم الطائي، وفي كتاب المُعَمِّرين أنه عاش مائتي سنة «طبقات فحول الشعراء ١٥٩، الشعر والشعراء ١/٣٠٩، الخزانة ١/٣٢١».

(٢) البيت في الشِّعْرِ والشُّعَرَاءِ وفيه: «تَظَلُّ تحفر» وقال: ذَكَر أنَّه قَطَعَ ذلك كُلَّه ثم رَسَب في الأرض حتىٰ احتاج إلىٰ أن يُحْفَر عنه، وهذا من الإفراط والكذب، وانظر نهاية الأرب ٦/٢١٤.

(٣) البيتان من ثلاثة أبيات في الوحشيات منسوبان إلىٰ «أبي الخيال الباهلي» ص ٦٤، وانظر التشبيهات ص ١٠٩ بدون نسبة، والموشح ص ١١٦ بدون نسبة، وعيار الشعر ٧٩، والحيوان الأول في ٣/١٢٦، والثاني والثالث في ٦/٤١٣.

(٤) ديوانه: ٢/٧١٣.

(٥) الهَزْمَة: خسْفُ البئر وقَطْعُ حجرها، السَّبْرُ: قياسُ الجراحة وتَقديرُها.

(٦) رَكِيَّةُ لقمان: بِئْر عظيمة «بنأج» قريبٌ من البحرين «معجم البلدان»، والدَّحْلُ ـ بالدال المهملة ـ: الكَهْفُ، وفي ديوانه «بعيدة أطراف الصدوع»، و«الذَّحل» بالذال المعجمة.

وقال البحتريُّ في أبي مُسْلِم الكَجِّيِّ(١):

إذا ارْتَـدَّ يـومُ الحـربِ لَـيْلًا رَدَدْتَـهُ ❖ نَهـارًا بَـلألاءِ السُّـيوفِ الصَّـوارِمِ

وإن غَلَتِ الأَرْواحُ أَرْخَصْتَ سُوقَها ❖ هنَالِكَ فـي سُـوقٍ مـن المَـوتِ قَـائِمِ

بِضَـرْبٍ يَشـيدُ المَجْدَ فـي كُـلِّ مَوْقِـفٍ ❖ ويُسْـرِعُ فـي هَـدْمِ الطُّلـى والجَمـاجمِ

فَتَصْـرِفُ وَجْـهَ المَجْـدِ أَبـيضَ مُشْـرِقًا ❖ بِوَجْـهٍ مـن الهَيْجَـاءِ أَغْبَـرَ قَـاتِمِ(٢)

وهذا جَيِّدٌ حسنٌ لَفظهُ ومَعْناهُ.

وأقولُ في الموازَنةِ بَيْنَهما: أَنَّهُما جَمِيعًا قد أَحْسنا في هَذا البَابِ وأساءَا، ولكني أُفَضِّلُ أبا تمَّامٍ على البُحْتُرِيِّ لِقَوْلِ أَبي تَمّامٍ(٣):

لَهُـم جَهْـلُ السِّـباع إذا المنَايَـا ❖ تَمشَّـتْ فـي القَنـا وحُلـومُ عـادِ



(١) ديوانه: ١٩٦٨/٣ وفيه أن القصيدة في مدح أبي مسلم بن حميد الطائي، وأبو مسلم الكَجِّي هو إبراهيم بن عبد الله بن مسلم الكَجِّي البصري، كان من أهل الفضل والأمانة ومن حفاظ الحديث له كتاب «السنن»، مات في بغداد وحمل إلى البصرة ومولده فيها، ويُنْسبُ إلى كج «بلدية بخوزستان» «تاريخ بغداد ١٢٠/٦، معجم البلدان كج، كش».

(٢) ديوانه: «فتصرف وجه البيض».

(٣) سبق في ٤٧٧ من هذا الجزء.

ذِكْرُ تَشْبِيهِ الأَبْطَالِ بالسِّبَاعِ

قال أَبُو تَمَّامٍ(١):

آسَادُ مَوتٍ مُخدِرَاتٌ مَالَها ✿ إلا الصَّوارِمُ والقَنا آجَامُ

وقال البحتريُّ(٢):

حَشَدَتْ حَوْلَها سِباعُ المَوالِي ✿ والعَوالِي غَابٌ لِتلْكَ السباعِ

[١٠٢] «المَوالِي» في ذلك الوَقتِ: الأَتراكُ، وهي لَا تَعْمَلُ بالرِّمَاحِ وكَذلِكَ الخَزَرُ(٣) والسُّغْدُ فيما أَظُنُّ.

وقال أبو تمّامٍ في مِثْلِ ذَلِك(٤):

أُسْدُ العَرين إذا مَا الرَّوْعُ صَبَّحها ✿ أو صَبَّحَتْهُ ولكنْ غَابُها الأَسَلُ

كأَنَّهُ أراد إذا أُغِيرَ عَلَيْها أو أَغارَتْ هِيَ.

وقال(٥):

يا يَومَ أَرْشَقَ كُنْتَ رِشْقَ مَنِيَّةٍ ✿ لِلْخُرَّمِيَّةِ صَائِبُ الآجَالِ

(١) ديوانه: ٢/٣٧٨ والتبريزي ٣/١٥٦.

(٢) ديوانه: ٢/١٢٤٤ وسبق في ٢/٣٦.

(٣) الخزر: جيل خزر العيون وهو انقلاب الحدقة نحو اللحاظ، «والسغد» بين بخارى وسمرقند «معجم البلدان».

(٤) ديوانه: ٢/١٨٧ والتبريزي ٣/١٨.

(٥) ديوانه: ٢/٢٠٩ والتبريزي ٣/١٣٥.

أَسرى بَنُو الإسلامِ فيهِ وأَدْلَجُوا ❁ بِقُلوبِ أُسْدٍ في صُدورِ رِجالِ

«أَسْرىٰ» من السُّرىٰ، وَهْو السَّيرُ باللَّيلِ، و«الإدْلَاجُ» أيضًا باللَّيل، وإنَّما أرادَ: «الإدِّلَاجَ» بالتَّشْديد[1]...



(١) هنا خَرمٌ يستمر إلىٰ نهاية «باب تشبيه الأبطال بالسباع» وبداية «باب وصف السيوف» وتتداخل في المخطوطة الجملة الأخيرة مع جملة أخرىٰ في التعليق علىٰ أبيات في وصف السيف.

فِي وَصْفِ السُّيوفِ والرِّماحِ(١)

[وقال(٢) أبو الهول الحميري(٣):

أَخْضَـرُ اللَّـوْن بَـينَ حَدَّيْـهِ مَـاءٌ ❊ مِـن ذُعـافٍ تَمـيسُ فيـه المَنُـونُ
فـإذا مَـا سَـلَلْتَهُ بهَـرَ الشَّمْـ ❊ ـسَ ضياءً فلَمْ تكَـدْ تَسْـبينُ
يَسْـتَطِيرُ الأبْصَـارَ كـالقَبَسِ المُشْـ ❊ ـعَـلِ لا تَسْـتَقِرُّ فيـه العُيُـونُ
وكـأنَّ المَنُـونَ نِيطَـتْ إليـهِ ❊ فهـوَ مِـن كُـلِّ جَانِبَيْـهِ مَنُـونُ]

[وما](٤) يَبْهَرُ الشَّمْسَ ....

ويَزيدُ عَلَيْها في النُّور لا يُشَبَّهُ بالقَبَسِ المُشْعَلِ، ثُمَّ قَالَ: «ما تَسْتَقِرُّ فيهِ العُيونُ»، والقَبَسُ المُشْعَلُ تَسْتَقِرُّ فيه العينُ، ولا تَنْبُو عَنْهُ، ولَا يَعْشِها ضَوؤُه، وقالَ: «المَنُون» ثمَّ كَرَّر القَافِيَةَ فقالَ «مَنونَ» بِغَيْرِ أَلفٍ ولَامٍ، وهذا جَائِزٌ في القَوافِي، ولكنَّ الأحسنَ إذا بَعُدَ ما بَين القَافِيَتين.

ومن المُسْتَحسنِ المُخْتَارِ في وَصْفِ السَّيفِ قَولُ إسحاقَ بن خَلَف

(١) وضعت هذا العنوان اعتمادًا على ما أورده الآمدي في مقدمة باب الشجاعة والبأس.

(٢) هنا خرم أشرت إليه في نهاية الباب السابق، ولعل الله ﷻ يوفقنا فنظفر بنسخة أخرى تكمل هذا النقص.

(٣) بعد دراسة الشرح الوارد بعد الأبيات تيقنت أنه على الأبيات التي أثبتُّها، وهي في وصف الصمصامة «سيف عمرو بن معدي كرب» وتنسب لابن يامين المصري «الوحشيات ٢٨٠، مروج الذهب ٨٣٦/٣، التشبيهات ١٤٢، ديوان المعاني ٥٢/٢، زهر الآداب ٨٣٦/٣، العقد الفريد ١٨٠/١، سمط اللآلي ٦٠».

(٤) زيادة يقتضيها السياق.

البَهْرانِيّ[1]:

أَلْقَــى بجَانِـــبِ خَصْـــرِهِ ❊ أَمْضـى مِـنَ الأَجِـلِ المُتَـاحِ
وكأَنّمـــــا ذَرّ الهَبـــــا ❊ ءَ عليـــه أَنْفـــاسُ الرِّيَـــاحِ

ولكنَّ الذي وَصفَ السَّيف وأبَرَّ فيه علىٰ كُلِّ مُحْسِنٍ مِمَّن تقَدَّم وتأَخَّرَ البحتريُّ في قَوْلِهِ لِمُحمّد بن عليٍّ القُميّ يستهديهِ سَيْفًا[2].

قَـدْ جُـدْتَ بـالطِّرْفِ الجَـوادِ فَثَنِّـهِ ❊ لِأَخيـك مــن أُدَدٍ أَبِيـكَ بِمُنْصُـلِ
يَتَنــاوَلُ الـــرُّوحَ البَعَيـــدَ مَنالُـــهُ ❊ عَفْـوًا، ويَفْـتَحُ فـي القَضـاءِ المُقْفـلِ[3]
بإنَــارَةٍ فـــي كُـــل خَطْـــبٍ مُظْلِـــمٍ ❊ وهِدَايَــةٍ فـــي كـــلِّ نَفْـــسٍ مَجْهَـــلِ[4]
مــاضٍ وإنْ لَــمْ تُمْضِــهِ يَــدُ فَــارِسٍ ❊ بَطَــلٍ، ومَصْــقولٌ وإنْ لــم يُصْــقَلِ
يَغشـى الـوَغى فـالتِّرْسُ لـيس بِجُنَّـةٍ ❊ مــن حَـدِّهِ والـدِّرْعُ لَـيْسَ بِمَعْقِــلَ
مُصْـغٍ إلـى حُكْـمِ الـرَّدَى فـإذا مَضَـى ❊ لـم يَلْتَفِـتْ، وإذا قَضـى لـم يَعْـدِلِ
مُتَوقِّـــدٌ يَبْـــرى بَـــأَوَّلِ ضَـــرْبَةٍ ❊ مــا أَدْرَكَــتْ، وَلَــوَ أَنّهــا فـي يَـذْبُلِ
وإذا أَصــابَ فكــلُّ شَــيءٍ مَقْتَــلٌ ❊ وإذا أُصــيبَ فمــا لَــهُ مــن مَقْتَــلِ

---

(١) هو أبو سعيد إسحاق بن خلف الحنفي البهراني المعروف بابن الطبيب: ونسبه في بني حنيفة لسِبَاء وقع عليه، كان رجلًا شأنه الفتوة، ومعاشرة الشطار، وإيثار أصحاب الطنابير، وكان من أحسن الناس إنشادًا، حبس في جناية، ولم يفارق الحبس حتىٰ مات «الكامل للمبرد ٢/١٩ وانظر فهرسته، طبقات ابن المعتز ص ٢٩١، فوات الوفيات ١/١٦». والبيتان في: والتشبيهات ١٤١ ـ والكامل ٣/٤٨، وفوات الوفيات وقال: وقال المبرد: «وقد قالت الشعراء في رونق السيف ضروبا من الأقاويل ما سمعت فيها بأحسن من هذا» ووردا ناقصين في التمثيل والمحاضرة ص٢٩٢.

(٢) ديوانه: ٣/١٧٤٦.

(٣) انظر تعليق الباقلاني علىٰ هذا البيت في إعجاز القرآن ص٢٣٧.

(٤) ديوانه «حتف مُظلم».

وكأنَّما سُودُ النِّمالِ وحُمْرُها ❊ دَبَّتْ بأيْدٍ في قَرَاهُ وأَرْجُلِ

وكأنَّ شَاهِرَهُ إذا استَضْوى بهِ الزَّ ❊ حْفَانِ يَعْصى بالسِّماكِ الأَعْزَلِ[(١)]

حَمَلَتْ حَمائِلُهُ القَديمَةُ بَقْلَةً ❊ مُذْ عَهْدِ عَادٍ غَضَّةً لم تَذْبُلِ[(٢)]

قوله: «حَمَلَتْ حَمائِلُهُ القَدِيمَةُ بَقْلَةً» من وَحْيِ الشِّعْر[(٣)]، وقَولُهُ: «وكأنَّما سُودُ النمال وحُمْرُها» من قول أَوْسِ بن حَجَر[(٤)]:

كأنَّ مَدبَّ النَّمْلِ يَتَّبعُ الرُّبى ❊ ومَدْرَجَ ذَرٍّ خَافَ بَرْدًا فأَسْهَلا

على صَفْحَتَيْهِ قَبْلَ حِين جَلائِهِ ❊ كَفى بالذي أُتْلو وأَنْعَتُ مُنْصُلا[(٥)]

فقد بَانَ فَضْلُ البُحْتُريِّ في هَذا البابِ على أبي تمّامٍ، وبِهذهِ الأبيات على كُلِّ أَحَدٍ في وَصْفِ السَّيفِ.

وأَحسنُ ما قِيل في وَصْفِ رُمْحٍ قَوْلُ مسكينِ الدَّارِميِّ، ويروى لِسَالِم بنِ قَحْفَانَ[(٦)]:

جَماجِمُنا عندَ اللِّقاءِ تِراسُنا ❊ إلى المَوْتِ نَمْشِي لَيس فِينَا تَجانُفُ

---

(١) ديوانه «.... إذا استعصى به في الروع...».

(٢) يعني هذا السيف الذي لم يتغير.

(٣) قال الباقلاني: «تشبيه السيف بالبقلة من تشبيهات العامة، والكلام الرَّذْل النَّذْل». إعجاز القرآن ٢٤١.

(٤) البيتان في الشعر والشعراء ص ٢٠٥.

(٥) ديوانه: ص ٨٥ وفيه: «كفى بالذي أبلى وأنعتُ» وفي الشعر والشعراء «أنعتَ» بالنصب «انظر هامشه».

(٦) ديوانه ص ٤٥ أما سالم بن قحفان فهو من بني العنبر، انظر «الأمالي ٢/٤، الحماسة للمرزوق ٤/١٥٨١، ١٧٢٦»، والبيتان الثاني والثالث في ديوان المعاني ٢/٥٨.

بِكُـــلِّ رُدَيْنـــيٍّ كـــأَنَّ كُعوبَـــه ❊ قَطًـا نسـقٌ مُسْـتَورِدُ المَـاءِ صَـائِفُ[1]

كـــأَنَّ هِـــلالًا لاحَ فَـــوقَ قَناتِـــهِ ❊ جَلا القَينُ عَنْه والقَتَامَ الحَراجِفُ[2]

لَـــهُ مِثْـــلُ حُلْقُـــومِ النَّعامَـــةِ حَيَّـــةٌ ❊ ومِثْـلُ القُـدامى شَـافَه لـك شَـائِفُ[3]

كأنَّه أرادَ أنْ يقولَ: جَلا القينُ عنه والحَراجِفُ القتامَ، يُقالُ: رِيحٌ حَرْجَفٌ إذا كانَتْ عاصِفَةً شَدِيدَةً، فَقَلبَ اللَّفْظَ.

والقَينُ لا وَجْهَ لَهُ هَا هُنا مع الحَراجِفِ، لأنَّه إنَّمَا يَصِفُ الهِلالَ الذي شَبَّهَ السِّنانَ بهِ، وأنَّ الحَراجِفَ جَلتَ عَنْه القَتامَ حتَّىٰ أضاءَ واسْتَبانَ، والقَيْنُ إنما جَلا السِنانَ لا الهِلالَ.



(١) في ديوانه «قَطًا سابق».

(٢) القَيْنُ: الحَدَّادُ، القتَام: الغبارُ.

(٣) شافَه أي: جَلاهُ.

ما قالاه في وَصْفِ الدُّروع

قالَ أبو تَمامٍ(١):

تَخِـذُوا الحديـدَ مـن الحديـدِ معَـاقِلًا ✤ سُـــكَّانُها الأَرْواحُ والأَجْسَـــامُ

هذا كلامٌ رَائِقٌ وليس لَه مُفَتِّشٌ، لأنّ المَعاقِلَ كُلَّها لو كانَتْ من صَخْرٍ لصحَّتِ الفَائِدَةُ [١٠٣] وكان يقولُ: «تَخِذوا الحَدِيدَ معاقِلًا إذ كانت معاقِلُ غيرهم الحِجارَةَ والشِّيدَ(٢)»، فيكونُ فَضْلُهم علىٰ غَيْرِهم إذْ كَانَتْ معَاقِلُهمُ من حَديدٍ، ومعاقِلُ غَيْرِهم من الأَبْنَيةِ، ولو قَالَ: «تَخِذوا الحديدَ من الحَديدِ معاقِلًا»، وتَمّمَ البَيْتَ بمعنًىٰ آخرَ لَما كانَ ذَلِك مُنْكرًا، إذْ لَيْسَتِ المَعاقِلُ والحُصونُ من حديدٍ.

وَلمَّا قالَ: «سُكانُها الأَرْواحُ والأَجْسامُ» لم يَفِدْنا بهذا الكلام كَبيرَ فَائِدَةٍ، إذِ المعاقِلُ من أيِّ جِنْسٍ كانَتْ لا يكونُ سُكَّانُها إلا الأرواحُ والأَجْسامُ(٣).

والجَيِّدُ النَّادِرُ، والمَعنىٰ الصَّحيحُ في هذا قولُ عبد المَلكِ بن عَبد الرَّحيمِ الحارِثيِّ(٤):

(١) ديوانه: ٣٧٧/٢ والتبريزي ١٥٦/٣.

(٢) الشِّيدُ: كل ما طُلِيَ به من الجصِّ والمِلاطِ.

(٣) نقل ابن الأثير في استدراكه علىٰ ابن الدهان رأي الآمدي هذا، ثم قال: «وليس كما ظَنَّ، فإنه لو لم يَقُلْ: «الأرواح والأجسام» لجاز أن يكون المراد الدروعَ، ولجازَ أن يكون المُرادُ به السيوفَ، لأن كِلَيْهما حديدٌ، لأن لَفْظَة «المَعَاقِل» للدُّرُوعِ والسُّيُوفِ مجازٌ وليست حقيقةً إلا في الحصون خاصةً» «الاستدراك ص ١٢٧»، وعلىٰ الرُّغم من هذا فقد قال الصولي شارحًا البيت: «أي جعلوا سيوفهم معاقل من سيوف غيرهم».

(٤) في الأصل: «الخازني» ولم أجد البيت، وقد سبق ٩/٢ ونسب هناك إلىٰ محمد بن عبد الملك الفقعسي.

ولا لَاقِيًا كَعبَ بنَ عمرٍو يَقودُها ✤ أبو دَهْثَمٍ نَسْجُ الحَديدِ ثِيابُها

فجَعَلَ الحديدَ ثيابًا وهي الدُّروعُ، ولا تُسمَّىٰ ثِيابًا، فأغْرَبَ بِهَذا اللَّفْظِ وأحْسَن، ولو قالَ: «نَسْجُ الحديدِ لِبَاسُها» لما كانت له غَرابَةٌ، وإنَّما أرادَ: قد أَلِفُوها فصَارَتْ لَهُم كالثِّياب، لا كُلْفَة عَلَيْهم فِيها، ونَحْوُه قولُ جَريرٍ[1]:

تَرَدَيْنَا المَحامِلَ قدَ علِمْتُمْ ✤ بِذي لَجَبٍ وكُسْوَتُنا الْحَدِيدُ

قولُهُ: «تَردَّيْنَا المَحامِلَ» أي: جَعلْنَا مَحامِلَ السُّيوفِ علىٰ عَواتِقِنَا في مَوْضِعِ الأَرْدِيَةِ، وقد أَحسنَ جِدًّا.

ومثلُ هذا قَولُ البُحتريِّ[2]:

يَهولُ العِدَى جِدُّهُ في ادِّخَا ✤ رِ قُمْصِ الحَديدِ وأَبْدانِهِ

فَجعلَ الدُّروعَ قُمْصًا.

وقالَ في مثل هذا[3]:

معاقِلُهم سُمْرُ القَنا، وعِتَادهُم ✤ شَرِيجانِ: أَسْيافٌ وقُمْصُ حَديدِ

وأَحْسنُ من هذا كلِّهِ وألطَفُ قولُ البحتريِّ[4]:

مُلوكٌ يَعدُّونَ الرِّماحَ مَخاصِرًا ✤ إذا زَعْزَعُوهَا والدُّروعَ غَلائِلَا

يقول: لا كُلْفَة عَليهِم من حَمْلِ الرِّماحِ، وأنَّها في أَكُفِّهِم مثلُ المَخاصِرِ،

---

(١) ديوانه: ١٦٣، وفيه «بذي نجب».

(٢) ديوانه: ٢٢١٩/٤.

(٣) ديوانه: ٧٧٩/٢، و«شريجان»: قسمان متساويان.

(٤) ديوانه: ١٦٠٣/٣ وقد سبق في ٨/٢.

وهي القُضْبَانُ لِخِفَّتِها عَلَيْهم، واعْتِيَادِهم لِحَملِهَا، ولا ثِقَلَ عَليهم من لِبْسِ الدُّروعِ، وأنَّها عليهم كالغَلائِلِ على الأبدانِ، وأنَّها تُرْفَةُ لِبَاسِهِمْ، كما أنَّ الغَلائِلَ من تُرَفِ اللِّبَاسِ، فهذا هو البديعُ المُفيدُ.

وكذلك قولُ البُحْتُرِيِّ[1]:

ولـم يَـدَّرِعْ وَشْـيَ الحَديـدِ فيَلْتَقِـي ✤ علـى شَـابِكٍ شَـاكِ حَديـدِ أَظـافِرُهْ

فجعل الدُّروعَ كالوَشْي الذي يُزَيَّنُ بِهِ.

وقال البحتريّ[2]:

يَمْشُـون فـي زَغْـفٍ كَـأنَّ مُتونَهـا ✤ فـي كُـلِّ مَعْركـةٍ مُتـونُ نِهَـاءِ

بِـيضٌ تَسِيلُ علـى الكُمـاةِ فُضُـولُها ✤ سَـيلَ السَّـرابِ بِقَفْـرةٍ بَيْـداءِ

وإذا الأَسِـنَّةُ خالَطَتْهـا خِلْتَهـا ✤ فِيهـا خَيـالُ كَواكِـبٍ فـي مَـاءِ

وهذا من إحسانه المشهور.

قَوْلُهُ: «سَيْلَ السَّرابِ» يُريدُ إضاءَةَ الدُّروعِ ولَمَعانَها، شَبَّهَهَا بالسَّرابِ، لِأَنَّه يَطَّرِدُ كاطِّرادِ المَاءِ، وشَبَّه الأسِنَّةَ فيهِ بالكَواكِبِ المَرْئِيَّةِ في المَاءِ.

وأَظُنُّهُ ـ واللهُ أعلَم ـ سَمِعَ قَوْلَ سَلْمِ الخَاسِرِ[3]:

---

(١) البيت في ديوانه: ٩٦٤/٢ مع اختلاف في عجزه فقد روي:
«على شابِكِ الأنْيابِ شَاكِي الأظَافِرِ» وفي الأصل: «على شابل».

(٢) ديوانه: ١١/١ زَغْف جمع زَغفة: الدرع المُحْكَمةُ، نَهاء: جمع نِهى بالكسر والفتح: الغَدِيرُ في لُغَة أهل نجد.

(٣) غير موجود في ديوانه المجموع، وضحضح السراب: إذا ترقرق.

قـــومٌ إذا لَبِسُـــوا الحديـــدَ كَأَنَّـــه ❁ جَـارِي السَّـرابِ بقَفْـرةٍ ضَحْضَـاحِ

فقالَ: «سَيْلَ السَّراب بِقَفْرَةٍ بَيْداء».

وقد قال قَيسُ بنُ حَوطٍ التَّيْمِيُّ[1]:

إذا غَـدَوْنا علينـا كـلُّ سَـابِغَةٍ ❁ كأنَّهـا مـن زُلالِ المَـاءِ تَطَّـرِدُ

فأحسَن وأجادَ، وأجودُ منه وأغربُ لفظًا قولُ أَنَس بن الدَّيانِ الحارِثيِّ:

وأَلْبَسُ فـي الـرَّوْعِ فِضْفَاضَـةً ❁ كَمـاءِ الغَـديرِ إذا نَمْنَمَـا

وقال ذَوّادُ بنُ الرِّقْراقِ العُقَيْليُّ[2]:

وفَرسـانُ الحِفـاظِ بِكُـلِّ ثغْـرٍ ❁ إذا مـا الـرِّيحُ زَعْزَعَـتِ العُقَابَـا

كـأنَّ مُتـونَهُنَّ تَظَـلُّ تُكْسَـى ❁ شُـعاعَ الشَّـمْسِ أو ذَهبًـا مُـذابَا

وقال سَالمُ بنُ قَحْفانَ العَنْبَريُّ ـ وتُروى لِمْسكينٍ الدَّارِميِّ[3] ـ:

تَهِـشُّ لِعِرْفَـانِ الـدُّروعِ جُلودُنـا ❁ إذا جـاءَ يـومٌ مُظْلِـمُ الشَّـرِّ كَاسِـفُ[4]

فَـرِيحُ الصَّـدَا المُسْـوَدِّ أَطْيَـبُ عِنْـدَنا ❁ مـن المِسْـكِ ذَافَتْـهُ أَكُـفٌّ ذوَائِـفُ

تَعلَّـقُ فـي مِثْـلِ السَّـوارِي سُـيوفُنا ❁ ومـا بَيْنَهـا والكَعْـبِ غُـوطٌ نَفـانِفُ[5]

---

(١) لم أعرفه.

(٢) في المؤتلف والمختلف ص ١٦٨، وهو فيه من بني عبد الله بن غطفان، ولم أجد البيتين.

(٣) ديوان مسكين ص٥٣.

(٤) ديوانه: «وتضحك لعرفان الدروع جلودنا»، والذيف والذوف: الخلط.

(٥) في اللسان: «غوط» «وما بينها والأرض غُوُطٌ نفَانِف»، قال: والنفنف مهواة بين جبلين.

وهذا كلُّه جَيِّدٌ نادِرٌ.

وأَنْشَدَ المُفَضَّلُ لجِذْعِ بنِ عَمرٍو الشَّيْبانِيّ[(١)]:

كـالجِنِّ يَمْشُـون فـي الحَديـدِ فمَـا ❊ تُبْصِـرُ إلّا الأَطْـرافَ والمُقَـلا

وهذا يَفوق كُلَّ حُسْنٍ وصِحَّةٍ.

وقالَ:

عَلَيْنـا دلاصٌ مـن تُـراثِ مُحَـرِّقٍ ❊ كَمِثْـلِ السَّـماءِ زَيَّنَتْهـا نُجُومُهـا[(٢)]

[١٠٤] وأينَ الطَّائِيانِ من هَذهِ المَعانِي وهَذِهِ المَذاهِبِ.

وقالَ مُحمّدُ بن عَبد المَلكِ بنِ صَالحٍ الهَاشِميُّ الحَلَبِيُّ[(٣)]:

نهنهـت أُولَاهـا بِضَـرْبٍ صَـائِبٍ ❊ هَبْـرٍ كَمـا عُـطَّ الـرِّداءُ المُعْلَـمُ

وعلـيَّ سـابِغَةٌ كـأَنَّ قَتِيرَهـا ❊ سَـلْخٌ كسـانِيهِ الشُّـجاعُ الأَرْقَـمُ

وشَبَّه الدِّرْعَ بِجِلْدِ حَيَّةٍ، وهذَا أَحْسَنُ تَشْبيهٍ وأَصَحُّه وأَلْطَفُهُ، في أَبْرَعِ لَفْظٍ، وأَجْوَدِ سَبْكٍ، وإنَّما أَخَذ المَعنىٰ من قَوْلِ آخَرَ ـ وأَنْشَدَه ثَعلَبٌ ـ:

---

(١) لم أقف عليه بعد.

(٢) المُحرِّقُ لقَبٌ لبعض مُلوك العرب ورؤسائهم وهم: مُحرِّقُ الأكبرُ وهو امرؤ القيس بن عمرو بن عدي اللَّخمي، ومُحرِّق الأصغرُ عمرو بن هند لأنه حق مائة من بني تميم، ومحرِّقٌ أيضًا هو لقبُ الحارث بن عمرو ملك الشام من آل جفنة، لأنه أول من حرَّق العرب في ديارهم «اللسان» «حرق»، ولم أقف علىٰ البيت.

(٣) البيتان في التشبيهات ص ١٤٩، ومجموعة المعاني «الثاني» ص ١٩٣، وديوان المعاني ٢/٦٢، ونهاية الأرب ٦/٢٤٥.

ونَثْـــــرَةٍ تَهْـــــزَأُ بالنِّصَـــــالِ ❖ كَأَنَّهـــا مـــن خِلَـــعِ الهِـــلالِ[1]

وقالَ: الهِلالُ: الحَيَّةُ.



(١) اللسان «هلَلَ» وفيه «ونثلة» وقال: النثرة والنثلة: الدرع.

ذكر وصف القوانس والبيض



قَالَ أبو تَمَّامٍ[١]:

بِالمُصعَبِيِّين الَّذِينَ كَأَنَّهُمْ ❊ آسادُ أغْيالٍ وجِنٌّ صَريمِ[٢]
مِثْلُ البُدورِ تُضِيءُ إلَّا أَنَّها ❊ قَدْ قُلْنِسَتْ مِنْ بَيْضِهم بِنُجُومِ[٣]

ويُرْوَى: «قَدْ قُنِّسَتْ» مِنَ القَوْنَسِ[٤]، وَهَذا لَفْظٌ ومَعْنًى سَخِيفانِ، وأظُنُّهُ سَمِعَ قَوْلَ سَلْمٍ الخاسِرِ[٥]:

نَزَلَتْ نُجُومُ اللَّيْلِ فَوْقَ رؤُوسِهِمْ ❊ فلِكُلِّ رَأسٍ كَوْكَبٌ وهَّاجُ

وَقَالَ أبو تَمَّامٍ[٦]:

كَأَنَّهُمْ وقَلَنْسِ البَيْضِ فَوْقَهُمُ ❊ يَوْمَ الهِياجِ بُدورٌ قُلْنِسَتْ شُهُبا

وَهَذَا أسخَفُ وأوْضَعُ من بَيْتِه الأول، ولله درُّ أبي لُبَيْدٍ القُرُشِيِّ إذ يَقُولُ[٧]:

---

(١) ديوانه: ٢/٤٤٣ والتبريزي ٣/٢٦٤.

(٢) «أغْيَال»، جمع غيل وهو الشجر الملتف، «صريم»: الليل. أو القطعة العظيمة من الرمل.

(٣) التبريزي وديوانه: «من بيضها».

(٤) القَوْنَس: مقدم البيضة وقيل أعلاها.

(٥) الأغاني ٢١/٨٤، وفيه «ولكل قوم».

(٦) ديوانه: ١/٢٩٨ والتبريزي ١/٢٣٥.

(٧) هو أبو لُبيد بن عَبدة بن جابر كان أحد فرسان قريش وشعرائها في الجاهلية وهو الذي يقول:

ألا يا أيها المُهْدِي إلينا ❊ رسالتُه سَتَرجِعُها بصُغْر
فلا وأبيك ما تُغْنِي سُهَيلا ❊ ولا عوفًا ولا قيس بن دَهْر

الاشتقاق ١١٤ وفيه «أبو لَبيد»، جمهرة النسب لابن الكلبي ص ٣٩٤ وفيه «أبو لُبَيْدة»=

إذَا لَبِسُــوا القَــوانِسَ ثُــمَّ جَــاءوا ❖ كَأَمْثَــالِ الكواكــبِ حِــينَ تَجْــرِي

وَقَالَ أبو تَمَّامٍ[1]:

مَصِيفٌ مِنَ الهَيْجَا ومِن جَاحِمِ الوَغَى ❖ ولكنَّــه مِــنْ وابِــلِ الــدَّم مَرْبَــعُ[2]

عَبــوسٌ كَسَــا أَبْطَالَــهُ كُــلَّ قَــوْنَسٍ ❖ يُـرى المَـرْءُ مِنْـهُ وَهْـوَ أَقْـرعُ أَنْـزَعُ[3]

قَوْلُهُ: «وَهْوَ أَقْرَعُ أَنْزَعُ» كَمَا يُقَالُ: هَذَا الشَّرَابُ حُلْوٌ حَامِضٌ، أَيْ قَدْ جَمَعَ الطَّعْمَيْنِ، أي: يُرَىٰ المَرْءُ وَهْو أَقْرَعُ وَهْوَ أَيْضًا أَنْزَعُ، وإلىٰ هَذَا ذَهَبَ والله أعلم، وفِيهِ مُعَارُضَةٌ، وَهْوَ أَنَّه لا يَكُونُ مِن أجْلِ البَيْضَةِ أَقْرَعَ، وإنَّما يَكُونَ من أجْلِهَا أَنْزَع فَقَطَ، اللَّهمَّ إلّا أن يُقِيمَ البَيْضَة مَقامَ الشَّعْرِ، وذَلِكَ فِي غَايَةِ البُعْدِ، ولَوْ كَانَتِ الرِّوَايَةُ: «يُرَىٰ المرءُ فيه» مكان «مِنْه» «وهو أَقْرَعُ أَنْزَعُ» كَانَ المَعْنَىٰ صَحِيحًا، ولَوْ كَانَتِ القَافِيَةُ مَنْصُوبَةً لكان المعنىٰ أَصحَّ مِنْ كلِّ صَحِيحٍ، أَيّ: يُرَىٰ المرءُ ـ الذي هو أَقَرَعُ ـ أَنْزَعَ.

ولله درُّ أَبِي عُبَادَةَ إذ يَقُولُ[4]:

قَــوْمٌ إذَا قِيــلَ: النَّجَــاءَ، فَمَــا لَهُــم ❖ غَيْــرُ الحَفَــائِظِ والــرَّدَى مِــنْ مَهْــرَبِ

حَـصَّ التَّريـكُ رُؤوسَـهُم فرؤُوسُـهم ❖ فـي مِثْـلِ لألاءِ التَّريـك المُـذْهَبِ[5]

= وفي الإكمال لابن ماكولا: «أبو لُبَيْد» ٧/١٨٨.

(١) ديوانه: ٢/١٥ والتبريزي ٢/٣٣٠.

(٢) ديوانه: «الدمع».

(٣) ديوانه وشرح التبريزي: «أفرع»، بالموحَّدة.

(٤) ديوانه: ١/٨٢.

(٥) التريك: بيضة الحديد.

وَقَوْلُهُ[1]:

جَلَّيْتَـــــهُ بِشُـــــعَاعِ رَأْسٍ رَدَّهُ ❊ لُـبْسُ التَّرائِـكِ لِلهِيَـاجِ صَـلِيعَا

غَيْرَ أَنَّ هَذَا لَيْسَ وَصْفًا للبَيْضِ.

وَمَا أَحْسَن ما قَالَ قَتَادَةُ بنُ سَلْمَةَ الحَنَفِيُّ[2]:

وَمعـي أسُـودٌ مِـنْ حَنِيفَـةَ فِـي الـوَغَى ❊ للبَـيْضِ فَـوْقَ رؤُوسِـهم تَسْـوِيمُ[3]

قَـوْمٌ إذَا لَبِسُـوا الحَديـد كَـأَنَّهُم ❊ فِـي البَـيْضِ والحَلَـقِ الـدِّلاصِ نُجُـومُ

وقَال خِداشُ بن زُهَيْر[4]:

وكَتِيبَـةٍ بَيْضَـاءَ يَبْـرقُ بَيْضُـهُا ❊ مِثْـلَ السَّـماءِ تَزَيَّنَـتْ بِنُجُـومِ

خَالَطْتُهَـا بِمُهنَّـدٍ ذِي رَوْنَـقٍ ❊ وأَصَـمَّ مُطَّـرِدِ الكعـوبِ قَـوِيمِ



(١) ديوانه: ٢/١٢٥٦.

(٢) كذا في الأصل، وفي الأغاني «ابن مسلمة»، وهو شاعر جاهلي استجار به الحارث بن ظالم المري بعد قتله خالد بن جعفر بن كلاب فأجاره. «الأغاني ١٠/٢٥».

(٣) الأبيات في الحماسة، شرح المرزوقي ٢/٧٧٠.

(٤) لم يَرد البيتان في ديوانه.

ذِكْرُ وصفِ الراياتِ



قَال أبو تَمَّام في حَرْب بَابَك، وَيَذْكُر رايَاتِ الأفشينَ[1]:

وَقَـدْ ظَلَّلَـتْ عِقبـانُ رَايَاتِـهِ ضُـحًى ❊ بِعقْبـانِ طَيْـرٍ فـي الـدِّمَاءِ نَواهِـلِ[2]
أقَامَـتْ مـع الرَّايـات حَتَّـى كَأَنَّهـا ❊ مِـنَ الجَـيْش إلا أنَّهـا لَـمْ تُقَاتِـلِ

وَهَذَا مَعْنًى قَدْ تَدَاوَلَتْه العَرَبُ فِي الجَاهِلِيَّةِ والإسلامِ، وَقَدْ ذَكَرْتُهُ فِي سَرِقَاتِه وكُلَّ ما قِيلَ فِيهِ[3].

وَقَالَ فِي مَدْح أَبِي سَعِيدٍ[4]:

فَـتَح اللهُ فِـي اللِّـواءِ لَـكَ الخَـا ❊ فِـقِ يَـوْمَ الاثْنَـيْنِ فَتْحًـا عَظِيمًـا
حَوَّمَتْـهُ رِيـحُ الجنُـوبِ وَلَـنْ يُحْـ ❊ ـمَدَ صَيْدُ العُقَـابِ حَتَّـى تَحُومَـا[5]

[١٠٥] قَوْلُهُ: «وَلَنْ يُحْمَدَ صَيْدُ العُقَابِ حَتَّى تَحُومَا»، لأنَّها إذَا حَامَتْ أَبْصَرتِ الطَّرائِدَ فانْقَضَّتْ عَلَيْها.

وَقَالَ البُحْتُرِيُّ[6]:

---

(١) ديوانه: ٢٢٣/١ والتبريزي ٨٢/٣.
(٢) ديوانه والتبريزي: «أعلامه».
(٣) انظر ٢٣٤/١ وانظر أيضا رأي الصولي في شرحه ٢٢٣/١، وأخبار أبي تمَّام ص ١٦٤.
(٤) ديوانه: ٤٠٣/٢ والتبريزي ٢٢٩/٣.
(٥) ديوانه والتبريزي: «صيد الشاهين».
(٦) ديوانه: ١٠١/١.

تُصَـوِّتُ فَـوْقَهم حِـزَقُ العَـوالي ❁ وغَـابُ الخَـطِّ مَهْـزُوزُ العُلُـوبِ[1]
كَنَخْـلِ «سُـمَيْحَةَ» اسْـتَعْلى رَكِيـبٌ ❁ تُكَفِّيهـا الرِّيـاحُ علَـى رَكيـبِ[2]

فهذا هو التّشبيه الصَّحيح والمعنىٰ المستقيم.

وقال أبو تمّام[3]:

نِعْـمَ لـواءُ الخَمـيس أُبْـتَ بـهِ ❁ يـومَ خَميسٍ عـالي الضُّحى أَفِـدهْ[4]
خِلْـتُ عُقابًـا بَيْضـاءَ فَـي حُجُـرا ❁ تِ المُلْكِ طـارَتْ مِنْـهُ وفـي سُدَدِهْ[5]
فشـاغبَ الجَـوَّ وهـو مَسْـكَنُهُ ❁ وقاتـلَ الـرِّيح وهْـيَ مِـنْ مَـدَدِهْ
ومـرَّ تَهْفُـو ذُؤابَتَـاهُ علـى ❁ أَسْـمَرِ مَـتْنٍ يـومَ الـوَغى جَسـدِهْ[6]
مارِنِـه لَدْنِـهِ مُثَقَّفِـهِ ❁ عَرَّاصِـهِ فـي الأَكُـفِّ مُطَّـرِدِهْ[7]
تَخْفِـقُ أَثْنـاؤُهُ علـى مَلِـكٍ ❁ يَـرى طِـرادَ الأبْطـالِ مِـنْ طَـرَدِهْ
نـالَ بعـاري القَنـا ولابِسِـه ❁ مجـدًا تبيـتُ الجَـوْزاءُ مـن أَمَـدِهْ
يَعْلَـمُ أن لَـيْسَ لِلْعُلَـى لَقَـمٌ ❁ نَهْـجٌ إذا لـم يَطـأْ علـى قِصَـدِهْ[8]

---

(١) ديوانه: «الكعوب».

(٢) «سميحة»: بئر بالمدينة غزيرة الماء وعليها نخل «معجم البلدان»، «ركيب»: الحائط من النخل.

(٣) ديوانه: ٤١٦/١ والتبريزي ٤٣٦/١.

(٤) ديوانه: «أنت به يوم خميس» الأفد: العَجِلُ السريع، ويلزم تصحيح تشطير البيت في الديوان.

(٥) ديوانه والتبريزي: «خلتَ» للمخاطب، سدده: جمع سدّه وهي الباب، ويلزم تصحيح تشطير البيت في الديوان.

(٦) التبريزي: «متنا»، الجساد: الدَّم اليابس.

(٧) العرَّاص: الذي يهتز.

(٨) اللقَمُ: الطريق الواضح، قِصَدٌ: جمع قِصْدَةٍ وهي الكسرة من القنا، وفي ديوانه والتبريزي: «نهج لمن لم يطأ».

وهذا شِعْرٌ في غايةِ الاضْطِرابِ ورداءةِ المعاني وسوءِ التأليفِ.

قولُهُ: «على أَسْمَرِ مَتْنٍ» أراد: أَسْمَر المتْنِ، كما يُقالُ: مَررْتُ بأحْوَلِ عَيْنٍ وأَصْفَرِ وَجهٍ، أي: بأحولِ العَيْنِ وأَصْفَرِ الوجه، وليسَ في هذِهِ الأبياتِ بَيْتٌ جَيِّدٌ إلّا قَوْلُهُ:

«فَشَـــاغَبَ الجـــوَّ وَهْـــوَ مَسْـــكَنُهُ»

وقولُهُ:

«يَــرى طِــرادَ الأبطــالِ مِــنْ طَــرَدِه»

وحَذَا حَذْوَ قَوْلِ أبي نُواسٍ[1]:

تَعُــدُّ عِــينَ الــوَحْشِ مِــن أَقْوَاتِهــا

وأخَذَه أبو نُواسٍ من قَوْلِ أبي النَّجْمِ[2]:

تَعُــدُّ عَانــاتِ اللَّــوى مِــن مَالِهــا



(١) ديوانه: ص ٦٢٨ وصدره: «بأكْلُب تَمْرَحُ في قِدَاتِها».

(٢) البيت في الشعر والشعراء ٦٠٥/٢، وعانات: جمع عانة: القطيع من حُمُرِ الوحش، وديوانه المجموع ص ١٦٣، واللِّوىٰ: اعوجاج في ظهر الفرس.

ذكرُ وصفِ الخَيلِ في الحربِ

قَالَ أبو تَمَّام[1]:

واكْتَسَــتْ ضُــمَّر الجِيــادِ المــذاكِي ✤ مِــن لِبــاس الهيجــا دَمًــا وحَمِيمَــا
فــي مَكَــرٍّ تَلُوكُهَــا الحَــرْبُ فيــه ✤ وهِــيَ مُقْــوَرَّةٌ تَلُــوكُ الشــكِيمَا[2]

وَهَذا مَعْنًىٰ قَبِيحٌ جِدًّا، أَنْ جَعَل الْحَرْبَ تَلُوكُ الخَيْلَ مِنْ أجل قَوْلِهِ: «تَلُوكُ»، و«تُلوكُ الشَكِيما» هَا هُنُا أيضًا خطأٌ، لأنَّ الخَيْلَ لا تَلُوكُ الشَّكِيمَ في المَكرِّ وحَوْمَةِ الحَرْبِ، وإنَّما تَفْعَلُ ذَلِكَ إذا كَانَتْ واقِفَةً، وقَدْ ذَكَرْتُ هَذَا في أغالِيطِهِ في المعانِي وأوضَحْتُه[3].

و«المُقْوَرَّةُ»: الضَّامِرةُ.

وأما قول أبي حُزَابَةَ التَّمِيميِّ[4].

خَاضَ الرَّدَّى في العِدَى قُدْمًا بِمُنْصُلِهِ ✤ والخَيْلُ تَعْلُكُ ثِنَّ المَوْتِ باللُّجُمِ[5]

---

(١) ديوانه: ٢/٤٠٣ والتبريزي ٣/٢٢٩.

(٢) ديوانه: «موقورة».

(٣) انظر ١/٤٥١.

(٤) في الأصل «التّيمي».

(٥) حماسة أبي تمّام بشرح المرزوقي ص ٦٨٨ وفيه «... قدمًا... تعلك ثنىٰ...»، وقد سبق في ١/٤٥٣، واختار محققه الشيخ السيد صقر رواية «ثِنْيَ»، وغيّر الكلمة في تعليق الآمدي إلىٰ «ثني»، وقال في الهامش إن «ثن»، تحريف، والصحيح أن ما فعله شيخنا هو التحريف، «فالثنُّ»، هو حطام النبات اليابس لا «الثني»، وهو ما شرحه به الآمدي، وقد أشار المرزوقي في شرحه لحماسة أبي تمّام إلىٰ هذه الرواية «ثن»، وإن كان قد اختار الأخرىٰ.

فإنَّما قَالَ: «ثِنَّ الموت»، مَثَلًا، والثِّنُّ: هو حُطَام النَّبات اليابِسِ، ولم يُرد أنها تَعْلُكُ اللُّجُمَ عَلَىٰ الحَقيقَةِ.

وَقَال أَنسُ بنُ الدَّيَّانِ[1]:

أَقُـودُ الجِيَـادَ إلَـى عَـامِرٍ ❊ عَلائِـكَ لُجْـمٍ تَمُـجُّ الـدَّما

ولم يَقُل أنَّها تَفْعَلُ هَذَا في حَالِ كَرِّهَا.

وقال أبو تَمَّامٍ[2]:

تُقَاسِـمُنا بِهـا الجُـرْدُ المَـذاكِي ❊ سِـجَالَ الكُـرْهِ والـدَّأبِ البَعيـدِ[3]
فَنُمْسِـي فـي السَّـوابغِ مُحْكَمَـاتٍ ❊ وتُمسي في السُّروجِ وفـي اللُّبـودِ[4]
حَـذَوْنَاها الـوَجَي [و]الأيـنَ حتَّـى ❊ تَجَـاوَزَتِ الرُّكُـوعَ إلَـى السُّجُودِ[5]
إذا خَرَجَـتْ مِـنَ الغَمَـراتِ قُلْنَـا ❊ خَرَجْـتِ حَبَائِسًـا إنْ لَـمْ تَعُـودِي[6]
فَكَـمْ مِـن سُـؤدَدٍ أمكَنْـتِ مِنْـهُ ❊ بِرُمَّتِـهِ عَلَـى أَنْ لَـمْ تَسُـودِي
أهَانَـكِ للطِّـرادِ ولـم تَهُـونِي ❊ عَلَيْـهِ وللْقِيَـادِ أَبُـو سَـعيدِ
بَـلاكِ وكُنـتِ أَرْشِـيَةَ المَعَـالِي ❊ وبُـرْدَ مَسَـافَةِ الأمَـدِ البَعِيـدِ[7]

---

(١) سبق في ٤٥٣/١ وفيه: «الريان» تحريف.

(٢) ديوانه: ٤٣٦/١ والتبريزي ٣٤/٢.

(٣) التبريزي: «الكرّ»، وديوانه والتبريزي: «العنيد»، وكتب الناسخ فوق «البعيد» «والعتيد».

(٤) ديوانه: «في سوابغ»، «تصبح»، والتبريزي: «فتمسي في سوابغ».

(٥) الوجَىٰ: شدة الحفا، والأين: الأعياء، وحذوناها: أي جعلناهما لها مثل الأحذية.

(٦) الحبائس: الموقوفة علىٰ الجهاد.

(٧) التبريزي: «أرشية الأماني»، وديوانه والتبريزي: «مسافة المجد البعيد»، وفي الأصل:=

وهَذَا وَصْفٌ حَسَنٌ، ومَعَانٍ جَيِّدةٌ حُلْوةٌ.

قَوْلُهُ: «أهانَكِ للطِّرادِ» مَعنًى صحيح، و«للقياد» أَظُنَّهُ يُرِيدُ إذا قِيدَت بين يَدَيْ من يَهَبُهَا لَهُ، ويَحْمِلُهُ عَلَيها، أي: يَهُونُ عَلَيْهِ أن يُطَارِدَ عَلَيْها فَيُتْبِعَها ويُنْصِبَهَا، ويَهُونُ عَلَيْهِ أن يَهبَها، وإلّا فَلَيْسَ بها هَوانٌ أن تُقَادَ بَيْنَ يَدَيْ أبي سَعِيدٍ، بَلْ قَوْدُ الخَيْل إذا تَعِبَت والجَنَائِبِ بَيْنَ يَدَيْ المُلوكِ من إكرامِهَا لا مِنْ هَوَانِهَا.

وقَالَ البُحْتُرِيّ[1]:

فَلَمْ أَرَ مِثْلَ الخَيْلِ أبقَى عَلَى السُّرى ❊ ولا مِثْلَنا أحْنَى عَلَيْها وأَشفقَا

[١٠٦] وَمَا الحُسْن إلّا أَنْ تراها مُغِيرةً ❊ تُجَاذِبُنَا حَبْلًا مِنَ الصُّبْحِ أَبْرَقَا

فكَمْ مِنْ عَظِيمٍ أَدْرَكَتْهُ صُدُورُها ❊ فَبَاتَ غَنِيًّا ثُمَّ أصبح مُمْلِقَا

وأوْحَشَها مِنْ يوسفٍ حَمْلُ يوسُفٍ ❊ عَلَيْها المعالِي جامِعًا ومفرِّقَا

إذَا أَفْلَتَتْ من سَمْلَقٍ بنُفُوسِها ❊ أَعَادَ عَلَيْها رائِدُ المَجْدِ سَمْلَقا[2]

قَوْلُهُ: «تُجُاذِبُنا حَبْلًا من الصُّبح أبْرَقَا» غَايةٌ في حُسْنِهِ وحَلَاوتِهِ.

وقَوْلُهُ: «حَمْلُ يُوسُفٍ عليها المَعَالِي جَامِعًا ومُفَرِّقًا» أي: وَأَوْحَشَها مِنه كدُّه إيّاها في طَلَبِ المَعَالِي، بأن يُغِيرَ فَيَجْمَعَ الأَموالَ ويُفَرِّقَها.

وَقَالَ[3]:

= «بلال وكنت...» تحريف.

(١) ديوانه: ١٥٠٠/٣.

(٢) ديوانه: «رائد الموت»، والسَّمْلَقُ: الأرض المستوية الجرداء.

(٣) ديوانه: ٢١٦٦/٤، وفيه «يحملن يومًا عبوسًا».

عَابِسَــاتٍ حَمَلْـــنَ يَوْمًــا عَبُوسًــا ❊ لأُنَـــاسٍ عَـــنْ خَطْبِـــهِ غَافِلِينَـــا

زُرْنَ بالــــدَّارِعِينَ أهْـــلَ «الـــبُقُلَّا ❊ ر» وأجْلَوْا عَنْ «صاغَرى» صاغِرِينا[1]

قـــد طَـــواهُنَّ طـــيُّهنَّ الفَيـــافِي ❊ واكتَسَـــيْنَ الوَجِيــفَ حَتَّـــى عَرِينـــا

كَوُعــولِ الهِضَــابِ رُحْــنَ وَمَــا يَمْــ ❊ ـلِكْـــنَ إلّا صُـــمَّ الرِّمَـــاحِ قُرُونَـــا[2]

جُلْــنَ فــي يَــابِسِ التُّــرابِ فَمَــا رِمْ ❊ نَ طِعَانًـــا حتَّـــى وَطِـــئْنَ الطِينَـــا

«البُقُلَّار» و«صاغَرىٰ» من بِلادِ الرّوم، و«الوَجِيفُ»: ضَرْبٌ من السَّيْرِ، وجَعَلَهُ كِسْوةً للخَيْل عَلَىٰ مَذْهَب أبي تَمَّام الرَّديءِ في الاستعَارَةِ، وإنَّما قَالَ: «اكْتَسَيْنَ» من أجل قَوْلِهِ: «عَرِينَ» يُرِيدُ: عَرِينَ من اللَّحْمِ من طول السَّيْرِ.

وقَوْلُهُ:

كَوُعُــولِ الهِضَــابِ رُحْــنَ وَمَــا يَمْــ ❊ ـلِكْـــنَ إلّا صُـــمَّ الرِّمـــاحِ قُرُونَـــا

من أَحْسَنِ تَشْبِيهٍ وألطَفِهِ، شَبَّهَ الخَيْلَ بِوُعُول الهِضَابِ، لأنَّه قَطَع بِهَا جِبَال الرُّوم، وجعل قُرُونَها الرّماحَ، وإنما سَمِعِ الحجاجَ بنَ عِلاطٍ السُّلَمِيَّ:

تَــرَى غابَــةَ الخَطِّــيِّ فَــوقَ مُتُــونِهم ❊ كَمَــا أشـرَقَتْ فَـوْقَ الصِّـوارِ قُرُونُهــا[3]

---

(١) ديوانه: «زرت»، «بُقلّار» موضع في ثغر أذربيجان «معجم البلدان»، «صاغَرَىٰ»: قرية من قرىٰ أذربيجان «معجم ما استعجم ١١٠٤/٢».

(٢) يجب تصحيح تشطير البيت في ديوانه.

(٣) ديوان المعاني ٦١/٢. وفيه «... فوق رؤوسهم... كما أشرفت....» غير منسوب، وقد سبق في ٩/٢ ونسب هناك إلىٰ نصر بن الحجاج بن علاط السُّلَمِي..
نصر بن الحجاج

واحتذىٰ عليه كُثيِّرٌ فقال[1]:

وَهـم يَضْـرِبُونَ الصَّـفَّ حتَّـى يُثَبِّتـوا ❊ وهـم يُرجِعُـونَ الخَيْـلَ جَمًّـا قُرُونُهـا

أَرَاد أنَّهم يَطْعَنونَ بالرِّماح حتَّىٰ تَكَسَّرَ، وقُرُون الخَيْلِ: الرِّمَاحُ، كَذَا فَسَّرهُ يَعْقُوبُ.

وقَوْلُهُ: «حتىٰ يُثَبِّتوا» أي: أَمْرَهُم وملكَهُم، وقوْلُهُ: «يُثَبِّتوا» من قَوْلِهم: رَجُلٌ مُثْبَتٌ، أي مُثْخَنٌ بالجِراحِ ومُثْبتٌ مِنَ المَرَضِ.

وقَالَ البُحْتُرِيُّ[2]:

وأَزَرْتَ الخُيُـول قَبْـرَ «امـرِئ القيـ ❊ ـسِ» سِـرَاعًا فَعُـدْنَ عَنْـه بِطَـاءَ[3]

وجَلَبْـتَ الحِسَـانَ حُـوًّا وحُـورًا ❊ آنسـاتٍ حتَّـى أغَـرْتَ النِّسـاءَ



(١) ديوانه: ٢٤٣.

(٢) ديوانه: ١/١٨.

(٣) قبر امرئ القيس: يعني مدينة أنقرة.

ذِكْرُ المسيرِ إلى أَرْضِ العَدُوِّ والنزولِ عَلَيْها والظَّفَرِ والفُتوحِ



قَالَ أبو تَمَّامٍ(١):

لَقَـدِ انْصَـعْتَ والشِّـتَاءُ لَـهُ وَجْـ ❁ ـهٌ تَـرَاهُ الكُمـاةُ جَهْمًـا قَطُوبَـا

طاعِنًـا مَنْحَـرَ الشَّـمالِ مُتِيحًـا ❁ لِـبلادِ العَـدوِّ مَوْتًـا جَنُوبَـا

أخذ البُحْتُرِيُّ المعنىٰ فَقَالَ(٢):

وَرَمَـى بِثُغْرتِـهِ الثُّغُـورَ فَسَـدَّهَا ❁ طَلْـقُ اليَـدَيْن مُـؤَمَّلًا مَرْهُوبَـا

بالسَّـيْفِ أرسَـلَهُ الخَلِيفَـةُ مُصْـلَتًا ❁ والمَـوْتُ هَـبَّ مِـنَ العِـرَاقِ هُبُوبَـا

بَيْتُ البُحْتريّ أحْسن وأجودُ لذِكرِهِ الهُبوبَ، وبيت أبي تمّام أجمع لذِكرِهِ الشَّمالَ مع الجَنُوبِ.

ثُمَّ وَصفَ أَبو تَمَّامٍ شِدَّة الزّمانِ من البردِ فَقَالَ(٣):

فِـي ليـالٍ تَكَـادُ تُبْقِـي بِحِـدّ الشَّـ ❁ ـمْسِ مِـن رِيحِهَـا البليـلِ شُـحُوبَا(٤)

سَـبَراتٍ إذَا الحُـرُوب أُنِيخَـتْ ❁ هَـاجَ صِـنَّبْرُها فكَانَـتْ حُرُوبـا(٥)

---

(١) ديوانه: ١/٢٥٤ والتبريزي ١/١٦٥ وفيهما «يراه الكماة».

(٢) ديوانه: ١/١٨٦.

(٣) ديوانه: ١/٢٥٤ والتبريزي ١/١٦٥.

(٤) البليل: الريح الباردة التي فيها شيء من المطر.

(٥) السّبرات: «الغدوات الباردات ـ الواحدة سبرة ـ «الصِّنَّبْرُ»: واحد صنابر الشتاء وهو شدة البرد، وفي ديوانه وشرح التبريزي: «أُبيخَت» من باخت النار تبوخ إذا سكن لَهَبُها، أما «أُنِيخَتْ» فمن أناخ الابل أي أبركها، والمعنىٰ: إذا سكنت الحروب هاج البرد.

فَضَـــرَبْتَ الشِّـــتَاء فـــي أَخْدَعَيْـــهِ ❊ ضَـــرْبَةً غَادَرْتَـــه عَـــوْدًا رَكوبـــا[1]

وهذا من استعاراته القبيحة المعرُوفَةِ[2].

وَقَال في ضِدّ قولِه: «فَضَربْتَ الشِّتاء في أخدَعَيْه» في مدح أبي سعيد[3]:

كَرُمَــتْ غَزْوَتــاكَ بــالأمْسِ والخَيْــ ❊ ـــلُ دِقَــاقٌ والخَطْــبُ غَيْــرُ دَقِيــقِ
كَـمْ أَفَـادَتْ مِـنْ أَرْضِ قُـرَّة مـن قُـرَّ ❊ ةِ عَـــيْنٍ ورَبْــــرَبٍ مَرْمُـــوقِ
ثُـمَّ آبَـتْ وأُبْـتَ خَـوْفَ الغَمَـامِ الـ ❊ ـفَـظِّ ذا فِكْـرَةٍ وقَلْـبٍ خَفُـوقِ[4]
لا تُبَـالِي بَـوَارِقَ البِيضِ والسُّمْـ ❊ ـرِ ولكِـن بَالَيْـتَ لَمْـعَ البُـروقِ
تَشْـنَأُ الغَيْـثَ وَهْـوَ جِـدُّ حَبِيـبٍ ❊ رُبَّ حـزمٍ فـي بِغْضَـةِ المَوْمُـوقِ[5]
لَـمْ تَخَـوّف ضَـرَّ العـدُوِّ ولا بَغْـ ❊ ـيًـا ولكِـن تَخَـافُ ضَـرَّ الصَّـدِيقِ

وقال البُحتُريّ[6]:

إذ مَضَـى مُجْلِبًـا يُقَعِقِـعُ فِـي الـدَّرْ ❊ بِ زَئِيـرًا يُـنْسِ الكِـلابَ العُـواءَ
[١٠٧] يَوْمَ حَاضَتْ مِن خَوْفِهِ ربَّةُ الرّو ❊ م صَـبَاحًا، ورَاسَـلَتْهُ مَسَـاءَ
حِـينَ أبْـدَتْ إلَيْـكَ «خَرْشَـنة العُـلْ ❊ يـا» مِـنَ الـثَّلْج هَامَـةً شَـمْطَاءَ[7]

(١) «عودًا»: أي جملًا مسنًا، «ركوبًا»: مذللًا وقد سبق في ٤٧١/١.
(٢) انظر رأي عبد القاهر في اللفظ الواحد يقع مقبولًا ومكروهًا «دلائل الإعجاز ص ٤٧».
(٣) ديوانه: ١٤٢/٢ والتبريزي ٤٤٢/٢.
(٤) التبريزي: «الغطّ» وذكر رواية الموازنة، والتبريزي وديوانه «ذو فكرة».
(٥) التبريزي وديوانه: «حَقٌّ حبيب».
(٦) ديوانه: ١٦/١، الأبيات «٢٥، ٢٦، ٣٨، ٣٩».
(٧) خَرْشَنةُ: بلد قرب مَلَطِيَّة من بلاد الروم «معجم البلدان».

مَـا نَهَـاكَ الشِّـتاءُ عَنْهـا وفِـي صَـدْ ❁ رِكَ نَـــارٌ للحِقْـــدِ تُنْهِـــي الشِّـــتاءَ

قوله: «خَرْشَنَةُ العُلْيَا» هي خَرْشَنةٌ واحِدةٌ، وإنَّما قالَ: «العُليا» أراد: التي هي عَالِيَةٌ.

وقَوْلُهُ: «وفي صَدْرِكَ نارُ الحِقْدِ تُنْهِي الشِّتَاءَ» أحْسَنُ من «فضَرَبْتَ الشتاء في أخْدَعَيْهِ»، وخلافُ قَوْلِهِ:

لا تُبَـالِي بَـوارِقَ السُّـمرِ والبِيـ ❁ ـضِ ولكـنَ بَالَيْـتَ لَمْـعَ البُـرُوقِ[1]

وَقَالَ أبو تمّامٍ[2]:

أَوْقَـدْتَ مِـنْ دونِ الخَلِـيجِ لأَهْلِهـا ❁ نَـارًا لَهَـا خَلْـفَ الخَلِـيجِ شَـرَارُ

إلا تَكُـنْ حُصِـرَت فَقَـدْ أَضْـحى ❁ مِـن خَـوْفِ قارِعَـةِ الحِصَـارِ حِصَـارُ

فَهُنَـاكَ نَـارُ وَغًـى تُشَـبُّ وَهـا هُنـا ❁ جَـيْشٌ لَـه لَجَـبٌ وثَـمَّ مُغَـارُ

خَشَـعُوا لَصَـوْلَتِكَ التِـي هِـيَ عِنْـدَهُم ❁ كـالمَوْتِ يـأتِي لَـيْسَ فيـه عَـارُ

وهَذَا في غَايَةِ الجَوْدةِ والصحةِ والسَّلامَةِ.

وقال بَعْدَ هَذَا:

غَـادَرْتَ أرضَـهُمُ بِخَيْلِـكَ فـي الـوَغَى ❁ فَكَـأَنَّ أمنعَهَـا لَهَـا مِضْـمَارُ

«لها»: للخَيْلِ مِضْمَارُ، وَهْوَ الميدانُ الذي تَجْرِي فِيهِ وتُضَمَّرُ.

فأقَمْـتَ فِيهـا وادِعًـا مُـتَمَهِّلًا ❁ حَتَّـى ظَنَنَّـا أَنَّهـا لَـكَ دَارُ

وهَذَا مَعْنًى حَسَنٌ لَطِيفٌ، وأحْسَنُ منه وأجْوَدُ وأحلى قول البُحْتُرِيّ[3]:

---

(١) رواه قبلُ: «البيض والسمر».

(٢) ديوانه: ١/٥٢٢ والتبريزي ٢/١٦٨.

(٣) ديوانه: ١/١٠.

وَوَصَلْتَ أَرْضَ الرُّومِ وَصْلَ كُثَيِّرٍ ❁ أطلالَ عَزَّةَ في لِوَى تَيْمَاءِ
فِي كلِّ يَوْمٍ قد نَتَجْتَ مَنِيَّةً ❁ لِحُمَاتِها من حَرْبِكَ العُشَراءِ

وَقَال أبو تَمَّامٍ فِي فَتح عمّوريَّة(١):

يَا يَوْمَ وَقْعَةَ عَمُّورِيَّةَ انصرَفَتْ ❁ مِنكِ المُنَى حُفَّلًا مَعْسُولَةَ الحَلَبِ(٢)
أَبْقَيْتِ جَدَّ بَنِي الإسْلامِ في صَعَدٍ ❁ والمُشْرِكينَ ودَارَ الشركِ في صَبَبِ
أُمٌّ لهَمْ لَوْ رَجَوا أن تُفْتَدى جَعَلُوا ❁ فِداءَها كلَّ أُمٍّ مِنْهُمُ وأَبِ
وَبَرْزَةُ الوَجْهِ قَدْ أَعْيَتْ رِيَاضَتُها ❁ كِسرى وَصدَّتْ صُدُودًا عَنْ أبي كَرِبِ(٣)
بِكْرٌ فَمَا افْتَرَعَتْهَا كَفُّ حَادِثَةٍ ❁ ولَا تَرَقَّتْ إلَيْها هِمَّةُ النُّوَبِ
مِنْ عَهْد إسكَنْدرٍ أَوْ قَبْلَ ذَلِكَ قَدْ ❁ شَابَتْ نَوَاصِي اللّيالي وهْيَ لَمْ تَشِبِ
حَتَّى إذا مَخَّضَ اللهُ السِنِينَ لها ❁ مَخْضَ البَخِيلةِ كَانَتْ زُبْدَة الحِقَبِ(٤)
أَتَتهمُ الكُرْبَةُ السَّوْداءُ كاربَةً ❁ مِنْهَا وَكانَ اسْمُها فَرَّاجَةَ الكُرَبِ(٥)
جَرَى لَها الحَالُ بَرْحًا يَوْمَ أنقَرَةٍ ❁ إذْ غُودِرَتْ وحشَةَ السَّاحاتِ والرَّحَبِ(٦)
لما رَأَتْ أُخْتَها بالأمِسِ قد خَرِبَتْ ❁ كَانَ الخَرابُ لَها أَعْدَى من الجَرَبِ

قوله: «مَخْضَ البَخِيلةِ»، لأنَّها تَسْتَقصِي مَخْضَ السِّقَاء حَتىٰ لا يَبْقَىٰ شَيءٌ

(١) ديوانه: ١/١٩٠ والتبريزي ١/٤٦.
(٢) ديوانه: «عنك».
(٣) أبو كرب: كنية أحد التبابعة من ملوك اليمن «التبريزي».
(٤) ديوانه: «الحليبة».
(٥) في الأصل «سادرة»، وهي رواية الديوان والتبريزي، غير أن الآمدي روىٰ «كاربة»، في الشرح بعد الأبيات فأثبتُّها.
(٦) ديوانه والتبريزي: «الفال».

مِن الزُّبْدِ إلا استخرَجَتْهُ.

وقَوْلُهُ: «الكُرْبَةُ السَّودَاءُ» مِن أجْلِ الرَّاياتِ السّودِ، «كارِبةً مِنْها» يُرِيد مِن عَمُّورِيَّة، «كارِبةً» أي: غَاشِيةً لَهَا ودانِيَةً مِنهَا، يُقَال: قَدْ كَرَبَ أن يَفْعَل كَذَا، أي: دَنَا وقَرُبَ.

«وكَانَ اسْمُهَا فرَّاجَةَ الكُرَبِ» أي: الكُرْبَةُ السَّوْدَاء، يريد الرَّايَاتِ السُّودُ، و«فَرَّاجَةَ الكُرَبِ»: لأنَّها فَرَّجَتِ الكُرْبَةَ مِن الدولَةِ الأمويَّةِ لمَّا خَرجَت مِن خُرَاسَان[1].

ثُمَّ وَصفَ الحَرِيقَ فَقَالَ:

تَرَكْتَ فِيها بَهِيمَ اللَّيلِ وَهْوَ ضُحًى ❊ يَشُلُّهُ وَسْطَها صُبْحٌ مِنَ اللَّهَبِ
حَتَّى كأنّ جلابيب الدُّجَى رَغِبَتْ ❊ عَنْ لَوْنِها وَكأَنَّ الشَّمسَ لَمْ تَغِبِ
ضَوءٌ مِن النَّارِ والظَّلمَاءُ عاكِفَةٌ ❊ وظُلْمَةٌ من دُخَانٍ فِي ضُحًى شَحِبِ[2]
فَالشَّمسُ طَالِعَةٌ مِن ذَا وقَدْ أَفَلَتْ ❊ والشَّمس واجِبَةٌ مِنْ ذَا ولَمْ تَجِبِ

وإنَّما حَذَا في هَذَا كُلِّهِ حَذْوَ قَوْلِ النَّابِغَةِ يَصِفُ يَوْمَ حَرْبٍ[3]:

تَبْدُو كَوَاكِبُهُ والشَّمسُ طَالِعَةٌ ❊ لا النُّورُ نورٌ ولا الإظلامُ إظلامُ

ثُمَّ قَالَ[4]:

---

(١) قال ابن المستوفي في النظام: «ويروىٰ كاربَة منها أي: من عمورية أي دانية منها، يقال: كَرَبَ أي: دنا. وقوله «فَرَّاجَة الكُرَب» لأنها [فَرَّجَت] الكرب من الدولة الأموية لما خرجت من خراسان». «النظام حـ ١ لوحة ٥٠».

(٢) في الأصل: «وظلمته».

(٣) ديوانه: ١٣٤.

(٤) ديوانه والتبريزي: «تصرّح».

تَكَشَّفَ الدَّهْرُ تَصْرِيحَ الغَمَامِ لَهَا ✤ عَنْ يَوْمِ هَيْجَاءَ مِنْهَا طَاهِرٍ جُنُبِ
مَا رَبْعُ مَيَّةَ مَعْمُورًا يُطِيفُ بِهِ ✤ غَيْلانُ أَبهى رُبًى مِن رَبْعِها الخَرِبِ[1]
ولا الخدودُ وَقَد أُدْمِينَ مِنْ خَجَلٍ ✤ أَشْهَى إلى نَاظِرٍ من خَدِّها التَّرِبِ[2]
سَمَاجَةٌ غَنِيَتْ منَّا العُيونُ بِهَا ✤ عن كُلِّ حُسْنٍ بَدَا أو مَنْظَرٍ عَجَبِ
[١٠٨] وَحُسْنُ مُنْقَلَبٍ تَبْقَى عواقِبُهُ ✤ جَاءَت بَشَاشَتُهُ من سُوءِ مُنْقَلَبِ[3]

وقَوْلُهُ: «ما رَبْعُ مَيَّةَ مَعْمُورًا يُطِيفُ به غَيلانُ» إنما اسْتَحْسَنَه غَيْلانُ وَحْدَه ويَكُونَ بهيًّا عِندَه لا عِنْدَ النَّاسِ، وكَأَنَّه أرَادَ: أبهى رُبًى عِنْدَنا من رَبْع مَيَّة عِند غَيلان[4]، والمعنى غيرُ جَيِّد، وإنَّما كَانَ يَنبغي أن يشبِّهه بشيءٍ له بَهَاءٌ عَلَى كلِّ حَالٍ عند كلِّ أَحَد على العُمُومِ، لكنَّ البُحْتريّ ذَكَر كُثَيِّرًا وأطَلالَ عَزَّةَ فَوَضَع القَوْلَ فِي مَوْضِعِه الذي يَلِيقُ بِهِ فَقَالَ[5]:

وَوَصَلْتَ أَرْضَ الرُّومِ وَصْلَ كُثَيِّرٍ ✤ أطلَالَ عَزَّةَ فِي لِوَى تَيْمَاءِ

وَهَذا في غَايَةِ الحُسْن والصِّحَّةِ، يَصْلح أن يَكونَ مِثالًا لكلِّ شيءٍ أدَام الملازمةَ لشيءٍ.

وَقَال البُحْتُرِيّ[6]:

---

(١) غيلان: هو ذو الرّمة، ومَيَّة: صاحبته التي يشبب بها.
(٢) ديوانه: «ولو أُدْمِينَ».
(٣) التبريزي: «تبدو».
(٤) قال أبو العلاء: وفي بيت الطائي حذف يدل عليه المعنى، وذلك أنه ذكر رَبْعَ مَيَّة وليس له بَهَاءٌ، إلا عند غيلان لمكان لَهْجِه بها، فكأن المعنى: ما ربعُ مَيَّةَ في نفس غيلان أبهى من هذا الرَّبْعِ الخَرِبِ في أعين المسلمين «التبريزي ١/٥٧».
(٥) ديوانه: ١/١٠، وتيماء: بُلَيْد في أطراف الشام بين الشام ووادي القرى «معجم البلدان».
(٦) ديوانه: ١٦٠١.

رَمَى الرُّومَ بالغَزْوِ الذي ما تَتَابَعَتْ ❁ نوافِذُهُ إلا أصَبْنَ المقاتِلا
غَزَاهُمْ فَأَفْناهُمْ، ولم يَقْتَصِرْ بِهِمْ ❁ على العَامِ حَتَّى جَدَّدَ الغَزْوَ قابلا[1]
رُوَيْدَكَ! أَنْظِرْهُمْ لِتَنْتَجِعَ الرُّبى ❁ مُنَوِّرَةً أَوْ تَحْلُبَ الخِلْفَ حَافِلا[2]
فقد غُرْتَ بالغَاراتِ في وهَدَاتِهِمْ ❁ وَلِيًّا وَوَسْمِيًّا رَذَاذًا ووابِلا
وسُقْتَ الذي فوقَ المَعاقِلِ مِنْهُمُ ❁ فلَمْ يَبْقَ إلا أنْ تَسوقَ المعَاقِلا

فهذه هي الطَّريقَةُ العربِيَّةُ والبلاغَةُ المُتْقَنَةُ.

وقال[3]:

حوَى كُلَّ ما دُونَ الخليجِ ولم يَدَعْ ❁ فُؤادًا بما دونَ الخَليجِ مُعَلَّقا[4]
قليلُ السُّرورِ بالكَثيرِ يَنالُهُ ❁ فتَحْسَبُهُ - وهو المُظَفَّرُ - مُخْفِقَا
ومُحْتَرِسٍ من أينَ رُمْتَ اغْتِرَارَهُ ❁ وَجَدْتَ له سَهْمًا إليك مُفَوَّقَا

وهذا حَزْمٌ وتَيَقُّظٌ لا غايةَ وراءَهُما، ولَفْظٌ وعِبارةٌ عن معنًى لا شَيءَ أَوضحُ مِنْهُ.

ومثلُ قَوْلِهِ: «.... وهو المُظَفَّرُ مُخْفِقا» قَولُهُ في أبي سَعيدٍ[5]:

يُرَجِّي التَّقَى من هَدْيِهِ واعْتِلائِهِ ❁ سَكِينَةُ مَغْلُوبٍ وأَوْبَةُ غَالِبِ



---

(١) ديوانه: «لهم».
(٢) ديوانه: «لك الخير» والخلف: الضرع.
(٣) ديوانه: ١٥٠٠/٣.
(٤) الخليج: بحر دون قسطنطينية: «معجم البلدان»، وفي ديوانه «بما خلف».
(٥) ديوانه: ١٨٢/١. وفيه «يُزجي» وفي الهامش: «يرجي» «تصحيف».

ذكرُ من انهزمَ ونجا بحُشاشَتِهِ ومن أُسِرَ



قال أبو تمّامٍ يعنِي بابَكَ الخُرَّميَّ[1]:

ونَجـا ابـنُ خَائِنَـةِ البُعولَـةِ لَـوْ نَجـا ❊ بِمُهَفْهَـفِ الكَشْـحَينِ والآطـالِ
تَـرَكَ الأحِبَّـةَ سـالِيًا لا نَاسِـيًا ❊ عُـذْرُ النَّسـيِّ خِـلافُ عُـذْرِ السَّـالِي[2]
هَتَكَـتْ عجَاجَتَـهُ القَنـا عـن وَامِـقٍ ❊ أهـدي الطِعـانُ لَـه خَليقَـةَ قَـالِ

وقال فيه[3]:

عَشِـيَّةَ صَـدَّ البَـابكيُّ عـن القَنَـا ❊ صُـدودَ المُقَـالِي لا صُـدودَ المُجامِـلِ
تَحـدَّر مـن لِهْبَيْـهِ يَرجُـو غَنيمـةً ❊ بِسَـاحةِ لا الـوَانِي ولا المُتخَـاذِلِ[4]
فكـان كَشـاةِ الرَّمْـلِ قَيَّضَـهُ الـرَّدى ❊ لِقَانِصِـهِ مـن قَبْـلِ نَصْـبِ الحَبَائِـلِ[5]

وهذا وما قَبْلَهُ جَيِّدٌ بالِغٌ.

وقالَ[6]:

عَـدا اللّيـل فِيهـا عـن مُعاوِيَـة الـرَّدى ❊ ومـا شَـكَّ رَيْـبُ الـدَّهْرِ فـي أَنَّـه رَدِي

---

(١) ديوانه: ٢/٢١٧ والتبريزيُّ ٣/١٤٢.
(٢) التبريزي: «خلىٰ الأحبة سالمًا لا ناسيًا».
(٣) ديوانه: ٢/٢٢٦ والتبريزيُّ ٣/٨٣.
(٤) اللِّهْبُ: طريق ضيّق في الجبل.
(٥) شاة الرمل: البقرة الوحشية «التبريزي».
(٦) ديوانه: ١/٤٣٢ والتبريزيُّ ٢/٢٧.

لَعَمْـرِي لقَـد حَـرَّرْتَ يـومَ لَقِيتَـهُ ❊ لَـوَ أنّ القَضـاءَ وَحْـدَهُ لـم يُبَـرِّدِ
وفـي أَرْشَـقِ الهَيْجَـاءِ والخَيْـلُ تَرْتَمِـي ❊ بأَبْطَالِهـا فـي جَـاحِمٍ مُتوقِّـدِ
عَطَطْتَ على رَغْـم العِـدا عَـزْمَ بَابَـكٍ ❊ بِصَـبْرِكَ عَـطَّ الأَتْحَمِـيِّ المُعَضَّـدِ[1]
فـإنْ لا يَكُـنْ وَلَّـى بِشِـلْوِ مُقَـدَّدِ ❊ هُنـاك فَقَـدْ وَلَّـى بِعَـزمٍ مُقَـدَّدِ[2]

قَوْلُهُ: «لَوَ أنَّ القَضاءَ وَحْدَه لم يُبَرِّدِ» من معانِيه التي كان الشيوخُ يَضْحَكُونَ مِنْهَا[3].

وقولُهُ: «وفي أَرْشَقِ الهَيْجاءِ» أَرَادَ: في هَيجَاءَ أَرْشقَ فجاءَ بهِ علىٰ القَلْبِ، أي: في حَرْبِ أَرْشَقَ، «عَطَطْتَ»: شَقَقْتَ، والأتَحمِيُّ: ضَرْبٌ من الثِّيابِ.

وقالَ:

وقـد كانَـتِ الأَرْمَـاحُ أَبْصَـرْنَ قَلْبَـهُ ❊ فأَرْمَـدَهَا سِـتْرُ القَضـاءِ المُمَـدَّدِ

والسِّتْرُ المَمْدُودُ من كلِّ شَيءٍ إنَّما يَحجِبُ العَينَ عن أنْ تَنْظُرَ إلىٰ ما وراءَهُ، فأمّا أن يُرْمِدَها فلَا، لَكِنَّه ذهبَ إلىٰ أنَّ الأرمَدَ لا يُبْصِرُ.

---

(١) عط: شق، والأتحمي: ضرب من البرد «التبريزي».
(٢) في الأصل: «بشاة» تحريف.
والشلو: العضو، وقيل بقية الجسد «التبريزي».
(٣) قال ابن المعتز: «وأنشد البيت»: لم تخرج له هذه المطابقة خروجًا حسنًا، ولا تحسن في كل شيء «الموشح ص ٤٧١»، ونقل هذا ابن المستوفي في النظام، وزاد عليه فقال: ونقلت من خطّ عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان وقال «وأنشد البيت» ومعه قوله:
فـإن خفـرت أمـوالَ قَـوْمٍ أكفُّهـم ❊ مـن النَّيْـلِ والجَـدوى فكَفَّـاهُ مَقطـعُ
فهذان البيتان من الطباق القبيح الذي لم يرد لحسن معناه وسلاسة لفظه، بل ليكون في الشعر مطابقة فقط «النظام جـ١ لوحة ٣٢٠».

[وقال][1]:

وكَــانَ هُــوَ الجَلْــدُ القُــوَى فَســلَبْتَهُ ❁ بِحُسْنِ الجِلادِ المَحْضِ حُسْنَ التَّجلُّدِ
لَعَمْــري لَقَــد غَــادَرْتَ حِسْــيَ فُــؤادِهِ ❁ قَريــبَ رِشــاءٍ لِلقَنــا سَــهْلَ مَــوْرِدِ
فكَــان بَعيــدَ القَعْــرِ مــن كُــلِّ مَــاتِحٍ ❁ فغادَرْتَــه يُسْــقى ويُشْــرَبُ باليَــدِ

وهذا غاية في حسنه وصحّته وحلاوته وغرابته.

وقال[2]:

[١٠٩] إلّا تَنَـلْ «مَنْويـلَ» أطـرافُ القَنَـا ❁ أو تُـثْنَ عَنْـه البِـيضُ وهْـيَ حِـرَارُ
فلقَــدْ تمنّــى أنَّ كُــلَّ مَدينَــةٍ ❁ جَبَـلٌ أصَـمٌّ، وكـلَّ حِصْـنٍ غَـارُ
فــانْظُرْ بعَــيْنِ شَــجاعَةٍ فَلَتَنْظُـرَنْ ❁ أنَّ المُقــامَ بحيْـثُ كُنْـتَ فِـرَارُ[3]
هَيْهــاتَ جاذَبَــك الأعِنَّــةَ بَاسِــلٌ ❁ يُعْطِـي الشَّـجَاعَةَ كُـلَّ مـن تَخْتَـارُ[4]
فَمضــى لــو أنَّ النَّــارَ دونَــك خَاضَــها ❁ بالسَّــيْفِ إلَّا أنْ تَكــونَ النَّــارُ[5]

وقال يمدحُ الأفْشِينَ[6]:

لاقَــاكَ بَابَــكُ وَهــو يَــزْأَرُ فــانْثَنى ❁ وزَئِيــرُهُ قــد عــادَ وَهْــوَ أَنِــينُ
لمــا رَأى عَلَمَيْــكَ ولَّــى هَارِبًــا ❁ ولِكُفْــرِهِ طَــرْفٌ عَلَيْــه سَــخِينُ

---

(١) ساقطة من الأصل.
(٢) ديوانه: ٥٢٣/١ والتبريزي ١٧١/٢.
(٣) ديوانه والتبريزي: «فلتعلمن».
(٤) ديوانه والتبريزي: «كل ما».
(٥) ديوانه: «يمضي».
(٦) ديوانه: ٣٦/٣ والتبريزي ٣١٨/٣.

وَلَّـى ولَـمْ يَظْلِـمْ وهـلْ ظَلَـمَ امـرؤٌ ✤ حَـثَّ النَّجـاءَ وخَلْفَـه التِّنِيـنُ
طَعَـنَ التَّلَهُـفُ قَلْبَـهُ ففـؤادُهُ ✤ مـن غَيْـرِ طَعْنَـةِ فـارِسٍ مَطْعـونُ
ورجَـا بِـلادَ الـرُّومِ واسْتَعْصَـى بِـهِ ✤ أَجَـلٌ أَصـمُّ عـن النَّجـاءِ حَـرونُ
هَيْهـاتَ لـم يَعْلَـمْ بِأنَّـكَ لَـوْ ثَـوى ✤ بالصِّـينِ لـم تَبْعُـدْ عَليـكَ الصِّـينُ(١)

وهذا كلُّه معنًى ولفظًا لا مطعنَ عَلَيْهِما في الصحَّةِ والاسْتِقَامةِ والحُسْنِ والجَوْدَةِ.

وقالَ(٢):

إن يَـنْجُ منـك أبـو نَصْـرٍ فَعَـنْ قَـدَرٍ ✤ تَنْجُـو الرِّجـالُ ولكِـنْ سَـلْهُ كَيـفَ نَجَـا

وهذا بَيْتُهُ المَشْهُورُ الذي يُسْتَحْسَنُ من أَجْلِ إجْمالِهِ وتَرْكِهِ أَنْ يُشْرَحَ.

وقد أَحسنَ البُحتريُّ في قَولِهِ(٣):

إن يَـنْجُ مُنْهَزِمًـا رَكْضًـا فَقَـد وَطِئَـتْ ✤ مِنْـهُ الرِّمـاحُ صَـلِيفَيْ كَاهِـلٍ وقَفَـا

وقال أبو تمّامٍ(٤):

ولَّـى مُعاويـةُ عَـنْهُمْ وقَـد أخَـذَتْ ✤ فيـه القَنَـا، فـأبى المِقْـدارُ والأمـدُ(٥)
نجَّاكَ في الرَّوْعِ ما نَجَّى سَمِيَّك في ✤ صِـفِّينَ والخَيْـلُ بالفُرْسـانِ تَنْجَـرِدُ(٦)

---

(١) في الأصل: «لم يعلم بابك» تحريف.

(٢) ديوانه: ٣٦٢/١ والتبريزي ٣٣٦/١.

(٣) ديوانه: ١٤٣٦/٣.

(٤) ديوانه: ٤٢٦/١ والتبريزي ١٤/٢.

(٥) جاء في النظام «وفي نسخة: معاوية اسم بابك» النظام جـ١ لوحة ٣١٧، وفي التبريزي: «وقد حكمت».

(٦) أراد قول النجاشي في معاوية بن أبي سفيان: =

إنْ تَنْفَلِـتْ وأُنُـوفُ المَـوتِ رَاغِمَـة ❊ فاذْهَبْ فأنْتَ طَليقُ الرَّكْضِ يا لُبَدُ[1]

وقال فيها:

تَرَكْـتَ مِـنْهُمْ سـبيلَ النَّـارِ سَـابِلَةً ❊ فـي كُـلِّ يَـوْمٍ إلَيْهـا عُصْـبَةٌ تَـرِدُ

كـأنَّ بَابَـك بالبَـذَّيْنِ بَعْـدَهُمُ ❊ نُـؤْيٌ أقَـامَ خِـلافَ الحَـيِّ أو وَتَـدُ[2]

وقالَ[3]:

لمَّـا رَأى الحَـرْبَ رَأْيَ العَـينِ تَـوْفَلِسٌ ❊ والحَرْبُ مُشْتَقَّةُ المَعْنى من الحَرَبِ[4]

غَـدا يُصَـرِّفُ بـالأمْوالِ جِزْيَتَهـا ❊ فَعَـزَّهُ البَحْـرُ ذُو التَّيـارِ والحَـدَبِ[5]

لـم يُنْفِـقِ الـذَّهَبَ المُربِـي بِكَثْرَتِـهِ ❊ على الحَصى وبـهِ فَقْرٌ إلـى الـذَّهَبِ

إنَّ الأسُـودَ أُسـودَ الغِيـلِ هِمَّتُهـا ❊ يَومَ الكَريهَةِ في المَسْلوبِ لا السَّلَبِ[6]

وَلَّـى وقَـدْ ألْجَـمَ الخَطِّـيُّ مَنْطِقَـهُ ❊ بِسَـكْتَةٍ تَحْتَهـا الأَحْشَـاءُ فـي صَـخَبِ

أَحـذى قَرابِينَـه صَـرْفَ الـرَّدى ومَضـى ❊ يَحْتَـثُّ أنْضـى مطَايَـاهُ مـن الهَـرَبِ[7]

= ونجَّـى ابـن حَـرْبٍ سـابحٌ ذو عُلاَلَـةٍ ❊ أجَـشُّ هَـزيمٌ والرمَـاحُ دَوانِـي

«وقعة صفين ٥٢٤».

(١) «لبد» اسم أحد نسور لقمان، وهو اسم يتشاءم منه «انظر التبريزي».

(٢) شبهه بالنؤيء أو الوتد المهملين يريد أنه تُرِكَ ذليلًا.

(٣) ديوانه: ١/٢٠٠ والتبريزي ١/٦٤.

(٤) توفلس: هو توفيل بن ميخائيل، انظر تاريخ الطبري ٩/٥٥، دار المعارف. وقد سبق البيت في ١/٢٤٢.

(٥) ديوانه والتبريزي «جريتها» بالراء المهملة وقال الصولي: «وسمعت من لا يفهم شيئًا ويدّعى كل شيء ولا أسميه، يقول: «جزينها» بالزاي يذهب إلى أنه أراد أن يعطى الجزية، وهذا تصحيف قبيح، لأنه لو بذل الجزية لأخذت منه، إنما بذل مالاً لا على سبيل الجزية».

(٦) ديوانه «الغاب».

(٧) ديوانه: «أخفي» والتبريزي «أنجي».

وهذا إحْسانُهُ المعروفُ الذي لَا شَيء يَفوقُهُ.

وقال[1]:

رآهُ العِلْــجُ مُقْتَحِمًــا عليــه ❊ كمــا اقْــتَحَم الفَنــاءُ علَــى الخُلــودِ
فمــرَّ ولــو يُجــارِي الــرِّيحَ خِيلَــتْ ❊ لدَيــهِ الــرِّيحُ تَرْسُــفُ فــي القُيــودِ

قوله:

كمــا اقْــتَحم الفَنــاءُ علــى الخُلــودِ

من قول مُسْلِم بن الوَليدِ[2]:

كأنَّــه أَجَــلٌ يَسْــعى إلــى أَمَــلِ

وقولُهُ:

... ... خِيلَتْ ❊ لَدَيــهِ الــرِّيح تَرْسُــفُ فــي القُيــودِ

في غايَةِ الجَودَةِ.

وقال في مَدح إسحاق بنِ إبراهيمَ[3]:

سَــمّاهُمُ البَطَــرُ الأُسْــدَ الغِضَــابَ فلَــمْ ❊ تَهجَــعْ سُــيُوفُكَ حَتَّــى صُــيِّروا نعمَــا[4]
ولَّــتْ شَــياطِينُهم عــن حَــدِّ مَلْحَمَــةٍ ❊ كَانَــتْ نجُــومُ القَنَــا فِيهــا لَهُــمْ رُجُمــا[5]

---

(١) ديوانه: ٤٣٧/١، والتبريزي ٣٧/٢ وقد سبق البيت الأول في ٢٥٢/١.

(٢) ديوانه: ص ٩ وصدره: «مُوفٍ على مُهَجٍ في يَوم ذي رَهَجٍ»

(٣) ديوانه: ٤٣٦/٢ والتبريزي ١٧٢/٣.

(٤) التبريزي يقول: بَطَرُو وعَدَوْا على الإسلام وأهله عَدْوَةَ الأسْدِ الغِضاب.

(٥) التبريزي أي: كانوا في تعرضهم للإسلام كالشياطين التي تسترق السمع، وكنت في قمعهم كالكواكب تُرجَم بها الشياطين.

وما وراءَ هذا البيتِ غايةٌ في حُسْنِه وحلاوتَه وصِحَّةِ مَعناهُ، ولَسْتُ أَدْري أيُّهُما أجَودُ في مَعناه أَهُو أَمْ قولُ البُحْتُريِّ:

قَمَرٌ يكُـرُّ علىٰ الكُماةِ بِكَوْكَبِ(١)؟

وقال في مَدْح خَالِد بن يَزيدَ بنِ مَزْيَدٍ(٢):

ولمَّـــا رَأى تَوْفِيـــلُ راياتِـــكَ التـــي ❊ إذا ما اتلأَبَّتْ لا يُقاوِمُها الصُّلْبُ(٣)

تَـولَّى ولـم يَـألُ الـرَّدى فـي اتِّباعِـهِ ❊ كـأنَّ الـرَّدى فـي قَصْـدِه هَـائِمٌ صَـبُّ

غـدا خَائِفًـا يَسْـتَنْجِدُ الكُتْـبَ مُـذْعِنًا ❊ عليـكَ فـلا رُسْـلٌ ثُنَـتْـكَ ولا كُتْـبُ

ومـا الأَسَـدُ الضِّـرْغَامُ يومًـا بِتَـارِكٍ ❊ صَريمَتَه إن أنَّ أَوْ بَصْبَصَ الكَلْبُ(٤)

[١١٠] فمـرَّ ونَـارُ الكَـرْبِ تَلْفَـحُ قَلْبَـهُ ❊ وما الرَّوْحُ إلّا أَنْ يُخَامِرَهُ الكَرْبُ(٥)

مَضـى مُـدّبّرًا شَـطْرَ الـدَّبُورِ ونَفْسُـهُ ❊ علىٰ نَفْسِهِ من سَوءِ ظَنٍّ بِهَا إلْبُ(٦)

جَفا الشَّرْقَ حَتىٰ ظَنَّ من كَان جَاهِلًا ❊ بِـدِينِ النَّصـارى أنَّ قِبْلَتَـه الغَـرْبُ

وحَسْبُكَ بِهذَا جَوْدَةً.

وقال البحتريُّ في هذا البابِ(٧):

---

(١) ديوانه: ٨١/١ وصدره: «وتَراهُ في ظُلَمِ الوغىٰ فَتخالُهُ»

(٢) ديوانه: ٢٧١/١ والتبريزي ١٨٨/١.

(٣) اتلأبّت أي: استقامت «التبريزي».

(٤) ديوانه والتبريزي: «بعاكس».

(٥) الرَّوْحُ: الفرح، والمَعْنىٰ: وما الرَّوْحُ للمسلمين إلا أن يخامر هذا العدوَّ الكَرْبُ، فحذف لعلم السامع «التبريزي»، وفي ديوانه: «تلفح وجهه».

(٦) يقال: هم إلب عليك أي تألبوا «التبريزي».

(٧) ديوانه: ١٢/١.

أَشْلَى على «مَنْويلَ» أَطْرافَ القَنا ❖ فَنَجا عَتِيقَ عِتيقَةٍ جَرْداءِ[1]
ولَوَ أَنَّهُ أَبْطى لَهُنَّ هُنَيْهَةً ❖ لصَدَرْنَ عَنْهُ وهُنَّ غَيْرُ ظِماءِ[2]
فَلَئِنْ تَبَقَّاهُ القَضاءُ لِوَقْتِهِ ❖ فلَقَدْ عَمَمْتَ جُنودَه بِفَناءِ
أَثْكَلْتَهُ أَشْياعَه، وتَرَكْتَهُ ❖ لِلْمَوتِ مُرْتَقِبًا صَباحَ مَساءِ
حتَّى لَوِ ارْتَشَفَ الحديدَ أذَابَهُ ❖ بالوَقْدِ من أنْفاسِه الصُّعداءِ

وقالَ[3]:

وما كانَ «بُقراطَ بن آشوطَ» عِنْدَهُ ❖ بأَوَّلِ عَبْدٍ أَوْبَقَتْهُ جَرائِرُهْ[4]
وقدْ شَاغَبَ الإسلامَ خَمْسينَ حُجَّةً ❖ فلا الخَوفُ نَاهِيهِ، ولا الحِلْمُ زَاجِرُهْ
ولَمْ يَرْضَ من «جُرْزانَ» حِرزًا يُجِيرُهُ ❖ ولا فِي «جِبال الرُّومِ» رَيْدًا يُجاوِرُهْ[5]
فجاءَ مَجِيءَ العِيرِ قَادَتْهُ حَيْرَةٌ ❖ إلىٰ أَهْرَتِ الشِّدْقَينِ تَدْمىٰ أظَافِرُهْ[6]
ومن كانَ في اسْتِسْلامِهِ لائِمًا لَهُ ❖ فإنِّي على مَا كانَ من ذَاكَ عاذِرُهْ
ولم يَبْقَ بَطْرِيقٌ لَهُ مِثْلُ جُرْمِهِ ❖ «بِأَرَّانَ» إلّا عازِبُ اللُّبِّ طَائِرُهْ[7]
كَسَرْتَهُمُ كَسَرَ الزُّجَاجَةِ بَعْدَهُ ❖ ومن يَجْبُرُ الوَهْيَ الذي أَنْتَ كَاسِرُهْ

---

(١) منويل قائد من قواد إمبراطور الروم، والمعنىٰ: أن الفرس العتيقة أعتقته من الأسر «ديوانه» وانظر عبث الوليد ص ٢٢.

(٢) في الأصل: «فصدرن» والتصحيح من ديوانه.

(٣) ديوانه: ٢/٨٧٨.

(٤) بقراط بن أشوط، ويقال له بطريق البطارقة، خرج يطلب الإمارة في أرمينية سنة ٢٣٧ هـ، «الطبري ٩/٨٨٧، دار المعارف».

(٥) جرزان: اسم جامع لناحية بأرمينية قصبتها تفليس «معجم البلدان».

(٦) سبق في ٢/٤٩.

(٧) أرّان: من أصقاع أرمينية ـ معجم البلدان.

فــإن يَــكُ هــذا أَوَّلَ الــنَّقْصِ فِــيهِمُ ❊ وكُنْـتَ لَهُـمْ جـارًا فمـا هُـو آخِـرُهْ

وهذا في غَايَةِ الحُسْنِ والصِحَّةِ والسَّلامَةِ.

وقوله:

فجـاءَ مَجِـيءَ العِيـرِ قَادَتْـهُ حَيْـرةٌ

مثلُ قولِ أبي تمَّام(١):

فكـانَ كشَـاةِ الرَّمْـلِ قَيَّضَـهُ الـرَّدى

والبيتانِ جميعًا جَيِّدَانِ ومَعناهُما مُشْتَرَكٌ جارٍ في العاداتِ ولَيس مِثْلُهُ مَسْروقًا(٢).

وقال(٣):

ولقـد عَـذَلْتُ «أبـا أُمَيَّـةَ» لَـوْ وَعَـتْ ❊ أُذُنَــاهُ ذاكَ العَــذْلَ والتَّأْنِيبَــا

قَصَـدَ الهُـدى بالمُعْضِـلاتِ يَكِيـدُهُ ❊ ودعَــا إلــى إضْــلالِهِ فأُجِيبَــا

حتَّــى تَقَــنَّصَ فــي أظَـافِرِ ضَـيْغَمٍ ❊ مَـلأَتْ هَماهِمُـهُ القلـوبَ وَجيبَـا(٤)

ونُهيـتُ «بُقْـراطَ بـنَ حَمْـزَةَ» لـو نَهـى ❊ أمــلًا كَبارَقَــةِ الجَهَـامِ كَـذُوبَا(٥)

---

(١) سبق البيت في ٥١١/٣ وعجزه: «لِقَانصِهِ من قَبْلِ نَصْبِ الحَبائِلِ» وشاةُ الرمل: البقرة الوحشية.

(٢) انظر تفصيل هذا في ٥٢/٢.

(٣) ديوانه: ١٨٦/١.

(٤) ديوانه: «إذلاله».

(٥) في ديوانه: «آشوط بن حمزة»، وهو الذي أسره بغا الشرابي بعد مقتل يوسف بن محمد، وكنيته أبو العباس وهو صاحب الباق، وهي من كور البُسْفُرُجَّان وهي بأرض آران السابق ذكرها، في أرمينية الثالثة ومدينتها «النَّشوئ» «الطبري ١٨٨/٩ ـ معجم البلدان ٤٢٢/١»، وفي الأصْلِ: «الحِمام» ولا معنىً لها والتصحيح من ديوانه، «والجهام»: السحاب الذي لا ماء فيه.

ظَــنَّ الظُّنُــونَ صَــواعِدًا فَرَدَدْتَــهُ ❁ خَزْيَـــانَ يَحْمِـــلُ مَنْكِبًـــا مَنْكُوبَـــا

مُتُقَسِّــمُ الأَحْشَــاءِ يَــنْفُضُ رَوْعُــهُ ❁ قَلْبًـــا كـــأنبوبِ اليـــرَاعِ نَخِيبَـــا[1]

وهذا كلُّه جَيِّدٌ بالِغٌ لَفْظًا ومَعنًى وسَبْكًا.

وقال[2]:

ولمَّـــا رأى الأكْـــرادُ بَـــرقَ سِـــنَانِهِ ❁ تَمُـــجُّ دَمًـــا مِـــنْهُمْ فوبْـــلٌ وَرِيِّـــقُ[3]

تَوَلَّـــوا، فهَـــامٌ بـــالفِرَارِ مُعَيَّـــرٌ ❁ دُهـــورًا، وهَـــامٌ بالسُّـــيوفِ مُلَفَّـــقُ

وهذا كما تَرىٰ غايَةٌ في حُسْنِه وغرَابَتِهِ.

وقال[4]:

وزَرَّ فُــروجَ المُرْهَفــاتِ علــى بَنِــي ❁ زُرارَةَ واخْتَــارُوا عَلَيْــهِ السَّلاسِــلا[5]

وأَصْلَح مِنْهُمْ كُــلَّ مــن كــانَ فَاسِــدًا ❁ وقَــوَّمَ مِــنهمْ كُــلَّ مــن كــانَ مَــائِلَا[6]

وأَصْعَدَ «مُوسَىٰ» في السَّماءِ فلم يَجِدْ ❁ بَهــا مَهْرَبًــا مِنْــهُ فأَقْبَــل نَــازِلا[7]

ولــم تَسْــتَطِعْ «بَــدْلِيسُ» تَمْنَــعُ رَبَّهــا ❁ مــن الأَسَــدِ المُزْجِــى إلَيْهــا القَنَــابِلا[8]

لَأَذْكَرْتَــهُ بـــالرُّمْحِ مـــا كـــانَ نَاسِــيًا ❁ وعَلَّمْتَــهُ بالسَّــيْفِ مــا كــانَ جَــاهِلا

---

(١) النخيب: الذي لا قلب له وهو الجبان.

(٢) ديوانه: ١٤٩٣/٣.

(٣) ديوانه «يثج».

(٤) ديوانه: ١٦٠٣/٣.

(٥) في الأصل: «فرارة»، والتصحيح من ديوانه.

(٦) ديوانه: «كل ما كان».

(٧) هو موسىٰ بن زراة كان علىٰ ابنة بقراط بن أشوط، بطريق بطارقة في أرمينية «الطبري ١٨٧/٩».

(٨) بدليس: بلدة من نواحي أرمينية قرب خِلاط ذات بساتين كثيرة «معجم البلدان».

أَحَطْـتَ بِـهِ قَهْـرًا، فلمَّـا مَلَكتَـهُ ❁ أَحَطْـتَ بـهِ مَنًّـا عَلَيْـه ونـائِلا
ولَـوْ لَـمْ تُنَاهِضْـهُ وأَبْصَـرَ عُظْـمَ مَـا ❁ تُنِيـلُ مـن الجَـدوى لجَـاءَك سَـائِلا

وهذا هو الإحسانُ الذي لا يتعلق به إحسان، غَيْرَ أنَّ قَوْلَهُ: «وزَرَّ فُروجَ المُرْهفَاتِ» استعارةٌ رَدِيئَةٌ وتَجْنِيسٌ قَبيحٌ يُشْبِهُ تَجْنِيساتِ أبي تمّامٍ الرَّدِيئةِ.

وقال(١):

سُـلِبُوا وأَشْـرَقَتِ الـدِّماءُ عَلَـيْهِمُ ❁ مُحْمَـرَّةً، فكـأَنَّهم لَـمْ يُسْـلَبُوا(٢)
وَلَـو أَنَّهُـمْ رَكِبُـوا الكَواكِـبَ لـم يَكُـنْ ❁ يُنَجِّـيهِمُ مِـنْ أَخْـذِ بَأْسِـكَ مَهْـرَبُ(٣)

«رَكِبُوا الكَواكِبَ» لأنَّهُ لا تَفِي بِحَرَكَةِ سَيْرِها حَرَكةٌ.

وما أحسنَ ما قالَ عَبدُ العُزّىٰ بنُ وَديعَةَ المُزَنيُّ(٤):

كـأَنَّ سُـيوفَنَا فِينَـا وفِـيهِمْ ❁ سَـحَابٌ يَسْـتَهِلُّ ويَسْـتَطِيرُ
كَـأَنَّهُمُ وقَـد وَلَّـوا جَـرَادٌ ❁ بـذِي لَجَـبٍ تُهَـوِّرُهُ الـدَّبُورُ



(١) ديوانه: ١/٧٦.
(٢) سبق في ٢/١٨.
(٣) ديوانه «لِمُجِدِّهم».
(٤) لم أقف عليه بعد، ذو لجب: كناية عن الجيش، واللجب الصخب والجَلَبة، تهوّره: تشتّته وتفرقه، الدبور: ريح.

[١١١] ## ذكر الصَّلبِ على الجذوع وحمل الرُّؤوس

قال أبو تمّام(١):

لمـا قَضَـى رَمضـانُ فيـهِ قَضَـاؤُهُ ❁ شَـالَتْ بِـه الأيَّـامُ فـي شَـوَّالِ

أَهْـدى لِمَـتنِ الجِـذْعِ مَتْنَيْـهِ كَـذَا ❁ مـن عَـافَ مَـتْنَ الأَسْـمَرِ العَسَّـالِ

لا كَعْـبَ أَسْـفلَ مَوضِـعًا مـن كَعْبِـهِ ❁ مَـع أَنَّـهُ عـن كُـلِّ كَعْـبٍ عَـالِ

سـامٍ كَـأنَّ العِـزَّ يَجْـذِبُ ضَـبْعَهُ ❁ وسُـمُوُّهُ مـن ذِلَّـةٍ وَسِـفَالِ

مُتُفَـرِّغٌ أبـدًا ولَـيْسَ بِفَـارِغٍ ❁ مـن لا سَـبيلَ لَـهُ إلـى الإشْـغَالِ

هذا كُلَّه من مَشْهور إحْسانِه وبارِعِ قَوْلِهِ.

وقولُهُ: «مُتُفَرِّغٌ أبدًا........» من الفَلْسَفةِ العَجِيبَةِ، وهو البَيْتُ الذي كانَ الكِنْديُّ(٢) يُعْجَبُ بِهِ.

وقال فيه(٣):

ولَقَـدْ شَـفى الأَحْشَـاءَ مِـنْ بُرَحائِهـا ❁ أَنْ صَـار «بَابَـكُ» جَـارَ «مَازَيَّـارِ(٤)»

---

(١) ديوانه: ٢/٢١٧ والتبريزي ٣/١٤٣ «يمدح المعتصم ويذكر قتلَ بَابَك وصَلْبَهُ في سامراء».

(٢) هو يعقوب بن إسحاق بن الصباح الكندي من أبناء ملوك كندة، وفيلسوف العرب والإسلام في عصره، نشأ في البصرة وانتقل إلى بغداد فتعلم واشتهر بالطب والموسيقى والهندسة والفلك وألف وترجم وشرح كتبًا كثيرة «انظر طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ص ٢٨٠ وأخبار الحكماء للقفطي ص ٢٤٠ وتاريخ حكماء الإسلام للبيهقي ص ٤١».

(٣) أي: في بابك ديوانه: ١/٥٤٧ والتبريزي ٢/٢٠٧.

(٤) مازَيّارَ بن قَارن كان على طبرستان أيام المعتصم، وانتقض عليه فحاربه المعتصم وأسره ثم صلبه=

ثَانِيـهِ فـي كَبِـدِ السَّـماءِ ولـم يَكُـنْ ❁ لاثنـينِ ثَـانٍ إذْ هُمـا فـي الغَـارِ
وكَأنَّمــا انْتبـــذا لِكَيْمـــا يَطْوِيَـــا ❁ عـن «نَـاطسٍ» خَبـرًا مـن الأخبـارِ
سُـودُ اللِّبـاسِ كأنَّمـا نَسَـجَتْ لَهُـمْ ❁ أَيـدي السَّـمُومِ مَـدارِعًا مـن قَـارِ[١]
بَكَـرُوا وأَسْـرَوْا فـي مُتـونِ ضَـوامِرٍ ❁ قِيـدَتْ لَهُـم مـن مَـرْبَطِ النَّجْـارِ
لا يَبْرَحُـونَ ومـن رَآهُـمْ خَـالَهُمْ ❁ أبـدًا علـى سَـفَرٍ مـن الأَسْـفارِ

قَولُهُ: «.... لم يَكُنْ لاثنينِ ثَانٍ إذْ هُما في الغَارِ» من لُحونِه القَبيحَةِ، وقد ذَكَرْتُه في جُملةِ ما ذَكَرْتُه من أغَالِيطِه في المَعانِي[٢].

وأما «نَاطِسُ» فَلسْتُ أدْري ما أَرَادَ بِهِ وَأظُنُّه عَظِيمًا من عُظَماءِ أهل الشِّرْكِ مِمَّنْ كانَ تَجِبُ طَاعَتُه، كَأنَّما أَتَاهُما خَبَرٌ فَهُما يَتَفَاوَضَانِه ويَطْوِيانِهِ، وقَدْ كُنْتُ سَمِعْتُ فِيه شَيْئًا أَظُنُّه هَذا[٣].

وقَوْلَهُ:

= إلى جانب بابك سنة ٢٢٤ «الطبري ٩/٨٠ ـ ١٠٣».

(١) ديوانه والتبريزي «الثياب».

(٢) انظر ١/١٩٢.

(٣) نقل ابن المستوفي من حاشية كتاب الخارزنجي أبو يحي: حُكيَ أن جذعي مازيار وأفشين كانا فوق جذع ياطس وكلا الجذعين مائل أحدهما إلى صاحبه كأنهما يتناجيان بينهما ما يطويانه عن ياطس في رأي العين لا في الحقيقة «النظام جـ ٢ لوحة ٥٥».
وقال المرزوقي في شرح مشكل أبيات أبي تمام «ص ٣٠»: «يعني بابك ومازيار، وكانا لما صُلِبَا قَرُب أحدهما من الآخر ونحّي عنهما ناطس الرومي، فقال: كأنما تنحيا عن ناطس ليكتما عنه سرًّا ويطويا دونه خبرًا لا يريدان وقوفه عليه».
وناطس هو ياطس الرومي الذي كان على عمورية من قبل ملك الروم عندما دخلها المعتصم ظافرًا وأسره، ومات ياطس سنة ٢٢٤ وصلب بسامراء إلى جانب بابك «الطبري ٩/٦٣، ٦٤، ١٠٢».

لَا يَبْرَحُونَ ومن رآهم خَالَهم ❊ أَبدًا على سَفَرٍ من الأَسْفارِ

مَأْخوذٌ من قَولِ آخر ـ وأَنْشَده ثَعْلبٌ[1] ـ:

قَامَ ولمَّا يَسْتَعِنْ بِسَاقِهِ ❊ آلَفَ مَثْواهُ على فِرَاقِهِ

وقال البحتريُّ في صَلْبِ بَابَكَ يخاطب أبا سعيد[2]:

ما زِلْتَ تَقْرَعُ بابَ «بَابَك» بالقنَا ❊ وتَزُورُه في غَارةٍ شَعواءِ

حتَّى أَخذْتَ بِنَصْلِ سَيْفِك عُنْوةً ❊ مِنْهُ الذي أَعيا على الخُلفَاءِ

أَخْليَتَ منه «البَذَّ» وهي قَرارُهُ ❊ ونَصَبْتَهُ عَلمًا ب«سامَرَّاءِ»

لَم يُبْقِ مِنْهُ خوفُ بَأْسِك مَطْعمًا ❊ لِلطَّيرِ في عَوْدٍ ولا إبْداءِ

فتَرَاهُ مُطَّرِدًا على أعوادِهِ ❊ مثلَ اطِّرادِ كَواكِبِ الجَوْزَاءِ

مُسْتَشْرِقًا للشَّمْسِ مُمْتَدًّا لها ❊ في أُخْرَياتِ الجِذْعِ كالحِرْبَاءِ[3]

قَوْلُهُ: «بسامَرّاء» من لُحونِه القَبيحَةِ، وإنَّما ذهب إلى أَنْ جَعلَها اسمًا واحِدًا كما تَلْفُظُ بهِ العَامَّةُ، وإنما هِيَ: «سُرَّ مَنْ رأى[4]».

وقَوْلَهُ: «مُطَّرِدًا على أعوادِهِ» أي: يَلُوحُ، لأنَّ الشَّمْسَ صَيَّرتْهُ كما تُرى الكَواكِبُ، كأنَّها تَتَحرَّكُ، تَطَّرِدُ: أي يَطْرُدُ ضَوءُها بَعْضُهُ[5] بَعْضًا، كأنَّ الضَّوءَ

---

(١) سبق هذا في ٢٥٨/١ وانظر تخريجه هناك.

(٢) ديوانه: ٩/١٠.

(٣) في الأصل «متشرقًا»: تحريف، والتصحيح من ديوانه.

(٤) قال ياقوت: فيها لغات: سامراء، ممدود، سامرا مقصور وسر من راء مهموز الآخر وستر من رأي مقصور الآخر «معجم البلدان».

و«البذ» كورة بين أذربيجان وأرّان بها كان مخرج بابك الخرمي، «معجم البلدان».

(٥) في الأصل: «بَعضُها».

يَتَدَافَعُ، وخَصَّ كواكِبَ الجَوْزَاءِ لأنَّها كَهيئَةِ الإنسانِ المَصْلوبِ.

وقَولُهُ: «في أُخْرَيَاتِ الجِذْعِ كالحِرْباءِ» ما زِلْتَ أَسمَعُ الشُّيوخَ من أَهْلِ العلمِ بالشِّعْرِ يقولونَ إنَّه ما شُبِّهَ المَصْلوبُ بأصحَّ من هَذا التَّشْبيهِ ولا أَقربَ ولا أَحْسنَ لَفْظًا ولا أَشْبَه بكلامِ العَرَبِ.

وأمّا ما تَقدَّم من قولِ أبي تمّامٍ فإنَّهُ حِكْمَةٌ مُتْقَنةٌ وفَلْسفَةٌ تَفُوق كُلَّ فَلْسَفَةٍ وتَتَقدَّم معَاني النَّاسِ في الرِّقَّةِ واللَّطافَةِ.

وقال البُحتريّ في قَومٍ أُخِذُوا ومَعَهم صَلِيبٌ لَهُمْ فَصُلِبُوا[1]:

وما صَلِيبُ [ابنِ] آشوطٍ بأَمْنَع مِنْ ❊ صَليبِ «بُرجان» إذ خَلَّوْهُ وانْجَفَلُوا[2]
أَمْسى يَردُّ حَريقَ الشَّمْسِ جَانِبُهُ ❊ عن «بَابَكٍ» وهْوَ في الباقينَ يَشْتَعِلُ[3]
كأَنَّهُمْ رَكِبُوا في الحَرْبِ وهو لَهُم ❊ بَنْدٌ، فما لُفَّ مُذْ أَوْفى ولا نَزَلُوا[4]
تَفاوَتُوا بَيْنَ مَرْفُوعٍ ومُنْخَفِضٍ ❊ عَلى مَراتِبَ مَا قالُوا ومَا فَعَلُوا
رَدَّ الهَجِيرُ لِحاهُمْ بعد شُعْلَتِها ❊ سُودًا، فعَادُوا شَبَابًا بعدما اكْتَهَلُوا

وهذا مرعًى ولا كالسَّعْدانِ[5].

---

(١) ديوانه: ١٧٥٨/٣.

(٢) ما بين الحاصرتين ساقطة من الأصل، والتصحيح من ديوانه، وبرجان: موضع من بلاد الخزر «معجم البلدان» أو جنس من الروم.

(٣) ديوانه: «وهي في الباقين».

(٤) البند: العلم الكبير.

(٥) السَّعْدان: نبت ذو شوك كأنه فلكة يستلقئ فتنظر إلئ شو كه كالِحًا إذا يبس، ومنبته سهول الأرض وهو من أنجع المراعي، والعرب تقول: أطيب الإبل لبنا ما أكل السعدان والحُرُبُثَ ولهذا قيل في المثل: مرعًئ ولا كالسَّعْدانِ.

وقالَ[1]:

قَــوْمٌ تَــرى أَرْمــاحَهُمْ يَــومَ الــوَغى ❊ مَشْــغوفَةً بِمَــواطِنِ الكِتْمــانِ[2]

يَتســـرْبَلُونَ أَسِـــنَّةً وصَـــفائِحًا ❊ والمَــوْتُ بــين صَــفيحَةٍ وسِــنَانِ

[١١٢] قَوْمٌ إذا شَهِدوا الكَرِيهَةَ صَيَّرُوا ❊ كُمَــمَ الرِّمــاحِ جَمــاجِمَ الأَقْــرانِ[3]

فهذا مَأْخُوذٌ من قَولِ مُسْلمٍ[4]:

يُغْشِـي السُّيوفَ نُفـوسَ النَّـاكِثِينَ بِـه ❊ ويَجْعَـلُ الهَـامَ تيجـانَ القَنـا الـذُّبُلِ

وأَخذَه أبو تَمَّامٍ فأساءَ الأَخْذَ وقَبَّح لَفْظًا ومعنًى، وسَلكَ وَجْهًا آخَرَ فقَالَ[5]:

بَـدَّلْتَ أَرْؤُسَـهم يَـومَ الكَرِيهَـةِ مِـنْ ❊ قَنـا الظُّهـورِ قَنـا الخَطِـيِّ مُـدعَّمَا

وإنما أَلَمَّ مُسلِمٌ بن الوليدِ بِقَوْلِ جَريرٍ[6]:

كَــأَنَّ رُؤوسَ القَــوْمِ فَــوْقَ رِمَاحِنــا ❊ غَـداةَ الـوَغى تِيجَـانُ كِسْـرى وقَيْصَـرا

وقال آخر[7]:

---

(١) ديوانه: ٤/٢٣٦٥.

(٢) في الأصل: «أرواحهم» والتصحيح مما سبق ومن ديوانه، وقد سبق في ٢/١٢.

(٣) سبق في ٢/١٥.

(٤) ديوانه: ص ١١ وفيه «يكسو»، وقد سبق هذا البيت برواية الديوان في ١/٢٥٦.

(٥) ديوانه: ٣/٤٣٥ والتبريزي ٣/١٧١، وقد سبق في ١/٢٥٦، وانظر تعليق صاحب الوساطة في الهامش.

(٦) لم أجده في ديوانه، وهو في الوساطة ٢٢٩، ومحاضرات الأدباء ٣/١٦٠، وشرح العكبري ١/١١٩، وعجزه في ديوان المعاني ٢/٧١.

(٧) هو المُعَلَّىٰ بن طارق الطائي، والبيتان في الوحشيات من أربعة أبيات والبيتان الآخران:

مشـت الهُـوَيْنَى فـي العَـدُّو رماحنـا ❊ حتـــى عَـــرَفْنَ مَســـالِكَ الأَرْواحِ

=

سَخِطَتْ جماجِمُهم على أَجْسادِهم ✻ فتبدَّلَتْ مِنْها صُدورُ رِماحِ[1]
ما وَاجَهَتْكَ عُقابُ حَرْبٍ مَرَّةً ✻ إلّا كَسَرْتَ جناحَها بِجَناحِ



=

تَشقَى بِضَحْكَتِهِ البدورُ فإن غَدا ✻ غَضْبانَ أضْحَكَ ذَابِلَ الأَرْماحِ

«الوحشيات ص ١١٧».

(١) في الوحشيات: «فَتحشَّدَتْ غضًّا».

ذكر الحربِ في البَحرِ

قال البحتريّ في أحمد بن دينار في الحرب التي تولّاها في البحر[1]:

ولمـا تَـوَلّى البَحْـرَ والجُـودُ صِـنْوُهُ ❖ غـدَا البَحْـرُ مـن أَخْلاقِـهِ بَـيْن أبْحُـرِ
أضـافَ إلـى التَّـدبير فَضْـلَ شَـجاعَةٍ ❖ ولَا عَـــزْمَ إلّا للشُّـــجاعِ المُـــدبِّرِ
إذا شَـــجَرُوهُ بالرِّمـــاحِ تَكسَّـــرَتْ ❖ عَواملُهـا فـي صَـدْرِ لَيْـثٍ غَضَـنْفَرِ
غَدَوْتَ على «المَيْمُونِ» صُبْحًا وإنَّما ❖ غدَا المركبُ الميمونُ تَحْتَ المُظَفَّرِ
أطـــلَّ بِعِطْفَيْـــهِ ومَـــرَّ كَأنَّمَـــا ❖ تَشَـوَّفَ مـن هَـادِي حِصَـانٍ مُشَـهَّرِ
إذا زَمْجَـرَ النُّـوتِيُّ فَـوْقَ عَلاتِـه ❖ رَأَيْـتَ خَطيبًـا فـي ذُؤابَـةِ مِنْبَـرِ
يَغُضُّـونَ دون الاشْـتِيامِ عُيـونَهم ❖ وقُـوفَ السِّماطِ لِلْعَظـيمِ المُـؤَمَّرِ[2]
إذا عَصَـفَتْ فيـه الجَنـوبُ اعْتَلـى لَهَـا ❖ جَناحَـا عُقَـابٍ فـي السَّـماءِ مُحَجَّـرِ[3]
إذا مَـا انْكَفـى فـي هَبْـوَةِ النَّـارِ خِلْتَـهُ ❖ تَلَفَّـعَ فـي أَثْنَـاءِ بُـرْدٍ مُحَبَّـرِ[4]
وحَوْلَـكَ رَكَّـابُونِ لِلْهَـولِ عَـاقَرُوا ❖ كُؤوسَ الرَّدى من دَارِعينَ وحُسَّرِ[5]

(١) أحمد بن دينار قائد من قواد الموفق في حربه مع صاحب الزنج، ومن الذين تطوعوا لقتاله، كان عاملا على إيذاج ونواحيها من كور الأهواز، وصار إلى الموفق في جمع كثير من الفرسان والرجالة، فكان يباشر الحرب بنفسه وأصحابه إلى أن قتل صاحب الزنج وذلك سنة ٢٧٠ هـ، أما معركته البحرية فقد كانت في أول خلافة المتوكل، والأبيات في ديوانه: ٢/٩٨٢.

(٢) الاشتيام: رئيس المركب: كلمة نبطية، وفي ديوانه: «وفوق»، والسماط: الصف من القوم ويقال: قام القوم حوله سماطين، وكل صف من الرجال سماط.

(٣) ديوانه: «مهجر».

(٤) ديوانه: «هَبْوة الماء».

(٥) الدار عون: لابسوا الدروع، والحسّر: ضد الدراعين.

تَمِيلُ المَنايا حيثُ مَالَتْ أَكُفُّهُمْ ❊ إذا أَصْلَتُوا حَدَّ الحديدِ المُذَكَّرِ
إذا رَشَقُوا بالنَّارِ لَمْ يَكُ رَشْقُهم ❊ لِيُقْلِعَ إلّا عن شِواءٍ مُقَتَّرِ
صَدَمْتَ بهم صُهْبَ العثانينِ دُونَهم ❊ ضِرابٌ كَإيقادِ اللَّظَى المُتَسَعِّرِ
يَسوقُونَ أُسْطولًا كأنَّ سَفِينَهُ ❊ سَحائِبُ صَيْفٍ من جَهامٍ ومُمْطِرِ
كأنَّ ضَجِيجَ البَحْرِ بَينَ رِماحِهم ❊ إذا اخْتَلَفَتْ تَرْجِيعُ عَوْدٍ مُزَمْجِرِ[1]
يُقارِبُ مِن زَحْفَيهِمُ فكأنَّما ❊ يُؤَلَّفُ مِن أَعْناقِ وحشٍ مُنَفَّرِ
فمَا رِمْتَ حتى أَجْلَتِ الحَرْبُ عن طَلًى ❊ مُقَطَّعةٍ فيهِمْ وَهَامٍ مُطيَّرِ[2]
على حينَ لا نَقْعٌ تُطَوِّحُهُ الصَّبَا ❊ ولا أَرْضَ تُلْفى للصَّريعِ المُقَطَّرِ
وكُنْتَ ابنَ كِسْرى قَبلَ ذاك وبَعْدَهُ ❊ مَلِيًّا بأنْ تُوهِي صَفاةَ ابنِ قَيْصَرِ
جَدَحْتَ له المَوْتَ الذُّعافَ فعَافَهُ ❊ وطارَ على ألواحِ شَطْبٍ مُشَمَّرِ[3]
مَضى وهو مَوْلى الرِّيحِ يَشْكُر فَضْلَها ❊ عَلَيْهِ، ومن يُولَ الصَنيعَةَ يَشْكُرِ

وهذا من أحسانِ أبي عُبادَةَ المَشْهورِ الذي يَفُوقُ كُلَّ إحْسانٍ.

وليس لأبي تَمَّامٍ في حَرْبِ البَحْرِ شَيءٌ.



(١) العَوْدُ: المسن من الأبل وفي ديوانه «مجرجر».

(٢) الطُّلى: صفحات الأعناق.

(٣) ديوانه: «مسمَّر» بالسين المهملة، الجدح: خلط الدقيق الناعم بالماء، الشطب: الأخضر من جريد النخل.

ما قالاهُ في حَرْبِ ذوي الأرحامِ والحضّ على صُلحِهِم والصَّفحِ عَنهُم

قال أبو تمَّام في مالكِ بن طَوْقٍ[(١)]:

لــو أَنَّ دَهْــرًا ردَّ رَجْــعَ جَــوابِ[(٢)]

يــا مالِــكَ ابــنَ المَــالِكينَ ولَــمْ تَــزَلْ ❋ تُــدعى ليَــوْمَيْ نائــلٍ وعِقَــابِ

لــم تَــرْمِ ذَا رَحْــمٍ بِبَائِقَــةٍ ولَا ❋ كَلَّفْـتَ قَوْمـكَ مـن وراءِ حِجَـابِ[(٣)]

لِلْجـودِ بَـابٌ فـي الأنَـامِ ولـم تَـزَلْ ❋ كَفَّــاكَ مِفْتَاحًــا لِــذَاكَ البَــابِ[(٤)]

ورَأيــتَ قَومَــك والإســاءَةَ مِــنْهُمُ ❋ جَرحــى بِظُفْــرٍ للزَّمــانِ ونَــابِ

هــمَ صــيَّرُوا تِلْـكَ البُـروقَ صَـواعِقًا ❋ فِــيهِمْ وذَاك العَفْــوَ سَــوْطَ عَــذابِ

وَأقِـلْ أُسَـامَةَ جُرْمَهـا واصْـفَحْ لَهـا ❋ عَنْــهُ وهَــبْ مَــا كــانَ لِلوَهَّــابِ[(٥)]

رَفَـدُوكَ فـي يَـوْمِ الكُـلابِ وشَـقَّقُوا ❋ فِيــهِ المــزَادَ بجَحْفَــلٍ غَــلَّابِ[(٦)]

وهُــمْ بِعَــيْنِ أُبَــاغَ رَاشُــوا لِلــوَغى ❋ سَـهْمَيْكَ عِنـد الحَـارِثِ الحَـرَّابِ[(٧)]

---

(١) ديوانه: ٢٠٨/١ والتبريزي ٧٥/١.

(٢) عجزه: «أو كف من شأويه طول عتاب».

(٣) ديوانه والتبريزي: «كلمت».

(٤) التبريزي: «يمناك».

(٥) أسامة: حي من تغلب.

(٦) يوم الكُلاب: كان بين الملكين شرحبيل بن الحارث وأخيه مسلمة بن الحارث. شَقَّقُوا فيه المزاد: أي أراقوا ما كان معهم من الماء، وقالوا لا نشرب إلا من الكُلاب.

(٧) عين أباغ: موضع معروف كانت فيه وقائع في العصور الجاهلية الأولى. الحارثَ الحَرَّاب: من ملوك العرب، راشوا سهميك: أي أعانوك.

ولَيـــالِيَ الثَّرْثَـــارِ والحَشَّـــاكِ قَـــدْ ❁ جَلَبُـــوا الجِيـــادَ لوحِـــقَ الأَقْـــرابِ[١]
فَمَضَـــتْ كُهُـــولُهُمُ ودَبَّـــرَ أَمْـــرَهُمْ ❁ أَحْـــداثُهُم تَـــدْبِيرَ غَيْـــرَ صَـــوابِ
لا رِقَّـــةُ الحضَـــرِ اللطيـــفِ غَـــذَتْهُمُ ❁ وتَباعَـــدُوا عـــن فِطْنَـــةَ الأَعْـــرابِ
[١١٣] وإذا كَشَـــفْتَهُمُ وَجَـــدَت لَـــديهمُ ❁ كَـــرَمَ النُّفـــوسِ وقِلَّـــةَ الآدَابِ
أَسْـــبِلْ عَلَـــيهِمْ سِـــتْرَ عَفْـــوِكَ مُفْضِـــلًا ❁ وانْفَـــحْ لَهُـــم مـــن نائِـــلٍ بِـــذِنَابِ
لَـــكَ فـــي رَســـولِ اللهِ أَعْظَـــمُ أُســـوَةٍ ❁ وأَجلُّهـــا فـــي سُـــنَّةٍ وكِتَـــابِ
أَعطـــى المُؤَلَّفَـــةَ القُلـــوبِ رِضَـــاهُمُ ❁ كَمَـــلًا وَردَّ أَخَايِـــذَ الأَحـــزَابِ[٢]
والجَعْفَرِيُّـــونَ اسْـــتَقلَّتْ ظُعْـــنُهُمْ ❁ عـــن قَـــومِهِمْ وَهُـــمُ نُجُـــومُ كِـــلابِ[٣]
حَتَّـــى إذا أَخَـــذَ الفِـــراقُ بِقسْـــطِهِ ❁ مِـــنْهُمْ وشَـــطَّ بِهِـــمْ عـــن الأَحْبَـــابِ
ورَأَوْا بِـــلادَ اللهِ قَـــد لَفَظَـــتْهُمُ ❁ أَكنافُهـــا رَجَعُـــوا إلـــى جَـــوّابِ[٤]
فَـــأَتَوْا كـــريمَ الخِـــيمِ مِثْلَـــكَ صـــافِحًا ❁ عـــن ذِكْـــرِ أَحْقَـــادٍ مَضَـــتْ وضِـــبَابِ[٥]
لَـــيسَ الغَبِـــيُّ بِسَـــيِّدٍ فـــي قَوْمِـــهِ ❁ لَكِـــنَّ سَـــيِّدَ قَوْمِـــه المُتغَـــابِي
فاضْـــمُمْ قَواصِـــيَهُمْ إلَيْـــكَ فإنَّـــهُ ❁ لَا يزْخَـــرُ الـــوَادِي بِغَيْـــرِ شِـــعَابِ[٦]
والسَّـــهْمُ بـــالرِيشِ اللُّـــؤامِ ولَـــنْ تَـــرَى ❁ بَيْتًـــا بـــلا عَمَـــدٍ ولا أَطْنَـــابِ

---

(١) الثّرثار والحَشَّاك: موضعان كانت بهما وقعتان لبني تغلب مع قيس عيلان، لواحق الأقراب: الجيادُ الضامرة.
(٢) الأخايذُ: السبايا.
(٣) الجَعفريون: بنو جعفر بن كلاب.
(٤) هو جواب الكلابي نابذه الجعفريون من بني قومه فلما لم يقدروا عليه وعلموا خطأهم رجعوا.
(٥) الخِيم: الأصل والنَّجر، ضِباب: جمع ضِب وهو الحِقدُ.
(٦) التبريزي: «أقاصيهم» ديوانه: «بغير عباب».

وهذه من قَصائدِ أبي تمَّامٍ التي يَرْضاها أضدَادُهُ لِتَرْكِه التَّصنُّعَ فيها بِطَلَبِ الطِّباقِ والتَّجْنِيسِ والاستعاراتِ إلَّا أَبْياتًا يسيرَةً نَسيبِها.

وقال أبو تَمَّامٍ في مَالكِ بنِ طَوْقٍ[1]:

مَهْلًا بَنِي عَمْرِو بنِ غَنْمٍ إنَّكُمْ ❊ هَدَفُ الأسِنَّةِ والقَنَا يَتحطَّمُ
وسَتَذْكُرونَ غَدًا صنائِعَ مَالِكٍ ❊ إنْ جَلَّ خَطْبٌ أو تُدوفِعَ مَغْرَمُ
إن تَذْهَبُوا عن مالِكٍ أو تَجْهَلُوا ❊ نُعْماهُ فالرَّحِمُ الضَّعيفَةُ تَعْلَمُ
هِيَ تِلْكَ مُشْكاةٌ بِكُمْ لو تَشْتَكِي ❊ مَظْلُومَةٌ لَوْ أَنَّها تَتَظَلَّمُ
كَانَتْ لَكُمْ أخلاقُهُ مَعْسُولَةً ❊ فَتركْتُموهُ وَهْيَ مِلْحٌ عَلْقَمُ
فَقَسا لِتَزْدَجِرُوا ومن يَكُ حَازِمًا ❊ فَلْيَقسُ أَحْيانًا على مَنْ يَرْحَمُ[2]
أَعْزِزْ عَلَيْهِ إذا ابْتَأَسْتُمْ بَعْدَهُ ❊ وتُذُكِّرَتْ بالأَمْسِ تِلْكَ الأنْعُمُ
وَوَجْدتُمُ قَيْظَ الأَذى ورَمَيْتُمُ ❊ بِعيونِكُمْ أيْنَ الرَّبيعُ المُرْهِمُ
ونَدمْتُمُ ولَوْ اسْتطَاعَ علَى جَوَى ❊ أَحْشائِكُمْ لَوَقاكُمُ أنْ تَنْدَمُوا

قَوْلُهُ: «هي مُشْكاةٌ بِكُمْ» أي: مُشْكاةٌ مِنكُمْ يُقالَ: أَشْكَيْتُهُ إذا شكا إلَيْك فَزِدتَهُ مِمَّا كانَ شَكاهُ، وأَشْكَيْتُهُ: إذا نَزَعْتَ عَمَّا شَكاهُ، وهِيَ من الأَضْدادِ وهي هَا هُنا: لو أَنَّها تَشْتَكِي لِزِدْتَمُوهَا.

وقَوْلُهُ: «لَوَقَاكُمُ أَنْ تَنْدَمُوا» كأنَّه لَفْظٌ مَوضُوعٌ في غَيرِ مَوْضِعِه، لأنَّ ندَمَهم إنَّما هو عُقوقُهم لَهُ، والنَّدمُ إنَّما هو رُجوعٌ واسْتِبْصارٌ، فكَيْفَ يَقِيهم من رُجوعِهم

(١) ديوانه: ٢/٣٥٨ والتبريزي ٣/١٩٨.
(٢) التبريزي «أحيانا وحينا يرحم».

واسْتِبْصارِهم، فإن قِيلَ: إنَّما أرَاد: يقيهِم الأَمْرَ الذي نَدِمُوا عليه لا أَنْ يَقيَهُم النَّدمَ، قيلَ فالذِي نَدِمُوا عليهِ هو العُقوقُ، فكَيْفَ يَقِيهُم العقُوقَ، وَوَجْهُ هذَا عِندي أَنَّهُ أرَادَ: لَوَقاكُمْ غَمَّ النَّدَم وَلَوْعَتَه، وقَدْ يكونُ أرَادَ: لَوقَاكُمْ الأمْرَ الذي تُدْفَعون إلَيْه فيكونُ سبَبَ نَدَمِكُمْ، فوضَعَ النَّدمَ مَوْضِعَ سَببِ النَّدمِ.

وقالَ أَيْضًا في مَالِك بنِ طَوْقٍ[1]:

سَلّمْ على الرَّبْعِ من سَلْمى بذِي سَلَمِ[2]

مَهْلًا بَنِي مَالِكٍ لا تَجْلُبُنَّ إلى ✤ حَيِّ الأرَاقِمِ دُؤْلُولَ ابْنَةَ الرَّقِمِ[3]

فأيَّ حِقْدٍ أَثَرْتُمْ من مَكامِنِهِ ✤ وأيَّ عَوْصَاءَ جَشَّمْتُمْ بَنِي جُشَمِ

لم يَألُكُمْ مَالِكٌ صَفْحًا ومَغْفِرَةً ✤ لو كانَ يَنْفُخُ قَيْنُ الحيِّ في فَحَمِ

لا بالمُعاوِدِ وَلْغًا في دِمائِكُمُ ✤ ولا إلى لَحْمِ خَلْقٍ مِنْكُمُ قَرِمِ

أَخْرَجْتُموهُ بِكُرْهٍ من سَجِيَّتِهِ ✤ والنَّارُ قَدْ تُنْتَضى من نَاضِرِ السَّلَمِ

أَوْطَأْتُمُوهُ على جَمْرِ العُقوقِ وَلَوْ ✤ لم يُحْرَجِ اللَّيْثُ لم يَخْرُجْ مِن الأَجَمِ[4]

قَدِ انْثَنى والمَنايَا في أَسِنَّتِه ✤ وقد أَقَامَ حَيارَاكُم على اللَّقَمِ[5]

جَذْلَانَ من ظَفَرٍ حرَّانَ إن رَجَعَتْ ✤ أَظْفَارُهُ مِنْكُمُ مَخْضُوبَةً بدَمِ[6]

---

(١) ديوانه: ٣٤٦/٢ والتبريزي ١٨٤/٣.

(٢) عجزه: «عليه وسم من الأيام والقدم».

(٣) الدؤلول والرقم: من أسماء الداهية.

(٤) التبريزي «لم يبرح من».

(٥) حيارىٰ: جمع حيران، واللَّقَم: الطريق الواضح «التبريزي» وفيه «بالمنايا».

(٦) ديوانه والتبريزي: «مخضوبة منكم أظفاره بدم».

دِيـــنٌ يُكَفْكِــفُ مِنْــهُ كُــلَّ بَائِقَـــةٍ ❊ ورَحْمَـةٌ رَفْرَفَـتْ مِنْـهُ علـى الـرَّحِمِ[1]

«الدُّؤْلُولُ»: الأَمْرُ الشَّدِيدُ العَظِيمُ، أرادَ بهِ أبو تمَّامِ الدَّاهِيَةَ، و«العَوْصاءُ»: الأَمْرُ المُعْتَاصُ الشَّدِيدُ، و«السَّلَمُ»: شَجَرٌ شَدِيدُ الصَّلابَةِ

لا يَكادُ تُقْدَحُ مِنه النَّارُ، و«اللَّقَمُ»: جادة الطّريق، وإنَّما أرَادَ أَقَامَهم علىٰ الهُدىٰ وأرَاهُم إيَّاهُ.

وقوله: «دِينٌ يُكُفْكِفُ مِنْهُ كُلَّ بائِقَةٍ» يُقال: كَفْكَفْتُ الشَّيءَ عن الشَّيءِ إذا رَدَدْتُه عَنْهُ، مِثْلُ «كَفَفْتُهُ»، ويكونُ: «يُكَفْكِفُ عَنْهُ[2] كُلَّ بَائِقَةٍ» [١١٤] ـ يَدْفَعُ، أي: تَقِفُ وتُحْجِمُ ـ مثلَ قوله[3]:

إذا دَرَجَــتْ فيــه الصَّــبا كَفْكَفَــتْ لَهــا ❊ وقَـــام يُبَارِيهـــا أبـــو الفَضْـــلِ جَعْفَـــرُ

وليس في هذِه القَصيدَةِ بَيْتٌ جيِّدٌ عليه طَلاوةٌ إلّا قَوْلُهُ:

أَخْرَجْتُمُـــوه بِكُــــرْهٍ مِـــنَ ســـجِيَّتِهِ ❊ والنَّـارُ قَـدْ تُنْتَضـى مِـن نَاضِـرِ السَّـلَمِ

فإنَّهُ من مَشْهورِ إحْسانِه ونَادِرِ مَعانِيه، والبَيْتُ الذي بَعدَهُ أيضًا جَيدٌ بَالِغٌ.

وما أحسَن ما قالَ شمَّاسُ بنُ أَسودَ الطُّهَوِيُّ[4]:

---

(١) في الأصل: «يكفكف منكم»، والتصحيح من ديوانه والتبريزي، وستأتي في تعليقه علىٰ الأبيات.

(٢) الرواية «منه»، كما سبق. وقال التبريزي: الكَفْكَفَةُ في معنىٰ الكَفِّ، ووزنُ كَفْكَفَ عند سيبويه فَعْلَلَ، وعند صاحب كتاب العَين فَعفَع، وعند الفراءِ فَعْفَلَ.

(٣) ديوانه: ١/٥٥٣ والتبريزي ٢/٢١٥ والممدوح هو جَعْفَر بن دينار الخياطُ من كبار القواد اشتركَ مع الأفشينِ في حَرْب بابك كما شارك في فتح عمورية، وقد ولاه المعتصم اليمن سنة ٢٢٤ ثم عزله عنها في السنة التالية، وأعاده إليها الواثق سنة ٢٣١.

(٤) البيت من جملة أبيات في الحماسة بشرح التبريزي ٢/٣٦، ويقولها لِحَريٍّ بن ضَمْرَةَ بن ضَمْرَة، وكان قد جاوره عمرو بن عمران الأسدي فأخذ قيس بن حسان «وأخواله بنو مجاشع» بَكْرا=

فإلّا تَصِلْ رِحْمَ ابنِ عمرِو بنِ مَرْثدٍ ❊ يُعلِّمْكَ وَصْلَ الرِّحْمِ عَضْبٌ مُجرِّبُ

وقال حُمَيْدُ بن أبي شِحَاذٍ الضَّبِّيُّ[1]:

فَقَضَينا قَضاءَنا من بَني عَبْـ ❊ ـسٍ وقد يَقْتُلُ الشَّقِيقَ الشَّقِيقُ

هُمْ بَنُو أُمِّنا فَجَرَّبَنَا الدَّهْـ ❊ ـرُ ففي أُهْبِ بَيْنِنا تَمْزِيقُ

وقال القُطاميُّ[2]:

لَمْ تَرَ قَوْمًا هُمُ شَرٌّ لإخوَتِهِمْ ❊ مِنَّا عَشِيَّةَ يَجْري بالدَّمِ الوَادِي

تَفْرِيهِمُ لَهْذَمِيَّاتٌ نَقُدُّ بِهَا ❊ ما كانَ خَاطَ عليهِمْ كُلُّ زَرّادِ

وَحسْبُكَ بِهَذا جَوْدَةً.

ولله دَرُّ أبي عُبادةَ إذ يقولُ لِبَني الحَارِثِ بنِ كَعب في قصيدةٍ يَمْدَحُ بِهَا عليَّ بنَ مُرٍّ[3]:

أَقِيمُوا «بَنِي الدَّيَّانِ» من سُفَهائِكُمْ ❊ فقد طَال عن قَصْدِ السَّبيلِ مُجِيدُها

أَمَا آنَ أن يَنْهَى عن الجَهْلِ والخَنَا ❊ قِيامُ المَنايَا فِيكُمُ وقُعودُها

= من إبل عمرو بن عمران، فأتى عمرو حَرِّيَّ شاكيا فغضب حَرِّيٌّ، فأتى قيسًا فضربَهُ، وأخ من إبله ثلاثين بعيرًا، ودفعها إلى عمرو بن عمران، فأخذ قيس أخواله بني مجاشع، فانطلقوا إلى بني نهشل يطلبون رد الإبل أو أن يخلعوا حَرِّيَّ بن ضمرة، فخلعوه، وأخذه بنو مجاشع فضربوه، وأخذوا منه أكثر مما أخذ.

(١) حميد بن أبي شِحَاذٍ الضبي قال المرزباني: هو إسلامي واسمه محمد «معجم الشعراء ص ٣٤٤»، وانظر «حماسة أبي تمام المرزوقي ص ١١٩٩، ١٢٠٢»، وفي التاج «شَحِذَ»: «عمر بن أبي شحاذ، ككتاب شاعِرٌ ضَبِّيٌّ».

(٢) ديوانه ص ١١٠.

(٣) ديوانه: ٦٥٠/٢ وفيه «وقال يَمْدَحُ مُرَّ بن عَلِيٍّ الطَّائِي».

قـــرَابَتُكُمْ لا تَظْلِمُوهـــا فَتَبْعَثُـــوا ❖ عَلـيكُمْ صُـدُورًا مـا تُمـوت حُقُودُهـا
لَهـا الحَسَـبُ الزَّاكـي الـذي تَعْرفُونَـهُ ❖ وفَـيكمْ طَريفـاتُ العُـلا وتَليـدُها[١]
فَـلَا تَسـأَلُوها عـن قَـديمِ تُراثِهـا ❖ فَعَسْـجدُها مِمَّـا أَفَـادَ حَديـدُها
ذَوُو النَّخَلاتِ الخُضْرِ من بَطْنِ «حَائِلٍ» ❖ وفـي «فَلَـجٍ» خُطْبَانُهـا وَهبيـدُها[٢]
وأهـلُ «سُـفُوحٍ» مـن شَـمائِلَ تَكْتَسِي ❖ بِهـمْ أرجًـا حَتَّـى يُشَـمَّ صَـعيدُها[٣]
ينَـامُونَ عـن أَكفَـانِهِمْ ولَـدَيْهِمُ ❖ مِـنَ اللهِ نُعْمـى مـا يَنـامُ حَسـودُها[٤]
مَقَامَاتُهم أَركانُ «رَضْوى» و«يَذْبُلٍ» ❖ وأَيْـدِيهُمْ بـأسُ اللَّيـالِي وجُودُهـا[٥]
«أبـا خَالـدٍ» مـا جَـاوَر اللهُ نِعْمَـةً ❖ بِمِثْلِـك إلّا كـانَ حَتْمًـا خُلودُهـا[٦]
وَجـدنَا خِـلالَ الخَيْـرِ عِنـدَكَ كُلَّهـا ❖ ولـو طُلِبَـتْ فـي الغَيْـثِ عَـزَّ وجُودُهـا
فقد جَزِعَتْ «جَلْدٌ» ولَوْلَاكَ لَمْ يَكُنْ ❖ لِيجَـزْعَ مـن صَـرْفِ الزَّمـانِ جَليـدِهُا[٧]
فـأَوْلِهِمُ نُعمـى ، فكـلُّ صَـنِيعَةٍ ❖ رأَيْنـاكَ تُبـديها فأنْـتَ تُعِيـدُها
قَرابَتَـكَ الأدَنَـيْنَ مـن حِيـثُ تَنْتَمِـي ❖ وجِيرَتَـك الـدَّانِي إلَيْـكَ بَعِيـدُها[٨]
أَتَهْـدِمُ جُرْفَيْهَـا وطَـوْدُكُ طَوْدُهـا ❖ وتَنْحِـتُ فَرْعَيْهـا وعُـودُك عُودُهـا

(١) ديوانه: «وفيهم».
(٢) «حائل» واد في جبل طيىء، «فلج»: مدينة باليمامة. «الخطبان»: الحنظل، و«الهبيد»: حب الحنظل، وفي ديوانه: «في بطن».
(٣) «سفوح»: مدينة عرض اليمامة وما حولها «معجم البلدان».
(٤) ديوانه: «وعليهم».
(٥) رضوىٰ ويذبل: جبلان.
(٦) ديوانه: «جمّا».
(٧) «جلد»: عشيرة جلد بن مالك بن أُدُد بن زيد بن كهلان «جمهرة الأنساب ص ٤١٢».
(٨) ديوانه: «قرابتُكَ الأدنَوْنَ»

وتَـنْهَضُ بالأَبْطـالِ تُفْنِـي عَدِيـدَها ❁ وسُـؤْلُكَ فـي أنَّ التُّـرابَ عَدِيـدُها[1]
إلَيْـكَ وُقُـودُ النَّـارِ عنـد ابْتِـدائِها ❁ ولَـيْسَ إذا تَمَّـتْ إليـكَ خُمودُهـا
فَأَقْصِـرْ فَفِـي الإِقْصَـارِ بُقْيـا فإنَّهـا ❁ مَكـارِمُ حَيِّـيْ «يَعْـرِبٍ» تَسـتفيدُها
ودُونَـك فـاخْتَرْ فـي قبائِـلِ «مَـذْحَجٍ» ❁ أَتَقْهَرُهـا عـن أَمْرِهـا أم تَسـودُها

قَوْلُهُ: «وأهلُ سُفُوحٍ» فسُفُوحٌ: مَوضِعٌ، «من شَمائِل»، أي: وفي أَهْلِ سُفوحٍ شَمائلُ، أي: أَخْلاقٌ، و«مِنْ» زَائِدة، «تكتسي أَرَجًا» أي: تَكْتَسي سُفوحٌ بأَهْلِها أَرَجًا، «حتَّى يُشَمَّ صَعِيدُها» أي: تُرابُها، وهذا هو اللَّفْظُ الجَزْلُ والمَعْنى الفَحْلُ والنَّظْمُ الرَّصِينُ والطَّبْعُ السَّلِسُ والمَذْهَبُ العَجَبُ.

ومِثْلُهُ في الجَوْدَةِ والرَّصانَةِ والحَلاوةِ قَوْلُهُ في القصيدَةِ التي يَمْدَحُ فيها المُتَوكِّلَ ويَذْكُر حَرْبَ تَغْلِبَ وإصلاحَ الفَتْحِ بَيْنَهُمْ[2]:

أَسَـيْتُ لأخْـوالِي «رِبيعَـة» إذْ عَفَـتْ ❁ مَصـايِفُها فِيهَـا، وأقْـوَتْ رُبوعُهـا
بِكُرْهِـيَ أَنْ بَاتَـتْ خَـلاءً دِيارُهـا ❁ وَوَحشًـا مَغانِيهـا وشَـتَّى جَميعُهـا
وأَمْسَتْ تُساقِي المَوْتَ من بَعْدِما غَدَتْ ❁ شَـرُوبًا تُسـاقِي الـرَّاحَ رِفْهًـا شُـرُوعُها

«الرِّفْهُ»: أن تَرِدَ الإبِلُ الماءَ كُلَّ يومٍ.

إذا افْتَرقُـوا عـن وَقْعَـةٍ جَمَعَـتْهُم ❁ لأُخْـرى دِمـاءٌ مـا يُطَـلُّ نَجِيعُهـا[3]
تَـذُمُّ الفَتـاةُ الـرُّودُ شِـيمةَ بَعْلِهـا ❁ إذا بـاتَ دُونَ الثَّـأْرِ وهـو ضَـجِيعُها

---

(١) ديوانه: «في الأبطال».

(٢) ديوانه: ٢/١٢٩٨.

(٣) في الأصل: «رقعة»، يطلّ: يهدر.

حَمِيَّـــةُ شَـــغْبٍ جَـــاهِلِيٍّ وعِـــزَّةٍ ❁ كُلَيْبِيَّـــةٍ أعْيـــا الرِّجـــالَ خُضُـــوعُها

[١١٥] وفُرْسانُ هَيْجاءٍ تجَيشُ صدورُها ❁ بأحقادِهـــا حتَّـــى تَضِـــيقَ درُوعُهَـــا

تُقَتِّـــلُ مِـــن وِتْـــرٍ أعـــزَّ نُفُوسِـــها ❁ عَلَيْهـــا بأَيْـــدٍ مـــا تكـــادُ تُطِيعُهـــا

إذا احْتَرَبَـــتْ يَومًـــا فَفاضَـــتْ دِماؤُهـــا ❁ تَـــذَكَّرَتِ القُرْبـــى فَفَاضَـــتْ دُموعُهـــا

شَـــواجِرُ أَرْمـــاحٍ تَقطَّـــعُ بَيْنَهـــا ❁ شـــواجِرُ أَرْحـــامٍ مَلُـــومٌ قَطُوعُهـــا(١)

ولـــولا أَمِيـــرُ المـــؤمنينَ وطَوْلُـــهُ ❁ لعـــادَتْ جُنـــوبٌ والـــدِّماءُ دُروعُهـــا(٢)

ولاصْـــطُلِمَتْ جُرثُومَـــةٌ تَغْلِبِيَّـــةٌ ❁ بـــهِ اسْـــتُبْقِيَتْ أغْصَـــانُها وفُروعُهـــا(٣)

رَفَعْـــتَ بِضَـــبْعَيْ «تَغْلِـــبَ ابنَـــةِ وَائِـــلٍ» ❁ وقـــد يَئِسَـــتْ أنْ يَسْـــتَقِلَّ صَـــرِيعُها

وكُنـــتَ أمِـــينَ اللهِ مَـــولى حياتِهـــا ❁ ومَـــولَاك «فَـــتْحٌ» يومَـــذَاك شَـــفِيعُها(٤)

فـــأَلَّفَهُمْ مِـــن بَعـــدِ مـــا شَـــرَّدَتْهُمُ ❁ حَفـــائِظُ أَخْـــلاقٍ بَطـــيءٍ رُجوعُهـــا(٥)

وأَبْصَـــرَ غَاوِيهـــا المَحجَّـــةَ فاهْتَـــدى ❁ وأَقْصَـــرَ غَالِيهـــا ودَانـــى شَسُـــوعُها

وأَمضـــى قَضـــاءً بَيْنَهـــا فتحـــاجَزَتْ ❁ ومَخْفُوضُـــها رَاضٍ بِـــهِ ورَفِيعُهـــا(٦)

فَقَـــدْ رُكِـــزَتْ سُـــمْرُ الرِمـــاحِ وأُغْمِـــدَتْ ❁ رِقـــاقُ الظُّبـــا: مَجْفُوَّهَـــا وَصَـــنيعُها(٧)

أَتَتْـــكَ وقـــد ثَابَـــتْ إليهـــا حُلومُهـــا ❁ وباعَـــدَها عمَّـــا كَرِهْـــتَ نُزُوعهـــا

---

(١) ديوانه: «تقطع بينهم شواجر أرحام».

(٢) ديوانه: «لعادت جِيوبٌ والدماءُ رُدوعُها».

(٣) في الأصل: «اصطلمت» بالبناء للمعلوم، والتصحيح من ديوانه، وفي ديوانه: «بها استبقيت».

(٤) «الفتح»: الفتح بن خاقان.

(٥) ديوانه: «شردت بهم».

(٦) ديوانه: «راض بها».

(٧) المجفوّ: الغليظ، الصنيع: الصقيل.

فَقَــرَّتْ قلــوبٌ كــان جمًّــا وَجِيبُهــا ❊ ونامَــتْ عُيــونٌ كــان نَــزْرًا هُجوعُهــا
تُعِيــدُ وتُبْــدِي مــن ثَنــاءٍ كَأَنَّــهُ ❊ سَـبَائِبُ رَوْضِ الحَـزْنِ جَـادَ رَبِيعُهـا
تَصَــدُّ حَيــاءً أنْ تَــراكَ بأَوْجَــهٍ ❊ أَتــى الــذَّنْبَ عَاصِـيها فَلِـيمَ مُطِيعُهـا
ولا عُــذْرَ إلَّا أنَّ حِلْــمَ حليمِهــا ❊ يُسَــفِّهُ فــي شَــرٍّ جَنــاهُ خَلِيعُهــا[1]
بَقِيــتَ ، فكــم أَبْقَيْــتَ بـالعَفْو مُحْسِـنًا ❊ علىٰ «تَغْلِبٍ» حتَّىٰ استَمَرَّ ظَلِيعُها[2]
ومشـفقةٍ تَخْشـىٰ حِمَامًـا علـى ابْنِهـا ❊ لأوَّلِ هَيجـاءٍ تَلاقـىٰ جُموعُهـا[3]
رَبَطْـتَ بِصُـلْحِ القَـوْمِ نَـافِرَ جَأْشِـها ❊ فَقَـرَّ حَشـاهَا واطمَأَنَّـتْ ضُـلوعُها[4]

وقالَ البحتريُّ في هذه الحربِ بِعَيْنِها ، ويَذْكُرُ ما كان مِنَ «الفَتحِ» في صُلْحِ بَيْنِهم ، وهيَ من المُنْصِفَاتِ ، وقد بَيَّنَتْ عن فَضْلِ البُحْتُريِّ وعَربيَّتِهِ وطَريقَتِه التي لَيْسَتْ لِشَاعِرٍ من المُتَأخرين ، وهي تُبِرُّ علىٰ كلِّ ما قالُوه في وَصْفِ حَرْبٍ ، وهي القَصيدَةُ التي أَوَّلُها[5]:

ضمانٌ علىٰ عَيْنَيْكِ أَنِّي لا أَسْلُو

بَنــي «تَغْلِـبٍ» أَعْـزِزْ علـيَّ بِـأَنْ أَرى ❊ دِيـارَكُمُ أَمْسَـتْ ولَـيْسَ بِهـا أَهْـلُ[6]
خَلَـتْ «بَلَـدٌ» مـن سـاكِنِيها وأَوْحَشَـتْ ❊ مَرابِعُ من «سِنْجَارَ» يَهْمِي بِها الوَبْلُ[7]

---

(١) ديوانه: «تُسَفِّهُ».
(٢) في الأصل: «حتىٰ تغلب».
(٣) ديوانه: «تخشىٰ الحمام».
(٤) ديوانه: «فقرّت».
(٥) ديوانه: ٣/١٦١١ وعجز البيت: «وأنَّ فُؤادِي من جَوًىٰ بك لا يَخْلو».
(٦) ديوانه: «وليس لها».
(٧) بلد: مدينة قديمة علىٰ دجلة فوق الموصل بينهما سبعة فراسخ. =

وأَزْعَـج أَهْـلَ المَحْلَبِيَّـاتِ نَـاجِزٌ ❊ من الحَرْبِ ما فيه خِداعٌ ولا هَزْلُ(١)
وأَقْـوَتْ مـن القَمقـامِ أَعـراضُ «مـارِدٍ» ❊ فمـا ضُـمِّنَتْ تِلْـكَ الأَعِقَّـةُ والرَّمْـلُ(٢)
أَفِـي كُـلِّ يَـوْمٍ فِرْقَـةٌ مـن جَمـيعِكُمْ ❊ تَبِيـدُ ودَارٌ مـن مَجـامِعِكُمْ تَخْلُـو
مَصـارِعُ بَغْـي تَـابَع الظُّلْـمُ بَيْنَهـا ❊ بِسَـاعَةِ عِـزٍّ كَـانَ آخَـرِهُ الـذُّلُّ
إذا مـا الْتَقَـوْا يـوم الهِيـاجِ تَحـاجَزُوا ❊ ولِلْمَـوْتِ فيمـا بِيْـنَهُمْ قِسْـمَةٌ عَـدْلُ
غَـدَوْا عُصْـبَتَيْ وَرْدٍ سَـجالُهُما الـرَّدَى ❊ فَفِـي هَـذِه سَـجْلٌ، وفـي هَـذِهِ سَـجْلُ
إذا كَـان قَـرْضٌ مـن دَمٍ عنـدَ مَعْشَـرٍ ❊ فـلا خَلَـفٌ فـي أَنْ يُـؤَدَّى ولا مَطْـلُ
كَفِـيٌّ مـن الأَحْيـاءِ لَاقَـى كَفِيَّـهُ ❊ ومِثْـلٌ مـن الأَقْـرانِ زَاحَفَـهُ مِثْـلُ(٣)
إذا مـا أَخٌ جَـرَّ الرِّمـاحَ انبـرَى لـه ❊ أَخٌ لا بَليـدٌ فـي الطِّعَـانِ ولا وَغْـلُ
تَحُضُّـهُمُ البِيضُ الرِّقَـاقُ وضُـمَّرٌ ❊ عِتَـاقٌ، وأحسـابٌ بهـا يُـدْرَكُ التَّبْـلُ(٤)
ومـا المَـوتُ إلّا أنْ تُشـاهِدَ سـاعَةً ❊ فوارِسَـهُمْ فـي مَـأقِطٍ وَهُـمُ رَجْـلُ(٥)
بِطَعْـنٍ يَكُـبُّ الـدَّارِعينَ دِرَاكُـهُ ❊ وضَـرْبٍ كَمـا تَرْغُـو المُخَزَّمَـةُ البُـزْلُ
يُهـالُ الغُـلامُ الغِـرُّ ثُـمَّ يَـرُدُّهُ ❊ على الهَوْلِ من مَكْرُوهِها الأَشْيَبُ الكَهْلُ(٦)

= «سنجار»: مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة بينها وبين الموصل ثلاثة أيام. «معجم البلدان».

(١) المحلبيات: المحلبية: بُلَيْدَةٌ بين الموصل وسنجار «معجم البلدان».

(٢) مارد: بلاد ماردين وسياتي، وفي ديوانه: «الأعراص» بالصاد المهملة، الأعقة: جمع العقيق: الوادي، القمقام: السيد الكثير الخير، والماء الكثير.

(٣) ديوانه: «من الأقوام».

(٤) ديوانه: «تحثهم»، والتبل: العداوة والحقد.

(٥) ديوانه: «مأزق»، والمأقط: المضيق في الحرب.

(٦) ديوانه: «الغلام الغمرُ حتىٰ يرده».

تَجَافى أميرُ المؤمنينَ عنِ التي ❊ عَلِمْتُمْ، ولِلْجانِينَ في مِثْلِهَا الثُّكْلُ(١)
وعادَ عَلَيْكُمْ مُنْعِمًا بِفَواضِلٍ ❊ أَتَتْ وأَميرُ المؤمنينَ لَها أَهْلُ
وكَانَتْ يَدُ الفَتْحِ بنِ خَاقانَ عَندكُمْ ❊ يَدُ الغَيْثِ عند الأَرْضِ أجْهَدَها المَحْلُ(٢)
ولَوْلاهُ طُلَّتْ بالعُقوقِ دِماؤُكُمْ ❊ فلا قَوَدٌ يُعطى الأذَلُّ ولا عَقْلُ
تلافَيْتَ يا «فَتْحُ» «الأراقِمَ» بَعدَمَا ❊ سَقَاهُمْ بأَوْحَى سَمِّه الأَرْقَمُ الصِّلُّ(٣)
وَهبَّتْ لَها بالسِّلْمِ باقِي نُفُوسِهِم ❊ وقَدْ شَارَفُوا أنْ يَسْتَتِمَّهُمُ القَتْلُ
أَتَوْكَ وُفُودَ الشُّكْرِ يَثْنُونَ بالذي ❊ تَقدَّم من نُعْمَاك عِنْدَهُمُ قَبْلُ
فلَمْ أرَ يومًا كان أَكْثَرَ سُؤْدَدًا ❊ من اليَوْمِ ضَمَّتْهُمْ إلى بَابِكَ السُّبْلُ
تَراءَوْكَ من أَقْصى السِّمَاطِ فَقصَّرُوا ❊ خُطَاهُمْ وقد جَازُوا السُّتورَ وَهُمْ عُجْلُ(٤)
[١١٦] ولمَّا قَضَوْا صَدْرَ السَّلامِ تَهافَتُوا ❊ على يَدِ بسَّامٍ سَجِيَّتُهُ البَذْلُ(٥)
إذا قَلَّبُوا أَبْصَارَهم من مَهابَةٍ ❊ ومَالُوا بِلَحْظٍ خِلْتَ أَنَّهُمُ قُبْلُ(٦)

قَولُهُ: «وأَقوَتْ من القَمقامِ أعَراضُ مَارِدٍ......» «فالقَمْقَامُ»: العدد

(١) ديوانه: «أتيتم»، في الأصل: «النُّكْلُ» ولا يصح.
(٢) ديوانه: «حرّقها».
(٣) الأراقم: هم من تغلب من ولد بكر بن حبيب وهم: جشم، وفيه البيت والعدد، ومالك، والحارث، وعمرو، وثعلبه ومعاوية. «جمهرة الأنساب ص ٣٠٤»، وفي اللسان «رقم»: أن ناظرًا نظر إليهم تحت الدِّثار وهم صغار فقال: كان أعينهم أعينَ الأراقم، فلجّ عليهم اللقب، و«الأرقم»: من الحيات الذي فيه سواد وبياض، وهو من أخبثِها وأطْلَبِها للنَّاس، «الصِلُّ»: الحيَّةُ التي تقتل إذا نهشت من ساعتَها.
(٤) سبق في ١٥٥/٣.
(٥) ديوانه: «صدر السّماط».
(٦) سبق في ١٥٥/٣، قُبُلُ: جمع أقبل، ضرب من الحول، وفي ديوانه: «نكسوا».

الكَثِيرُ، و«الأعَراضُ» جَمْعُ عُرْضٍ، وعُرْضُ كُلِّ شَيءٍ نَاحِيَتُه، ويَجوزُ أن يكونَ أرادَ بالأعْرَاضِ: جَمْعَ عَرْضٍ، والعَرْضُ: الجَبَلُ، و«مَارِدٌ»: يرِيدُ بِلادَ مارَدِين، ولِمَارِدِين جَبالٌ فيها حصونٌ[1]، و«الأعِقَّةُ»: جمع عَقيقٍ، فجَمَعَهُ بما أحوالِهِ[2] [؟]، وكذلك «الرَّمْلُ» هَا هُنا: مَوْضِعٌ.

وقَوْلُهُ: «فِرْقَةٌ من جَميعِكم....» أي: من كِلَا الحِزْبَيْنِ، و«دَارٌ من مَجامِعكُم...» أي: من مَحافِلِكُمْ واجْتماعِكُم.

وقوله: «سِجَالُهُما الرَّدىٰ...» فالسِجالُ: المُساجَلَةُ وهو مِنَ السَّجْلِ، والسَّجْلُ: الدَّلْوُ وذلك أَنْ يَتَبَارَىٰ السَّاقِيانِ بِسَجْلَيْهِمَا في الاسْتِقَاءِ، فَيَسْتَقِي هذا سَجْلًا وهَذَا سَجْلًا، فجَعَلَهُ مَثَلًا هَا هُنا، أي: لِكُلِّ واحِدٍ مِنْهُما قِسْطٌ من الرَّدىٰ.

وللبُحْتُريِّ قَصيدةٌ أُخْرىٰ في حَرْبِ بني الأَعْمامِ، مُنْصِفَةٌ، هي مِثْل القَصيدَةِ الّتي مَضَتْ، أو تَزيدُ عَليها في الجَوْدَةِ والبَراعَةِ، يَمدَح فِيها أبَا المُعَمَّرِ الهَيْثَمَ بنَ عَبدِ اللهِ التَّغْلِبيَّ ويَذْكُر حُروبَ بَنِي تَغْلِب أيْضًا، أَوَّلُها[3]:

أَمِنْكَ تأَوَّبُ الطَّيْفِ الطَّروبِ

أمَـا «لِرَبيعـةَ الفَـرَسِ» انتِهـاءٌ ❊ عَـنِ الزَّلْـزال فِيهَـا والحُـروبِ[4]
لِكُـلِّ قَبيلَـةٍ خَيْـلٌ تـدَاعَى ❊ إلـى خَيْـلٍ مُعـاوِدَةِ الرُّكـوبِ

---

(١) ماردين: قلعة مشهورة علىٰ قمّة جبل الجزيرة مشرفة علىٰ دنَّيسر ودارًا ونصيبين «معجم البلدان».
(٢) كذا في الأصل.
(٣) ديوانه: ٩٨/١ وعجزه: «حَبيبٌ جاء يُهْدىٰ من حَبِيب».
(٤) ربيعَةُ الفَرَسِ هو: ربيعة بن نزار أخو مضر «جمهرة الأنساب ٢٩٢، مروج الذهب للمسعودي ١١٦/٢».

كَـدأْبِ «بَنِي المُعَمَّـرِ» حـينَ زَارُوا ❊ «بَنِـي عَمـرٍو» بِمُصْـمِيَةٍ شَـعُوبِ
تَبَـالَوْا صَـادِقَ الأحسـابِ حَتَّـى ❊ نَفَـوْا خَـوْرَ الضَّـعِيفِ عـن الصَّـلِيبِ[1]
صَـرِيحُ الخَيْـلِ والأبْطـالِ أَغْنـى ❊ عَـنِ الهُجُنـاتِ والخَطـأ المَشُـوبِ[2]
وكَـانُوا رَقَّعُـوا أَيَّـامَ سِـلْمٍ ❊ علـى تِلْـكَ القَـوادِحِ والنُّـدوبِ
إذا مـا الجُـرْحُ دُمَّ علـى فَسـادٍ ❊ تَبَـيَّن فيـهِ تَفـرِيطُ الطَّبِيـبِ[3]
رَزِيَّـةُ هَالِـكٍ جَلبَـتْ رزَايَـا ❊ وخَطْـبٌ بَـاتَ يَكْشِـفُ عـن خُطـوبِ
يَشُـقُّ الجَيْـبَ ثـمّ يَجِـيءُ أَمْـرٌ ❊ يُصَـغِّرُ فيـهِ تَشْـقِيقُ الجُيـوبِ
وقَبْـرٌ عـن أيـامِنَ «بَرْقَعِيـدٍ» ❊ إذا مـا نَـاحَرتْ أُفُـقَ الجَنُـوبِ[4]
يَسُـحُّ تُرابُـهُ أبـدًا عَلَيْهـا ❊ عِهَـادًا مـن مُـراقِ دَمٍ حَبيـبِ
إذا سَـكَبَتْ سـمَاءٌ ثُـمَّ أَجْلَـتْ ❊ ثَنَـتْ بِسَـماءِ مُغْدِقَـةٍ سَـكُوبِ
ولـمْ أَرَ للتِّـراتِ بَعُـدْنَ عَهْـدًا ❊ كَسَـلِّ المَشْـرَفِيَّةِ مِـنْ قَريـبِ
تُصَـوِّتُ فِـيهمُ حِـزَقُ العَـوالِي ❊ وغَـابُ الخَـطِّ مَهـزوزُ العلُـوبِ[5]
كَنَخْـلِ سُـمَيْحَةَ اسْـتَعلى رَكِيـبٌ ❊ تُكَفِّيـهِ الرِّيـاحُ علـى رَكِيـبِ
فَمَـنْ يَسْـمَعْ وَغـى الأخَـوَيْنِ يُـذْعَرْ ❊ لِصَـكٍّ مِـن قِرَاعِهِمَـا عَجِيـبِ

(١) تَبالَوْا: استحسنوا واختبروا، الصليب: الخالص النسب.

(٢) ديوانه: «والخِلْطِ المشوب» ورواية الديوان أوجه في رأيي.

(٣) ديوانه: «رُمَّ»، بالراء.

(٤) ديوانه: «إذا هي ناحرَت». وبرقعيد: بليدة في طرف بَقْعاء الموصل بينها وبين الموصل أربعة أيام «معجم البلدان».

(٥) ديوانه: «صوب فوقهم»، «مهزوز الكعوب».

تَخَمَّطَ «تَغْلِبَ» الغَلْبَاءِ أَلْقَتْ ❁ على «الثَّرْثَارِ» بَرْدًا و«الرَّحُوبِ[١]»

زَعِيمَا خُطَّةٍ ورَدَا حِمامًا ❁ ورُودَهُما حَيا المَاءِ الشَّرُوبِ[٢]

إذا آد البَلاءُ تحمَّلاهُ ❁ على دَفَّيْ مُوَقَّعَةٍ رَكُوبِ[٣]

إذا قُسِمَ التَّقَدُّمُ لم يُرجَّحْ ❁ نَصِيبٌ في الرِّجالِ عَلى نَصيبِ

على أنَّ الكَبيرَ يُزادُ فَضْلًا ❁ كَفَضْلِ الرُّمحِ زِيدَ مِنَ الكُعُوبِ[٤]

فهل لابْنَيْ عَدِيٍّ مِن نَصيحٍ ❁ يَرُدُّ شَرِيدَ حِلْمِهِما الغَرِيبِ[٥]

أخافُ علَيْهِما إمْرارَ مَرْعًى ❁ من الكَلأ الذي عُلِفاهُ، مُوبِي[٦]

وأَعْلَمُ أنَّ حَرْبَهُما خَبَالٌ ❁ على الدَّاعي إِلَيْها والمُجيبِ

كما أَسْرى القَطَا لِبَيَاتِ «عَمرٍو» ❁ وسَالَ لِهُلْكِهِ «وادِي قضيبِ[٧]»

وفي حَرْبِ العَشيرَةِ مُؤْيِداتٌ ❁ تُضَعْضِعُ تَالِدَ العِزِّ المَهيبِ[٨]

---

(١) الثرثار: واد عظيم بالجزيرة، والرَّحوب: ماء بالجزيرة لبني جشم بن بكر.

(٢) في الأصل: «وردّهما» والتصحيح من ديوانه.

(٣) على دَفَّيْ مُوَقَّعَةٍ: أي صفحتي وجانبي الناقة الذلول.

(٤) ديوانه: «خلا أن الكبير».

(٥) في الأصل: «لبنئ عدئ»، تحريف والتصحيح من ديوانه.

(٦) ديوانه: «عَلِقاه»، بالمثناة، موبي: من الوباء.

(٧) وادي قضيب في أرض تهامة، وفيه جرئ المثل: سال قضيب بماء أو حديد، وذلك عندما ائتمرت قبيلة مراد بعمرو بن أمامة من المنذر بن امرئ القيس وهو أخو عمرو بن هند من أبيه، وكان قد قصد ملكا من ملوك حمير ليأخذ له بحقه فأرسل معه مرادا، وعندما نزلوا بوادي قضيب من أرض قيس عيلان ثاروا به، فقالت له امرأته: «يا عمرو أتيت أتيت سال قضيب بماء أو حديد» فذهبت مثلًا. «معجم البلدان».

(٨) المؤيدات: الدواهي.

لَعَلَّ «أبا المُعَمَّر» يَتَّلِيها ✤ ببُعْدِ الهَمِّ والصَّدْرِ الرَّحيبِ
فكَمْ من سُؤْدَدٍ قد باتَ يُعْطِي ✤ عَطِيَّة مُكْثِرٍ مِنْهُ مُطيبِ[1]

فهَذِه طَرِيقَةُ الشُّعراءِ الفُحولِ من مَذْهَبٍ لا يُحسنه إلّا الفُصحاءُ المَطْبوعونَ من الأَعْرابِ، ولا يَتَّجِه لِمثْله مُسْلِمٌ ولا أبُو نواسٍ فضْلًا عن أبي تَمَّامٍ.

قَولُهُ: «بِمُصْمِيَةٍ...» فَمُصْمِيَةٌ: دَاهِيَةٌ، يقال: «رَمَاهُ فأَصْماهُ» إذا قتَلَه مكَانَه، و«رَماهُ فأنْماهُ»، إذا أَصاب الصَّيدَ فتحامَل وغاب عن عَينِ الرَّامِي، و«رمَاه فَأَشْواهُ»، إذا أصابَ الشَّوىٰ [١١٧] وهو الأَطْرافُ غيرُ المَقاتِلِ و«الشُّعُوبُ»: الَّتي تَشْعَبُ أي تُفَرِّقُ.

وقَولُهُ: «تَبالَوْا صَادِق الأحسابِ» تَفَاعلُوا، من البَلْوىٰ، وهي الاخْتبارُ حتَّىٰ نَفَوْا الضِّعافَ وأَبْقَوْا الشِّدَادَ.

«إذا ما الْجُرْحُ دُمَّ» أي عُولجَ حتَّىٰ انْدمَّ، امتْلأَ والْتَحَمَ.

«إذا ما ناحَرت أُفُقَ الجَنوبِ»، أي: كانَت في نَحْرِها، أي: تِلْقاء هُبوبِها، «عِهَادًا» أي: شَيئًا بَعْدَ شَيءٍ، مِثلَ عِهادِ المَطَرِ.

وقولُهُ: «مَهزُوزَ العُلوبِ»: يُرِيدُ عَوامِلَ الرِّماحِ، وهي صُدورُها، والعُلوبُ: من قَوْلِهِم: رُمْحٌ مَعلَّبٌ، وهو الذي يُشَدُّ مَوضِعُ السِّنانِ مِنْهُ بالعِلْباءِ، وهي عَصَبةُ العُنق من البَعيرِ.

و«سُمَيْحَةُ»: مَوضعٌ كَثير النَّخيل، «اسْتَعلىٰ رَكِيبٌ» أي: نَخيلٌ مَرْكوبٌ، عليه حِمْلُهُ كالرَّاكِبِ، أوْ يُريدِ بالرَّكيبِ الذي قد غُرِسَ سَطْرًا بإزاءِ سَطْرٍ.

---

(١) ديوانه: «مكثر فيه».

وقولُهُ: «أسرىٰ القَطا لِبَيَاتِ «عَمرٍو»»: له خَبَرٌ، وكَذلِك «وادِي قَضيبِ[1]».

وقال أيضًا[2]:

لا دِمْنَــةٌ بِلِــوَى خَبْــتٍ ولا طَلَــلُ

بَنِــي زُرارَةَ نُصْـــحٌ مالَـــه ثَمَـــنُ ❊ يُرْجَـى لَـديكُمْ، وقَـوْلٌ كُلُّـهُ عَــذَلُ
وإنمَّــا هَلكَــتْ مِــنْ قَــبْلِكُمْ «إرَمٌ» ❊ لأنَّهُـمْ نُصِـحُوا دَهْـرًا فمـا قَبِلُـوا[3]
مُسْتَعْصِــمينَ مــع الأرْوى كَــأَنَّكُمُ ❊ لا تعلَمــونَ بــأنَّ العُصْـمَ لا تَئِـلُ[4]
أَنْــذَرْتُكُمْ عَارِضًــا تَــدْمى مَخايِلُــهُ ❊ القَطْـرَةُ الفَــذُّ مِنْــه عَــارِضٌ هَطِــلُ
هذا «ابنُ يوسفَ» في سَرْعَانِ ذِي لَجَبٍ ❊ فيـهِ الظُّبـا والقَنَـا والخَيْـلُ والحِيَـلُ[5]
غَـــزَاكُمُ بِقلـــوبٍ مالَهـــا خَلَـــلٌ ❊ مِـنْ خَلْفِهـا، وسُـيوفٍ مالَهـا خِلَـلُ[6]
وَلَّاكُـمُ البَغْـيَ ثُـمَّ انْسـابَ نَحْـوكُمُ ❊ بالمَشْـرَفِيَّةِ وهـي الثُّكْـلُ والهَبَـلُ[7]
وانْحَــازَ مِثْــلَ انْحِيــازِ الطَّــودِ يَتْبَعُــهُ ❊ رَأْيٌ يُصَــغَّرُ فيــهِ الحَــادِثُ الجَلَــلُ
اللهَ! اللهَ! كُفُّـــوا إنَّ خَصْـــمَكُمُ ❊ «أبُو سَعيدٍ»، وضَرْبُ الأَرْؤُسِ الجَدَلُ

---

(١) في الأصْلِ: «رأىٰ قصب» تحريف، وانظر الخير في معجم البلدان: «قضيب» والبيات: من تَبييتِ العَدوِّ لَيْلًا والإيقاع به.
(٢) ديوانه: ١٧٥٤/٣ وعجزه: «يرُدُّ قَوْلًا علىٰ ذي لَوْعَةٍ يَسَلُ».
(٣) هي إرم ذاتُ العِماد، وجَبَّارُها شداد بن عاد، والتي خسف الله بها الأرض. «معجم البلدان».
(٤) «الأروىٰ»: ضأن الجبل «تئل»: من آل يئل: إذا طَلَب موئلا ينجو فيه.
(٥) سرعان: أوائل الجيش وفي عَبَثِ الوليد: يقال: سَرْعانُ وسِرْعان وسُرعان، والأجود: سَرَعان بفتح السين والراء. «عبث الوليد لأبي العلاء المعري ص ٧٤».
وابن يوسف: هو محمد بن يوسف الثغري الصامتي، وفي ديوانه: «والكيد والحيل».
(٦) الخلَلُ: بالفتح الضعف والفساد، وبالكسر: جمع الخِلَّةِ، أي جَفْنُ السيف.
(٧) الثكل والهيل: معناهما واحد.

تَغَنَّمُـوا الصُّـلْحَ إنَّ الحَـرْبَ تُوعِـدُكُمْ ❊ يومًا يَعُودُ بِهِ «صِفِّينُ» و«الجَمَلُ[(١)]»

الآنَ والعُـــذْرُ مَبْســـوطٌ لِمُعْتَـــذِرٍ ❊ والأَمْــرُ مُسْــتَقْبَلٌ، والعَفْــوُ مُقْتَبَــلُ

وَلَا يَغُـــــرَّنَّكُمْ مِنــــهُ تَبَذُّلُــــهُ ❊ بالإذْنِ حَتَّى اسْتَوى الأَرْبَابُ والخَوَلُ

فـإِن يَكُـنْ ظَـاهِرًا فالشَّـمْسُ ظَـاهِرَةٌ ❊ أو كَـانَ مُبْتَـذِلًا، فـالرُّكْنُ مُبْتَـذَلُ[(٢)]

طَـــال الـــرِّوَاءُ فـــي رَأسٍ فَحْلِكُـــمُ ❊ لا يَسْهُلُ الصَّعْبُ حَتَّى يُقْصَر الطِّوَلُ[(٣)]

لا يَجْـذِبُ الـوَطنُ المـأْمولُ عَزْمَتَـهُ ❊ ولا الغَـزَالُ الـذي فـي طَرْفِـهِ كَحَـلُ[(٤)]

مُســـــافِرٌ ومطايـــــاهُ مُحلَّلَـــــةٌ ❊ غُروضُـها، ومُقِـيمٌ وهـو مُرْتحِـلُ[(٥)]

يَهَـشُّ لِلْغَـزْوِ حَتَّـى شَـكَّ عَسْـكَرُهُ ❊ فِيـهِ، فَقَـالُوا: أَغَـزْوٌ ذاكَ أَمْ قَفَـلُ[(٦)]



---

(١) ديوانه: «تغنّموا السّلم»، و«يعود به صفون»، صفين: فيها لُغتان إحداهما: إجراءُ الإعراب على ما قبل النون، وتركها مفتوحة كجمع السّلامة، فتقول: شهدت صِفِّينَ، وبئسَتِ الصُّفونَ، والثانية: أن تَجعلَ النون حرف الإعراب، وتُقِرَّ الياءَ بحَالها، فتقولُ: هذه صِفِّينُ، ورأيتُ صِفِّينَ، ومررتُ بصِفِّينَ.

(٢) الابتذال هنا: سهولة لقائه والتحدث إليه، والرُّكْنُ: أحدُ أركانِ الكعبة.

(٣) «الرِّواءُ»: الحبل الذي يُرْوىٰ به علىٰ الدابة إذا عُكِمَتْ المَزَادَتان، و«الطِّوَلُ» حبل طويل تشدّ به قائمة الدابة، أو هو الحبل الذي يُطَوَّلُ للدابة فترعىٰ فيه، وفي ديوانه: «يَقْصُرَ» مبني للمعلوم.

(٤) ديوانه: «الوطن المألوف».

(٥) سبق في ٢٧/٢، والغروض: جمع غرض وهو حزام الرحل.

(٦) القفل: الرجوع من الغزو، «قارن ما شرحه به محقق الديوان».

هذا آخر القسم الأول من الجزء الثالث من كتاب «الموازنة» للآمدي ﷺ بتجزئة محققه غفر الله له.

يتلوه إن شاء الله في القسم الثاني من الجزء الثالث ما قالاه في أوصاف الخيل. [هذا كلام المحقق رحمه الله علىٰ التجزئة القديمة الصادرة ١٩٩٠م بقسمين] الشرقاوي.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصَّفحة

الموضوع	الصَّفحة

